11

سليمان **الحوات**،
- *قرة العيون في الشرفاء الدباغيين القاطنين بالعيون*، مخطوط.
- *كشف القناع*، كناشة مخطوطة.
قاسم ابن **خجو**،
ضياء النهار، مخطوط.
علال **الخديمي**،
أثر استقرار الأجانب بالدار البيضاء خلال القرن التاسع عشر، أعمال ندوة الدار البيضاء، 1982.
الخزانة الحسنية ـ الرباط،
محفظة مولاي عبد الرحمان بن هشام رقم 21 ـ 4520.
الخزانة الصبيحية ـ سلا،
وثائق آل بنسعيد.
الخزانة العامة ـ الرباط
وثائق آل بركاش.
ع. ف. **خشيم**،
أحمد زروق، و الزروقية، طرابلس، 1980.
م. ابن أبي **الخصال**،
رسائل ابن أبي الخصال، تح. محمد رضوان الداية، دمشق، 1987.
ع. الله ابن **خضراء**،
الرحلة الحجازية، مخطوط.
إسماعيل **الخطيب**،
- *الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع*، تطوان، 1406 ـ 1986.
- *رائد الصحافة بالمغرب*، طبع بتطوان.
لسان الدين **ابن الخطيب**،
نفاضة الجراب، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985.
ع. الرحمن ابن **خلدون**،
المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1981.
يحيى ابن **خلدون**،
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، نشر ألفريد بيل، الجزائر 1903 ـ 1910.
محند بن محمد **الخلفي**،
رسائل أحمد الهيبة، مخطوط.
ع. العزيز **الخلنجي**،
- *تقييد في ترجمة الشيخين محمد الخلنجي وولده عبد الله*، مخطوط.
- *شرح الصلاة المشيشية*، مخطوط.
م. بن عبد الرحمن ابن **خليفة**،
القصر الكبير، أعلام فكرية أدبية وتاريخية، طنجة، 1994.
محمد **الخمار الكنوني**،
رماد هسبريس، الدار البيضاء، 1987.
محمد **الخمال الطنجي**،
رسوم عدلية شهد فيها سنة 1940، مخطوطة.
نجاة **الخياطي**،
- بوجعران، *معلمة المغرب*، ج. 5، ص. 1640.
- حباحب، ج. 10، ص. 3303.
جون جيمس **دافيسن**،
حركة المدارس الحرة بالمغرب، 1919 ـ 1970، الدار البيضاء، 1991.

محمد **داود**،

عائلات تطوان. مخطوط.

ع. الكريم **الداودي**،

كناشة علمية تحتوي على تسع وأربعين ورقة. مخطوطة.

القايد الحاج محمد بن الهادي **الداودي**،

وثائق القايد الداودي، مخطوطة.

رضوان **الداية**،

ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس، سلسلة أعلام الفكر، رقم : 5.

ع. الرحمن **الدباغ**،

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح. محمد ماضور، تونس، 1978، ج. 3.

م. الطيب **الدباغ**،

شجرة الأسرة الدباغية، مخطوطة.

محمد ابن **الدراج**،

الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع، تح.م. ابن شقرون.

م. بن محمد **الدلائي**،

بغية الراغب في العريف بالشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدلائي، مخطوط.

شمس الدين عبد الله **الدمشقي**.

نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. بغداد، 1923.

بوفلوس الدمناتي،

مداخلة ندوة الحركة الوطنية، القنيطرة، أبريل، 1998.

نجيب الدمناتي،

القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع، مخطوط، خ. ع.

يوسف **دنون**،

قديم وحديث في أصل الخط، مجلة المورد، عدد 4، سنة 1986.

محمد **دنية**،

النسمات الندية من نشر ترجمة أبي العباس أحمد دنية، الرباط، 1355.

گ. دوفردان،

مراكش من التأسيس إلى سنة 1912، الرباط، 1959 (مترجم جزئيا).

اوركادبو **دي لمريا**،

نوبة الصبهان، تطوان، 1956، ص. 29 - 31.

ويل ديورانت،

قصة الحضارة (مترجم) القاهرة، 1956.

عبد النبي **ذاكر**،

الرحلة الحجوية إلى الديار الإسبانية، مجلة كلية الآداب أگادير، العدد 7 السنة 1995.

نفيسة **الذهبي**،

اقتفاء الأثر، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1996.

محمد الرايس،

الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف سيدي محمد الخمال. مخطوط.

ابن **رزين**،

فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، تح. م. بنشقرون، الرباط، 1981.

م. ابن **رشد الجد**،

فتاوى ابن رشد، بيروت، 198[illegible].

م. ابن **رشيد**،

إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح، مخطوط.

مل، *العيبة*، تح. محمد الحبيب، بلخوجة، تونس، 1982.
أ. **الرفاعي**،
- *حلية الكتاب ومنية الطلاب*، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 254، ج. د.
- *الجامعة العربية وقضايا التحرير*، ط. 2.
نجم الدين الأنصاري ابن **الرفعة**،
الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، دمشق، 1980.
أحمد **الركراكي**،
الشموس المنيرة في أخبار مدينة الصويرة.
خ. الله **الركراكي السعيدي**،
السيف المسلول على من أنكر على الرجراجين صحبة الرسول، 1987.
عبد الله بن محمد **الركراكي**،
- السيف المسلول فيمن أنكر على الركراكيين صحبة الرسول الصويرة، 1987.
علال **ركوك**،
الحدث التاريخي من خلال النصوص الشفوية : المقاومة وبعض أوجه التاريخ الاجتماعي 1890 - 1956، دكتوراة، 1998.
محمد **رمضاني**،
الأركة، معلمة المغرب، ج. 1، ص. 324 - 325.
البغل بالمغرب، معلمة المغرب، ج. 5.
أندري **روسي**،
طرابلس تحت حكم الإسبان، ص. 58 - 59.
م. بن الصادق ابن **ريسون**،
الاستشف، من الالم في التلذذ بصاحب العلم، مخطوط، خ. ح. رقم : 3585.
علي **الريسوني**،
أبطال صنعوا التاريخ، تطوان.
علي الغالي **الريسوني**،
مغرب لا يقهر، تطوان، 1992.
محمد **الريفي**،
جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط.
محمد بن علي **الزبادي**،
سلوك الطريق الوارية في التلميذ والشيخ والزاوية، مخطوط، خ. ع. الرباط، رقم 245 ك.
أحمد ابن **الزبير**،
صلة الصلة، تح. ع. السلام الهراس وسعيد أعراب، فضالة، 1413 / 1993.
أحمد **زروق**،
قواعد التصوف، صححه ونقحه : م. ز. النجار وراجعه م. فرغلي، بيروت، 1992.
محمد. **الزرهوني**،
رحلة الوافد، الدار البيضاء، 1992.
أحمد **زروال**،
دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش ....، الرباط، 1987.
معروف **زريق**،
موسوعة الخطوط العربية وزخارفها، دار المعرفة، دمشق، 1993.
أحمد **زكي**،
في سبيل موسوعة علمية، ط. ج. دار الشرق، 1994.
ع. القادر **زمامة**،
علي بن ميمون الغماري، مجلة الثقافة المغربية، الجزء السادس، 1972.
محمد **الزنادي**،
دوحة البستان، في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمان، مخطوط، خ. ع. 390 د.

قاسم **الزهيري**،

مذكرة عن الدبلوماسية المغربية، أرشيف وزارة الخارجية، مرقون، الرباط.

ع. الرحمان ابن **زيدان**،

الدرر الفاخرة، الرباط، 1356 / 1937.

اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي، فاس، 1342.

ع. **الزين**،

العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط، د. د. ع. في علم الاجتماع، الرباط، 1986.

يوسف، ابن **الزيات التادلي**،

كتاب التشوف، الرباط، تح. أ. التوفيق، 1958 ـ 1984.

. العزيز **سالم** وأحمد مختار **العبادي**،

تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، 1969.

محمد **السجلماسي** وع. الكبير **الخطيبي**،

ديوان الخط العربي، 1980.

العياشي **السربوت**،

دار الضمانة، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1983.

يحيى **السراج**،

فهرست، مخطوط.

سركيس،

معجم المطبوعات، مصر، 1928.

سعد الله،

تاريخ الجزائر، 2، 438.

علي ابن **سعيد**،

ـ *اختصار القدح المعلى*.

ـ *روايات المبرزين*، تح. رضوان الداية، ص. 72.

ع. الكبير **سكيرج**،

الخط المغربي، مجلة الثقافة المغربية، عدد 2، سبتمبر 1947.

عبد الرحيم ابن **سلامة**،

المغرب قبل الاستقلال، الدار البيضاء، 1980.

رشيد **السلامي**،

وثائق مرينية، دراسة وتحقيق، د. د. ع. الرباط، 1989.

محمد **السنوسي**،

السبيل المعين في الطرائق الأربعين، مخطوط، خ. ع. 1521، 85 ـ 86.

المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق، مخطوط، خ. ع. 1243، ك 9.

ابن **سهل** الاشبيلي،

ديوان ابن سهل، تح. محمد قويقة، 1985.

التاودي ابن **سودة**،

فهرسة، مخطوط.

ع. السلام ابن **سودة**،

رفع الالتباس، مرقون.

محمد التاودي ابن **سودة**،

زعير قديماً وحديثاً، الجزء الأول.

عبد الرحمن **السيوطي**،

الرحمة في الطب والحكمة، بيروت، د. ت.

السعيد بن سعيد الخوري **الشرتوني**،

أقرب المواد في فصيح العربية والشوارد.

صالح الشرقي
[illegible]
جُلْ تر المعاني، الدار البيضاء، د. ت.
محمد ابن **شريفة**،
ابن لبال الشريشي، 508 - 582، الدار البيضاء، 1996.
شريفي،
خطوط الخط حتى عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، الجزائر ...
ع. الله **شقرون** وآخرون،
العربي الدغمي إبداع مغربي أصيل، الرباط، 1996.
فتيحة **الشقيري**،
جوانب من التطور التاريخي للخط المغربي، الدار البيضاء، 1990.
أ. ابن الأمين **الشنقيطي**،
الوسيط في أدباء شنقيط، القاهرة، 1989.
مصطفى **الشهابي**،
معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، 1988.
م. **شويكي**،
إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، دكتوراة مرقونة بكلية الآداب، الرباط، 1995.
محمد **الشياظمي**،
ضواحيها - مدينة أزمور و، الرباط، 1987.
- *دكالة، مدن وقبائل المغرب*، ج. 10، تر. محمد الشياظمي، مخطوط.
أ. **الشيباني**،
مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، ص. 156.
المهدي **الصالحي**،
أعلام درعة، مخطوط.
م. **الصباغ** القلعي،
بستان العارفين الأزهار، مخطوط، خ. ع. 243 د.
محمد **الصديقي**،
إيقاظ السريرة بتاريخ الصويرة، الدار البيضاء، د. ت.
صلاح الدين **الصفدي**،
الوافي بالوفيات، بيروت، 1997.
محمد **الصفار**،
رحلة باريس، مخطوط، خ. ع. رقم 113.
محمد الفاطمي **الصقلي**،
النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس، مخطوط.
ح. **الطاهري**،
تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان، طبعة حجرية - فاس، 1324.
الطاهر محمد **عالوش**،
وثائق عالوش، مخطوطة.
محمد الصادق **عبد اللطيف**،
الخط العربي في المغرب العربي الكبير، المجلة *العربية*، عدد 85، 1984.
محمد ابن **عبد المنعم**،
الروض المعطار، بيروت، 1957.
أحمد ابن **عبود**،
مكتب *المغرب العربي في القاهرة*.
أحمد ابن **عجيبة**،
أزهار البستان، مخطوط.

زين العابدين **العراقي**،
فهرسة، مخطوطة.
صديق بن **العربي**،
مقدمة فهرس مخطوطات خزانة ابن يوسف بمراكش، بيروت، 1414 / 1994.
محمد بن **عرضون**،
مقنع المحتاج في آداب الأزواج. مخطوط.
محمد **عزاوي**،
المغرب الإسلامي من خلال رسائله، ق. ا (ص. 80 وما بعدها).
محمد ابن **عزوز حكيم**،
- *بطل جبالة حميد وولد السكات*، تطوان، د. ت.
- *كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى 1900)*، تطوان، 1999.
- *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية؟* تطوان، 1979.
- *مولاي علي ابن راشد مؤسس شفشاون*، تطوان، 1998.
- *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني*، الرباط، 1986.
العربي **العزوزي**،
نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير، مخطوط.
أحمد **عطية**،
القاموس السياسي، بيروت، 1974.
محمد **العلمي**،
عبد الكريم الخطابي، الرباط، 1968.
مصطفى **العلوي**،
الحرب المغربية الفرنسية الإسبانية 1906 - 1936، الرباط، 1994.
محمد ابن **علي الدكالي**،
- *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، الرباط، 1988.
- *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط.
محمد **العمراني**،
سعد الشموس في مكارم الأخلاق وقمع النفوس، مخطوط.
ابن فضل الله **العمري**،
مسالك الأبصار، الرباط، 1979.
م. عبد الله **عنان**،
لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1954.
م. **عودة فاروق**،
بداية ونهاية.
ابن **العوام**،
كتاب الفلاحة، مخطوط.
محمد بن عبد الكريم **العيدوني**،
يتيمة العقود الوسطى، مخطوط.
محمد ابن **عيشون**،
الروض العاطر الأنفاس، تح. ز. النظام، د. د. ع. مرقون.
أبو سالم **العياشي**،
اقتفاء الأثر، تح. نفيسة الذهبي، الرباط، 1996.
محمد ابن **غازي**،
- *الروض الهتون*، الرباط، 1964.
أحمد **الغرباوي**،
البحث الجغرافي والالتزام السياسي في المغرب، البديل الرباط 1983.

م. ن. د. **الغزي**،
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تح. ج. س. جبور، بيروت، د. ت.
ع. الكريم **غلاب**،
التطور الدستوري والنيابي بالمغرب 1908، 1992 ـ 1993، الدار البيضاء.
محمد خير **فارس**،
تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، 1912 ـ 1939، دمشق، 1972.
ع. الحفيظ **الفاسي**،
- *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج. 2.
- *مختصر العروة الوثقي*، سلا، 1938.
علال **الفاسي**،
النقد الذاتي، تطوان، د. ت.
م. العابد **الفاسي**،
- *الخزانة العلمية بالمغرب*، الرباط، 1380 ـ 1960.
- *فهرس مخطوطات خزانة القرويين*، الدار البيضاء، 1400 ـ 1980.
محمد **الفاسي**،
ابن خبازة، مجلة *رسالة المغرب*، العدد 4، السنة السادسة، دجنبر 1947.
إسماعيل أبو الفداء،
المختصر في أخبار البشر، القاهرة، 1325.
الفزاري،
كتاب جغرافية الفزاري، مخطوط.
حسن **الفكيكي**،
- *جبالة، مجموعة البحث المتعددة الاختصاصات*.
- *محمد بن العربي البوگافري، معلمة المغرب*، 10 : 3096.
عبد السلام **القادري**،
الدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني، ط. حجر فاس، 1308.
م. العربي **القادري**،
كناشة، مخطوطة.
محمد **القادري**،
التقاط الدرر، تح. هاشم العلوي، بيروت، 1981.
أحمد ابن **القاضي**،
المنتقى المقصور، تح. محمد رزوق، الرباط، 1986، جزآن.
محمد المهدي ابن **القاضي**،
النور القوي في ذكر شيخنا المولى عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي، مخطوط.
أحمد **القسطلاني**،
إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، بولاق، 1276 هـ.
أحمد ابن **قنفذ**،
شرف الطالب / موسوعة *أعلام الغرب*، بيروت، 1996، ج. 2.
محمد **الكانوني**،
- *أسفي وما إليه قديما وحديثا*.
محمد الباقر **الكتاني**،
ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد، سلا، 1962.
محمد بن جعفر **الكتامي**،
سلوة الأنفاس، ط. حجر فاس، 1300.
ع. بن عبد العزيز **الگرسيفي**،
- *رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة*، ملحق كتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر.
- *رسالة في تحقيق أوزان النقود بسوس*، ملحق بكتاب النقود المغربية في القرن الثامن عشر.

انسطاس الكرملي،
النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط. 2، القاهرة، 1987.
ايف لاكوست،
. العلامة ابن خلدون، تر. ميشيل سلمان، بيروت، 1974.
. جريدة لسان المغرب، 14 فبراير 1908.
ع. لغماري، م. البوطاهري،
جهة الرباط وسلا زمور زعير، خريطة إقليم الخميسات، مخطوط.
أحمد اللمطي.
الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، بيروت، د. ت.
موريس لومبار،
الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، الدار البيضاء، 1990.
م. مارتين،
الاستعمار الإسباني في المغرب، 1861 ـ 1956، باريس، 1973.
ح. المباركي،
الري وندرة الماء، مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش، د.د.ع. الرباط، 1987.
أحمد متفكر،
ذيل الإعلام لعباس ابن إبراهيم المراكشي، مخطوط.
محمد مجدوب،
. أضواء حول تاريخ المغرب قبل العهد الفنيقي، النشرة الأثرية، ع. 20.
. دراسات عن الحياة الاقتصادية بموريطانية في القرن الأخير قبل الميلاد. أطروحة مرقونة.
مجهول (غير مذكور)،
. الاستبصار في عجائب الأمصار، الدار البيضاء، 1984.
. استراتيجية تنمية الري في أفق 2000، (وزارة الفلاحة).
. أعمال ندوة الحركة الوطنية في أفق سنة 2000، كلية الآداب القنيطرة، 1994.
. أنس العاشق ورياض الحب الوامق، مخطوط.
. بغية الراوي في مناقب المناوي، مخطوط.
. بلغة الأمنية، الرباط، 1984، ص. 24 ـ 26.
. تاريخ الدولة السعدية، تح. ج. كولان، الرباط، د. ت.
. التعريف بنسب الشيخ الإمام سيدي أحمد بن يوسف، مخطوط، خ. ح. 1457 د.
. تقييد في أسر طنجة، مخطوط.
. تلخيص الحاوي للفتاوى، مخطوط.
. جهة دكالة ـ عبدة، الحوار الوطني حول إعداد التراب، 1999، (وزارة إعداد التراب الوطني).
. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، الدار البيضاء.
. دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، روما، 1998 (المنظمة العالمية للتغذية)
. ديوان في أمداح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، مخطوط.
. الذخيرة السنية، الرباط، 1972.
. الرباط، السكان القرويون حسب إحصاء 1971، كتابة الدولة في التخطيط، 1973.
. الروضة السليمانية، مخطوط، خ. ع 1275.
. السدود التلية، الرباط، ماي 1988 (المجلس الأعلى للماء).
. السكان القرويون حسب إحصاء 1982، المنطقة الوسطى الجنوبية، (وزارة التخطيط).
. شجرة نسب أسرة الخمال، مخطوطة.
. شهداء الاستقلال، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.
. مجموع ظهائر تتعلق بأسرة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات، 1988.
. المدونة القانونية للجماعات المحلية بالمغرب، مراكش، 1997. جريدة رسمية.
. مفاخر البربر، تح. ليفي بروفنسال، الرباط، 1934.
. المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، الرباط، 1911.

. منظومة في أسرة الجمال، مخطوطة خزانة كنون بطنجة.

. نبذ تاريخية في أخبار البربر.

. ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، فضالة، (وزارة الأوقاف).

. هدية السرور من الملك الخلاق في كرامة أبي القاسم بن عبد الرزاق، مخطوط.

. وثيقة المطالبة بالاستقلال، 1996، حزب الاستقلال.

أحمد بن أبي محلي،

سبيل الحقيقة والحق في سبر الشريعة للخلق، مخطوط.

عبد العزيز محمود،

الخط العربي الأندلسي وتطوره، رسالة نوقشت بجامعة الاسكندرية، كلية الآداب، 1981.

ميمون المختار،

وثائق، مخطوطة.

. المريبطو،

المآثر الجلية في رجوع نسب أولاد العلوي للشعبة الحمودية الإدريسية الحسنية، مخطوط.

عبد الحق المريني،

دليل المرأة المغربية.

محمد المشرفي،

الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخطوط، خ. ع. رقم د. 1463.

محمد مشيش العلمي،

القنيطرة ميلاد المدينة والحركة الوطنية 1913 - 1937، القنيطرة، 1998.

محمد المصلوحي،

الأثر الإسلامي في إبداع الخط العربي، بحث للإجازة بكلية الآداب بالرباط، 1985، (بحث مرقون).

أحمد معنينو،

ترجمة عبد العزيز الحوات، مرقونة.

الشيخ المجدد المبدع في فن الملحون، مجلة البحث العلمي، ع. 28، 1977.

عز الدين المعيار الإدريسي،

مقدمة نفس الصباح، المحمدية، 1994.

محمد المغراوي،

جماعة التبليغ، معلمة المغرب، ج. 6، ص. 2266 - 2268.

الخط المغربي، الإبداع والتاريخ، (بحث مرقون، 2000).

محمد المقدسي،

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، 1957.

محمد المكلاتي،

المقامة الزهرية في مدح المكارم البكرية، مخطوط.

أحمد المكناسي،

أهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب، تطوان 1963.

الطيب بن لحبيب الملولي،

تاريخ درعة، مخطوط.

صلاح الدين المنجد،

دراسات في تاريخ الخط العربي، بيروت، 1972.

دليل الموارد البحرية الحية في المغرب، روما 1998، المنظمة العالمية للتغذية.

محمد المنوني،

. دليل القصبة الإسماعيلية، مجلة دعوة الحق، ع. 4، سنة 1967.

. العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، 1977.

. مكتبة الزاوية الحمزية، مجلة تطوان، ع. 8، 1963.

. ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، فضالة، ج. 2، ص. 543.

. ورقات من الحضارة المغربية، الرباط، 1979.

ع. العزيز **منير**،
الجهاز الحضري لدير أطلس دمنات، بني ملال، مدن صغيرة في تحول بطيئ، د. د. ع. مرقون، الرباط، 1999.
محمد ابن **الموقت**،
الرحلة المراكشية أو مرآة المساوئ الوقتية، الدار البيضاء، د. ت.
السعادة الأبدية، طبعة حجر فاس، 1910.
المصطفى **مولاي ارشيد**،
طنجة والمساكل الرومانية، مجلة دار النيابة، ع. 10، 1986.
جعفر **الناصري**،
- *تقييد في آل ابن خضراء السلويين*، مخطوط.
- *ابن الخطيب بسلا*، سلا، 1988.
م. المكي **الناصري**،
الروض الزاهر، تح. المهدي الغالي، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1999.
عبد الله **نجمي**،
- *بين زروق ولوثر الرباطا والزوايا*، الرباط، 1997.
- *العكاكزة*، د.د.ع مرقون كلية الآداب، الرباط، 1986.
- *الملاماتية*، مجلة تاريخ المغرب، السنة الأولى 1981، ع. 1.
- *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري*، مخطوط.
ح. **نصار**،
الموسيقى والغناء في ألف ليلة وليلة، منشورات إقرأ، مصر.
عادل **نويهض**،
معجم أعلام الجزائر، بيروت، د. ت.
محمد **الهبطي**،
الألفية السنية، مخطوط.
أحمد **هوزالي**،
التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي، د. د. ع. الرباط، 1987.
جورج **هوست**،
تاريخ امبراطور المغرب سيدي محمد بن عبد الله، تح. عبد الرحيم زحل، جريدة *العلم*، أبريل 1990.
ابن **وحشية**،
الفلاحة النبطية، مصورة مرانكورت.
علي **وزا**،
دراسة جغرافية لوادي دادس، بحث للإجازة، كلية الآداب، الرباط، 1979.
حسن **الوزان** الإفريقي،
وصف إفريقيا، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980.
حسن **الوزاني**،
دليل الكتاب المغاربة، أعضاء اتحاد كتاب المغرب، الرباط، 1993.
عبد الله **الوزاني**،
الروض المنيف في التعريف بأولاد مولانا عبد الله الشريف، مخطوط.
أحمد **الوكيلي**،
مذكرات، مخطوطة.
محمد **اليازغي**،
حدائق الأزهار الندية، مخطوط.
عبد الوارث **اليالصوتي**،
المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب، مخطوط، خ. ع. 5723.
الحسن **اليوسي**،
فهرسة، مخطوطة.

Supplément
à
la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie

ABDESSELAM, A. - *Ibn Khaldu, et ses lecteurs*, Paris, 1983.

ABDUL WAHAB, H. H. - *Un témoin de la conquête arabe de l'Espagne. R.T.*, 1932.

ABITBOL, M. - *Le Maroc et le commerce transaharien du 16è au 19è S. -R.O.M.M*, n° 30, 1980.

ABRE, R.D, - *Mohu ou Hamou chef zaian - F.M*, n° 81, 1923.

ADIDI, A. - *Espace minier et formes de croissance : le bassin phosphatier de Khouribga* - Th. 3è cycle. Univ. Lyon III : 1986.

ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Etude de l'aménagement des nappes alfatières* - Rabat, 1983.

AGERON, C.R. - *Politiques coloniales au Maghreb* - Paris, 1973.

AIT HAMZA, M. - *L'Emigration facteur d'intégration ou de désintégration des régions d'origine* - Rabat, 1988.

AKHMISSE, M. - *Hommes et choses de Smara* - Rabat, 1987.

ALARCON, S. M. - GARCIA, L. R. *Los Documentos arabes diplomaticos del Archivo de la Corona* - Madrid, 1940.

AL AZMEH, A. - *Ibn Khaldun : an essay in interpretation.* - Londres, 1980.

AL AZMEH, A. - *Ibn Khaldun in modern scholarship.* - Londres, 1981.

ALAOUI [et al...], - *Salé cité millénaire*, Salé, 1997.

AL BARRACIN, N. - *El Hayk in la zona atlantica - Tamuda*, 2, 1954.

ALKOUFFE, A. - *Tafilalet : étude de la nappe phréatique de Rissani.* - (Rapport).

ALLAIN, C. - *Une organisation agricole almohade - Hesp.* , 2è - 3è trim. , 1954.

Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunes reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde et siglo XIII hasta. al XV - Madrid, 1974.

Au Maroc avec le Colonel De Castries : exposition commémorative du cinquantenaire de la collection des Sources Inédite de l'Histoire du Maroc. . 1905-1955 - Rabat, 1955.

AYDOUN, A. - *Musiques du Maroc.* - Casablanca, 1992.

BAHIR. - *Le Changement spatial, economique et social dans les communes rurales de la Wilaya de Casablanca.* - Montpellier, 1992.

BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française : des origines à 1956.* - Rabat, 1996.

BANQUE DU MAROC. - *Caractéristiques des monnaies marocaines en argent frappées entre 1881 - 1920* - Rabat (Ronéot.)

BARBIER, M. - *Voyages et explorations au Sahara occidental* - Paris, 1985.

BARTHELEMY, A. - *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate* - Aix-en-Provence, 1990.

BELLAKHDAR, J, (et al...). - *Tissint : une oasis du Maroc présaharien* - Rabat, 1992.

BELLAOUI, A. - *Le Dir septentrional à l'Adrar N'Dern : un espace de transition en pleine mutation in les Régions de piedmont au Maghreb - Etudes méditerranéennes.* n° 18, 1994.

BENABID. A. et CUZIN. F. - *Population de dragonniers au Maroc : valeurs taxinomique, biogéographique et phytosociologique. C-R Académie des Sciences de Paris.* 1977.

BEN CHEIKH, J. E. - *La Poétique arabe* - Paris, 1975.

BENHALIMA, H. - *Sefrou : de la tradition du Dir à l'intégration économique moderne : étude de géographie urbaine.* - Th. 3è cycle : Montpellier : 1977.

BENHIMA, M. - *La Cité de Derb Jdid.* 1959.

BERNARDO DA CRUZ. Fr. - *Chronico del Rey Don Sabastian* - Lisboa. 1837 - 1903.

BENNASSAR, B, et L. - *Les Chrétiens d'Allah . l'histoire extraordinaire des renégats. 16è et 17è S.* - Paris,

BENSLIMANE, J. - *Les Equipements commerciaux de détail à Casablanca : leur role dans l'organisation de*

l'espace. - Th. 3è cyle : Géo : Paris II, 1982.
BERQUE, J. - *Cent vingt-cinq ans de sociologie maghrebine*. - *Annales. E.SC*, Juil - Sept 1956.
BERTI, V. - *Les Evenements de Casablanca, 5 Août 1907*. - *France Outre* - Mer, Août - Sept 1953.
BERNARD, A. - *Une nouvelle carte du Maroc* - *Bull. Soc. Géo. Archéo. d'Oran*, T. 17, Fasc. 72, 1907.
BERTRAND, P. Y. - *Les Noms de plantes au Maroc* - Rabat, 1997.
BIDWELL, R. - *Morocco under colonial rule : French administration of tribal rule, 1912 -1956* - London, 1973.
BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique Romaine dans l'est algérien* - Alger, 1962.
BOLOMAC, N. de - BOGROS, D. - *L'Arabe ; premier cheval de sang* - Paris, 1978.
BONJEAN, M. - *L'Epidémiologie du paludisme au Maroc* - Rabat, 1947.
BOSSARD, P. R. - *Mouvements migratoires dans le Rif oriental : le travail en Europe. Aspect contemporain majeurs des migrations dans la province de Nador*. - Th. 3è cycle : Montpellier : 1978.
BOSSAVY, M. - *L'Economie montagnarde chez les Aït Seri du Tadla* - *R.G.M*, n°1, 1939.
BOUASLA, E. - *La Zaouia tunisienne des Doukala : histoire sociale et économique, 18è - 20è S* -*H. T*, Vol. 28, 1990.
BOUBEKRAOUI, M.E.H. - *La Crise des palmeraies de la plaine du Tafilalet*. - Toulouse, 1983.
BOUGIS, P. - *Le Plancton* - Paris, 1977.
BOUHAMIDI, A. - *Le Village des Asphodèles in Littérature de langue française hors de France*, n° hors série.
BOURGUIBA, H. - *La Tunisie et la France* - Paris, 1954.
BRAUDEL, F. *Civilisation matérielle, économique et capitalisme, XV - XVII siècle* - Paris, 1979.
BROCKEL MANN. - *Geschichte der Arabischen Literatur* - Leyde, 1937 - 1949 - 5 vol.
BROWN, K. - *Résistance et nationalisme in Abd-el-Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.
CAMPS. FABER.H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord* - *R.O.M.M*. n° 13 - 14, 1973.
CANAL, J. - *Les Troubles de la frontière marocaine* - *Bull. Sc. Géo. Archéo d'Oran*, T. 6, Fasc. 29-30, Mars-avril 1886.
CAPAZ, F. - *Caberillas rebeldes de Gomara* - 1949.
CAPDEFERRO, M. - *Historia de Cataluna* - Barcelona, 1967.
CAPMANY Y MONPALAU, A. de - *Memorias sobre la marina, comercio y artes de Barcelona* - Madrid, 1779 - 1792, 4 vol.
CASODO, R. - *Politica marroqui de Carlos III* - Madrid, 1946.
CELERIER, J. - *L'Economie montagnarde dans le Moyen Atlas* - *R.G.M*, n° 1, 1939.
CELERIER, J. - *Le Maroc* - Paris, 1946.
CELERIER, J. - *La Montagne au Maroc : essai de définition et de classification* - *Hesp.* , 1938.
CENIVAL, P. de - *Le Comte Henry de Castries* - *Hesp.* VII, 3è trim. 1927.
CENIVAL, P. de - *La Légende du juif Ibn Mechoal et la fête du Sultan des Tolba à Fès* - *Hesp.* , 2è - 3è trim. 1954.
CHAMPION, M. - *Les Finances publiques au Maroc* - Rabat, 1961.
CHATINIERES, P. - *Dans le Grand Atlas*. Paris, 1919.
CHEDDADI, A. - *Ibn Khaldun revisité* - Casablanca, 1999.
CHEVALIER, J - GHEERBRAN, A. - *Dictionnaire des symboles* - Paris, 1974.
CHICHE, J. - *Contibution à l'étude de l'élevage dans le sud - est marocain, in Actes du collogue international : intégration économique des provinces sahariennes et développement national. Rabat, 9-10 Juillet 1984*. - Casablanca.
CHOUIKI, M. - *Systeme de santé et inégalités socio - spatales à Casablanca* - *R.G.M*, vol. 13, n° 1, 1989.
C.I.F.M. - *Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco - Marocaine* - Casablanca, 8 Oct. 1950.
CLEMENT, J.F. - *Tanger avant le statut international* - *Horizons maghrébines*, n° 31 - 32, 1996.
COLIN, G.S. - *Des juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au 16è S. , in Mélanges d'études 'uso marocaines* - Lisbonne - Paris, 1945.
COLIN, G. S. - *Fès, port de mer* - *B.E.P.M* n°, 183, 1945.

CONJEAUD, M.H.G. - Histoire militaire de la Chaouia depuis 1894 - Casablanca, [s.d].

CROIZARD, M - GALANTE, P. - *Les Hommes bleus au Maroc* - Paris, 1956.

CUBELLS, M. - *Documentos diplomaticos aragoneses. Revue Hispanique*, 37, 1916.

DALCHE, G, [et al ...] - *Villes et montagnes marocaines* - Rabat, 1964.

DAOUD, Z. - *Amine Demnati* - *Lamalif*, n° 18, mars 1968.

DARMON, J. P. - *Nymphorum Domus : les pavements de la maison des Nymples à Neapolis et leur lecture.* Leiden, 1980.

DAWOOd, N.J. - *Ibn Khaldun : The Muqaddimah.* - Londres, 1967.

DE GAULLE, Ch. - *Mémoires de guerre* - Paris, 1958 - 1959.

De Gaulle et le Maroc, textes recueillis par M. Sehimi - Paris - Rabat, 1990.

De Gaulle et le Tiers-Monde - Paris, 1984.

DENOUN, D. - *Notice sur la tribu arabe saharienne des Aribs* - [s.l], 1929.

DESNOTTES, J - CELERIER, J. - *La Vallée de Debdou.* - *La Geographie*, vol. 50.

DESPOIS, J. - *L'Utilisation du sol dans les montagnes du Maghreb.* - *Acta Geographica*, 2è - 3è Trim. 1963.

DEVERDUN, G. - *Glaoua* - *E.I*, 2.

DEVILLETTE. J. - *Bijoux* - *E.B*, vol. 10.

Diccionario enciclopedico Salvat - Madrid, 1920.

DIEZ. E. - *L'Art de l'Islam.* - Paris. [s.d].

DOGHMI, M. - *Le Rôle de la Banque du Maroc dans le système monétaire et bancaire* - 1966.

DOTOUT. O. - *Extension saharienne du type Mechta - Afalou.* - *Cah. ORSTOM. (Géo)*. 14, 2, 1984.

DOULS, C. - *Voyages d'exploration à travers le Sahara occidental* - *Bull. Soc Géo*, 3è trim. 1888.

DOUTTE, E. - *Les Djebalas du Maroc d'après les travaux de M A. Mouliéras* - Oran, 1899.

DOUTTE, E. - *Enquête sur la dispersion de la langue berbère en Algérie* - Alger, 1913

DOUTTE, E. - *L'Islam algérien en l'an 1900* - Alger, 1900.

DOUTTE, E. - *Magie et religion dans l'Afrique du Nord* - Alger, 1909.

DOUTTE, E. - *Marrakech* - Paris, 1905.

DOUTTE, E. - *Notes sur l'Islam maghrebin : les Marabouts* - Paris, 1900.

DOZY, R - ENGELMANN, W. H. - *Glossaire des mots espagnols et portugais dérivés de l'arabe* - Beyrouth, 1974.

Dubdu - *E. I.* vol. 2.

DUFOURCQ, Ch. E. - *Catalogue chronologique et analytique du registre 1389 de la chancellerie de la couronne d'Aragon intitulé Guerre Sarracenorum 1367 - 1386. in Miscelanea de textos Medievales* - Barcelone, 1974.

DUFOURCQ, Ch. E. - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13è et 14è siècles* - Paris, 1966.

DUFOURCQ, Ch. E. - *La Question de Ceuta au 13è siècle- Hesp.* 1er 2è trim. 1955.

DUFOURCQ, Ch .E. - *Vers la Méditerranée orientale et l'Afrique, in Xe Congreso de Historia de la Corona de Aragon* - Zaragosa, 1976.

ECOCHARD, M. - *Casablanca : le roman d'une ville* - Paris, 1955.

EDDIANI. [et al...]. - *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986* - Rabat, 1988.

EL GHALAMI, M. - *Planification urbaine et actions économiques des collectivités locales* - Mem. INAV : Rabat, 1998.

EL GHARBAOUI, A - *Cartographies et géographes arabo-musulmans aux temps de leurs splendeurs* - *Rev. Esp. Geo. et Soc. Ma.* , 1999.

EL HAJRAOUI, M.A. - *L'Industrie osseuse atérienne de la grotte d'El Mnasra (région de Temara, Maroc)* - Tours, 1994.

EL HARRADJI, A. - *Le Massif de Debdou : étude géndémographique* - Th. 3è cycle : Paris I : Géo : 1985.

EL HARRADJI, A. - *Structure géologique et évolution géomorphologique du Massif de Debdou, Maroc oriental* -*R.G.M.* 1996.

ELKHIATI, N. - *Biotypologie et biogéographie des charophycées du Maroc.* - *Doct d'Etat : Fac. Sc : Marrakech* : 1995.

EL KRARI, J. - *Le Sciage du cèdre au Maroc : étude technico - économique* - Mém. 3è cycle : INAV : Rabat : 1989.

EL MOUNTASSER, A. - *La Croissance urbaine de Casablanca : étude des facteurs économiques et psychosociologiques.* - Th. 3è cycle : Paris VIII : 1980.

EMBERGER, L. - *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaitre* - Paris, 1938.

EUSTACHE, D. -*Corpus des dirhams idrisites et contemporains.* - Rabat, 1970.

EUSTACHE, D. - *Histoire de la monnaie arabe et sa métrologie* - Rabat, 1970 - (Ronéot).

EUZENNAT, M. - *Remarques sur la description de la Maurétanie Tingitane dans Pline* - *Antiquités africaines.* 25, 1989.

EUZENNAT, M. - *Volubilis : nouveaux documents* - *B.A.M*, 2.

FABIEN, F. - *Le Maroc au bout de ma seringue* - Rabat, 1988.

FAMCHON, Y - *Le Maroc d'Algésiras à la souveraineté économique* - Paris, 1957.

FARAJ, A. - *Contribution à une étude quantitative et qualitative des proteines de l'agarophyte Gélidium sesginpedale* - Doct. 3è cycle : Fac. Sc : Rabat : 1987.

FEREMBACH, D. - *Les Cromognoides de l'Afrique du Nord, l'Homme de Cromagnon* - Paris, 1970.

FEREMBACH, D. - *Diagrammes craniens sagitaux et mensurations individuelles des squelettes ibéromaurusiens de Taforalt* - Paris, 1965.

FERHAT, H. - *Sabta : des origines au XIV° siècle* - Rabat, 1993.

FISCHEL, W. J. - *Ibn Khaldun and Tamerlane : their historic meeting in Damascus 1401 AD = 803 HA* -Los Angeles, 1952.

FISCHEL, W. J. - *Ibn Khaldun in Egypt 1382 - 1406 : his public functions and his historical research* - Berkeley, 1967.

FRANCHI CONSETAGGIO, J. - *L'union du royaume de Portugal à la Couronne de Castille* - *S. I.H M. France.* pp. 506 -570.

FROIDEVAUX, H. - *Henry de la Croix, Comte de Castries* - *Larousse, mensuel illustré,* T. 7, n° 249, Nov. 1927.

GARCIA, L. R. - *Cronica de Don Pedro IV de Aragon.* - Toulouse, 1942.

GATTINEAU, L. - *Notes sur le montage d'une cure à indigo* - *C.A.T.A.N*, n° 5, 1959.

GAUDIO, A. - *Fès joyau de la civilisation islamique* - Paris, 1982.

GAUTIER, E. F. - *Medinat -ou- Daï* - *Hesp.* , 1926.

GAUTIER, E. F. - *Le Sahara* - Paris, 1950.

GAYRAL, P. - *Algues de la côte atlantique marocaine* - *La Nature au Maroc*, n° 2, 1958.

GAZULLA, F. - *Jaime I y los estados musulmanos* - Barcelona, 1919.

GAZULLA, F. - *Livre del feyts : Cronica de Don Jaime I* - Barcelona, 1926.

GELLNER, E. - *Muslim society* - Cambridge, 1981.

GENTIL, L - *Dans le bled Essiba* - Paris, 1906.

GIBB, H. A. R. - *Islamic background of Ibn Khaldun's political threory* - *BSOAS.* VII, 1933 - 1935

GIBB, H. A. R. - *Studies on the Civilisation of Islam* - Londres, 1962.

GOICHON, A. M. - *La Vie féminine au Mzab.* Paris, 1927

GOUDINEAU, Ch. - *La Céramique arétine lisse : fouille de l'Ecole Française de Rome.* - Paris, 1968.

GOULVEN, J. - *La Place de Mazagan sous la domination portugaise* - Paris, 1917.

GRAS, M. - *La Mémoire de Lixus : de la fondation de Lixus aux premiers rapports entre Grecs et Phéniciens* Rome, 1992.

GRAND, R. - *La Grèce et l'Orient* - Paris, 1964.

GUENNOUN, S. - *Les Voix des monts : moeurs de guerre berbères* - Rabat, 1934.

HADDADOU, M. A. - *Guide de la culture et de la langue berbères* - Alger, [s.d].

HAJOUI, M. O. - *Histoire diplomatique du Maroc, 1900 - 1912* - Paris, 1938.

HAKAM, A. - *La Cartographie au Maroc. Le Topographe*, n° 4, Mars 1984.

HAMDOUCH, B. - *Spécialisation subie et sous-développement au Maroc* - Casablanca, 1983.

HART, D. - *De Ripublik à République* - in *Abd-el- Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.

HARTL, E. - EDWARD, Y. - *Races et types de chevaux* - Paris, 1977.

HAULOTTE, E. - *Symbolique des vêtements*. Paris, 1964.

HENINGER, R. - *Notes sur l'Akhnif* - *C. A. T. A. N.* n° 7, 1974.

HERBER, J. - *Les Hmadcha et les Dghoughiyyin* : *Hesp.* T. III, 1923, 2° trim. ,

[illegible] - Rabat, 1929.

HIRSCHBERG, H. - *A history of the jews in North Africa* - 2° ed. - Leiden, 1974.

HMAM, M. - *La Cartographie au Maroc : situation et perspective* - *Topographe et foncier*, n° 2, Juillet 1992.

[illegible] - *Taroudant et Ouled Taïma, bipôle urbain du Souss* - Agadir, 1995.

HOLSTEAD, J. P. - *Revialth of Nation : the origins and rise of moroccan nationalism, 1912 - 1944* - Harvard, 1967.

IBN KHALDOUN. - *Discours sur l'histoire universelle*, Trad. V. Monteil - Beyrouth, 1967 - 3 vol.

IBN KHALDOUN. - *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique Septentionale* - Paris, 1852 - 4 vol.

IBN KHALDOUN. - *Peuples et nations du monde, extraits des 'Ibar*, Trad. A. Cheddadi - Paris, 1986 - 2 vol.

IBN KHALDOUN. - *Les Prolégomènes*, trad. en français et comment. De Slane. - *Notices et extraits*, vol. 19 - 21, 1862 - 1868.

IBN KHALDOUN. - *Le Voyage d'Occident et d'Orient : autobiographie*, Trad. A. Cheddadi. - Paris, 1980.

Al - IDRISSI, *le Maghreb au 6° siècle de l'Hégire*. Traduction M. Sadok - Paris, 1983.

L'Tindustrie du tannage des peaux au Tafilalet - *B. E. M*, vol. 3, 1936.

JACQUETON, G. - *Henry de Castries et son oeuvre* - Paris, 1917.

JODIN, A. - *Les gravures rupestres du Yagour (Hau t - Atlas) : Analyse stylistique et thématique. B. A. M, T. V*

JOLY, F. - *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc.* - *Notes marocaines*, n° 13, 1960.

JOLY, F. - *Les Régions géographiques du Maroc* - *I.G*, n° 2, 1950.

JOLY, F - MARGAT, J. - *Remarques sur les bassins hydrauliques du Ziz et du Ghriss* - Rabat.

JOUMADY, K. - *Casablanca : métropole économique du Maroc* - Doct. : Bordeaux III : 1988.

JULIEN, C. A. - *L'Afrique du Nord en marche : nationalismes musulmans et souveraineté française* - Paris, 1952.

KAIKAI, I. M. - *L e Commerce des bois tropicaux au Maroc, evolution et perspective* - Mem. 3è cycle : Ecole Nationale Forrestière d'Ingénieur : Salé : 1995.

KATAN, Y - *Oujda, une ville frontière du Maroc* - Paris, 1990.

KERBOUT, M. - *L'Eau dans le Dir de l'irrigation sociale à l'rrigation économique, la pénurie, ses conséquences et les stratégies d'adaptation, in Les Régions de piemont au Maghreb.* - *Etudes méditerranéennes*, n° 18, 1994.

KERBOUT, M. - *Originalité des zones de piémont : le cas du Dir du Moyen Atlas* - *G. E. M : géographie humaine* - Rabat, 1987.

KERBOUT, M. - *Les Périmètres irrigués du Dir moyen atlasique septentrional d'Agouraï à Al Manzal : étude géographique.* Th. 3 è cycle : Tours : 1981.

KIDD, J. - *L'Elevage des chevaux et des poneys* - Paris, 1977.

KIDOU, B. - *Contribution à l'étude démographique de la population urbaine du Grand Agadir.* - Th. Doct. : Lille : 1994.

KOUADRI, M - RICARD, P. - *Procédés marocains de teintures des laines* - Rabat, 1938.

LABICA, G. - *Politique et religion chez Ibn Khaldun* - Alger, 1968.

LA CHAPELLE, F. de - *Le Sultan Moulay Ismaïl* - *A.M.* 1927.

LACOUTURE, J. - *Cinq hommes et la France* - Paris, 1961.

LADREIT DE LA CHARRIERE. - *Les Procédés d'irrigation dans la plaine du Haouz de Marrakech* - *La Nature*, n° 1149, 1910.

LAGDIM SOUSSI, My B. - *Les Activités artisanales à Marrakech et leurs retombées économiques : étude géographique.* - Tours, 1984.

LASQUETTI. - *Episodios de la campana del Lucus* - Tetuan, 1929.

LAVOIX, H. - *Catalogues de monnoies musulmones de la Bibliothèque Nationole* - Paris, 189;

LAWRENCE, B. B. - Ibn Khaldun and Islamic ideology - Leyde, 1984.

LEBOUTEUX, A. - *Regards sur le passé* - Paris, 1974.

LEMOINE, P. - *Le Royaume de Marrakech.* - *Bull. Soc. Géo,* Juil. 1905.

LEMPRIERE, G. - *Voyage dans l'Empire de Maroc* - Paris, 1801.

LE TOURNEAU, R - PAYE, L. - *La Corporation des tanneurs et l'industrie de la tannerie à Fès* - *Hesp.* vol. 20, fasc 2, 1935.

LE TOURNEAU, R. - *La Vie quotidienne à Fès* - Paris, 1965.

LOMBARD, M. - *Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane, 7è - 11è S. in Le navire et l'économie maritime du Moyen Age au 18è S. . Travaux du 2è colloque int. d'hist. marit.* - Paris, 1958.

LOZE, M. - *Les Finances de l'Etat.* - Rabat, 1971.

LOURIDO DIAZ, R. - *En torno al ensanche de limites de Ceuta en 1782 - H.T*, 1982.

LOURIDO DIAZ, R. - *Los Misioneros franciscanos y su participacion en el tratado de paz hispano marroqui de 1767 - Archivo Ibero - Americano*, 133, 1974.

LYAUTEY, H. - *Lyautey l'Africain.* - Paris, 1953 - 57, 4 vol.

MAHDI, M. - *Ibn Khaldun's philosophy of history* - Londres, 1957.

MAJDOUB, M. - *La Luttes du début du 1er siècle Av. J. C au nord de la Maurétanie*- Rome, 1992.

MARAINI, T. - *Ecrit sur l'art* - Rabat, 1990.

MARTINI, J. - *Les Potentialités agro - pastorales du Moyen Atlas Central : première approche cartographique - RGM.* vol. 20, n° 1 - 2, 1986.

MASSIGNON, L. - *Tarika - E. I*, 1987.

MATEU Y LLOPIS, F. - *Nota para estudio de los origines del sistema monetario espanol - numisma*, année 14, n° 67, Marzo - Abril 1964.

MAS-LATRIE, L. DE -*Traités de paix et de commerce concernant les relation des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentionale au Moyen-Age* . - Paris, 1866.

MAUNY, R. - *Autour de la répartition des chars rupestres du Nord - Ouest africain - in Congrés panafricain de préhistoire, Actes de la 2è session* - Alger, 1952.

MC CARTHY. - *Africa antiqua : lexique de géographie comparée de l'ancienne Afrique - R. A*, 1887.

MEDIANO, F. R. - *Familias de Fez* - Madrid, 1995.

MENIOUI, M. - *Diversité biologique de la faune marine du Maroc* - 1997.

MENIOUI, M - *Peuplements infralittoraux superficiels des côtes atlantoméditerranéennes du Maroc : étude faunistique, écologique et biogéographique* - Th. : Sc. : Rabat.

MERCANTON, J - ROUGET, B. - *Maroc : terre et ciel.* - Lausanne, 1954.

MICAUD, E. Ch. - *Arabs and berbers : from tribe to nation in North Africa* - London, 1973.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Les Crises monétaires au Maroc - R. M. M.*, vol. 38, mars 1920.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Organisation des finances au Maroc - A.M*, vol. 11, 1905.

MIEGE, J. L. - HUGUES, E. - *Les Européens à Casablanca au 19è S, 1856 - 1906*, Paris, 1954.

MIEGE, J. L. - *Les Origines du développement de Casablanca au 19è S. - Hesp.* 1953.

MIEGEVILLE, Dr - *La Situation économique de la région de Béni Mellal. - R.G.M*, 4, 1927.

MINER, H. - *Le Déclin des corporations de Fès, B.E.S.M*, Vol - 3, n° 109, Avril - juin 1968.

MINISTERE DES PECHES MARITIMES. - *La Mer en chiffres : synthèse 1995* - Rabat, 1995.

Monographie de la province de Khouribga - Khouribga, 1994.

MOSQUETERO, R, [el al ....]. - *Moluscos de la ria de Vigo II - Rev. de Sciencia del Mar*, 1990.

MOULAY RCHID, M. - *Le Maroc septentional selan Claude Ptolémée - R. G. M*, 3, 1979.

M'RABET, K. - *Peinture et identité, l'expérience marocaine* - Paris, 1987.

NACIRI, M. - *Déterminants et contextes de la production du savoir géographique au Maroc de la fin du 19e au milieu du 20e siècle*, in *la recherche géographique sur le Maroc*, Rabat, 1989.

NASSAR, N. - *La pensée réaliste d'Ibn Khaldun*, Paris, 1967.

NIETO, L. de. - *Relación de las guerras de Berberia y del succeso y muerta del Rey Don Sebostian - Codoin*, vol. 100.

NOIN, D. - *Casablanca - La Documentation Française*, n° 3797, 3798, 1971.

NOLLY, E. - *Gens de guerre au Maroc.*

OJEDA, L. - *Comentario que trata de la infelice jornada del Rey Don Sebastian - S.I.H.M., France* I.

O.R.M.V.A.H. - *Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz R.G.M.*, n° 17, 1970.

O.R.T. - *La Filière bois au Maroc : étude de la production et la commercialisation du bois et des produits derivés - Projet Gharb Mamora*, 1992.

OUMLIL, A. - *L'Histoire et son discours : essai sur la methodologie d'Ibn Khaldun* - Rabat, 1979.

OVED, G. - *La Gauche française et le nationalisme marocain* - Paris, 1984, 2 vol.

PALACIO ATARD, V. - *Primeras negociaciones entre España y Marruecos en 1765 - Hispania,* 11, 1951.

PALLARY, P. - *Classification générique des mollusques terrestres et d'eau douce de la Berberie - Journal Conchyl*, n° 83, 1939.

PALEOLOGUE, M. - *Un grand tournant de la politique mondiale*, 1904 - 1905 - Paris.

PERETIE, M. A. - *Les Médersas de Fès, - A.M.*, vol. 18, 1912.

.'EREZ, L. - *La Corona de Aragon y el Maghreb en el siglo 14, 1331 - 1410* - Barcelona, 1955.

PEREZ, R. - *Ibn Khaldun : la voie et la loi ou le maitre et le juriste* - Paris, 1991.

PEYRONNET, R. - *Livre d'or des officiers des affaires indigènes* - Alger, 1930.

PICHON, J. - *El Herri* - Paris, 1936.

PLANHOL, X. de - *Caractères généraux de la vie montagnarde dans le Proche - Orient et dans l'Afrique du Nord - A. G*, vol. 71, n° 384, 1962.

PLOQUIN, Ph. - PEURIOT, F. - *Les Chevaux du Royaume.* - Paris. 1990.

PONSICH, M. - *Exploitation agricoles romaines de la région de Tanger - B. A. M. V*, 1964.

PONSICH, M. - *Le Musée Michaux - Bellaire à Tanger - B. A. M.* IV, 1960.

POUE - CHANTAIL, R. - *Biologie animale : zoologie invertebria.* Paris, 1962.

PROST, H. - *Le Plan de Casablanca - F. M*, n° 8, 1911.

RAGGABI, A. - *Promotion immobilière et production de logement en milieu urbain : cas de l'opération Dar Dmana* - Mem. INAV : Rabat : 1985.

RAMDANI, M. - ELKHIATI, N. - *FLore et faune marines du Maroc, biodiversité, biogéographie - Expo 96. Lisbonne* - Rabat, 1998.

RAMDAN. , M - DAKKI, M - KHARBOUA, M, [et al...] - *Les Gasteropodes dulcicoles du Maroc, inventaire commenté. - Bull Inst. Sc.* , n° 11, 1987.

RAYNAUD, L. - *Etudes sur l'hygiène et la médecine du Maroc.* - Alger, 1902.

REBUFFAT, R. - *Recherches sur le Bassin de Sebou. 2 : Le périple d'Hannon. - B. A. M*, 16, 1985 - 1986.

RENAUD, H. P. J. - *Trois études d'hisoire de la médecine arabe en Occident - Hesp*, vol. XII, fasc.2, 1931.

Répertoire alphabétique des tribus et confédérations du Maroc, - Rabat, 1939.

REZETTE, R. - *Les Partis politiques marocains* - Paris, 1955.

REVOIL, P. - *Journal tenu pendant la conférence d'Algésiras, 12 janvier - 9 avril 1906* - Paris, 1939.

RIVET, D. - *Commandement français et ses réactions vis - à - vis du mouvement rifain, 1924 - 1926 - in Abd-el-Krim et la République du Rif* - Paris, 1973.

ROBLES, R. - *Implantation humaine dans le Dir de Béni Mellal - R. G. M.* n° 8, 1965.

ROSENTHAL, F. - *Ibn Khaldun : the Muqadimah an introduction to history* - Princeton, 1958 - 3 vol.

ROUGET, B. -*Voyges à travers l'histoire du Maroc* - Casablanca, 1958

ROUX E. J. - *Le Cheval barbe.* - Alger, 1987.

ROY, A. - *La Laine* - Paris, 1946.

RUMEN DE ARMAS, *Espana en el - Africa atlantica* - Madrid, 1957. ,

SALAS, J. de - *Marina espanola de la edad media*. 2è éd. - Madrid, 1925 - 1927.

SALAVERT Y RACA, V. - *La Corona de Aragon en el mundo mediterraneo del siglo 14* - Valencia, 1967.

SALMON, G. - *Notes sur Salé - A. M., III*, 1905.

SANS BARTHELONY. - *L égende marocaine au sujet de Dar el Beida, nom arabe de Casablanca. - Bull, Trim. Soc. Géo. d'Archéol. d'Oran*, vol. 45, 1925.

SAULNIER, J. - *Beni Mellal - BSGM*, N° 2, 1916.
SCHMITT, P. - *La plus ancienne carte géographique du Maroc - B. A. M., II*. 1977 - 78.
SEBAULT, P. L. - *Les Amitiés africaines et les Diar el Askri du Maroc*. - C. H. E. A. M. N° 717.
SERIEYX, Col. - *L'Oeuvre des amitiés africaines - Nlle Rev. Franç. d'Outre - Mer*, n° 6. Juin 1955.
SIDBON, B. B. - *La Question monétaire au Maroc* - Paris. 1921.
SIJILMASSI, M. - *L'art contemporain au Maroc* - Paris. 1989
SJOSTROM, E. - *Wood Chemistry : fundamentals and applications* - London, 1981.
SLANE, W. M. de - *Autobiographie d'Ibn Khaldoun - J. A*, 4è série, III, 1844.
SLANE, W. M. de - *Autobiographie d'Ibn Khaldoun* - in *Notices et extraits*, vol. 19, 1863.
SLOUSCH. - *Les Juifs de Debdou - R. M. M*, 1913.
SOLER, G. - *La Corona de Aragon y Granada - Boletin de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, T. 3, 1905 - 1907.
SOURDON, - *Le Marocain, son âme et sa ville* - Paris, [s. d]
SPILLMANN, G. - *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa*. - Rabat, 1936.
STEWEST, CH. F. - *The Economy of Morocco 1912 - 1962* - Harvard. 1964.
STOUKY, A. - *Un pro de la diplomatie. Le Matin du Sahara*, 28 - 8 - 2000.
SWEARINGEN, W. D. - *Moroccan mirages*. 1912 - 1986 - Princeton, 1987.
TAG, B. - *Les Hauts Plateaux du Maroc oriental : la destruction du nomadisme et ses conséquences - Revue Fac. Lettre de Fès*, N. S, n° 1. 1985, Départ. Géo.
TAIEB, M. - *L'Industrie de la chaussure au Maroc* - Rabat, 1961.
TALBI, M. - *Ibn Khaldun et l'histoire* - Tunis. 1973.
TARDIEU, G. - *La Conférence d'Algésiras : histoire diplomatique de la crise marocaine* - Paris, 1907.
TARRIOT - *Monographie de Casablanca de 1907 à 1914* - Casablanca, 1924.
TAXONERA, L. de - *El Duque de Riperda* - Madrid, 1945.
TAYLOR, A. J. P. - *La Conférence d'Algésiras - Rev. Historique*, T. 208, 1, oct. déc. 1952.
TILLON, G. - *Le Harem et les cousins* - Paris. 1966.
TISSOT, Ch. - *Itinéraire de Tanger à Rabat - Bull. Soc. Géogr.* (Paris), 1876.
TISSOT, Ch. - *Sur les monuments mégalithiques et les populations blondes du Maroc - Rev. anthropol.* V, 1876.
TOUTAIN, J. - *Cultes païens dans l'empire romain.*
TRIMINGHAM, J. S. - *The Sufi order in Islam* - London, 1971.
TROUSSET, P. - *L'Image de nomade saharien dans l'historiographie antique - Bull. de l'équipe d'écologie et d'anthropologie des sociétés pastorales*. CNRS, n° 10, 1982.
TROUSSI, De. - *Les Rhétaras de Marrakech - F.M.*, 1919.
TROUT, F.E. - *Morocco saharian frontiers* - Genève, 1969.
VIDALENC, G. - *L'Art marocain* - Paris, 1925.
WEISGERBER, F. - *Contribution à l'histoire de la cartographie marocaine - R.G.M.*, vol. 7. Fasc. 7, 1928.
WESTER MARCK, E. - *Histoire du mariage* - Paris, [s.d.].
WINKLER, J.R. - *Coléoptères : atlas illustré* - 2e éd. - Paris, 1973.
WOOL MAN, D. S. - *Rebels in the Rif : Abdelkrim and the rebellion* - London, 1968.
YATA, A. - *Presse démocratique au Maroc : bilan et difficultés* - Casablanca, [s.d.].
YVERT, B. - *Dictionnaires des Ministres. 1789 - 1989* - Paris, 1990.
ZURITA, J. de. - *Anales de la Corona de Aragon* - Zaragoza. 1669

الحسن الثاني (1929 - 1999)(*)، ملك المغرب الراحل طيب الله ثراه، امتد عهده من 1961 إلى 1999، وذاع صيته وطأطأت له الرقاب داخل البلاد وخارجها بما جبل عليه من سامي الخصال وخلف من كبير المنجزات. كان من أعظم ملوك المغرب إن لم يكن أعظمهم، بما تأتى له من ممارسة السلطان في أشكاله الإمامية الموروثة عن المخزن التقليدي، وفي أشكاله الإدارية العصرية المقتبسة من نظام الحماية الأجنبية. فهو الذي جدد للدولة المغربية هيبتها وشبابها، ممكنا إياها من أدوات التدبير العصري ومحتفظا لها بالركائز العتيقة التي أقيمت عليها منذ أقدم العصور. وككل من نشأ يستعد للأمانة الكبرى، فإن حياته تنقسم إلى المرحلة التي كان فيها يتمرن على المسؤولية، وتمتد من يوم مولده إلى وفاة والده المنعم محمد الخامس سنة 1961، والمرحلة التي تحمل فيها عبء الملك، ودامت ثمانيا وثلاثين سنة، فلم يتقدم عليه من حيث طول الملك إلا جده الأكبر المولى إسماعيل.

1) - مرحلة ولاية العهد

تنقسم هذه المرحلة بدورها إلى ثلاث مراحل. مرحلة النشأة الأولى التي تجلى فيها ما جبل عليه من النبوغ. والمرحلة الثانية التي وقف فيها إلى جانب والده مناضلا في معركة الانعتاق من الحجر الاستعماري. والمرحلة الثالثة التي تحمل فيها أعباء ولاية العهد وكان فيها أول مساعد لوالده في ترتيب شؤون المغرب المستقل.

أ - النشأة الأولى وأمارات النبوغ (1929 - 1942)

ولد الحسن الثاني يوم الثلاثاء فاتح صفر 1348 / 9 يوليوز 1929، من والده الملك المقدس محمد الخامس، ومن والدته السيدة عبلة. نشأ نشأة الأمراء العظام المتشبعين بروح المسؤولية والحلم والهمة العالية. وتربى على رموز الملك ومعاني الشرف الذي هو من الإشراف، تحت أنظار والده الذي سهر بكل ما أوتي من حنان وإحساس بروح الأمانة الكبرى على نشأة فلذة كبده وخليفته، حيث توسم



فيه باكرا خير من يتلقى عنه وخير من يرث السر. وقد تجلى في الأمير منذ نعومة أظفاره ما لا يكون إلا في الأفذاذ فإنه كان شعلة من الذكاء، والتيقظ، جبار الذاكرة، بليغا فصيح اللسان، تجتمع فيه محاسن المنطق والبيان. كما أنه جبل على حب الوطن وعلى الغيرة عليه والنفور من كل ما يمس بكرامته. وإن مولده يواكب مولد الحركة الوطنية المغربية التي التحمت صفوفها حول عاهل البلاد وحول الأمير المولى الحسن الذي أطلقت عليه اسم أمير الأطلس سنة 1934، تشوفا لما يعد له من المسؤولية في المستقبل. وقد صار يقف منذ تلك السنوات الأولى من عمره إلى جانب والده في المناسبات الرمزية الكبرى، ويبدو للجمهور،

(*) مكانه بعد الحسن الأول (10 : 3426) لكن استدركناه هنا على أن يرتب أبجديا في طبعة قادمة.

وتنشر الصحافة صوره عبر البلاد كلها، فأحبه المغاربة مثلما كانوا يحبون والده الهمام.

ب - مرحلة النضال من أجل الاستقلال (1942 - 1955)

إن النشأة في أحضان الملك مدرسة في حد ذاتها، لما فيها من الاحتكاك بكبار رجال الدولة من مغاربة وأجانب. لكن التحدي الاستعماري كان يلزم ولي عهد المغرب، بعد تعلم لغة القرآن وحفظ سوره، بتعلم لغتي الدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا. وتجلى نبوغ الأمير في تعلمهما بسهولة في طور الكتاب والتعليم الابتدائي. ويوم جرى تدشين المدرسة المولوية في مطلع عام 1942 التي كان عليه أن يتابع دراسته الثانوية والعليا فيها، هو وباقي الأمراء والأميرات، ألقى خطابين بالعربية والفرنسية بفصاحة انبهر لها الحضور الذي كان يتصدره والده عاهل البلاد والمقيم العام الجنرال نوكيس وكبار رجالات الدولة. وفي هذه المؤسسة تابع دراسته مع بعض أبناء عمومته ونخبة من شباب المغرب من أقرانه، الذين صاروا من أقرب مساعديه فيما بعد، هم والأساتذة الذين تخرج على يدهم مثل محمد الفاسي ومحمد باحنيني والمهدي بن بركة وعبد الهادي بوطالب.

وكانت سنة انتقال الأمير إلى الطور الثاني من التعليم هي أيضا سنة نزول جيوش الحلفاء على شواطئ المغرب في شهر نونبر منها. وقد ترتب على ذلك زعزعة السلطة الاستعمارية في البلاد، بما توالى على فرنسا من الهزائم جراء الحرب والتناحر الحزبي، وبما كان من لقاء محمد الخامس بالرئيس الأمريكي روزفيلت في الدار البيضاء في يناير 1943، واعتراف هذا الرئيس بأن المعركة ضدا على النازية كانت معركة الانعتاق من كل أنواع الغبن والقهر. فتجددت أسباب المطالبة بالاستقلال. ووجد الأمير الناشيء نفسه في الصفوف الأمامية من الكفاح الوطني وهو يدخل طور المراهقة. وأضحى أول مستشار لوالده، يقود إلى جانبه النضال على الجبهتين، جبهة داخلية، وغايتها الأخذ بيد الشعب وإرشاده لنفض غبار الجهل والخمول وإدخال البنين والبنات المدارس بأكثر عدد ممكن، بعد أن تبين من النقد الذاتي أن سبب الاستعمار هو ما كانت عليه الأمة من الغفلة والجهل سنة 1912. أما الجبهة الثانية، فهي جبهة مجادلة الفرنسيين بالحجج الدامغة من أجل جعل حد للحماية. ولكن الاستعمار الفرنسي خرج من الحرب العالمية مصمم العزم على التغطية على اهتزاز أركانه بتشديد القبضة على المغرب. وتوالت معارك الشعب تتناوب مع معارك العرش. وكان ولي العهد يقوم بواجباته أحسن قيام، إما في السير رسولا بين والده وبين قادة الأحزاب الوطنية لدى تحرير وثيقة المطالبة بالاستقلال في يناير 1944، وإما في إلقاء الخطب التوجيهية مثلما فعل أثناء رحلة طنجة (أبريل 1947)، التي ورى بها محمد الخامس عن نفور المغرب من الانخراط في المنظومة الاستعمارية الجديدة المخفية تحت عبارة "الاتحاد الفرنسي"، مذكراً بانتماء المغرب إلى الأمة العربية الإسلامية دون غيرها. وصار الأمير الشاب ممن يحرر المراسلات والتقارير التي أخذ والده يبعث بها للحكومة الفرنسية منذ تعيين الجنرال جوان مقيما عاما، ليثير انتباهها إلى ما أقدم عليه هذا المقيم العام من التجاوز ومن التلاعب بحقوق المغرب، حيث شرع يهدد الملك بعزله عن العرش إن لم يتنصل من الحركة الوطنية. وقد نال ولي العهد نصيبه من غضب السلطات الاستعمارية لما هالها من مكانته في المشورة والقرار، سيما بعد أن اختار دراسة الحقوق في الطور الأخير من التعليم وتخرج في ذلك على عادته في الإدراك والتفوق سنة 1951. وظلت سلطات الحماية ترفض الاعتراف له بولاية العهد بدعوى أن ذلك ليس من عادة الدولة المغربية. ويوم أقدمت على عزل محمد الخامس (غشت 1953)، فإنها نفت ولي العهد معه وكافة أعضاء الأسرة الشريفة. ولكن الشعب رد بانتفاضة عارمة أرغمت الحكومة الفرنسية على إلغاء الحماية وإرجاع الملك إلى وطنه وعرشه بعد سنتين من النفي، وذلك هو ما يعرف في تاريخ المغرب المعاصر بثورة الملك والشعب (نونبر 1955).

ج - ولاية العهد وبداية ممارسة الحكم (1955 - 1961)

كان الأمير الشاب يوم الاستقلال مكتمل التكوين، قادراً علما وعملا على تحمل كل ما يسنده إليه عاهل البلاد من جسيم المسؤولية. وقد تجلى ذلك في تقديمه رسميا لولاية العهد يوم 9 يوليوز 1957، المقترن بعيد ميلاده الثامن والعشرين الذي بات من يومئذ عيد الشباب المغربي. وارتبط بذلك الماضي بالمستقبل والأصالة بالحداثة، إشارة بتحمل ولي العهد لأعباء شباب الوطن في انتظار أن يتحمل الأمانة الكبرى. وكان يقوم بكل ما يقوم به أقرانه من الواجبات الوطنية فنال نصيبه من متاعب بناء طريق الوحدة التي ألغت الحدود بين منطقتي الاحتلال الفرنسي والإسباني، مخترقة أو عابرة سلسلة الريف بين تاونات وكتامة، في صيف تلك السنة. وما أن تم إنشاء القوات الملكية المسلحة في شهر ماي 1956 حتى أسند إليه محمد الخامس رئاسة أركان الحرب فيها تحت قيادته السامية. وسرعان ما تجلت مواهبه القيادية في إرساء السلطان المغربي في مجموع ربوع المملكة، وبخاصة في طرفاية التي كانت من جيوب الاحتلال الإسباني على الساحل الصحراوي واسترجعت في شهر رمضان 1377 / أبريل 1958، وأيضاً في إخماد بعض التصدعات القبلية والحزبية في الأطلس الكبير الشرقي (1957) وفي سلسلة الريف الشرقية (1958). وصار والده يستنيبه على حكم البلاد كلما كان عليه أن يسافر إلى الخارج. وتوج كل ذلك بما أسند إليه من نيابة رئاسة الحكومة يوم اقتضى نظر محمد الخامس تقلد تلك المهام بنفسه (ذي القعدة 1379 / ماي 1960)، بحيث كان ولي العهد في تمام الاستعداد لتحمل أعباء الحكم

عندما توفي والده فجأة في العاشر من رمضان عام 1380 الموافق ليوم 26 فبراير 1961، فانعقدت البيعة العامة لخلفه ووارث سره، يوم 3 مارس، تحت اسم الحسن الثاني، فهو ثاني الحسنين من الدولة العلوية.

الملك الحسن الثاني

لا يتسع المقام للإفاضة في كل ما قام به الحسن الثاني من المنجزات على طول ما كتب له من الملك. ثم إن المؤرخ ما زال قريبا من الأحداث، فلا يملك ذلك الحيز من البعد الزمني الذي تتضح به الرؤية بما ينشر من الوثائق ويتسع من المنظور. لكن الحسن الثاني دخل التاريخ من بابه الكبير. فلا مناص من ذكر شيء من منجزاته ولو في خطوطها العريضة. ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل، مرحلة أولى قلقة مضطربة بسبب المنافسة على الحكم واحتدام إشكالية المحافظة والتغيير، وقد امتدت من 1961 إلى 1975، ومرحلة ثانية تميزت بالتحام الصفوف حول العرش وانتظام قواعد الملكية الدستورية واستكمال وحدة التراب الوطني، وامتدت من 1973 إلى 1989، وكانت المرحلة الثالثة هي السنوات العشر الأخيرة من العهد، وتميزت بتعمق الوعي بخطورة شأن المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وبضرورة إعارة ذلك الأسبقية على تزاحم الأشخاص والأحزاب على السلطة، فعم الاتزان السياسي درءاً لسوء توازن البنيات التحتية.

أ - إرساء هيبة الدولة وإشكالية المحافظة والتغيير (1961 - 1973).

ظل العرش المغربي مسلوب أدوات سلطته مدة أربع وأربعين سنة جراء الحماية الأجنبية. وكان من عواقب ذلك أن التبس على المغاربة من بيده مقاليد الحكم. حتى إذا كان الاستقلال دعا محمد الخامس إلى الجهاد الأكبر الذي هو مجاهدة النفس. وصارت النخبة السياسية المتولدة عن الكفاح الوطني ملزمة بتجديد الصلة بقواعد المسؤولية السياسية أصلا وفرعا. ولما استعجلت المنية محمد الخامس في قلب تلك المعركة، كان على الحسن الثاني أن يقود الصفوف وأن يجدد للدولة هيبتها ويضع للصراعات الحزبية ما يقتضيه العصر من الوسائل والشروط، محتفظاً بما لا مناص من المحافظة عليه من الأصول ومتبنيا كل ما لا بأس به من أدوات التغيير.

وأول ما بادر إليه إثبات أركان الملكية الدستورية من خلال دستور 1962 الذي استفتي فيه الشعب فأجمع عليه مقرا ما تضمنه من إعلان للحريات العامة ومشاركة المواطنين في القرار على كل مستوى بما اعترف لهم به من حق التصويت الشامل السري وحق الصدع بالرأي المخالف وتعدد الأحزاب وفصل السلط ووقوف العرش موقف الحكم الساهر على المقدسات. وانتخب أول برلمان مغربي سنة 1963 وكان في غرفتين. وواكب هذا العمل السياسي داخل البلاد نشاط ديبلوماسي على الصعيدين الأفريقي والعالمي، حيث شاركت القوات الملكية المسلحة في إرجاع السكينة للكونكو - كينشاسة. وكان المغرب من الركائز المؤسسة لمنظمة عدم الانحياز (شتنبر 1961) ومن مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية (1963). وبدا اعتدال الحسن الثاني وحكمة تصرفه في الحرب التي جرت بين المغرب والجزائر حول واحة تيندوف سنة 1963. وكان بوسع المغرب أن ينتصر فيها لولا نزول الحسن الثاني عند ما أقرته منظمة الوحدة الافريقية من عدم المس بالحدود الموروثة عن الاستعمار. وظل يعمل بالتي هي أحسن ليسترجع ما بقي بيد الإسبان من الأقاليم الصحراوية، مثل إفني التي استرجعت سنة 1969، ومثل الساقية الحمراء ووادي الذهب اللذين لم يفتأ المغرب يذكر بحقوقه عليهما في جلسات الأمم المتحدة، بعد أن اعترف بالدولة الموريطانية. واتضح منذ السنوات الأولى من عهده حرصه على السلم والمسالمة، ذلك أنه سعى في فك المشاكل القائمة مع الدولتين الحاميتين السابقين بلطف خال من كل وهن وبحزم مترفع عن كل تعنيف، فتم جلاء جميع القوات العسكرية الأجنبية عن البلاد واسترجعت كل الأراضي التي كانت في قبضة المعمرين الأجانب. كما سعى السعي الحثيث في جمع كلمة المسلمين حيث تأسست برعايته منظمة المؤتمر الإسلامي في الرباط في شتنبر 1969.

وسهر الحسن الثاني في المجال الاقتصادي على أن يسير المغرب على النهج الليبرالي، يوم كان العديد من الدول النامية يرى أن لا مخرج من التخلف إلا باقتفاء خطى المعسكر الاشتراكي. أما هو فكان على بينة من ضعف الرأسمال المغربي ومن الحاجة إلى الاستثمار الأجنبي. فلا يمكن لاقتصاد البلاد أن يتكل على نفسه، سيما وأنه لم يزل مرتبطا باقتصاد فرنسا. على أن حالة التخلف تلزم الدولة بأن لا تترك الحبل على الوارد للمقاولين، فلابد من مراقبتها ولابد من العمل بالمخططات المضبوطة التي توالت إما ثلاثية وإما رباعية وإما خماسية، سعيا في استثمار خيرات البلاد، مثل الفوسفاط لبيعها في الخارج في شكل أسمدة أو مواد كيماوية رفيعة القيمة وليس في شكلها الخام وحسب. وإنه أدرك خطورة شأن الفلاحة في المغرب اقتصاديا واجتماعيا، فاعتنى ببناء السدود التي يسجل التاريخ أنه بني منها في عهده ما لا يقل عن ثمانين سداً، مما يعني بلغة الإحصاء أنه بني منها سدان في كل سنة خلال عهده، ولو لم يكن إلا هذا من مفاخره لكفاه فخراً.

وأما على الصعيد الاجتماعي فإنه كان على بينة من خطورة شأن التعليم. وإنه ظل ملتزما بما وقع عليه الإجماع الوطني غداة الاستقلال من المبادئ الكفيلة بالنهوض به من بين تعميم وتعريب وتوحيد ومغربة. وقد بادر إلى إصدار ظهير بتاريخ 13 نونبر 1963 يقضي بتعميم التعليم على الأطفال البالغين سن التمدرس. وبذلت جهود مماثلة في ميادين الشغل ومراعاة حقوق الطبقة العاملة، وكان من منجزاته الأولى إحداث برنامج الإنعاش الوطني سنة 1961

لتوفير الشغل ومقاومة البطالة وإعداد اليد العاملة للأشغال الوطنية الكبرى. وهو الذي أرسى قواعد الضمان الاجتماعي المغربي وجعله يجاري أرقى ما يوجد منها في الدول المتقدمة.

إلا أن الحاجيات في هذا المضمار كانت تفوق الممكنات بكثير. وترتب على ذلك ما ترتب من الجدل والصراع بين الأحزاب، واختلفت الآراء في مفهوم "ثورة الملك والشعب". فالملك كان يرى أن حتمية التغيير تلزم بمزيد من الاحتياط حفاظا على الثوابت. وكانت الأحزاب الوطنية ترى أن التغيير إما أن يكون حينئذ شاملاً وإلا فلا تغيير. وسرعان ما تحول الجدل إلى محاكمات لبعض قادة تلك الأحزاب الذين سجن منهم من سجن واضطر آخرون إلى الهجرة. وإلى مواجهات في الشارع مثلما جرى في الدار البيضاء، في شهر مارس 1965، وكان لابد من استعمال وسائل القمع القصوى للتمكن منها. وأمر الحسن الثاني بحل البرلمان في شهر يونيو من نفس السنة. ثم في شهر أكتوبر منها، اختطفت الشرطة الفرنسية أحد زعماء الحركة التقدمية الاشتراكية المغربية المهدي ابن بركة في باريس، ثم اغتيل في ظروف لم تقل العدالة بعد قولتها النهائية فيها. ولكن وزير الداخلية المغربي الجنرال محمد أوفقير كان له ضلع في الجريمة. ودليل ذلك أنه رام انتهاز الفرصة لتعميق الهوة بين الملك وبين الحركة الوطنية. ونظر هو بدوره إلى مفهوم الثورة على أنه انقلاب عسكري تقتضي به بعض الأغراض الآنية. فامتدت الأيدي الأثمة مرتين إلى الحسن الثاني، في شهر يوليوز 1971 في قصر الصخيرات، وفي شهر غشت 1972 وهو على متن الطائرة العائدة به من فرنسا. وكانت نجاته من المؤامرتين معجزة جاءت دليلاً على صدق طويته الوطنية، فضلاً عما أتاحت من فرصة التخلص من بطانة السوء التي كانت تود لو انقطع ما بين الملك وبين أنصار العرش الطبيعيين المنضوين في الأحزاب الوطنية. وبالرغم من تحرك بعض العناصر المتياسرة المتطرفة سنة 1973، في البادية في منطقة الهضبة الوسطى، وفي المدن بين صفوف الطلاب، فإن الرأي العام المغربي لمس عن كثب ما في بعثرة الصفوف وإضاعة الجهد في الصراعات السياسية من المخاطر على بلد يعاني من الفقر والأمية وضعف الطاقة الإنتاجية.

ب - الإجماع على الملكية الدستورية

ترتب على الهزات الآنفة الذكر وعي بما أشرفت عليه البلاد من المزالق. وكان من طلائع ذلك تصحيح المسار في الحركة التقدمية بانتظام صفوف الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وانعقاد الكتلة الوطنية بين هذا الحزب وحزب الاستقلال، على أساس دعم النظام الملكي الدستوري وإرساء أساليب الديموقراطية في البلاد ومتابعة النضال من أجل استكمال الوحدة الترابية. وبناء عليه استفتى الحسن الثاني المغاربة بشأن تعديل الدستور فأجمعوا على دستور 1972 الذي جعل الغرفتين غرفة واحدة، ثلثاها منتخبان بالاقتراع السري العام والثلث الأخير منتخب من لدن الجماعات المحلية والهيئات المهنية والنقابية. وبعد محاولة فاشلة أولى لاستئناف العمل النيابي سنة 1971، فإن الحياة النيابية انتظمت بصفة ثابتة منذ سنة 1977 فاكتملت جميع حيثيات النظام الملكي الدستوري على المستويين المركزي والجهوي.

لكن أسمى ما أنجز في هذه المرحلة من عهد الحسن الثاني هي المسيرة الخضراء يوم 6 نونبر 1975 التي مكنت من استرجاع الصحراء المغربية من قبضة الأسبان، بتعبئة الجماهير المغربية فريدة في نوعها، إذ زحف ما لا يقل عن 350.000 مغربي ومغربية على الحدود الاستعمارية، مسلحين بالقرآن وبالراية الوطنية، وداسوا الحدود دوسا وأجبروا المعمر الإسباني على الانسحاب. وكان ذلك نصرا للحق وبرهانا على عبقرية العاهل المبنية على الحلم والتبصر والعمل في السياسة بعمل الفلاح، كما كان يقول. فالفلاح ملزم بقلب التربة وتنقيتها وإعدادها للبذرة. ثم إنه بعد كل ذلك ملزم بالتمسك بالصبر والاتكال على الله لبلوغ المرام. وكثيراً ما كان أيضاً يذكر بأن السياسة فن الممكن من المستحيل أو فن إتيان الحلول الوسطى من كل المعضلات. وهذه الحكمة هي التي جعلته يربط الاتصال بقادة إسرائيل في الوقت الذي بعث بجنود مغربية ليقفوا إلى جانب إخوانهم العرب في ميادين منازلة الصهاينة، مثلما وقع سنة 1967 في الجولان وسنة 1973 على قناة السويس. وأضحى الحسن الثاني منذ تلك السنوات قطبا لا يستغنى عنه في معالجة النزاع العربي الإسرائيلي. مما حمل قادة الدول الإسلامية على انتخابه رئيساً للجنة الدفاع عن عروبة مدينة القدس منذ شهر ماي من سنة 1979، التي أنشئت للتصدي لنية الصهيونية في جعلها عاصمة إسرائيل.

وكانت سنة 1973 هي سنة ارتجاج الأسواق العالمية جراء ارتفاع أسعار النفط، فارتفعت معها أسعار باقي المواد الأولية. ومن جملتها الفوسفاط الذي يحتلّ المغرب رتبة الصدارة في تسويقه في العالم. وكان ذلك مناسبة لطفرة جديدة من الاستثمار المغربي رسم الحسن الثاني خطوطه العريضة وأثبت بعض نتائجه المرقومة في كتابه التحدي الصادر في مطلع الثمانينات.

بيد أن التسابق بين حاجيات الجماهير المغربية، التي تضاعفت أعدادها ثلاث مرات في عهده، حيث انتقلت من عشرة ملايين نسمة سنة 1956 إلى ثلاثين مليون سنة 1999، وبين القدرة الإنتاجية للبلاد، ظل يعاني من سوء التوازن الصارخ. وتجلى هذا التناقض في غضب الشارع في كبريات المدن مثل الدار البيضاء في يونيو 1981 وفاس ومراكش وتطوان في يناير 1984. وكان ذلك نتيجة سنوات متتالية من الجفاف ونتيجة التغيّر الاجتماعي الذي جعل

المدن وما فيها من صناعات عصرية تتضخم على حساب البوادي التي قل وزنها في الدخل الوطني الخام دون أن يقل عدد سكانها. ولكن الدولة باتت راسخة الأركان قادرة على تحمل أعتى العواصف. ولا أدل على ذلك من شروع الحسن الثاني ابتداءً من سنة 1982 في تشييد المسجد الفخم البهيج الذي يحمل اسمه في الدار البيضاء، والذي يعد مفخرة من مفاخره إلى جانب المفاخر الهندسية الأخرى التي سهر على إقامتها، مثل ضريح محمد الخامس في الرباط والعديد من المباني الملوكية والإدارية والصناعية. فإنه كان مولعاً بالبناء والتشييد شأن عظماء الملوك في كل زمان ومكان. ومن أبرز ما سعى فيه في هذه المرحلة من عهده بناء وحدة إفريقيا الشمالية، وقد تأسس اتحاد المغرب العربي برعايته في مدينة مراكش (فبراير 1989).

ج. الاتزان رغم انعدام التوازن

كانت السنوات العشر الأخيرة من عهد الحسن الثاني كلها برهانا على دهائه وبعد نظره وغيرته على كرامة الوطن، بالرغم من تفاقم التناقضات الاقتصادية والاجتماعية ووجوب التصدي للحرب المفروضة على البلاد من قبل أعداء وحدتها الترابية منذ استرجاع الصحراء سنة 1975. ذلك أن انهيار المعسكر الاشتراكي سنة 1989 أثبت حصافة رأيه وعمق تبصره بما كان من اختياره للنهج الليبرالي قبل أن تنادي به السيدة ماركريت تاتشر في إنجلترا أو الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريكان. وقد اعترف المجتمع الدولي بذلك يوم قبل أن ينعقد المؤتمر التأسيسي للمنظمة العالمية للتجارة بمدينة مراكش (أكتوبر 1994). كما انعقدت برئاسة الحسن الثاني بالدار البيضاء (أكتوبر 1995) القمة الاقتصادية الأولى للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وذلك أول ملتقى عربي إسرائيلي لوضع أسس التعايش بين الجانبين، جاء على إثر اتفاقية أوسلو بين الفلسطينيين وإسرائيل سنة 1993 التي أقر الجميع بما كان للحسن الثاني من الأيادي البيضاء في التمهيد لها. ولكن ما أن تغيرت الأغلبية الحاكمة في إسرائيل لصالح اليمين الصهيوني المتطرف حتى قطعت كل الصلات من جديد.

أما على الصعيد الداخلي فمن آخر منجزاته الكبرى حرصه على تعديل الدستور عبر استفتاء شتنبر 1996، إذ انقسمت الغرفة الواحدة إلى غرفتين، ومنح الوزير الأول مزيداً من الصلاحيات لتشكيل الحكومة وتسييرها. وأبى الحسن الثاني إلا أن تتبوأ الأحزاب الوطنية مقاعدها من مسؤولية الحكم على أساس التناوب بالتراضي. وتم ذلك بعد سنوات من المخاض في شهر مارس 1998، فتشكلت حكومة برئاسة السيد عبد الرحمان اليوسفي، الكاتب العام للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ومشاركة حزب الاستقلال وحزب التقدم والاشتراكية وحزب التجمع الوطني للأحرار وحزب الحركة الشعبية ومعظم الأحزاب التقدمية. وكان ذلك مسك الختام من منجزات الحسن الثاني المرموقة.

وتعويضا عما حصل من سوء التفاهم بينه وبين الحركة الوطنية في مطلع عهده. وتوفي رحمه الله من المرض الذي ألم به منذ أواخر 1995. فتجلد له وصبر وظل يزاول واجبات الإمامة والقيادية خدمة لشعبه وإعزازاً لصيته إلى أن توفي وفاة المجاهدين وسط الميدان، عصر يوم الجمعة تاسع ربيع الثاني عام 1420 الموافق ليوم 23 يوليوز 1999، بضعة أيام فقط بعد الاحتفاء بعيد ميلاده السبعين. فبكاه شعبه وخرج يشيعه عن بكرة أبيه في مشهد رهيب، بثت صوره في العالم أجمع وحضره كبارالملوك والرؤساء. وكان عزاء المغاربة فيه تلك المواساة المعتبرة التي جعلت جنازته مأتما ومفخرة في آن واحد، امتزجت لديهم فيها لوعة الفراق بمشاعر الاعتزاز والشموخ. كما أنهم ساروا وراء نعشه مستبشرين مبتهجين بطلعة ولي عهده وخليفته على العرش صاحب الجلالة الملك محمد السادس الذي بيّنت السنة الأولى من عهده أنه خير لخير سلف، دام له النصر والتمكين.

الحسن الثاني، التحدي، الرباط، المطبعة الملكية، 1983 ؛ الحسن الثاني، ذاكرة ملك، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، 1993 ؛ عبد الوهاب بن منصور، الحسن الثاني، حياته وجهاده ومنجزاته، الرباط، المطبعة الملكية، 1999 ؛ عبد الوهاب بن منصور، سلسلة انبعاث أمة، وتضم خطب الحسن الثاني وتصريحاته العلنية في ستة وثلاثين مجلدا، (من العدد 6 إلى العدد 42).

إبراهيم بوطالب

الحكيم، أسرة أسفية عريقة أنجبت فقهاء وعلماء وتجاراً كباراً. قيل إن أصلها من عبدة وقيل من تطوان، نظراً لما لبعض أفرادها من صلات مع عائلات تطوانية وليس لها أي فرع بعبدة. وكلهم ينتمون إلى جدّ مشترك اسمه عبد المالك الحكيم. ويشكلون ثلاثة فروع : أولها منحدر عن أحمد بن الطيب بن عبد الملك، والثاني عن الطاهر بن الطيب بن عبد المالك والثالث عن عبد الواحد بن الطيب بن عبد المالك.

وسندرج فيما يلي أبرز أفراد هذه الأسرة :

الحكيم، أحمد بن الطاهر بن الطيب بن عبد المالك، وُلد بأسفي عام 1263 / 1846، وبها تلقى تكوينه الأساسي المناسب لوقته، على يد فقهاء بلده، مثل الشيخ بوزيد الطاهري والشيخ محمد بن إدريس، ثم رحل إلى فاس عام 1291 / 1874 حيث أخذ عن الشيخ محمد بن عبد السلام كنون والشيخ المهدي الوزاني والشيخ محمد بن قاسم القادري، ولما عاد إلى أسفي انضم إلى هيئة التدريس بمدرسة أسفي. وكان الطلاب يواظبون ويهتمون بحلقاته الدراسية. وبقي على هذه الحال إلى أن صار مفتي البلد، واشتهر بتواضعه وبأخلاقه الحسنة وسعة معرفته.

توفي بأسفي عام 1329 / 1911.

الحكيم، البشير بن **الطاهر** بن الطيب بن عبد المالك، شقيق الأول، وُلد عام 1251 / 1835 وتلقى العلم بأسفي أولاً ثم ذهب إلى فاس لمتابعة تكوينه ولم يرجع إلى مسقط رأسه إلا بعد عشرة أعوام. فكان ينطوع لإلقاء الدروس، وولي قضاء مدينة أسفي مدة.

انتهج البشير طريقة النساك في الحياة إلى أن توفي بمسقط رأسه وهو أعزب عام 1296 / 1878.

الحكيم، الطيب بن **عبد القادر** بن الطاهر بن الطيب، وُلد بأسفي عام 1322 / 1904 وحفظ القرآن وتلقى دروسا في العربية والفقه على شيوخ المدينة مثل عبد الله بن محمد بنهيمة وإدريس بن محمد بن هيمة. واشتغل بالتجارة فكان من كبار التجار والملاكين، ومن أعيان المدينة ووجهائها.

توفي بأسفي عام 1392 / 1972.

الحكيم، عبد القادر بن **الطاهر** بن الطيب وُلد بأسفي عام 1284 / 1867 وكان له إلمام بالثقافة العربية، وهو أحد كبار تجار المدينة وفلاحيها. ذو أخلاق كريمة وغيرة وطنية، الأمر الذي جعله يحظى بتقدير أهالي أسفي واحترام السلطات.

توفي عام 1345 / 1926.

الحكيم، عبد القادر بن **الطيب** بن أحمد بن الطيب، وُلد بأسفي عام 1325 / 1907 وتلقى تكوينه الأساسي في المدرسة الابتدائية الفرنسية واستكمله بتكوين عربي شمل القرآن والنحو والفقه على يد الفقيه المعطي العبدي. ثم كان من الرعيل الأول المزدوجي اللغة، مما أهله لشغل منصب بمصلحة تابعة لمديرية الفلاحة، وتم إلحاقه بمطاحن أسفي، ثم تاجراً في الحبوب. كان من وجهاء المدينة وأعيانها، اتصف بحسن الأخلاق والكرم وتواضعه مع الناس.

توفي بمسقط رأسه عام 1399 / 1978.

الحكيم، محمد بن **الطاهر** بن الطيب. وُلد بأسفي عام 1289 / 1864 الفقيه التاجر الملاك السخي، كان ينفق على عدد من الأسر الفقيرة، ويرابط أياما معدودة في كل شهر للعبادة برباط المدينة.

توفي عام 1350 / 1930.

م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 - 2665 ؛ أحمد بنجلون، عائلات أسفي، مخطوط ؛ *تاريخ أسفي*، مخطوط.

أحمد بنجلون

الحلاليف، قبيلة تنتمي إلى اتحادية زعير وتُكوِّن مع الرواشد والغوالم والنفامشة وأولاد دحّو وأولاد زيد والسلامنة وبني عبيد قسمَ "الكُفْيَان" الذي يمثل نصف زعير مقابل النصف الثاني الذي يطلق عليه "المزَارْعَة".

تقع أراضي الحلاليف في المنطقة الغابوية المجاورة للشاوية، يشتركون مع قبائل المذاكرة في حدود وادي الدالية وگلتة الذيب. كما يجاورون قبائل الزيايدة والأعشاش من الشاوية. أما جيرانُهم من إخوانهم الزعريين فهم : السلامنة والرواشد والغوالم.

ينقسم الحلاليف إلى مجموعتين : الحلاليف العليا (الحلاليف الفوقانيين)، وهذه المجموعة تتكون من الأفخاذ الآتية :

أولاد سعود والعطاطرة وأولاد عْميرة ؛ والحلاليف السفلى (الحلاليف التحتانيين) وتشمل الأفخاذ الآتية : السعيدية وأولاد أحمد وأولاد شميشة والسدراتة.

ساهمت قبيلة الحلاليف ومجموعات أخرى من مجاهدي زعير في مقاومة الاحتلال الفرنسي للشاوية، وكانت أرضها ملجأ يتحصن به المجاهدون المنسحبون من المناطق المحتلة بالشاوية. وبعد إتمام احتلال منطقة الشاوية كلها انتشر النفوذ الفرنسي في قبيلة الحلاليف ابتداء من سنة 1908، انطلاقاً من مركز بوشرون (الكارة) بالمذاكرة. وفي سنة 1910، قدرت الاستخبارات الفرنسية عدد خيام الحلاليف بحوالي 400 خيمة، وعلى ذلك فسكان القبيلة كانوا يتراوحون بين 2000 و2400 نسمة في بداية القرن العشرين.

أهم نشاط اقتصادي يعتمد عليه سكان الحلاليف هو تربية الماشية واستغلال أشجار الغابة زيادة على الزراعة. وللحلاليف علاقات واسعة مع أسواق الشاوية، خاصة أسواق قبيلة المذاكرة.

ع. ابن سودة، *زعير قديماً وحديثاً*، الجزء الأول.

Sicard, *L'organisation des Zaërs*. *R.M.M.*, 1910 ; *Villes et tribus du Maroc, Rabat et sa région.*

علال الخديمي

الحَلْبة، بالعربية، و"تيفيذاس" بالأمازيغية، تطلق على نوع نباتي أو على بذوره، اسمه العلمي تريگونيلا فينوم گريكوم Trigonella foenum-graecum. أما الفصيلة التي تنتمي لها الحلبة فهي الفراشيات Papillonaceae. وهي نبات بقلي حولي، ذو أزهار بيضاء، وقرون طويلة رفيعة، ولها منقار واضح، وتحتوي على بذور صغيرة ذات لون أصفر. والموطن الأصلي للحلبة هو حوض البحر المتوسط وآسيا. وقد زرعت منذ زمن قديم وذلك لعدة أغراض.

أما في المغرب فإنها تزرع في بعض السهول لإنتاج البذور المستعملة في تغذية الماشية أو للاستهلاك الآدمي. فبالرغم من مرارتها تتناول بذور الحلبة خاصة من طرف النساء، ليزددن سمنة وجمالا أو ليكثر حليب الرضاعة

عندهن. وتُعطى للأطفال النحيلي الجسم أو للمرضى الذين هم في طور النقاهة.



ومن مساوئها بعد تناولها التسبب في إفراز عرق أصفر ورائحة كريهة للجسد.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

الحَلَبي، أحمد بن عبد الحي الفاسي قال المترجم له في آخر كتابه *الدر النفيس* : "خُلقت ونشأت أنا وآبائي وأجدادي في مدينة حلب من أرض الشام ... وكان أصل أجدادي قبل ذلك من مدينة تدمر ... وقد سمعت أن نسبنا ينتهي إلى سيدنا ومولانا عبد الرحمان بن عوف الزهري".

عالم أديب فقيه صوفي ناظم ناثر. له ولوع بالأمداح النبوية والأشواق المصطفوية وله قصائد وأزجال في المديح النبوي كثيرة جداً.

ورد على مدينة فاس من البلاد المشرقية بعد أن زار مصر وتونس. وكان شافعي المذهب لم يتحول قط إلى المالكية رغم إقامته الطويلة بالمغرب.

ومن أشياخه محمد الرفاعي الحسيني شيخ مشايخ البصرة في وقته، أخذ عنه صاحب الترجمة وانتفع به ولازم القراءة بمدينة فاس بعد وروده عليها على الشيخ عبد القادر الفاسي وطبقته.

ذكر القادري في *النشر* أن المترجم له كان يسير عند السلطان مولاي إسماعيل لمكناسة في موسم ربيع الأول : ويقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده وموالي الدار والأتباع يعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص.

وكان اليوسي من المعجبين بشعر الحلبي حتى نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق فنقم عليه الشيخ اليوسي ذلك ونهاه سداً للذريعة فلم يقبل، وأدى ذلك إلى نزول قيمته عند الناس بعد أن كان مكرما عند السلطان فمن دونه وضاقت عليه معيشته.

للحلبي مؤلفات كثيرة في أغراض مختلفة. منها *ديوان* في الأمداح النبوية ؛ ومقامات عارض بها *المقامات الحريرية* سماها : *الحلل السندسية في مدح الشمائل المحمدية* ؛ *وكشف اللثام عن عرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه السلام* ؛ *والدر النفيس في مناقب مولانا إدريس* و*السيف الصقيل في الانتصار لمدح الرب الجليل*، ألّف هذا الكتاب إثر المقاطعة التي وقعت بينه وبين الحسن اليوسي ؛ *ومعراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول* ؛ *ومناهل الصفا* في جمال ذات المصطفى ؛ *ومناهل الشفا في رؤية المصطفى* ؛ *والروض البسام في رؤية غيره عليه السلام* ؛ *والكنوز المخترمة في السماحة المقسومة لهذه الأمة المرحومة* في أربعة أسفار ؛ *وفتح الفتاح على مراتع الأرواح* وهو شرح لقصيدة له طويلة سماها *مراتع الارواح في كمالات الفتاح* ؛ *والسيف المسلول في قطع أوداج الفلوس المخذول* (وهو رجل أنكر عليه نداء النبي صلعم مجرداً عن السيادة في قصيدة له) ؛ وريحان *القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب* في مجلد، وله قصائد رفيعة في الأمداح النبوية، وأزجال شهيرة.

وقد أثنى عليه أهل عصره فيما كتبوه بخطوطهم على تآليفه، ومنهم الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي وأخوه عبد الرحمان، والقاضي العميري وأبو عبد الله القسنطيني، والقاضي أبو عبد الله المجاصي، والقاضي أبو مدين السوسي وغيرهم...

وقد أشار إليه الشيخ المدرع في منظومته فقال :

ومنهم الإمام مداح النبي — الشيخ أحمد الأديب الحلبي

وفي الأسرة الكتانية بالمغرب فرع يعرف بفرع الحلبية، نسبة إلى ابنة لصاحب الترجمة اسمها فاطمة، تزوجها أحد الكتانيين فنسبوا إليها.

توفي أحمد الحلبي بفاس في جمادى الثانية عام عشرين ومائة وألف / غشت - شتنبر 1708 ودفن بطرح الجنة خارج باب فتوح على مقربة من ضريح دراس بن إسماعيل، وقبره معروف مقصود للزيارة.

م. العلمي، *الأنيس*، 6، 19 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 215 ؛ م. القادري، *نشر*، 3 : 197، 201 ؛ *الإكليل والتاج*، د. د ع مرقون، ص. 183 ؛ *التقاط*، ص. 302 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 1 : 265 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 84 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 164 ؛ م. داوود، *تاريخ تطوان*، 3 : 118 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 332-352 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 144 ط 4، سركيس، *معجم*، 373.
Levi-Provençal, *Les historiens des chorfa*, p. 286, Brockelmann (*G.A.L.*), S. 2, p. 683.

مارية دادي

الحَلَبِيَّة، سارة بنت أحمد بن عثمان بن الصلاح الفاسية. عالمة أديبة، وصالحة صوفية. وصفها معاصر لها أندلسي في كتابه *أنس العاشق* بقوله : "من المتظرفات من أهل زماننا هذا ممن فاقت نساء عصرها، أديبة شاعرة، وطبيبة ماهرة، تتصرف بيدها في جميع الصناعات فتجيد في ذلك، وتكتب الخط المستحسن، وتحلّ الذهب بصناعة

رائقة فتكتب، وكان لها إقدام في الكلام، ووفادات على الملوك والأشراف".

وفدت في طريقها إلى المغرب على المستنصر الحفصي بتونس وأنشدت بين يديه قصيدة بائية في مدحه وأقامت عنده حولاً، ثم دخلت الأندلس ولقيت ملكها محمد بن محمد بن نصر ابن الأحمر وأنشدته قصيدة دالية طويلة في مدحه كذلك. وراسلت شعراء الأندلس وكتابها وناظرتهم، ثم وفدت على فاس واتصلت بملكها المريني يعقوب بن عبد الحق فأكرمها وخلع عليها وأجرى لها راتباً دائماً فعاشت في المغرب أرغد عيش.

لقيها بفاس الفقيه عبد الله بن علي ابن سلمون (ت. 741) فأجازته وألبسته خرقة التصوف وأنشدته قصيدة رائية أجابت بها الرحالة محمد ابن رشيد السبتي مطلعها :

وافى قريضٌ منكمُ قد شــــدا ليعض أوصافكم ذاكـــرا
أطلع من أنفاسه أنجـــــــا ومن شذاه نفساً عاطـــرا

قال ابن القاضي في *الجذوة* (332) : قدمت (سارة الحلبية) على سبتة في آخر المائة السابعة فمدحت رؤساءها بني العزفي العلماء، وأختهم العالمة صفية بنت محمد العزفي، وخاطبت كتاب سبتة وشعراءها كمالك بن المرحل وإبراهيم التلمساني وابن البواب وأحمد الرنداحي. وشعرها في غاية الرقة والرشاقة مع متانة أسلوب وسلامة لغة، ونثرها بليغ كشعرها، مما ما أجابت به مالك بن المرحل :

"وصلتني أبيات سيدنا أبقى الله مطلع سعادته، ومجمع سيادته، ومنبع كل حسن وزيادته، فكانت ألذ من الأمن عند الخائف، والانقياد من الخل المخالف، فنشقت مسكها المختوم، وحليت بصري وبصيرتي من درها المنظوم ووشيها المرقوم، فرأيت من السحر، ما طوّق النحر، ومن البيان، ما أخرس اللسان، ومن بديع المعاني، ما ألكن ابن هاني، وأبكم الكناني..." وقد أتى في *الجذوة* بنماذج رائقة من شعرها ونثرها. توفيت بفاس الجديد في حدود عام 700 / 1300.

مؤلف أندلسي، *أنس العاشق ورياض المحب الوامق*، مخطوط بنقل ح. حسني عبد الوهاب : أ. ابن القاضي، جذوة، 2، 332 و522-529 ؛ ح. حسني عبد الوهاب، *شهيرات النساء التونسيات*، تونس، 1353، ص 74-77 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3، 69 ؛ ع. رضى كحالة، *أعلام النساء*، ط 2، 1958، 2، 136-137 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، 59.

محمد حجي

الحلحال، أو "خزامى" و"كُحَيلة" بالعربية و"أمزير" بالأمازيغية، ألفاظ تطلق على عشرة أنواع نباتية من جنس لا فاندولا Lavandula وفصيلة الشفويات Lamiaceae. وهي أنواع معمرة شجيرية يختلف ارتفاعها حسب الأنواع. أصغرها يتجاوز ثلاثين أو خمسين سنتمترا. أكبرها يبلغ أو يتعدى المتر والنصف. أوراقها بسيطة بالنسبة لنوعين، ومقسمة بالنسبة للأنواع الأخرى. لها رائحة عطرة. أزهارها مجتمعة على شكل سنبلة تختلف كثافتها حسب الأنواع.



حلحال الجبل

يعيش بعض هذه الأنواع في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة، والبعض الآخر بقطن المناطق الصحراوية أو الجافة. أما من حيث التربة فإن جل هذه الأنواع لا تبالي بالنوعية الصخرية ما عدا نوعين اثنين لا يتحملان الأراضي الكلسية. وتستعمل أنواع الحلحال في التطبيب التقليدي، ويستخرج منها عطر. كما تستعمل مع الشاي.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الحلزون، والواحدة حلزونة، جنس من الرخويات منه أنواع تؤكل. والحلزون عند عامة المغاربة يدعى "غُلالة" وببوش، وعند عامة أهل الشام ومصر سلنطع وزلنطح. والحلزون من شعبة الرخويات Mollusca ومن طائفة معديات الأرجل أو بطنيات القدم Gasteropoda وهو أجناس وأنواع عديدة منها ما يعيش في البحار والبحيرات الساحلية ومنها ما يعيش في المياه العذبة ومنها البرية. كلها حيوانات زاحفة تسير ببطء، شديد على الأرض بعضلتها الشبيهة باللسان وتعرف بالقدم. تغطي جسمه صدفة كلسية أحادية الصمام ولولبية يفرز موادها بنفسه ويتخذها هيكلا ومسكنا له. تتخذ الصدفة أحجاما وأشكالاً مختلفة باختلاف المياه العذبة بينما يتعدى طولها عشرين سنتمترا عند البوقسان البحري. تحمل القدم في طيها المعدة مما أدى إلى تسمية هذه الطائفة ببطني القدم أو معديات الأرجل.

تلتوي أحشاء الحلزون في قوقعته أو صدفته وينطوي بعضها على بعض وتلتف بأكملها حول القدم مما يترتب عنه انتقال الفلاصم والفتحة الشرجية إلى الجزء الأمامي بجانب الفم.

تتميز هذه الحيوانات بتجويفة تنفسية تقوم مقام الرئتين تنتهي بثقب تنفسي. تتكون الأعضاء البطنية من طوق مريئي وغدد لعابية معوي وجيب معري وشرج وقلب وكليتين وأعضاء تناسلية. تظهر الرأس على مقدمة القدم وبها زوجان من قرون الاستشعار.

أثناء التنقلات، يفرز الحلزون في سيره لعابا لزجا

ولامعا يلبث على الأرض وذلك لتسهيل الزحف ووضع حد للاحتكاك بالتربة. تتميز الحلزونات بحمل الأعضاء التناسلية الذكرية والأنثوية من طرف فرد واحد ويتم التناسل بالتقاء فردين. يوضع البيض عادة داخل حفرة ويردم بالتراب. وبعد التفقيس، تظهر الصغار على وجه الأرض وكثيرا ما تلتجئ إلى المناطق الرطبة وتختفي بين الأعشاب وتحت الصخور.

تتكون طائفة معديات الأرجل البرية في المغرب من 17 فصيلة ومن 73 جنساً ومن ما يزيد عن 600 نوع. يستهلك الإنسان من بينها حوالي 24 نوعا. نذكر منها حلزونات الكرم Helix ahmarina, Helix aspera, Helix atlantica, Helix brocha, Archelix steppica, Archelix surrodonta, Albea marocana.

كل أنواع الحلزون عاشبة مما يجعلها تخلف أضرارا بالنباتات المزروعة وكثيراً ما يستعمل في شأنها عدة مبيدات بداخل البيوت الزراعية المغطاة للقضاء عليها.

تألف الحلزونات المناطق الرطبة الغنية بالأعشاب وأعداؤها كثيرون منها الزواحف وبعض أنواع الطيور.

الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

M. Ramdani, M. Dakki, M. Kharbous et M. Elagbani. *Les Gastéropodes dulcicoles du Maroc. Inventaire commenté. Bull. Inst. Sci.*, Rabat, n° 11, 1987; P. Pallary, *Classification générique des mollusques terrestres et d'eau douce de la berbérie. J. Conchyl.* n° 83, 1939.

محمد خربوعة ومحمد رمضاني

الحلفاء، تُعرف باسمها العلمي سْتِيبَا تِيناسِيسِيمَا Stipa tenacissima، وهي أحد الأنواع النباتية العديدة من جنس Stipa وفصيلة النجيليات Gramineae أو Poaceae التي تشمل الشعير والقمح والأرز والذرة. وهي نبات بري يلعب دوراً هاماً في الميادين الاجتماعية والاقتصادية، وذلك بفضل المساحات الشاسعة التي يغطيها بشمال افريقيا.

الحلفاء نبات عشبي من فصائل ذوات الفلقة الواحدة عديم الأغصان. له أوراق عديدة خيطية مستطيلة وضيقة ذات وجهين لكنه في أغلب الأحيان تلتف حولها مغطية بذلك الوجه العلوي تفاديا للنتح. تكون قواعد الأوراق على شكل غمد يحيط بالساق الذي يحمل الأزهار. تكون الأزهار صغيرة ومختزلة مجتمعة على شكل عُنقود أو عُثكول كثيف يوجد في أعلى الساق الذي يمكن أن يبلغ المتر والنصف أو المترين من الارتفاع.

تنتشر الحلفاء بواسطة الريزومات التي تعطي باقات يمكنها أن تتوسع مع مرور الزمن. كما يمكنها أن تنتشر بواسطة البذور. وتصادف في البيومناخات الجافة وشبه الجافة من الطوابق النباتية المتوسطية الدافئة والمتوسطية واستثنائيا تحت المتوسطية أي ما بين سطح البحر و2000 م تقريبا. هذا التوزيع البيوجغرافي لا يخرج عن النطاق المتوسطي، في اتجاه الجنوب من شمال افريقيا. عندما تختفي تشكيلات الحلفاء، نكون قد مررنا من النطاق المتوسطي إلى النطاق الصحراوي.



أما من حيث التربة فإن الحلفاء تعيش على الأراضي المحصبة وحسنة الصرف بالنسبة للمياه بخلاف الشيح الذي يفضل في نفس البيومناخات التربة الغنية بالعناصر الدقيقة من الطمي والطيف.

تغطي الحلفاء بالمغرب مساحات شاسعة تقدر بـ2.200.000 هكتار معظمها يوجد في المناطق الشرقية منتشرة ما بين تازا والناظور وفيگيگ والرشيدية بالإضافة إلى مناطق أخرى من الوجه الجنوبي للأطلس المتوسط والأطلس الكبير حتى الهضاب الغربية لإداوتنانْ شمال أگادير.

أما من ناحية إنتاجها السنوي من الأوراق فإنه قد يصل إلى القنطار الواحد في الهكتار في المحطات الفقيرة، وإلى خمسة عشر قنطاراً في الهكتار في الأماكن الخصبة. وبخصوص كمية الحلفاء الممكن استغلالها سنويا فإنها قد تناهز ثمانين ألف طن. من الممكن استعمال هذه الكمية كمورد طبيعي لعدة أغراض، كصنع الألواح، أو عجين الورق (في بلدان أخرى مثل الجزائر وتونس) أو الحبال إلخ ... كما تعتبر الحلفاء أيضاً مصدراً للطاقة لسكان المناطق التي توجد بها، حيث تستعمل للتدفئة والطبخ ولصناعة أشياء عديدة مثل القفف والخيام والحصر.

تلعب الحلفاء دوراً اجتماعياً واقتصادياً هاماً جداً نظراً لاستعمالها في شتى الميادين وخاصة في الرعي. وفي هذا المجال تعتبر تشكيلات الحلفاء المصدر الرعوي الوحيد في المناطق المذكورة أعلاه والتي توجد بها أكبر أعداد من قطعان الأغنام. تغطي تشكيلات الحلفاء على مدار السنة من 70 إلى 80 في المائة من الحجم الإجمالي لمتطلبات تغذية المواشي بهذه المناطق. للحلفاء قيمة علفية تقدر بـ 0.25 إلى 0.35 وحدة علفية في كل كلغ يابس من الأوراق.

أبحاث شخصية.

Administration des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1983, *Etude de l'aménagement des nappes alfatieres*, Rabat, 1983.

محمد همشي

** **الحلفاء**، في المنطقة الشمالية الشرقية وشرق الريف. هذه أهم مناطقها في المغرب. تمتد من ضواحي وجدة إلى مشارف فكيگ، وتحتل مساحات واسعة في أراضي گزناية والمطالسة وغمارة، حيث يستعملها السكان لفتل الحبال وضفر أغطية الرؤوس وصناعة القفف. وكان المطالسة يصنعون منها زيادة على ما ذكر شباكاً للنقل وأكياساً للحمل على الدواب. وقد أشار الحسن الوزان إلى أن سكان هذه المنطقة كانوا "يمشون حفاة ... وإذا أراد أحدهم أن يتجول فتل لنفسه نعلا من أسل (حلفاء). لكنه قبل أن يُتم فتل الزوج الثاني يكون الزوج الأول قد بلي" (*وصف إفريقيا*، 1 : 259).

ويذكر بعض الرحالة الأجانب أن الحلفاء كانت توجد أيضاً بضواحي مدينة سلا إلى جوار الأسل (السمار)، وفي أطراف سوس وضواحي مراكش وبعض جبال الحوز. وكانت الحلفاء في هذه المناطق تتخذ مادة أولية لإنتاج الحبال والحصر والأكياس المخصصة لاحتواء عجين الزيتون بهدف استخراج الزيت منه، وتستعمل في صناعة الأفرشة والمطارح وبعض أثاث البيت والأدوات المنزلية ولوازم النقل على الدواب. وكان سكان إليغ على الخصوص يصنعون منها "أحذية تُلبس في أوقات الشتاء" (*المعسول*، 1 : 38). واشتهر أيت وافقا منهم بقدرتهم الفائقة على تطويع ألياف الحلفاء الصلبة وإنتاج كل ما يحتاجه المجتمع المحلي من أدوات ولوازم خاصة بالأثاث المنزلي والنقل والأكل واللباس، كالأطباق والغرابيل والبسائط الضرورية للأكل والصلاة والنعال والترازات والأخزمة. لذلك قال أحد الشعراء السوسيين فيهم على سبيل الدعابة :

خلق الله للحرير أكفـــاً رأكفاً لصنعة الحَلْفـــاء

حرفةُ الإلْـغيِّينَ فتلُ حبـالٍ وشباكٍ ودبغُهم للـــدلاء.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1983 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 1، الدار البيضاء، 1960 ؛ م. ابن علي الدكالي السلاوي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 : عثمان بوفتاس، *أمانوز*، الدار البيضاء، 1991.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, tome 2, Paris, 1899; *B.E.S.M.*, vol. 6 n° 24, 1939 ; E. Fromentin, *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952 ; *E.I.*, tome 3, p. 94 ; L. Trabut, *Etude de l'halfa*, Alger, 1889 ; Ali Bouhamidi, *Le village des asphodèles*, in *littérature de langue française hors de France*, n° hors série, p. 410 ; A. Sefrioui, *Le cuir*, in *G.E.M.*, vol. 2, 123, Rabat, 1987 ; F.A. Ossendowski, *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927 ; L. Rousselet, *Sur les confins du Maroc : d'Oujda à Figuig*, Paris, 1912 ; H. Ferhat, *Sabta : des origines au XIVème s*, Rabat, 1993 ; P. Jacquet, *O Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987 ; M. Lombard, *Les textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978 ; M. Chavagnac, *De Fès à Oujda*, 1887, [S.l.] ; H. Dugard, *La colonne du Sous*, Paris, 1981 ; Yvette Katan, *Oujda une ville frontière du Maroc*, Paris, 1990 ; L. Voinot, *Oujda et l'amalat*, Oran, 1912.

محمد بوسلام

الحلفاوي، أسرة أندلسية ماجدة كانت تسكن إشبيلية وبقيت مستوطنة فيها حتى بعد احتلال النصارى لها، فعدَّ الحلفاويون لذلك مدجنين. ثم انتقلوا إلى مدينة فاس في النصف الأول من القرن الثامن (14 م)، واستوطنوها (انظر الحلفاوي محمد بن موسى) ونجد في النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) بعض الحلفاويين في مراكش، يسكنون حياً يحمل اسمهم حتى اليوم بحومة باب دكالة.

الحلفاوي ← الفاسي الحلفاوي

الحلفاوي، قاسم بن أحمد بن محمد المراكشي، لم تتعرض المصادر كثيراً لحياته فلم تذكر تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته، وكان تركيز كل المترجمين له على مسألتين :

- الأولى : كتابه *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة* الذي عرف فيه بشيخه محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي (960 / 1552 ـ 997 / 1588).
- الثانية : انتماؤه للزاوية المذكورة وارتباطه الوثيق بشيوخها ومريديها.

وقد اعتمدنا ـ إلى جانب المعلومات القليلة المتوفرة ـ على كتاب *شمس المعرفة* لنستقي منه ما يمكن أن يفيدنا في التعريف بمؤلفه.

والد الحلفاوي هو أحمد بن محمد روى عنه المؤلف وذكر أنه كان من أتباع عبد الكريم الفلاح (*شمس المعرفة*، 58) وهو شيخ أبي عمرو القسطلي كما هو معروف. وكان للحلفاوي أخ اقتسم معه أموال أبيهما، فأشهد الأخ الناس بعدم رضاه عن ذلك، وشكا الحلفاوي أمره لشيخه محمد الكامل فنصحه بالصبر، فلم تكد تمضي سنة حتى توفي الأخ وعاد الإرث كله للمترجم له (*شمس المعرفة*، 91).

درس الحلفاوي بمراكش على بعض علمائها منهم : أبو بكر بن داوود، كان يحضر دروسه في أول النهار ؛ وإبراهيم ابن الحسن، كان يحضر دروسه في آخر النهار (*الإعلام*، 10 : 28 ـ 29).

وأخذ التصوف والطريقة الجزولية التباعية عن شيخه أبي عبد الله محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي مع صغر سنه، وكان معجبا به شديد التقدير والاحترام له، إذ كان يلقبه "شمس القرن العاشر" والشمس رتبة من مراتب الولاية. وله معه مواقف وحكايات عديدة رواها في مؤلفه عنه. منها ما حدث عند اتصاله به أول

مرة، فقد نظر إليه وأمر بتكشيطه (كذا) من ثيابه النفيسة وهو دليل - إذا أضيف إلى مسألة خصومته مع أخيه على الميراث - يبين انتسابه إلى أسرة ميسورة. وألبسه ما فيه رضاه، ثم قال لا بد من جلده، قال الحلفاوي : "وجلدني في وسط الناس، وكان أحسن وقت عندي وأحسن يوم وأحسن ساعة وقتي ذلك، ولا أحسب شيئا في أيام عمري أفضل من ذلك اليوم..." (*شمس المعرفة*، 323).

والراجح أنه ألف كتابه *شمس المعرفة*حوالي سنة 993 / 1585 لقوله عن الشيخ عبد الكريم الفلاح في ترجمة أبي عمرو : "من كلامه ما شاهدنا صدقه بعد ستين سنة كقوله سأغرس في موضع كل سدرة شجرة. ولا يزال مراكش يعمر حتى يباع معطن البقرة بقيمة البقرة" والمعروف أن وفاة الفلاح كانت سنة 933 / 1526. وبذلك يكون الحلفاوي قد كتب كلامه سنة 993 / 1585.

وقد دأب شيوخ التصوف على فعل شيء مّا لدخول مريديهم مقام التوبة، منهم من كان يقص خصلة من الشعر كالتباع... وقد كاشف الحلفاوي شيخه فيما بعد بما كان يدور في نفسه قبل التوبة :

- إنه كان مترددا في اتباع الطريقة فأجابه الكامل : "الناس كلهم شربوا من مائنا إلا أنت تقيس وتنجر".

- إنه كان من المعترضين على المبالغين في قراءة *دلائل الخيرات* وهو من أذكار أتباع أبي عمرو، وبعد أخذه عن شيخه الكامل أصبح من الذين يختمونه" في اليوم مراراً عديدة "وكتب نسخا عديدة منه بخط يده" بعضها الآن بمدينة المصطفى عليه السلام" (*شمس المعرفة*، 320).

ويبدو أن الحلفاوي أخلص للطريقة ولازم رباط شيخه وكان لا يغادره إلا نادراً : فقد زاره رجل من أصدقاء أخيه السابق الذكر، فغادر معه الرباط، ولما علم الكامل بذلك نهاه قائلا : "ما لكم وللخروج (كذا) بعض الناس يجعلكم مزارة من أجلنا ومغارة لكلام لا يجمع علينا..." (*شمس المعرفة*، 324).

وكان الحلفاوي يداوم على قيام الليل، وشجعه شيخه على ذلك يوما عندما قال له : "أنت ممن يقوم الليل... إني أطوف عليكم في بيوتكم فأعلم القائمين والنائمين" (*شمس المعرفة*، 345). وكان الشيخ يركز في تلقينه على كتب الطريقة والتربية الصوفية فكان الحلفاوي يقرأ *الألفية* خفية، وعندما بلغ باب الحال، علم الشيخ بذلك فنهاه عن عمله، فتاب عنه، (*شمس المعرفة*، 345).

ويبدو أن تقدير محمد الكامل لمريده كان سببا في القسوة عليه من حيث الالتزام والدراسة.. وربما طلب منه يوما التخفيف عنه فأجابه : "الناس كلهم أوسّع عليهم إلا أنت أضيق عليك" وهو يبتسم. فانكب الحلفاوي على يديه يقبلهما، واشتد عليه البكاء، فلما رأى حاله قال له : "ما يكون إلا خير" (*شمس المعرفة*، 323 - 324). وكثيراً ما كان يستدعيه ويجالسه ويعظه وينصحه بالذكر والصلاة ويدعو له ويقول له "يا قاسم قسمتك تاتيك".

ومع ذلك كان الشيخ يظهر التلطف والرأفة عندما يمرض مريده، وقد سأل أمه عن حال ابنها مرة (*شمس المعرفة*، 327) وسأل عن حاله مرة أخر بعدما شُفي من حمى (*شمس المعرفة*، 325) ونصحه بالكي مرة ثالثة (*شمس المعرفة*، 326).

وكان الحلفاوي يسلك مسلك شيوخه في الاهتمام بالفلاحة ويستشيرهم في ذلك، فقد اقترح عليه محمد الكامل أن يغرس أرضاً له رمانا، فغرس إلى جانبه العنب والزيتون، فازدهر الرمان دون غيره من المغروسات (*شمس المعرفة*، 343) وساعده بالمال على بناء صهريج لسقي جنان له بجليز (*شمس المعرفة*، 326 - 327).

وإلى جانب الذكر والصلاة والتدريس، اقرأ الحلفاوي *صغرى السنوسي* وعبادات *مختصر خليل* للطلبة والمريدين حين طلبوا منه ذلك (*الإعلام*، 10 : 28).

ويعتقد عباس بن إبراهيم أن الدرب الموجود بحومة باب دكالة المسمى بدرب الحلفاوي منسوب إليه، دون أن يثبت ذلك (*الإعلام*، 10 : 25) إذ المعروف بمراكش أن الدرب يسمى باسم الولي إذا كان مدفونا فيه، أو توجد به زاويته... والحلفاوي عاش في زاوية الحضر بدرب سيدي بوعمرو أمام مسجد ابن يوسف حيث كانت - ومازالت - الزاوية البوعمرية. ودرب الحلفاوي المذكور كان يسكنه كبار رجال الدولة العلوية والشخصيات العلمية المرموقة بالمدينة التي اختارت التدريس بجامع باب دكالة المشيد من طرف مسعودة الوزگيتية.

ومن آثار الحلفاوي : *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، أشهر كتبه، عرف فيه بشخيه محمد الكامل بن أبي عمرو القسطلي المراكشي ورتبه في مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة، وقد وقع تداخل كبير بينه وبين كتاب (شمس القلوب لكل محبوب) الذي ألفه الزروالي في شيخه أبي عمرو القسطلي.

- شعر كثير أورده في كتابه *شمس المعرفة* في مدح شيوخ التصوف وأدب الطريقة وما إلى ذلك من الموضوعات الدينية بلغ مجموعه حوالي اثنتين وسبعين قصيدة ومقطوعة تجاوز بعضها مائة بيت وهو - من نوع شعر الفقهاء - أقرب إلى النظم التعليمي.

- *بغية السائل في أشرف الوسائل في الصلاة على المبعوث من خير القبائل*. في ثلاثين بابا و360 فصلاو4 آلاف صلاة و12 نوعا. ولهذا الكتاب أسماء أخرى ذكرها في (*شمس المعرفة*، 230) منها : *غنيمة البائع والمشتري / كنز أهل المعارف والأسرار / نزهة أهل الجذب والتيسير* / ... والمسمى واحد هو كتاب الصلوات المذكورة.

توفي - حسب تقدير ابن سودة - بعد عام 1000 / 1591.

قاسم الحلفاوي نفسه، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*. مخطوط خزانة ابن يوسف بمراكش، رقم 171 ؛ ع. ابن إبراهيم.

الإعلام : ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 240، 241،

حسن حلاب

الحلفاوي، محمد بن **أحمد** المراكشي، لعله أخو قاسم الحلفاوي سابق الترجمة، فيكون حينئذ أكبر منه سناً لأنه كان من مريدي الشيخ أبي عمرو القسطلي نفسه بينما صحب قاسم محمد الكامل ابن الشيخ أبي عمرو كما سبق.

وصفه ابن إبراهيم في *الإعلام* بالفقيه الأرضي الأعدل. وذكر له كرامة مع الشيخ من خوارق العادات حين خرج لزيارة أخ له بثغر تاغزا راكبا على فرسه في الأرض فنادى الشيخ. قال الحلفاوي : "فإذا أنا بالشيخ سيدي أبي عمرو رضي الله عنه أنظر إليه بعين رأسي نظراً لا أشك فيه حقفته بعيني ذاته وهيئته كما تركته بمراكش ...". ولعل وفاته لم تكن بعيدة عن وفاة شيخه أبي عمرو القسطلي عام 974 / 1566.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5، 185، 186.

الحلفاوي، محمد بن **موسى** الفاسي، من مدجني إشبيلية، لعله أول مهاجر من الحلفاويين إلى المغرب. استوطن مدينة فاس أيام أبي الحسن المريني وكان حافظاً للقرآن ولكثير من الحديث، تتلمذ في العلوم الشرعية للفقيه محمد بن سليمان السطي الفاسي شارح *المدونة*، وأخذ التصوف عن الشيخ يعقوب الزيات الفاسي قال ابن القاضي في *الجذوة* : "وكان ممن له قدم في الطريقة ... صاحب صدقات ومكاشفات ... وله مع أبي عنان حكايات مشهورة".

عرف الحلفاوي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان مأذوناً له في ذلك من سلاطين بني مرين "حسم به أدواء الفساد، وقمع الأشرار عن بغيهم المعتاد".

توفي بفاس سنة 758 / 1356

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1، 305 ؛ *درة*، 2، 231.

محمد حجي

الحلفاويين (مدرسة -) بفاس تعتبر أم المدارس المرينية، فالبرغم من اختلاف الباحثين حول تاريخ ظهور المدرسة بالمغرب فإنهم يتفقون على كون الحلفاويين أولى المدارس التي بناها بنو مرين. فقد شيدها أبو يوسف يعقوب سنة 670 / 1271 (*جنى زهرة الآس*، 75) أي قبل شروعه في بناء المدينة البيضاء دار الملك.

وأشرف أبو أمية الدلائي قاضي الجماعة بفس على بنائها. ويبدو أن هذا القاضي هو صاحب فكرة تأسيس المدرسة، فلقد رحل من المرية بلده الأصلي إلى المشرق الإسلامي طلبا للعلم، فتتلمذ عن كبار العلماء كعز الدين بن عبد السلام (*الجذوة*، 1، 339)، ولاشك أنه أخذ قسطا من معارفه بالمدارس المنتشرة آنذاك بالمشرق فلما حط الرحال بالمغرب وتولى منصب قاضي الجماعة بفاس، طلب من السلطان يعقوب المريني تأسيس هذه المدرسة. ويذكر صاحب (*الجذوة*، 335) أن أبا أمية الدلائي أول من سن سنة بناء المدارس بحضرة فاس.

عُرفت مدرسة الحلفاويين بأسماء كثيرة، فقد أطلق عليها في البداية اسم المدرسة (*الذخيرة*، 162) لكن لما تعددت المدارس بفاس خلال القرن الثامن (14 م) نعتت بأسماء لتمييزها عن غيرها، فسميت باليعقوبية نسبة إلى مؤسسها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الذي حكم ما بين 656 - 685 / 1258 - 1286 (*جنى زهرة الآس*، 75) وسميت كذلك مدرسة الحلفاويين (*فهرس المنجور*، 63) ولعل الحلفاويين اسم الحي الذي بنيت فيه، وسُمي بعد ذلك بالصفارين عند انتقال أهل هذه الحرفة إليه في فترة متأخرة. وأصبحت المدرسة تسمى - حتى اليوم - مدرسة الصفارين. وقد يكون للمدرسة علاقة بمسجد قديم يعرف بالحلفاويين وكان مزاراً ينزل به أهل الصلاح والفضل (*ماضي القرويين وحاضرها*، 49، 50).

أقيمت مدرسة الحلفاويين على مساحة كبيرة، ويمتاز بابُها ببساطة شكله وخلوه من الزخارف عكس أبواب المدارس المرينية، يؤدي مدخلها المنعرج إلى فناء فسيح يتوسطه صهريج يضفي حيوية وبهاء على البناية. تتوزع حول الصهريج مختلف أقسام المدرسة، ففي الجهة الجنوبية الشرقية تقوم قاعة الصلاة، وبجوارها إلى الشرق دار الوضوء، في حين أن بيوت الطلبة تحتل الجوانب الاخرى، إذ يتم الوصول إليها عبر أروقة مغطاة. ويؤدي السلم إلى الطابق العلوي الذي يشتمل أيضاً على بيوت الطلبة. وتتميز قاعة الصلاة بشكلها المربع - وتستعمل كذلك لإعطاء الدروس - حيث ينتصب في جدار القبلة محراب يعد من أقوم محاريب مساجد فاس (*جنى زهرة الآس*، 75).

تشتمل المدرسة على صومعة مربعة الشكل، بُنيت من الآجر وكسيت بالفسيفساء، وبناء على شكل الصومعة وعلى حجمها وعناصرها الزخرفية يمكن اعتبارها النموذج الأصيل للصومعة المرينية التي ستبلغ أوج تطورها خلال القرن الثامن (14 م).

منذ تأسيس الحلفاويين، سكنها الطلبة والقراء حيث أعطيت لهم الجرايات والمرتبات. واعتمد يعقوب المريني على جزية اليهود باعتبارها مورداً قاراً للإنفاق على مدرسته. ويظهر أن مداخيل الجزية كانت كبيرة لأنها استخدمت أيضاً في الإنفاق على صنع ثريا المسجد الأعظم بالمدينة البيضاء (*الذخيرة*، 162) ويبدو أن مداخيل الحلفاويين من جزية اليهود لم تصبح كافية لتغطية نفقاتها وحاجياتها المتزايدة، إذ خصصت لها حسب حوالة الأحباس الموجودة بنظارة أوقاف القرويين عدة أملاك وأوقاف. فحسب الحوالة المذكورة كانت المدرسة تستفيد سنة 992 من مداخيل عدة أرحية وحوانيت موجودة بالصفارين والسبطريين والرصيف والنبارين ... ولقد ساهمت الوارد

في تعزيز مكانة مدرسة الحلفاويين وفي تأمين استمراريتها إذ ظلت محجّاً للطلبة والأساتذة والعلماء الكبار مثل الشيخ محمد بن سليمان الجزولي مؤلف *دلائل الخيرات* (*الجذوة*، 1 : 319) وعثمان بن عبد الواحد المكناسي اللمطي، فكانت مركزاً علمياً تلقى فيه أساسا العلوم الشرعية، ومن هنا ساهمت مدرسة الحلفاويين في تطوير الحياة الثقافية بفاس وفي ترسيخ إشعاعها الحضاري.

وقد احتضنت المدرسة خزانة للكتب، إذ أوقف عليها مؤسسها يعقوب المريني ثلاثة عشر حملاً من الكتب كان حصل عليها في اتفاقيته مع الملك القشتالي سانشو عام 684 / 1285 (*القرطاس*، 363).

شهدت مدرسة الحلفاويين إصلاحات عديدة غيرت نسبيا من ملامحها الأصلية، إذ ضاعت تماما الزخارف الجبسية التي كانت تزين الجدار المحيط بالفناء، كما فقدت المدرسة زخارفها من الزليج (بيل، 93) وبالرغم من هذه التغيرات فإن مدرسة الحلفاويين ما زالت تحافظ على طابعها القديم وعلى بعض زخارفها الأصلية كالقبة الخشبية التي تغطي قاعة الصلاة، فهي تشتمل على عناصر كتابية ونباتية وهندسية متناسقة وبديعة. وهكذا تعد مدرسة الحلفاويين من المعالم الرئيسية بفاس وحلقة هامة في تاريخ العمارة والفن المغربي عامة والمريني خاصة.

وقد أجريت إصلاحات بالمدرسة سنة 1987 قصد تهيئتها وإعدادها لإيواء الطلبة الذين يتابعون دراستهم العلمية بجامع القرويين. فهي حاليا سكنى للطلبة الآفاقيين الشيء الذي يذكرنا بإحدى وظائفها الأصلية.

أ. المنجور، *فهرس*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ ع. ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، الجزائر، 1923 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، 339، 240، 319.

M.A. Peretié, *Les médersas de Fès*, *A. M.*, T. 18, 1912, p. 257 - 373 ; A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*., Paris. 1919 ; Ch. Terrasse, *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

الحاج موسى عوني

الحلفي، مقاوم ولد سنة 1914 بمدشر أزغار بني أحمد تبرانت دائرة ترجيست إقليم الحسيمة، كان متزوجاً وأباً لستة أبناء يعيش في مسقط رأسه فلاحا متواضعا إلى أن انخرط في صفوف جيش التحرير ضمن التشكيلة التي كان يرأسها محمد الفزازي المرنيسي، شارك في عدة معارك مع رفاقه في الجهاد إلى أن استشهد بعدما أصيب بالرصاص في إحدى المعارك مع جنود المستعمر الفرنسي ببوزينب في ربيع الثاني - جمادى الأولى عام 1375 / دجنبر 1955.

حلق المعمورة ← **المهدية**

حَلْقَة الدَّار، الحلقة في اللغة "كل شي استدار" وفي العمارة الإسلامية المغربية تُطلق على القسم الأوسط العاري من صحن الدار أو "وسط الدار"، سواء في المدن أو في الأرياف، وإن كانت كلمة الحلقة غير مستعملة في الوسط الأمازيغي إذ يحل محلها لفظ "تازنونت"، وهي التي نجدها في الدارج المغربي بصيغة" الزنونة" أو "الجنونة" حسب المناطق. ومعلوم أن هذا القسم العاري أساسي في العمارة التقليدية، خاصة في الوسط المدني، إذ منه تستمد الدار ضوءها وتهويتها. فالمنازل التقليدية في الحواضر تكون قليلة المنافذ على الخارج، وتكون النوافذ الموجودة بها ضيقة أو صغيرة الحجم، تحتل فتحاتها عموما شبابيك حديدية أو خشبية (على شكل المشربية)، وفي غير هذه الحالات نجد مكان الشبّاك إطاراً خشبياً مقوساً، مما يقلل من فتحة النافذة كذلك، ويقلل من دخول الضوء والهواء. ثم إن المنازل في المدن العتيقة كثيراً ما تحتل دروبا ضيقة، تكون الجدران بها قريبة من بعضها، حتى إن دروبا قد لا تتسع لمرور شخصين. كما أن بعض المنازل تقع داخل دروب مسقفة (وهي المسماة بالساباط)، بعضُها غير نافذ. وهذه الحالات كلها لها تأثير كبير على تهوية المنازل وإنارتها بالقدر الكافي والمرغوب.

وفي أغلب المنازل التقليدية المغربية، تتحدد الحلقة على طول جوانبها الأربعة بإفريز من القرميد، أو بكنة من خشب، قد يكون ألواحا عادية وقد يكون ألواحا منقوشة جميلة الصنع. أما الفتحة نفسها فتحتلها أحيانا شبكة من قضبان حديدية تتقاطع بينها بشكل يفرز مربعات صغيرة، وأحيانا يغطيها زجاج، على أن العنصرين معا دخيلان على العمارة التقليدية لم يظهرا إلا في هذا القرن.

هذا ونجد الحلقة تعني كذلك مطرقة الباب، وإليها يشير ابن منظور عند قوله "حلْقة الباب وحلقته بإسكان اللام وفتحها".

ابن منظور، *لسان العرب* ؛ معجم كولان للعامية المغربية، 2 : 364، 365 ؛ ع. توري وجودية حصار بنسليمان، قاموس، *ألفاظ البناء في العمارة التقليدية*، ص. 62 (تحت الطبع).

عبد العزيز توري

حَلْقَة الفرجة بالمغرب، هي مجلس ترفيهي يتحلق فيه الناس في السوق أو الساحة العمومية حول قاصّ أو مغنّ أو منشد أو بهلواني يبهر العيون ويستهوي الأفئدة. وتجمع على "حْلاقي". وهي غير حلقة التدريس التي يتحلق فيها الطلبة حول الشيخ في المسجد أو المدرسة، وحلقة الذكر عند الصوفية الذين يستعملون الرقص والسماع، وحلقة الدار التي هي فناء تحيط به أروقة محمولة على سوار وأقواس من حجر (انظر حلقة الدار).

إذا اقتصرنا على العصر الحديث في حلقة الفرجة وجدنا

الحسن الوزان (ت. بعد عام 957/1550) أثناء حديثه عن مدينة فاس في *وصف افريقيا* بذكر ما فيها من مغنين ومشعوذين ينشدون في الساحات قصائد وأغنيات وترهات لاعبين بالدف والرباب والقيثار وغيرها من الآلات. ووجدنا الشيخ عبد الله الهبطي (ت.963/556) يستنكر في الباب العاشر من *الألفية السنية* ظاهرة الزفّان وهو المغني الشطاح الذي ولع جبالة بشطحاته حتى لا يكاد يتخلف منهم أحد عن "حلقته" وتتبارى النساء في الرقص بين يديه وهو ينشد الأشعار الغزلية الخليعة باللسان الدارج الذي يفهمه الجميع ويطرب له.

كما نجد الحسن اليوسي في *المحاضرات* يستشهد على اختلاف طبائع الناس في الطعام باختلاف الإلف والعادة، بأنه دخل في أعوام الستين وألف مدينة مراكش، وهو يومئذ طالب علم، خرج يروّح ذات يوم عن نفسه في الرحبة (جامع الفنا) ووقف على رجل مسن عليه حلقة عظيمة وهو يحكي الأمور المضحكة قائلا : "اجتمع الفاسي والمراكشي والعربي والبربري والدراوي فقالوا تعالوا فليذكر كل منا ما يشتهي من الطعام، ثم ذكر ما تمناه كل واحد بلغة بلده وما يناسب بلده... تمنى الفاسي مرق الحمام ولا يبغي الزحام، والمراكشي تمنى الخالص (خبز السميد) واللحم الغنمي. والعربي تمنى البركوكش بالحليب والزبد، والبربري تمنى عصيدة أنلي، وهو صنف من الذرة بالزيت، والدراوي تمنى تمر الفقوس في تگمدارت مع حريرة أمه زهراء".

وقد تكاثرت "الحلاقي" في الفترة المعاصرة، وخاصة أيام الحماية وتنوعت مشاربها وأخذت تستقطب جمهوراً واسعاً في الحواضر كمراكش وفاس ومكناس وسلا وتطوان. وساعد على انتشارها في الأوساط الشعبية أمران :

1 - التوقيت الشمسي المعمول به آنذاك عند الحرفيين والصناع التقليديين الذين كانوا يشتغلون من شروق الشمس إلى العصر.

2 - قلة أو انعدام وسائل التسلية داخل البيوت وخارجها، حتى أجهزة الراديو كانت محدودة لا يقتنيها إلا بعض الأسر الموسرة.

ولنضرب المثل بمدينة سلا التي كانت لها ساحتان لعقد "الحلاقي"، تقع الأولى خارج باب فاس المسمى أيضا باب الخميس، تنطلق من العصر إلى الغروب حيث يكثر فيها القصاصون والممثلون الذين يقدمون قصصاً قصيرة وملحاً طريفة عن طريق الحكي الفردي أو الجماعي المصحوب أحياناً بالدف والبندير أو الكنبري، أو عن طريق الحوار بين اثنين أو جماعة يمثلون منافرة البدو والحضر، ومفاخرة النساء والأزواج، وعادات سكان مختلف الأقاليم في الطعام واللباس والأفراح والمراسم. وأشهر الحلايقية في هذه الساحة المسمى "العكّر" الذي لا يُبارى في التعبير بملامح وجهه وتكييف صوته وتغيير لهجاته البدوية والحضرية ؛ و"الحاج" حاكي القصص الطوال كسيرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب وعنترة ابن شداد وابنة عمه عبلة بنت مالك.

وتقع الساحة الثانية داخل المدينة وسط السوق الكبير وتعمر بين العشاءين، ويغلب عليها طابع الغناء والرقص عندما تزور "رباعة الروايس" المدينة، والحركات البهلوانية مع فرق "عبيدات الرمى" أو "أولاد سيدي أحمد أو موسى". وتزدحم فيها كذلك حلقة البودليين الذين يشربون الماء في شدة غليانه ويأكلون الزجاج المسحوق... ويذعن الحاضرون بالتسليم عندما يطلب منهم ذلك فيصيحون بصوت جهوري جماعي تدوّي له الساحة "التسليم لله" وحلقة هداوة ذوي الشعور المشعثة الذين يدقون في طبول كبيرة موضوعة على الأرض ويرددون أزجالا حلوة في تمجيد الخالق تعالى والرسول الكريم وشيخهم سيدي هدّي. وكان من ألمع نجوم هذه الساحة الحسين السلاوي ورفيق له لا أذكر اسمه، تزدحم حلقتهما بالشباب، وتحضرها بعض النساء المنقبات فيتغزل الحسين ببعضهن أحياناً بزجله وهو يطوف بالحلقة شبه راقص قائلا: " ذوكْ العيونْ الكوحلْ..." محدثاً في إحدى المتحلقات التي قد تخجل وتنسحب.

لقد تضاءل شأن "الحلاقي" بعد الاستقلال نتيجة وفرة وسائل التسلية المرئية والمسموعة داخل المقاهي والبيوت، باستثناء جامع الفنا الذي لا تكاد تخلو ساحته منها ليلاً ولا نهاراً.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الترجمة العربية، بيروت، 1983 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، بيروت، 1982 ؛ ع. الله الهبطي، *الألفية السنية*، مخطوط ؛ اطلاع ميداني.

محمد حجي

حَلَقِيَّات أو الحلق. ديدان بحرية تتميز، كما يدل اسمها على ذلك، بجسم ديداني الشكل مقسم إلى عدد كثير من الحلقات، وقد تم تصنيفها إلى ثلاث مجموعات :

1 - المجموعة الأولى تتميز بتوفرها على رأس ذي أعضاء حسية وجسم تحمل معظمُ حلقاته زائدتين اثنتين جانبيتين تتوفر كل واحدة منها على العديد من الشعيرات تساعدها على السباحة والتنقل مما حدا بالعلماء إلى تسمية المجموعة ب "Polychètes" أو "متعددات الشعيرات" كما يمكن لهاته الزوائد أن تحمل ملامس قد يكون لها دور أساسي في وظيفة التنفس. وتوجد داخل "متعددات الشعيرات" حلقيات "أوابد" تعيش في مسالك محفورة في الصخور مصنوعة بلعاب خاص وحبات الرمال، كما توجد حلقيات رحّالة لا تستقر بمكان، وهي دائمة التنقل بين النباتات والصخور بحثا عن الغذاء.

تعيش معظم متعددات الشعيرات في المياه البحرية إما في الرمال والأوحال أوفوق وداخل الصخور، كما أن هناك عدة أنواع تعيش ضمن العوالق أو كطفيليات لحيوانات أخرى. وهي إما لاحمة خاصة منها الرحالة وإما كالأوابد بحكم طريقة عيشها مضطرة للانتظار داخل "جحرها" لما

يمكن أن تحمله لها التيارات البحرية من عوالق أو مواد عضوية. أما عن طريق تزويدها بما تحتاجه من مادة الأكسجين فيتم ذلك أساسا بواسطة الزوائد الجانبية لكل حلقة من حلقات الجسم، وكذلك الملامس المحمولة على هاته الزوائد، بل وعند العديد من أنواع الأوابد توجد لوامس أخرى محيطة بالفم لها كذلك دور كبير في وظيفة التنفس. وقد ذهب العديد من العلماء، إلى تأكيد أن الحلقيات متعددات الشعيرات يمكنها كذلك امتصاص الأوكسجين الموجود في الماء عن طريق جلد الجسم كله.

أما عن التكاثر لدى متعددات الشعيرات فقد أثبتت الدراسات أنه يتم بطريقتين اثنتين : طريقة جنسية بواسطة حيوانات منوية وبويضات تتكون وتنمو داخل تجوف الجسم فيلقى بها فيما بعد في الماء، ليخصب بعضها البعض، وطريقة لا جنسية كالتبرعم أو انشطار الجسم إلى عدة قطع تعطي كل واحدة منها فرداً كاملاً. بل وأثبتت دراسات أخرى أن التكاثر عند متعددات الشعيرات يمكن أن يتم عن طريق التوالد العذري أي دون تدخل الحيوانات المنوية، كما أن هناك حالات نادرة يمكن فيها للأنثى أن تلد صغاراً مباشرة ومن دون بيض وهي الطريقة الولادية.

2 . المجموعة الثانية من الحلقيات وهي ما يمكن تسميتها "نادرة الشعيرات" (Oligochètes) وهي ديدان تختلف أساسا عن المجموعة الأولى بعدم وجود أية أعضاء حسية في الرأس الذي لا يُرى هو نفسه. كما تختلف عن متعددات الشعيرات بعدم وجود زوائد جانبية في حلقات الجسم، وحتى الشعيرات فهي قليلة ومغروسة مباشرة في الجلد.

من أشهر هاته الحلقيات دودة الأرض. إلا أن هناك أنواعا أخرى تعيش في المياه القارية الجارية منها والراكدة، وكذلك المياه البحرية. وإذا كان لا يُعرف لقليلات الشعيرات المائية دور مهم غير المساهمة في التوازنات البيئية داخل وسطها فإن لقليلات الشعيرات التي تعيش في اليابسة دوراً مهماً وأساسيا في إغناء الأرض بالمواد العضوية الضرورية لنمو النباتات، بل وللديدان الأرض الفضل الكبير في إنتاج الدبال أي التربة العضوية، وأن أكبر كمية من هاته المادة الحيوية في العالم تنتجها الحلقيات قليلات الشعيرات حيث إنها تلتهم التربة (بالنسبة للأنواع التي تعيش على اليابسة) أو الرمال والأوحال (بالنسبة للأنواع المائية) فيمتص جهازها الهضمي ما يحتاج منها من مواد مغذية للجسم ويلقي بالباقي خارج الجسم غنيا بمواد أخرى صالحة للنباتات، لذا سميت هاته الحيوانات "أكلات التربة".

ليس لقليلات الشعيرات جهاز تنفسي، حيث إنه سواء، بالنسبة للأنواع التي تعيش على اليابسة أو في الماء، فإن الاستفادة من مادة الأوكسجين الموجود في الوسط يتم عن طريق جلد الجسم كله.

لقليلات الشعيرات كذلك طريقتان في التكاثر، فهناك طريقة جنسية، ويجب الإشارة إلى أن كل الأفراد عند هاته الحلقيات تلعب في نفس الوقت دور الذكر ودور الأنثى. والتجانس لا يمكن أن يحصل إلا بين فردين اثنين تلقح الحيوانات المنوية لكل واحد منهما بويضات الآخر. كما أن هناك طريقة غير جنسية وذلك بانشطار جسم الفرد الواحد إلى قسمين اثنين يجدد بعد ذلك كل واحد منهما ما ضاع منه في القسم الآخر.

3 . وأخيراً المجموعة الثالثة وهي ما يمكننا تسميتها بـ "عديمات الشعيرات" (Achètes) فهي مبدئياً حلقيات لا تتوفر على شعيرات ولا على زوائد، إلا أنه رغم تسميتها هاته فهي تحتوي على بضعة أنواع مازالت رغم تطورها تحتفظ ببعض الشعيرات في الحلقات القريبة من الرأس. ومن الخصائص الرئيسية كذلك لهاته المجموعة توفر أنواعها على محجمين اثنين أحدهما محيط بالفم والثاني في الطرف الخلفي. ومن الخاصية الأخيرة يمكن استنتاج طريقة عيش هاته الحلقيات حيث إن وجود محجم محيط بالفم يُمَكن تلك الديدان من الالتصاق بضحاياها وامتصاص دمها.

وأشهر الأنواع المعروفة ببلادنا ما يسمى بالعلقة وهي ديدان صغيرة حمراء، توجد في المستنقعات ومياه الآبار والتي إذا نفذت إلى جسم الإنسان أو الحيوان عن طريق الماء غير الصالح للشرب تحدث نزيفا خطيراً يمكن أن يؤدي إلى وفاة المصاب. تتغذى إذن هاته الحيوانات بدم ضحاياها وتتنفس عن طريق جلد الجسم كله تمتص بواسطته الأوكسجين الضروري لها مباشرة من الماء. أمّا التكاثر فلا يتم إلا بطريقة واحدة وهي الطريقة الجنسية. وبالفعل فإن كل عديمات الشعيرات تحمل في نفس الوقت أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية ولا يمكن للفرد أن يخصب نفسه، بل على كل فرد الالتقاء بفرد آخر حتى تخصب حيواناته المنوية بويضات الفرد الآخر.

أما عن أنواع الحلقيات الموجودة في المياه الإقليمية بالمغرب فهناك أكثر من 340 نوع يتوزع معظمها في أعالي البحار والمحيطات، والقليل منها فقط ذو توزيع متوسطي وأطلسي، كما أن هناك تسعة أنواع لا توجد إلا في المياه المغربية، وآخر نوع اكتُشف في المغرب سنة 1995 هو Diopatra marocensis اكتُشف في منطقة أسفي وهو كما يدل اسمه على ذلك يحمل إهداءً للمغرب.

محمد منيوي

ابن **حَلام**، أسرة علم ومروءة بمكناس من أهم أفرادها :

ابن **حَلام، أحمد**

ابن **حَلام، إدريس** بن قاسم

ابن **حَلام، التهامي** بن عبد الوهاب بن أحمد

ابن **حَلاَّم، عبد السلام** بن أحمد

ابن **حَلاَّم، عبدالعزيز** بن محمد بن قاسم

ابن **حَلاَّم، العربي** بن محمد بن أحمد

ابن **حَلاَّم، قاسم الخطيب**

ابن **حَلاَّم، مَحمد** (الجد -) دفين جنوب زرهون

ابن **حَلاَّم، محمد الخطيب**

ابن **حَلاَّم، محمد** بن **قاسم** بن محمد

كل هؤلاء الأعلام مذكورون فيما يلي حسب تسلسل أفراد الأسرة دون اعتبار الترتيب الهجائي.

وهم ينتسبون إلى الشيخ مَحمد ابن حلام دفين مركز خمراوة جنوب جبل زرهون جنوب مدينة مكناس، حيث سكنها أوائلهم - تخمينا - من أواسط القرن الثاني عشر (18 م) من الزمن تفرعوا إلى فرقتين :

أ - فرقة محمد بن قاسم بن محمد بن القاسم بن عبد العزيز بن عبد المجيد، ومن هذا الفريق محمد بن قاسم ابن حلام، المتوفى عام 1234، حلاه ابن زيدان بخاتمة أعلام عصره في تقرير *المختصر الخليلي بالزرقاني وبناني*، كما استنتج من بعض الوثائق العدلية ولايته لنيابة القضاء بمكناس.

ومن مقيدات المترجم كناشة بخطه تحمل رقم خ. ع. ك 3246 ثم الفقيه قاسم ابن حلام أول خطيب بالجامع العلمي.

وثاني هذا الفريق الفقيه العدل الحاج إدريس بن قاسم ابن حلام، المتوفى حوالي عام 1300.

وثالثاً : الشقيقان الحاج محمد وعبد العزيز ابنا الفقيه السيد محمد بن قاسم ابن حلام، وهو - أيضاً - جد العالم محمد بن أحمد بن المفضل برادة من بنت السعدية.

ب - فرقة أحمد بن حلام :

من هذا الفريق الفقيه العدل المبرز، النوازلي البارع مُحمد بن أحمد ابن حلام، المتوفى عام 1331، وهو والد الفاضل الحيي الحسيب السيد العربي، والد نخبة من متنوعي الثقافة بين عربية وأجنبية.

ومن الفريق الفقيه العدل الخطيب السيد عبد السلام بن أحمد ابن حلام، والد الفقيه العدل العالم الخطيب محمد ضما المتوفى عام 1362.

ثم منهم التاجر الأريحي الفضال السيد التهامي بن الوهاب بن أحمد.

نذيل هنا بظهير إنعام بمنح من السلطان محمد الرابع تشجيعا لفئة من طلبة مكناس، رابعهم الحاج إدريس بن قاسم ابن حلام سابق الذكر، ونصه بعد الافتتاح :

"نفذنا - بحول الله وقوته - للطلبة الأربعة من أهل مكناس، وهم الطالب أحمد بن محمد ابن عزوز، وسيدي السعيدي بن محمد المنوني، والطالب إدريس بن محمد ابن عبود، والطالب إدريس بن قاسم ابن حلام، مثقالين لكل واحد منهم في كل شهر من أحباس الجامع الكبير، إعانة لهم على طلب العلم الشريف، فنامر ناظرها في حينه أن يكون يدفعها لهم في كل شهر، والسلام.

في 3 ربيع الثاني عام 1277".

مجهول آخر، تلخيص *الحاوي للقتاري* لمجهول. وفرغ من كتابة أواخره بعد عشاء الأحد رابع جمادى الأولى عام 1269 هـ، خ. ع. ك 1855 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 168 - 296.

محمد المنوني

حَلاَّمة، نوع من الأسماك العظمية الشعاعيات الزعانف Actinoptérygiens ومن رتبة الفرخيات Perciformes ومن فصيلة الأسبوريات Sparidae يسمى علميا Sarpa (Boops) salpa وبالفرنسية Saupe وبالانجليزية وبالاسبانية Salema. لا يتعدى طوله 51 سم وجسمه مضغوط جانبيا. بالفكين صف واحد من الأسنان كلها قاطعة. تتكون الزعنفة الظهرية من 11 - 12 شوكة ومن 14 - 17 شعاع كلها لينة وتتكون الزعنفة الشرجية من 3 شوكات و13 - 15 شعاع. الزعنفة الصدرية قصيرة. يتكون الخط الجانبي من 70 - 80 حرشفة.

اللون رمادي ويتخلل كل جانب 10 - 11 خطاً طولياً مصفراً ومذهباً مما أدى إلى تسمية النوع في أكادير وطرفاية والعيون بتالوين‌ت نسبة للون الذهبي.

يعيش هذا السمك غير بعيد عن السواحل في أعماق لا تتعدى 20 م وخاصة منها الصخرية والرملية الغنية بالطحالب والنباتات البحرية التي تُكوِّن قوته اليومي. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويتوالد في فصل الربيع والخريف وهو من الحيوانات الخنثى. يصير بالغاً بعد أن يصل طوله إلى 20 سم. صيده في المغرب رياضي وتقليدي بواسطة صنارة طعمها قطع من النباتات البحرية وبواسطة الشباك. يصاد منها كل سنة ما بين 80 و110 طن بالنسبة للمغرب وما بين 1200 - 1500 طن في البلدان المحاطة بالبحر المتوسط.



حلامة (سمك)

يشمل توزيع خَلأمة الجغرافي كلاً من السواحل المتوسطية وسواحل المحيط الأطلسي الشرقي ابتداء من بحر الشمال إلى سواحل إفريقيا الجنوبية الغربية. وتوجد باستمرار في جميع أسواق الأسماك المغربية وتستهلك طرية.

W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bauchot, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire.* Rome, 1987, p. 1346 - 1373 ; G. Bianchi, *Guide des ressources halieutique de l'Atlantique marocain.* Rome, 1984, p. 49.

محمد رمضاني

الحلاوي، إبراهيم بن أحمد الأسفي، أحد الشخصيات التي عرفها الميدان النقابي المغربي خلال الأربعينيات والخمسينيات. ولد بمدينة أسفي عام 1322 / 1904. لعب رفقة زميله مَحمد البركة دوراً مهما في تثبيت



أسس الحركة النقابية في ميدان الصيد البحري على الصعيد الوطني، وكانت له مساهمات فعالة في تنظيم الإضرابات الناجحة التي قامت بها نقابة الصيد لبحري في جميع موانئ المغرب خلال الخمسينيات. اعتُقل عدة مرات من طرف السلطات الاستعمارية بسبب نشاطه السياسي والنقابي.

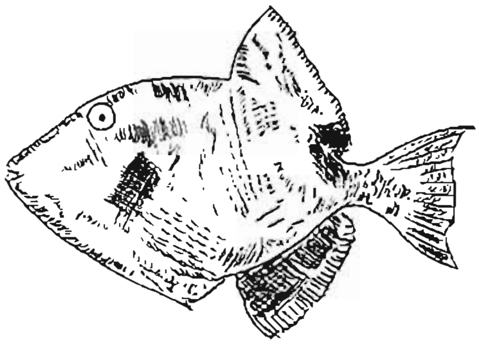
توفي بأسفي في 28 محرم عام 1385 / 29 مايو 1965.

معلومات شخصية وروايات شفوية.

عبد الرحيم العطاري

الحلُّوف، (البحري) نوع من الأسماك العظمية البحرية من شعاعيات الزعانف وملحومات الفك وفصيلة عنز الماء Balistidae. اسمه العلمي Capriscus وبالعربي الفصيح عنز الماء، را لكلمة منقولة من اليونانية Kapros. لكنه اشتهر في أسواق الأسماك المغربية باسم الحلُّوف ويسمى في طنجة وأصيلا البغلة، ويُلقب بالفار في كل من مولاي بوسلهام وأسفي والجديدة وأكادير وطرفاية والعيون، ويُعرف في الدار البيضاء باسم الذيب ولبْحَرْ. ويُسمى في الشرق العربي عنز، وعنز الماء، وبالفرنسية Baliste cabri وبالانجليزية Greytriggerfish وبالاسبانية Pez Ballesta.

لا يتعدى طول الكبار 60 سم وشائع بين 20 . 30 سم. الجسم بيضوي الشكل ومضغوط جانبيا. الفم صغير جداً ويحمل أسنانا قارضة على صف واحد في الفكّ الأسفل، وعلى صفين في الفكّ العلوي. على الظهر زعنفتان تتكون أولاهما من ثلاث شوكات فقط والثانية من 24 . 27 شعاع كلها لينة. الزعنفة الصدرية صغيرة. اللون رمادي أخضر اللمعان، وغالبا ما تتخلل جوانبه ثلاث بقع كبيرة تميل إلى الأزرق. الحراشف صغيرة الحجم ومكثفة.



الحلوف البحري

يعيش في السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية منها والغربية منذ البحر الشمالي إلى ضواحي أنغولا جنوبا، وكذلك في السواحل الاطلنطية الأمريكية إلى جنوب السواحل الأرجنتينية. إنه سمك لاحم يأكل القشريات الصغيرة والرخويات ويعيش بين الصخور في أعماق تتراوح بين 10 و100 متر. يتوالد في الصيف وتضع الإناث بيضها في حفر بين الصخور تحرسها الذكور، صيده تقليدي وشبه اصطناعي بواسطة الصنانير والشباك وموجود في أسواق الأسماك المغربية بصفة غير منتظمة.

تضم الفصيلة حوالي 30 نوعا تعيش في البحار الاستوائية والمعتدلة الحرارة منها نوع - Balisre royal Balistes vetula نادر في أسواق الأسماك.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، لبنان، 1988.

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchil, *Fiches d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire.* Rome, 1987, p. 972 - 973 ; J.R. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci.*, Rabat, 1988, p. 101 - 104.

محمد رمضاني

الحلُّوف، (البري) أو الخنزير، واسم الحلُّوف شائع في بلدان المغرب العربي، والرث والعفر في بعض المعاجم، حيوان وحشي من الفقريات اللبونة ومن الحافريات المزدوجات الأصابع السريعة الجري وغير المجترة لأن معدته مقسمة إلى جزئين فقط.

ينتمي إلى فصيلة الخنزيريات Suidae ويسمى علميا Sus scrofa وبالفرنسية Sanglier d'Europe أو Sanglier commun وبالانجليزية Wild boar وبالبربرية إلف يجمع على إلفان وإلفيون ويسمى الخنزير المربي Porc ألاداي ويجمع على إلاداين

جسمه ضخم يكسوه شعر حريري صلب يختلف لونه حسب السن، فهو رمادي مخطط بالبني الداكن عند الصغار التي تسمى الخنوص، ويصير رمادياً بنياً ما بين سنة وثلاث سنوات، وبعد ذلك يصير رمادياً قاتماً. يتبدل شعره في الصيف والشتاء كل سنة. رأسه كبير ينتهي بفنطيسة قوية. الأذنان كبيرتان يكسوهما شعر أسود رمادي، والعينان صغيرتان.

يبلغ طوله جمعا بين الرأس والجسم 115 . 150 سم وطول الذيل 15 . 20 سم وعلوه عند الغارب 65 . 90 سم. يتراوح وزنه ما بين 75 . 140 كلغ. يبلغ عدد صبغياته 2 N = 38. قوائمه صغيرة وشبيهة بقوائم المعز.



الخنزير البري

صيغة أسنانه كالتالي : 3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 4/4 أضراس أمامية إلى أعلى مما يجعلها تبرز من فمه ويتجلى ذلك خاصة عند الذكور. تساعده الأنياب على حفر التراب بداخل المزروعات بحثا عن العساقيل والجذور وديدان الأرض والحلزونات والحشرات الصغيرة التي تكون غذاءه اليومي. يأكل كذلك الذرة وبعض الفواكه كالتين والبلوط، ومن الحيوانات يأكل صغار الأرانب والبيض.

نظامه الغذائي القارت جعل منه حيوانا سهل التدجين، ويرجع تاريخ تربيته إلى العصر الحجري الأخير (العصر النيوليتي) مما أدى إلى ظهور عدة سلالات داجنة تتميز بمردودية عالية في إنتاج اللحوم ابتداءً من مأكولات تكلفتها ضعيفة. يقبل العيش في مختلف الأماكن وينعت بالحيوان القذر Cochon لرائحته الكريهة وللأوساخ الذي يخلفها في مكان عيشه. كان في القدم يستعمل أضحية ترمز إلى عدة شعارات للعقائد وأكله محرم لدى المصريين القدامى والديانة اليهودية والإسلامية.

يألف الخنزير البري الغابات والجبال. ويشمل توزيعه الجغرافي أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا. يوجد في المغرب في كل المناطق الجبلية الغابوية الأطلسية منها والريفية، ونادر في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية. إنه حيوان ليلي النشاط يغادر الغابات ليبحث عن الأكل في المزروعات ابتداء من الغروب إلى طلوع النهار مما يجعله يخلف خسائر في المنتجات الفلاحية. يقضي نهاره وسط الغابات وكثيراً ما يستحم في مياه العيون والأنهار ليتخلص من الطفيليات التي تعيش على جلده.

تكثر حرارته التناسلية ما بين نونبر ودجنبر وتدوم مدة الحضانة 112 . 115 يوما. تضع الأنثى 4 . 8 صغار ترضعها لمدة ثلاثة أشهر على الأكثر. ترافق الصغار أمها ابتداء من اليوم الثاني من ولادتها وتصير بالغة ما بين سنة وسنتين.

يعيش الخنزير البري وسط مجموعات تتكون من الأب وبضع إناث وصغارها. وكثيراً ما تعيش الذكور المسنة منعزلة ولا تلتحق بالمجموعات إلا في فترات الحرارة التناسلية. تعيش الأمهات بجانب صغارها ولا تفارقها. يعمر الخنزير حوالي عشرين سنة.

تحريم أكله في الإسلام جعله يكثر في الغابات المغربية ويكون طريدة مهمة للقناصين الأجانب. يشترط في صيده الرخصة من مديرية المياه والغابات التي تحدد مكان الصيد وعدد الطرائد. والإحاشة Chasse en battue هي الطريقة الوحيدة المرخصة في المغرب، تتلخص في التفاف مجموعة من الناس مصحوبة بالكلاب حول الفريسة ودفعها نحو الصيادين لضربها بالرصاص. في حالة جرح الخنزير يشتد غضبه وهيجانه فيصبح خطيراً. أعطت الاحصاءات أن ما يقرب من 1600 رأس تصاد كل سنة في المغرب.

يختلف الخنزير البري الذي يعيش في شمال إفريقيا عن نظيره الذي يعيش في أوروبا في قامته وطوله مما جعل منه سلالة تسمى علميا Sus scrofa barbarus تتميز بعلو عند الغارب لا يتعدى 90 سم ولا يتعدى وزنه 140 كلغ بينما يبلغ وزن الخنزير الأوروبي أحيانا 300 كلغ.

A. Elmastour, *Contribution à l'étude de la biologie et du mode de vie du Sanglier (Sus scrofa barbarus)*. Mém. 3ème cycle, IAVX, Rabat, 1982, 53 p. ; L. Lyneborg, *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972, 237 p. ; Y. A. Alaoui, *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992, p. 181.

محمد رمضاني

الحلو، أسرة فاسية عريقة، تنسب عند الإطلاق إلى محمد الحلو الوطاسي المريني أخي الوزير يحيى بن يحيى بن عمر بن زيان الوطاسي الذي قتله السلطان عبد الحق المريني هو وقرابته بعد سنة 863 / 1458 عدا محمد الحلو وأخيه محمد الشيخ اللذين فرا إلى الصحراء إلى أن استولى محمد الشيخ الوطاسي على ملك فاس فرجع إليها هو وأخوه محمد الحلو. وفي فاس قومٌ آخرون يدعون أيضاً "الحلو" لكن يميزون بلقب إضافي. واشتهر آل الحلو الوطاسيون في فاس بالعلم والخط الحسن وكان منهم نساخون مشهورون.

الحلو، أحمد بن محمد الكبير بن قاسم الفاسي، من علماء الشباب المتخرجين من القرويين. كان وطنياً مكافحاً خطيباً مفوهاً وكاتباً شاعراً.

توفي في ريعان شبابه، صباح يوم الجمعة خامس وعشرى جمادى الأولى عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف / 25 مارس 1949. بأحد المستشفيات بالدار البيضاء، ونقل إلى فاس حيث دفن بروضة العلميين داخل باب عجيسة. وأبنه عند دفنه الزعيم محمد حسن الوزاني ثم أقيم له حفل تأبين كبير بفاس خطب فيه الجمّ الغفير من أصدقائه الشبان الوطنيين.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3240.

الحلو، عبد الرحمان بن عبد العزيز الفاسي، وصفه في *إتحاف المطالع* بقوله : "علامة مشارك، أديب مطلع، له خط حسن، وإنشاء وترسل، ذكر الجد المهدي (ابن سودة) أنه من أصحابه في *تقييده*".

توفي بفاس ليلة الخميس سادس وعشري قعدة عام 1269 / فاتح شتنبر 1853.

عباس الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص. 21 ; ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 . 2596.

الحلو، عبد السلام بن أحمد الفاسي، قال عنه في *إتحاف المطالع* : "علامة متفنن له خط بارع ... ذكر الجد المهدي (ابن سودة) في *التقييد* أنه من أصحابه".

توفي عام 1241 / 25 . 1826، ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 . 2524.

الحلو، عبد القادر بن عبد الرحمان الفاسي. كان فقيهاً مشاركاً مطلعاً ناسكاً منتصباً للشهادة في سماط العدول، إماماً بالنيابة بمسجد الأبار.

توفي في سادس عشر ذي الحجة عام 1306 / 13 غشت 1889.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2777.

الحلو، عبد الوهاب بن محمد الفاسي، فقيه مشارك أُسند إليه منصب القضاء بفاس الجديدة مدة.

توفي بمسقط رأسه في رمضان عام 1194 / شتنبر 1780.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 1780.

الحلو، محمد بن **عبد السلام** الفاسي. من أكبر تجار فاس، متشبع بالروح الوطنية، وله مواقف مشرفة فيها، لذلك نفته السلطات الاستعمارية إلى مدينة صفرو.

وإلى جنب ذلك، كان له خط جميل وولع بنسخ أمهات المؤلفات. نسخ بيده الكتب السبعة في الحديث، ونحو خمسين مصحفاً، وقد أقام حفلاً كبيراً عند إتمام النسخ رجاء ثواب الآخرة. يُوجد أحد هذه المصاحف بخطه الجميل في الخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 287.

توفي بمنفاه بصفرو يوم السبت عاشر قعدة عام 1373 / 10 يوليوز 1954 ونقل إلى فاس من الغد ودفن بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3294 ; م. المنوني، *تاريخ الوراقة*، 295.

الحلو، محمد بن **عبد الواحد** بن عبد النبي الفاسي، الشيخ الصوفي الكبير والعالم المشارك النحرير. درس على كبار شيوخ القرويين في عصره، أمثال عبد الله البدراوي، وهو عمدته، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بناني كلاًّ، ومحمد بن المدني گنون، ومحمد بن التهامي الوزاني. ثم انصرف إلى التصوف حتى أصبح متمكناً عارفاً باصطلاح القوم مستحضراً نصوصهم لا يضاهى في ذلك، إلى دين متين، وصلاح ويقين، فأقبل عليه الناس للتربية والسلوك، وتخرج على يده الجم الغفير من الناسكين وأهل التصوف "وما زالوا يلهجون بذكره ويعدّونه من أفضل أشياخهم في الطريق". وممن أخذ عنه وتبرك به عبد السلام ابن سودة ونوّه به في فهرسه *سل النصال*.

ألف الشيخ الحلو عدة كتب في التصوف اطّلع عليها صاحب *سل النصال* في خزانة الشرفاء البدراويين أصهار الشيخ. منها *بهجة الأفكار في حسن الظن وعدم الإنكار*، أتى فيه بكلام نفيس يقبله كل ذي عقل سليم ; *والحكمة اللقمانية والحديقة المحمدية*، ضمنها وصيته النافعة لولده محمد وفرغ منها عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف ; *ونصيحة الإخوان بما يرضي الرحمان* ; *وحلل الصدق والتمكين للفقير المسكين*، إلى غير ذلك من التآليف.

توفي في شهر قعدة من عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف / يونيه - يوليوز 1923، ودفن بزاوية الشيخ أبي يعزى من حومة البليدة التي يتصرف فيها أصهاره البدراويون.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ; *سل النصال* ; *موسوعة أعلام المغرب*، 8 . 2930 . 2931 ; م. المنوني، *مصادر تاريخ المغرب*، ج 2، رقم 1447.

الحلو، مَحمد بن **محمد المهدي** الفاسي، وراق حسن الخط، بارع في زخرفة الكتب، تخصص في هذا الفن وخلّف عدة أولاد ساروا على نهجه في الوراقة والزخرفة والتجليد. وتحتفظ الخزانة العامة والخزانة الحسنية بالرباط بعدد من المنتسخات البديعة بخطه وزخرفته، آخرها *الشفا* للقاضي عياض انتهى من نسخه في منتصف جمادى الثانية عام 1189 (خ ح رقم 574) وفي هاتين الخزانتين

وغيرهما منتسخات جميلة مزخرفة كذلك لأولاده أحمد وعبد العزيز ومحمد. انظرها عند محمد المنوني في *تاريخ الوراقة*.

توفي بعد عام 1189 / 1775.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 144 و155 و157.

• محمد حجي

الحَلْوي، أسرة تطوانية أصلها من فاس وقد انقرضت الآن من تطوان. عرف من أفراد هذه العائلة الفقيه السيد العربي الحلوي، والتاجر السيد أحمد بن الحاج محمد من كبار الأثرياء، والأعيان بتطوان خلف من العين ما يزيد على عشرين ألف مثقال عدا الرباع والعقار والأثاث وأوصى بجزء مهم من متخلفه أن يصرف في وجوه البر والإحسان. كان هذا عام 1189 وتوفي بعد ذلك. وفي حومة البَلَد درب كان يحمل اسمه درب الحلوي، ثم غير إلى درب ابن جلون.

من آخر من عرفنا من هذه الأسرة الحاج محمد الحلوي الملقب (بيگازان) توفي منذ سنوات ولم يعقب.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*. حرف ح نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

الحَلْيُ، زينة من معدن نفيس أو جوهر أو ما أشبه ذلك، ولا ينفصل اللباس عند سائر الشعوب مهما دنا مستواها في سلم التطور عن الزينة والحلي مكمِّلَيْه الرئيسين. لهذا لم يكن أهل المدن والبوادي من سكان المغرب يتخذون الملابس من أجل تغطية الجسم وحمايته من غوائل الطبيعة فحسب، بل كانوا يزينون هذه الملابس نفسها وينمقونها ويوشونها بالطرز والجدائل والهدب والضفائر والمشبوكات والمعلقات، ويجملون ذواتهم بغير ما ذكر من ملاحق اللباس المتنوعة الأخرى وعلى رأسها الحلي والمجوهرات. ولم يكن تجميل الذات باللباس والتحلية مقتصراً على فئة اجتماعية دون أخرى ولا على الإناث دون الذكور ولا الكبار دون الصغار وإن كان الاهتمام به أكبر بالنسبة إلى الفئات الموسرة والإناث والكبار من الأشخاص على الخصوص.

فبالنسبة إلى الذكور كان يسمح لهم في المغرب بارتداء كل أنواع الأثواب باستثناء الحرير والفرو والديباج. لكن التزين بالذهب والفضة كان أمراً محظوراً على العموم على الرغم من أنهما "من أعظم جمال الدنيا" على حد تعبير المقري (*فتح المتعال*، ص. 52) كما كان لبس تيجان الذهب محرما على ملوكهم. ومع ذلك فإن هذه الأوامر والنواهي قليلا ما كانت تطبق وخاصة في صفوف أهل اليسر والثراء فكانوا لا يجدون حرجاً في ارتداء ملابس الحرير والفرو والديباج واتخاذ أردية جلها من الحرير المثقل بخيوط الذهب أو الفضة.

أما عامة الناس فكانت ظروفهم المادية لا تسمح لهم باقتناء الرفيع من الثياب وملحقاتها من الحلي والمجوهرات. لكن الجمهور من الفئات الوسطى كان يتوق مع ذلك إلى امتلاك بعضها مما تسمح به إمكاناته، فكان بعضهم لا يرى مانعاً في لبس الخواتم الفضية والذهبية وتقلد الخناجر و"الكميات" المذهبة أو المفضضة. وكان أكثر الناس جاهاً وغنى من سكان الحواضر والبوادي على السواء، يشدون خصورهم بأحزمة الحرير والزردخان (هو الديباج نفسه بتسمية مغربية) ويمتطون الخيول الفارهة ذات السروج المسَوّمة المطروزة بخيوط الذهب أو الفضة وينتعلون أجود الأحذية ويتقلدون الحقائب الجلدية الرفيعة المطروزة بخيوط الحرير.

أما الإناث فقد أحل الله لهن لباس كل أنواع الأثواب والتزين بكل أشكال الحلي (*صحيح مسلم*، ج 3 ص. 1641) وذلك مادأبت عليه النساء المغربيات منذ عدة قرون حيث كانت المرأة التي لا حلي لها، عند الذكور والإناث كليهما، تعتبر كأنها جسد بدون روح ولو ملكت أروع الملابس وأكثرها أناقة. لهذا لم يكن ارتداء النساء لأجمل الملابس وتخضيب الأيدي والأرجل بالحناء وتنصيع الشفاه والخدود بالسواك والعكار وإبراز سواد العيون والحواجب والرموش بالكحل ووشم الأذقان والصدور والسيقان يعفيهن أبداً من تأنيق ذواتهن وتزيينها بالحلي التي كانت المرأة بواسطتها تذكي جمالها وتصون مالها للأيام العسيرة.

وقد كان الحلي والمجوهرات تصنع في الحواضر على يد صاغة مهرة يتقنون فن تمحيص المعادن وتذويبها وسبكها وتزويقها. وكان أمهر هؤلاء الحرفيين يوجدون في تطوان وفاس ومكناس ويتألفون في معظمهم من اليهود الذين وفدوا على المغرب من الأندلس في فترات مختلفة فحافظوا على استمرار نماذج الحلي الأندلسية في الحواضر الكبرى. وكان أتقنهم للصياغة يصنع قطعا آية في الدقة والجمال مما تداولته نساء الطبقات الاجتماعية العليا، فعلى يدهم كان يسبك الذهب والفضة ومنه كانت تصنع أنواع مختلفة من الحلي منها ما كان مرصعا بالأحجار الكريمة كالماس والياقوت والجوهر واللؤلؤ والزبرجد والزمرد والسفير والصوان والفيروز ومنها ما كان مزخرفا بالأصداف والعقيق والمرجان واللُّبان الأحمر والأخضر والأصفر (يدعى الصُّيَّال باللغة الفصحى). وقد جرت العوائد أن تسود الحُلِي المرصعة لدى الفئات الاجتماعية الموسرة في الحواضر بينما تنتشر الفضية والفضية المذهبة في البوادي والأوساط الحضرية الفقيرة. أما أكثر الناس من ذوي الأحوال المتوسطة في المدن والبوادي على السواء، فكانوا قليلاً ما يتعدون الحلي الفضية والفضية المذهبة أو النحاس المذهب أو المفضض.

وتنقسم الحُلِي المستعملة في المغرب إلى عدة أنواع،

منها ما يوضع على الرأس وهو "التاج" وما يوضع على الجبهة والرقبة والصدر ويدعى الخيط "وخيط اللَّبّة" وما يعلق في الأذنين من الأقراط "الحلقات" وما يلبس في اليدين من الأساور "الدمالج" وما يحيط بالأصابع ويدعى "الخواتم" وما يشد إلى أسافل السيقان ويسمى "الخلاخل".

والتيجان نفسها كانت تنقسم إلى عدة أنواع نذكر منها "التاج المبرج" و"تاج الخمسة" و"تاج البيبان" (التاج الأول مرتفع مثل البرج والثاني تتخلله كف يد من خمسة أصابع والثالث تشبه الأجزاء المتكونة منه شكل أبواب مترصة). وتنقسم الدمالج إلى دمالج "شمس وكمرة" أي أساور من ذهب وفضة، ودمالج "تعصار الصابون" وهي ملتوية تشبه في طياتها ليّ الملابس أو الأثواب المعصورة بعد تصبينها و"الدمالج المخرمة" التي تتخللها أشكال هندسية مخرومة و"الدمالج المفرومة" التي تتخللها عدة فراغات. كما أن أنواع الخواتم التي سادت في المغرب إلى نهاية النصف الأول من القرن العشرين كانت كثيرة لا حصر لها نذكر منها على سبيل المثال "خاتم الطير" و"خاتم التاج" و"خاتم العش" و"خاتم عين الهر" و"الخاتم الغرناطي" و"خاتم الخمسة" و"خاتم القلب" و"خاتم اللوزة" و"خاتم الحجر الحر" و"خاتم المكتوب" الخاتم الأول يتخلله طائر والثاني تاج والثالث عش والرابع عين قط والخامس ينتسب إلى غرناطة والسادس يعلوه كف من خمسة أصابع والسابع قلب والثامن لوزة والتاسع أحد الأحجار الكريمة والعاشر تتخلله كتابة عربية). وتختلف الأقراط بحسب المناطق وبحسب الحجم وتقنيات التزويق، فهي تسمى في فاس "الحلقات" و"العقارس" وفي الرباط "الدوادح" وفي طنجة وأسفي "الخراص" وفي مراكش "المفاتل" وفي بني ملال وتادلا "التواتل" و"الزواهگ".

هذا وتشهد المستندات التاريخية عبر مختلف العصور على أن الحلي في المغرب كان جزءاً لا يتجزأ من هندام الذكور والإناث. فقد كان السلطان عبد المالك السعدي يتقلد خنجراً رفيعاً ويمتطي صهوة جواد سرجُه من قماش مطرز، وكان حاجبه رضوان العلج يرتدي أحسن الملابس ويشد خصره بحزام من فضة. وكان السلطان سيدي محمد ابن عبد الله وابنه الأمير مولاي عبد السلام يرتديان أزهى القفاطين ويضعان على رأسيهما العمائم الموسومة بأشرطة الحرير. أما السلطان مولاي الحسن فكان حزامه من النسيج البلدي المعروف بالزردخان وخاتمه مفضضا بالزمرد أو الياقوت الأحمر أو حجر الماس (*العز والصولة*، ١ : ٥٨) وحين يمر تنبعث منه رائحة عطر عود الصندل وماء زهر الليمون. أما على مستوى المخزن المحلي فلقد رأى الأجانب في بداية القرن العشرين قائد الرحامنة العيادي بن الهاشمي



حفل زفاف أحد أبنائه وهو يرتدي ملابس فاتنة ويضع في أصبعه الخنصر خاتما من ذهب خالص، كما رأوا بعض أعيان الحوز في نفس المناسبة وهم في مثل أناقته وعلى رأسهم القائد المهدي المنبهي.

أما نساء البلاط فكنّ في عهد السلطان مولاي الحسن يلبسن أردية الحرير المنمقة بخيوط الذهب ويتسورن بأصناف رفيعة من الدمالج ويشددن خصورهن بأحزمة مثقلة بالزردخان ويغطين رؤوسهن بالمناديل والسبنيات الحريرية الرفيعة التي تتدلى منها على جباههن قلائد الذهب بالجواهر والأحجار الكريمة. وكانت أخت السلطان المولى عبد الحفيظ تتخذ في أحد أيام زينتها حزاماً من ديباج منمق وتغطي رأسها بمنديل من حرير لامع كانت أطرافه مزينة بقطع ذهبية تتوسطها أحجار كريمة من الزمرد ويعلو قمة رأسها لفيف من ريش النعام ترصعه أحجار الماس، وكانت أذناها مزينتين بأقراط ذهبية ضخمة.

ع. بن الهيثم، *البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط. خ. ع. رقم 2842 ك : إ. بن الماحي. الإدريسي، *إعلان الصناعة الفاسية بهجتها السامية*، فاس، 1938 : جامعة الدول العربية، *معجم اللباس*، الرباط، 1975 : م. بوسلام، *الناكسوتيون*، *معلمة المغرب*، ج 7 ص. 2156 : *التجميل التقليدي*، ص. 2290 : ع. القادر زمامة، *أسماء الحرف المعروفة بفاس*، مجلة *اللسان العربي*، ع 4، السنة 1966 : *فاس وصناعتها التقليدية*، مجلة *كلية الآداب بفاس*، ع 5، السنة 1981 : مهدية الزحيلي، *لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي*. عمان، 1982 : ح. الزيات، *ثياب الوشي*، مجلة *المشرق*، ع 4، يناير - مارس، 1947 ؛ ع. العزيز عمرو، *اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية*، عمان، 1985 ؛ م. الكتاني، *الإعلام ببعض ما يتعلق بالكائنات المحلاة من الأحكام*، مخطوط، خ. ع. رقم 1180 ك ؛ م. بن علي كنون، *كفاية المحتاج في استعمال الحلي والديباج*. مخطوط، خ. ع. رقم 1231 د ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*. جريدة *العلم*، ع 8706، 28 أبريل 1974 ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة*، ج 1 الرباط، 1961 : أ. المقري، *أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة*. مخطوط، خ. ع. رقم 964.

H. Camps - Faber, *L'origine des fibules en Afrique du Nord*, *R.O.M.M.*, n° 13 - 14, 1973 ; *Problèmes posés par l'origine de l'orfevrerie émaillée en Afrique du Nord*, *R.O.M.M.*, n° spécial 1970 ; D. Champault, *La main: ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965 ; A. Francesci, *Costumes et bijoux au Maroc*. *L'œil* n° 294 - 295, Janv.-Févr. 1980 ; M. Chebel, *Le corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984; J. Herber, *La boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocains*, *Hesp.*, vol. 32, 1945 ; *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine*. *Hesp.*, tome 37, 1er - 2ème trim. 1950 ; *La main de Fathma*, *Hesp.*, 1927, fasc. unique ; J. Besancenot, *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953 ; J. Gabus, *Sahara bijoux et techniques*, Neuchâtel, 1982 ; M. Mensia, *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976 ; L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile*, *R.M.M.*, vol. 4, 1908 ; J.P. Bernes et J. Alain, *Arts et objets du Maroc*, *céramique, bijoux, armes*, *ABC Décor*, n° hors série, mars 1974 ; Paul Eudel, *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906 ; J. Meunié, *Bijoux et bijoutiers du sud marocain*, *C.A.T.A.N.*, vol. 6, 1961 ; N. Khatib Boujibar, *Bijoux et parures du Maroc*, Casablanca, 1974 ; Samira Sethom, *Une paire de fibule marocaine*. *Cahiers des Arts et Traditions populaires* n° 4, 1971 ; A.M. Laurel et P. Marçais, *Les coiffures à Tindouf*, *Travaux de l'Institut de Recherche Saharienne* n° 12, 1954 ; J. Buttin, *Les poignards et les sabres marocains*, *Hesp.*, vol. 26, 1936 ; P. De Vigy, *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès*, *Hesp.*, 1923, fasc. unique 2ème trim. ; *Les sabres marocains*. *Hesp.*, 1924, 1er trim. ; M. R. Rabate, *Les bijoux de l'Atlas et du Sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972 ; L. Belhomme, *Les armes dans le Sous occidental*, *A.B.*, vol. 2, fasc. 2, 1917 , A.Delpy, *Les divers types de poignards marocains*. *C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960 , H Cluzot, *Les bijoux indigènes au Maroc*, Paris, 1906 ; J. Goudard, *Bijoux d'argent de la tâche de Taza*, *Hesp.*, vol. 8, 1928 ; A. Ruhlmann, *Moules à bijoux d'origine musulmane*, *Hesp.*, vol. 21, 1935, fasc. 1 et 2 ; H. Terrasse, *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain*, *Hesp.*, vol. 11, 1930 ; J. Devillette, *La collection de bijoux de la région de Taza au musée de l'homme*, *Hesp.*, vol 1, 1960, fasc. 2 ; *Bijoux*, *E.B.*, *10*, *p. 1496*, *B.E.S.M.*, vol. 17 n° 59, 3ème trim. 1953 ; A. Pignol; *Costumes et parures dans le monde arabe*, Paris, 1987 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris 1938 ; D. Rouach, *Bijoux berbères au Maroc*. Paris, 1989 ; M. Othmani (et al.), *Tizerzaï, la fibule au Maroc*, Milan, 1987; A. Joly, *L'industrie à Tétouan*, *A.M.*, tome 11, 1907 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Rabat, 1920.

محمد بوسلام

ابن حليمة (أولاد -) أسرة شريفة تنتسب إلى القطب عبد السلام بن مشيش من ولده محمد، موطنها الأصلي مدشر أدياز الواقع في تراب الحرم العلمي على السفح الغربي من جبل العلم عند المقطع في قبيلة بني ليث. وقد وصف ابن زاكور أولاد ابن حليمة بأهل الأرومة الكريمة، هاجر بعضهم إلى خميس آل سريف وتطوان،وإلى فرّ في قبيلة جبل حبيب ومنكال من بين بدر. ويظهر أن أولاد ابن حليمة حسب مدونات الأنساب لم يشكلوا من الناحية الديموغرافية كثرة كما هو الشأن بالنسبة لأولاد ابن عبد الوهاب، ذكر منهم ابن رحمون ثلاث دور في الوقت الذي بلغ فيه عدد دور الأشراف العبد السلاميين مائتين وعشرين داراً كانت تتقاسم هدايا الضريح في حدود عام 1104 / 1693. وفي ديوان محمد بن الصادق ابن ريسون بلغ عدد دور أولاد ابن حليمة ثماني عشرة داراً موزعة على المواطن المذكورة وذلك في حدود عام 1191 / 1777. وكان من وجهاء أولاد ابن حليمة في ذلك العهد الحاج العربي بن الطاهر بمدشر أدياز وأخوه الطيب بفر بجبل حبيب وكانا مبجلين معظمين في منطقة جبالة. وانظر ما علاقة آل ابن حليمة المكناسيين بهزلا، العلميين.

التهامي ابن رحمون، *شذور الذهب في خير نسب*. مخطوط. خ. ع. الرباط، رقم 1484 د. ص. 182-184 ؛ م. بن الصادق ابن

ريسون، الاستشنا من الألم في التلذذ بصاحب العلم، مخطوط، خ. س رقم 3585، ص. 15.

محمد عمراني

الحمادات (أو لحمادات)، هضاب صحراوية تمتد في المجال جنوب الأطلس من المغرب الذي يمثل قاعدة قديمة تنتمي للدرع الإفريقي. وهي مجال حيث سطح الأرض لم يعرف إلا تشوهات ضعيفة المدى وممتدة على آفاق واسعة.

تظهر القاعدة القديمة جدا في تحدبات واسعة، تعرضت للتعرية والإزالة، مما سخر تنوع سطحها إلى أعراف صخرية ومنخفضات.

كل هذه البنية المعقدة تختفي تحت الغطاءات الحديثة للحمادات في الساقية الحمراء - تندوف - في الجنوب الغربي، ودرعة في الوسط، ثم گير وبودنيب في الشرق.

والحمادات هضاب رتيبة تمتد على مساحات شاسعة، تغلفها طبقة كربوناتية تنتمي لأجيال متعددة. جلها وأوسعها الهضاب المنتمية لنهاية الزمن الثالث. إلا أن بعضها مثل گمگم مسكي والعيون تنتمي للطباشيري. مما يعطي هضاب متدرجة يعلو بعضها بعضا.

ترسم هضبتا مسكي (شمالا عند قدم الأطلس الكبير) وگمگم جنوبا، جانبي محدب واسع مفرغ يحتله سهل تافيلالت. ففي هضبة مسكي تميل طبقات الطباشيري نحو الشمال ابتداء من الحافة المطلة على تافيلالت والتي يخترقها واد زيز. بينما تميل هضبة گمگم نحو الجنوب الشرقي وتغطي أجزاء، منها شرقا حمادة گير، وغربا حمادة درعة وتشرف حافتها المتقطعة على النهاية الجنوبية لتافيلالت في منطقة الطاوس.

أما حمادة الگير فهي مشرفة شرقا على كل هذه التضاريس، إذ تغطي هضبة مسكي شمالا على ارتفاع 1100 م وتمثل النهاية الشرقية لتافيلالت، وتعلو أخيرا هضبة گمگم جنوبا، إلى أن تنتهي في أقصى جنوبها في حوض الداورا على ارتفاع 550 م. وهي مكسوة بطبقة كلسية من نهاية الثلاثي، تتوسطها عدة ضايات ومنخفضات مفرغة.

نحو الجنوب الشرقي تنتهي هذه الحمادات عند أعراف بارزة وسط منخفضات طولية، تمتد جنوبا في منطقة تندوف وموريتانيا.

جفاف المناخ يفسر خصوصية الأشكال : وضوح الاجراف الصخرية وتجزؤها الشديد، انحدار تدريجي عند أقدام الحافات، تعدد المنخفضات المغلقة عند السطوح.

وينعدم الجريان فوق سطح الحمادات، رغم انتظام أودية قديمة جافة في إطار أحواض كبرى مستقلة (أودية تتجه إلى العرق الكبير الغربي والساورا، أودية ضمن حوض الداورا، وأخرى نحو حوض تندوف). إلا أن تناقص تغذية هذه الأودية أدى إلى تدهور جريانها. وتمثل الضايات مجالات تلعب دورا هاما، حيث تنتظم فيها دوائر نباتية مختلفة الظروف، تتمثل في وسط تربته من الدقة والطين، تغمره المياه في بعض المراحل الرطبة، وحواشي عناصرها خشنة، تشرف عليها سفوح صخرية.

ويمكن التفريق بين نوعين من السطوح. فهناك حمادات مستوية كهضبة الگير، وهضبة درا، وهي موافقة لطبقة كلسية تتفكك إلى رق فتاتي وتتوسطها حويضات. وهناك الحمادات المتقطعة إلى أودية معمقة، تجزئها إلى متون وعناصر. وهو حال هضبة گمگم وحمادة مسكي بجوار واد زيز، وكذلك حال هضاب گير ودرعة في أجزائها القريبة من الحافة، أي في مجال إشرافها على السهول المجاورة، كسهل تافيلالت، أو شريط سهل درا.

تلك الحافة التي تحد الحمادة، عبارة عن شكل طبغرافي وعر، به افريز صخري كلسي، يطل على منحدر في صخور فتاتية. وتتجزأ الحافة إلى بروزات وثغران، وتتقدمها أكمات شاهدة. ويختلف ارتفاعها النسبي ويمثل في كثير من الحالات حاجزا طبيعيا لعب دور حدود بشرية حقيقية. ويمكن في كثير من المواقع أن يعتبر الحد الفاصل بين الصحراء، (على هضبة الحمادة) ومقدمتها الشمالية الممتدة في سهول ما قبل الأطلس.

تحريات ميدانية.

عبد الله العوينة

حمادشة أو الزاوية الحمدوشية نسبة إلى الشيخ علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون آتي الترجمة. وقد أسس مريدوه عدة فروع لزواياهم عبر مناطق المغرب، وطبعا فإن لكل فرع إيقاعه وطريقته في إنشاد القصائد والأذكار التي هي في غالب الأحيان تضرع إلى الله تعالى.

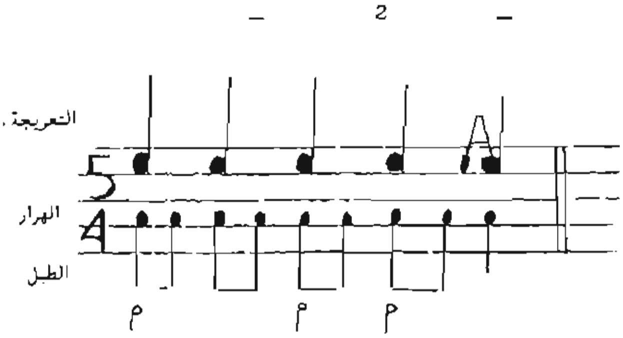
وطائفة حمادشة هاته قسمان : هناك مريدو الشيخ علي ابن حمدوش، وهناك أصحاب مريده أحمد الدغوغي وهم المشهورون بضرب رؤوسهم بالشواقير والمقدات مما حدا ببعض العلماء، إلى استنكار صنيعهم.

تحتفل الزاوية الحمدوشية ببعض المناسبات خلال السنة كالإسراء والمعراج وسابع عيد المولد النبوي. ويعتبر موسم مدينة زرهون موسماً رئيسياً للطريقة الحمدوشية. أما المدن الأخرى فيتفق المريدون فيها على أوقات مختلفة حتى تتمكن وفود المدن من تبادل الزيارات.

وبخصوص الموسم الرئيسي لمدينة زرهون ينطلق خدام الزاوية بالطواف في أماكن معينة من شوارع المدينة حاملين الأعلام المختلفة الألوان تحت قيادة مقدم الزاوية الذي يقوم بتنسيق الحضرة، وأثناء الطواف يقودون الذبيحة التي تكون عبارة عن ثور ويجمعون الهبات والتبرعات (الفتوحات) ثم يقومون بذبح ذلك الثور على نغمات الموسيقى طبعا ويقضي هؤلاء المريدون ثلاثة أيام في ضيافة أصحاب الزاوية.

وأما الحضرة الحمدوشية فهي ممارسة طقوس الذكر والموسيقى والجذبة وهي عند حمادشة تمر عبر أربع مراحل :

- تبدأ الحضرة أولاً بقراءة الأوراد : من الاستغفار، والأمداح النبوية، وذكر الجلالة، ثم يأتي حزب الشيخ ابن حمدوش الذي يبتدئ بالصلاة على النبي عليه السلام وينتهي باللهم صل على كل الأنبياء صلاة كاملة عالية. ثم الأذكار. وتبدأ مرحلة الحضرة، وهي الجذبة التي تستوجب آلة النفخ والطارة والهراز والطبل، ويبدأ بعض الأشخاص بالتمايل والانحناء. ومن حيث المقامات نجدها مثل نظيرتها في موسيقى الآلة... أما الإيقاعات فالغالب هو إيقاع 5/4 الذي يتحول إلى ميزان سريع گباحي وكذلك ميزان القائم ونصف، ويضبط الهراز الإيقاع كما يتضح من خلال التوزيع الموسيقي :



ونظراً للتطور الحاصل في الحياة اليومية اختلف نهج هذه الطريقة حسب المريدين أو حسب خصائص بعض المدن، فمثلا جرت العادة بالزاوية الحمدوشية بمدينة أسفي أن يجتمع مريدوها يوم الجمعة للذكر وتلاوة حزب الشيخ وممارسة الحضرة لكن التطور الذي حصل في الحياة اليومية فرض اجتماع المريدين فقط يوم الأحد وفيه تتم كل طقوس الزاوية. وخلال السنة تحتفل الزاوية بهذه المدينة يوم الإسراء والمعراج. وفي اليوم السابع الذي يلي عيد المولد النبوي تنظم الزاوية موسمها السنوي الذي لا يختلف في جوهره عن الموسم الرئيسي الذي تخلده مدينة زرهون وينظم هذا الموسم بتنسيق مع الزوايا الحمدوشية في منطقة تانسيفت.

وطبعا فإن مدينة أسفي كسائر المدن المغربية شهدت استقرار هذه الزاوية، وتطورت فيها الطريقة الحمدوشية بصفة مختلفة عن سائر المدن المغربية حيث نظمت سواكن خاصة بهذه المدينة تدعى "سواكن لبلاد" أما باقي السواكن المتعارف عليها في جميع أنحاء المغرب فتعرف بالسواكن الغرباوية نسبة إلى مدينة زرهون. وسواكن لبلاد هذه شبيهة بوصلة أندلسية حيث تبتدئ بطيئة ثم تأخذ في السرعة نحو الانصراف. وهذه السواكن عبارة عن اثنين فقط وحينما تكون الفرقة الحمدوشية الأسفية في مدينة أخرى فإنها لا تشتغل سوى بالسواكن الغرباوية وتنسب هذه السواكن إلى إخوة يدعون "أولاد باگاز" كانوا في جوق الموسيقى الأندلسية أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ونظموا هذه السواكن على شكل وصلات أندلسية أصبحت طبوعاً مشهورة في هذه المدينة وتطورت على يد المرحوم "عبد القادر البخاري" ومازالت حتى يومنا هذا تتداول بين الشباب.

ومن خصوصيات هذه الزاوية أيضاً طريقة الحضرة فهي تنقسم عندهم إلى ثلاث مراحل : الذكر : القصيدة أو "لوناسة"، العيطة : بواسطة الگوال، بداية الساكن بالغيطة بشكل بطيء.

هكذا تطورت طقوس الحمدوشية. ونشير في الأخير إلى أن عدد المريدين بدأ يقل في العقود الأخيرة.

ع. الهادي التازي، *دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي*، *المناهل*، 1986، ص. 207-222 ؛ *استجوابات محلية ووطنية مع فرق حمادشة في مختلف الزوايا* ؛ *معاينات ودراسات ميدانية*.

A. Aydoun, *Musiques du Maroc*, Casablanca, 1992.

رگوگ علال

ابن **حَمادُوش، عبد الرزاق** بن محمد بن محمد الدباغ الحسني الجزائري، الفقيه المؤرخ النسابة المؤقت المتطبب الحيسوبي المشارك، ولد بالجزائر عام 1107 / 1695 وأسرته تعرف بأولاد الدباغ، وعاش طفولته بها وعانى من الضيق والفقر الكثير، وتزوج مرتين ولم يوفق ففارقته زوجه وأمه وأخوه. أما أبوه فتوفي وهو صغير جداً.

كان ميله للتعلم قوياً إلا أنه لم يستطع التفرغ له مع السعي في طلب المعاش والسفر للتجارة وعدم مفارقة الكتب كما قال في *رحلته*.

تلقى دراسته الأولى بالجزائر على مشايخ وقته كالمفتي محمد بن نيكرو، والقاضي مصطفى بن رمضان العنابي والقاضي الأديب محمد بن ميمون. ورحل إلى المغرب مراراً ولا سيما تطوان للتجارة والدراسة واستوطنها مدة، وقدم فاساً ومكناسة، وأخذ بفاس عن الشيخ أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي، والطبيب عبد الوهاب أدراق، أخذ عن الأول علم المنطق ولازمه لذلك بداره إلى أن توفي مطعوناً فحضر جنازته ورثاه بقصيدة وكان مدحه قبل ذلك برائية قرأها خَجلاً، وأطراه إطراء بالغاً، ووصف جنازته وازدحام الناس عليه وكسرهم لنعشه للتبرك ورؤياه له في المنام، ولما فاته أن يستجيزه ندم على ذلك وكتب صورة إجازة بما قرأ عليه وطلب من قاضي فاس عبد القادر بوخريص أن يشهد بصحة ما كتب فأسعفه وكتب وأثبت نص الشهادة فكان هذا من غرائب ما يُسمع ! وتلقى عن الطبيب أدراق مبادئ الطب ومدحه بلامية ألقاها عليه ووصف مجلسه ووضه الملوكي، وإصابته بمجلسه بالحمى النافض وقيامه لبيته ونظمه سينية يصف فيها حاله ويستدعي العلاج، فقبلها

منه وأسعفه، كما لقي بها محمد القسنطيني الذي قيل له إنه عالم بالتنجيم فلما ذاكره فيه وجده جاهلا ففارقه.

أما تطوان فقد وصف جوها وأهلها وأخلاقهم وعوائدهم في الاعياد وغيرها وما لقي من سوء تصرف أعوان الباشا أحمد بن علي الريفي في أخذهم المكس على سلعه التي كان يقدم بها إلى تطوان للتجارة، وتكرر قدومه إليها فكان بها عام 1145 وعام 1156 وحج قبل ذلك عام 1130 براً عبر تونس، ودخل مصر ومكث بالإسكندرية ورشيد. وقد يكون حج مرة أخرى إلا أنه لم يتحدث عن حجه ومن لقي في وجهته تلك ولعل هذا فيما ضاع من *رحلته*.

أخذ بتطوان عن المشايخ : مَحمد بناني وأحمد السرايري - وكان ينزل بفندقه - وأحمد الورزازي ولازمه، ولعله صحبه في رحلته للجزائر حيث نراه ملازماً له هناك لا يفارق مجالسه للقراءة والمقابلة والمعارضة.

أفاض ابن حمادوش في وصف الحياة العلمية بتطوان والمدرسين والكتب والعلوم وطريقة تدريسها وما قرأه منها ولم يجد بها عناية بالطب والفلك، وما كان يتعاناه من النظم والنسخ، وكيف استجاز علماءها وإجازاتهم له، ونصوص الإجازات. وذكر قصيدة لامية مدح بها بناني، ونظمُه كله نازل بارد مختل الوزن، وأملى عليه شيخه بناني *فهرسته* كلها فأثبتها، كما أتى *بمقامتين* من إنشائه بطريقة السجع الهابط المتكلف. وكان في أثناء إقامته بتطوان يسافر إلى فاس والجزائر وغيرهما ثم يعود. فقد نالته محنة بفاس نجا فيها بنفسه في أعقاب ثورة الباشا أحمد بن علي الريفي التي وصفها المترجم له وصف مشاهد لها وما آلت إليه حاله من مقتله وتشريد جموعه والاستيلاء على غنائمه وأسلابه وسلاحه، وقد نظم قصيدتين في مدح السلطان مولاي عبد الله وأخرى في تهنئته بالنصر على أخيه مولاي المستضيء، وصاحبه الثائر الريفي، إلا أن القصيدتين لم تصلا إليه لغلظ حجابه فيما قال، وقال مرة أخرى : أغناني الله عن لُقياه، ولعل السبب الحقيقي ركاكة النظم وكثرة الأخطاء والخلل كما نرى في النصوص المثبتة.

وعاد مرة إلى تطوان فوجد شيخه السرايري توفي فرثاه، واستأنف الدرس والنسخ وأخذ يقرأ التوقيت مع الطلبة، وجرى له مع طالب مكناسي اسمه عبد الله الجنان ما أوجب وصفه بأنه من شرار الطلبة، ولم يكتف بذلك حتى نظم قصيدة في هجاء الطالب ومدح تطوان. ثم ذكر قصيدتين في الحنين إلى أهله، ووصف حاله، وتعرض لبيان ما كان يتجر به من بضائع وسلع. وأعاد الشكوى من أصحاب المكس في مرسى مرتيل بتطوان وبالجزائر وسوء معاملتهم، وكيف كان يتهرب من أداء المكس، وأفاض في وصف مشاكله العائلية.

والرجل في دراسته العلمية كان يعتمد على التجربة والملاحظة، وهذا من محاسنه، فيقف بنفسه على الحشائش والأعشاب، ويلاحظ التربة والهواء. ويفاوض العشابين في ذلك، وقد سجل نتائج دراساته في هذا الميدان في كتابه *كشف الرموز* الذي طبع قديما بالجزائر والمغرب والذي هو الباب الرابع من كتابه الكبير *الجوهر المكنون من بحر القانون* أي قانون ابن سينا، وقد تُرجم كشف الرموز إلى الفرنسية وأثنى عليه المختصون في فنه. كما درس كتاب عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي في (البونبة) أي القنبلة وصنع المتفجرات وما يلزم لذلك من بارود وغيره، وحاول صنع ذلك وتحديد مسافة انطلاق القنبلة، ووزنها وتدرَّب على ذلك عمليا.

ألف المترجم له تآليف كثيرة في مختلف العلوم التي درسها علاوة على العلوم الشرعية، فألف في الهندسة والمساحة والطب والفلك والموسيقى وعلم البحر ويسميه (علم البلوط) ولم يبق من هذه المؤلفات - فيما نعلم - إلاّ جزء من رحلته المسماة *لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال* ؛ وكتاب *كشف الرموز*، والجزء الباقي من رحلته هو الجزء الثاني أو بقيته، ذلك أن النسخة الموجودة منه وهي أصل المؤلف بخطه عبارة عن كناش مختلط أو كشكول ضم أخباراً وحكايات وتراجم وإحصاءات وألغازاً وأدعية وعقوداً عدلية وأنباء عن حكام الجزائر الأتراك، والخلفاء العباسيين، وأتى على ذكر *فهرسة* أحمد بن مصطفى الصباغ الإسكندري التي ناولها مؤلفها إياه لروايتها ونسخها، وغير ذلك، ووقعت النسخة للشيخ عبد الحي الكتاني الذي كان أول من لفت إليها النظر واستفاد مما تضمنته من إجازات وأسانيد، ووقف على النسخة نفسها في الخزانة الكتانية بفاس الأستاذ محمد داود ونقل منها ما يتعلق بثورة الريفي.

هذا والرجل معجب بنفسه، يزعم تحقيق هذه العلوم فتراه يقول في علم البحر وأحواله ومسالكه : "إن يدي صَحت في هذا العلم"، وقال عن كتابه *الجوهر المكنون* : "إنه كتاب جليل يتوشح به الأصاغر ولا تمجه الأكابر"، ووضَع خريطة في مهاب الرياح وأخرى في صورة الأرض قال عنها: "لم أسبق إليها" متناسياً عمل الشريف الإدريسي السبتي قبله بزمان، وكل هذا في عبارة عامية تقريباً يتخللها لحن وخطأ كثير.

ويلاحظ أن الرجل كان معاصراً للأديب الرحالة ابن عمار، والشريف الرحالة الورثلاني ولكل منهما رحلة مطبوعة وللعلامة ابن المفتي، ولم يشر إليه أحد منهم ولا أجرى له ذكراً.

ويظهر أن ابن حادوش عُمِّر إلى ما بعد عام 1168 / 1754 وتوفي في تاريخ ومكان مجهولين.

ابن حمادوش نفسه، *لسان المقال*، تح. سعد الله، ط. الجزائر، الكتاب كله ؛ م. داود، تاريخ *تطوان*، 2 : 224، ط. تطوان ؛ سعد الله، *تاريخ الجزائر*، 2 : 438 ؛ عادل نويهض، *معجم أعلام الجزائر*، ص. 92، ط. أولى بيروت ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 362، ط. المغرب.

محمد بوخبزة

الحمار، حيوان داجن من الحافريات ومن رتبة مفردات الأصابع Perissodactyles ومن فصيلة الخيليات يسمى علميا Equus asinus وبالفرنسية Ane domestique وبالأنجليزية Domestic ass وبالبربرية أغيول. يضرب به المثل في البلادة وقلة الفهم. تسمى أنثاه حمارة وأتان، وصغيره جحش، وصوته نهيق.

ينحدر الحمار الأهلي من سلالتين موطنهما الأصلي القارة الافريقية :

- الحمار الوحشي الإفريقي Equus asinus africanus يسمى Ane sauvage de Nubie كان يعيش في شمال إفريقيا وقد دجنت جميع أفراده مما أدى إلى انقراضه.

- الحمار الوحشي الصومالي Aquus asinus somalicus يعيش في إفريقيا الجنوبية الشرقية ولم يبق منه إلا حوالي مائتي فرد تعيش متوحشة في ضواحي الصومال وإثيوبيا، ومطاردته لأجل تدجينه جعلت منه حيوانا في حالة الانقراض.

يعتبر السومريون أول من قام بترويض وتربية الحمار الوحشي، ويرجع ذلك إلى 8000 سنة قبل الميلاد. والحمار الأهلي الذي نعرفه اليوم هو نتيجة لقاح بين مختلف السلالات الإفريقية تمت عبر آلاف السنين. فَقُدْرَتُه على تحمل الأعمال الشاقة في البادية وفي الجبال جعلت منه حيوانا نافعا للإنسان استعمله للحمل والجر. وما يزال الحمار يلعب دوراً هاماً في حياة المغربي سواء في القرى أو في بعض المدن.

يتميز الحمار بأذنين طويلتين ورأس طويل مستطيل وعينين كبيرتين محميتين بجفون ذات أهداب متفاوتة. يتوفر الفم على شفتين متحركتين لحيمتين، ويبلغ عدد أسنانه أربعين سنا صيغتها كالتالي :

3/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/3 أضراس أمامية، 3/3 أضراس. توجد بين الأنياب والأضراس فجوة فارغة من الأسنان تسمى بالحاجر توضع فيها الشكيمة كما هو الشأن بالنسبة للبغل والفرس. عنقه أهيف يعلوه عرف من الشعر الغزير لا يسقط جانبيا كعرف الفرس. تنتهي قوائمه بحافر واحد يقوم مقام مخالب الأصابع. طوله عند الغارب لا يتعدى 1,15 متر ومعدل وزنه مائة كلغ ونادراً ما يصل إلى مائتين وستين كلغ. عدد صبغاته اثنان وستون.

يرتكز غذاؤه أساسا على العشب والتبن والشعير، فتقتلع القواطع العشب وتقوم الأضراس بمضغه، وهو حيوان غير مجتر. يشرب قليلا مما جعله يتحمل العيش في مختلف الأماكن الحارة منها والرطبة. تلد الأنثى صغيراً واحداً وتدوم مدة الحمل بين ثلاثمائة وأربعين وثلاثمائة وخمسة وثمانين يوما، وتصير الأنثى بالغة بعد سنتين والذكر بعد خمس سنوات، ويعمر سبعاً وثلاثين سنة. ويبقى بالنظر للخدمات التي يسديها للإنسان ولضآلة تكلفة تربيته مطلوبا في البادية. ويتراوح عدد الحمير بالمغرب خلال العشرين سنة الأخيرة ما بين 000 710 و910.000 رأس تستعمل في الفلاحة ونقل البضائع والأسفار وجر العربات الصغيرة.

تهتم مرابط الخيول الوطنية بالمغرب بتربية أجود فحول الحمير وتستورد من فرنسا وإسبانيا لرفع مستوى تهجين وإنتاج البغال. ويُوجد الآن في حيزها حوالي مائتي رأس من الفحول توضع بالمجان رهن إشارة المربين بمحطات تجويد نسل الخيول.

م. الشهابي، *معجم الشهابي*، بيروت، 1988.

H. Benjelloun, *Conditions d'utilisation des équidés dans le milieu urbain : cas de la médina de Fès*. Th. Doct. vétérinaire I.A.V. Hassan II, Rabat, 1990.

مصطفى بعرف

* *

الحمار من الناحية التاريخية يعتبر أكثر الدواب انتشاراً بالمغرب سواء في العصر الوسيط أو في الوقت الحاضر لتعدد استعماله واستغلاله وصبره وقلة تكاليفه ورخص ثمنه. فقد استخدم منذ ذلك العهد إلى اليوم للركوب والنقل والأشغال الفلاحية وأشغال البناء إلى غير ذلك، وهو من الحيوانات الأليفة الصالحة لكل زمان ومكان ولكل الأشغال (*Tableau Géographique*). لكنه رغم تعدد منافعه ظلّ محتقراً من الإنسان دون أن يكون لذلك مبرر أو سبب معقول، فالحمار يضرب به المثل في الغباء وعدم الفهم إلى غير ذلك من الصفات والنعوت القبيحة.

استخدم المغاربة الحمير للركوب ونقل البضائع واستغلوها بكثرة في الأشغال الفلاحية : (الحرث والدرس ونقل المحاصيل والسقي وادارة النواعير (*التشوف*، 172) (*وصف إفريقيا*، 1 : 77) (*قبض العباب*، 50)، وفي استخراج المعادن ونقلها. كما استخدمها الصيادون في نقل الأسماك والشباك وكل اشغال المراسي، واستخدمها الدباغون وسائر الحرفيين في نقل الجلود الخام والمدبوغة ونقل ما يحتاجه الصناع من مواد أولية ؛ وبصفة عامة فإن الحرف المختلفة والصناعات التي كانت معروفة في العصر الوسيط اعتمدت بشكل يكاد يكون كليا على الحمير، وحتى إذا نقلت بعض المواد على ظهور الجمال أو وصلت عن طريق القوافل إلى المدن والقرى، فإن الحمير هي المؤهلة لنقلها وتوزيعها داخل المدن والمداشر ؛ ورغم سهولة تربية الحمير وقلة تكاليفها وصبرها وصلابتها فإن إنتاج الحمير وتربيتها تراجع كثيراً أواخر العصر الوسيط حتى إن الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (1 : 77 . 230 . 253 . 287) قدم لنا خارطة تقريبية للتوزيع الجغرافي للحمير في المغرب ولاحظ رداءة الأنواع الموجودة وقلتها.

استخدمت الحمير أيضاً في إنتاج البغال وفي التشهير ببعض المتمردين والمجرمين الذين يُرغمون على ركوب أنواع

قصيرة منها دون سرج أو بردعة فتتدلى أرجلهم حتى تثير الغبار ؛ ويطاف بهم في الأزقة والدروب بشكل يحمل على السخرية، وأحياناً تستخدم الحمير لحمل الأقفاص التي يسجن بداخلها المجرمون ويطاف بهم في الأسواق، لكن ذلك كان أواخر العصر الوسيط وفي العصور اللاحقة ؛ أما في العصر الوسيط الأوسط فلم يكن ركوب الحمير يثير أدنى شعور بالنقص، واستخدمت الحمير لتأدية عمل لا يستطيع غيرها من الدواب القيام به وهو بناء الأسوار ونقل مواد البناء إلى أعلى مستوياتها في أعلى السور. وفي العصور اللاحقة استخدمت لنقل الأسلحة والذخيرة بين مختلف الأبراج وتوزيعها عليها على طول الأسوار.

لم تتحدث المصادر الوسيطية إلا عن نوعين من الحمير في المغرب :

- الحمير الكبيرة الضخمة الشبيهة بالبغال وهي في الغالب الأعم متأصلة من الحمير المصرية (*أحسن التقاسيم*، 238) (*Quid*, 78) (*وصف إفريقيا*، 2 : 12).

- الحمير الصغيرة الحجم والخفيفة، وهي ولاشك النوع المحلي الجبلي، فرغم صغر حجمها أُعجب بها الحسن الوزان وبسرعتها وتسلقها للمسالك الجبلية (*وصف إفريقيا*، 1 : 77) أما باقي الإشارات خلال العصر الوسيط الأوسط والأدنى، فإنها ترد مقرونة في الغالب بكرامات الأولياء والمتصوفة وغالباً ما تكون بركة هؤلاء سبباً في إفلات حمير زوارهم من افتراس الأسد، وحمايتها من الأذى (*التشوف*، 202 - 252) (*أنس الفقير*، 25 - 26).

تعتبر الحمير أكثر الحيوانات عرضة للأوبئة وخاصة وباء الطاعون والحروب ولافتراس الحيوانات المتوحشة، مما جعل أعدادها تتذبذب بين الكثرة في أوقات السلم والسنوات الخصبة، والقلة في أيام الحروب والسنوات العجاف ؛ ولذلك كان قانون العرض والطلب هو المتحكم في اتساع انتشارها أو تقلصه، فغلاء الخيول والبغال مثلاً يجعل الطلب على الحمير يرتفع وتصبح الحمير من دواب الركوب حتى في الأوساط التي كانت تأنف من امتلاكها وركوبها.

أما مناطق إنتاج الحمير الجيدة المعدة للتصدير فهي محدودة جداً لم ترد إلا إشارات معدودة عنها في العصر الوسيط الأعلى والأوسط وهي منطقة وجدة (*التشوف*، 202 - 252 ؛ *أنس الفقير*، 25 - 26 ؛ *وصف إفريقيا*، 2 : 12 ؛ *احسن التقاسم*) بعكس مناطق الإنتاج المحلي الموجه للداخل فكثير لكنه رديء لا يرقى إلى مستوى التصدير، ويعود عدم اهتمام المصادر الوسيطية بما في ذلك المصادر المتخصصة - مثل كتب الفلاحة والبيطرة وكتب الحيوان بهذا النوع من الدواب إلى وجود خلفية الاحتقار المومإ إليها عند الكتاب.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ أ. ابن قنفذ القسمطي، *أنس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ المقدسي، *احسن التقاسيم*، ليدن، 1957 ؛ ابن الحاج، *فيض العباب*، الرباط، 1984 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، مرقون كلية الآداب، الرباط، 1988.

R. Mauny, *Tableau géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age*, Dakar, 1966 ; D. et M. Fremy, *Encyclopédie "Quid"*, 1978 ; G. Dez, *La Grece et l'Orient*, Paris, 1964.

محمد حجاج الطويل

الحَمَام، جنس طيور برية عرفها الإنسان منذ أقدم العصور وحاول تدجينها. تنتمي إلى رتبة وفصيلة الحماميات Columbiformes Columbidae يفوق عدد أنواعها 300 في العالم، منها ثلاثة أنواع تعيش وتبيض في المغرب. وتعدّ من الطرائد المفضلة لدى الصيادين للذة لحمها.

يتوفر الحمام على أجنحة طويلة مسننة وعضلات صدرية قوية ومتطورة تمكنه من قطع مسافات طويلة بفضل مقاومته وسرعته وحاسته التوجيهية الحادة. إنه من الطيور القواطع يتغذى من حبوب المحصولات الزراعية يلتقطها بمنقاره القصير المخروطي. قوائمه قصيرة حمراء، وذيله متوسط الطول.

يسمى الحمام الطوراني أو الطرآني علميا Columba livia وبالفرنسية Pigeon biset وبالانجليزية Rock dove وفي مصر الحمام الأزرق وبالبربرية في المغرب أزضُوض وأزيضوض وئزْضاض. لا يتعدى طوله 33 سم وبسطة جناحيه 60 - 63 سم وطول الجناح 22 سم وطول الذيل 12 سم ويزن حوالي 300 غرام. يتميز عن باقي أنواع الحمام ببقعة بيضاء مثلثة الشكل في مؤخرة الظهر وبخطين عريضين من الريش الأسود في مؤخرة الجناحين. الظهر والرأس والعنق رمادية مزرقة خضراء اللمعان على جوانب العنق. المنقار أسود، البطن رمادي.

يألف المغاور والأماكن الصخرية بأعالي الجبال وبالسواحل فيتخذها مسكنا له ينام فيها ويستريح وسط النهار. يتوالد عدة مرات في السنة ما بين فبراير وأكتوبر ويلد في كل مرة بيضة أو بيضتين ملساوين لامعتين يبلغ قطر الواحدة 39 x 29 ملم تحضنها الأنثى 17 - 19 يوما وتبقى الصغار داخل العش ما بين 30 - 35 يوما يطعمها الأبوان في البداية بسائل أبيض يُفرز من الحوصلة وبعد أسبوع تأكل الحبوب والحشرات الصغيرة.

يألف الحمام المدن، وكثيراً ما يتخذ صوامع المساجد والكنائس مسكنا له. يقتصر توزيعه الجغرافي على إفريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية وآسيا الغربية، وغالبا ما يعيش وسط مجموعات يفوق عددها مائة فرد.

ينحدر من هذا النوع الحمام الأهلي الذي عرف عبر التاريخ تهجينات عديدة أدت إلى عدة سلالات مختلفة الألوان والأشكال، أشهرها سلالة الحمام الزاجل Pigeon volant - voyageur = Columba tabellaria الذي كان يستعمل لنقل الرسائل.

بُرِبِّي الحمام لأكل لحمه ويستعمل في بعض النوادي التي تنظم مسابقات في الرمي بالرصاص على الحمام.

الحمام البري أو اليمام هو النوع الثاني ويسمى علميا Columba œnas وبالفرنسية Pigeon colombin وبالانجليزية Stock dove وبالبربرية أتْبير ثتبيرن وتاتبيرت للأنثى، وتطلق هذه الأسماء أيضاً على الحمام الأهلي. لا يتعدى طوله 34 سم وبسطة جناحيه 69 ـ 72 سم وطول الجناح 23 سم وطول الذيل 14 سم ويزن حوالي 300 غرام. يختلف عن الحمام الطرآني في منقاره الأصفر وفي عدم وجود البقعة البيضاء على ظهره.

يألف الغابات والأشجار الكثيفة والبساتين ويبني عشه بين شقوق الجدران والصخور وأحيانا في الحفر الموجود في جذوع الأشجار. يتوالد ابتداء من شهر مارس وكثيراً ما يلد 3 مرات في السنة. تضع الأنثى بيضة أو بيضتين يبلغ قطرهما 29 x 38 ملم ويحضنها الزوجان بالتناوب 16 ـ 18 يوما. وهذا النوع موجود بكثرة في غابات جبال الأطلس المتوسط والكبير وجبال الريف. يتغذى من الحبوب يلتقطها على الأرض ويستريح وينام على الأشجار.

ـ حمام ورشان أو الحيذوان، وبالبربرية أزيضُوضْ، هو النوع الثالث يسمى علميا Columba palumbus وبالفرنسية Pigeon ramier وPalombe وبالانجليزية Wood pigeon وهو أكبر أنواع الحمام طولا ووزنا. يبلغ طوله 41 سم وبسطة جناحيه 73 ـ 79 سم وطول جناحه 25 سم وطول ذيله 18 سم ويتعدى وزنه أحيانا 500 غرام. يتميز بخط عريض دائري من الريش الأبيض يقطع جناحيه، وببقعة بيضاء على كل جانب من العنق. المنقار أصفر، الصدر رمادي وردي، مؤخرة الذيل سوداء وباقي ريش الجسم رمادي أزرق اللمعان.

يألف الغابات وخاصة منها المجاورة للحقول الزراعية، ومن بين الحبوب المفضلة لديه العدس والجلبان والحمص والشعير والقمح مما يجعل منه طائراً غير مرغوب فيه ومضراً بالمحصولات الزراعية.

يختار الذكر زوجته ابتداء من شهر مارس فينفخ صدره ويفتح ذيله وجناحيه مقتربا من الأنثى، وفي حالة الرِّضى يبنيان العش فوق أعالي الأشجار، وتلد الأنثى بيضة واحدة أو بيضتين ما بين أبريل ومايو وغالبا ما تلد 3 مرات في السنة مما أدى إلى تكاثره. يبلغ طول قطري البيضة 44 x 30 ملم. يحضن الأبوان البيض بالتناوب 17 يوما ويقدمان الأكل للصغار 29 ـ 35 يوما داخل العش.

إنه طائر شائع في المناطق الغابوية بالمغرب ومفقود في المناطق الصحراوية الجنوبية ابتداء من الخط الرابط بين أكادير ـ ورزازات وتختلف كثرته حسب المناطق. يعيش أيضاً في شمال الجزائر وتونس وفي أوروبا وبعض البلدان في آسيا العربية.

منه عدة مجموعات تشتو في المغرب وفي جنوب فرنسا وإسبانيا ثم تعود إلى أوروبا الشمالية ابتداء من مارس، بينما تبقى المجموعات الأخرى مستقرة في نفس المكان أو تقوم بتنقلات بداخل التراب المغربي ولا تغادره.

فيما يتعلق بصيد الحمام بالمغرب هناك قرار وزيري رقم 582 ـ 62 صادر في 3 نونبر 1962 يتعلق بقانون الصيد المستمر بداخل التراب المغربي بالنسبة للحيوانات المضرة للزراعة، وتوجد أنواع الحمام من بينها في المادة رقم 5. أغلب الصيادين يطاردون الحمام عن طريق الصدفة وليس هناك صيد تقليدي خاص بهذا النوع كما هو الشأن في فرنسا مثلا. إنه طائر شديد الحذر وتتعدى سرعته عند الطيران 100 كلم في الساعة مما يزيد من صعوبة صيده.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية*، بيروت، 1988.

A. Alaoui, *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992, 181 p. ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 190-195 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, London, 197, p. 170-171.

محمد رمضاني

الحَمَّام، عبد السلام أحد زعماء قبيلة أنجْرة، برز اسمه سنة 1309 / 1891 بمناسبة سماح السلطان لإنجلترا وإسبانيا بإنشاء أسلاك التلغراف بنواحي طنجة.

كان جون دراموند هي J. Drummond Hay وزير بريطانيا العظمى قد التمس من مولاي الحسن مد جهاز التلغراف بين جبل طارق وطنجة، فلم يقبل السلطان. ثم جدد الكرة خلفه وليام كربي گرين W. Kirby Green ونال موافقة العاهل، فجاءت شركة إيسترن تيلغراف Eastern Telegraph ووضعت أول خط بحري له سنة 1304 / 1887، بعد أن كان المخزن جعل لها ذلك بخمسة شروط :

1 ـ ألا يكون إلا بين طنجة من البحر،

2 ـ ولا يكون بمرسى آخر،

3 ـ ولا يكون في البر،

4 ـ وأن يكون بطنجة بالمحل الذي يعينه عامل البلد ونائب المخزن بها،

5 ـ وأن يقبل النواب الآخرون هاته الشروط.

وكانت إسبانيا من الدول التي قبلت تلك الشروط، فطلبت بدورها أن يرخص لها باتخاذه بين طنجة وطريفة أو الجزيرة الخضراء بحراً. فنالت رضى السلطان سنة 1307 / 1890. ومن شأن نصب خطوط التلغراف أن يمر بتراب أنجرة القريبة من طنجة وتغرس بها أعمدته. وقد وقع الاتفاق بين المغرب وإسبانيا على أن تبدأ أشغال نصب الأخشاب يوم 27 محرم 1309 / 2 شتنبر 1891.

وأشعر عامل تطوان السلطات المخزنية أن عبد السلام الحماد وأصحابه من أنجرة يريدون الحيلولة بين إسبانيا وذلك، بل وصرح الطريس لنائب تلك الدولة أن المعارضة الصادرة من عبد السلام ليست معارضة لها، بل معارضة

للجناب الشريف، ولإسبانيا أن تشرع في وضع الركائز ما بين الواد وطنجة" وصدرت من أجل ذلك أوامر إلى إدريس أمْقَشُد أحد عمال الحدادة بين سبتة وأنجرة وكذلك إلى عمال تطوان وطنجة وأصيلا "بترصد قائد قبيلة أنجرة عبد السلام الأنجري لاشتغاله بالفساد، لا على وجه الامتناع من نزول السلك بالقبيلة". ولما أُلقي القبض على الحْمام سنة 1309 / 1891 ظن الطريس أن "النازلة قد انتهت بوجه جميل" وبقي مسجوناً بضعة أشهر حتى أصدر السلطان أمره بتحويله إلى سجن مصباح بمراكش غير أنه استطاع أن يلوذ بالفرار بتواطؤ أو بدونه، فالتجأ إلى قبيلة وادْراس، واستقدم أصحابه متعصباً بهم. فما كان من السلطان إلا أن خوّله الأمان باستدعائه إلى مراكش، فلم يفلح الأمان في تهدئة الروعة التي أحدثها الأنجري حتى "تفاقم أمر ولد الحْمام وانضم إليه ثلثا القبيلة وانضم إلى صفه بعض الأجانب". وكان من المتهمين بالتعاون معه تشارليز إيوان - سميث Ch. Evan Smith وزير إنجلترا بطنجة الذي خلف گرين المتوفى لكن لم يثبت شيء من ذلك عنه.

وبدأ الحْمام يعتقل الرهائن، فمنهم شاب فرنسي ذكرت مصادر فرنسية أنه كان في صيف 1892 يتجول "على شاطئ البحر حتى ملتقى النهر في طنجة القديمة، وإذا بشخصين يعتقلانه ويقودانه إلى قائد أنجرة المتمرد، فحبس عنده ثمانية أيام وذلك دون أن يضطهد أو ينهب متاعه".

غير أن المخزن لم يكن يرى في اعتقال هذا الفرنسي عدوانا عليه، وإنما كان في وجوده هناك تواطؤ مّا مع الحْمام. قال السلطان للطريس إن "النصراني الفرانصيصي قد اكترى بهيمة للخروج لبساتين البلد على العادة. ثم جدّ في السير لعند ولد الحْمام، وطلب أن يقيم معه من جملة رفقائه، وبقي معهم نحو الثمانية أيام، حتى استرعى كبراء القبيلة على الحْمام، خشية أن تلحقهم ملامة بسببه، ووجهوه في الأمان جبراً عليه".

واتخذ المخزن إجراءات وقائية وعسكرية. فلأجل حماية الأجانب وجّه الطريس تحذيراً لنواب الدول لكي "يأمروا رعاياهم بالاحتياط والأخذ بالحذر في خروجهم لنواحي المدينة إلى أن تطفأ نار الفتنة".

أما قمع التمرد فقد عين المخزن القائد العربي بن عبو الرحماني ومعه القائد علي الأودبي لقيادة المحلة. لكن بعض كبراء هذا الجيش تطاولوا في العسف وأضروا في العبث، فوصلت للمخزن شكايات بهم. كما أنهم عمدوا إلى التلاعب بالأموال ونفخ أعداد المشاركين في المحلة حتى يتقاضوا عن ذلك من أمناء مرسى طنجة مبالغ غير مستحقة تسمى تلاعباً في الحساب. ولما بلغ خبر هذا التدليس للسلطان قال للطريس : "وصل كتابك بما تُقُرِّل على كبير المحلة السعيدة في التسراد الذي حضرته مع خدامنا أمناء المرسى المحروسة من كونه أكرى عدداً من الناس للوقوف فيه عوضاً عمّن فرّ من العدد الأصلي. ولم تتفطن لذلك حيث رأيت الجميع بالكسوة العسكرية، ورددت الأمر في ذلك إلى ما هو محقق عند جانبنا العالي بالله في كبير المحلة من صدق أو عدمه وصار بالبال.

"فالصدق اليوم عزيز، بل صار كعنقاء مغرب، يُسمع ولا يُرى وإن لم يكن الكل فالبعض. وحتى إن هو يُتحرى فليس لأخ زيد أخ. والله أسأل أن لا يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد سواه".

كما أن أهل طنجة تظلموا لدى السلطان، إذ اشتكى أهل قبيلة الفحص "من إضرار المحلة بهم ونهب أمتعتهم ... وصار النواب يسترعون من أجل ذلك ... ولما صدر من كبراء المحلة من القبض على بعض الصالحين من الأنجرة ... ومن جملتهم رجل مخالط للمركان ... فاقترح عليك نائب المركان تسريحه ورد متاعه أو تأتي مراكبهم لأجل الفصال، حسبما بكتابيه الواصلين طي كتابك ... وذكرت أن طول مكث المحلة بقرب طنجة لا يقضي إلاّ لمزيد التشويش، وصار بالبال.

"أما ما تشكى به أهل الفحص فلا غرابة في ذلك وكثيراً ما يقع ذلك من المحلة للصالح، ولكن يتدارك ذلك. وقد كتبنا لكبراء المحلة أن يفاصلوهم ... وأما أهل الأنجرة فليس فيهم رجل رشيد. وأما استرعاء النواب فهو ذلك. وأما المركان فكان من حقه أن لا يخالط أهل الفساد أو يحوز أمتعته من عندهم حيث فسدوا ... وأما ما خشيته من مكث المحلة بقرب طنجة، فقد أمرنا بنقلها من هناك..."

وقد أتت سياسة السلطان أكلها، فوفد أعيان أنجرة سنة 1310 / 1892 على لسان قبيلتهم طالبين الأمان. فأمّن السلطان "أهل الغابة المتظاهرين بالصلاح، إن لم يدخلوا في شيء من زمرة أهل الفساد".

وأخيراً في شعبان 1310 / مارس 1893 حملت الأنباء حسب رسالة السلطان إلى الطريس خبر القبض على "ظالم نفسه الحْمام الأنجري وحلوله بسجن طنجة ... فقد حاق به سيّئ مكره، وعاد عليه شؤم فعله وبغيه، فقد ضاعت بسببه رقاب وأموال" كان منها جنود مغاربة تولى فيليبي أو بيلو إي كناليس F. Ovilo y Canalis "الطبيب الاصبنيولي والمكلف بتعليم متعاطي الصناعة الطبية" علاج مجاريح هاته المحلة.

وهكذا نرى أن إدخال التلغراف الإسباني كان سبباً في فتنة دامت نحو سنتين. ولم أقف بعد ذلك على شيء عن مصير عبد السلام الحْمام الذي احتفظت الوثائق المغربية بأخباره وحدها. ولولا التلغراف لما سمع شيء عن هذا الأنجري.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 2 ص. 524 وص. 566 - 570 ؛ وثائق خ. تطوان.

J.-L. Miège, *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIX siècle*, p. 199, Paris, 1969.

مصطفى بوشعراء

الحمّام (مغارة -) وتعرف أيضاً بمغارة تافوغالت، تقع بقلب جبال بني يزناسن في المغرب الشرقي، وبالتحديد على بعد 55 كم شمال غرب مدينة وجدة، ويتعلق الأمر بمغارة عمقها 53 متراً، وعرضها 30 متراً.

اكتشف المغارة الدكتور بنشون Pinchon في بداية هذا القرن، وقام الباحث رولمان Rhulmann في الفترة الممتدة ما بين 1944 و1947 بعدة تنقيبات أبانت منذ الوهلة الأولى عن مدى أهمية وغنى الموقع، ومنذ 1961 قام الباحث جون روش J. Roche بدوره بعدة عمليات للتنقيب وهكذا تم تحديد 17 مستوى جيولوجي.

عرفت المغارة تعاقب عدة حضارات من بينها الحضارة الموسترية (180.000 إلى 140.000 سنة) ثم الحضارة العطيرية (40.000، 25.000 سنة) ثم حضارة العصر الحجري الأعلى (20.000، 10.000 سنة).

سوف لا نتطرق هنا إلى خاصيات كل هذه الحضارات لأننا سنعمل على الحديث عنها في الوقت المناسب ضمن أجزاء هذه المعلمة، ولكن سنركز حديثنا أساسا على المعطيات المهمة التي تخص هذه المغارة.

لعل ما يميز هذا الموقع هي الاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها والتي تعود إلى حضارة العصر الحجري الأعلى، إذ استطاع الباحثون من خلالها أن يقفوا عند عدة خبايا وأسرار تخص عادات وتقاليد إنسان هذه الفترة، وهكذا تبين بأن إنسان تافوغالت كان يمتاز بمهارة يدوية فائقة وحس فني رائع ونمط اجتماعي متطور وبهذا تعتبر مغارة تافوغالت من أهم المواقع فيما يخص هذه الحضارة على صعيد شمال افريقيا ككل.

إضافة إلى العديد من الأدوات الأثرية التي تم استخراجها والتي تعود إلى مختلف الحقب التاريخية السالفة الذكر والتي كان يستعملها الإنسان، تم كذلك استخراج حوالي 180 هيكل عظمي يعود إلى حضارة العصر الحجري الأعلى أغنت معلوماتنا حول طريقة دفنه، كما تم اكتشاف عدة جماجم أجريت لها عمليات جراحية وحلي ونقوش صخرية ...

سنركز في البداية بالأساس على العملية الجراحية التي أجريت على رأس مريض. تنتمي هذه الجمجمة إلى فصيلة انسان "مشتة العالو" الذي كان منتشراً في المنطقة على طول السواحل خلال الفترة الممتدة ما بين 20.000 و10.000 سنة.

قد يتساءل القارئ عن سر الأهمية العلمية والحضارية التي تكمن وراء هذه الجمجمة، سيما إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنه قد سبق الكشف عن عدة جماجم أجريت لها عمليات مماثلة في أغلب مناطق العالم. إن مميزات العملية الجراحية التي نحن بصدد الحديث عنها تتجلى في كونها أقدم عملية من هذا النوع على الصعيد العالمي، زيادة على ذلك فإن جميع الدراسات التي أجريت عليها أثبتت نجاحها وبقاء المريض على قيد الحياة. عند هذه الاستنتاجات يمكن للقارئ أن يضع الأسئلة التالية : كيف يمكن إثبات كون هذه الثقبة الظاهرة على الجمجمة ناتجة عن عملية جراحية وليس عن كسر ؟ وما هي المعطيات التي تثبت أن هذا الانسان استطاع العيش بعد إجراء العملية ؟

للإجابة يمكن أن نقول إنّ هذه الجمجمة ليست الوحيدة بهذه المغارة بحيث من بين المائة وثمانين هيكلا التي تم استخراجها وُجدت خمس حالات متشابهة، هذا ما يؤكد أن هذا الانسان القديم كان يلجأ إليها باستمرار، زيادة على ذلك تظهر بقايا التشريح على العظام، كما أن هذه الثقبة مستديرة الشكل وجد منظمة وهذا ما يثبت أنها ناتجة عن عمل إرادي ودقيق للإنسان.

ولعل التحام العظام المحاطة بالثقب لدليل قاطع على نجاح العملية، كونه لا يمكن أن يحصل إلا إذا بقي الإنسان الذي أُجريت له العملية على قيد الحياة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الدقة والمهارة اليدوية التي كان يتميز بها انسان هذا العصر. وبالفعل فقد أثبتت الدراسات أن العملية الجراحية قد أجريت على العظم الجداري الأيسر بثقب يبلغ قطره 23 ميلمترا. وإذا كان الذي يحيط بالثقب رطبا ومسطحا فإن ذلك يؤكد على أن العظم قد نما والتأم بعد العملية.

وبغض النظر عن المهارة والتطور الفكري الذي يمكن استنتاجه من خلال هذه الجمجمة فإن لذلك تفسيرات واستنتاجات ذات صبغة سوسيولوجية، ذلك أن إجراء عملية من هذا المستوى تتطلب عناية فائقة، وهو دليل قاطع على أن المريض ينتمي إلى مجموعة بشرية تسود بين أفرادها علاقات اجتماعية وإنسانية معينة، وهذا عنصر كاف لخلق وراء مجتمع ذي ثقافة وعادات وتقاليد تستوجب المزيد من البحث التقني لكشف النقاب عنها. فمن خلال الدراسات التي قامت بها فرمباك Ferembach للهياكل العظمية، وجون روش للأدوات الحجرية (أدوات صغيرة الحجم، شفرات، حلي وأدوات من العظام انظر الصورة)) تبين أن هذا الإنسان عرف حياة جماعية متماسكة وعادات غير واضحة المعالم، كطريقة الدفن المعقدة التي كان يمارسها وإزالة بعض الأسنان الأمامية لكل فرد بلغ عمره 14 سنة.

إن المجال هنا بطبيعة الحال لا يسمح بكشف النقاب عن كل المعطيات الأثرية والجيولوجية التي تزخر بها مغارة الحمّام، ولكننا حاولنا التركيز بالأساس على بعض النقط التي تميز هذه المغارة عمّا سواها.

م. ع. الهجراوي. *الحضارة الأشولية*. معلمة المغرب، 2 - 472، 473 ؛ *الحضارة الإيبيروموروزية*. 3 - 7، 9، 9؛ تمارة، 8، 2533، 2534.

M.A. El Hajraoui. *Nouvelles découvertes néolothiques dans la région de Rabat Grotte d'El Mnasra. Méditerranée*, n° 2. 1993. pp. 105 - 121 ; *L'Industrie osseuse atérienne de la grotte d'El Mnasra (région de Témara*. Maroc). LAPMO. Univ. de Provence, Tours 3. pp. 91 - 94. 1994 ; J. Dastugue. *Pathologie des hommes de Taforalt*. in Ferembach D., *La nécropole*

épipaléolithique de Taforalt (Maroc oriental), *Etude des squelettes humains*, Casablanca, 1962 ; O. Dotout, *Extension saharienne du type Mechta-Afalou*, Cah. *ORSTOM (Géol)*, 14/2, 1984 : D. Ferembach, *La nécropole épipaléolithique de Taforalt (Maroc Oriental)*, avec la collaboration de Dastugue et Poitrat, Casablanca. 1962 ; *Diagrammes craniens sagitaux et mensurations individuelles des squelettes Ibéromaurusiens de Taforalt (Maroc Oriental)*, Travaux du Centre de Recherches Anthropologique. Préhistorique et Ethnographique, Paris, 1965 ; *Les cromagnoides de l'Afrique du Nord. l'Homme de Cromagnon*, Paris, 1970 ; *On the origin of the Iberomaurusians (Upper Palaeolithic, North Africa)*, A New Hypothesis, J. Hum., *Evol.*, 14, London, 1970 ; *L'émergence d'Homo sapiens*, sous la direction de Bons J. et Delsol M., Paris, 1989 ; J. Roch, *L'Epipaléolithique Marocain*, Lisboa, 1963 ; *Les industries paléolithique de la grotte de Taforalt (Maroc Oriental)*, 2ème Congrès panafr. de Préhistoire, Alger, 1967 ; *Cadre chronologique de l'épipaléolithique Marocain*. 9ème Congrès Inter. Union Intern. Sc. Préhist. et Protohist., Septembre 1976, Colloque 2 Nice, Université de Nice, 1976 ; M. Zouak, *Variabilité de deux populations mechtoïdes du Paléolithique supérieur maghrébin (Taforalt et Afalou-Bou-Rhummel)*, Doctorat d'Université du Muséum National d'Histoire Naturelle, Paris ; *Etude anthropométrique des os longs du membre supérieur des deux populations du paléolithique supérieur du Maghreb (Taforalt et Afalou)*, (à paraître), *Etude statistique*. *Colloque sur l'Homme du Maghreb et son environnement depuis 100.000 ans*, *Décembre 1989*, *Maghnia* (Algérie).

محمد المزاري

أولاد حمامة، فخذة صغيرة من الأفخاذ المكونة لأولاد محمد الفرقة الشارية المشهورة في تاريخ المغرب بصلابتها ونفوذها ويكوّن أولاد حمامة مع أولاد عبد الله وأولاد الزيرق وأولاد عطو ما يسمى بأعشاش السهل.

قدّر عدد خيام أولاد حمامة سنة 1914 بثلاثمائة وخمسة خيام.

Villes et tribus du Maroc, *Casablanca et les Chaouia*, T. II.

علال الخديمي

حَمَامة بن زيري بن يعلى أحد أمراء بني يفرن ومؤسس دولتهم الثانية التي انتقلت من فاس إلى سلا. حكم إمارة بني يفرن بعد مقتل أخيه حبوس ودخل في صراع عنيف مع أمير مغراوة زيري بن عطية حول السيطرة على منطقة فاس. لكن ضغط مغراوة وشدة قوتهم العسكرية دفعت بحمامة بن زيري إلى الانسحاب والتحيز بقبيلة بني يفرن إلى ناحية سلا حيث أسس إمارة جديدة تمتد من سلا إلى تادلا. لكن هذا الانتقال لم يحل دون استمرار الصراع بين الإمارتين المنتميتين إلى نفس العصبية الزناتية، بل فرض على المترجم أن يبحث عن تحالفات جديدة ويطلب مساندة قوة كبيرة تمكنه من مواجهة مغراوة فاس حلفاء قرطبة وعيونهم في المغرب الأقصى. ولتحقيق هذا الهدف ربط اتصالات ودية مع أبي مناد باديس بن يوسف بن زيري (386 ـ 406) عدو مغراوة وأمويي قرطبة. وبعث إليه وفداً بزعامة أخيه زاوي بن زيري متحفاً إياه بالهدايا وراغباً في التحالف مع بني زيري لمواجهة الخطر المغراوي. غير أن المصادر لم تذكر كيف تطورت الأحداث بعد ذلك ولم تشر أيضاً إلى تاريخ وفاة حمامة بن زيري الذي يظن أنه مات فيما بين سنة 406 / 1015 و424 / 1033.

مجهول، *مفاخر البربر*، تح. ليفي بروفنسال، الرباط، 1934، ص. 26 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7. 44.

T. Lewicki, *Banu Ifren*, *E.I.*, Nelle éd., T. 3, 1971, pp. 1066 - 1070.

رشيد السلامي

ابن حمامة، محمد بن منصور بن مُنَيِّر الزناتي المغراوي، السجلماسي. يكنى أبا عبد الله ويعرف أيضاً بابن منصور، من رجال الأدب والفقه والحديث ومن علماء اللغة المتضلعين. أول شارح *لمقامات الحريري* في المغرب، لم نر من ذكره من أصحاب كتب التراجم، وإنما صنعنا ترجمته من بعض تواليفه المخطوطة.

روى عن أبي الحسن علي بن عبد الرحمن وأكثر عنه، وأبي بكر عصفور العبدري، وأبي الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني المعروف بابن حنين.

وله تصانيف كثيرة تدل على إدراكه وإشرافه، منها :

1 ـ *إعراب غريب البخاري* : ذكر في *شرح غريب الشهاب* ص. 398.

2 ـ *اقتراح سميري في شرح مقامات الحريري* : ذكر في نبذة *فهرسية* ص. 2، ويعتبر شرحه أول شرح *للمقامات الحريرية* في المغرب.منه نسختان خطيتان : الأولى في الأسكوريال رقم 496 والثانية خ. ع رقم 1090 ق، بها 277 صفحة ويآخرها نقص.

3 ـ *ألفاظ الموطا* : ذكر في *شرح غريب الشهاب* 321 و*شرح أحاديث الشهاب* ص. 22.

4 ـ البهجة المنيرة في شرح غريب السيرة : ذكر في *اقتراح سميري* ص. 115 ـ 139.

5 ـ *التهذيب لشرح ما في المدونة من غريب* : ذكر في *غرر المقالة* ص. 82 ـ 165.

6 ـ *الروض الأنيق* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 44 وما بعدها.

7 ـ *شرح أحاديث الشهاب للقضاعي* : منه ثلاث نسخ خطية : الأولى في خزانة جامع القرويين بفاس رقم 709 ضمن مجموع من 55 ب إلى 100 ب ووقع الفراغ من نسخها عام 1002 هـ على يد كاتبها محمد بن علي السناني بداره برباط الولي الصالح أبي يعزى. والثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم 585 ك ضمن مجموع من ص. 1 إلى ص. 313، وكان الفراغ من نسخها ضحوة يوم الأحد تاسع

شهر شوال سنة إحدى وستين وألف والثانية بمكتبة عبد الله گنون بطنجة.

8 - شرح جامع *أبي محمد* : ذكر في *غرر المقالة* ص. 272.

9 - *شرح غريب الشهاب* : تكرر ذكره في *شرح أحاديث الشهاب*. منه ثلاث نسخ خطية : الأولى في خ. ع. رقم 585 ك ضمن مجموع من ص. 314 إلى ص. 400، وكان الفراغ من نسخها عشية يوم الاثنين الثالث والعشرين من شوال عام 1061 هـ. والثانية بالخزانة العامة بالرباط رقم 1824 ك ضمن مجموع من ص.1 إلى ص. 53، وكان الفراغ من نسخها ضحوة يوم السبت الخامس عشر من شوال عام عشرة ومائتين وألف. والثالثة بمكتبة عبد الله گنون بطنجة.

10 - *شرح غريب الموطأ* : ذكر في *اقتراح* سميري ص. 85 - 122 وغرر *المقالة* ص. 79، وما بعدها.

11 - *عيون الذهب في التنبيه على نكت من الأدب*، ذكر في *اقتراح الأدب* سميري ص. 40 - 141 - 235.

12 - *غرر المقالة في شرح غريب الرسالة* طبع بدار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1406 / 1986 بتحقيق الهادي حمو ومحمد أبو الأجفان.

13 - *فقه الموطأ* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 303.

14 - *الفقهيات* : ذكر في *شرح غريب الشهاب* ص. 381 وما بعدها.

15 - *فك أغراض البخاري المُبْهَمَة في الجمع بين الحديث والترجمة* : - وهي مائة ترجمة - ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 79، 211 ويسمى أيضاً *حلّ أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة* ذكر في *إرشاد الساري* 1 / 26 و ؛ وكشف *الظنون* 1 : 551.

16 - *المسائل الفقهية المنوطة بالمعاني الشرعية* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 189.

17 - *ترارد المعاني الغامضة في مقابلة البخاري بالعارضة* : ذكر في *شرح أحاديث الشهاب* ص. 17.

وله شعر تعلوه مسحة دينية زهدية.

قدرنا أن المترجم ابن حمامة عاش في القرن السادس الهجري. يرجع ذلك أن شيخه ابن حنين توفي بفاس سنة 569 / 1173.

م. ابن شريفة، *ابن لُبّال الشريشي* 508 - 582، الدار البيضاء، 1996 ؛ ع. الله گنون، *شخصيات مغربية، ابن منصور المغراوي*، مجلة *دعوة الحق*، ع 9 س 3 ذو الحجة 1379 - يونيه 1960 - ص 29 - 30 ؛ *النبوغ المغربي*، بيروت، 1395 - 1975 - 1 : 227 - 230 ؛ *دعوة الحق*، ع 9 س 3 ذو الحجة 1379- يونية 1960 - ص 29 - 30 ؛ م. العابد الفاسي، *فهرس مخطوطات خزانة القرويين*، الدار البيضاء، 1400 - 1980 - 2 : 303 - 304 ؛ أ. القسطلاني، *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*، خ. ع رقم 1229 ق 1 : 29 ؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون*، بيروت 1402 / 1982، 1 - 551 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط 1979 - ص 350 هامش رقم 155 : نبذة *فهرسية عن أبي محمد القاسم بن علي الحريري*. انفردت بها نسخة من الشرح الكبير للشريشي - السفر الأول - مخطوط خ. ع، رقم 81 ح.

عبد العزيز الساوري

حَمَامة بن **مَطْهَر** الزناتي من بطون بني القاسم الذين ينتسبون إلى عصبية بني عبد الواد. ويعتبر حمامة هذا أحد قواد زناتة الذين حاربوا إلى جانب الأمير المرابطي تاشفين بن علي في مواجهاته العسكرية مع عبد المومن الموحدي. وعند تولية تاشفين لأبي بكر بن مزدلي على تلمسان سنة 537 / 1142 بعث عبد المومن وهو بالريف عسكراً موحدياً بزعامة كل من ابن يغمور ويوسف ابن وانودين لمساندة أمراء بني ومانوا، حلفائهم هناك، على مواجهة هجومات الجيش المرابطي وحليفهم حمامة بن مطهر والتي انتهت باندحار الجيش الموحدي. لكن بعد ما تبين أفول نجم المرابطين وتحققت سيطرة عبد المومن على أجزاء كثيرة من المغرب الأقصى والأوسط وفد حمامة المترجم على أمير الموحدين عندما كان محاصراً لوهران سنة 538 / 1143 ودخل مع عشيرته في طاعته وتحالف معه ضد أعدائه المرابطين. ويلاحظ أن المصادر تتوقف في أخبارها عن حمامة عند هذا الحدث ولم تعد تشير إلى مصيره أو تذكر مآل حاله مع بني عبد المؤمن بعد ذلك التاريخ.

ابن عذاري، *البيان المغرب* .... قسم الموحدين، بيروت، الدار البيضاء، 1985، ص. 19 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، 6 : 456 ؛ 7 : 116 - 150.

حمامة بن **المعز** بن عطية المغراوي، يكنى أبا العطّاف، تولى حكم إمارة مغراوة الزناتية بمنطقة فاس بعد وفاة ابن عمه المعز بن زيري بن عطية سنة 417 / 1026 أو 422 / 1031. ورث عن سلفه من أمراء مغراوة مشاكل كثيرة وعلاقات متوترة مع جيرانهم أمراء بني يفرن بسلا وبني خزرون بسجلماسة. وقد أدرك حمامة بن المعز ثقل هذا الإرث وتبين مدى خطورة التهديدات التي تمثلها إمارة بني يفرن على الخصوص مما ساهم في تجديد الصراع بين الطرفين والدخول في مواجهات عسكرية مباشرة، فعندما تولى الأمير أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى (ت. 448 / 1057) أمر بني يفرن بسلا ازدادت أطماعه في التوسع على المناطق المجاورة لحدود إمارته، فزحف إلى فاس واصطدم بأميرها حمامة بن المعز ودارت بينهما حرب ضروس أسفرت عن عدد كبير من القتلى في صفوف المغراويين وساكنة المدينة خاصة اليهود الذين قتل منهم حوالي ستة آلاف وانهزم المترجم وفرّ إلى مدينة وجدة، ودخل تميم إلى فاس في جمادى الثانية من عام 424 / ماي 1033 ليضمها إلى إمارته التي أصبحت تمتد على مجال واسع بين فاس وسلا

وتادلا. وفي خلال السنة الواحدة التي قضاها حمامة بن المعز في منفاه دب الضعف إلى جنده وتفرقوا عنه فاضطر إلى طلب العون والمساعدة من أمراء المغرب الأوسط حيث لجأ إلى مدينة تنس وحشد قبائل مغراوة هناك ونظم صفوفهم معلنا زحفه على فاس سنة 429 / 1038 ونجح في استرداد ملكه وطرد غريمه تميم اليفرني إلى سلا واضعاً بذلك حداً لفترة أكثر من خمس سنوات من حكم بني يفرن لفاس. كما قام حمامة بتنظيم حملة عسكرية إلى سجلماسة لكنه فشل في تحقيق أهدافه للتوسع نحو الجنوب وانهزم أمام قوة بني خزرون. وفي سنة 430 / 1039 تحرك صاحب قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط القائد ابن حماد في جيوشه الصنهاجية يريد مدينة فاس فخرج إليه حمامة المغراوي لصد غزوته لكن الحرب لم تقع بعد أن تم عقد الصلح بين الطرفين ورجع كل أمير إلى موقعه.

شهدت فترة حكم حمامة هذا ازدهاراً لفت انتباه المؤرخين ووصفوا الأمير بحبه للعلم والأدب وولعه بالسياسة، فكان قصره يرتاده العلماء والأمراء والأدباء والشعراء من الأندلس والمغرب.

واختلف المؤرخون في ضبط سنة وفاة حمامة بن المعز، فابن خلدون يجعلها في سنة 431 / 1040، وابن عذاري وصاحب *مفاخر البربر* يريان سنة 433 / 1042 أما ابن أبي زرع وابن الخطيب فقد جعلا وفاة حمامة في سنة 440 / 1049.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، ط. 3، 1983، 1 : 252، 254 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 108، 109 ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، تح. ليڤي بروڤنسال، الرباط، 1934، ص. 42 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، القسم الثالث، ص. 86، 161 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 352 ؛ 7 : 45، 73، 74 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 172، 173 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 1 : 220، 221.

رشيد السلامي

حْمَامُوش، علي بن محمد، يعرف بسدي حْمامُوش، يتصل نسبه بيعقوب المنصور الموحدي، شيخ صوفي أخذ عن الشيخ عبد الله الغزواني عن عبد العزيز التباع عن محمد بن سليمان الجزولي.

تذكر المصادر أنه كانت له علاقة بالأرواح وأن طائفة من الجن كانت تقرأ عليه القرآن بداره بطالعة فاس التي بها توفي واستمرت قراءة القرآن تُسمع حتى بعد وفاته.

قال محمد العربي القادري في *الكناشة* : "كان في قيد الحياة أواخر ذي الحجة خاتمة سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة. وأظنه توفي في هذه العشرة، أعني العشرة الرابعة من القرن العاشر" وذكر صاحب *الدوحة* أن الشيخ حماموش توفي بفاس في العشرة الثالثة (نحو 925) ودفن خارج باب الحمرة وقبره مشهور بزاويته.

م. ابن عسكر، دوحة، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 : 839، 840 ؛ م. العربي القادري، *كناشة*، ص. 97 ؛ ابن عيشون، *روض*، 85، د.د.ع، مرقون ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع*، ملزمة، 24، ص. 1 ؛ *تحفة أهل الصديقية*، ص. 25 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، ص. 264 ؛ م. القادري، *الإكليل*، ص. 480، د. د. ع، مرقونة ؛ *الزهر الباسم*، مخطوط، ص. 33 وجه ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 225.

مارية دادي

الحماية الإسبانية بالمغرب. شرعت الدول الغربية منذ مطلع القرن التاسع عشر في إضعاف المغرب بغية احتلاله. وتأكد ذلك بعد احتلال الجزائر والقضاء على ثورة الأمير عبد القادر على يد فرنسا. فأجبرته على إبرام اتفاقات معها تسمح لها بامتيازات على حسابه. وكانت أقسى المعاهدات التي أبرمت في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ 26 أبريل سنة 1860 على إثر الغزو الإسباني الذي أدى إلى احتلال مدينة تطوان وضواحيها. فطالبت إسبانيا بموجب هذه المعاهدة المغرب بغرامة مالية تعجيزية قيمتها 100.000.000 بسيطة، لا تتعدى مدة تسديدها ثمانية أشهر. لكن عند الدفعة الأولى فرغت خزينة الدولة، وعجز المغرب عن تسديد الدفعة الثانية، فطلب من بريطانيا قرضا قدره 10.000.000 بسيطة لأداء الدفعة الثانية. لكن هذه الأخيرة تماطلت في تسليم القرض، ولم تدفعه له إلا في 10 مارس 1862، مما أدى به إلى تدارك الموقف وتوقيع اتفاق مع إسبانيا في 30 أكتوبر 1861 لمراجعة المعاهدة السابقة، تنازلت الحكومة الإسبانية بموجبه عن تحديد موعد الدفع والتزمت بالانسحاب من مدينة تطوان حينما تتوصل بنصف الغرامة. وفعلا انسحبت إسبانيا من مدينة تطوان وناحيتها عندما تم لها ما أرادت. وبقيت بذمة المغرب 50.000.000 بسيطة لإسبانيا و10.000.000 بسيطة لبريطانيا، زيادة على الفوائد ومصاريف التوكيل ليصل المجموع في النهاية إلى 69.000.000 بسيطة.

أخذ الإسبان يستولون على نصف مداخيل الجمرك المغربي والنصف الآخر يبقى للدولة المغربية لتسدد منه ما عليها من ديون لبريطانيا. وقد اختار الدائنون أخذ ديونهم عن طريق الجمارك، أولا لأنها أهم مورد للمغرب، وثانيا لسهولة مراقبته. واستغرقت مدة هذه الديون 25 سنة قبل أن تنتهي. وبموجب معاهدة 1863، وقع التفاهم على نهج سياسة موحدة في المغرب بين الدول الأجنبية الممثلة في المغرب إلا إسبانيا فإنها أمضت تسوية مماثلة مع المغرب فيما بعد، نصت هذه المعاهدة الموقعة أصلا مع فرنسا على حق هذه الدول في حماية جميع المغاربة الذين يعملون في المفوضيات والقنصليات الأجنبية وغيرهم من العاملين والوسطاء عند التجار الأجانب وكل المغاربة الذين يرغبون

في ذلك. وقد كانت هذه المعاهدة تعفي كل المحميين من الضرائب ولا تطبق عليهم قوانين بلادهم.

أدى هذا الوضع إلى إضعاف المغرب ماليا وقضائيا، وإلى ظهور الفوضى وانتشارها في صفوف مواطنيه مما حدا بالسلطة المركزية إلى المطالبة بإلغاء هذه الامتيازات. ودعت إلى عقد مؤتمر شاركت فيه الدّول ذات الامتياز للنظر في طلبه، لكنه باء بالفشل لأن كل دولة لم تكن مستعدة للتنازل عن (حق) سبق أن اكتسبته. وتقرر فيه وضع تشريع دولي جديد. وانعقد مؤتمر مدريد في 3 يوليوز 1880، حيث تقرر عدم التنازل عن الامتيازات السابقة، مضيفا إليها أنه إذا ما تعاطى محمي أو أجنبي الزراعة فإن الضريبة تدفع إلى قنصليته.

في هذه الظروف كانت فرنسا تستعد لاستعمار المغرب وضمه إلى ممتلكاتها بإفريقيا. وفي 3 أكتوبر 1904 أمضت اتفاقية مع إسبانيا تعترف فيها بمحتوى المعاهدة السابقة المبرمة مع بريطانيا وتحدد مناطق النفوذ التي تخولها لإسبانيا على الساحل المغربي المطل على البحر المتوسط، كما تؤكد تسليمها منطقة سيدي إيفني، وترسم بالخرائط حدود البلاد التي خولت لإسبانيا فيما بعد.

لم تسكت ألمانيا على ما يجري من تنافس حول المغرب، وتأزمت علاقاتها مع بريطانيا وفضحت الاتفاقات السرية السابقة التي كانت تعقد بلا علم المغرب. ولما أدرك المغرب مناورات فرنسا وبريطانيا، دعا في 30 ماي سنة 1905 إلى عقد مؤتمر دولي بتأييد من ألمانيا. فانعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 7 أبريل سنة 1906. وتمخض عن معاهدة أمضتها كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا والنمسا وإيطاليا والسويد وهولندا وإسبانيا وهنغاريا وبلجيكا وروسيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية تهم مجموعة من القضايا، أهمها :

تنظيم الشرطة وحفظ الأمن في المغرب ؛

إنشاء بنك وتحسين دخل الضرائب ؛

تنظيم الجمارك المغربية ومراقبة تهريب السلاح ؛

وعهد إلى فرنسا وإسبانيا بحفظ الأمن داخل المرائئ المغربية. وبهذا كان المؤتمر في صالح فرنسا وإسبانيا ولم يحفظ كرامة المغرب. ولم تستطع ألمانيا منع ما تقرر. وهكذا استمرت فرنسا وإسبانيا في سياستهما التوسعية بالمغرب. وبتنسيق بين الدولتين احتل الإسبان سنة 1907 مدينتي العرائش والقصر الكبير، واحتل الفرنسيون مدينة الدار البيضاء.

نصت معاهدة الحماية الموقعة في 30 مارس 1912 في فقرتها الثالثة من مادتها الأولى على أن تدخل فرنسا في مفاوضات مع إسبانيا حول مصالح هذه الأخيرة في الشواطئ المغربية. وذلك ما وقع فعلا. فبموجب اتفاقية 27 نونمبر 1912 الموقعة في مدريد لهذا الغرض، أصبحت المنطقة الشمالية خاضعة للحماية الإسبانية. وكم حاول الإسبان إضافة مدينة فاس إلى هذا الجزء، لكنهم لم يفلحوا. ومنذئذ أصبح الخط الجغرافي الممتد من عرباوة جنوب القصر الكبير إلى مشارف مصب نهر ملوية في الشمال الشرقي للمغرب هو الحد الفاصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي الذي يدخل تحت السيطرة الفرنسية. كما نصت هذه المعاهدة على أن المنطقة الشمالية تعتبر من المناطق الخاضعة لسلطة السلطان، ينوب عنه فيها خليفة معين من قبله، يتمتع بنفس الحقوق التي هي للسلطان نفسه. ويكون مقر إقامته بمدينة تطوان، ومندوب عن السلطان في منطقة طنجة، يمارس نفس السلطات المخولة له.

كانت المنطقة الشمالية تمثل 5٪ من مجموع التراب المغربي آنذاك، ويسكنها 750.000 نسمة. تقطن في جهتها الغربية قبائل جبالة، ويتكون أغلب أهلها من فلاحين وصيادين. وكانت هذه المنطقة في ثورات مستديمة ضد الإسبان منذ سنة 1497، وهي السنة التي احتل فيها الإسبان مدينة مليلية ليجعلوها قاعدة ينطلقون منها لاحتلال التراب المغربي، وبقيت تحت نفوذ إسبانيا مدينة مليلية وسبتة والجزر الجعفرية في الشمال ومدينة الداخلة في الجنوب الغربي.

أما من الناحية التنظيمية، فقد عرفت المنطقة الشمالية من المغرب تنظيما مشابها للمنطقة الفرنسية، بحيث استقرت الإدارة المركزية بمدينة تطوان، وأنشئت إدارة إقليمية وأخرى محلية في باقي المناطق، وكانت تتألف من أجهزة ثنائية خليفية يترأسها خليفة السلطان، تساعده في مهامه حكومة المخزن الخليفي، وإسبانية يترأسها مفوض سام إسباني يعين من طرف حكومته، يمثل بلاده في منطقة الحماية. وفي نفس الوقت هو الحاكم العام لمدينة سبتة ومليلية اللتين تعتبرهما إسبانيا جزءين من ترابها.

أما التنظيم الإداري في مدينة طنجة فقد تأثر بطبيعة الوضع الدولي للمدينة، والذي يعود إلى ما قبل الحماية، حينما كانت مقر إقامة القناصلة المعتمدين لبلادهم بالمغرب. فقد منحوا حق إقامة بعض المؤسسات والإشراف عليها، وأقرت معاهدة الحماية ذلك. أما بالنسبة للأجزاء الجنوبية المحتلة من المغرب، فبعدما سعت إسبانيا إلى فصلها تدريجيا عن المغرب، قسمتها إلى أربع مناطق : منطقة سيدي إيفني والساقية الحمراء، ووادي الذهب وجعلتها تابعة لرئاسة مجلس الحكومة الاسبانية، وجعلت طرفاية تابعة لإدارة تطوان.

وبانتهاء المقاومة المسلحة في الشمال، بدأت تظهر الحركة الوطنية غير المسلحة في قالب جديد وإطار سياسي واجتماعي وثقافي في حلة تجعلها تقاوم المحتل بسلاح الفكر والمعرفة معتمدة في ذلك على أبنائها النبهاء. فأحدثت من أجل هذا جرائد ومجلات باللغة الأجنبية داخل وخارج الوطن، لأن اللغة العربية كانت محدودة الاستعمال. وكذلك التشكيلات السياسية. لذلك بدأت هذه الحركة

الوطنية على شكل جماعات، ثم تكتلت في السر لتكون حزب الكتلة الوطني بزعامة عبد السلام بنونة في الشمال. أنشئ مثيل له بزعامة كل من علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني في منطقة الحماية الفرنسية. ومن أهم ما نادت به الكتلة الاحتفال سنويا بعيد العرش للتعبير عن مدى التحام الشعب بالعرش. وبعد نجاح الجمهوريين وسقوط الملكية في إسبانيا في 14 أبريل سنة 1931، تكون وفد وطني من أعضاء المكتب السياسي للكتلة الوطنية بالشمال وتوجه إلى مدريد في 6 يونيو من نفس السنة لتسليم وثيقة المطالبة بالإصلاحات. لكن مطاليبهم رفضت من الجمهوريين. وبالمقابل أعطيت تسهيلات كبيرة لليهود الاسبان من أجل الاستقرار في منطقة الشمال، وصدرت مراسيم للتنقيب عن المناجم في المنطقة، وفرض ترخيص على أبناء المنطقة للانتقال من جهة إلى أخرى. وفي 24 سبتمبر سنة 1931 تكون مجلس بلدي في مدينة تطوان عن طريق الانتخاب، كانت الأغلبية فيه للوطنيين. واستمرت الكتلة الوطنية في عملها النضالي وتمكنت من تنمية علاقاتها السياسية والثقافية مع المشرق العربي. فاشتركت في المؤتمر الإسلامي بالقدس في ديسمبر سنة 1931، كان من نتائجه التعريف بقضية المغرب. وفي سنة 1932 سلمت وثيقة مطالب إصلاحية جديدة للسلطات الاسبانية، حدث بعد تسليمها بعض الانفراج في العلاقات بين الوطنيين والإدارة الحامية أدى إلى ظهور جريدة *الحياة* الأسبوعية في فاتح مارس سنة 1934، لكن سلطات الحماية منعتها من الصدور بعد ذلك بقليل. وفي نفس السنة وبمناسبة العيد النبوي الشريف، قام الوطنيون بتظاهرات خطابية وتغنوا بالأناشيد الوطنية، فقامت سلطات الحماية على إثر ذلك باعتقال العديد من المواطنين وزجت بهم في السجون. وفي سنة 1935 توفي زعيم الكتلة الوطنية بالشمال عبد السلام بنونة في مدينة تطوان، وخلفه في الزعامة عبد الخالق الطريس. وتأزمت العلاقات بين الوطنيين وبين سلطات الاحتلال عندما قامت هذه الأخيرة بمصادرة أمتعة جريدة *الحياة*. واستمر هذا التأزم إلى أن قام "فرانكو" Franco بانقلابه ضد حكومة الجمهوريين في 18 يوليوز 1936. وجاء وعده للوطنيين على لسان الكولونيل "بيغبيدير" في مدينة تطوان بما يلي : "إن انقلاب "فرانكو" سينجح، ويجب ألا يعرقله المغاربة. وفي ساعة النصر سيقطف المغاربة معنا أينع الورود، ومن الآن سيلمس الوطنيون أن هناك معاملة مغايرة : السماح بحرية الحركة، التوسع في التعليم، تكثيف العلاقة مع المشرق. وفعلا قدمت عدة تسهيلات للوطنيين، فحصلوا على بنايتين، خصصت إحداهما للمعهد الحر، والأخرى للمدرسة الأهلية، وفتحت أبواب الإذاعة في وجوههم. وفي هذه الفترة ظهرت جريدة *الريف* للتهامي الوزاني. وبتعاون مع الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي استطاعت الحركة الوطنية الحصول على وزارتي العدل والأوقاف، إلا أن سياسة سلطات الحماية أحدثت انشقاقا داخل الكتلة الوطنية، أدت بالمكي الناصري وهو عضو فيها إلى الانشقاق عنها ليؤسس حزب الوحدة المغربية وجريدة تحمل نفس الاسم، وأنشأ معهد مولاي المهدي. وفي 7 ديسمبر سنة 1936، أسس عبد الخالق الطريس حزب الإصلاح الوطني. وفي 24 ديسمبر من نفس السنة أسندت إليه وزارة الأحباس، وعين محمد داوود مفتشا بوزارة المعارف، وهو عضو في الكتلة الوطنية كذلك. لكن إسبانيا سرعان ما غيرت سياستها في المنطقة تجاه الوطنيين، وذلك تحت ضغوط جاليتها المقيمة في الشمال المغربي. واستقال عبد الخالق الطريس من منصبه لما واجهته العراقيل ليؤسس جريدة *الحرية* في 14 مارس 1937. وفي هذه الفترة عمت المظاهرات والمناداة بالإصلاحات في المنطقة الواقعة تحت الحماية الفرنسية بالجنوب. واصطدم الوطنيون بقوات الاحتلال الفرنسي، وزج بعدد كبير منهم في السجون، وأبعد الزعماء إلى المنافي.

وفي 29 أكتوبر من سنة 1937، قامت في مدينة تطوان مظاهرات احتجاج وتضامن مع الوطنيين بالجنوب. ورفعت لافتات تطالب بالحرية وبالوحدة في ظل العرش المغربي. وقامت تجمعات في المساجد، وخطب كل من عبد الخالق الطريس والمكي الناصري في الجموع. واحتشدت الجماهير في مدينة العرائش بالمواطنين القادمين إليها من كل حدب وصوب، وألقى فيهم المكي الناصري خطبا. وأرسلت من هناك رسائل احتجاج إلى الحكومة الفرنسية، ووجهت برقيات ولاء وإخلاص للسلطان محمد بن يوسف.

ومع نهاية الحرب الأهلية الإسبانية بانتصار "فرانكو" في فاتح أبريل 1939، بدأت الاعتقالات في صفوف الوطنيين، وأوقفت جريدة *الوحدة المغربية* وجريدة *الحرية*. وافتضحت سياسة الحرباء التي كانت تنهجها إسبانيا في المنطقة رغم تعاقب أنظمتها السياسية المختلفة في بلادها. وأثناء الحرب العالمية الثانية، تحولت مطالب الوطنيين من الإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال التام. ووقع كل من حزب الوحدة المغربية وحزب الإصلاح الوطني وثيقة "الميثاق الوطني" في 18 ديسمبر 1942، التي نصت على تكوين جبهة وطنية موحدة للدفاع عن استقلال المغرب ووحدته الترابية.

وابتداء من سنة 1945 تقوت عملية إذكاء الوعي الوطني في نفوس المواطنين وأنشئت نواد ومكتبات وفرق رياضية للشباب. وجاءت سنة 1947، فعبر السلطان محمد الخامس عن رغبته في زيارة مدينة طنجة فزارها رغم رفض الإقامة العامة. وتحرك الموكب السلطاني في اتجاه شمال المغرب يوم الأربعاء 9 أبريل سنة 1944. وفي اليوم التالي استقبل السلك الديبلوماسي والوفود المهنئة، ثم خرج إلى شعبه مصحوبا بولي عهده آنذاك جلالة الحسن الثاني، فألقى خطابه التاريخي، الذي أكد فيه رغبة بلاده في الاستقلال والوحدة. وفي اليوم الثالث، وكان يوم جمعة، أم

المصلين بالمسجد الكبير، وألقى خطابا دينيا، ثم تلا قوله تعالى : "يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

وقد قامت السلطات الإسبانية في المنطقة الشمالية في هذه المناسبة بقمع المواطنين المغاربة والزج بالكثير منهم في سجونها. وكانت المحاكم الاسبانية هي التي تبت في قضاياهم. وبعد نفي محمد الخامس اغتاظت الحكومة الإسبانية من نفي السلطان دون استشارتها، فاحتجت على لسان مندوبها السامي في تجمع سياسي أقيم بمدينة تطوان في 21 يناير 1954، جاء فيه : "إن فرنسا خطت خطوة لارجعة فيها، وعليها الآن أن تواجه مسؤوليتها وحدها". وبعد خمسة أيام من هذا التصريح صدر عفو شامل عن المعتقلين السياسيين بمنطقة الشمال. وبدأت إسبانيا سنة 1955 بتعيين حكومة جديدة للخليفة السلطاني ضمت عدداً من الوطنيين أسندت إليهم وزارات العمل الاجتماعي والتربية الوطنية والعدل والأوقاف.

وبعد أن وقع محمد الخامس في 2 مارس 1956 مع فرنسا وثيقة الاستقلال. تلاها في 7 أبريل من نفس السنة توقيع اتفاقية مماثلة مع إسبانيا في مدريد. وفي طريق رجوعه إلى المغرب، استقبل محمد الخامس بتطوان استقبالا يصعب وصفه. وفي 29 أكتوبر سنة 1956 انتهى النظام الدولي بطنجة. لكن العديد من الجيوب والثغور المغربية المحتلة ظلت تحت السيطرة الإسبانية كسبتة ومليلية والصحراء المغربية.

محمد الصفار، *رحلة إلى باريس*، مخطوط، خ. ع. رقم 113 ؛ ميگل (مرتين)، *الاستعمار الإسباني في المغرب (1860 - 1956)*، باريس، 1973 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج 3 : علي الغالي الريسوني، *مغرب لا يقهر*، تطوان، 1992. د. ن ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، الرباط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* : عبد الرحيم ابن سلامة، *المغرب قبل الاستقلال*، الدار البيضاء، 1980؛ ع. المجيد بن جلون، *جولات في مغرب أمس* 1872، الرباط 1974 ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية والظهير البربري*، الدار البيضاء، 1979 ؛ محمد العلمي، *عبد الكريم الخطابي*، الرباط 1968 ؛ عبد النبي ذاكر، *الرحلة الحجرية إلى الديار الاسبانية*، مجلة *دراسات*، كلية الآداب والعلوم الانسانية في أكادير، العدد 7 السنة 1995 ؛ *الوثائق*، مجموعة دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية (المجموعة الرابعة)، الرباط، د. ت.

G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat 1979 ; *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat 1981 ; *Mémorial du Maroc* (tome 5) : *Hassan II présente la marche verte*, Paris 1990 ; *Histoire du Maroc*, Paris 1987 ; C.-A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes (1415 - 1956)*, Paris, 1978 ; J. F. Clement, *Tanger avant le statut international*, *horizons maghrébines*, n° 31 - 32, 1996 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Casablanca 1993, 2° éd. ; H. Amic, *Le Maroc hier et aujourd'hui*, Paris 1925 ; E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris 1929 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Rabat, 1947.

الهادي بجيجر

الحماية الفرنسية، فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب بمقتضى معاهدة 30 مارس 1912 وامتدت إلى أن أُعلن عن تحرر البلاد منها يوم 2 مارس 1956. وبالرغم من قصر هذه المدة فإن ما طرأ خلالها على المجتمع المغربي من التحولات في مختلف الميادين لم يسبق له نظير في تاريخه مما يوحي بما تخلل تلك التحولات من العنف ويوحي بأن الاحتلال الأجنبي كان معركة من البداية إلى النهاية. معركة بين الدولة الحامية والدولة المحمية ومعركة بين الجماهير المغربية والجالية الاستعمارية ومعركة بين الأصالة المكلومة والمعاصرة المتعجرفة أو بين الإصلاح المفروض والإصلاح الذي تتبناه الجماهير.

ولقد مرت هذه المعارك من ثلاث مراحل امتدت أولها من 1912 إلى 1930 وكانت لصالح الاستعمار الذي استغل تناقضات المجتمع المغربي ليكتسح الأرض ويفرض سطوته، وامتدت الثانية من 1930 إلى 1942 وتبين فيها للقيادة المغربية الناشئة ما ينطوي عليه الاستعمار من جهته من التناقضات التي يمكن إسكاد منها وزعزعة أركانه من خلالها، فتشكلت الحركة الوطنية وبدت قادرة على الاستفادة مما نزل بالدولة الحامية من النكبات بعد قيام الحرب العالمية الثانية. وكانت المرحلة الثالثة من 1942 إلى 1956 وكلها لصالح الدولة المحمية التي التحمت من جديد دواليبها الحكومية بصفوف الجماهير فتكسرت على تلك الوحدة كل المناورات الاستعمارية واسترجع المغرب استقلاله وسيادته.

- المرحلة الأولى 1912 - 1930 : الحماية معاهدة بين دولتين غير متكافئتين تستعمر بمقتضاها الدولة القوية الدولة الضعيفة وتفرض عليها معمريها ورساميلها وأساليبها الإدارية والاقتصادية والثقافية فتلحقها بأسواقها وبمجال نفوذها في العالم، فهي حيلة قانونية تستغل بها خيرات الدولة المحمية اعتماداً على أموالها وسواعد أبنائها، وهي إذن اغتصاب ترابي واحتلال أجنبي.

ولقد دخلت الجيوش الفرنسية أراضي المغرب منذ سنة 1900 حيث انتزعت منها واحات توات وضمتها إلى الجزائر، ثم واحات شنگيط وضمتها إلى ممتلكاتها في السودان الغربي (1908) ثم إنها أوقعت البلاد كلها ابتداء من ذلك التاريخ بين فكي كماشة باحتلال السهوب الشرقية المغربية من وجدة وبني يزناسن في الشمال إلى فبگيگ ووادي چير في الجنوب، وهذا من جهة الشرق، وباحتلال الدار البيضاء والشاوية من جهة الغرب (1907 - 1908) وفي سنة 1911 زحفت جيوش الاحتلال من الشاوية إلى فاس عبر الرباط وسهل الغرب ومكناس فأدخلت تحت سيطرتها كل الأقاليم

الموجودة على طريقها أو المتاخمة لها بحيث ما إن أبرمت معاهدة الحماية (30 مارس 1912) حتى كانت السيطرة الفرنسية تامة على جزء غير هيّن من التراب المغربي فبادرت غداة انعقاد الحماية إلى تعزيز غزوها باحتلال عاصمة الجنوب مراكش وباقي السهول الأطلسية شمالا وجنوبا وسهل تادلا والهضبة الوسطى والمرتفعات الأولى من الأطلس المتوسط وتم الربط بين جيوش الاحتلال الزاحفة من الشرق وتلك التي كانت تحتل القسم الغربي من خلال فجاج تازا وذلك قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بقليل (يونيه 1914). فلما قامت الحرب خفت عمليات الغزو دون أن تنقطع، إذ تم الربط بين جيوش الاحتلال في بوذنيب وبين جيوش الاحتلال في مكناس وذلك على سطوح الأطلس المتوسط بالقرب من ميدلت (1917) مما قسم معاقل المقاومة هنالك إلى قسمين تمكنت العساكر الفرنسية من إسقاطهما الواحد تلو الآخر بعد نهاية الحرب، فسقط القسم الجنوبي فيما بين 1920 و1923، وتأجل مصير الثاني بسبب اندلاع حرب الريف في منطقة الحماية الاسبانية منذ سنة 1921. وبسبب امتدادها إلى منطقة الحماية الفرنسية سنة 1924 فلما انهزمت المقاومة الريفية سنة 1926 تم احتلال "بقعة تازا" وهي القسم الشمالي من الأطلس المتوسط ولم يبق ممتنعا على الجيوش الفرنسية إلا جبال الأطلس الكبير والأطلس الصغير وما يتصل بهما من الأقاليم الصحراوية، لكنها تجندت لذلك ابتداء من 1929 حيث تشكلت أربع فيالق ضخمة انطلاقا من مراكش ومن تادلا ومن مكناس ومن التخوم الجزائرية المغربية الجنوبية، فصارت تلك الفيالق تتسرب كل واحد من جهته إلى قلب الأوعار الأطلسية خطوة خطوة وترغم القبائل على الاستسلام تحت وابل من قنابل المدفعية الثقيلة والطيران، فوقعت سلسلة جبال العياشي في قبضتهم (1931) ثم واحات تافلالت (1932) ثم جبال صغرو (1933) ثم الأطلس الصغير وسلسلة بادو في قلب الأطلس الكبير (1934) وهي السنة أيضاً التي اكتسحت فيها الصحراء المغربية.

وكان سبب انتصار الجيوش الفرنسية تفوقها المطلق في العتاد والتنظيم العسكري ووحدة القيادة وانسجام الرؤية، ومع ذلك فإنها لم تتغلب على ما كان من مقاومة القبائل المغربية إلا بعد اثنتين وعشرين سنة. فلقد كانت المقاومة المغربية آية في الاستبسال شهد بذلك العدو نفسه، كما شهد بأن جيوشه لم تدخل أدنى بقعة من التراب المغربي دون أن يكون سكانها قد استنفدوا جميع وسائل الامتناع، وكانت تلك المقاومة شاملة تلقائية يكاد لا يتميز فيها رئيس عن مرؤوس وإن ذاع فيها صيت بعض الزعماء مثل الشيخ ماء العينين وأبنائه في الصحراء الغربية وسوس ومُحَا وسعيد الوراوي في تادلا ومُحَا وحمُّو الزياني في الأطلس المتوسط الجنوبي وسيدي رحو في الأطلس المتوسط الشمالي والحجّامي في الحياينة وأهل زاوية أحنصال في الأطلس الكبير الشرقي ومُحَا نيفروتن وبلقاسم النگادي في تافلالت ومُحَا ويسلام في صغرو والمدني الخصاصي والقائد التاجم الخصاصي في الأطلس الصغير ومحمد بن عبد الكريم الريفي الذي سارت الركبان باسمه، وآخرين لا يتسع المقام لذكرهم جميعا. ويكفي أنهم استماتوا ومن كان وراءهم من المجاهدين في الدفاع عن الوطن والكرامة وكالوا لجيوش الاستعمار ضربات موجعة وألحقوا بها الفضيحة كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، مثلما حدث في معارك المنگار (1901) وتاغيت (1903) ورتيبت (1905) والقصبة (1913) والهري (1914) وتافلالت (1181) وجبالة (1920. 1922) وورغة (1924. 1925) وأيت يعقوب (1929) وتازكزاوت (1932) وبوگافر (1933) وجبل بادو (1934)، لكن بطولات المقاومين لم تكن لتوقف الاكتساح الاستعماري لا لأن سلاحهم كان دون سلاحه ولكن لأن المقاومة كانت تتم متفرقة على العموم ولا يتجند السكان للقتال إلا عندما تدخل الجيوش الفرنسية ترابهم، ولم يكن قتالهم متفرقا من شدة التمسك بالعصبية بقدر ما كان من افتقار إلى وحدة القيادة ومن وقوف الدولة في جهة ووقوف القبائل في جهة أخرى بما نجح من دعاية الاستعمار الذي كان يردد ليل نهار أنه لا يغزو المغرب وانما يمهد أقاليمه لفائدة المخزن، وكانت النتيجة سنة 1934 أن جردت القبائل من كل سلاحها ورست مستقراتها بصفة نهائية عبر التراب المغربي.

وتلك نتيجة ما كان المخزن ليتغافل عنها لما كان منصرفا إليه منذ أقدم العصور من محاولة إدخال القبائل في طاعته، فلأول مرة أصبحت الأحكام المخزنية تنال جميع أنحاء البلاد وذلك من مميزات عهد المولى يوسف الذي تربع على العرش في غشت 1912 خلفا للمولى عبد الحفيظ أخيه، وسارت الدولة في عهده بسيرة من تنزل به أشد النوازل فيكون شغله الشاغل المحافظة على الأصول والتزام الصمود والحرص على أن لا يقع أي تفريط في شؤون العقيدة ولا في مرتبة اللغة العربية في الدولة. وهكذا قاوم المولى يوسف بالتي هي أحسن سياسة التفرقة بين القبائل العربية والقبائل البربرية التي رامت سلطات الاستعمار فصلها عن حظيرة الإسلام منذ ذلك العهد، حيث امتنع عن مسايرتها في ذلك وأحسن استغلال ما كان المقيم العام الفرنسي الأول في المغرب الجنرال ليوطي (Lyautey) الذي امتدت مقيميته من 1912 إلى 1925 يبديه من المراعاة للتقاليد المخزنية ومن الأدب مع العاهل والتظاهر بالوقوف عند بعض الحدود من الاستعمار، فإنه كان يردد بأنه ليس سوى "خادم سيدنا الأول" وكان يلح حتى لا تتحول الحماية من إدارة لمراقبة الأجهزة الحاكمة المغربية والأخذ بيدها إلى إدارة فرنسية مباشرة تمسك بزمام الأمور كلها وتهمش المسؤولين المغاربة، وسعى السعي الحثيث في أن تسترجع الدولة كامل حرمتها لتلافي ما لحق بها من الأضرار من

جراء فشل العهدين السابقين، وكان ذلك مما حمله على اقتراح الرباط عاصمة جديدة للمملكة ليكون في هذا إشارة بتجديد النهضة المغربية في عهد المولى يوسف، وكان ماهراً في سياسة "مدّ اليد" للنخبة المغربية. وكانت ميوله الشخصية للأنظمة الملوكية الأرسطقراطية تساير ما وجد عليه المجتمع المغربي من التراتب ومن الالتزام بالتقاليد الموروثة. فكان حريصاً على استقطاب كل ذوي النفوذ إما بالكلام المعسول وإما بالضغط على مصالحهم. وبذلك اكتسب إلى جانبه أرباب الزوايا مثل عبد الحي الكتاني وعبد الرحمان الدرقاوي، واستطاع أن يتحكم في حوز مراكش وقبائل الأطلس الكبير الغربي بواسطة كبار القواد هنالك، أمثال الأكلاوي والكندافي والمتوكي. فنال على العموم رضى النخبة الحاكمة التقليدية التي زاد في انبهارها بما أقدم عليه ليوطي من "الإصلاحات" احتفاظها برتبها وحرمتها مع وعيها من جهة أخرى بما كان عليه المغرب من التخلف عن العصر فلم تبخل على ليوطي بالتنويه والتمجيد، وكيف لا ينبهر الجيل الذي كان على بينة مما عاناه السلطان المولى الحسن وبعده المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ يوم راموا إدخال بعض الترتيبات والتنظيمات على أساليب الدولة إذ صارت كل المجهودات يومئذ إلى الفشل الذريع. بينما نزل كل ما كان يقترحه ليوطي على المولى يوسف مكانه المناسب من الدولة. وتم كل ذلك في ظرف وجيز حتى بدا وكأنه من المعجزات، ففي أقل من عشر سنوات تم تجهيز البلاد من أهم ما كانت تحتاج إليه كل دولة عصرية سواء في ميدان التجهيزات الأساسية كبناء الطرق والجسور والسكك الحديدية والموانئ وبخاصة منها ميناء الدار البيضاء، أو في ميدان القانون والاقتصاد حيث صدرت الظهائر التنظيمية الأساسية في مجال العدل والمعاملات التجارية والضرائب وترتيبات الميزانية العامة ومحاسباتها، أو في مجال الشؤون الاجتماعية كالصحة والتعليم والحالة المدنية والتشغيل، هذا فضلاً عن التنظيمات الإدارية التي قسمت البلاد إلى جهات عسكرية وأخرى مدنية مع انقسام كل واحدة منها إلى مقاطعات تنقسم إلى دوائر منقسمة هي نفسها إلى مكاتب وملحقات. ويشرف على كل وحدة إدارية موظفان فرنسي ومغربي مما أدخل التراب المغربي برمته مع تقدم التمهيد العسكري في شبكة موحدة متماسكة الأطراف تستطيع السلطة المركزية أن تفصل في أمورها مباشرة من العاصمة الرباط، وكان ذلك ثورة في حدّ ذاته بالقياس مع أساليب المخزن وأدوات حكمه قبل الحماية، ولذلك ما كان أقطاب النخبة المغربية إلا لينبهروا، وقد انبهر أمثال محمد الجباص ومحمد المقري ومحمد السليماني وأحمد ابن المواز وعبد الرحمان بن زيدان، وكان انبهار آخرين من أمثال الشيخ شعيب الدكالي ومحمد الحجوي ومحمد بن العربي العلوي مدعاة لمراجعة النفس والتفكر في أمجاد السلف الصالح وانتقاد مساوئ الجيل الذي وقع تحت نير الاحتلال الأجنبي من شدة تفريطه في الأصول مما كان يوحي بمدى اتساع الهوة بين النخبة والجمهور، وتلك الهوة هي التي مكنت ليوطي من إمضاء قراراته في ظرف وجيز إلى أن قامت حرب الريف فجاءت نذيراً في أواسط العشرينيات بقدرة الشعب المغربي على رصّ الصفوف وصياغة الشعارات الموحدة الصادقة.

المرحلة الثانية 1930 ـ 1942 : أول ما تتميز به هذه المرحلة جلوس سيدي محمد بن يوسف (محمد الخامس) على العرش على إثر وفاة والده في نونبر 1927 ولم يكن مقدما لولاية العهد وإنما وقع اختيار السلطات الفرنسية عليه بموافقة أولي الحل والعقد من الحاشية المخزنية والعلماء لصغر سنه فإنه كان في السابعة عشرة من عمره وكان الأمل معقوداً لدى الأوساط الاستعمارية بأن يكون طوع إشارتها بما كان من تقديمها إياه على أخويه المولى إدريس والمولى حسن، لكن جلوسه على العرش جاء مقترنا بتصدر جيل جديد كان جل أعضائه من سن الناهل الشاب أو قريبا منه وكانوا إما ممن تخرج من المدارس العصرية التي أحدثتها الحماية كأمثال محمد بن الحسن الوزاني وعمر ابن عبد الجليل وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي وإما من التعليم الإسلامي ومن القرويين بالخصوص بعدما دخله من التفتح والوعي والإصلاح على يد علماء الحركة السلفية ومن هؤلاء الشباب الجديد علال الفاسي وإبراهيم الكتاني والهاشمي الفيلالي والمكي الناصري الذين ربطوا الاتصال من نوّهم بإخوانهم في المنطقة الشمالية وأدركوا أن السبب الرئيسي في انهيار المغرب هو انحطاط العلم والتعليم وسيطرة الخرافات والشعوذة على العقيدة السليمة فدعوا إلى تنقية الثقافة الوطنية مما كان يشوبها وشيدوا مدرسة جديدة على قيم مثمرة.

وبالرغم من أن هؤلاء الشباب كانوا من النخبة الحضرية فكانوا أقلية إلا أن صفوفهم صارت تتعزز بما تقاطر شيئاً فشيئاً على المدن من شباب البادية الذين فروا من الاحتلال الاستعماري ولم يكن لهم هنالك لكسب عيشهم سوى سواعدهم فتحولوا إلى طبقة عاملة مدركة لما كان ينطوي عليه الاستعمار من الحيف السياسي والاجتماعي، سيما وأن الاستغلال الاستعماري كان قد تجاوز فترة الدهشة الأولى وصار يجني ريع ما كان قد وظفهُ من الأموال في المرحلة السابقة، ففي الفلاحة مثلا أضحى المغرب خزان حبوب جديد للسوق الفرنسية، وفي نهاية العشرينيات صار يتحول إلى كاليفورنيا موقوفة على تلك السوق تنهل منها حاجياتها من الحوامض والبواكير. كما أن المصانع في المدن صارت قادرة على تزويد المعمرين من المصنوعات الضرورية لهم سواء من الصناعات التحويلية أو في الصناعات الغذائية. فتوثقت بذلك الصلات بين المغرب وفرنسا وباتت جل مبادلات المغرب في الواردات والصادرات مع الدولة الحامية في الغالب. فاطمأنت الأوساط الاستعمارية لذلك

أيما اطمئنان، وتجلى ذلك في بعض التظاهرات مثل المعرض الاستعماري لسنة 1930 الذي أشرف على تنظيمه المارشال ليوطي بنفسه وبدا المغرب من خلاله وكأنه جوهرة الإمبراطورية الفرنسية. والواقع أن الحماية كانت قد تحولت إلى إدارة مباشرة يمسك فيها الموظفون الفرنسيون بمقاليد الأمور ولا يقوم المغاربة إلا بالأدوار الثانوية، وقد سار في هذا الاتجاه المقيمون العامون الذين خلفوا ليوطي مثل سطيگ (Steag) من 1925 إلى 1929 فهو الذي فتح أبواب المغرب أمام الفئات الدنيا من المعمرين الذين هرعوا من الجزائر وكانوا في أشد الحاجة لتدارك ما فاتهم من فرص الثراء هنالك، ومثل لوسيان سان (Lucien Saint) من 1929 إلى 1933 الموظف الاستعماري الذي ما كان ليخفى شيئا من معاني الحماية الحقيقية أو زميله مارسيل بيروطون (Marcel Peyrouton) الذي لم يقض إلا بضعة أشهر في الإقامة العامة (مارس إلى شتنبر 1936) لكنه بادر إلى استصدار جملة من الظهائر كلها لفائدة المعمرين، وكان الجيل الجديد من هؤلاء أشد وطئا على البلاد إذ بدا وكأنّ كل شيء بات طوع إشارتهم، هذا مع العلم بما اشتد من شرههم وتطاولهم على حقوق المغاربة بسبب انهيار فوائدهم غداة الأزمة العالمية لسنة 1929 فأرادوا التخلص من عواقبها على حساب الميزانية المغربية، وساندهم في ذلك الجيش العرمرم من الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يتقاضون مرتبات باهظة ويشكلون قوة ضاغطة ليس على المقيمين العامين في الرباط وحسب بل وعلى الحكومات الفرنسية المتعاقبة في باريس بما كان لهم من قنوات الاتصال بها والتأثير على قراراتها.

ولا أدل على ما دخل تلك الأوساط من الزهو والغطرسة من إقدامها على إصدار الظهير البربري (16 ماي 1930) فإنها أيقنت أن حان الوقت لإمضاء سياسة التفرقة بين القبائل العربية والبربرية دفعة واحدة وإخراج القبائل البربرية من حظيرة الشريعة وإلحاقها بالمحاكم الفرنسية، وتم استغلال شباب السلطان سيدي محمد وتواطؤ الصدر الأعظم محمد المقري لاتخاذ ذلك القرار، ولكن الضمير الوطني كان في طريقه إلى اليقظة فاستفاق من تلك الضربة واستقام وتمثل في الشباب الوطني الذي دعا الجماهير للاحتجاج على الظهير المشؤوم بقراءة اللطيف في المساجد عقب الصلاة، واستجاب المغاربة بما دلّ على أنهم لم يكونوا لا مستسلمين ولا متغافلين، وأن المقاومة المسلحة إن كانت على وشك التصفية في الجبال فإنها كانت في المدن تتخذ أساليب أخرى وأسلحة أمضى من الأسلحة النارية لما كان فيها من استقطاب للجماهير ومن التشهير بالبهتان الاستعماري، وظنت الأوساط الاستعمارية أن جلد بعض أولئك الشباب الوطني مثلما فعل باشا فاس بوشتى بن البغدادي بمحمد بن الحسن الوزاني ورفاقه قد يكفي لإخماد الغليان، لكن القمع لم يزد الوطنيين إلا قوة والتحاماً، وكان من أهم نتائج الظهير البربري أن تجدد الاتصال بين سلطان البلاد وأولئك الشباب، إذ التقى وفد برئاسة علال الفاسي معه فاجتمعت الكلمة الوطنية من جديد حول العرش وتأكد ذلك بما أقدم عليه الوطنيون من الاحتفاء بعيد جلوس سيدي محمد على العرش يوم 18 نونبر من كل سنة، وأصبح هكذا للشعب عيد وطني إلى جانب الأعياد الدينية يعبر فيه عن وحدة صفوفه وعن تطلعاته السياسية وذلك على مرأى ومسمع من المسؤولين عن الحماية الذين وجدوا أنفسهم ملزمين بمسايرة ذلك القرار الشعبي الذي كان عليهم نصراً مبيناً، وقد تعزز بنصر آخر يوم قرر المقيم العام بونصو (H. Ponsot) (1933 ـ 1936) وكان من المتبصرين أن يتراجع عن الظهير البربري حيث أقيمت محاكم استئناف للقبائل البربرية بناء على أعرافها تابعة لأحكام السلطان وليس للمحاكم الفرنسية، كما أن الشباب الوطني انتزع حق إصدار صحف ناطقة بلسانه مثل مجلة "*مغرب*" في الخارج و"*عمل الشعب*" في الداخل. وبالرغم من أن التجربة لم تمتدّ أزيد من سنتين، إلا أنها مكنت الحركة الوطنية من صياغة الشعارات النضالية ومن تحيير مطالبها، وأصبح الضغط الوطني مما لا سبيل للإقامة العامة أن تتغافل عنه سيما بعد صدور "*برنامج الإصلاحات الوطنية*" (دجنبر 1934) الذي جاء بمثابة مرافعة على الحماية أدرجت فيها مآخذ الجماهير المغربية على الأنظمة الاستعمارية وفضحت فيها تناقضاتها مع النص الصريح لمعاهدة 1912 إذ كان من المفروض أن تساعد الحماية المغاربة على النهوض بشؤونهم فإذا بها تتحول إلى أداة لتمكين المعمرين من أجود الأراضي وأرباب الصناعة الأوربيين من خيرات البلاد والتجار من تصريف بضائع فرنسا وإقصاء البضائع المغربية مع وقف التمدرس على أبناء المعمرين والمستشفيات على مرضاهم ومحاصرة المغاربة في أحيائهم بجيش عرمرم وشرطة شرسة يتعاون معها قواد وباشوات جائرون مفسدون، وكانت تلك المطالب من الجرأة بمكان إذ ذهبت إلى مطالبة دعاة الإصلاح بإصلاح شؤونهم وأفسدت عليه دعايتهم وأكاذيبهم، واسترجع المغرب بذلك صوته ومكانته وأصبح جزءاً لا يتجزأ من جهاد الشعوب العربية المناضلة يومئذ كلها عن حريتها وسيادتها ضد فرنسا أو انجلترا، بل عرف الشباب الوطني كيف يستفيد من تناقضات الدولة الحامية نفسها التي كان في الثلاثينيات تعاني من التفسخ السياسي والتمزق الاجتماعي، فكانت تتجاذبها أشد التيارات الإيديولوجية تطرفا وعصفت بها عواصف لا تنذر بخير، ومال الوطنيون ناحية التيارات الفرنسية الجماهيرية وفي طليعتها يومئذ الحزب الاشتراكي، ولما أسفرت انتخابات ربيع 1936 عن فوز الجبهة الشعبية بمشاركة الراديكاليين والاشتراكيين والشيوعيين ظن الشباب الوطني المغربي أن أصدقاءهم الاشتراكيين سوف يكونون خير معين

لهم على انتزاع بعض الحقوق من الأوساط الاستعمارية في المغرب.

لكن سرعان ما خابت تلك الآمال إذ عزلت الجبهة الشعبية مارسيل بيروطون عن الإقامة وعوضته بالجنرال نوگيس (Noguès) الذي تخرج على يد ليوطي وكان من كبار المسؤولين عن صدور الظهير البربري، فإنه كان يومئذ مدير الشؤون الأهلية ورئيس الديوان العسكري للمقيم لوسيان سان، وكان لا يضاهى في المكر والمخادعة. فأمسك بزمام الأمور بمنتهى الصرامة ومنتهى المداهنة واستغل اندلاع الحرب الأهلية في إسبانيا وما أحدثته من القلق في المنطقة الشمالية ليحاول فصل الحركة الوطنية عن السلطان وزرع أسباب الانقسام بين الوطنيين الذين انشقت صفوفهم إلى أنصار علال الفاسي وأنصار محمد بن الحسن الوزاني مما مهد السبيل للجنرال نوگيس لقمع الجميع ولما يمض على تعيينه في الإقامة أزيد من سنة. فنفى علال الفاسي إلى الگابون والوزاني إلى الصحراء الغربية وأمر بسجن باقي المناضلين وساعده على ذلك انشغال الرأي العام بما أصبح يلوح في الأفق من شبح الحرب العالمية الثانية، فتنفست الأوساط الاستعمارية الصعداء من جهة الضغط الوطني.

ولما اندلعت الحرب بادر المغرب بلسان ملكه ولسان الوطنيين إلى إعلان تمام المساندة لفرنسا، ولم يكن ذلك حباً فيها ولكنه كان إحساساً بضرورة الوقوف في تلك المعركة الكبرى في معسكر الديمقراطية والحرية. ولما توالت الهزائم على الدولة الحامية لم يبخل المغرب لا بأبنائه ولا بخيراته والتزم السكينة بالرغم من ضائقة الحرب كما التزم الحياد في النزاع الحزبي الفرنسي بين أنصار بيطان وأنصار دي گول، وجاء جزاء المغرب عن تلك المواقف الرشيدة بعد نزول الحلفاء على شواطئه الأطلسية (نونبر 1942) وبمناسبة انعقاد مؤتمر أنفا (يناير 1943) حيث اجتمع السلطان بالرئيس الأمريكي فرانكلين رُوزفيلت (Roosevelt) فبدا المغرب من جديد دولة ذات حرمة وسيادة، حقوقها ثابتة بالرغم من الحجر الاستعماري، حيث تعهد الرئيس الأمريكي بمساعدة الملك على استرجاع استقلاله بناء على ميثاق الأطلسي المعلن لحقوق الشعوب في صيف 1941.

وهكذا انتهت المرحلة الثانية من الحماية لصالح المغرب واضطر نوگيس للانسحاب في يونيو 1943 بعد سيطرة دي گول على حكومة فرنسا الحرة المؤقتة وباتت الأحزاب الوطنية المغربية وفي طليعتها ملك البلاد متشوقة لما قد يترتب على الفوز على النازية من أسباب الانعتاق من الاستعمار.

- المرحلة الثالثة 1943 - 1956 - لقد أدركت الحركة الوطنية غداة مؤتمر أنفا أن وقت مطالبة الحماية بالتعجيل بالإصلاحات قد ولّى وأن لا أحد يستطيع أن يصلح شؤون المغاربة إلا المغاربة أنفسهم، ولذلك أعيد النظر في التشكيلات الحزبية وأحدث حزب الاستقلال في نهاية 1943، وبادر إلى وضع بيان المطالبة بالاستقلال (11 يناير 1944) بعد موافقة الملك عليه، ومجمله أن الحماية أضحت عائقا لتقدم المغرب وأن لا سبيل إلى النهوض بشؤون البلاد إلا باسترجاع تمام الاستقلال وبناء صرح دولة ملكية دستورية تستظل بظل الإسلام، وأصدر أنصار محمد بن الحسن الوزاني الذين أسسوا حزب الشورى والاستقلال بياناً مماثلاً بحيث كانت الأمة على كلمة سواء وكان من حقها أن تطمئن إلى نتيجة مبادرتها لما كانت تقدمه من المساعدة للحلفاء عامة ولفرنسا الحرة بوجه خاص.

لكن الاعتراف بالجميل ليس من خصال الاستعمار، فما أن رفع الوطنيون شعار الاستقلال حتى قررت الأوساط المسؤولة عن الحماية قمع ذلك في الحين، فرمت الحركة الوطنية بالتآمر مع الألمان، ثم أمرت بإلقاء القبض على محرري بيان المطالبة بالاستقلال، ولما نزلت الجماهير إلى الشوارع للاحتجاج في الرباط وسلا وفاس تصدت لها الجيوش التي كانت تعد لتحرير فرنسا فسقط من سقط من المتظاهرين شهيداً وألقي القبض على الآخرين وتزعم ذلك المقيم گابرييل بووه (G. Puaux) الذي خلف نوگيس في الإقامة العامة (يونيه 1943) وحاول أن يغطي على أعمال القمع باقتراح إصلاحات في ميادين التعليم والعدل والإدارة والفلاحة كانت كلها متجاوزة بعد المطالبة بالاستقلال، على أن "فرنسا الحرة" بزعامة دي گول لم تكن مستعدة للتخلي عن الحماية، وأقصى ما كانت تفكر فيه لإدخال بعض التغيير على العلاقات الاستعمارية أن تعوض الحماية برابطة جديدة تحتفظ بتبعية المغرب للامبراطورية الفرنسية. وتمهيداً لذلك استدعي الملك لزيارة باريس زيارة رسمية (يونيه 1945) ومنح وسام رفيق التحرير من قبل دي گول الذي وعده خيراً بخصوص مستقبل العلاقات المغربية الفرنسية ولبّى مطلبه باستبدال المقيم گابرييل بووه بآخر أكثر لباقة وتفهما لتطلعات المغاربة، وهكذا أسندت مسؤولية الحماية للسفير إيريك لابون (Eirik Labonne) الذي كان مهذباً وواعياً بنضج الشعب المغربي وبضرورة الأخذ بيده لينال نصيبه من الرقي. فما أن حل بالرباط في مارس 1947 حتى اقترح عدة ترتيبات إيجابية لنشر التعليم على أوسع نطاق ولإشراك نخبة من المقاولين المغاربة في المشاريع والمؤسسات الاقتصادية الكبرى، وكان يرى في ذلك خير ممهد لحمل البلاد على الانخراط في "الاتحاد الفرنسي" وهو الاسم الجديد للأمبراطورية الفرنسية في دستور الجمهورية الرابعة.

لكن مجهودات إيريك لابون ما كانت إلا لتذهب سدى شأنه في ذلك شأن كل من يسعى في التوسط بين جانبين تجلى تنافرهما بما لم يبق معه مجال للإصلاح بينهما، فأما الأوساط الاستعمارية فإن تمسكها بمصالحها في المغرب كان قد اشتد غداة الحرب بما تكدس في البلاد من أموالها منذ هروبها من ميادين القتال في أوربا، وأما الحركة الوطنية

بقيادة الملك فإنها لم تعد تطيق تصرفات تلك الأقلية الدخيلة، وتجلى تنافر الجانبين في أحداث أبريل 1947، بعد سنة فقط من تنصيب إيريك لابون حيث سمح للملك بأن يزور الأقاليم الشمالية باتجاه طنجة ومروراً من المنطقة الخليفية، وكانت تلك الزيارة إشارة إلى وحدة تراب البلاد وإلى وحدة الدولة المغربية، وجاء في الخطاب الذي ألقاه العاهل في طنجة (10 أبريل 1947) تصريح بأن لا ارتباط للمغرب إلا من جهة إخوانه العرب ومن جهة القارة الافريقية، ولم يفت الأوساط الاستعمارية ما كان في ذلك من الخطورة على أوضاعها ومن الجرأة على سطوتها، وحيث لم يكن إيريك لابون ممن ينصاع لأوامرها فإنها دبرت لمجزرة في الدار البيضاء ليلة بداية الرحلة الملكية، ذهب ضحيتها مئات الأبرياء، وتفطن الملك لما كان يقصد من ذلك فلم يُلغ رحلته وإنما تغافل في خطابه في طنجة عن ذكر ما كان يذكر في الخطب الرسمية من إنعامات فرنسا على المغرب، فردت الحكومة الفرنسية بأن عزلت إيريك لابون عن الإقامة (أبريل 1947) وعوضته بالجنرال جوان الذي توترت في فترة مقيميته العلاقات بين القصر والإقامة العامة بصفة نهائية. ذلك أنه حل بالرباط بأمر واضح من وزير الخارجية جورج بيدو بأن يحصل على انقياد السلطان أو يقيله، فاشتبكت خيوط المعركة الحاسمة بين أرباب الاستعمار وبين الوطنية المغربية، فقد صارت الجالية الدخيلة تسعى في إقحام نفسها في السيادة المغربية من خلال مقترح إصلاح لنظام البلديات والجماعات القروية بدعوى إرساء الديمقراطية في البلاد وجعل حد للملكية المطلقة مع أن الغاية الحقيقية من ذلك كانت ترمي إلى إرساء وطأة المعمرين في البلاد بعد أن أضحت مهزوزة منبوذة، ولذلك امتنع الملك عن إمضاء مشاريع الظهائر المقترحة عليه وسافر إلى فرنسا لإثارة انتباه رئيس الجمهورية الاشتراكي فانسان أوريول (Vincent Auriol) إلى تنافي تلك المشاريع مع سيادة المغرب ومع عقد الحماية لكن بدون جدوى، ولم يزد النزاع بينه وبين جوان إلا تفاقماً، فحرك جوان بعض كبار القواد مثل التهامي الكلاوي وأرباب الزوايا مثل عبد الحي الكتاني في طليعة 1951 وكاد الأمر ينتهي إلى عزل الملك يوم 25 فبراير 1951 ولكن العملية أرجئت لانشغال جوان بوظائفه الجديدة في الحلف الأطلسي، فتم تعويضهُ في الإقامة العامة بالجنرال كُيُوم (A. Guillaume) أحد أتباعه وضابط سابق في الشؤون الأهلية، فاشتدت المضايقات على العرش وفقدت الأوساط الاستعمارية كل بصيرة بما أصابها من الخوف على مصالحها. فلما أقرت المنظمات الوطنية شن إضراب احتجاج على اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد (8 دجنبر 1952) انتهزت سلطات الحماية ذلك فرصة لتحويل الاحتجاج السلمي إلى مجزرة ذهب ضحيتها مئات الأبرياء، في حي الكاريارسانترال في الدار البيضاء، وأردفتها بإلقاء القبض على جميع من كان معروفاً من القادة الوطنيين، وكان ذلك مجرد تمهيد لعزل الملك يوم 20 غشت 1953 وإرهاب الشعب حتى لا يحرك ساكنا يوم يعلن عن بيعة سلطان من اختيارهم واختيار أذنابهم من الخونة وهو المدعو محمد بن عرفة. لكن ما أن تمت تلك المناورة اليائسة حتى أعلنت بمنتهى التلقائية "ثورة الملك والشعب" وخرج من الصفوف قادة جدد ونزل إلى شوارع المدن جماعة من الفدائيين زرعوا الهلع في صفوف الأقلية الاستعمارية برصاصهم وقنابلهم وقطعوا عن المسؤولين في ظرف وجيز أسباب الاستخبار والتجسس بما كان من تصفيتهم لعملاء الحماية وجواسيسها، وظنت الشرطة الاستعمارية أنها تستطيع إيقاف الفداء بارتكاب أعمال إرهابية ممنهجة، فدخلت البلاد في مرحلة من الصراع العنيف عجز عن التمكن منه لاكُيُوم الذي اعتزل في شتنبر 1954 ولا فرانسيس لاكوسط (Francis Lacoste) الذي خلفه في الإقامة ويدانشله هو بدوره في يونيه 1955. كانت الحكومة الفرنسية برئاسة إدگار فور (Edgar Faure) قد أدركت منذ تشكيلها في فبراير من تلك السنة مدى فداحة الخطأ الذي ارتكب يوم عزل الملك الشرعي فجددت الاتصال به وهو في منفاه في مدغشقر وأطلق سراح العديد من الوطنيين إعداداً لفتح باب التفاوض معهم، ولم يبق على الحكومة إلا أن تراوغ الأوساط الاستعمارية المتطرفة وذلك ما وكل بالمقيم العام جيلبير گرانڤال (Gilbert Grandval) في يونيه 1955، لكنه سرعان ما رفض أن يقع بين المطرقة والسندان فاستقال في بداية شتنبر بعد ثلاثة أشهر من تعيينه وحل محله الجنرال بوايه دي لاطور (Boyer de Latour) وكان من أقطاب ضباط الشؤون الأهلية لكنه استقال بعد أسابيع قليلة عند ما أدرك أن لا سبيل إلى إيقاف الحرب الناشئة في المغرب إلا بإعلان استقلاله وذلك لأن الفدائيين كانوا قد زعزعوا الحماية من أركانها ومنهم من استشهد في تلك المعارك مثل محمد الزرقطوني وإبراهيم الروداني وحمان الفطواكي وعلال بن عبد الله، ومنهم من أدرك ضرورة الانتقال إلى تنظيم صفوف جيش للتحرير في الجبال والأوعار ومدّ يد الاتصال بالثورة الجزائرية التي كانت قد اشتعلت نيرانها منذ فاتح نونبر 1954، ومن هؤلاء عبد الله الصنهاجي والحسن الأعرج ومحمد البصري وعبد الرحمان اليوسفي على سبيل المثال لا الحصر، وما أن بدأت معارك التحرير في الريف الغربي والأطلس المتوسط الشمالي حتى بادرت الحكومة الفرنسية إلى الشروع في التفاوض مع القادة الوطنيين في مدينة إيكس ليبان (Aix-Les-Bains) وفك النفي عن محمد الخامس فعاد إلى فرنسا حيث تم الاعتراف بنهاية عهد الحماية من خلال تصريح لاسيل سانكلو (6 نونبر 1955) (La Celle Saint-Cloud) فعاد الملك إلى وطنه وعرشه مظفراً ممجّداً وشُرع في مباحثات مدققة بين الجانبين لنقل السلطات من الإدارة الاستعمارية إلى الإدارة المغربية، وتوج ذلك بإعلان الاستقلال واسترجاع

المغرب لكامل سيادته يوم 2 مارس 1956 وانتهى بذلك عهد الجهاد الأصغر ليبتدئ عهد الجهاد الأكبر كما جاء في بعض خطب محمد الخامس، وهو عهد التغلب على مخلفات الاستعمار مع استثمار خيرات البلاد لفائدة كافة أبنائها وبناء صرح الملكية الدستورية في ظل العروبة والإسلام.

إ. بوطالب، *الإدارة*، *معلمة الم.ب*، (ج 1 ص. 212.216) ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، الرباط، 1990 ؛ ح. بوعياد، *الحركة الوطنية، الظهير البربري*، 1348 / 1930، الدار البيضاء، 1979 ؛ الحسن الثاني، *التحدي*، الرباط، 1983 ؛ ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط، 1984 ؛ عبد الله الصنهاجي، *مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956*، المحمدية، 1987 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، (جزآن)، الرباط، 1987 ؛ م. الحبيب الفرقاني، *الثورة الخامسة، صفحات من تاريخ المقاومة وجيش التحرير*، (الجزء الأول)، الدار البيضاء، 1990 ؛ محمد خير فارس، *تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب*، 1912.1939، دمشق، 1972 ؛ علال الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، طنجة، 1948 ؛ *النقد الذاتي*، تطوان، د. ت. ؛ أبو بكر القادري، *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940* (الجزء الأول)، الدار البيضاء، 1992 ؛ إبراهيم الكتاني، *مذكرات سجين مكافح*، الرباط، 1977 ؛ م. الرشيد ملين، *نضال ملك*، الرباط، د. ت. ؛ محمد بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* (6 أجزاء)، بيروت، 1982.1986 ؛ م. المؤقت، *الرحلة المراكشية أو مرآة المساوي الوقتية*، الدار البيضاء، د. ت.

A. Adam, *Casablanca : essai de transformation de la société marocaine au contact de l'occident*, Paris, 1969, 2 vol. ; Ch. R. Ageron, *Politiques coloniales au Maghreb* Paris, 1973 ; A. Ayache, *Le Maroc : bilan d'une colonisation*, Paris, 1956 ; *Le mouvement syndical au Maroc*, Paris, T. I, *1912 - 1942*, Paris, 1982, T. II ; G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, 1981 ; G. Babin, *Le Maroc sans masque : Son Excellence*, Paris, 1932 ; S. Bernard, *Le conflit franco-marocain 1945 - 1956*, Bruxelles, 1963, 3 vol. ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; H. Bleuchot, *Les libéraux français au Maroc 1947 - 1956* ; Aix-en-Provence, 1973 ; P. Boyer de Latour, *Vérités sur l'Afrique du Nord*, Paris, 1956 ; L. Cerych, *Européens et marocains, 1930 - 1956*, Bruxelles, 1964 ; J. Couleau, *La paysannerie marocaine*, Paris, 1969 ; A.-L. Dubois, *A travers trois républiques. I. Sous le signe de l'amitié*, Paris, 1972 ; R. Gallissot, *Le patronat européen au Maroc, 1931 - 1942*, Rabat, 1964 ; G. Grandval, *Ma mission au Maroc*, Paris, 1956 ; A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; *Histoire du Maroc* (Ouvrage collectif), Paris, 1966 ; A. Huré, *La pacification du Maroc: Dernière étappe 1931 - 1934*, Paris, 1952 ; A. Juin, *Le Maghreb en feu*, Paris, 1957 ; *Mémoires*, 2 vol, Paris, 1959 - 1960 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche: Nationalismes musulmans et souveraineté française*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes 1415 - 1956*, Paris, 1978 ; P. July, *Une république pour un roi*, Paris, 1974 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane, 1920-1961*, Paris, 1962 ; H. Lyautey, *Lyautey l'Africain*, 4 vol. Plon, 1953 - 1957 ; *Paroles d'action, 1900 - 1926*, Paris, 1927 ; R. Montagne, *Naissance du prolétariat marocain*, Paris, 1951 ; *Opérations militaires au Maroc* (sous direction Jean Maxwel), Paris, 1931 ; G. Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain*, 2 vol., Paris, 1984 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane au Maroc : Introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992 ; R. Rézette, *Les partis politiques marocains*, Paris, 1955 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc*, 3 vol. Paris, 1988 , G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut-Dra*, Rabat, 1936 ; *Du protectorat à l'indépendance. Maroc 1912 - 1955*, Paris, 1967 ; *Souvenirs d'un colonialiste*, 1968 ; R. Bidwell, *Morocco under colonial rule. French administration of tribal rule 1912-1956*, London, 1973 ; R. Dunn, *Resistance in the desert : Moroccan responses to french imperialism 1881 - 1912*. The University of Wisconsin Press, 1977 ; E. Ch. Micaud, *Arabes and berbers : from tribe to nation in North-Africa*, London, 1973 ; J. P. Holstead, *Rebirth of a Nation : The origins and rise of Moroccan nationalism, 1912 - 1944*. Harvad University Press, 1967 ; D. M. Hart, *'Assû û Bâ - Slâm in Les Africains* V, Paris, 1977 ; W. Hoisington, *The Casablanca French Connection*; A.I Scham, *Lyautey in Morocco. Protectorate administration 1912 - 1925* ; Ch. F. Stewest, *The economy of Morocco 1912 - 1962*, Harvard University Press, 1964 ; W. D. Swearingen, *Moroccan Mirages, 1912 - 1986*, Princeton University Press, 1987 ; F. E. Trout, *Morocco Saharian frontiers*, Genève, 1969 ; David S. Woolman, *Rebels in the Rif, Abdelkrim and the rebellion*. University Press, 1968.

إبراهيم بوطالب

الحماية القنصلية، الحماية حمايتان : حماية وزعت بالتقسيط من قبل قناصل الدول المقيمين في المغرب على من كان يرغب فيها من المغاربة وذلك إلى حدود 1912 وكانت في الحقيقة احتماء، وتُسمى باللغات الأوربية "بروطكسيون" (Protection)، وحماية فرضت على المغرب فرضاً بمقتضى معاهدة دولية يوم 30 مارس 1912 وتسمى بلغاتهم "بروطكطورا" فلا مناص من أن نميز بينهما بأن نخص الأولى بعبارة "الحماية القنصلية" ونحتفظ بلفظ الحماية مجرداً للدلالة على المرحلة التي وقع فيها المغرب تحت الاستعمار الفرنسي والإسباني إلى أن تخلص منه سنة 1956. على أن الحمايتين مرتبطتان ارتباط الجنين بما يصير إليه بعد الولادة، فإن الحماية القنصلية على الأفراد كانت مقدمة للحماية بالجملة على البلاد، فلنعرض أول الأمر للحماية القنصلية.

إن لها أصولا قانونية تعود إلى ما كان الأمراء المسلمون يُنعمون به على تجار النصارى وقناصلتهم من الإنعامات جزاء لهم على ما كانوا يقومون به من أعباء التجارة بين ديارهم وديار الإسلام فكانوا لا يُحمِّلونهم شيئا من الكلف المخزنية ويخلّون بينهم وبين الفصل في ما يقوم بينهم من أسباب النزاع ويدوّن ذلك في ما يكتب بينهم وبين قناصل الأجناس من الشروط منذ أقدم العصور، بحيث

الحمد لله وحده

حسبي الله

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

الفصل الحادي عشر

الفصل الثاني عشر

الفصل الثالث عشر

الفصل الرابع عشر

الفصل الخامس عشر

الفصل السادس عشر

الفصل السابع عشر

الفصل الثامن عشر

الحماية القنصلية : المصادقة على معاهدة مدريد بتاريخ 3 يوليوز 1880

عندما أقدم السلطان سيدي محمد بن عبد الله على النهوض بأسباب التجارة الخارجية مع دول أوربا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر فإنه لم يبتعد عن المعهود ولا ارتكب أدنى بدعة يوم أبرم اتفاقية صلح وتجارة مع الدولة الفرنسية (28 ماي 1767). فاعترف لها في الفصل 11 من شروطها بحق إقامة قناصلتها في مراسي المغرب للنظر في شؤون تجارها "لئلا يتعرض لهم أحد من حكام البلاد وغيرهم" ومن يستخدمه أولئك القناصل "من كاتب وترجمان وسماسير وغيرهم فإنه لا يتعرض لمن يستخدمونه بوجه ولا يكلفون بشيء من التكاليف أيا كانت في نفوسهم وبيوتهم" كما لا يلزم القناصل بأي ضريبة على ما يجلبون من البضائع لحاجياتهم الخصوصية، "ولهم أيضاً أن يذهبوا حيث شاؤوا من إيالة سيدنا نصره الله من غير مانع". وجاء في الشرط 12 أن النزاع بين المسلم والفرنصيصي لا يفصل فيه القاضي وإنما يفصل فيه السلطان أو نائبه "حاكم البلد". وجاء في الفصل 13 أن الدعوى إن كانت على الفرنصيصي من قبل المغربي "فلا يحكم فيها إلا بعد إحضار القونصو ليجيب ويدافع عنه"، وقد حصلت دول أخرى على مثل ذلك كالسويد (16 ماي 1763). والدانمارك (25 يوليوز 1767) والبرتغال (27 نونبر 1773) وكان المولى إسماعيل قد أنعم على تجار انجلترا وقناصلتها بما لا يختلف إلا لفظا عن تلك الشروط بمقتضى معاهدة 17 يناير 1720 التي كانت تنص في مجملها على أن ما يمنح من الفوائد لرعايا لانجليز في المغرب يمنح مثله تماما لرعايا المغرب في انجلترا، فيومئذ كانت الكفة متساوية.

لكن تعميم أسباب الثورة الصناعية في أوربا وعجز المغرب عن الصمود أمام السلاح الأوربي عند منتصف القرن التاسع عشر سرعان ما أخل بتلك المساواة فاستفادت انجلترا من انهزام الجيوش المغربية أمام الجيوش الفرنسية في إسلي (غشت 1844) التي كان بوسعها أن تكتسح العاصمة فاس لولا التدخل الانجليزي لتفرض على المولى عبد الرحمان معاهدة تجارية جديدة (9 دجنبر 1856) اشتدت فيها الشروط بما دخلها من التدقيق والتضييق وبخاصة في أمر من يستعمله القناصل من المغاربة لخدمتهم فإن "لهم أن يختاروا ترجماناً واحداً وبواباً واحداً ومتعلمين من المسلمين أو من غيرهم ولا يلزمهم الجزية ولا الغرامة ولا ما يشبه ذلك، وإذا جعل النائب المذكور خليفة في خدمة قنصوات بمراسي سلطان مراكش من رعية السلطان يكون هذا وعياله الساكنون بداره موقرين ولا يلزمهم جزية ولا غرامة ولا ما يشبه ذلك" ويؤكد هذا الشرط أن لا يكون لهذا الخليفة القنصلي "أحد تحت حمايته من رعية هذه الإيالة إلا عياله فقط" (الشرط 3) وجاءت الشروط الموالية الأخرى (4 و8 و9 و10 و11 و14) تثبت الامتيازات القانونية المخولة للقناصل للفصل في ما يقوم من الدعاوي بين رعيتهم وفي الدفاع عنهم في حالة قيام دعوى بينهم وبين المغاربة. ولم تمض أربع سنوات على تلك المعاهدة حتى أرغم المغرب على التنازل لإسبانيا بمثل شروطها وذلك على إثر انهزامه في حرب تطوان (مارس 1860) حيث وقع مع اسبانيا اتفاقيتين مجحفتين جاء في الشرط 13 من أولاهما (26 أبريل 1860) أن المغرب يعقد مع تلك الدولة اتفاقية تجارية يعترف فيها لرعاياها بما تحظى به أكثر الدول حظوة لديه، وجاء في الاتفاقية الثانية (20 نونبر 1861) بتفاصيل تلك الشروط بصيغة ما جاءت به الاتفاقية مع انجلترا، وهكذا انفتح باب الحماية القنصلية على مصراعيه وعمت البلوى بها في ظرف وجيز مما كتب به السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه في طنجة محمد بركاش (27 شوال 1279 / 1863) فقال : "فقد اتسعت دائرة الحماية وصار يسارع للدخول فيها كثير ممن كان متبوعا بحق أو جنى جناية حيث رأوا نواب القنصوات وسائر التجار يقبلون كل من احتمى بهم وانحاش لجانبهم ولم يقفوا على الشروط المنعقدة بين الدول ولم يسيروا بالسيرة التي يسير بها الموجود منهم والأول، فحصل الضرر لبيت المال وللرعية بسبب ضياع حقوقها المرعية، وذلك المحتمي يسقط من الزكاة والأعشار واجبه فيقوم بأدائه إخوانه وأقاربه فإن عجزوا عنه سقط من الداخل على بيت المال وأدى ذلك إلى فساد الأعمال على العمال لكونهم يبقون في حيرة من أجل واجبهم"، ولذلك رأى هذا السلطان أن يقع الإلحاح على نواب الأجناس وبخاصة منها نائب فرنسا بيكلار (Béclard) لجعل حدٍّ لكل ما أصبح يجري من التجاوزات بسبب الحماية الفوضية، وبادر بيكلار هذا للإصغاء لفاتحات المخزن لما كان يخشى من تأخر فرنسا عن أخر ما حصلت عليه إنجلترا وإسبانيا من الامتيازات فأبرم وفقا مع المغرب بتاريخ 19 غشت 1863 تأكد فيه أن الحماية القنصلية أمر فردي وموقوف على ممارسة الخدمات القنصلية وأنها لا تمتد إلا للزوجة وللأولاد الساكنين مع المحتمي وأنها ليست وراثية إلا في أسرة آل ابن شمول اليهودية لدخولها في خدمة فرنسا منذ أجيال، وأن المحميين من صنفين : صنف "المستخدمين عند التجار الفرنصويين في أمور تجارتهم" على أن لا يزيد عدد السماسرة المحميين على اثنين لكل دار تجارية إلا إن كان لها "دار أخرى في مرسى أخرى فيكون لها في كل دار سمساران محميان". كما نص الوفق على أن لا تمتد الحماية إلى سكان البادية "في مثل أمور الحراثة والفلاحة ورعي الغنم وشبه ذلك". ولكن حيث كان ذلك قد صار من الأمور الجاري بها العمل فإنه تقرر أن لا يتم الكف عنه إلا ابتداء من فاتح دجنبر 1863، علما مع ذلك أن من كان يتعامل من أهل البادية مع التجار الفرنسيين "حين تجب مطالبتهم بالأحكام فيعلم نائب الفرنصيص ليأمر صاحب الغنم أو الحرث بتوجيه من يقف على متاعه لئلا يبقى للضياع" وتقرر ختاما أن يمكن العمال "بزمام من هو في حماية الفرنصيص" وأن يكون بيد كل محمي "بطاقة

مذكور فيها اسمه وتعيين الخدمة التي هو بها ونكون هذه البطاقة مكتوبة بالعربي وبالفرنصيص" ولا يسلم هذه البطاقة "إلا الباشدور المقيم في طنجة" وانضمت إسبانيا وانجلترا من حينهما لهذا الوفق الذي كان ظاهره لصالح الدولة المغربية ولكن جوهره كان وبالا عليها بما أسبغ على الحماية القنصلية من المشروعية وبما كان من ركوب التجار الأوربيين إياها ليتسربوا إلى قلب البلاد ويبثوا فيها بضائعهم ويلتقطوا ما يرغبون في تصديره من منتجات المغرب. فأضحت الدولة المغربية منذ الستينات من القرن التاسع عشر مغلولة على أمرها في عقر ديارها ولا تستطيع إلا إحصاء ما بات نواب الأجناس يكيلون لها من الضربات كما تشهد بذلك مراسلات السلطان المولى حسن. فإن تهافت المغاربة على الحماية القنصلية كان مخلا بالأحكام لأن كل متابع بجريرة كان يكفيه أن يحتمي ليصبح في مأمن من القضاء المغربي وكان مخلا ببيت المال لسقوط الضرائب والكلف عن المحميين، وهذا فضلاً عن أن دعاويهم على غير المحميين من الرعية سواء كانت مبنية على الحق أو على الافتيات فكان المخزن مضطرا لأداء الواجب فيها في انتظار استصفاء ذلك من الرعية التي أرهقتها الواجبات فمالت إلى العصيان والتمرد بينما امتدت حمارة المحميين وبخاصة منهم المحميين اليهود الذي لم يتخلصوا من الذمة وحسب وإنما صاروا بمثابة حصان طروادة في قلب المغرب يطلعون الأوربيين على عوارته ويزرعون في ثنايا المجتمع أسباب التفسخ والفساد، فقد جاء في رسالة للمولى حسن إلى محمد بركاش (13 جمادى الأخيرة عام 1293) قوله : "فقد تفاحش أمر الحماية حتى صار يتلبس بها من يستحقها ومن لا يستحقها" وفي رسالة أخرى بتاريخ 24 ربيع الأول 1298 عن ظالم يدعى ولد عبد الله بن مالك من قبيلة مصمودة تغلب على قبيلته وتجبر لا لشيء إلا لكونه شريكا مع ترجمان سفير البروس (ألمانيا) في الغنم والتجارة "ومثل هذا إنما يحتمي ليبقى على عتوه وافتياته ولا يقدر حتى العامل أن يتكلم معه ومهما عارضه أحد في شيء إلا ويدعي عليه أنه ملك مال التجار". وجاء في رسالة ربيع النبوي عام 1295 أن الحمالة أصحاب النقل صاروا ينسبون إبلهم لتجار الأجناس وللمحميين حتى لا يؤدى عن السلع المنقولة شيء "ولا يخفى ما في ذلك من الضرر الفادح والخرق الكبير المفضي إلى تضييع المستفادات وقلة النفع بطامع أن جل المصاريف الآن إنما يخرج منها" وجاء في رسالة بتاريخ 7 رمضان عام 1296 بخصوص متابعة خليفة قنصل الفرنصيص ليهودي من رعية السلطان وأمره بسجنه خرقا للمعاهدات قول المولى حسن بأن "مثل هذا هو السبب في وقوع النقص في رعيتنا والزيادة في رعية أخرى".

ولذلك سعى هذا العاهل سعيا حثيثا في جعل حد لفوضى الحماية القنصلية واستعان بسفير انجلترا جون درا مند هاي (John D. Hay) للدعوة إلى عقد مؤتمر دولي يفصل في الأمر فاجتمع المؤتمر في مدريد في ربيع سنة 1880 إلا أنه سرعان ما طغى ما جاء منطويا عليه من السلبيات على ما أقره من الإيجابيات شأنه في ذلك شأن وفق بيكلار قبله، فإنه أقر شروط الحماية السابقة دون أن يخفف منها شيئا واكتفى بالتعهد بعدم تجاوزها، لكن في مقابل ذلك التعهد اللفظي حصل ممثلو أوربا على اعتراف المخزن لهم بحق الملكية العقارية (الشرط 11) على "أن شراء هذه الأملاك يكون بتقديم إذن الدولة المراكشية ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين مقررة في شريعة البلد وأن يلتزم أصحاب تلك الأملاك بأداء الأعشار والزكوات عليها لكن "الوجود والكيفية والتاريخ والقدر من هذه الزكاة والأعشار سيقع فيها ترتيب مخصوص بين نواب الأجناس ووزير الخارجية للحضرة الشريفة" كما تقرر أن يؤدى التجار الأجانب والمحميون واجبات الأبواب على أن يكون في ذلك ترتيب مخصوص بين الأجناس بطنجة ووزير الأمور البرانية للحضرة الشريفة" (فصل 13) وجاء في الشرط 16 "حتى حماية خارجة عن القانون أو بوجه التوسط لا تعطى في المستقبل" باستثناء "حماية كنستدينير وهي الحماية المعتادة ستحفظ في صورة واحدة لتكون جزاء لبعض الخدمات العظيمة الصادرة من مراكشي لإحدى دول الأجناس أو لأسباب غريبة الوقوع" مما يعني أن المغرب لم يستفد شيئا من مؤتمر مدريد فلو فرضنا أن الحماية القنصلية الفوضوية قد طردت من الباب فإنها عادت فدخلت من النافذة على شكل "الحماية المعتادة" أو كنستدينير (Consaétudinaire) وهي التي تعطى على غير شروط الأوفاق وتمنح جزاء وفاقا لمن يكون تماصل الدول راضين عنه من الشخصيات المغربية وهي الحماية التي منحها ممثل فرنسا أورديگا (Ordéga) سنة 1884 لشيخ



جماعة من المحميين بحديقة القنصلية الفرنسية بالرباط أواخر القرن 19

السزاوية الوزانية عبد السلام بن العربي وذهب بها إلى محاولة فصل الشمال الغربي من البلاد عن أحكام السلطان لوتبعته حكومته، كما أن المؤتمر أقر لرعايا الأجناس حق امتلاك العقار على أن يؤدوا الحقوق الجبائية عليه بعد وضع ترتيب لذلك بين الجانبين، ومعلوم أن ذلك الترتيب لم يوضع إلا في ظل الحماية الاستعمارية، وكل ما تأتى للدولة المغربية من المؤتمر أن موعد الاستعمار أرجئ لأزيد من ثلاثين سنة نظراً لتنافس الأقطاب.

وهكذا ظلت الحماية القنصلية تنال من النسيج السياسي والاجتماعي المغربي حيث تفاقم أمرها وتحولت إلى أداة ثراء وتناور في يد القناصل والتجار، فالذين لم تكن بلدانهم تتشوف لاستعمار المغرب مثل طوماس ماتيوز (ThomasMathews) قنصل الولايات المتحدة أو كلاصو (Colaçao) قنصل البرتغال واسكوفاسو (Scovasso) الايطالي مقترح "الحماية كنستدبنير" فإنهم جعلوها وسيلة للكسب السريع، والذين كانت لبلدانهم طموحات ترابية في المغرب فإنهم جعلوها أداة ضغط على المخزن وإفساد لسلطته إما لحمله مكرها على إدخال إصلاحات تتنافى والأعراف المغربية وذلك ما عمل به الانجليزي جون دراموند هاي، وإما لإضعافه وفسخ أحكامه للتمكن من استعماره في الوقت المناسب، وذلك ما سار عليه ممثلو أسبانيا وفرنسا، فكانوا يبيعون الحماية القنصلية من المغاربة بسخاء، كله مكر زعداء، حتى انتهى الأمر إلى إنفار الدولة في الرعية وإنفار الرعية في الدولة وإلى تشويه أسباب الرقي في أعين المغاربة لبثبت عجزهم عن إدراكها بوسائلهم الذاتية ويتبين أن لا سبيل لإدخالها عليهم إلا بقوة الاستعمار، هذا فضلا عن كون تهافت النخبة الاجتماعية على الحماية القنصلية أعد للاستعمار جيلا قابلا للتعامل معه يوم تنحلّ البلاد ولذلك ما فتئ الفقهاء والعلماء يندون بالمحميين "أصحاب الباسبورط الخثالي" وينعتونهم بأقبح النعوت، علما مع ذلك أن أعدادهم لم تتجاوز بضع مئات من الأفراد فكانوا أقلية إلا أنهم كانوا من النخبة الطلائعية في مجتمع محكوم عليه بالانفتاح.

لكن كم من نقمة في طيها نعمة، فمن مفارقات الاستعمار أن أدوار أولئك المحميين لم تنته مع فرض الحماية الاستعمارية سنة 1912 فإن فرنسا وإسبانيا لم تستطيعا على ما كان لهما من النفوذ إلغاء ما كان لبعض أعضاء تلك الطائفة من الاحتماء باستثناء من كان منهم تحت الحماية الألمانية أو النمساوية فإنهم حُرموا منها مع بداية الحرب العالمية الأولى، أما من كان محتمياً بانجلترا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة مثلا فإنهم احتفظوا بالاحتماء، ومنهم من استغل ذلك ليعمل على مرأى ومسمع من سلطات الاستعمار في تنظيم الصفوف الأولى للحركة الوطنية كالحاج الحسن بوعياد والحاج عبد السلام بنونة والأخوين الدبوري وعبد القادر برادة على سبيل المثال.

م. برگاش، *مراسلات مخزنية*، مخطوط، ميكرو فيلم، خ. ع ؛ ع. الوهاب ابن منصور، مجلة *الوثائق* (العدد 4)، الرباط : *مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد*، سنة 1880، الرباط، 1977 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1280 - 1311 (1863 - 1894) 3 أجزاء، الرباط، 1984 - 1988 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* (جزآن)، بيروت، 1985؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* (6 أجزاء)، بيروت، 1984.

Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce entre les pays chrétiens et l'Afrique septentrionale au Moyen-Âge* Paris, 1866 ; J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894* (4 vol.), Paris, 1963 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1805*, Paris, 1963 ; M. Kenbib, *Protections, protectorat et nationalisme (1904 - 1938)*, *H.T.*, Vol. XVIII, 1978 - 79, p. 173 - 197 ; *Les protections étrangères au Maroc au XIXème siècle et au début du XX*. Doctorat de IIIème cycle - Université de Paris VII, 1980 (Inédit). ; E. Burke, II, *Prelude to protectorote in Morocco Precolonial Protest and Resistance 1860 - 1912*, The University of Chicago Press, 1976.

إبراهيم برطالب

حْمَايْدُوش، أسرة باعمرانية قديمة حسب ما اطّلعنا عليه في عقودها العقارية، وأعرافها القبلية، وكانت من العائلات الكبرى فتشعبت، ومنها انحدرت فروع كثيرة ذات شأن كبير وموقف معروف في العلم والتصوف والجهاد والرئاسة.

ومن فروع هذه العائلة فخذة أيت محند بمدينة تيزنيت وعلى رأسها بيت العلم والقضاء، عائلة أوعمّو، ثم فخذة أيت عمرو بويجّان، شرق تيزنيت، ثم آل الصالح سيدي إبراهيم أوعلي الولي المشهور في قبيلة إداوتانان المتوفى سنة 989 هـ.

حْمَايدُوش أنفلوس أحمد، وعرفت عائلته أحيانا بادسّي لكثرة الطلبة فيهم، وقد برزت شخصية حْمَايدُوش هذا من بين إخوته الثمانية، حيث وقع انتخابه كفارس شجاع في معركة إيگالفْن ضد حملة الباشا حيدا بن مُايْس سنة 1917.

قال حْمَايدُوش نفسه .. كنت فارسا في هذه المعركة وفرض علينا أن نقوم نحن الفرسان بما يعرف في حرب أيت باعمران - بعادا - ومعناها أن ننقض على الخصم بأقصى سرعة ونخالطه. ولما قتل الباشا حيدا اختلّ توازن المحلة بكاملها فاستسلم الجانب الآخر فتهافت الناس على جمع الغنائم فقصدت رجلا على بغلته، وحوله نساء فصوبت إليه بندقيتي، لكنه قال لا تضربني. وفعلا توقفت، فإذا به هو صوّب إلي رصاصة فقتلت فرسي وفي الحين أرديته قتيلا، ثم ركبت بغلته قاصداً داري".

وأكد لي ابن أخيه أن حمل تلك البغلة كان كله من الدراهم الحسنية وبفضل ذلك المال تمكن حْمَايدُوش من شراء العقارات الواسعة، كما انخرط منذ ذلك الوقت في تجارة

القوافل التي تربط بين تيزنيت والصحراء ضمن رآسة قافلة الشيخ محمد بوزاليم.

طال عمر المترجم أكثر من تسعين سنة كلها جد وعمل، وقد استفاد كثيراً من تاريخ العائلة المجيد، ومن معاشرة كبار القوم والعلماء، وخاصة أساتذة مدرسة إسڭ الباعمرانية، وهي بجانب داره وفيها وعلى يد أستاذها أحمد بن ڭودْ الذي تنسب إليه الزاوية الدرقاوية هناك زاوية ڭودْ أقول على يد هذا الدرقاوي مسته مسحة من التصوف حتى سُمي في آخر حياته حْمَايدُّوش الفقير أحمد.

هذا وقد كانت حياة هذا الرجل حافلة بمواقف تستحق أن تسجل وتخلد، منها القيام بتسيير قبيلة أيت النص ضمن مجموعة من - إنفلاس - لما قتل قائد القبيلة محمد الوجداري في العشرينيات من هذا القرن، وكذلك الدفاع عن القبيلة عندما حاول القائد المدني الأخصاصي ضمّ هذه القبيلة فوقعت حروب قبلية طاحنة.

شارك أحمد حْمَايدُّوش في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص سنة 1934 وبها اقتُطع أيت باعمران من حماية فرنسا لصالح إسبانيا، لذلك أقرته إسبانيا على فخذته، كما شارك في وضع الحدود الفاصلة بين الحمايتين في شمال أيت باعمران برآسة الجنرال ڭبَّاصْ سنة 1934.

ونظراً لمعرفته وخبرته وتجاربه كانت كلمته إلى جانب عيسى بن عثمان هي فصل الخطاب لدى الحكومة الإسبانية وخاصة ما يتعلق بالأعراف المحلية، ولدى هذه العائلة وثائق قديمة أهمها أعراف القبيلة ورسائل مخزنية ومراسلات في عهد الاحتلال الإسباني، وكذلك ما يتعلق بجيش التحرير.

توفي أحمد حْمَايدُّوش في بداية عام 1375 / 1956.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 199 ؛ *كراسة شايلاه*، مخطوط؛
ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، 1984 ؛ *استجواب مع ابن أخ المترجم له محمد بن لحسن حْمَايدُّوش*.

الحسين جهادي

حْمَايْدُّوش، قصبة جنوب أسفي على مقربة من مصب نهر تانسيفت. كانت فيما مضى بناية عظيمة بشورها ودورها ومسجدها وأهريتها وأسوارها ... كما تشهد على ذلك آثارها التي مازالت قائمة حتى الآن. وقد ذكرها الفقيه الكانوني في *أسفي وما إليه* وقال : "(إنها) مسورة في بسيط من الأرض بسور متين واسع عليه ثمانية أبراج، توجد مدافعها ساقطة على الأرض، وفي وسطها دار كبيرة يحيط بها سور عظيم كان بها مسجد ومنار هدما بعد سنة 1330 هـ. وحملت أنقاضُهما إلى ما جاورهما من البلاد. وبين السورين عدة مخازن وأهرية منحوتة في الأرض مرفوعة على أبنية عظيمة يصعد إليها بمدارج. لست على علم من مؤسسها إلا أنها كان يسكنها عمال شياظمة من أولاد ابن حميدُّوش ... ويظهر أنها من تأسيس الدولة السعدية وهي اليوم خالية". كما أن الفرنسي "دوتي" (E. Doutté) وصفها في كتابه "En tribu" ووضع لها رسماً مفصلاً. وهو يرجع تاريخ تأسيسها إلى عهد المولى إسماعيل.

م. الكانوني، *أسفي وما إليه*.
E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914.

عبد الرحيم العطاري

ابن **حَمَد** أو الحَمَدي، أسرة فاسية عريقة أصلها من بني يفرن الزناتيين، وبيتهم بيت علم وثروة منهم :

ابن **حَمَد، عبد العزيز** بن محمد اليفرني الفاسي، حلاه ابن القاضي في *الجذوة* "بالفقيه الفرضي الحيسوبي". وزاد ابن القاضي قائلا : انقرض عقبه اليوم. ولعله يريد انقراض أسرة بني حمد عموماً من مدينة فاس في ذلك التاريخ - نهاية القرن العاشر (16 م) -.

توفي بمسقط رأسه فاس سنة 853 / 1449.

ابن **حَمَد، عبد الله** (سيدي -) أحد أولياء مدينة مكناس وصلحائها، من بيت بني حَمَد الشهير بفاس، استوطن مدينة مكناس بإشارة من بعض المشايخ الأخيار الذين لقيهم أثناء رحلته للمشرق لأداء فريضة الحج (*الروض الهتون*، ص. 57) بصفه ابن زيدان في *الاتحاف* (4 : 498 - 499) بقوله : "فقيه عالم صالح، ولي كامل فالح، متواضع حسن الخلق، متبرك به حيا وميتا، آية الله في الزهد والورع والعبادة واتباع السنة". تروى عنه عدة كرامات وخوارق ومناقب كثيرة، مجاب الدعوة، والدعاء عن قبره مستجاب. يقصده الكثيرون للاستشفاء.

وعن نسبه جاء في لوح خشب منقوش ملصق بجدار من جدران قبة ضريحه "هذا ضريح العارف بالله الولي الأشهر سيدي عبد الله بن حَمَد الشريف الحسني نفعنا الله به" وقد جزم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في *السلوة* بشرف سيدي عبد الله بن حَمَد، غير أن ابن زيدان في *الإتحاف* أنكر ذلك وقال : "ترجمه غير واحد من المحققين النسابين ولم يشر واحد منهم لكونه حسنيا بل وقع التصريح ممن يعتمد ويرجع لقوله بأن بيت بني حَمَد الشهير بفاس الذي هو منه".

أخذ عن سيدي علي وقال عن والده وتتصل سلسلته إلى أبي الحسن الشاذلي، أما الآخذون عنه فمنهم الإمام القوري وأبو الفتوح وأبوزيد القرموني وجماعة.

ومن مآثره الخالدة ما حبسه من أملاك داخل مدينة مكناس وخارجها على الضعفاء، والمساكين والمرضى وذوي العاهات والغرباء والمنقطعين، ولذلك نعت بأبي المساكين، وإليه ينسب المارستان المعروف بمارستان سيدي عبد الله بن حَمَد الذي ظل قائما حتى عهد الحماية. ولقد كانت أحباسه

أساس ما عرف بأحباس المساكين أو أحباس سيدي عبد الله ابن حَمد، وقد نمت وتكاثرت بسبب إقبال المحسنين على ذلك النوع من التحبيس.

توفي عبد الله بن حَمد بمكناس عام 833 / 1430 ودفن خارج باب البرادعيين غرب ضريح الشيخ محمد بن عيسى الفهدي الشهير بالشيخ الكامل. وضريح ابن حَمد أيضاً مزارة شهيرة وهو من بناء المولى إسماعيل.

ابن القاضي، *جذوة*، 2، 224، 225؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4، 498، 499؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، 1، 287، 288.

رقية بلمقدم

ابن **حَمَد، عليّ** اليفرني الفاسي، فقيه مشارك، وصالح ناسك. ولي القضاء بفاس والخطبة بجامع القرويين. قال عنه صاحب *بيوتات فاس الكبرى* : "وكان من عباد الله الصالحين، وله مكاشفات وكرامات وأسرار وإجابة الدعاء". ولم يذكر تاريخ وفاته.

ابن **حَمد، محمد** بن أحمد بن منصور اليفرني الفاسي، ممن روى عن المحدث إبراهيم بن فرتون السلمي (ت. 538 / 1143).

ابن **حَمَد، منصور** بن أحمد اليفرني الفاسي، حلاه ابن الأحمر في *البيوتات* بالفقيه، وذكر ابن القاضي في *الجذوة* أنه عالم الأسرة الحمدية.

توفي بفاس في رمضان سنة 560 / يوليوز - غشت 1165.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 26؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، ص. 533، 468؛ *درة الحجال*، 3، 121؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3، 306.

محمد حجي

حمداوة، فرقة كبيرة من الفرق المكونة لقبيلة أمزاب : أملال، أولاد مراح، بني إبراهيم وأولاد شبانة، أولاد فارس.

تنتمي حمداوة إلى "احلاف"، وترجع أصول حمداوة إلى الأطلس المتوسط فالرواية ترجع أصلهم إلى بني مطير، حيث أجداد حمداوة من عين اللوح وكان عدد الذين رحلوا من الأطلس إلى الشاوية سبعة خيام، كل خيمة أعطت اسماً لدواوير حمداوة. والدواوير التي كانت تكوّن حمداوة في النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) هي : عين الضربان، أولاد بوعبو، بني سكتن، بني زيتون الاحلاف

والجدير بالإشارة أنه فرقة حمداوة، هي التي ينتمي إليها قواد أمزاب المشهورون خلال القرن الثالث عشر (19م) وبداية القرن الرابع عشر (20 م) مثل عائلة محمد بن الشرقي التي منها القائد ابن أحمد باني "قصبة ابن أحمد" والعربي بن الشرقي الذي حكم أمزاب عند بداية الاحتلال الفرنسي.

Mege. *Les Mzab et les Achaches*. A. B., 1918.

علال الخديمي

الحمداوي، محمد (الشيخ) وُلد سنة 1354 / 1935 بإقليم بركان. وأتم حفظ القرآن الكريم وعمره اثنتا عشرة سنة، ثم تابع دراسته بجامع القرويين بفاس. وفي مطلع الاستقلال التحق بسلك التعليم الابتدائي.

تعرف سنة 1382 / 1962 على نشاط "جماعة التبليغ" التي كان أعضاؤها الهنود والباكستانيون يجوبون عدة دول مبشرين بمبادئ دعوتهم فرافقهم الشيخ محمد الحمداوي في بعض هذه الرحلات وتعرف على مبادئهم، ثم زادت صلاته عمقاً بالجماعة بعد لقائه بالشيخ محمد يوسف الكندهلوي (ت. 1385 / 1965) المرشد العام لجماعة التبليغ وابن مؤسسها الشيخ محمد إلياس الكندهلوي (ت. 1365 / 1945).

وعلى إثر ازدياد نشاط الجماعة بالمغرب والتحاق أعداد من المغاربة بها، تم تأسيس فرع لها بالمغرب سنة 1384 / 1964، اختير على إثره الشيخ محمد الحمداوي أميراً أو مرشداً لها. وظل على رأس الجماعة بعد أن ترك العمل في التعليم، وكان يصرف أوقاتاً طويلة في الرحلات الدعوية للجماعة المعروفة بـ "الخروج في سبيل الله"، والتي كانت تقوده إلى مختلف المدن والقرى المغربية رفقة أعضاء الجماعة وبعض المتعاطفين معها. كما زار عدداً كبيراً من دول العالم لنفس الأهداف، خاصة الهند لتنسيق استراتيجية الجماعة مع مرشدها العام هناك.

وكان الشيخ محمد الحمداوي إلى جانب ذلك على قدر كبير من الهدوء والهيبة، ذا شخصية مؤثرة بخطبه ومواعظه.

توفي أثناء إحدى رحلاته الدعوية إلى مدينة القنيطرة حيث أصابته غيبوبة أثناء أداء صلاة العصر بأحد مساجدها، ثم مالبث أن توفي بعد نقله إلى المستشفى يوم الخميس 18 رجب 1407 / 19 مارس 1987.

جريدة *الإصلاح*، الرباط، س 1 / ع 2 / 27 مارس 1987؛ م. المغراوي، *جماعة التبليغ*، *معلمة المغرب*، ج 6، ص 2266، 2268؛ *معلومات شفوية*.

محمد المغراوي

ابن **حَمْدُوش**، أسرة مكناسية من الأنصار الخزرجيين.

ابن **حَمْدُوش**، عبد العزيز بن عبد الله بن أحمد

ابن **حَمْدُوش**، عبد الله بن أحمد

ابن **حَمْدُوش**، محمد بن عبد الله (الجدّ –)

ابن **حَمْدُوش**، محمد بن عبد الوهاب

لع فيهم بعض الفقهاء والأدباء، ويرتقي أقدم اسم معروف منهم إلى أواخر ربيع الثاني عام 1041 هـ، وهو الفقيه محمد بن عبد الله ابن حمدوش.

ومنهم الفقيه عبد الله بن أحمد إمام مسجد مكتب ابن جابر (مسجد حي التوتة) إلى أن توفي فخلفه فيها ولده الفقيه عبد العزيز.

وفي العصر السليماني نبغ في الأدب محمد بن عبد الوهاب ابن حمدوش، فيقول عنه ابن زيدان : "فقيه أديب أريب ناظم ناثر". ومن شعره تخميس قصيدة عالم تونس وأديبها الشيخ إبراهيم الرياحي التي مطلعها :

صاح اركب العزمَ لا تُخلد إلى الناس

واصحب أخا العزم ذا جد إلى فاس

ومن مرثية للمترجم في أحد علماء مكناس محمد الرجراجي :

مَن للمجالس بعدَ فقدِ محمد　　كهف العلوم وعمدة الإقراء

من للمنابر والمحابر بعده　　من للفصاحة حالة الإلقاء

ملاحظة : لا تلتبس هذه الأسرة ببيت الحمد وشيين في ضواحي مكناس، فهؤلاء أشراف علميون. والأولى تبينا أنهم أنصار خزرجيون، وكلتا العائلتين لا تزالان قائمتين.

حوالة الجوامع الكبار بمكناس، رقم 5 : *حوالة المساجد الصغار بمكناس*، ص 159، عام 1127 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 4 : 300، 301 ؛ سكيرج، *رفع النقاب*، 3 : 135، 138، فيه التخميس بتمامه.

محمد المنوني

حمدوش، أسرة سلاوية عريقة، جاء جدهم من تافيلالت في تاريخ غير محدد. وعرف منهم تجار وحرفيون وفلاحون وعدول وشعراء ورؤساء بحريون. وكان منهم :

حمدوش، أحمد كان سنة 1292 / 1875 من الرؤساء البحريين بمدينة سلا، وكان سنة 1311 / 1894 ما يزال بهذه الصفة.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 156 و226.

حمدوش، عبد الرحمان كان مشتغلاً بالفلاحة، لكنه كانت له موهبة في نظم الشعر الملحون، وخلف بعض القصائد فيه. وقد تتلمذ الشيخ حمدوش على الشيخ عبد السلام الشرقاوي السلاوي المتوفى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) بينما توفي حمدوش في منتصف القرن.

م. الفاسي، *شعراء الملحون السلاويون*، المناهل، العدد 33، ص. 9 و17 و31 ؛ م. بوشعراء، *ذيل* ؛ أ. الحافي، *تحفة الزائر بمناقب الحاج أحمد بن عاشر*، تح. م. بوشعراء، ص. 149.

حمدوش، عبد الله بن العربي كان سنة 1209 رئيساً بحرياً بمرسى العدوتين.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 47، الهامش 45.

حمدوش، العربي بن عبد القادر بن محمد من فقهاء سلا، ولد سنة 1282 / 1865 وكان من عدول سلا في تلقي الشهادات من الناس. وقد نسخ بخطه كتباً سنة 1298. وكان سنة 1334 مازال بقيد الحياة.

م. حجي، *فهرسة الخزانة الصبيحية*، ص. 180 ؛ *كناشة الحاج عبد الله الصبيحي*.

حمدوش، علي أقدم من عرف من آل حمدوش السلاويين، كان من عدول سلا المنتصبين للإشهاد بها في صدر القرن الحادي عشر، وهو من الذين كتبوا رسم إراثة الشيخ عبد الله ابن حسون دفين سلا في فاتح رمضان عام 1013، وكان معه رفيقه وتلميذ الشيخ ابن حسون مَحمد بن سعيد العتابي.

رسم إراثة الشيخ ابن حسون في فاتح رمضان 1013.

مصطفى بوشعراء

حمدوش، علي (سيدي -) بن عمران العلمي العروسي كما هو مقيد في عقد إراثة والده المؤرخ بـ 11 صفر 1119 / 14 ماي 1707 حسب ما جاء عند ابن زيدان في *الإتحاف* (5 : 459) لا نعرف تاريخ ميلاده في حين نعلم أنه تتلمذ على يد شيوخ كثيرين ومنهم المدعو الحفيان.

عاش سيدي علي بن حمدوش في بداية حياته بمدينة فاس حيث كان يجلس بباب القرويين المقابلة لباب الشماعين عدة سنوات أعطى خلالها دروسا في مختلف علوم عصره كما ورد عند بول برتيي Paul Berthier، وبعد ذلك انتقل إلى جبل زرهون الجنوبي.

والمعروف عن هذا الولي أنه من أهل الجذب يحب السماع والامداح، وأظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات - ابن زيدان - فهو من أولياء الله الصالحين له مريدون وأتباع كثيرون داخل المغرب وخارجه، يقصدون زاويته على مدار السنة خاصة في سابع المولد النبوي، حيث يقيمون موسما يجتمع فيه هؤلاء الأتباع القادمون من مختلف أنحاء البلاد، وتتخلله ممارسات وعادات تم تحويرها عنه، أقل ما يقال عنها إنها لا تمت لعمل السلف الصالح بصلة، وتتمثل في شدخ الرؤوس بالشواقير والسكاكين تؤدي أحيانا إلى هلاك العديد منهم أو إصابتهم بعاهات مستديمة، في الوقت الذي يعتقدون فيه أن هذه الممارسات

6

تقربهم إلى الله، وقد ورثوها - على ما يبدو - عن أحد أتباع الشيخ ابن حمدوش المسمى سيدي أحمد الدغوغي الذي كان غائبا أثناء وفاة شيخه، فلما قدم إلى زرهون وعلم بالخبر، أخذ يضرب رأسه على الجدران حزنا وألما عليه، فما كان من باقي الأتباع إلا أن اتخذوا هذه البدعة عادة ثابتة. وأغلب أتباع سيدي علي بن حمدوش يقيمون في المداشر الجنوبية لجبل زرهون وأهمها : بني وراد وبني راشد وبني حناد والقليعة وحمراوة، وكان هؤلاء يلقنون وردا مكونا من 18.000 من الهيللة حسب ما ورد عند أبي العباس القراوي الجبلي - ابن زيدران -. ومن الآخذين عن سيدي علي ابن حمدوش : محمد بن يوسف الحمدوشي وأبو عبد الله الحمدوشي وأبو العباس الدغوغي وغيرهم (انظر حمادشة زاوية).

توفي الشيخ علي ابن حمدوش عام 1135 / 22 - 1723.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 56، 1977.

P. Berthier, *Essai sur l'histoire du massif de Moulay Idriss, de la conquête musulmane à l'établissement du protectorat français*, Rabat, 1938.

بوشتى بوعسرية

الحمدوني، أحمد بن النادي العلمي السريفي حسب إجازة السلطان أبي الربيع سليمان للفقيه الحمدوني التي وقف عليها الكتاني صاحب *فهرس الفهارس*، وهي ترجمة موجزة لا تقدم إلا النزر القليل من سيرته وحياته. ومن خلال الإجازات التي قدمها الحمدوني لغيره من علماء القرن الثاني عشر (18 م)، نكتشف أنه عاش بفاس فأخذ عن غيره وأخذ الناس عنه من أمثال أبي عبد الله محمد التهامي ابن رحمون من أهل فاس. ويذكر الكتاني أنه أخذ عن أحد بقايا تلاميذ الحمدوني ويتعلق الأمر بالناسك إدريس بن الطايع بن التهامي البونسي (*فهرس الفهارس*، 1 : 331).

وتفيدنا وثيقة إجازة السلطان سليمان للحمدوني أنها أخذت إبان تربع هذا الملك على عرش البلاد (1207 - 1238 / 1792 - 1822).

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1 ؛ م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام فكرية أدبية وتاريخية*، 1994.

الحسين البعادي

ابن الحمدونية محمد بن يحيى البوعزيزي الحساني الدكالي أحد مشاهير قواد مدينة الجديدة ودكالة في القرن الثالث عشر (19 م) وهو الذي أتم بناء المسجد الكبير بداخل المدينة الذي يحمل اسمه بعد أن توقفت عملية تشييده مدة من الزمن. وكان سلفه القائد الحاج الهاشمي بن العروصي الهلالي الدكالي هو الذي شرع في تأسيسه.

م. الكانوني، *آسفي*.

عبد الرحيم العطاوي

الحمَدي ← ابن حَمَد

ابن حمدين، أسرة سلاوية نبيلة أصلها من الأندلس عرفت بالعلم والكرم. واشتهر منها هناك أبو القاسم ابن حمدين الذي خلف ابن رشد الجد في قضاء قرطبة بتولية من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين سنة 513 / 1119.

كان ابن حمدين، علاوة على ضلاعته الفقهية أديبا شاعرا أريحيا جوادا يقصده الشعراء من أنحاء الأندلس ويجتمع ببابه منهم العدد العديد يمدحونه وينالون جوائزه السخية. وقد انتقل بعض بني حمدين إلى العدوة الجنوبية واستقروا بمدينة سلا الحديثة بعد تأسيسها من طرف بني عشرة. وقد نزل الشيخ الصوفي الشهير أبو علي التريشي لما حط رحاله بسلا في منتصف القرن السادس (12 م) عند علي ابن حمدين (حمدون في "التشوف") وكانت له معه صحبة وعشرة ومودة وحضر معه جنازة الزاهد الصالح عبد الله بن يوسف بن علي ابن عشرة.

تحدث المؤرخ السلاوي محمد ابن علي الدكالي عن هذه الأسرة قائلاً : "بنو حمدين بيتهم بيت خير وفضل من قديم، ولم تزل فيهم بقية خير وصلاح. فقد رأيت غربي برج الدموع على شاطئ بحر سلا المحروسة قبرا عليه لوحان من حجر الكدان مكتوبا على أحدهما التعوذ والبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الثاني : "هذا قبر الحرة المصونة الصالحة المباركة المرحومة مسعودة بنت الشيخ المرحوم الوجيه ابن حمدين، توفيت رحمها الله في اليوم التاسع من شهر شعبان الأبرك عام ستة وثماني مائة.

واستمروا مستوطنين بسلا المحروسة إلى صدر المائة الحادية عشر، فقد كان منهم من صاهر سيدي عبد الله الجزار بن الشيخ سيدي أحمد حجي، وهو المكرم الطاهر ابن حمدين. وقد انقرضوا لعصرنا هذا، والبقاء لله وحده".

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 1984، ص 201 - 202 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 3 - 587 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، 87.

محمد حجي

الحُمَر، حصن ومعركة. يقع حصن الحمر (وهو اليوم مدشر) في قبيلة الساحل التي تحد غربا بالمحيط الأطلسي وشمالا بقبيلة الغربية وشرقا وجنوبا بالخلط. وأهم مدينة في قبيلة الساحل هي أصيلا.

وتمت في هذه المنطقة عدة معارك بين قائد القصر الكبير عبد الواحد العروسي - في عهد الوطاسيين - بدعم من القبائل المجاورة وبين البرتغاليين. يقول الحسن الوزان "ويضايق قائد القصر البرتغاليين كثيرا، إذ تحت تصرفه

ثلاثمائة فارس يغير بهم ويتوغل إلى أن يصل أحيانا إلى أبواب أصيلا" ولم تتحدث عن معركة أو معارك الحمر من المصادر العربية غير هناك مصادر تصف هذه المعارك باستثناء *دوحة الناشر* في ترجمة علي بن عثمان الشاوي الذي "استشهد في وقعة *الحمر* التي كانت في حدود الأربعين (940 / 1533) بين النصارى والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة من أصيلة، حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الوقعة وبعضهم يصدق بعضا، لما هزم الناس استقبل الشيخ أبو النصارى وسيفه في يده وهو يتلو بردة الإمام البصيري".

كما أشار إلى هذه المعركة صاحب كتاب *القصر الكبير* Alcazarquivir بما ملخصه : السيد أحمد العروسي كان أكبر نبلاء مملكة فاس، كان يقضي جل أوقاته بفاس لاحتياج البلاط إلى شجاعته ومواهبه الحربية. وأثناء غيابه كان يخلفه على القصر أخوه عبد الواحد، ولو أنه كان يعود مرات للغارات على البرتغاليين في أصيلا لطمأنة المدينة. ولهذا عينه السلطان على تازا، وقد ساعد محمد البرتغالي أثناء مهاجمته لأصيلا سنة 1517. وفي سنة 1523 مات دون مامويل دي منسيس. ولما قتل أحمد حوالي 1530 خلفه أخوه عبد الواحد الذي قام بحملة على أصيلا سميت بمعركة الحمر التي مات فيها الشيخ المشهور أبو الحسن بن عثمان دون أن يرضى إعطاء ظهره للنصارى، فكان السيف في يده وهو يتلو البردة. وتعرض أيضاً لمعارك الحمر صاحب *حوليات أصيلا* *Anais de Arzila*. حيث تعرض لها في عدة صفحات، فأثناء تحدثه في الفصل 16 عن غزو أصيلا وقتل مانويل دي كوستا (ص. 262) تحدث عن الحمر باعتبارها حصنا للقائد المغربي الذي حاول البرتغاليون التجسس عليه. وأشار إلى أن الحمر كانت تابعة لقائد القصر (ص. 223) واستقرار قائد القصر وقائد العرائش في الحمر (ص. 219) وفي الفصل 31 تحدث عن إحدى المعارك التي وقعت في الحمر والتي أدت في نظره إلى تراجع قائد القصر الذي جمع الرجال والعتاد وعاد للمعركة. وفي الفصل 20 (ص. 253) تحدث عن معركة الحمر بين قائد القصر عبد الواحد العروسي والبرتغاليين، استشهد فيها أحمد ابن قائد القصر.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. م. حجي وم. الاخضر، 1 : 311 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، ص. 35 ؛ ح. الفكيكي، جبالة، مجموعة البحث المتعددة الاختصاصات، ص. 6-7 ؛ م. بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، 1972، ص. 45.

Bigues, *Anais de Arzila*, p. 41 - 53 - 147 - 201 - 219 - 223 - 262 ; Cortacero F. Hernares, *Alcazarquivir*, 1950, p. 176 - 1777.

محمد أخريف

ولد الحمراء، رجل شهير من رجالات الشاوية، عرفه التاريخ كأحد أعيان الدار البيضاء في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وبداية القرن الذي يليه. ينتمي ولد الحمراء لفرقة أولاد محمد المشهور بصلابتها في الحق، وهي إحدى فرق قبيلة الأعشاش التي تنتمي إلى امزاب.

ساهم ولد الحمراء، في الأحداث السياسية عقب وفاة السلطان محمد بن عبد الله، ويظهر أنه كان من الأعيان المؤيدين لمولاي سليمان إثر وفاة أخيه اليزيد. نفهم ذلك من موقفه من بيعة مسلمة بالشاوية بتوسط من مرابط أبي الجعد العربي بن المعطي الشرقاوي سنة 1208 / 1793 فقد عمل ولد الحمراء مع بعض كبراء أعيان الشاوية على طرد مسلمة من الدار البيضاء إلى أزمور.

ويبدو أن نشاط الرجل السياسي ومكانته كعنصر فاعل وصانع للأحداث السياسية بقبائل الشاوية آنذاك هي التي انتهت به إلى القتل على يد قائد أولاد بوعطية محمد بن عبد الخالق الحريزي المعروف بگريران. وتتأكد مكانة الرجل من كون مقتله أثار أحداثاً خطيرة وتسبب في حروب كثيرة بين أولاد بوعطية أنفسهم، إذ أعلنت عصبية ولد الحمراء من قبائل مزاب والأعشاش العصيان والثورة على القائد الذي لم يستطع إخضاعها، فأعانه السلطان بجيوش من قبائل الغرب بقيادة القائد إدريس بن الغازي السگيري. ولم تستطع تلك الجيوش أن تلحق الهزيمة بقبائل مزاب والأعشاش الذين تحصنوا بالغابة. واكتفى قواد المخزن بحصارهم مدة طويلة.

وقد خلد التاريخ اسم الرجل بالدار البيضاء حيث يوجد مسجد ولد الحمراء، الذي يرجع بناؤه إلى سنة 1204 / 1789 وتجديده في عهد السلطان الحسن الأول سنة 1310 / 1892.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.

ولد الحمراوية، عبد الرحمان المعروفي المزابي الشاوي، متفقه متأدب شغل وظائف داخل بلاط المخزن. وكم من كاتب حاذق نبيه توصل إلى الجلوس ببنيقات المخزن بفاس ليكتب لهذا الوزير أو ذاك، وكان صاحبنا من هؤلاء.

لا نعرف تاريخ ولادة الرجل ولادرجة ثقافته، لكن الثابت المحقق أن ولد الحمراوية، كان من الذكاء والجرأة والدهاء، بحيث استطاع أن ينال الوظائف السامية داخل المخزن، وأن يترشح لمهمات خطيرة وينغمس في مغامرات ومؤامرات انتهت به إلى القتل.

يذكر صاحب *فواصل الجمان*، أن ولد الحمراوية صحب أبا حمارة الثائر المغربي المشهور قبل ادعائه الإمارة وتعلم منه أشياء كثيرة في السحر والتحايل. ويظهر أن هذه السابقة هي التي رشحت الرجل - بعد ذلك ليقوم بمهمة سرية لصالح المخزن عند بوحمارة لما ادعى الإمارة. لكن ولد الحمراوية لم ينل شيئاً من الثائر واكتفى من الغنيمة بالإياب سالماً.

عين ولد الحمراوية كاتباً بنيقة وزارة الداخلية، التي كان يتولاها الصدر الأعظم المفضل غريط، وخلال مزاولة عمله اتُّهم بالسعاية بين الوزراء فسجن بسبب ذلك، وأُبعد إلى سجن جزيرة الصويرة المعزول وسط البحر. وكان هذا السجن مأوى ذوي الجرائم السياسية الكبرى. وقد تمكن ولد الحمراوية من الإفلات من سجنه، ثم اتصل بالشيخ ماء العينين الذي تشفع له عند السلطان فعفا عنه.

وصعد نجم ولد الحمراوية من جديد لما بويع مولاي عبد الحفيظ بمراكش في صيف عام 1325 / 1907. فقد أعلن السلطان الجديد الجهاد وأرسل قوة من المجاهدين لمساعدة الشاوية أخواله. ولمواجهة نفوذ سلطان الجهاد بالشاوية ودفع القبائل إلى مهادنة الفرنسيين في إطار سياسة التعاون بين مخزن مولاي عبد العزيز وبين الحكومة الفرنسية كُلف ولد الحمراوية بالعمل مع أعيان الشاوية لخدمة أهداف الحزب العزيزي. وتشير بعض الأخبار إلى أن عبد الرحمان المعروفي كلف بالعمل على دفع القبائل إلى عقد هدنة مع الجيش الفرنسي وقطع الطريق على قوات مولاي عبد الحفيظ.

ويبدو أن ولد الحمراوية وضع رهن قواد الجيش العزيزي الذي أرسل من الرباط إلى الشاوية بقيادة محمد بن بوشتى البغدادي. ونظراً لتعرض هذا الجيش إلى الانكسار بالزيايدة وعودته منهزماً إلى الرباط فقد اتهم ولد الحمراوية بالتآمر مع الزيايدة، وحمّله قواد الجيش جانباً من مسؤولية الهزيمة التي لحقتهم.

وأُدخل ولد الحمراوية السجن من جديد إلى أن أطلق سراحه مولاي عبد الحفيظ، ويظهر أنه قام ببعض المهام في حكومة المخزن الجديد. لكن الثابت أن الرجل أُدخل السجن واتُّهم بمراسلة المتمردين على سلطة مولاي عبد الحفيظ سنة 1911، فحكم عليه بالإعدام.

وهكذا انتهت حياة ولد الحمراوية، التي حفلت بالدسائس والمغامرات السياسية. ولا نستغرب من أن ينغمس رجل طموح فيما انغمس فيه ولد الحمراوية. فقد كان الجو المحيط بالمخزن العزيزي وبعده المخزن الحفيظي موبوءاً بالدسائس والتآمر. وكان الوزراء ورجالهم هم المسؤولين عن تلك الدسائس والمشجعين عليها ماداموا يتوصلون من ورائها إلى ممارسة استبدادهم ونهب أموال الحكام المحليين بالقبائل خاصة وأموال الرعية بصفة عامة.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.
A.G.P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*.

علال الخديمي

الحمري، تربة من أهم وأرقى الأتربة الحمراء، ومعلوم أن الأتربة الحمراء تغطي مساحات واسعة من المجال المغربي إلى حد أنها تعتبر دالة طبيعة ولون البلاد كلها. السبب في ذلك أن العوامل الأساسية في تكوينها قد توفرت بسخاء كبير ومنها على الخصوص : القواعد الصخرية الكاربوناطية والبيومناخات المتوسطية.

فالقواعد الصخرية الكاربوناطية (كلس، دولومي، حث كلسي) هي التي تهيكل جبال الأطس، كما أنها تحكمت في تفريش جل السهول والهضاب المحيطة بالأطلس خلال الحُقب الثالث، وهي كذلك التي رصفت الشريط الساحلي بموادها المنتمية لفترات جيولوجية مختلفة كالكريطاسي والنيوجين والرباعي.

أما المناخ المتوسطي فهو ليس وليد الحاضر، بل يبدو أنه ساد مجموع الحقب الرابع على الأقل، لكن مع تفاوت واضح في نزعات الرطوبة وتساقط الأمطار بين فترات مطيرة وأخرى بيمطيرة، وان الأتربة الحمراء قد تكونت أساساً خلال المراحل الأكثر رطوبة.

- لكن التربة المدعوة بالحمري عند الأهالي ليست إلا عضوا من العائلة الكبيرة للأتربة الحمراء حيث تقتضي الأهلية لهذه التسمية مجموعة من الشروط. اللون الأحمر للأتربة ضروري بالطبع لكنه غير كاف، حيث يلزم توفر نسيج متوازن لا غنى فيه عن الطين. بالإضافة إلى أن جل هذه الأتربة موروثة عن دورين من الحقب الرابع هما العميري والسلطاني على الخصوص. بدايةً بهذه المواصفات يقع الحمري في ما يُسمى بالتربة الحمراء المتوسطية أو التربة المتحدسلة حسب التصنيف الأكاديمي. لكن ليس كل الأتربة المتحدسلة مواتية. يقترب الحمري أكثر ما يكون من فرع الأتربة المتحدسلة ذات الاحتياطي الكالسيومي وبالتالي الضعيفة التصويل.

أما عندما يكون التصويل قد تمكن منها فأفقر خزينتها من العناصر القاعدية ثم خفَّف حمولتها الطينية إلى أقصى الحدود، فإن مسكاتها العلوية تتحول إلى رمال مع إبهات لونها الأحمر. التصنيفات المحلية التي غالبا ما تعنى بمظاهر السطح على الخصوص أخرجت هذا الصنف من الحمري معتبرة إياه رملاً.

كما أنها تصنف ضمن "الرمل" أو "الساحل" أتربة حمراء أخرى هي على ما يبدو موروثة عن مراحل سابقة للرباعي (النيوجين)، وقريبة في خصائصها من الأتربة المتحددة المدارية. يغلبُ هذا الصنف في السهول الساحلية الممتدة بين إقليم الغرب وطنجة.

- حالياً، لم يعد الربط بين الأرضيات الكاربوناطية وتكوين أتربة الحمري هو القاعدة. ذلك أن وصفها بالقديمة والموروثة عَرَّضها خلال الفترات الأحدث إلى عمليات تعرية بواسطة السيل المتفرق عملت على كشطها الجزئي من فوق الأراضي الكاربوناطية وتفريشها على مجالات صخرية لا فَضْلَ لها في تكوين الأتربة الحمراء. بل أكثر من ذلك أن هذه العملية هي المسؤولة عن أسمك أتربة الحمري، وعلى انتشارها الواسع عبر البلاد ("تيرا روسا").

نلاحظ هذه الظاهرة جنوب سهل تريفة الذي تلقى

مقادير هائلة من التراب الأحمر انطلاقا من كتلة بني يزناسن (Ruellan، 71 ؛ العوينة، 90)، وجنوب سهول السايس الموجود في وضع استقبال مواد الأطلس المتوسط الهضبي. كما نجد نماذج متعددة في باقي السهول الداخلية الموجودة بأقدام الجبال، وكذلك في السهول الأطلنتية كما هو الشأن مثلا في الشاوية ودكالة وجنوب سوس.

هي إذن أتربة وافدة، تختلف عن الأتربة الأصيلة من حيث إنها تتميز ببنيات الترسيب كما أنها غالبا أخشن إلى حدٍّ انطوائها في بعض الحالات على عدسات رملية أو حصوية بالإضافة إلى غناها من الطمي.

يُضاف إلى هذه الفصائل كلها، دائما بصفتها حمري، بعض السطوح الصخرية الغنية أصلا بالأطيان والأطماء الحمراء، وأهمها بالمغرب المُتكشفات الفُتاتية لأدوار الترياس وكذلك تلك المنتمية للكريطاسي السفلي والسنوني في صيغتيهما القارية. مادامت هذه المتكشفات غير مالحة.

- لم تقتصر العمليات اللاحقة لتكوين الأتربة الحمراء على التعرية والنشر بمختلف الصور فحسب، ولكن عمليات ترتُّب أخرى طرأت على سطحها، ينسبُها المختصون إلى أنها عمليات نكوص وتراجع، من ذلك أنها أصبحت مشوبة بالدُّكنة عبر إغناء، نسبي بالمادة العضوية الدبالية الناتج على ما يبدو عن تدهور الغابات الأصلية أمام التوسع الكبير للسهوب المتميزة بدورة إنباتية سريعة. وهكذا تتحول الأتربة الحمراء المتحدسلة إلى أتربة سيدبالية سمراء وكستنائية حسب تصنيف Aubert (1965) أو سيدبالية بُنّية (C. P. C. S، 67) دون أن تخرج من صنف الحمري في سجل الأهالي.

- من ضمن المعطيات التحليلية لأتربة الحمري أنها حيادية إلى خفيفة الحموضة وأنها خالية من الجير والأملاح. لونُها الأحمر ناتج أولا عن تحرير الحديد عبر تفسيخ المعادن الأولية المتضمنة له وإطلاق الحديد المندمج. وهو أمر يتطلب رطوبة أعلى من المتوفرة حاليا. الشرط الثاني هو حصول التناوب الزمني بين فترات رطوبة وجفاف يخول أكسدة الحديد وترسُّبه على شكل معادن ثانوية، منها الهيماتيت. ظاهرة مهمة بالنسبة لهذا النوع من حركية الحديد في القطاعات الترابية أنه يُلوِّنُ التربة بالأحمر بصفة متجانسة دون تبقع ولا عزل لأية تعقدات حديدية، مما سمح بربط الدينامية بغطاء نباتي غابوي (Lamouroux، 71). أضف ذلك أن هذه العمليات تتم عبر أحجام كبيرة، ذلك أن الحمري يتمتع بسمك معتبر مقارنةً بجُل الأتربة المغربية.

- وكما هو الشأن بالنسبة للعديد من الأتربة الأخرى، فإن للحمري علاقات بالقشرات الكلسية التي تُعتبر ظاهرة خطيرة من الظواهر التي تعتري الترب في مجموع الشمال الإفريقي، حيث تشكل مستويات إعاقة لتجذر النبات وفي بعض الحالات كيانا توسيعا بسطو على التربة ويحل محلها (Millot et al. ،77).

تختلف علاقات القشرة بالحمري حسب الدور الذي تنتمي إليه التربة من أدوار الرباعي، مع زيادة عامة في حدّة التَّقَشُّرِنَة في الجهات الجافة من المغرب (المغرب الشرقي، تادلا، الحوز) باستثناء الصحراء، بالطبع بَدْءاً بهوامشها حيث تقلّ أو تختفي ظاهرتا التربة الحمراء والقشرة معاً.

فالأتربة الحمراء الأقدم، إذا ما وُجدت في أوضاع تصونها من التقشرنة، غالبا ما تتوفر على مقادير مهمة من أطيان الكاولنيت والإليت وهي بذلك تكون ضعيفة الخصوبة.

لكن عندما نجدها في مكان مُوات لاستقبال المواد الثقيلة، والأمر صحيح كذلك بالنسبة لحمري الرباعي الوسطي، فكثيراً ما تكون كبيرة السمك، تتخللها وتغطيها تماما سحنات القشرة الكلسية التي تحمل فوقها أتربة سطحية صحلة كلسمغنيزية وضيفية.

تجدر الإشارة إلى أن هذه هي أمثل الأوضاع المستدعية للتقشير الآلي والكشف عن التربة الحمراء المدفونة التي تكون إذاك ذات قيمة زراعية عالية بوصفها مشحونة بأطيان السمكتيت. أفضل الأمثلة نجدها في الأراضي الزراعية الغنية لسايس فاس (الفاسي، 93).

- أخيراً، تتميز أحدث الأتربة الحمراء بوجودها طبيعيا مكشوفة وخالية من التكلس في جل المناطق، وأنها تمثل أهم وأوسع المجالات الزراعية داخل الأودية النهرية، من بينها المصاطب العريضة لوادي أم الربيع ووادي ورغة وغيرها كثير. عدانة هذه المستويات شديدة الاختلاط، منها الموروث الهزيل القيمة (كاولنيت، إليت، كلوريت)، وبها كذلك أطيان عالية الخصوبة (السمكتيت والفدميكوليت).

- على العموم، يُثَمِّنُ المزارعون مختلف أنواع الحمري لأنها تشترك كلها في جودة خاصياتها الآلية وارتفاع إمكاناتها من حيث الخصوبة الكيماوية. فهي بالمقارنة مع التيرس مثلا، تتمتع في مجملها بأوضاع تضاريسية تصونها من الفيضانات وبمميزات ذاتية تمنع عنها اليهة والاحتقان وبالتالي الاختناق الطارئ للمحاصيل. كما أن فلاحتها أيسرُ بسبب الخفة النسبية لأنسجتها.

توازن تركيباتها النسيجية، على سمك كاف، يخول لها كذلك ذخيرة مائية نافعة مهمة وتدبيرا طبيعيا جيدا لهذه الذخيرة خلال مجموع السنة. ولا يخفى ما لهذه الصفة من وزن خاص في السنوات الفلاحية الجافة.

وبما أن الحمري تربة غير متخصصة نهذا يعطيها صلاحية إنتاج مردود مقبول إلى جيد بالنسبة لكل الزراعات.

G. Aubert, *Cahier ORSTOM, série pédologie*, Volume 3, fascicule 3, 109 p., 1965 ; CPCS, Grignon, *Classification des sols de la commission de pédologie et de classification des sols*, 96 p., 1967 ; D. Fassi, *Les formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès, du*

temps géologique à l'utilisation actuelle des sols. Thèse Paris I - Sorbonne. 2t.. 876 p.. 1993 ; M. Lamouroux, *Etude de sols formés sur roches calcaires. Pédogenèse fersiallitique au Liban.* Th.. Strasbourg. Mém. ORSTOM. 1972. 56. 266 p. ; A. Luonina, *Le Maroc Nord-Oriental. reliefs. modelés et dynamique du calcaire.* Oujda. 1990. 1. 605 p. ; G. Millot, D. Nahon, H. Paquet, A. Ruellon et Y. Tardy, *L'épigénie calcaire des roches silicatées dans les encroûtements carbonatés en pays subaride. Anti-Atlas. Maroc. Sci. Géol. Bull.*, 30. 3. p. 129 - 152 ; A. Ruellon, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes : les sols à profil calcaire différencié des plaines de la basse Moulaya (Maroc Oriental)* Thèse Strasbourg, Mém. ORSTOM. 54. 1971 302 p.

إدريس الفاسي ومحمد البداري

الحمري، التهامي بن محمد بن مبارك الأربيري

نسبة إلى فخذة الأربيرات التي تتفرع إلى فرعين : الأربيرات الكنتور قرب اليوسفية، والأربيرات الحمراء على بعد بضعة أميال من زيما بالشماعية. وإلى هذه الأخيرة ينتسب التهامي الحمري وبها كرس حياته للتدريس، فكان له الفضل في نشر العلم بقبيلة احمر وخصوصا القراءات، فصار شيخ القراء بحوز مراكش، ومن أشهر تلاميذه في هذا الفن الشيخ الزوين صاحب المدرسة المشهورة (مدرسة سيدي الزوين) الواقعة على بعد اثنين وأربعين كلم من مراكش.

ترك الشيخ التهامي الأربيري مؤلفا بعنوان : *إتحاف الخل الراضي ببعض مناقب الإمام السكياطي*. والسكياطي هو رفيقه واسمه عبد الله بن علي الرجراجي وكانت وفاته عام 1244 / 1828، وكانت بين الاثنين مودة خالصة، وتعاهدا على أن من مات قبل الآخر يؤلف في ترجمة صاحبه، وهذا الكتيب يقع في أربعة كراريس، وقد أخبر المؤرخ عبد السلام ابن سودة بأن خزانته الأحمدية تشتمل على نسخة منه في مجموع دخلت لها عن طريق خزانة عبد الحفيظ الفاسي.

توفي عام 1246 / 1830.

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ص. 297 و847 و849 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 ، 176 ؛ رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 3 ، 94.

محمد ماكامان

الحمري، محمد بن عبد الله، وتدعوه الوثائق كذلك الحميري. نسبة إلى احْمَر أو حمير، القبيلة العربية المشهورة التي تحدها عبدة من الغرب. ودكالة من الشمال والرحامنة من الشرق.

أول وثيقة تحدثنا عن المترجم جاءت على لسان الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي حين قدّم الحمري على أتباعه الناصريين بمراكش، مكان الحاج بوستة ؛ الذي قال بصدد عزله : "فلم نر له عيبا، وإنما أشفقنا على دينه وحاله .

فإنا لم نعزله عن سخطه، لكن محبة فيه ..." والرسالة موجهة إلى أهل مراكش ؛ وهي مؤرخة في منتصف رجب عام 1118 / أكتوبر 1706 (*رسائل ناصرية*، ص. 55) وليدعم مكانة مقدمه، كتب رسالة إلى ولاة الأمر والعمال بمراكش وأحوازها يوصيهم به خيراً يُستفادُ منها مكانة الحمري الكبيرة لدى شيخ الناصريين، وبعدها أكد عليهم باحترامه ببيّن حظوته لديه فقال : "فإنه منا وإلينا، دمه دمنا، ولحمه لحمنا، له مالنا، وعليه ما علينا، ومن آذاه فقد آذانا، ومن وقّره فقد وقرنا ..." (م. س. ن. ص. 98) وبذلك صار الحمري من كبار مقدمي الزاوية الناصرية ؛ حتى إن الفقيه أحمد بن سليمان الرسموكي - وهو تلميذ ناصري راسخ القدم في العلم - كان يتودد إليه سعيا في التقرب منه.

ووجه إليه الحسين الشرحيلي رسالة - نيابة عن الشيخ - ينوه به ويثني عليه، ويخاطبه بما يلي : "لأن هذا الأمر (أي التقديم على الفقراء) لم يكن برأي منك ومسمع، وإنما غبت حتى اختارك الله له واقبله ..." (م. س. ص. 56) ؛ أي ينبغي أن يكون في مستوى المهمة المنوطة به، في زاوية مراكش الناصرية. ويعدد الشيخ أحمد ابن ناصر شروطاً يجعلها بمثابة تعليمات تربط بين المقدم والأتباع، فيقول : "واسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم سنة وأحياها، وأخمد بدعة وأماتها، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" (م. س. ص. 52) وبذلك يكون الحمري نموذجا للمقدم الناصري الذي يضطلع بنشر هذه الطريقة.

وقد تبلور دوره خاصة حين انبرى إلى الذب عن الطريقة الناصرية والمنافحة عنها، لما انفصل عنها أبو العباس أحمد الشرادي المتوفى عام 1160 / 1747 (*نشر المثاني*، 4 : 59) فقد انزعج الناصريون في مختلف جهات المغرب بسبب ذلك انزعاجا كبيراً ؛ لما قد يترتب عنه من سريان مفعوله إلى فرع الطائفة بمراكش ؛ لا سيما وأن دعوة الشرادي قد لاقت قبولا بين سكان المدينة ؛ كما يلوح إلى ذلك الحمري في رسالة أجاب بها أحمد بن عبد القادر التاستاوتي (*طلعة المشتري*، 2 - 116 . 118). هذا في وقت كان فيه شيخ الناصريين ببلاد الحجاز، لأداء فريضة الحج، سنة 1121.

وقد تصدّى مقدم الناصريين بمراكش إلى الرد عن رسالة التاستاوتي، مبينا أن المنشقين شرذمة قليلة لا يتجاوز عددهم تسعة قائلا : .. وأما ما طرق سمع سيدنا من التبديل .. إنما وقع لرهط تسعة. ولا يخفى عليك ما في التسعة، منهم رجل دباغ حاد عن الطريق وزاغ، يقال له ابن زيد ومازال في عمايته يزيد، والمتفقه السيد إبراهيم الخراص، وهو يزعم فيمن رجع إليه أنه من الخواص، والسبعة الباقون من الغوغاء الأخلاط، الذين لا يُعتدُ بهم في حل ولا رباط .." (*طلعة المشتري*، 2 : 118 ؛ *إعلام المراكشي*، 6 : 17).

وقد طمأن الحمري التاستاوتي بأن أهل مراكش ما يزالون متشبثين بأذيال شيخهم أحمد ابن ناصر ؛ بل لم

تردهم دعوة الشرادي إلا تمسكا بطائفتهم، وتماسكا فيما بينهم ؛ ولم تزحزحهم عنها ليد أقلة : عضوا عليها بالأيدي والنواجذ ... لا يبغون عنها حولا، ولا يريدون بها بدلا ..." (*طلعة المشتري*، 2 : 116).

ومن ثم يعتبر الحمري أن ما طرق أسماع الناصريين في بعض الجهات من الانحراف عن الطائفة الناصرية لا عبرة به، إذ أنه لا يعدو أن يكون من باب التهويل الذي لا يؤبه له (م. س. ن. 118) ويتضح مما سبق أن الحمري كان من بين مقدمي الناصريين الذين نافحوا عن طائفتهم بكل ما أوتوا من قوة.

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن مستوى الحمري من الناحية العلمية، فإننا نستطيع أن ندرك مدى مبلغه من العلم، من خلال الرسائل التي كتبها إلى كل من شيخه أحمد ابن ناصر، وأخيه في الطريقة أحمد بن عبد القادر التاستاوتي. إذ نستوضح منها جميعاً أن الرجل كان متفقها، بل ربما من علماء زمانه. ذلك لأن اللغة التي يكتب بها رفيعة والأسلوب جميل متقن ؛ يطغى عليه السجع الذي لا نلمس فيه أي أثر للتكلف أو التمحل ؛ تبدو سجعاته محكمة، تطغى عليها أحيانا العفوية. أما مضامينها فتنم عن اطلاع واسع في عدة فنون كالفقه والتصوف والأدب لأنها ترشح بالتضمينات التي تبين عن إطلاع واسع. ومع ذلك يظل محمد بن عبد الله الحمري من الأعلام المغمورين، إذ لولا انخراطه في سلك الناصريين وتصدره للتقديم بزاوية مراكش لبقي من المجاهيل. وكما نجهل تاريخ ولادته، نجهل كذلك تاريخ وفاته، لكننا على يقين من أنه كان حيا سنة 1121 / 1709.

الرسائل الناصرية، مخطوط ؛ *الروض الزاهر*، مخطوط، خ. ع. ، 187، ق ؛ *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ع. إبراهيم، *الإعلام* ؛ علي أتكام، *تعمر زاوية تامكروت*.

أحمد عمالك

الحمرية للأهنية، إحدى الوليات الصالحات بمدينة أسفي خلال القرن الثالث عشر (19 م) كانت لها خبرة في علاج الأطفال ومعرفة واسعة بمختلف الأعشاب. توفيت عام 1280 / 1863 ودفنت بمقبرة حي الرباط التي ظلت تعرف "بمقبرة للأهنيّة الحمرية" إلى أن زالت هذه المقبرة قبل عشرين سنة تقريباً. وكان على قبرها حوش للتمييز مزارة خاصة من طرف النساء. يوجد قبرها الآن بمقبرة "بوديس".

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج 2، مخطوط.

عبد الرحيم العطاري

حمرية مكناس، هضبة خصبة تقع شرق مدينة مكناس بين وادي ويسلان وبوفكران جرت فيها أحداث تاريخية مهمة، وغرسها المولى إسماعيل زيتوناً وحبّسها.

ولم تكن تعرف بهذا الاسم في العهود السابقة لفترة حكم المولى إسماعيل، فقد وصفها صاحب *الاستبصار* - وهو معاصر للموحدين - وصفاً لا ذكر فيه لكلمة حمرية قال : "وأحدث فيها الأمر العالي بحائر عظيمة في نهاية من الاتساع، وجلب لها ماء نهرها، وأمر بغرسها زيتونا وكروماً" (*الاستبصار*، ص. 187 - 188). كما سماها أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنّى بالبيذق بالكدية البيضاء : " اعلم أن الله تعالى لما أمر بخروج المعصوم من فاس نزلنا بغيلة ... ثم منها نحو مكناسة فلما أشرفنا على الكدية البيضاء، نظر المعصوم الكدية فإذا بها مملوءة رجالا ونساء." (*أخبار المهدي بن تومرت*، ص. 125). ولما ولي محمد بن عبد الله ابن وجّاج في أوائل عهد الموحدين بلاد المغرب سيفا وعملا غرس بها بحيرات أكثر غراستها الزيتون ..." كما أن ابن غازي في *الروض الهتون* (ص. 12) أشار إلى تلك الغراسات دون أن يطلق على أراضيها اسم "حمرية".

وإذا غابت كلمة "حمرية" في هذه النصوص التاريخية وغيرها التي تحدثت عن غراسات مكناس وبحائرها قبل حكم المولى إسماعيل فإن الحوالات الحبسية الإسماعيلية الخاصة بمكناس أشارت إليها صراحة، فمن ذلك ما جاء في حوالة الأحباس الكبرى رقم 5 (ص. 276) في وثيقة تقويم متخلف أحد الأشخاص (علي القنان) المؤرخة بأوائل شوال عام 1091 / أواخر أكتوبر 1680 "جميع الأرض الكائنة برأس غيل السلي المسمات بحمرية المجاورة للمشطة". ويبدو أن كلمة حمرية التي أطلقت على كل البلاد التي حبسها المولى إسماعيل استمدت اسم تلك الأرض، التي أصبحت تكوّن جزءاً منها. وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل. كما أن ابن زيدان أشار إلى أن حمرية كانت تسمى "بأبي حفص" قبل أن يتملكها المولى إسماعيل بالمعاوضة مع مالكيها. وفي قول ابن زيدان ما فيه من عدم التدقيق، لأن أرض أبي حفص المذكورة كانت مجرد جزء فقط من الأراضي التي أصبحت تعرف بحمرية. كما أنها لم تكن في ملك شخص واحد حسب ما جاء بقلمه، وهذا ما يتضح من نص ظهير المولى إسماعيل لقائده علي بن يعقوب لينوب عنه في عقد معاوضات الأراضي التي تكونت منها حمرية (*حوالة أحباس الساكين*، رقم 3، ص. 67 - 68).

بل إن محتويات هذا الظهير تؤكد أن أرض حمرية تكونت من مجموعة من الأراضي بعضها كان في ملك المولى إسماعيل أو بيت المال، والبعض الآخر كان ملكا للأحباس أو لبعض الأشخاص، ثم انتقلت بالمعاوضة مع مالكيها، ومنها : الأراضي الكائنة براس غيل المساة بحمرية وأرض أبي حفص وأرض سهب الطبال المجاورة لها وأرض الشلوكي وغيرها. (يمكن الاطلاع على المعاوضات *بحوالة أحباس الساكين*، ص. 10 - 68 - 76، أو رقية بلمقدم، *أوقاف مكناس ..*" ج 1، ص 268 - 274).

وبعد أن تم تجميع أراضي حمرية أمر المولى إسماعيل

بغرسها زيتونا وتحبيسها. فقد وردت الإشارة إلى ذلك عند أبي القاسم الزياني في *البستان الظريف في دولة أولاد مولانا إسماعيل ابن الشريف* (ص. 188) : "فقد كان عنده بجنان حمرية مائة ألف شجرة من الزيتون حبسه على الحرمين الشريفين".

وكان إنتاج حمرية قبل ذلك لا يقتصر على الزيتون بل يشمل أنواعا كثيرة من الفواكه الصيفية والخريفية والورد مما كان له غلة جليلة كما كانت فيها أرض بيضاء للخضر والكتان تكترى بمال جسيم (ابن غازي، *الروض*، ص. 12).

وأمر المولى إسماعيل بجر الماء إليها من وادي بوفكران وسط جدار ضخم وأحاطها بسور. ومع ذلك يبقى أمر تحبيس حمرية من قبل المولى إسماعيل في حاجة إلى المزيد من التأكيد، لأنه لم يرد في الحوالات الحبسية ما يشير إلى ذلك التحبيس، خاصة وأن ظهيري تحبيس المولى محمد بن عبد الله لها ليس فيهما ما يؤكد أنها كانت محبسة من قبل، بل نص صراحة على أنها من أملاك السلطان . "اقتضى نظره السديد ورأيه الموفق الرشيد أن خرج عن بعض ما يحبه من ماله، رجاء ثواب الله ونواله، وهو جميع الغابة من الزيتون المسماة بحمرية . . فجعلها حبسا في سبيله ..." (*حوالة الأحباس الكبرى والاحمدية* رقم 7 ص. 255).

وقد حل الخراب بزياتين حمرية بعد وفاة المولى إسماعيل وعلى حد قول الزياني : "ومرت عليه هذه العصور والفتن والفترة والناس يحطبون منه" (*البستان*، ص. 188) إلى أن بويع السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1757 - 1790) فأمر بإصلاح ما حل بها من خراب وإعادة غرس ما أتلف من أشجارها وجر الماء إليها من وادي بوفكران ثم جدد تحبيسها بتاريخ 28 ذي القعدة 1184 / 15 مارس 1771 وصرف مستفاد غلتها على المساجد داخل القصبة والأروى وقصبة هدراش وبريمة، ولصالح ما هو من المساجد داخل المدينة محتاج، وما يفضل عن ذلك يبعث لمكة والمدينة، ثلث الواحد لمكة، وثلثاه الاثنان للمدينة المشرفة (*حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 5 ص. 318).

ثم أعاد السلطان النظر في هذا التحبيس فأصدر في 2 جمادى الأولى عام 1193 / 18 ماي 1779 ظهير تحبيس آخر حدد بموجبه حصة كل من الجهات المنتفعة، فقسمت حمرية إلى قسمين، أولهما وهو الواقع شرق الهضبة للحرمين الشريفين، تختص المدينة المنورة بالثلثين ومكة المكرمة بالثلث، بينما عين النصف الثاني حبسا على الجامع الأعظم بمكناس على أن يصرف جزء من مستفاده على روضة مولاي علي الشريف وروضة أبي زكريا، الحباك ويخصص قدر من زيته لضريح مولاي إدريس بفاس ومولاي أبي يعزى

بقيت وضعية حمرية على حالها إلى أن دخل الفرنسيون مكناس (8 يونيو 1911) وتقرر - لضرورات دفاعية وإدارية وتقنية - بناء مدينة عصرية خاصة بالأوربيين، فوقع الاختيار على هضبة حمرية لتبنى فوقها تلك المدينة.

وضع المهندس هنري بروسط Henri Prost رئيس مصلحة المدن وتنظيمها *أول تصميم للمدينة الجديدة* فوق هضبة حمرية (15 - 1916) قبل أن تتمكن الإدارة الفرنسية من تسوية وضعيتها العقارية مع الأحباس. وأسندت مهمة الانجاز للكولونيل بوييرو Poeymirau نفسه على تنفيذ المشروع باتفاق مع بلدية المدينة وشرع في البناء في صيف 1917.

لم يكن الحصول على أرض حمرية المحبسة بالأمر الهين نظراً لوضعيتها العقارية، ولذلك أخذت الإدارة الفرنسية تتحايل لإيجاد صيغة قانونية تمكنها من الاستحواذ على أرض حمرية، وراحت تبتكر الخطط التي تمرر عبرها مشاريعها مثل نزع الملكية للمصلحة العامة وتنمية العمران، والمعاوضات النقدية، وتفويت مساحات شاسعة من أرض حمرية لمصلحة الأملاك المخزنية. وعرفت المحاكم صراعا طويلا بين الأحباس والأملاك المخزنية التي ادعت أن نصف أراضي حمرية هو ملك لها، وعندما صدر الحكم لصالح الأحباس كانت معظم أراضي حمرية قد فوتت، ونجح الفرنسيون في إقناع السلطان مولاي يوسف بإصدار ظهائر تجعل أرض حمرية قابلة للمعاوضة والبيع، صدر أولها في يوليوز 1917، وفي 17 أبريل 1918، صدر الظهير الخاص بتجزئة أرض حمرية إلى أحياء، خاصة بالسكنى والتجارة بالتقسيط، وأخرى بالصناعة والتجارة بالجملة : "أذنا في تجزئة مساحة الأرض المعروفة بحمرية هناك المحكوم بملكية جميعها لجانبي الأحباس الكبرى المكناسية وأحباس الحرمية الشريفين ..".

وقد تهافتت الإدارة الفرنسية المدنية والعسكرية وكذا الشركات والجمعيات والخواص على اقتناء أراضي حمرية مقابل تعويضات نقدية بسيطة تراوحت بين 1.50 سنتم سنة 1918 م و10 سنتيمات سنة 1928 للمتر المربع. وهذا التعويض النقدي هو أقل بكثير مما بيعت به الأراضي التي أقيمت عليها المدن الجديدة في باقي المدن الأخرى، لأن حمرية بمكناس كانت محبسة، فلم تعرف المضاربات العقارية.

ويبدو من نصوص معاوضات أراضي حمرية بالحوالة الحبسية رقم 8 (ص. 400 - 790) أن الجزء الأكبر من تلك المعاوضات تم في الفترة ما بين 1920 - 1930 وهي المرحلة التي عرف فيها العمار بأرض حمرية أقصى توسع له. وقد فازت مصلحة البلدية وإدارة الشؤون الحربية ومصلحة الأملاك المخزنية وشركة سكة حديد طنجة بالنصيب الأوفر من أراضي حمرية، فقد تمكنت مصلحة البلدية - مثلاً - في سنة 1922 من أن تستولي على جل القطع المجزأة من أرض حمرية بالمعاوضة النقدية مع الأحباس.

انطلق البناء فوق هضبة حمرية اعتماداً على تصميم "هنري بروسط" الذي قسم حمرية إلى أحياء ومناطق

متخصصة، وهذا ما تؤكده ظهائر التجزئة "تجزئة قسمتين منها تعرف إحداهما بمحج وهي المعدة للسكنى والتجارة بالتفصيل، والأخرى بحمرية وهي المعدة للصناعات والتجارة بالجملة ..."

وقد مر بناء حمرية بمراحل تمتد أولاها من 1918 إلى 1921 وقع التركيز فيها على تلبية الحاجيات الملحة كالأمن والنقل والتطبيب والتعليم، واختارت المصالح البلدية المنطقة التي أطلق عليها معسكر بويلان Camp Poublan وحاولت أن تجعل منه حيا جميلا وأنيقا صالحا لأن يتوسط المدينة، خصصت مساكنة الأولى للضباط وضباط الصف والجنود وعائلاتهم، ولم يلبث أن توسع شرقا مكونا الحي العسكري.

دشنت نهاية هاته المرحلة من قبل المقيم العام بالمغرب المرشال ليوطي والجنرال بويميرو الحاكم العسكري للإقليم صحبة شخصيات أخرى في 15 ماي 1921 في حفل رسمي أقيم بقصر بنائي، فكانت الانطلاقة الرسمية للتوسع العمراني الذي شمل فيما بعد الإقامات السكنية والأحياء الإدارية والتجارية والصناعية إضافة إلى المدارس والملاعب الرياضية والسوق والمسرح البلديين.

كانت المرحلة الأولى قصيرة ولهذا لم تظهر معالم معظم المنشآت التي وضعت لبناتها إلا في المرحلة الثانية 1921 ـ 1930 مرحلة التوسع الحقيقي للبناء فوق هضبة حمرية، تميزت بظهور عدد من المؤسسات الإدارية الفرنسية تجمع في هندستها بين الطابع المعماري المغربي والأوربي من بينها حتى حدود 1927 :

ـ المسبح البلدي، مقر بلدية الاقليم، بنك الدولة، محطة القطار، مجمع التبغ، مكتب بريد المدينة الجديدة، ثانوية بويميرو.

وبموازاة هذه المنشآت العمومية تم بناء مجموعة سكنية فردية (ڤيلات) ومشتركة (عمارات) من أشهرها عمارة "ماص"، كما منحت سنة 1922 أراضي في حمرية لجرحى الحرب لإقامة سكنهم الخاص.

وحوالي عام 1930 برزت مبانٍ جديدة هامة منها المكاتب المركزية لشركة خطوط السكة الحديدية طنجة فاس، والمؤسسة الخيرية قطرة الحليب La goute de lait والمحكمة وعمارة الغرف التجارية والفلاحية والمعهد الموسيقي، وهكذا اكتملت المصالح الأساسية للمدينة العصرية فوق هضبة حمرية في نهاية 1931.

وفي المرحلة الثالثة 1931 ـ 1940، شيد قصر البلدية وقصر العدالة ومركز البريد، كما شيدت بشمال وشرق المدينة ثلاث مجموعات معمارية :

ـ جناح مستشفى من 450 سرير، وثانوية للذكور مع داخلي للتعليم التقني تسع 1200 تلميذ، ومجزرة تحتوي على مخزن ومستودع للتبريد.

وفي هاته الفترة تم تشييد مجموعة فندقية : Volubilis ، Exelscior وTouring Moderne Continental وTrans-atlantique كما بنيت مجموعة من الدور العسكرية بعد أن تمكنت إدارة الهندسة العسكرية من الحصول على قطعة أرضية من أرض حمرية مساحتها 24 هكتارا و88 آرا و33 سنتيار بالمعاوضة النقدية مع نظارة الأوقاف بمكناس بتاريخ 12 مارس 1932.

وانطلاقا من بداية المرحلة الرابعة 1941 ـ 1952 أسس المكتب الشريف للسكنى الذي ركز مشاريعه العمرانية في بناء العمارات الكبيرة للاوربيين. وبنهاية هاته المرحلة 1952 كانت معظم معالم مدينة جديدة ذات طابع أوربي قد شيدت على هضبة حمرية، وتمكن الفرنسيون من أن يقيموا فوق هضبة حمرية المحبسة ذات الزياتين مدينة عصرية بكل مقوماتها وخصوصياتها الأوربية.

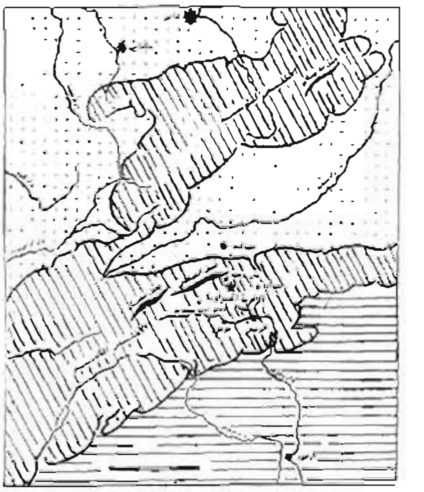
أ. البيدق، *أخبار المهدي*، ص. 25 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 5، ص. 176 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى والاحمدية*، ج 2 ص. 255 ـ 257 ؛ *حوالة الأحباس الكبرى*، رقم 8، ص. 400 ـ 790 ؛ *حوالة أحباس المساكين*، رقم 3، ص. 10 و67 ـ 68 ؛ أ. الزياني، *البستان*، ص. 188 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 ؛ 172 ـ 173 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 12 ؛ م. المنوني، *التخطيط المعماري لمدينة مكناس*، *مجلة الثقافة المغربية*، ج 7، ص. 34 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس*، 1 ؛ 168 ـ 376 ؛ *أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية*، ص. 69 ـ 88.

رقية بلمقدم

الحمزاوية (الزاوية -) أو زاوية سيدي حمزة نسبة للشيخ حمزة بن أبي سالم عبد الله العياشي (ت. 1130 / 1717). الزاوية الحمزاوية عبارة عن قرية صغيرة تقع في الأطلس الكبير جنوب مدينة ميدلت، وتحدها من الشمال الغربي السفوح الجنوبية الشرقية لجبل العياشي، ومن الجنوب الغربي قمة جبل أفداير، وبذلك تنفتح أكثر على الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية في اتجاه تافيلالت ومدينة الريش، حيث تمتد أهم خطوط العبور القديمة.

أعطت هذه البيئة الجغرافية الجبلية للزاوية حصانة طبيعية، كما وفرت لها ثروة مائية هامة مستمدة من ثلوج القمم أو من المياه الجوفية التي تغذيها مجموعة من العيون والأنهار الصغيرة لا سيما النهر الذي يحمل اسم الزاوية ويعدّ من أكبر روافد واد زيز. ويمكن اعتبار نفس المؤهلات عند الحديث عن دوافع الاستقرار البشري في المنطقة وقد كان لاستقرار أحد أفراد الأسرة المؤسسة للزاوية. دور في تكوين مجتمع القرية، وفي القيام بعدد من الوظائف الدينية والتعليمية قبل أ ن تتوج مجهودات أحفاده بحدث تأسيس الزاوية العياشية سنة 1044 / 1635 أسسها الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي (ت. 1067 / 1656) من أجل إرشاد قومه وتربيتهم ونسبت إليه في البداية، ثم عرفت باسم ولده أبي سالم العياشي قبل أن تستقر شهرتها باسم حفيده حمزة. وإذا كان الحديث عن مؤسسة صوفية لها

تاريخ متميز في الأطلس الكبير الشرقي يقتضي الإلمام بظرفية التأسيس وأصول التنظير وكيفية الممارسة فإننا نكتفي في هذا السياق بالإشارة إلى نقطتين أولاهما طريقة الزاوية وأدوارها، وثانيهما اعتناء أبنائها بجمع الكتب وتأسيس مكتبة كانت ومازالت تعد من المكتبات النموذجية في عصرها.



موقع الزاوية الحمزاوية

تتصل أسانيد طريقة زاوية سيدي حمزة بالشيخين محمد بن سليمان الجزولي وأحمد زروق، وهي من الطرق الشاذلية البسيطة التي تتناسب مع طبيعة البيئة البدوية حيث يظهر من مبناها ووصفها الالتزام بالسنة، والتعلق بالرسول عليه السلام واستغلال النفوذ الروحي من أجل تشجيع المريدين على طلب العلم، والمشاركة في الأمور الدينية والتثقيفية. وإن كنا لا نعرف بالضبط صيغة الأوراد أو الأذكار التي رتبها شيوخها فإن الملامح المشار إليها تستنبط من سيرة شيوخها وعلاقاتهم مع طلبتهم، وكذلك مما سجله أبو سالم العياشي في مؤلفاته عن تعاليم الطريقة الشاذلية وخصائصها. فالشيخ المؤسس محمد بن أبي بكر العياشي تتلمذ للدلائيين وخدمهم واقتدى بهم، بل إنه أسس زاويته بإشارة منهم، الشيء الذي جعل آثار انهزام الدلائيين على هذه الزاوية حيث أمر السلطان المولى الرشيد بإقفال الزاوية الحمزاوية وتغريب العياشيين إلى فاس سنة 1082 / 1671 فقضوا سنة كاملة في المعاناة بسبب الروابط الروحية والعصبية القبلية التي تجمعهم مع الدلائيين.

أما كتب الزاوية الحمزاوية فقد بدأ وقفها أيام الشيخ المؤسس وأخيه عبد الجبار، ووقع الاهتمام بها أكثر أيام الرحالة أبي سالم العياشي الذي جلب لها مخطوطات كثيرة من المشرق، اشتراها أو استنسخها. وزاد الاهتمام بالكتب لما ولي شؤون الزاوية وَلَده حمزة الذي كانت له - كأبيه - رحلات إلى المشرق. والمكتبة الحمزاوية اليوم عبارة عن حجرة صغيرة مرتفعة نسبياً توجد بها ست خزائن خشبية مختلفة الأحجام ومملوءة بالكتب.

ويظهر أن النسخ غدا عنصراً أساسياً في تقاليد أبناء الأسرة العياشية فاضطلع به أعلام وشيوخ وطلبة بلغ عددهم تسعة، وإلى جانبهم كان هناك من يقوم بالنساخة للعياشيين ولزاويتهم، كما كان علماؤهم يستكتبون المؤلفات من خارج الزاوية. وإلى جانب الاقتناء، والإنتاج والتلخيص والشروح مثل الاهداء، مصدراً من مصادر تزويد المكتبة وهناك عدة أمثلة مشرقية ومغربية.

كان للمكتبة الحمزاوية نظام خاص، يُنصَّب قيماً توكل إليه مهمة السهر على محتويات المكتبة والمحافظة عليها من المؤثرات الطبيعية أو من الضياع بحيث كانوا يسجلون الكتب التي يُعيرونها واسم المستعير ويطالبون بإرجاعها إذا اقتضى الأمر.

وتتوفر المكتبة على فهرس قديم وضعه مؤسسوها الأولون لكن الفهرس المعتمد حتى الآن هو الذي كتبه السيد عبد النبي بن المجذوب الفاسي بتاريخ رجب 1268 / أبريل - ماي 1852 وهو محفوظ تحت رقم 245 فقد ظل معمولاً به دون سواه وهو عمدة المحافظين على المكتبة.

وبعد الاستقلال توجهت بعثتان علميتان إلى زاوية سيدي حمزة، أولاهما سنة 1961 ومكثت في مهمتها أسبوعاً وقفت خلاله على كل المخطوطات وتم ترقيم 250 مخطوطاً منها. كما وضعت للمخطوطات ثلاث لوائح استخرجت منها قائمة مطولة تشتمل على قسمين الأول للمخطوطات التي تم ترقيمها وتسجيلها، والثاني للمخطوطات التي وقع تسجيلها ولم ترقم وعددها 356، والبعثة الثانية سنة 1962 ولبثت في مهمتها شهراً كاملاً وارتفع عدد المخطوطات المرقمة إلى 584. أو 864 مجلداً وضعت في خمس خزائن بالمكتبة.

ع. العياشي، *الإحياء والانتعاش*، مخطوط : م. المنوني، مكتبة *الزاوية الحمزية*، مجلة تطوان، ع. 8، 1963 ؛ ن. الذهبي، *اقتفاء الأثر*، منشورات كلية الآداب الرباط، 1996.

نفيسة الذهبي

الحمص، نبات حولي يسمى علمياً سيسِرْ أنيُوم Cicer annuum، من فصيلة الفراشيات Papilionaceae وهو نبات حولي متفرع ذو أوراق مركبة ريشية وأزهار فراشية الشكل، وثمار قرنية يحتوي كل قرن على حبة واحدة أو حبتين من بذرة الحمص.

والموطن الأصلي للحمص هو حوض البحر المتوسط، حيث عرفت زراعته منذ أقدم العصور إذ زرعه المصريون والعبرانيون والإغريق والرومان ثم العرب، ومنها انتقلت إلى أجزاء كثيرة من آسيا وافريقيا وأمريكا الوسطى. ويزرع الحمص بالمغرب بوريا على مساحات شاسعة من الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافيء، والمتوسطي ذات الأشكال البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة واستثنائيا الجافة في السنوات الممطرة. أما من حيث التربة فإنه يتلاءم مع جميع أنواعها.

يعتبر الحمص من أحسن القطاني المستهلكة إذ أن بذوره مغذية جدا، وتدخل في عدد كبير من المأكولات والحلويات.

أبحاث خاصة : ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

خَمُّ - أورْزاكْ، سدّ تلي تمّ إنجازه سنة 1407 / 1986 لتروية الماشية وتوفير ماء الشرب. يقع جنوب الهضاب العليا الشرقية بالقرب من مركز بلقْيادة، وعلى مسافة مستقيمة تبلغ حوالي 60 كلم (جنوب شمال غرب بُوعَرْفَة) وحوالي 65 كلم (جنوب غرب تنْدرارة). ويكتب "خَمُّ" أحياناً بالواو لكنّنا وحّدنا المداخل بدونها "خَمُّ" وأشرنا إلى من اشتهر اسمه بالواو "خَمُّو"، مثل : "خمُّو أورْزاكْ".

استمد هذا السد تسميته من واد خَمُّ - أورْزاكْ الذي يوجد في العالية الشرقية لحوض گيرْ، والذي يعتبر أحد الروافد الثانوية لوادْ بوعْنان. من أهم خصائص هذا السدّ نذكر حجمه الذي يبلغ 180.000 م^3 من التراب المتباين، وحقينته التي تعادل 1.6 مليون م^3 من الماء، وعلوه عن الأساس بارتفاع 14 م. استغرقت مدة بنائه تسعة أشهر. وهو من أعلى السدود التلية المغربية تكلفة مالية (3.12 ملايين درهم) أما معدل حجم موارده المائية فيبلغ أربعة ملايين م^3 من الماء.

تأخذ السدود التلية المبنية أو المبرمجة أهمية خاصة في هذه المنطقة لكون مناخ الهضاب العليا قارياً وشبه صحراوي، يتسم صيفاً بالقحولة والحرارة المرتفعة بسبب رياح الشرگي، وشتاءً بالبرودة والعواصف الرعدية المتقطعة والقصيرة. كما أن نقط الماء متباعدة وقليلة العدد، وكل المجاري المائية الرئيسية أو الثانوية توجد في الحواشي وعلى ارتفاعات مختلفة (ملوية، زا، بُوعْنان، زُوزْفانة).

أما البحث عن مدخرات أخرى للثروة المائية الجوفية فلا زال في طور التنقيب. كل هذه الأسباب أبقت سكان البادية على نمط عيشهم الموروث المتمثل أساساً في الترحال والانتجاع عبر سهوب الشيح والحلفاء الشاسعة. يستفيد حالياً من ماء السدّ حوالي 4.200 رأس ماعز و22.000 رأس غنم.

المجلس الأعلى للماء، *السدود التلية*، الرباط، دورة ماي، 1988.

A. Eddiani (et al.), *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988 ; Province de Figuig, *Monographie de la province de Figuig*, 1993 ; Division de la cartographie, *Carte du Maroc, Bouarfa*, 1/250.000, Rabat, 1986.

مصطفى عياد

خَمُّ بن الجيلالي، قائد عسكري اشتهر باسمه. وتولى باشوية مكناس مباشرة بعد دخول السلطان مولاي الحسن المدينة أخر شهر رجب من سنة 1296 / يوليوز 1979، فبعد أن أقام بها شهراً عزل باشاها القائد إدريس بن محمد المدعو خنيشش وولاه مكانه.

بقي الباشا حم في منصب طيلة المدة المتبقية من حكم السلطان المذكور وجزء من فترة حكم المولى عبد العزيز. وكان هذا الباشا يشغل - في نفس الوقت - منصب قائد الجيش المخزني المرابط في مكناس، هذه المدينة التي احتفظت بطابعها العسكري منذ أن ارتقى بها السلطان المولى إسماعيل إلى مستوى عاصمة اتخاذ القرارات للمغرب كله، وكان السلطان مولاي الحسن يعتمد على هذا الجيش في كبح جماح القبائل التي لم تعد تنالها الأحكام السلطانية بالجبال الأطلسية. كذلك ظل متأهبا للمشاركة في بعض الحركات الحسنية لا ينتظر سوى إعطائه الأوامر، كما حدث سنة 1306/ 1888 أثناء تمرد قبيلة بني مگيلد بالأطلس المتوسط مما حدا بالسلطان إلى مطالبة الباشا خَمُّ بالنهوض في جيش جرار صحبة متطوعة باقي القبائل المخزنية المجاورة لمكناس (بني مطير وگروان ...) في اتجاه الجبال الواقعة جنوب المدينة قصد إعادة النظام داخل القبيلة المذكورة وتمهيد الطريق أمام محلة السلطان التي تبعت الجيوش المخزنية بعد شهر من تحركها.

وبالرغم من كثرة العساكر وقيادة الباشا خَمُّ المحنك، فقد كادت قبائل الأطلس المتوسط أن توقع بها لولا نجدة فرسان المحلة السلطانية وفكها الحصار عن الباشا وجيوشه، فكان ذلك وراء توبيخ السلطان مولاي الحسن له. إلا أن هذا التوبيخ لم يفقده مكانته أويقلل من أهميته بدليل احتفاظه بوظيفه كما كان عليه الأمر سابقا.

وبعد تولية السلطان عبد العزيز الحكم سنة 1312 / 1894، أمر بإيعاز من احماد ابن موسى (ابَّا حماد) الذي صار صدراً أعظم فيما بعد، باشا مكناس خَمُّ بن الجيلالي بإلقاء القبض على أولاد الجامعي : الحاج المعطي الصدر الأعظم على عهد مولاي الحسن، وأخيه محمد الصغير وزير الحربية في نفس العهد وصهرهما العربي الزبدي واستئصال أموالهم وأثاثهم فبيعت تركتهم في العواصم المغربية.

ولما استقر الأمر لاحماد ابن موسى وأصبح صدراً أعظم، وعين إخوانه وأقاربه في المناصب الرئيسية قلب ظهر المجن للباشا خَمُّ بن الجيلالي فعزله من منصبه ونفاه إلى تارودانت التي بقي بها إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة 1318 / 1900، رغم السمعة الطيبة التي كان يتمتع بها عند أهل مكناس نظراً لتدينه واهتمامه بالثقافة واقتنائه لآلاف الكتب من فاس ومكناس كونت مكتبة خاصة مهمة، وعين مكانه على رأس باشوية مكناس ابنه بنعيسى.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 و2 ؛ ب. بوعسرية، مكناس المدينة الجديدة، *التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات*، 1911 ـ 1939، دكتوراه دولة في التاريخ المعاصر، كلية الآداب، الرباط، يوليوز، 1995.

بوشتى بوعسرية

حَـمُّ بن حميدة (زاوية سيدي -) تقع هذه الزاوية ببنائها الحالي على تل منبع شرق جبل الحديد قرب مركز يسمى بئر كوات على الطريق الرئيسية رقم 8 الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير في إقليم الصويرة، وتعد من بين زوايا رگراگة المنتسبة إلى سيدي سعيد أحد رجالات رگراگة السبعة المسموع في حقهم صحبة الرسول عليه السلام ويوجد ضريحه بموضع يدعى الشـحيـة بوادي تامصت.

اشتهرت الزاوية باسم دفينها سيدي حَمُّ (مَحمد فتحاً) بن حميدة لأنه يعود له الفضل في إحياء الطائفة الرجراجية بعد توقف "دَوْرها" لمدة خمس سنوات بسبب ما بلغ المولى إسماعيل عن طريق علماء فاس من عدم صحة صحبة الرجراجيين للرسول عليه السلام، الأمر الذي دفع سيدي حَمُّ بن حميدة للرحيل إلى مكناس وإقناع المولى إسماعيل ببطلان الوشاية. فأعطى موافقته بإعادة تنظيم دور رجراجة وتجديد تقديم سيدي مَحمد بن حميدة عليهم بظهير مؤرخ بـ 22 رجب عام 1128.

وقد جدد المولى عبد المالك الشيخ ظهير والده المولى إسماعيل بظهائر أخرى منها ذاك المؤرخ بـ 20 ذي القعدة عام 1139.

وكما يذكر أن زاوية سيدي حَمُّ بن حميدة أخليت مرات عديدة بفعل النكسات التي تعرضت لها على عهد بعض قواد المنطقة أمثال القائد عبد الرحمان بناصر العبدي الذي هاجم الزاوية وهدمها بعد أن رفض مقدم هذه الزاوية السيد الطاهر بن محمد بن حَمُّ بن حميدة المتوفى سنة 1214 الرجوع عن بيعة المولى هشام، ثم بنيت وأعيد هدمها في فترة لاحقة على يد قائد آخر هو برجمعة التلاوي. ولم يبق من بنائها القديم غير بعض الأطلال التي ما تزال قائمة إلى اليوم.

ع. الله الرجراجي السعيدي. *السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجيين صحبة الرسول*، 1987 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه قديما وحديثا*، 1933 ؛ *زيارة ميدانية لزاوية حمُّ بن حميدة*.

محمد كلاد

حَـمُّ الطالب (سيدي -) ويكتب بالواو : "حَمُّو" شاعر يتردد في الأدب الشعبي بسوس. وقلما تجد شاعراً أمازيغيا بالمنطقة لا يستشهد بقول سيدي حَمُّ، أثناء الإنشاد، ومازال الشعراء يستهلون قصائدهم بقولة :

"رَحْمُك أسيدي حمُّو مِنّا يكّلين"

"يرحمك الله يا سيدي حمو، قال المسكين"

وسيدي حمو، شخصية غامضة مغمورة لا نعرف عن حياته إلا معلومات قليلة وغير دقيقة. كان موضوع دراسة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب وهي مساهمة في التعريف بهذه الشخصية التي شكلت مجالاً للدراسات الأجنبية مثل (Stumme Hans 1905) ودراسة (Johnston 1907) كما أن محمد المختار السوسي أشار إلى هذا الشاعر في بعض مؤلفاته قائلاً : "هذا شاعر سوس كان فقيها بالعلوم العربية ثم فتح له في الشعر بالشلحة فقال كثيراً ونسبوا إليه الكثير، ودفن في مشهد مولاي إبراهيم في "گيگ" ويعيش في النصف الأخير من القرن الثاني عشر إلى أوائل ما بعده، وهو من جهة قبيلة "إدوناين" في قرية معروفة (*الإلغيات*، 2 : 209).

وتختلف المصادر في تاريخ ومكان ميلاد هذا الشاعر، غير أن المناطق المذكورة في هذا الصدد لا تتجاوز الأطلس الصغير وسوس، وقد يكون موطنه "آزگروز" في مدشر "تاغ گوالت" بتيفنوت برأس الواد. أما بالنسبة لتاريخ ميلاده فقد اعتمد أمرير على عدة معطيات ليرجعه إلى سنة 1118 / 1706 بينما اكتفى المختار السوسي بتحديد تاريخ ميلاده في القرنين السابع عشر والثامن عشر (*الإلغيات*، 2 : 209).

التحق سيدي حمُّ منذ صغره بإحدى المدارس العتيقة بسوس، ليتخرج منها كفقيه. ثم تحول إلى شاعر متجول يشارك في قرض الشعر في "أسايس" عبر قبائل الأطلس الصغير وسهل سوس، والتقى بالشيخ حسين الشرحبيلي أحد فقهاء النصف الأول من القرن الثاني عشر (١٨ م) وفي الروايات أن سيدي حمُّ كان تلميذاً في مدشر "تامگوت" بقرية "اولوز" أي أنه اتصل بحسين الشرحبيلي قبل سنة 1142 التي توفي فيها. وكان هذا الأخير موجوداً في درعة في رمضان سنة 1132 / ١٩. 1720 وفي شوال من نفس السنة في "أغلال"، وفي سنة 1134 / 1721 بفاس وفي سنة 1139 / 1726 شيد زاويته في [قرية] "أمان ملّولين" فتقاطر عليه الناس لزيارته سنة 1141 / 1728، ولما اشتهر قام بجولة عبر سوس فبنى المدارس والأسواق. وأخذ عنه التلاميذ ... ويبدو أن سيدي حمُّ اتصل بالشيخ حسين الشرحبيلي خلال تلك الجولة، وأخذ عنه في هذه الفترة كغيره من التلاميذ. فكل الروايات الشفوية المشهورة الآن تقول بذلك، وتتفق على أن سيدي حمو نبغ في الشعر بقرية "أولوز" وبعض المصادر تذكر المدشر ذاته "تامگوت" الذي فيه مسجد مازال يذكره بعض الناس باسم "تيمزگيدان سيدي حمو" أي مسجد سيدي حمو (أمرير، ص. ١٥-16).

عاصر سيدي حمُّ فترة مليئة بالاضطرابات والثورات خاصة في سوس أواخر حكم المولى إسماعيل وما صاحبها من ثورات انفصالية (حركة محمد العالم . م. زيدان) وكذلك تصادف فترة الاضطرابات التي قال عنها المختار السوسي : "ولاريب أن ما بين 1139 و1169 كان مولاي عبد الله بن إسماعيل الذي عرفناه بالانحلال والتمزق وكثرة الثوار خصوصاً من سوس حيث ثار (بوتگلا) و(المكاوي) و(الگرسيفي) (*خلال جزولة*، ج. 4، ١٨٦).

وعاصر أيضاً فترة سيدي محمد بن عبد الله وهي فترة وإن اتسمت بنوع من الاستقرار السياسي بفضل سياسة هذا السلطان فإن المنطقة أصبحت ضعيفة اقتصاديا بإغلاق

ميناء أگادير و "تدهورت مدينة سان كروا، ولم يعد لهذا الإقليم [سوس] نفس الامكانيات" (Lemprière 1801, p. 12).

وستعكس هذه الأحداث التي عاصرها سيدي حمُّ الطالب على شعره الذي تغلب عليه الحكمة والنظرة التشاؤمية.

توفي سيدي حمو الطالب حوالي عام 1203 / 1789 بعدما ترك للتراث الشعبي بسوس ثروة شعرية تساعد الباحث في الأدب والتاريخ لمعرفة بعض جوانب المجتمع بالسوس خلال القرن الثاني عشر (18 م).

م. المختار السوسي، *الإلغيات*، ج 2 ؛ *خلال جزولة*، ج 4 ؛ ع. امرير، *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمُّو الطالب*، الدار البيضاء، 1984.

Johnston (R.L.K.N.). *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907 ; Stumme Hans, *Dichtkunst und Gedichte der Schluch*, 1895 ; G. Lemprière, *Voyage dans l'empire du Maroc*, Paris, 1801.

محمد حجي

ابن حمُّ، **عبد السلام** الوزاني ـ بلداً لا نسباً ـ ويكتب بالواو "ابن حمّو" فقيه نوازلي متمكن من فروع المذهب المالكي، درس بفاس على شيخ الجماعة محمد بن عبد الرحمان العلوي، وأحمد المرنيسي ومن في طبقتهما، وتولى القضاء بمسقط رأسه وزان مدة طويلة، ثم نقل إلى مراكش وأسند إليه السلطان محمد بن عبد الرحمان بظهير مؤرخ في 4 محرم 1290 النظر في مساجين مراكش وفوض إليه أمر تسريح من يستحق منهم ذلك سواء في سجن المدينة أو سجن مصباح، وأقره الحسن الأول على القضاء والنظر في المساجين، ثم أُخر عن ذلك ورجع إلى فاس واستوطنها، واشتغل بتدريس أحكام القضاء والفرائض، وانتصب لتلقي الشهادات في سماط العدول إلى أن خرج للحج في شوال عام 1298 / غشت ـ شتنبر 1881، صحبة الشريف الرئيس عبد الجبار الوزاني اليملحي، وبعد إنهاء مناسك الحج توفي بمكة يوم ثاني وعشرى صفر عام 1299 / 13 يناير 1882، ووصل خبر موته لفاس في 8 ربيع الأول الموالي.

ع. السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص 8 و32 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8، 489 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7، 2679.

محمد حجي

ابن **حمّاد**، أسرة صنهاجية ماجدة عاشت في الأندلس والمغرب، واستقر بعض أفرادها بسبتة، وبعضهم بمراكش منهم :

ابن **حمّاد**، **علي** بن موسى السبتي ثم الفاسي، وُلد بسبتة عام ثلاثة وخمسمائة / 1109 م وانتقل إلى غرناطة وسكنها حين ولي أبوه موسى قضاءها. ثم انتقل بانتقاله إلى قضاء الجماعة بمراكش "وكان من أهل العلم والأدب والنباهة".

توفي بفاس عام أربعة وستين وخمسمائة / 1168.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 479.

محمد حجي

ابن **حمّاد**، **محمد** بن **علي** بن أبي بكر الصنهاجي السبتي، أصله من قلعة بني حمّاد، ويسميه ابن عبد الملك: ابن حمّادو، وابن كلا نون. أما عند صاحب *مفاخر البربر* فهو أبو الحسن بن حمادو الصنهاجي ويصفه "بالشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل، العالم الأوحد" قرأ ببلده وبجاية والجزائر وتلمسان وببلاد المغرب، وذكر ابن عبد الملك بعض شيوخه في الأندلس. ومن العلوم التي حصل عليها "علم القرآن والحديث والأصول والنحو والأدب والتاريخ ... له حظ وافر في كل فنّ من هذه الفنون" (الغبريني).

وله تصانيف متنوعة منها *برنامج* لشيوخه رآه الغبريني ؛ وديوان شعري بعنوان : *عجالة المودّع وعلالة المشيّع*، وفي التاريخ *الدباجة في أخبار صنهاجة* ذكره ابن عبد الملك وقال إنه غير كتابه *النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة في إفريقية وباجة* (وكتبت غالباً بجاية). وقد نشر المستشرق ليڤي بروڤنصال بعض ما عثر عليه من هذا الكتاب تحت عنوان " نبذ تاريخية في أخبار البربر" سنة 1933 ؛ ومن تأليف ابن حماد أيضاً *أخبار ملوك بني عبيد* المطبوع بالجزائر سنة 1927 إن لم يكن هو نفسه كتاب : *الدباجة* المذكور، وذكر عن نفسه أنه لخص *تاريخ الطبري* (الغبريني).

أسندت إلى ابن حماد مهمة القضاء في عدة مدن : في مرسية والجزيرة الخضراء، ثم نُقل منها سنة 612 أو 613 إلى قضاء رباط تازا (حسب ابن عبد الملك) ثم سلا، ثم "ولي قضاء أزمور في مدة أمير المومنين المستنصر (الموحدي) وذلك في عام ستة عشر وستمائة" (*مفاخر*).

توفي ابن حماد سنة 29 ـ 630 / 31 ـ 1232 (حسب ابن عبد الملك) وقيل في السنوات الأربعينية وعمره ينيف على ثمانين سنة.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، س 8 / ق 1 / ص. 323، 325 (ت. بن شريفة) ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 / ص. 30 (ت. الهراس وغيره) ؛ مجهول، *مفاخر البربر*، ص. 94، خ ع / ك، 1275 ؛ الغبريني، *عنوان الدراية* ... (218، 220)، بيروت، 1969 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، *موسوعة أعلام المغرب*، 1، 403 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، ص. 167، 292، 386.

ابن **حمّاد**، **موسى** الصنهاجي الأندلسي ثم المراكشي، وُلد بالأندلس سنة ست وستين وأربعمائة / 1073 وبها درس على بد محمد بن علي الأزدي الطليطلي،

ويوسف ابن النحوي، وسليمان بن وليد، وأجازه أبو محمد ابن عتاب ما رواه بخطه.

"كان فقيها حافظاً للرأي، عالماً بالمسائل والأحكام، مقدماً في معرفتها" فأسند إليه قضاء غرناطة، وكان يعد من جلة القضاة في عصره. وعلى إثر وشاية كاذبة قرّبه السلطان علي بن يوسف بن تاشفين "ونقله إلى قضاء حضرته، وألحقه بكرامته ومبرته".

توفي بمراكش وهو قاض بها، في 23 قعدة عام 535 / 30 يونيه 1141.

ابن الزبير، *الصلة*، ص. 614، الترجمة 1342 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 288.

ابن حمّادة، عثمان بن سعيد السبتي، هكذا سماه القاضي عياض وذكر أنه بصري الأصل (من بصرة المغرب)، سكن سبتة، وكان من أعيان فقهائها وقال : "سمعت أنه لم يكن يقرن به في وقته بسبتة سواه، وأنه لم يكن بالمغرب أقوم منه بحجة، أُخرج عن سبتة عند دخول برغواطة بعد الثلاثين [وأربعمائة] للمنافسة التي كانت بين أهلها وبين قطانها من أهل بصرة المغرب، فسكن غرناطة"، ولم يوضح عياض نوعية هذه المنافسة. ومن المعروف أن حكم البرغواطيين لسبتة استمر إلى سنة 477 عند فتح المرابطين لها ولم يذكر تاريخ وفاته.

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. س. أعراب، ط 1983، 8 : 74 - 85.

أحمد عزاوي

الحمّادي، أسرة تنتسب إلى أيت حمّادي، فخذ من قبيلة بني مطير المقيمة بناحية الحاجب، دخلوا إلى مدينة مكناس فنسبوا إليها وصاروا يدعون : الحمّادي المكناسي، وهناك أولاد الحمّادي بسلا لعل لهم صلة ببني مطير، كانوا فقهاء، ومؤدبين، منهم الجيلالي بن سليمان الحمادي من فقهاء سلا وعدولها قبل عام 1250 / 1824 وولده محمد بن الجيلالي الحمادي فقيه مؤدب اتخذه السلطان المولى عبد الرحمان إماماً للصلاة به، وكان عام 1278 / 1861 ما يزال بقيد الحياة. وقد انقرض بنو الحمادي الآن من سلا.

رسوم الخزانة الصبيحية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 41 من مقدمة الكتاب ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 11 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 55.

الحمّادي المكناسي، التهامي بن حمّاد بن عبد الواحد المطيري، وُلد بمكناس وبها نشأ وتعلم ثم ارتحل إلى فاس فأخذ عن الشيوخ حمدون ابن الحاج وأحمد بن التاودي ابن سودة وإدريس العراقي والطيب ابن كيران وأضرابهم، فتخرج فقيهاً محدثاً مشاركاً، وأديباً شاعراً ناثراً. قال عنه في *إتحاف المطالع* : "كان أعجوبة الدهر في الحفظ والإتقان والتحرير والإجادة ... تولى قضاء بلده مكناس ثم مراكش، وأقرأ في مجلس السلطان الحديث، له شعر يدل على عارضة كبيرة في الأدب. كان السلطان عبد الرحمان بن هشام لا يفارقه سفراً وحضراً.

تخرج على يده الجمّ الفقير من علماء الحضرة الإدريسية وأجازهم كالطالب ابن الحاج ومحمد الكردودي والوليد العراقي، لكنه لم يخلّف تأليفاً إلا قصائد موزعة في بعض الفهارس والكناشات.

مرض بمراكش فبعث به السلطان إلى داره بفاس لكن المرض اشتد عليه في الطريق ومات برباط الفتح حادي عشر صفر عام 1249 / 30 يونيه 1833 وعمره نيف وستون سنة، ودفن بدويرة الزاوية الناصرية بحي بوقرون.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 228 - 229 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2541.

الحمّادي المكناسي، محمد بن حماد المطيري، فقيه مشارك مطلع كأخيه إلا أن بضاعته الأدبية مزجاة. كان يدرّس بفاس الفقه والأصلين، وممن أخذ عنه فيها العباس السجلماسي الحجرتي وترجم له في *الروض الطيب العرف* وحلاه بقوله : "شيخنا العلامة الفصيح" وذكر أنه خرج إلى الحج عام اثنين وثمانين ومائتين وألف، وأدركته الوفاة بالينبوع في الحجاز، ووصل خبر موته إلى فاس في ثاني وعشري ربيع الأول عام 1283 / 4 غشت 1866.

ع. السجلماسي الحجرتي، *الروض الطيب*، مخطوط، ص. 26 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2631.

محمد حجي

الحَمّار، عائلة استوطنت تطوان قديما ورد ذكرها عام 1122 / 1610 وقد انقرضت الآن. ومن أشهر المتأخرين منهم :

الحَمّار الحربي، المطرب المبدع كان من أصحاب الشيخ عبد السلام ابن ريسون بتطوان، ومن الملازمين لمجلسه وأمهر العازفين على آلة الرباب. يحكي أن شيخه المذكور أعطاه الآلة وأمره أن يعزف وهو لا يعرف فأخذها وعزف كأحسن ما يكون العزف، ومن ذلك اشتهر بجودة العزف على الرباب فكان لا يجاري في ذلك يذكرون هذا كرامة للشيخ المذكور.

توفي في حدود عام 1370 / 1950.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح. مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

الحمّام بالمغرب، كانت الحمامات الخصوصية إلى عهد قريب قليلة جدا، إذ كانت الحمامات العمومية هي الوسيلة الرئيسية للنظافة، فكان المغاربة ذكوراً وإناثا يرتادونها من عدة قرون مرة أو مرتين في الأسبوع. كانت هذه الحمامات ومازالت جزءاً لا يتجزأ من المرافق العمرانية الحضرية التي لا تستقيم حياة المدينة العربية الإسلامية بدونها شأنها في ذلك شأن المسجد والسوق وفرن الحي وغيرها. لذلك لم يكن في الإمكان تصور أية مدينة بدون حمام مهما صغر حجمها. أما الحواضر الكبرى فكانت تضم العشرات من الحمامات الصغرى والمتوسطة والكبرى، بل كانت الأحياء المكتظة فيها تتوفر على حمامين أو أكثر تقع معظمها بالقرب من المساجد أو غير بعيد عنها لما للعبادة عند المسلمين من علاقة مباشرة بالطهارة.

أضف إلى ذلك أن الحمام كان يعتبر في نظر عامة الناس وخاصتهم إحدى نعم الدنيا التي لا تكتمل الحياة بدونها فكان الكثير من الناس يرتادونه للاستمتاع فيه بالسخونة والاسترخاء والنظافة. إنه بالنسبة إلى السواد الأعظم من أهل الحواضر بمثابة "الطبيب الأبكم" الذي يعالج شتى أمراض البرودة والمفاصل والجلد وغيرها، وقد ثبت عند السلف أنه "يذهب الدَّرَن (الوسخ) والوصب (المرض) وينظف البدن ويبيِّض الوجوه وينفع المريض والحائض والنفساء" (*الآيات النفاعات*، ص. 23).

وكان جل الناس يفضلون الذهاب إلى الحمام ليلة الجمعة وقبيل الأعياد الدينية وغيرها من المناسبات الدنيوية ويتمنون الصحة والعافية لمن قضى منه وطره. لكن فئة قليلة من الحضريين كانت تفضل ألا تشارك العموم في الحمام فكانت لا تذهب إليه إلا صحبة الأسرة والعائلة ومن إليها من المقربين بعد اكترائه لمدة ليلة بكاملها. يقول ابن أبي زرع بأن مدينة فاس كانت تحتضن ثلاثة وسبعين حماما (*القرطاس*، ص. 48) ويذكر الوزان أن عدد الحمامات فيها وصل إلى مائة (*وصف إفريقيا*، ص. 229). وقد وجد الأجانب فيها قبل الحماية واحداً وعشرين حماما كانت في ملك الأحباس وأقل من عشرة في ملكية الخواص. وبتزايد عدد سكان هذه المدينة تزايد عدد حماماتها التي تجاوزت ثلاثين حماما سنة 1942 ثمانية منها في ملكية الخواص والباقي في ملكية الأحباس تُكريها بالمزاد العلني لمدة سنة واحدة أو نصفها.

بصف الحسن الوزان حمامات مدينة فاس في مطلع القرن العاشر (19 م) فيقول: "وإذا أراد أحدهم أن يستحم في هذه الحمامات دخل من باب أول إلى قاعة باردة ثم من باب ثان إلى قاعة ثانية أشد حرارة ومن هنا يدخل إلى قاعة ثالثة أشد حرارة من الثانية حيث يوجد مرجل محكم البناء" (*وصف إفريقيا*، ص. 229) مما يدل على أن التغيير لم يصب بنية الحمامات العمومية في سائر الحواضر المغربية فظلت على حالها كما كانت من عدة قرون إلى الآن.

يباشر العمل في الحمامات العمومية مجموعتان من العمال تشتغل المجموعة الأولى داخل الحمامات والثانية خارجها. أما المجموعة الداخلية فتضم زيادة على "الجلاّسين" المكلفين باستخلاص رسوم الدخول "الكيّاسين" المكلفين بإحضار الماء للزبون وغسل جسمه بدءاً من دلك الأطراف ومسد الأعضاء الأساسية إلى حك الظهر والبطن وفرك العنق والساقين والفخذين. يدعى هؤلاء العمال أيضاً "العمّارين" و"الكسّالين" و"الطيابين".

ويتكون العاملون خارج الحمامات من "الوقاد"، وهو شخص مسؤول عن تسخين الحمام والسهر على توفير المياه الضرورية للاستحمام والتحكم في فتحها وإغلاقها عند الطلب. يسمى هذا الشخص في مدينة فاس "السخّان" وفي مراكش والرباط وغيرهما من مدن المغرب "الفرنتشي" أي صاحب الفرن وأصلها "الفرندجي" (مثل القهوجي وغيرها) ذات النبرة التركية انقلبت دالها إلى تاء. وقد كان الناس يكلفون هذا الشخص بشيّ رؤوس الأغنام والأبقار وأكارعها والسهر على طهي بعض المأكولات الشعبية اللذيذة على نار فرن الحمام كأكلة السُّقط و"الطنجية" و"الطاجين" وغيرها.

وكانت الرباط في سنة 1944 تتوفر على سبعة عشر حماما أكبرها حمام السوق وحمام العلو وحمام القصري وحمام الشرفاء وحمام أكدال وحمام الأوداية زيادة على خمسة حمامات بمدينة سلا (*مجالس الانبساط*، ص. 49).

أما عدد الحمامات بطنجة فكان لا يتعدى سنة 1906 أربعة حمامات لكنها كانت كلها من النوع الكبير الذي يتقاطر عليه الوافدون من شتى أنحاء المدينة، ويتعدى المستحمون فيها مائتي شخص يوميا في المتوسط في الأيام العادية. وكانت حمامات طنجة تتميز عن غيرها من حمامات المدن الأخرى بأنها كانت كلها ملكا للخواص من أعيان المدينة كالحاج محمد الطريس نائب السلطان بطنجة والتاجر الشهير مصطفى الدكالي وغيرهما من الأثرياء وذوي الحيثيات.

أما أهل البوادي وسكان المناطق النائية فكانوا يلجأون عند الحاجة إلى الاستحمام إلى مكان معين في فناء إقامتهم ينصبون فيه خيمة أو يرصون فيه مخبأً يثبتون أركانه بما يوجد من عيدان وأخشاب ويغطونه بالأفرشة الثقيلة والأردية الضرورية ويحكمون إغلاقه. بعد ذلك تقوم السيدات بتسخين هذا المكان بمختلف أنواع الوقود القوية الالتهاب وتضع في أحد جوانبه كومة من الأحجار وتباشر إذكاء النار أسفلها حتى تكاد أن تتحول إلى شُهب بركانية. وعندما يدخل المستحم يجد نفسه وكأنه في حمام حقيقي لا فرق بينه وبين حمام الحاضرة إلا في المظهر الخارجي فما عليه إلا أن يرش الأحجار الملتهبة أو بعضها ليتصاعد منها بخار كثيف يملأ جنبات المكان ويغري بالاغتسال. يتخذ هذا الحمام البدوي الطارئ عدة أسماء

تختلف باختلاف المناطق، فهو يدعى "حمام العروسة" في الغرب و "المتروسة" في الشاوية ودكالة و "البرأية" في الرحامنة و "سَكَني" أو "السُكَنية" في عبدة و "تالباضيت" في سوس و"تاحمامت" في الشياظمة وحاحة.

ولقد تطور واقع الحمّام في الحواضر والبوادي وخاصة في العقود الأخيرة وبدأت الحمامات تنتشر في القرى البدوية، وتندرج الحمامات الخصوصية ضمن التصاميم الأساسية في المنازل الحضرية.يشهد على هذا التطور عبد الفتاح كليطو فيقول : "إن حال الحمام اليوم تغير كثيراً عن حاله بالأمس. فقد اختفى نقل الغبار بواسطة الدواب وحلت محله الأخشاب التي أصبحت تنقل بالشاحنات وتراجعت الأخشاب والحطب بدورها لفائدة وقود البنزين وأصبحت أوعية الحمام الخشبية ودلاؤه من قصدير وبلاستيك، وعوض مرجل الحمام الذي كانت تغطس فيه الأقباب لا ستخراج الماء بصنابير في كل الغرف، وأصبحت درجات الحرارة في جميع قاعات الحمام متساوية فلم يبق هناك فرق يذكر بين "البارد" و"الوسطي" و"الساخن" وتغيرت نظرة الناس إلى الحمام وبعدما كان جل الناس يتسابقون إلى الاستمتاع بنعمته أصبح الكثيرون منهم على العكس يفضلون الابتعاد من نقمته، ففقدت سخونة الحمام دفئها، ورحلته المادية والمعنوية معناها مما قد ينذر بقرب نهاية الحمام كمرفق عمومي ومعلمة من معالم العمران الحضري المغربي.

أ. البكري. *المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب*. باريس، 1965 ؛ ع. ابن أبي زرع *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الجزء الأول، الرباط، 1983 ؛ ش. الإدريسي. *نزهة المشتاق*، الجزء الأول، القاهرة، د. ت ؛ م. دينية. *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ ج. الكتاني. *الآيات النافعات فيما يتعلق بالحمامات*، مخطوط، خ. ع رقم 2942 ك ؛ ع. الكتاني، *تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والشرج والكهانة*. مخطوط، خ. ع. رقم 2729 ك.

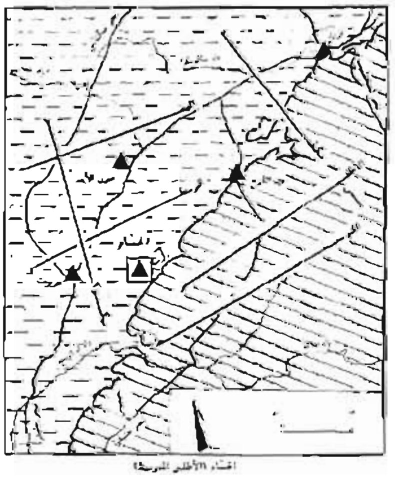
Y. Montlahuc. *Les oudaius bastion des corsaires de Salé*. Casablanca, 1980 ; L. Brunot, *Textes arabes de Rabat*, tome I, Paris, 1931 ; L. Assy (et al..), *La vie familiale à travers ses rites*, Paris, 1980 ; A. Kilito, *Architecture et sacré, une saison au hamam*, in *Le Maroc espace et société*, Passau, 1990 , E. Pauty, *Les hamams de Rabat-Salé*, *R.A.*, 1944 ; E. Secret, *Les hamams de Fès*, *Bull. de l'Inst. hyg.du Maroc*, vol. 2, 1942 ; A. Louis, *Le hamam au Maghreb*, *E.I.*, tome 3, p. 148 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès*, *A.M.*, 1907 ; H. Terrasse, *Trois bains mérinides au Maroc*, Paris, 1950.

محمد بوسلام

الحمّام أو "حمام زيان" تجمع سكني صغير بالأطلس المتوسط لإقليم خنيفرة في الجهة الوسطى الجنوبية، تسكنه بالأساس أسر من فخذة آيت بوعريف. يقع على ارتفاع 1172م فوق سطح البحر، ويتموضع عند قدم إفريز الجزء الغربي من الأطلس المتوسط الهضبي الكلسي المشرف على الهضبة الوسطى، وعند نهاية طريق صغير مسدود متفرع عن الطريق الوطنية رقم 24 الرابطة بين فاس ومراكش عبر بني ملال.

كان مركز الحمام في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) شأنه شأن تجمعات أخرى لآيت سكوكو على شكل "قصبات" على طول الوديان بالجزء الجنوبي من المحاط السكوكوي. تم احتلاله من طرف القوات الفرنسية سنة 1917 خلال غزوها لمنطقتي الهضبة الوسطى والأطلس المتوسط.

وإذا كان الحمام قد شكل بين الخمسينيات والسبعينيات أحد مراكز آيت سكوكو الرئيسية، فلا يظهر أن حجمه كان كبيراً قبل ذلك ولو أن الإدارة الاستعمارية اختارته كنقطة لمراقبة القبائل، الشيء الذي فرض خلق مرافق إدارية وعسكرية "ومع بزوغ فجر الاستقلال أصبح الحمام جنة فيحاء، يعج بالحيوية والحركة ... يشتمل على قيادة ومحكمة، وثكنتين عسكريتين للقوات المساعدة والقوات المتنقلة، ومدرسة ومستوصف ومقر لطبيب بيطري ومركز لنسل الخيول ... وتزايد عدد سكانه ولم لا وهو الذي يحكم آنذاك ما يقارب 18 مشيخة ... لكن مع مطلع السبعينيات بدأ الحمّام بتراجع أمام مركز مريرت الذي أصبح مقر السلطات الإدارية والنشاط التجاري للمنطقة.



أما النشاط التجاري في الحمّام فيبقى ضعيفا جداً، بحيث يفتقر إلى سوق أسبوعية ولا نجد به سوى عشرة دكاكين مستقرة، وباستثناء حداد واحد لا نجد هناك حرفيين آخرين مما يعني غياب الصناعة التقليدية.

ويعتمد سكان الحمّام بجانب مواردهم المحلية على موارد قادمة من بعيد على شكل معاشات للمتقاعدين، وحوالات من الجنود والموظفين، والعمال في الخارج من أبناء القرية.

ونظراً للنقص الحاصل في الخدمات بعين المكان وفي إمكانيات الشغل ولتطلعات السكان وتطور حاجياتهم وكذلك لتوفر بعض الإمكانيات المادية لدى العديد من

الأسر. يلاحظ أن علاقات سكان الحمام بمريرت وبخنيفرة تعرف تطوراً سريعاً نلمسه من خلال أهمية وتنوع وسائل النقل انطلاقا من الحمّام. فالتنقل يتم بواسطة سبع سيارات أجرة وحافلة للمسافرين وأربع سيارات شحن خاصة للنقل السري.

إن فهم ما آلت إليه وضعية الحمام غير ممكن بدون اعتبار مجموعة من العوامل لبعضها صبغة جغرافية ولبعضها صبغة اقتصادية وللبعض صبغة اجتماعية ـ سياسية ـ فالحمّام يعاني من عزلة نسبية بسبب موقعه ولا يسجل ظاهرة دينامية اقتصادية وديموغرافية من شأنها تحريكه وتنشيطه، إذ جل الأراضي جبلية تشغلها الغابة ويستعملها السكان الذين لهم كثافة ضعيفة للرعي. ومما زاد في تفاقم وضع القرية فقدانها للتجهيزات والمرافق الإدارية والخدماتية بسبب منافسة مريرت التي تستفيد من موقعها على الطريق الرئيسي رقم 24 وتُوسّعُ من دائرة نفوذها عن طريق السوق والإدارة والخدمات المتنوعة، وبسبب الصراعات الداخلية بين الأسر والأشخاص ذوي النفوذ الذين تتضارب مصالحهم. وأمام هذه المعوقات فلا يظهر أنه من السهل إعادة الحيوية إلى هذا التجمع وجعله ينتعش من جديد ويشع على ظهير اللهم إذا توفرت النيات الحسنة والإرادة السياسية وتضافرت جهود المنتخبين والمسؤولين الإداريين. ولعل إعادة فتح القيادة سنة 1995. أول مؤشر لتحولات إيجابية لاحقة.

كتابة الدولة في التخطيط والتنمية الجهوية، مديرية الإحصاء، الرباط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1971*، المنطقة الوسطى الجنوبية، مجموعة س، المجلد الثاني، دجنبر 1973 ؛ وزارة التخطيط، مديرية الإحصاء، الرباط، *السكان القرويون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982*، المنطقة الوسطى الجنوبية : حَمّام زَيان ـ مريرت، *من قلعة للمقاومة إلى أطلال تغازلها اللقالق*، جريدة الاتحاد الإشتراكي ليوم 7 غشت 1991 ؛ بحث ميداني بمساعدة بعض المستشارين الجماعيين، مارس، 1995.

G. Beaudet, *Types d'implantations humaines en pays Zaïan*, *R.G.M.*, n° 8, 1965, p. 49 - 60 ; *Les Beni M'guild du nord : Etude géographique de l'évolution récente d'une confédération semi nomade*, *R.G.M.*, n° 15, 1969, p. 3 - 80 ; Bendaoud, *Notes sur le pays Zaïan*, *B.S.G.M.*, n° 9, 1919, p. 23 - 56 et *A.B.*, vol. II, fasc. 3, 1917, p. 276 - 306 ; S. Guennoun (Capitaine), *La montagne berbère : Les Aït Oumalou et le pays Zaïan.*, Paris, 1929 ; S. Nouvel, *Nomades et sédentaires au Maroc*, Paris, 1919 ; M. Pillant, *Note contributive à l'étude de la confédération Zaïan*. *A.B*., Vol. IV, 1919 - 1920, p. 88.

محمد كريوط

الحَمّامي، نسبة إلى أولاد الحمّام أسرة ريفية من قبيلة تمسمان بإقليم الناظور استوطنت تطوان قديما ومازالت موجودة بها بقلة. اشتهر من أفرادها مقدّمون للجهاد وقواد كبار كان عليهم الاعتماد في الفتوح الكبرى التي تمت على عهد السلطان المولى إسماعيل.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ح، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

الحَمّامي، أحمد بن حدُّو الريفي المعروف بالقايد أحمد الريفي، أحد وجوه أسرته المجاهدة التي مازالت إلى الآن بتطوان وطنجة، ومنهم أولاد ابن عبد الصادق الذين كانت فيهم القيادة والحسبة بطنجة منذ فتحها أسلافهم واستردوها من يد الإنجليز إلى أن استقل المغرب، وفي تطوان مازالت دار سكنى القائد الحمّامي معروفة بالزنقة المضافة إليه (زنقة القايد أحمد) بحي (الطرنكات) الشهير، وربما التبس على الناس بقريبه الشهير الذي جاء بعده الباشا أحمد بن علي صاحب القصر الكبير (القصر الملكي الآن) والمسجد المسمى باسمه (جامع الباشا) بتطوان.

ولاه السلطان مولاي اسماعيل عمالة تطوان وناحيتها بعد القضاء على نفوذ أولاد النقسيس عام 1084 / 1673. كان في ولايته نافذ الكلمة ـ كأنه خليفة عن السلطان ـ في عدة مناطق من شمال المغرب وظل كذلك إلى وفاته، وكان له أخ يسمى عُمر وابن عمه علي بن عبد الله والد الباشا أحمد. وفي هؤلاء الثلاثة (المترجم له القائد وأخيه عمر، وابن عمه علي بن عبد الله) كانت تنحصر رئاسة المجاهدين الذين كان السلطان مولاي إسماعيل يعتمد عليهم لقيادة الجيوش ورئاستها لجهاد الأفرنج وتحرير ما اغتصبوه من موانئ المغرب وأراضيه.

ففي عام 1092 / 1681 كان فتح المهدية التي كانت تسمى قبل ذلك المعمورة، حاصرها المجاهدون وضيقوا عليها الخناق، فاشترط الإسبان حضور السلطان لتسليم المدنية وكان بمكناس فأعلم وحضر واستنزل رئيس النصارى، فاستأمن ونزل مع أصحابه وكانوا ثلاثمائة وستة نفر، فأمنه السلطان وسيق الأسرى إلى مكناس للعمل في المباني السلطانية، وأحرز المجاهدون من أهل سلا ومن أهل الريف والفحص الغنيمة واقتسموها، وكان فيها عدد كبير من المدافع والمهارس، أمر السلطان بجرها إلى مكناس، وبعد الفراغ توفي القائد عمر أخو المترجم له موبوءاً في طريقه إلى تطوان فتولى قيادة الجيوش بعده المترجم له.

وفي عام 1095 / 1683 حاصر المجاهدون من أهل الريف بقيادة المترجم له مدينة طنجة التي كان خوان السادس مالك البرتغال قدّمها هدية مع أخته إلى ملك الانجليز كرلوس الثاني أول سنة 1074 / 1663. وظلت إلى أن حاصرها المجاهدون، ففر منها الإنجليز بحراً على حين غفلة، وهدّموا أحسن ما فيها من مبان، ودخلها المجاهدون في ربيع الأول عام 1095 / فبراير ـ مارس 1684 فوجدوها خالية فأعمروها وبقيت بيد أبناء القايد علي بن عبد الله الحمامي يتوارثون

حكمها إلى أن نكبهم السلطان مولاي عبد الله بعد مقتل الباشا أحمد بن علي المذكور، ثم عادوا إليها ومازال عقبهم بها إلى الآن.

وفي عام 1100 / 1688 حاصر المترجم له مع ذويه ثغر العرائش، ونازلوا الإسبان ضاربين أروع أمثلة البطولة والاستماتة إلى أن فتحوها يوم الأربعاء 18 محرم الحرام عام 1101 / 2 نونبر 1689 واستولوا على غنائمها ومعداتها الحربية العظيمة وأسروا ألفا وثمانمائة أسير سيقوا إلى مكناس للعمل مع الأسرى الآخرين في بناء القصور السلطانية. وأمر السلطان مولاي إسماعيل القائد الحمّامي أن يبني بها مسجداً وحماماً ومدرسة وداراً له بقلعتها، وأسكن بها أهل الريف تحت رئاسة المترجم له، وبعد ذلك بسنة شارك المترجم له في فتح أصيلا حتى تم.

وبعد هذه الفتوحات التي كان لصداها وقع عظيم في نفوس المغاربة المسلمين، نهى السلطان عن لُبس النعال السُّود التي لبسها الناس حزناً على استيلاء الإسبان على مدينة العرائش التي كان المأمون السعدي قدمها لهم، وأمر السلطان بلُبس النعال الصفر ذات اللون السارّ، كما ساهم المترجم له بجهد كبير في حصار سبتة الذي دام ستين طويلة وكانت على وشك الاستسلام لولا تراخي القُواد وتهاونهم حتى لايؤمروا بالتوجه لفتح البريجة (الجديدة) وقد طال بُعدهم عن أهليهم الشيء الذي جعل السلطان يتهمهم بعدم النصح والتخاذل. وكان المترجم له تولى قبل ذلك شراء كثير من العبيد لاسترقاقهم بأمر السلطان من جميع أنحاء المملكة لتجنيدهم الإجباري، وهي قضية العبيد الحراطين المشهورة التي امتُحن بسببها عدد من الفقهاء لامتناعهم من الإفتاء بجواز ذلك.

وقد انفرد المؤرخ سكيرج التطواني بذكر سبب وفاة المترجم له - وما أراه بصح - وهو أن المترجم له كتب إلى الإسبان بسبتة أن يرسلوا له قميصاً مسموماً، من لبسه سقط لحمه عن عظمه، فبعثوا إليه به، فأودعه صندوقا وحمله هدية للسلطان، فكتبت زوجة القائد بذلك إلى السلطان سراً، فلما حضر بين يديه وقدم الصندوق هدية، أمره بفتحه ففتحه فوجد القميص فأمره السلطان بلبسه، فلم يسعه إلا ذلك، فمات، ثم قال السلطان لأهل تطوان : من تريدون أن نوليه عليكم ؟ قالوا : نريد من يريده سيدنا، فقال : من طلع علينا الساعة نولّه عليكم، فطلع القائد علي بن عبد الله الحمامي ابن عم القائد حدو. ولقصة القميص هذه رواية أخرى يرويها أولاد لوقش. والسكيرج يسمي هذا القائد حدو وهو والد القائد أحمد، فلعل القصة - إن صحت - تتعلق بحدو والد المترجم له إلا أن المؤرخين لا يذكرون لهذا ولاية.

توفي المترجم له عام 1125 / 1713 ولم أقف على موضع وفاته ومدفنه، والغالب أنه بتطوان أو العرائش. والمترجم له، وأخوه عمر، وابن عمه علي بن عبد الله، وابنه الباشا أحمد رموز في الجهاد والبطولة والتضحية تحتاج إلى دراسة خاصة.

ع. السلام سكيرج، *نزهة الاخوان في تاريخ تطوان*، مخطوط، ص. 10 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 4، 30 - 15، طبع مصر ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، 1، 134، ط. جديدة على الحروف بالمغرب ؛ م. الشرقي، *الحلل البهية*، ص. 62 - 85، مخطوط؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3، 68 ؛ ت. الوزاني، *تاريخ المغرب*، 2 : 79، ط. تطوان.

محمد برخيزة

الحَمَّامي، أحمد بن علي الريفي المعروف بالباشا أحمد الريفي. كان مشاركاً لأبيه آنى الترجمة في رئاسة المجاهدين بالثغور الهبطية. فساهم في فتح المهدية وطنجة والعرائش وأصيلا ولمّا مات والده ثبته المولى إسماعيل في منصبه كعامل على طنجة ومنطقة الشمال كلها وقائد للمجاهدين المحاصرين لسبتة ومفوض في الشؤون البحرية والفدا، الأسرى، فكانت له مراسلات مع الحكومات الأجنبية ومفاوضات مع مبعوثيها.

كانت بينه وبين قائد تطوان الفقيه الأديب عمر لوقاش نفرة وعداوة مستحكمة جعلته يزحف على المدينة بعد موت المولى إسماعيل لكن لوقاش برز له في أهلها وهزمه شر هزيمة.

بقي صاحب الترجمة مبعداً عن تطوان إلى أن تولى المولى المستضي، فلم يتقدم عليه أحد من تطوان للمبايعة ؛ فاغتنمها الباشا أحمد الريفي فرصة للإيقاع بخصمه الفقيه عمر لوقاش فدس إلى السلطان بأن غرضه قد شق عصا الطاعة وطمع في الملك ؛ فما كان من السلطان إلا أن أمره بالزحف على تطوان للإيقاع به وبأهلها ففعل وهدم أسوارها وقتل الكثير من أعيانها، ونظمها في سلك ما كان مستوليا عليه. وبنى بها دار الإمارة واستقر هناك.

واستمراراً منه في تأييد المستضيء ضد أخيه المولى عبد الله زوّجه ابنته وحاولا معاً دخول مدينة فاس في المحرم من سنة 1156 / فبراير - مارس 1743، لكنهما انهزما أمام جيش المولى عبد الله وانتهبت محلتهما، وأقسم صاحب الترجمة ألا يأكل لحماً ولا يشرب لبناً حتى يدخل فاساً وينهبها كما انتهبوا محلته.

ولما كان شهر جمادى الأولى من سنة 1156 / يوليوز 1743 خرج أحمد الريفي من طنجة قاصداً فاس، ولما سمع به المولى عبد الله استنفر سائر شيعته وخرج بهم لمواجهته فالتقى الجمعان بموضع يسمى المنزه غير بعيد عن القصر وأصيب الريفي وانهزم جيشه واحتُز رأسه وحمل إلى فاس وعلق بباب المحروق واجتمع الناس لرؤيته من كل فج، واستولى المولى عبد الله على متاعه وخزائنه، فكان الظفر بها من باب الظفر بالكنوز القارونية كما

يقـول صاحب *الاستقصا*.

م. القادري، *نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2136 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 115، 117، 153، 160، 166 ؛ *S. I. H. M* المجموعة الفرنسية الثانية، 6 : 500، 512، الهامش 3.

الحَمَّامي، علي بن عبد الله الريفي، والد الباشا أحمد سابق الترجمة، ونظراً لشجاعته ولاه السلطان منصب عامل على تطوان والقصر وسائر بلاد الغرب، وقيادة عمليات الجهاد ضد النصارى في الثغور الشمالية المحتلة.

وفي ربيع الأول من سنة 1095 / فبراير - مارس 1684 عقد له المولى إسماعيل على جيش المجاهدين ووجهه لحصار طنجة، فضيقوا على من بها من النصارى وطاولوهم إلى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر بعدما خربوها، وشرع القائد علي بن عبد الله الريفي في بناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها في فاتح جمادى الأولى من السنة.

وفي تاسع وعشري صفر عام 1107 / 9 أكتوبر 1695 نادى السلطان بالجهاد وعيَّن صاحب الترجمة على رأس القوات النظامية وجيش المتطوعة لحصار سبتة الذي استمر سنين متعددة دون تحقيق المراد وذلك لمناعة المدينة، ولعدم وجود أسطول قوي يمكّن من حصارها بحراً ومنع وصول الإمدادات المتكررة إليها والتي كانت تصل من اسبانيا والبرتغال وحتى من انجلترا وفرنسا خوفاً من سقوطها حتى إن المفاوض الفرنسي آنذاك القنصل إستيل Estelle اعتبر هذا السقوط، إن تم، كارثة على النصرانية.

لم تكن الشجاعة وحدها هي ما عُرف به القائد علي بن عبد الله الحمامي لدي الخاصة والعامة، بل كانت ثروته كذلك مضرب الأمثال، إذ ملك أجود الأراضي وأوسعها بالمنطقة وجعلها حكراً على ماشيته ودوابه التي كانت لا تعد ولا تحصى، زيادة على الأموال الطائلة التي جناها من مشاركته في العمليات التجارية المختلفة مع التجار الأجانب واليهود في تطوان والقصر، وفي العمليات القرصنية وتجارة الرقيق من الأسرى.

- قام علي الحمَّامي إلى جانب مهامه العسكرية بمهام دبلوماسية كذلك، ذلك أن المولى إسماعيل أعطاه في جمادى الثانية عام 1108 / يناير 1697 تفويضاً عاماً للنظر والتفاوض في الشؤون البحرية والملاحية مع الأجانب، فباشر هذه المهام إلى أن مات ليلة 6 شعبان عام 1125 / 28 غشت 1713 وخلفه ابنه أحمد المعروف بالباشا أحمد الريفي سابق الترجمة.

م. القادري، *نشر المثاني، موسوعة أعلام المغرب*، 5 : 1946 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 17، 64، 67، 78، 115 : *S. I. H. M* المجلد الثاني، 270، الثالث، 357، السادس 500.

محمد مرزاق

حمَّاني، (سيدي -) بن محمد بن عزوز المباركي العليوي، يعرف بسيدي حمَّاني وبولد غنيمة، كان رجلاً صالحاً فاضلاً من أهل الديانة. من أتباع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذين يترددون عليه باستمرار. ويظهر أن الرجل كان هو مقدم الزاوية الكتانية بقبيلتي أولاد علي والمراكشية بالشاوية. ولذلك بني زاوية صغيرة في الحدود بين القبيلتين المذكورتين إلى الشرق من قرية عين السبيت التابعة لدائرة الرماني. وقد أشارت استخبارات جيش الاحتلال إلى بناء متهدم بقي كأثر من الزاوية. ويبدو أن تهدم الزاوية كان نتيجة للاحتلال نفسه. ذلك أن سيدي حماني، كان منذ احتلال الشاوية يدعو المجاهدين لقتال الفرنسيين بتحريض من شيخه الكتاني الذي تبادل معه عدة مراسلات في موضوع الجهاد.

توفي سيدي حماني حوالي عام 1357 / 1938.

م. ابن سودة، *قبيلة زعير*. جزء 1 : *تحريات ميدانية*.

علال الخديمي

الحَمَّاية، إنشاد يغنى مع رقصة الگدرة بمنطقة وادي نون، وهي رقصة ذات أبعاد دلالية ورمزية كبيرة. و"الحمَّاية" هي تلك الكلمات الموزونة التي ينشدها أفراد الجوقة، ويغنونها بناء على الإيقاع الخاص بالرقصة.

وتكتسي "الحَمَّاية" صبغة دينية وأخرى غزلية. ومن خلال الأولى يتبين مدى ارتباط رقصة الگدرة بالمارس الديني، حيث إن قانون الرقصة يحتم أن تبدأ الممارسة بإنشاد الحَمَّاية التالية :

ويا نبي اللـــــهْ   أشفع لي يا رسول اللـهْ

إذ يردد فريق من أعضاء الجوقة شطرها الأول ويردد الفريق الآخر شطرها الثاني. وهذه الحَمَّاية هي ما يسمى في الرقصة ب "السباب" إذ تفتتح بها جولات الرقصة المتتالية.

وتعتبر الحَمَّاية ذات الصبغة الغزلية هي الأكثر ترديداً في الرقصة كما أنها تشكل مجال إبداع مستمر، ومنها على سبيل المثال :

ويَـا عَريـش الـبَـنَـــــانْ   خَـلْ زَيْنَك ذاكْ يْبَــــانْ
رأي : يا غـصنْ الـجــوز   دَعْ جمالـك يتبـــدَّى
ويالرگبة يـــا الـغــــزالْ   كيـف اللُّبَّان إلـى بَــانْ
رأي : أيها الجيدُ جيد الغـزال   مـثـل تمظهُـر اللبّــان

إنَّ القيمة الإبداعية للحمَّاية في رقصة الگدرة ترتبط أساساً بالجمالية التي تكتنزها اللهجة الحسانية أحياناً في بعض عباراتها وإيحاءاتها.

ويثير مفهوم "الحَمَّاية" هذا مسألة هامة تتعلق بارتباط رقصة الگدرة بالنار كعنصر ضمني ورمزي يتحكم في الممارسة. فأدواتها الموسيقية التي يُضرب عليها لإحداث إيقاع خاص يوجه الرقصة هي في الأصل إناء للطبخ مرتبط بالنار أصلبا، كما أن الممارسين الذين يتقنون

هذه الرقصة يسمون هم أيضاً ب "النار" والحَمَّاية دلاليا تعني فضاء أو أداتها توقد النار أو تشعلها. والشخص الذي يمارس رقصة الكَدرة هو نفسه يسمى : "الحمَّاي" وهذه كلها كلمات ترتبط بحقل دلالي يعني الحرارة المفرطة (الحمَّانْ) أو الاشياء والفضاءات المشتعلة (حامي - حامية).

معرفة شخصية ميدانية.

محمد جوماني

حَمُّو ← حَمْ

بنو **حَمُّود**، أمراء أدارسة ينتسبون لجدهم حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس الأزهر، حاولوا لآخر مرة، وبعد سقوط دولتهم الثانية بالريف إثر مقتل ابن عمهم الحسن ابن گنون عام 375 / 985، أن يقيموا دولة إدريسية في الأندلس. لما اضطربت أحوالها واضطرمت فيها نار الحرب الأهلية أوائل القرن الخامس (11 م). وكان علي ابن حمود الإدريسي آنذاك حاكماً لسبتة، وأخوه القاسم ابن حمود والياً على الجزيرة ومالقة، فولّت بعض الأحزات المتنافسة علي بن حمّود قيادة الجيش المغربي في الأندلس ثم بايعوه بالخلافة في قرطبة في شهر محرم عام 407 / يونيه 1016 وتلقب بالناصر. ولم يلبث عليٌ أن اغتيل بعد عامين، فخلفه أخوه القاسم بن حمّود ولقب بالمامون، لكن خرج عليه ابن أخيه يحيى بن علي، وتمكّن الأمويون بسبب هذا الخلاف من استرداد دولتهم لمدة قصيرة، ولم يحتفظ يحيى سوى بالجزيرة ومالقة، وطنجة وسبتة في العدوة المغربية. ثم عادت قرطبة إلى طاعته مرة أخرى لكن ثار عليه والي إشبيلية ابن عباد وجرت بينهما معركة قتل فيها يحيى (427 / 1036) وبذلك انتهت خلافة بني حمّود في قرطبة.

كان إدريس بن علي ابن حمّود أميراً على سبتة وطنجة فاستدعاه أنصاره إلى مالقة وبايعوه بالخلافة بشرط أن يولّي الحسن بن يحيى القتيل على سبتة وطنجة، وتلقب بالمتأيد بالله وظلت منطقة نفوذه بالأندلس محصورة في مالقة والجزيرة ورندة إضافة إلى الثغور التي يحكمها ابن أخيه في العدوة المغربية، إلى أن توفي سنة 431 / 39 - 1040. فخلفه في مالقة ابنه يحيى بن إدريس، وفي سبتة بويع الحسن بن علي ابن حمود - ثالث الإخوة - وكثرت الفتن والتقلبات السياسية وانقسمت أسرة بني حمود إلى فرعين : أبناء القاسم وأبناء علي، ولو أن الخلافة الرسمية ظلت في أبناء علي. ولما بايع أمراء البربر إدريس بن يحيى بن علي بمالقة سنة 434 ولّى على سبتة وطنجة رجلين من عبيد أبيه من بورغواطة سقّوط ورزق الله، وتكاثر المبايَعون والمعزولون والمقتولون من بني حمود، وانتهى أمر آخرهم محمد بن إدريس بن يحيى الملقب بالمستعلي بالخروج من مالقة التي سقطت في يد ملك غرناطة والتوجه إلى مليلة حيث استمر حاكماً بها إلى أن مات عام 460 / 1067 وبذلك انقرضت دولة بني حمود (الدولة الإدريسية الثالثة والأخيرة) بعد أن عاشت بين مد وجزر زهاء ستين سنة.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب*، سلا، 1938، ص. 30 - 43 : ع. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، بولاق، 1274 ؛ إ. أبو الفداء، *المختصر في أخبار البشر*، القاهرة، 1325 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1958، 4 . 330 - 336 و6 455 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 1 : 431 - 435 ؛ ي. أشباخ، *إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين*، تر. عبد الله عنان، تطوان، 1939، 1 : 32 - 37 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 186 ؛ إسماعيل العربي، *دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة*، بيروت، 1983، ص. 225 - 276.

محمد حجي

الحَمُّود أو الحمُّودي، أسرة تطوانية أندليسة عربية شريفة تنتسب إلى بني حمود الأمراء الأدارسة سابقي الذكر، ومن فروعهم : العَلْويون - بسكون اللام - نسبة إلى علي بن حمود تفرقوا بعد ذهاب دولتهم، ثم بعد سقوط سبتة، فسكنوا قرية تسمى باسمهم قرب تلمسان بالجزائر ولعلهم أول من سكنها تسمى : (العَلْويين) وربما قيل لهم هناك : (الحمامدة). ومنهم جماعة سكنت مدشراً سمي باسمهم أيضاً : (العَلْأوية) بقبيلة الحوز قرب تطوان. استوطنوا تطوان قديما ومازالوا بها، اشتهر منهم الفقيه العدل الميقاتي الموسيقي الحاج أحمد بن محمد العلْوي الحمّودي الملقب كأبيه وجده : المريبطو، وغيره كثير.

أ. المريبطو، *المآثر الجلية، في رجوع نسب أولاد العلوي للشعبة الحمودية الادريسية الحسنية* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح مخطوط.

محمد بوخبزة

حَمُّوش، أسرة ريفية عريقة، انتقل في القرن الثالث أو الرابع الهجري فريق منهم إلى مكناس يوم كانت ماتزال عبارة عن مجموعة حوائر منها حارة بني حمّوش الذين أصبحوا اليوم يعرفون بالحمامشة (*إتحاف*، 1 : 57) (أولاد حميش)، ودخل فريق آخر منهم إلى الأندلس بعد فتحها، فكان منهم فقيه قرطبة الكبير مكي بن أبي طالب حمّوش الذي عدّد ابن غالب في كتابه *فرحة الأنفس* مؤلفاته فبلغت سبعة وسبعين، منها كتاب *الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير* في عشرة أجزاء.

حَمُّوش، رحمة بنت محمد بن الطالب حمّ، مقاومة ولدت سنة 1324 / 1906 بالخندق إحدى فرق مدينة البهاليل

القريبة من صفرو، والمعروفة لدى أوساط المقاومة وجيش التحرير برحمة البهلولية. تزوجت لأول مرة بنقيب الزاوية القندوسية بصفرو عبد السلام القندوسي لتتعلم منه مبادئ الفضيلة وحب الوطن ولتنجب منه ولداً ذكراً أطلقت عليه اسم لهبوب القندوسي. وبعد سنتين على وفاة زوجها اقترنت بمقاوم يدعى علي بن محمد وزرع فيها بذور المقاومة والنضال ضد الاستعمار الفرنسي.

وفي سنة 1373 / 1953 هاجم المقاومون ثكنة الجيوش الاستعمارية بسيدي بوسرغين بصفرو "Fort Prioux" وغنموا الكثير من الأسلحة والعتاد الحربي أودعوه بأحد الإصطبلات بضواحي المدينة. وكان أحد هؤلاء المقاومين المدعو الحسن البرنوصي العضو النشيط بطليعة عباس الفكيكي، كما أنه كان يسكن نفس البيت الذي تسكنه المقاومة رحمة حموش والمعروف حتى الآن بدار القندوسي بحي سيدي أحمد التادلي بصفرو، وهكذا أصبحت دار رحمة مقراً سرياً لرجال المقاومة تعقد فيه الاجتماعات ويأوي إليه المناضلون. ولمّا تجلت صعوبة نقل الأسلحة المغنومة من الإصطبل غير المأمون لوجود القوات الاستعمارية وجواسيسه عبر المدينة وضواحيها، تطوعت رحمة للقيام بنقلها إلى بيتها، وهكذا كانت تدس الأسلحة



وسط كومات الحطب، وتمر لمرات أمام الأضواء الكاشفة للجيوش الفرنسية وكأنها بدوية همها جمع الحطب. ويُذكر أنها كانت آنذاك في فترة نقاهة نتيجة عملية قيصرية حديثة العهد، فانحلّت غرزز بطنها لثقل الأسلحة التي تنقلها إلى بيتها فتودعها في سلال الغلل من قمح وشعير، أما الرشاشات والبنادق فتحشرها في ملاحيف الصوف إلى حين مطالبة المقاومين بها. بل إن بعض الأسلحة بقيت مخزونة بدار هذه المقاومة إلى أن أهلّ فجر الاستقلال على المغرب وعاد المغفور له محمد الخامس من المنفى حيث سلم المقاومون تلك الأسلحة المتبقية إلى الجهات المسؤولة بالرباط.

وقد نالت رحمة حموش بطاقة المقاومة سنة 1379 / 1959 ولبّت نداء ربها بتاريخ 15 جمادى الأولى عام 1408 / 5 يناير 1988 ودفنت بمسقط رأسها البهاليل.

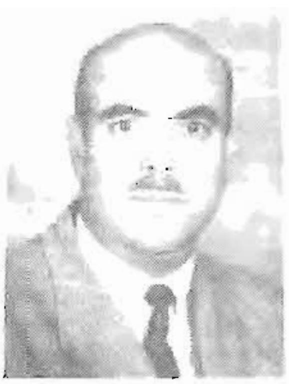
شذرات من ملف المقاومة : بحث ميداني.

الحسين البحاري

حَمُّوش، محمد بن محمد الريفي الفاسي، اشتهر بالفقيه حمّوش. ولد بفاس عام 1338 / 1919، وبها نشأ ودرس على جملة من الشيوخ المتصدرين للتدريس، وأشهرهم آنذاك عبد الرحمان ابن القرشي والعابد ابن سودة ومحمد العراقي سيدهم ومحمد بن سليمان العلوي وعبد الله الفضيلي.

عيّن مدرساً في النظام بالقرويين، وعزل لنشاطه الوطني في حوادث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، وسجن مع جماعة من الوطنيين الفاسيين بسجن علي ومومن. وفيه كتب كناشة أدبية في نحول ثلاثمائة صفحة من الحجم الصغير، سماه كما في أعلى الصفحة الأولى : "دفتر عين علي مومن لصاحبه محمد بن الحاج محمد الريفي حموش سجين بعين علي ومومن تحت عدد 12328 في 28 محرم عام 1364 / 13 جانفيي سنة 1945".

تتضمن *الكناشة* مختارات أدبية وعلمية وتاريخية مما قرأه المترجم في السجن من كتاب *البيان والتبين* للجاحظ، *وتفسير المنار* لرشيد رضى. وفيه كذلك من أخبار السجناء الوطنيين وماعانوه مع السجانين الفرنسيين، من ذلك تهجم رئيس السجن المدعو كونطي الذي شتم الدين الإسلامي والقرويين وعلماءها وطلبتها، فحرر السجناء رسالة احتجاج من إنشاء الوطني السجين الطاهر غلاب وجهوها إلى جلالة الملك وإلى المقيم العام، أثبت الفقيه حموش نصها في كناشه، وهي بتاريخ رابع دجنبر سنة 1944.



وبعد الاستقلال أعيد إلى منصبه العلمي وأخذ مجلسه من جديد بين شيوخ التدريس بالقرويين إلى أن أحيل على المعاش. وقد أصيب في آخر عمره بمرض لم يمهله طويلا فأسلم الروح إلى باريها بمسقط رأسه فاس يوم الأحد 24 محرم عام 1410 / 27 غشت 1989.

م. حموش نفسه، دفتر عين علي مومن. مخطوط : رسوم ووثائق عائلية وإدارية.

محمد حجي

الحمُّومي، أسرة من أولاد حَمٍّ الذين هم في عداد أولاد جامع النازلين معهم في بلاد لمطة خارج باب عجيسة من فاس، ينتسبون إلى الشرف ويصلون نسبهم بالأمير محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر. دخل بعضهم مدينة فاس وبيتهم فيها بيت علم ومجد وديانة وتصوف وكرم وأريحية، نبغ فيهم عدد من العلماء ورجال التصوف، ورأسهم أحمد بن الحسن الحمومي آتي الترجمة أخذ عن شرفاء وزان وخرج سنة 1150 مع قبيلته أولاد جامع من بلادهم لمطة لما أصابها الجفاف، ولم يعد لما عادوا، واختار الاستقرار في بني زروال بفرقة بني إبراهيم حيث بنى الزاوية المسماة بالزاوية الفوقانية أو العليا لتلقين الأوراد الوزانية بعدما قلده الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني التقديم على الفقراء من أولاد جامع. وبعد وفاته في العشرة السابعة بعد مائة وألف خلفه ولده العالم الجليل مولاي التهامي الذي تصدر مشيخة الزاوية الحمّومية التي عرفت بنشر العلم والدين بين الجبليين، مع كرم البذل والسخاء ؛ والتي تفرعت فيما بعد إلى ثلاث زوايا، هي الزاوية الفوقانية المذكورة، وزاوية القراوي، وزاوية الروض على ضفة وادي أمزاز بفرقة بني ملول الزروالية، وبها قبر الطيب ابن أحمد بن علي بن التهامي الحمومي.

قال البشير الفاسي : "بلغت أسرة الحموميين من الفخر والشرف غايته، وأدركت من الجاه ورفع القدر طارفهُ وتالدهُ، وفي أحد أفرادها وهو سيدي بن التهامي دفين فاس قيلت تلك المقالة الشهيرة التي هي عنوان الجاه والثروة "السماء لله والأرض للحمُّومي" وذلك كناية عن كثرة أملاكه وتعدد رباعه".

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2255 ؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، 18 ، 79 ، 80.

محمد مرزاق

الحمُّومي، أحمد بن الحسن الحسني صالح بني زروال ومؤسس الزاوية الحمومية. استوفى ترجمته ولده التهامي في كتاب *المقصد السامي* وهي خالية من تاريخ الولادة والوفاة، إننا لا نعرف شيئا عن نشأته الأولى داخل أسرته، سوى أنه درس في فاس وقطن في المدرسة الرشيدية، وأخذ علم الظاهر عن الفقيه محمد القسمطيني ومحمد المسناوي الدلائي. كما اتصل وهو طالب بالشيخ مولاي التهامي الوزاني في إحدى زياراته لفقراء فاس، فسلب له الإرادة وأصبح عمدته في علم الباطن.

تولى أحمد بن الحسن الحمومي خطة القضاء في أولاد جامع بأحواز فاس، بوساطة من شيخه مولاي التهامي ؛ وأثناء مزاولة مهامه القضائية حفظ أوراد الطريقة الوزانية وأذكارها، وكان تصوفه سنياً، يتجلى هذا في استنكاره ممارسات الطائفة العيساوية واختلاط النساء بالرجال في المواسم. وقد تعرض لمحنة شديدة في عهد المولى إسماعيل إذ زُج به في سجن مكناس بسبب غيرته على النسب الشريف ودفاعه عن شرف البوزيديين أهل بوجابر بأولاد جامع الذين كانوا مسجلين في زمام الحراطين. وهذا الامتحان دفعه إلى اعتزال القضاء من تلقاء نفسه، فوجهه شيخه إلى الجبل للقيام بإصلاح أحوال القبائل، فرحل إلى سلاس ثم انتقل إلى بني زروال حيث أسس الزاوية الحمومية سنة 1116 / 1705، ويبدو أن الزاوية الحمومية في حياة الشيخ المؤسس كانت تابعة للزاوية الوزانية بمثابة فرع لها، كما كان الشيخ يقدس دار وزان ويتردد عليها كثيراً قائلاً : "أنزلنا حرمتها عندنا كحرمة مكة".

عاش الشيخ أحمد بن الحسن الحمومي سنوات الفتن والمسغبات والأوبئة التي تلت وفاة السلطان المولى إسماعيل سنة 1139 / 1727. ويتبين من الترجمة المذكورة أنه لم يكن في خلوة أو في معزل عن الأحداث التي وقعت بالقرب منه، وحول مدينة فاس، بل كان حضوره بارزا، مارس خلالها وظائف الولي الذي استثمر بركتد ومكانته في التحكيم بين القبائل المتناحرة من أجل كبح موجات العنف المتبادل كالتي وقعت بين بني زروال وحلفائها الحياينة وشراكة وأولاد جامع، وبين صنهاجة والريف ؛ وفي الشفاعة لدى السلطان في المساجين. ووقع الاختيار عليه عدة مرات للإصلاح بين سلاطين الوقت وبين بني زروال وحلفائهم مثل ما حدث أيام ولد عربية وعبد الملك. وقد رفض في حالات عديدة التوسط، كما وقع له مع الباشا أحمد الريفي الذي طلب منه في رسائل كثيرة تمهيد القبائل الداخلة في مجال نفوذه للحياد في زحفه على فاس، وكان امتناعه عن ذلك سببا في غارة الريف كتامة على بني زروال التي لعب فيها الولي دور المحرض على القتال والمدافع عن قبيلته.

كان الشيخ أحمد الحمومي شاهد عيان في وقعة سبو، بين قوات الباشا أحمد الريفي بمعية المولى المستضيء وجيوش المولى عبد الله سنة 1156 / 1743. وكان في صف هذا الأخير. وقد تحولت الزاوية الحمومية في خضم هذه الاضطرابات والفتن إلى حرم آمن يستقبل اللاجئين الهاربين من بطش مخزن أبناء المولى إسماعيل وقواد عبيد البخاري، وكان معظم المستجيرين من أهل فاس الذين ضاق بهم الحال في المدينة. وفي سنوات المسغبة قامت الزاوية الحمومية بالتخفيف من حدة المجاعة بإطعام الجائعين كما جاء في مناقب الشيخ الحمومي، الذي ساهم أيضاً بفعل بركته في علاج المطعونين.

توفي في العشرة السابعة من القرن الثاني عشر، حوالي عام 1165 / 1751.

التهامي الحمومي، *المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي*، مخطوط المسجد الأعظم بوزان، ص. 139 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2255 ؛ م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، الرباط، 1962، ص. 49 ، 53.

محمد عمراني

الحمّومي، بدر الدين أو محمد بدر الدين بن الشاذلي بن أحمد الحسني، من مواليد سنة 1178 / 1764. كان من أبرز علماء وقته، مشاركا في علوم شتى. أخذ عن عدد من الشيوخ، أبرزهم : التاودي ابن سودة وعبد القادر ابن شقرون ومحمد الرهوني.

عرف بدر الدين الحمومي بالصلاح والورع، وإعراضه عن الحاكمين، وقد أورد في *السلوة* أنه سمع والده "يحكي أن الوزير الأعظم في وقته كانت له وليمة وأتى إليه بنفسه يدعوه لها فامتنع ولم يذهب إليه" (1 : 178).

كان بدر الدين الحمومي مرجعا في الفتيا بمدينة فاس في عهد القاضيين أبي حامد الرهوني وعلي التسولي. وقد استفاد منه عدد من العلماء، منهم : محمد بن عبد الرحمان الفيلالي، ومحمد الطالب ابن الحاج وأحمد ابن سودة. وقد ذهب الحمومي إلى الحج أكثر من مرة، وعاش ما يقارب تسعين عاما.

خلّف الحمومي عدداً من التآليف، منها : *شرح على الشمائل*، *وشرح على الوظيفة الزروقية*، وشرح على المرشد المعين، المسمى *منهل الماء المعين في شرح المرشد المعين*، طبع على الحجر بفاس. وكان الحمومي من أوائل علماء المغرب الذين ألفوا في موضوع الشاي والسكر، إذ نافح عن حلية استهلاك هاتين المادتين، كما يبدو ذلك من تقييده *رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من النافع* وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره، وقد طبع أيضاً على الحجر بفاس سنوات قليلة قبل فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وهو أمر لافت للانتباه، إذ نادراً ما تم طبع نصوص خارج إطار الفقهيات والتراجم. ويرجح أن يكون طبع هذا التقييد، بموازاة مع طبع رسالتين في نفس الموضوع لكل من سليمان الحوات والناصري الدرعي، قد تم للرد على منتقدي تناول مادتي الشاي والسكر. فرغم الإقبال الكبير عليهما في المغرب، ظلت بعض الشخصيات الدينية تقاوم استهلاكهما بسبب تأثيرهما السلبي على اقتصاد البلاد والإمكانات المالية المحدودة للأفراد، فضلا عن السجال الفقهي بشأن طهارة هاتين المادتين من الوجهة الشرعية.

توفي بدر الدي الحمومي بفاس ليلة السبت ثامن محرم عام 1266 / 24 نونبر 1849 ودفن بزاويتهم بحومة البليدة وهو أول من دفن فيها.

بدر الدين الحمومي نفسه، *رسالة فيما اشتمل عليه الأتاي من النافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره*، ط. حجرية، فاس 1326 / 1908 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار في عجائب المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ. ع. رقم 579 ك، ص. [illegible] ؛ الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 118 ؛ الكتاني، *سلوة*، 1 : 178-179 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 2 : 400 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2288 ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة الفقه المالكي*، 1983، ص. 88 ؛ ل. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 1988، ص. 84 ؛ فوزي عبد الرزاق، *المخطوطات العربية في المغرب*، الرباط، 1989، ص. 57.

أحمد المكاري

الحمّومي، حساين بن محمد بن علي الفاسي، سقط اسم "محمد" من *إتحاف المطالع*، وقال إن اسمه الحسن ويدعى حساين واستبدل بعلي علالاً. فقيه مشارك مدرس نفاع، أخذ عن عمه بدر الدين الحمّومي، ومحمد بن عبد الرحمان السجلماسي الحجرتي ومحمد المرنيسي. وكان إلى جانب التدريس "مقصوداً للصلح بين القبائل وخصوصاً أولاد جامع وشراكة، نافذ الكلمة عند عمالهم فيما به يشير عليهم".

توفي يوم الجمعة ثامن وعشري رجب عام 1309 / 26 فبراير 1892 وقد جاوز السبعين، ودفن بزاوية والده وجده من حومة البليدة.

عباس السجلماسي، *الروض الطيب العرف*، مخطوط، ص 42 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2788.

الحمّومية (الزاوية) ← الحمّومي أحمد

الحميات بالمغرب. عرّف أبو القاسم الزهراوي (ت. 427 / 1035) الحمّى بأنها : "حرارة غريبة خارجة عن الطبائع". ونظم هارون بن إسحاق ابن عزرون الأندلسي (القرن الخامس الهجري / 11 م) *أرجوزة في الحميات والأورام* تربو أبياتها على المائتين بيت صنف فيها الحميات وبين أسبابها وطرق علاجها.

والحميات في التعريف العصري حالات مرضية تعتري الإنسان وتتميز بارتفاع درجة حرارة الجسم وجفاف الفم وسرعة النبض والتنفس، والشعور بالتعب والوهن والانهيار، وآلام الجسم وفقدان الشهية بالإضافة إلى تتابع القشعريرات وتصبب العرق. وتذهب الحميات في حالة استفحالها أو استمرارها بأرواح العديد من الناس.

وقد عانى المغرب في تاريخه الطويل من وباء الحميات كثيراً غير أن شح المعلومات في المصادر عن هذه الحميات لا تمكن من تصور واضح لها ولأصنافها بحيث لا ترد في كتب التاريخ إلا استطرادا في مواضيع أخرى، وأقدمُ ما تمكنا من العثور عليه في هذا الشأن، ما ورد عند البكري في *المسالك* إثر حديثه عن سكان أو دَاغَسْت، حيث ذكر أنهم يصابون كلهم بالحميات. وتعرض ابن خلدون في *المقدمة* للحميات وبين أسبابها. وأشار الحسن الوزان في معرض حديثه عن زواغة غرب فاس إلى أن "معظم سكانها صفر الوجوه يعانون من حميات شديدة يموت بسببها عدد كثير منهم". وعرض كاسطيلانو (Castellanos) لنوع خطير من الحمى عاث في المغاربة سنة 1888 أسماه الحمى القرمزية.

ولقد ظلت تصنيفات الحمى التقليدية متداولة بين المغاربة ومن كان يمتهن منهم مهنة الطب إلى مطلع هذا القرن حيث كان الكثير من الغموض يلف أصناف الحمى ويخلط بين بعضها البعض مما أفسح المجال أمام إرسال كثير من التسميات حتى إن مميزات العديد من الأمراض التي ترتبط بعض أعراضها بارتفاع درجة الحرارة كانت تحشر ضمن الحميات.

قام الأطباء الفرنسيون بعد فرض الحماية على المغرب سنة 1912 بعدد من التجارب الطبية فاتضح أن الحميات بالمغرب أنواع كثيرة لا تقف عند حد ما عدّده مؤلفو المصنفات الطبية القدامى ولو أن عامة الناس ظنوا يطلقون عليها اسم "الحُمّى" أو "الحَمّة" أو "السخانة" وتسمى بالبربرية "تاولا" أو "ترغي". ووعيا منهم بخطورة الحميات عليهم وعلى مشاريعهم والوافدين من أبناء جلدتهم، انكب أطباء الاستعمار الفرنسي على دراسة الحميات تحليلا وتشخيصا وتصنيفا، فعددوا أنواعا كثيرة منها، وبينوا ما يتسبب في ظهورها من حشرات وجراثيم.

ومن أخطر الحميات التي كانت منتشرة بالمغرب في مطلع هذا القرن :

1) *الحمى التيفوئيدية* : وهي حمى مستمرة غير متقطعة مركزها الأمعاء وتسمى أيضاً الحمى المعوية. يطلق المغاربة على هذه الحمى اسم "المكلفة" أو "السالة" أو "كردة".

يتسبب في ظهور الحمى التيفوئيدية مكروب يسمى Bacille d'Eberth وهو مكروب عصوي الشكل ذو قوة فائقة على الحركة، ينتقل عن طريق تلوث اليدين أو عن طريق تلوث ماء الشرب أو الخُضر، بسبب الغبار الذي ينقل أثناء تعرضه للريح بقايا البراز الجاف إلى الآبار أو بساتين الخضر. تبدأ هذه الحمى بالألم في الرأس والشعور بالوهن وانقباض الصدر والأرق وارتفاع درجة الحرارة أثناء الليل وانخفاضها في الصباح، بالإضافة إلى الهذيان وانقباض العضلات، وكذا شدة العطش وتبدل لون اللسان.

وكما هو الشأن بالنسبة لكل الحميات أو الأمراض بصفة عامة فإن معلوماتنا عن حمى التيفوئيد بالمغرب في الفترات المتقدمة عن مجيء الحماية الفرنسية قليلة جداً، وترجع أقدم الإشارات إليها، حسب علمنا إلى القرن الماضي وبالتحديد إلى سنة 1279 / 1879 وهي التي ساقها في *الاستقصا* بقوله : "... حدث الوباء بالحمى في أعيان الناس وأماثلهم فهلك منهم عدد كبير". وأشار الدكتور وايزجربر Wiesgerber إلى إلمام وباء من الحمى التيفوئيدية بالمغاربة في سنة 1898. وأوضح أحد الأطباء المرافقين لجيوش احتلال المغرب في دراسة أنجزها عن حمى التيفوئيد في المناطق الساحلية من المغرب سنة 1911 أن هذه الحمى فتكت في هذه السنة فتكا ذريعا بجيوش الاحتلال، حيث بلغ عدد من أصيب منهم بالحمى التيفوئيدية 2471، حصد الموت منهم 399. ولا نملك أرقاما يمكن الركون إليها بصدد وقع هذا الوباء على المغاربة، وإن كنا نميل إلى أنه جرف أرواح الكثير منهم.

وقد ظلت الحمى التيفوئيدية تعيث في المغاربة خلال فترة الحماية، رغم ما حاول الأطباء، أن يُعدوه لها من أسباب التطويق، ويوضح الجدول التالي عدد المصابين بها خلال بعض السنوات، وفي مدن البلديات فقط :

السنة	عدد المصابين
1928	985
1928	544
1929	580
1930	436
1931	485
1932	345
1937	857
1938	795
1939	468
1940	540
1941	716
1942	688
1943	1191
1944	1421

ورغم عدم توفر إحصاءات خاصة عن حمى التيفوئيد في البوادي، فإن تعرض مياه الشرب للتلوث باستمرار وعدم إقفال الآبار وتركها مفتوحة لكل ما تجره الرياح والسيول، بالإضافة إلى رفض السكان جوفلة المياه أو علاجها بمواد كيماوية أخرى، كان يخلق ظروفا ملائمة لترعرع الحمى التيفوئيدية وتفشيها.

وقد دأب المغاربة على علاج من "ضربته المكلفة". بما يسمى "العركة" (بتفليظ الراء) وذلك بالعمل على تعريق المريض، حيث يوضع بعض الزعتر مع الماء في مرجل حتى يغلي ويقدم للمريض ويرفع غطاء المرجل فيصعد البخار إلى وجه المريض حتى يعرق، ثم تُحزم بعض قشور الحامض حول رأسه. أما الطب العصري الذي وفد مع الاستعمار، فقد اعتمد في محاربة الحمى التيفوئيدية في البداية على التلقيح، الذي أثبت فاعليته في الحد من انتشارها، بالإضافة إلى محاربة تلوث المياه ومكافحة الذباب، ثم استعمال بعض العقاقير كالكلور مفنكول.

2 . حمى *المستنقعات* :

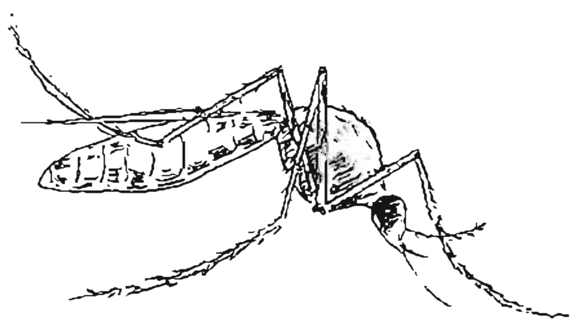
حمى المستنقعات أو البردا، وتسمى بالفرنسية Paludisme، وهي مشتقة من كلمة Palus التي تعني باللاتينية المستنقع أو المرجة ويسميها الإيطاليون ملاريا Malaria، وتتكون من كلمتين هما Mala و Aria

وتعني الهواء الفاسد. "وهي مرض خطير يظهر على الإنسان بارتفاع حرارته الطبيعية مع الرعدة واشتداد وجع الرأس وتصبب العرق ووجود التعب في كل حركة. وهو عبارة عن تسلط بعض الكريات الأجنبية على دم الإنسان تعرف بالهيماتوزوير. أما الوقت الملائم لانتشار هذا الداء وتمكنه من الأجسام فيبتدئ من شهر ماي إلى غاية شهر نونبر". ويرجع الفضل في اكتشاف المكروب المسبب لهذا الداء إلى الطبيب الفرنسي ألفونس لافران Alphonse Laveran وذلك في ثمانينيات القرن الماضي.

ينتقل داء حمى المستنقعات عن طريق لسعات البعوض، وخاصة الأنثى، ذلك أن البعوضة لا يمكنها أن تكون مهيأة ومستعدة للتلقيح من طرف الذكر إلا إذا امتصت وتغذت بعدة وجبات من الدم. الأمر الذي يدفعها إلى اللسع وإذا حدث أن لسعت شخصا مريضا بحمى المستنقعات فإنها تأخذ منه بذور المرض حتى إذا احتاجت إلى وجبة جديدة من الدم، فإنها تلسع شخصا آخر قد يكون سليما، فتنفث فيه لعابها المحمل بالطفيليات ويصاب بحمى المستنقعات.

وتتجلى أعراض هذا المرض في ما يلي :

- شدة الحمى كل يوم حيث تلمّ بالشخص على شكل نوبات تنتهي بالعرق الشديد.
- زيادة حجم الطحال حتى يأخذ من البطن أكثر من النصف.
- الضعف والهزال واصفرار اللون، والعجز عن الحركة والعمل.



صورة للبعوضة أو الأنوفيل الناقلة لحمى المستنقعات

وتؤدي حمى المستنقعات في حالة استفحالها وتمكنها إلى ما يمكن تسميته بالحمى السوداء، بسبب اسوداد لون البول لدى المصاب، بفعل تكسر الكريات الدموية الحمراء، كما قد تؤدي إلى اشتداد القيء واستمراره مما يُفقد الجسم سوائله. وقد يقضي المرض على صاحبه فيُودي بحياته.

ولا نتوفر على معلومات حول حمى المستنقعات في المغرب قبل هذا القرن، ولو أن البلاد كانت تعرف كثيراً من الأمراض ذات الارتفاع المفاجئ لدرجة الحرارة.

وأول ما يطالعنا من مؤلفات الأوربيين في الموضوع هو الدراسة التي قام بها الطبيب الاسباني Nobily Giutta سنة 1901 حول حمى المستنقعات بفاس حيث أشار إلى تفشي هذا المرض بكثرة هناك. وبعد سنة من هذا أي في 1902 صدر للطبيب الفرنسي رينو Raynaud كتاب عن *الصحة بالمغرب* تعرض فيه لحمى المستنقعات بمدينة الصويرة ولاحظ أنه من بين 3088 مريض مسجلين سنة 1899، كان عدد المصابين بحمى المستنقعات 121. وكانت فرق السيطرة على الجزء الغربي من المغرب من حمى المستنقعات، التي كانت تذهب بأرواح العديد من الجنود وتقرر منذ سنة 1914 توزيع (الكينة) على الفيالق وتزويد الجنود بالأقراص المذهبة للحمى. ويبين الجدول التالي قوة غشيان هذا الداء في جنود الاحتلال :

السنة	عدد الإصابات
1907	119
1908	455
1909	272
1911	4734
1912	9453
1913	5248

ونظراً لما كانت تشكله حمى المستنقعات من خطر على الفرنسيين، ثم على من كان يعمل معهم أو يقطن بجوارهم من المغاربة، تمّ ابتداءً من سنة 1919 تأسيس مصلحة لمكافحة حمى المستنقعات. وحاول الأطباء الذين كانوا يعملون بهذه المصلحة دراسة حمى المستنقعات وحددوا مواصفاتها ومراحلها وظروف ظهورها وانتشارها، وأدركوا، على عكس ما كان معروفا عند المغاربة من أن سبب هذه الحمى هو ما يوجد في الماء الراكد أو الجاري من أرواح شريرة أن هناك علاقة متينة بين عدد المصابين في سنة ومعدل التساقطات خلال نفس تلك السنة، إذ كلما كانت السنة مطيرة إلا وارتفع في صيف تلك السنة وخريفها عدد المحمومين. ذلك أن كثرة التساقطات وما تخلفه من مرجات وضايات وعلى الخصوص في المناطق ذات التربة القليلة النفاذية كتربة منطقة الغرب مثلا، كانت تخلق للبعوض، وهو الحشرة الناقلة لحمى المستنقعات، ظروفا مثالية للعيش والتكاثر، مما يفتح أمام الحمى آفاقا واسعة للتفشي والانتشار.

ويوضح الجدول التالي عدد المصابين بحمى المستنقعات في المغرب ما بين 1934 و1945 :

السنة	عدد المصابين
1934	168.742
1935	135.167
1936	190.000
1937	138.130
1938	144.398
1939	198.954
1940	176.877
1941	360.264
1942	286.068
1943	292.076
1944	166.858
1945	158.638

كان المغاربة قديماً يعالجون حمى المستنقعات التي كانوا يعتبرون المصاب بها "مضروبا على الماء" أو به مسّ من الأرواح الشريرة التي تسكن الماء، ببعض الوصفات التي أوردها صاحب كتاب *الرحمة* أو وصفات أخرى ذكرتها A.R. De Lens في كتابها الصادر سنة 1925 عن "ممارسات الحريم بالمغرب".

وتصدى القائمون بشؤون الصحة أيام الحماية لحمى المستنقعات لما كانت تمثله من خطر على المشاريع الفلاحية بالمغرب، بعدد من الاجراءات كتجفيف المستنقعات وتوزيع الأدوية (الكينة).

ففيما يخص تجفيف المستنقعات كان الهدف هو القضاء على المياه الراكدة وجرها نحو الانهار، ووضع حد لتكاثر البعوض الذي كان يجد في امتداد المرجات والبرك وما بها من نباتات، مراتع يضع فيها بيضه ودعاميصه. وهكذا شهد الكثير من بوادي المغرب، فيما بين بداية العشرينيات وقيام الحرب العالمية الثانية، عمليات تجفيف وتصريف وتطهير بدءاً بالأراضي المخصصة للمعمرين ومناطق تمركز السكان، وتحولت الأراضي المتجففة إلى ملكيات كبيرة. وقد اهتدت إدارة الصحة العمومية إلى زرع بعض أنواع الأسماك المسماة Gambusias في المياه التي تجري في قنوات التصريف أو في المرجات التي كان يصعب تجفيفها. لما عرفت به تلك الأسماك من قدرة كبيرة على التهام دعاميص البعوض.

أما فيما يخص توزيع (الكينة) أو ما يعرف بأقراص الكينين المصنوعة من لحاء شجر الكينكينا، فقد كان يخضع لنوع من التقنين، وكان ثمن الكينة مرتفعا جداً يتعذر معه على سكان البوادي التزود بها، الأمر الذي كان من شأنه أن يحدّ من فعالية تطويق الداء.

ومع نهوض الاقتصاد الاستعماري بالمغرب غداة الحرب العالمية الثانية وما رافق ذلك من تقدم في مشاريع الري وتوسيع رقعة الزراعات المسقية، بالإضافة إلى ظهور زراعة الأرز، نقصت احتمالات القضاء على حمى المستنقعات، ذلك أن مياه السقي ومياه المرزات كانت توفر ظروفا ملائمة لعيش البعوض وتكاثره بشكل أحسن مما كانت توفره البرك والضايات والمرجات. مما كان يعرض العاملين في الزراعات المسقية أو القاطنين بجوار المرزات للحمى، بمعنى أن سلطات الحماية أصبحت هي نفسها بدافع الضرورات الاقتصادية، تخلق ظروفا مثالية لتفشي الحمى وتساهم في نشرها، بعد أن كانت تبذل المحاولات لتطويقها والقضاء عليها.

3 ـ *الحمى الراجعة* :

الحمى الراجعة Fièvre récurrente وتسمى أيضاً الحمى الراجعة العالمية Fièvre récurrente mondiale، هي من الحميات التي تنتاب الانسان وتتميز بارتفاع مفاجئ، في درجة الحرارة لديه لعدة أيام قد تصل إلى أسبوع، ثم تنخفض الحرارة لتعود مرة أخرى إلى الارتفاع. لهذا أطلق عليها اسم الحمى المراجعة.

ولعل هذا النوع من الحمى هو الذي أورده الأنطاكي في *تذكرة أولي الألباب* عندما عرض لأنواع الحمى فسماها حمى الغب، لأنها تغيب يوما ثم تعاود صاحبها. أو الحمى الفائته وتسمى التراقبية والمتعدية وتسمّى باسم أدوارها فيقال حمى خمس إن وقعت كل خامس".

يتسبب في هذه الحمى مكروبات تسمى لولبيات الحمى الراجعة وهي ما يعرف لدى المتخصصين بـ Les spirochètes d'Obermeir. وتنتقل عدوى المرض عن طريق القمل أو القراد.

تتجلى أعراض الحمى الراجعة في ما يلي :

- صداع في الرأس مصحوب بالأرق.
- ارتفاع درجة حرارة المريض من 39 إلى 40 درجة.
- ألم وتكسر في الجسد وآلام في البطن والظهر.
- قيء مري.
- تضخم الطحال والكبد، بالإضافة إلى تتابع القشعريرات واطرادها.
- يبدو لسان المصاب بالحمى الراجعة مذرأً ضاربا إلى الصفرة عند جذره.

ومن مضاعفات هذا الداء إصابة المريض بالبرقان أو الصُّفير، حيث تعلوه صفرة يتبعها طفح جلدي بالإضافة إلى إصابة المريض بانقطاع البول أو ما يسمى بالزُّراء. كما تتسبّب هذه الحمى في الإجهاض للحوامل من النساء، وتؤدي إلى التهاب القولون والإسهال المفرط وظهور قروح في العين.

لم يسبق أن تبين ظهور الحمى الراجعة بالمغرب رغم أن أطباء الحماية الفرنسية، كانوا قد لاحظوا وجود بعض الحالات المتفرقة لهذا المرض سنة ١٩١٦. على أن الحمى الراجعة غدت المغاربة في سنة ١٩٤٥ وهي آخر سنوات الحرب العالمية الثانية. ذلك أن هذه الحرب خلقت بالمغرب

ظروفا من الشدة والضيق انتسفت على إثرها مطامير الحبوب، وقلت الأقوات فانتشر الجوع والعري وندرت الأثواب والصابون وانهد الناس بما كان يعتريهم من ضعف وهزال بفعل اشتداد المسغبة وما ترتب على هذه الحال من تفاحش أمر القمل والبق والقراد وغيرها من الحشرات الناقلة للأمراض.

وكانت الحمى الراجعة قد تسللت إلى البلاد عبر ممرات المغرب الشرقي من الجزائر ذلك أن هذه الحمى ظهرت أول ما ظهرت خلال سنتي الحرب العالمية الثانية في حشود الجنرال لوكليرك التي كانت مرابطة بجنوب ليبيا والتي وصلت في بداية سنة 1943 إلى الجنوب التونسي وهي تنقل معها عوامل العدوى فامتدت الحمى إلى ضواحي القيروان ومنها إلى الجزائر سنة 1944، ثم داهمت المغرب في بداية سنة 1945، وشاعت في معظم مناطقه واستمرت به إلى فبراير من السنة الموالية 1946.

وكان طروق هذه الحمى وإلمام طائفها بالمغرب في هذه الظروف على شكل رخة وبائية قوية لم يسبق للمغاربة بها عهد، فعاثت الحمى في السكان ضعيفي البنية، لا يقوون على مقاومة المرض في وقت تقاصرت فيه قدرة القائمين بأمور الصحة عن دفع ما كان يلم بالبلاد من صنوف الداء.

وقد وصل عدد من ابتلي بهذه الحمى حسب احصاءات إدارة الصحة العمومية : 27730 شخصا، وهو رقم ضئيل لا يعكس حقيقة ما كانت عليه الحال من فتك الحمى الراجعة بالمغاربة في سنة 1945. ذلك أن الدكتور G. Blanc، وهو من كبار أطباء الحماية الفرنسية لاحظ أن الإحصاء المذكور لاظل عليه من الحقيقة، لأن أعداداً كبيرة من المرضى كانوا قد أفلتوا من الفحص في المدن الكبرى وعلى الأخص في البوادي. وفي هذا الصدد يرى الدكتور Sicault وهو من أطباء هذه الفترة، أن الرقم الذي قدمته إدارة الصحة العمومية يجب أن يضاعف أربع مرات حتى نقترب من الحقيقة. ويورد الدكتور G. Blanc أن عدد المصابين كان ما بين 120.000 و150.000. وكانت نسبة من لقي حتفة من المغاربة في هذه السنة من جراء استحفال الحمى الراجعة تصل إلى 20٪ في بعض المناطق وهو ما تؤكده الرواية الشفوية من كثرة الموتى في سنة 1945، حيث أصبح كثير من الدواوير بلاقع خاوية، وأصبح من كان ينجو من سكان الدواوير والمداشر من الموت يقضون يومهم ذهابا وايابا من المدشر إلى المقبرة ومن المقبرة إلى المدشر.

وكان المغاربة في كثير من البوادي يعالجون الحمى الراجعة بالتمائم وما إليها مما يرد عند صاحب *كتاب الرحمة* من وصفات لطرد "أم ملدم" بينما اتجهت سلطات الحماية إلى اعتماد مادة DDT، وهي عبارة عن مسحوق أثبت فعاليته في إبادة الحشرات، وخاصة منها القمل والبق والقراد، وهي الحشرات المسؤولة عن نقل لولبيات الحمى الراجعة ونشرها بين الناس. كما استعملت حقن من الزرنيخ الثلاثي التكافؤ Les arsenicaux trivalents وخاصة منها Le novarsenobenzol، غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية، بما رافق ذلك من حصار واضطراب في المبادلات كانت تؤثر في الكميات الواصلة إلى المغرب من الأدوية الكيماوية.

وفي الختام نشير إلى أن الحميات كانت كثيرة بالمغرب، ركزنا على أهمها وأكثرها انتشاراً بين المغاربة، على أن هناك أنواعا أخرى من الحمى لم نتمكن من الحديث عنها، إما بسبب شح المعلومات حولها كما هو الحال بالنسبة للحمى المتموجة والحمى القرمزية والحمى المخية الشوكية والحمى الصفراء وحمى النفاس وغيرها، أو لأن بعضها يدرج ضمن أمراض قائمة الذات، لا يشكل ارتفاع درجة حرارة المصاب سوى عرض من أعراضها كالحمى المرتبطة بالتيفوس أو الحصبة أو الحميراء.

د. الأنطاكي، *تذكرة أولي الألباب*، بيروت، د. ت. ؛ م. العربي الخطابي، *تاريخ الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية*، بيروت، 1988 ؛ ج. السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة*، بيروت، د. ت. ؛ ع. الكاديكي، *الأمراض المعدية*، بنغازي، د. ت. ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1982 ؛ *جريدة السعادة*، 1915 و1930 ؛ *الرواية الشفوية*.

Archives de médecine et de pharmacie militaires ; M. Bonjean, *L'épidémiologie du paludisme au Maroc*, Rabat, 1947 ; *B. I. H. M.* ; *Maroc - Médical* ; L. Raynaud, *Etudes sur l'hygiène et la médecine du Maroc*, Alger, 1902 ; H.P.J. Renaud, *Trois études d'histoire de la médecine arabe en Occident*, *Hesp.*, T. XII, fasc. 2, 1931.

بوجمعة رويان

حمّيش أو **حميص** أسرة من قدماء بيوتات مكناس.

حمّيش، السعيدي بن عبد القادر

حمّيش، عبد الرحمان

حمّيش، عبد الرحيم بن العربي

حمّيش، عبد القادر بن أحمد

حمّيش، علي بن أحمد

حمّيش، علي بن **عبد الرحمان**

حمّيش، العياشي بن محمد

حمّيش، محمد إمام الجامع الأعظم

حمّيش، محمد بن **عبد الواحد**

حمّيش، محمد بن **محمد** بن عبد الرحمان

كل هؤلاء الأعلام مذكورون فيما يلي دون اعتبار الترتيب الهجائي. وقد تسلسل في هذه الأسرة جملة من أهل العلم والفضل، وتحتفظ مصادر العصر الحديث بزمرة من الأسماء النابهة.

ورد اسم أحد علمائهم عند عبد الله الفاسي في *حوليات الإعلام بمن غبر* ... حسب الفقرة التالية عند وفيات سنة 1074 : "وفي هذه السنة توفي أبو الحسن علي بن أحمد حمّيص المكناسي، فمن قرأ على الشيخ أبي محمد عبد القادر بن عليّ الفاسي، سمع عليه في الحديث والفقه والعربية والأصول وعلم المعقول والمنقول، وتوفي ببلده مكناسة الزيتون".

ثم محمد بن بن عبد الرحمن حمّيش، جاء اسمه محلّىً بالفقيه العالم في وثيقة عدلية بتاريخ 23 ربيع الثاني 1257.

محمد بن عبد الواحد حمّيش، وصف بالفقيه المدرس في ظهير صادر لأولاده عن السلطان العلوي محمد 4، بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1276.

ومن الطلبة المرموقين عبد الرحمان حمّيش، حسب إشارة عند ابن زيدان.

ومن الوراقين علي بن عبد الرحمن حمّيش، كتب - بخطه - النصف الثاني من القاموس المحيط في مجلد فرغ منه أواخر ذي القعدة 1060 هـ، حيث يحفظ مع المجلد الأول بخط مغاير، في الخزانة الحسنية رقم 2587، ويلاحظ أن الناسخ مع علي بن أحمد العائلي مرسوما بالصاد آخره بدل الشين المعجمة.

أما الوراق الثاني فهو عبد الرحيم بن العربي، وقد كتب - بخطه عام 1239 - "رسالة في أسماء الأنوار الإلهية وبعض ظواهر الآيات القرآنية"، وتوجد نسخة منها سافرت من المغرب إلى تونس، حيث تحفظ في "دار الكتب الوطنية" رقم 1535، للناسخ شبه ترجمة عند أبي العباس أحمد سكيرج في معجمية : "كشف الحجاب" ثم رفع النقاب"، وفي هذا "المصدر الأخير بصفة بالأديب الناشر الشاعر.

وفي الأسرة جماعات من الشهود الموثقين، آخرهم العدل عبد القادر بن أحمد حمّيش، المتوفى بتاريخ 8 ذي الحجة 1355.

وهو والد المرحوم السعيدي المعدود من نخبة طلبة جيله، والمتوفى أواخر عام 1409.

على أن آخر فقهائهم في مادة العلوم الأصلية، هو الفقيه الصالح سيدي محمد بن الإمام الراتب في الجامع الأعظم، المتوفى أواخر السبعينيات الهجرية، وهو والد الفيلسوف الأديب الأستاذ بنسالم حمّيش.

ونذيل - الآن - باسم الأمين المحسن الحاج العياشي بن محمد حمّيش، وقد كان السلطان العلوي محمد الثالث أحدث بمكناسة حلقة من الأمناء لمراقبة المسار المالي للأحباس وأملاك المخزن وما إلى ذلك، وكان المنوه به من جملتهم حسب إشارة لطائفة منهم وردت في وثيقة بحوالة مكناس الجديدة ص 117.

وقد جاء ذكر أسمائهم هكذا "... قام الأمناء بحضرة مكناسة : الأبر الأرضى السيد الحاج العياشي بن محمد حمّيش، والطالب السيد الشافعي بن الحاج عبد الله بادو، والأبر السيد الحاج قاسم بن المرحوم السيد عبد السلام بن مومّو، والأبر بن الأبر الحاج محمد آجانا، بموافقة من عداهم من الأمناء الإثني عشر، بما إليهم من النظر في الأحباس بالأمر المولوي، تاريخ الوثيقة 26 جمادى الثانية 1186.

ومن مبرات العياشي حمّيش وقف جميع الثلث من الدار المزيدة في روضة الشيخ سيدي عبد الواحد الأشقر، الواقعة بمصر القبابين من نفس المدينة، كما ذلك بوثيقة متخلفه المؤرخة بأواخر جمادى الأولى 1208.

كما كان أوصى بحُبس معقب لعقاراته خارج المدينة، وبعد انقراض المحبس عليهم يرجع ذلك وقفا على المسجد الأعظم، حسب وثيقة ذلك بتاريخ أواخر صفر 1198.

وأخيراً : ها هو ظهير السلطان محمد الرابع بتجديد التوقير والاحترام، لأولاد الفقيه محمد بن عبد الواحد حمّيش سابق الذكر، ونصه بعد الافتتاح :

"... يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأشرق في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، انا جددنا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، لأولاد الفقيه المدرس السيد محمد بن عبد الواحد حميش المكناسي حكم ما بأيديهم من ظهير مولانا الوالد طيب الله ثراه، المتضمن توقيرهم واحترامهم، وحملهم على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، مراعاة لنسبتهم للعلم الشريف، فالواقف عليه يعمل به، ولا يحيد عن كريم مذهبه.

صدر به أمرنا المعتز بالله، في تاريخ ربيع الثاني عام 1276.

م. حجي، مصادر تاريخية، *موسوعة أعلام المغرب*، والنقل هنا من النص المخطوط : ظهير في مجلة، *الوثائق* التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية، 2 . 378 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 362.

محمد المنوني

حُمَيْضَة، أنواع نباتية عديدة تنتمي إلى أجناس وفصائل مختلفة ومن أشهر هذه الأنواع :

- رُوميكسْ بُوسيفالو فوروسْ Rumex bucephalopharus وهو نوع طبيعي يعيش على الأتربة الرملية وخاصة بفرجات غابة المعمورة.

- أوكساليسْ سيرنُوا Oxalis cernua الذي يتمز بأوراقه المفصصة إلى ثلاث وريقات والشبيهة بأوراق البرسيم، وبأزهاره الصفراء، التي تظهر على أعناق طويلة تستعمل للاستهلاك الآدمي. أدخل هذا النوع عفوياً إلى المغرب من جنوب افريقيا وانتشر في الأراضي الحمضية تحت أشجار البرتقال.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الحَمّي، محمد بن عبد الرحمان الفاسي، منسوب لحمّة الأندلس الشهيرة في الجهة الشرقية. من فقهاء فاس وعدولها المبرزين. قال في حقه القادري في *نشر المثاني* : "مقدّر الفرض بفاس وناظر مسجدها الأعظم والمنتصب لتلقي ما هو لجانب القضاء من التسجيلات ... شهير بالعدالة، معلوم بالجلالة محقق في الضبط والإتقان، محرر لفصول الوثائق عن علم وعرفان" وأثبت نص رسم وقف عليه بخط محمد بن عبد القادر الفاسي شهد له فيه بالعدالة والضبط والإتقان والثقة جماعة وافرة تنيف على ثلاثين من علماء فاس وعدولها وقضاتها، في مقدمتهم الشيخ عبد القادر الفاسي وابناه عبد الرحمان ومحمد، والعربي بردلة.

كان ما يزال حياً في تاريخ الوثيقة المذكورة، وهو مهل ذي الحجة عام 1087 / 4 فبراير 1677.

م. القادري، *التقاط الدرر*، تح. هاشم العلوي، ص 251 ؛ *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 4، 1717-1718.

محمد حجي

الحَمْيَاني، علي بن أحمد التامانارتي، يظهر من خلال هذه النسبة الأخيرة أنه من تامانارت بالأطلس الصغير. وقد طفحت هذه المنطقة بالعلم ورجالاته خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17 م) ولاشك أن الحَمْيَاني هاجر إلى درعة في أواسط القرن العاشر (16 م) ضمن جموع العلماء الذين هاجروا من بلاد جزولة إلى درعة. وقد حلاه صاحب *الفوائد الجمة* بالمحقق المطالع، الكبير الشأن (ص.47).

اشتهر علي الحَمْيَاني باطلاعه الواسع، فانتدبه بعض سلاطين الدولة السعدية لتولي القضاء بمراكش إلا أنه خاف على نفسه من فتنة القضاء ففر ورجع إلى درعة حيث عكف على التدريس وإفادة المتعلمين. ورغم أننا لا نتوفر على ما يحدّد المكان الذي نزل به الحَمْيَاني بدرعة، فإننا نرجح أن يكون قد نزل بواحة فزواطة أو أكتانة نظراً للعلاقات الوطيدة التي كانت تربط آنذاك هاتين الواحتين ببلاد جزولة. ويرجع الفضل للفقيه الحَمْيَاني في جمع *أجوبة ابن هلال* (الإعلام، 9 : 187).

توفي علي الحَمْيَاني بوادي درعة في حدود 980 / 1572.

ع. التامانارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9 ؛ م. المختار السوسي، *مدارس سوس العتيقة*، ط. 1987 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج 2.

أحمد البوزيدي

أولاد حْميد، بطن من أولاد يحيى بن مَعْبَد من قبيلة بني حسن شرقي إقليم القنيطرة. وهم مجاورون لدار ابن العامري دائرة سيدي سليمان، ومنهم خيام صغيرة العدد مجاورة لقبيلة مختار.

أجرت سلطات الحماية في أول عهدها إحصاء لفخذات هذا البطن ولعدد خيامه، ثم جعلت أغلبهم تحت قيادة إبراهيم الزهاني ووضعت ستاً وسبعين خيمة تحت إشراف محمد بن محمد الكَدّاري المختاري. ومجموع أولاد حْميد هو 703 خيمة مفصلة كما يلي مضافاً إليهم حجارة الذين هم قبيلة أخرى :

أولاد سي العابد الغياثي وأولاد بن نايل وأولاد سعيد 160 خيمة ؛ أولاد ابن الحسن والزيابنة والعوابد والمقبليون 186 خيمة : أولاد الغازي والنبيگات والدربهميون 150 خيمة ؛ أولاد بَرُّوس والگرينات وحْجارة 131 خيمة ؛ أولاد سُداد 23 ؛ والشهب 23 ؛ وأولاد سعيد والشعيبون والصحابيون 76 خيمة.

وكان أولاد حْميد في العهدين السليماني والرحماني إلى نظر آل ابن العامري الذين هم من أولاد بوجنون فرقة أولاد يحيى لكن نجمهم أفل في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان. ولما تولى مولاي الحسن أدخل تنظيماً جديداً فتت به الإيالات الكبرى فولى رجالاً من مختلف الفخذات على إخوانهم. فكان ثمة عدة قواد حْميديون.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860-1912 ؛ *الوثائق الملكية والسعيدية والصبيحية*.

Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen, p.p. 281 et 287

مصطفى بوشعراء

الحُمَيْدي، أسرة فاسية عريقة أصلها من بني حُميد من صنهاجة بلاد ورغة. وبيتهم في فاس بيت فقه وعلم. وأقدمُ مَنْ أشارتْ إليهم كتب التراجم منهم الفقهاء محمد بن حسنون الحميدي المتوفى عام 705 وعلي بن محمد بن هارون الحميدي المتوفى عام 712 : والفقيه الدرس محمد بن الفقيه المدرس أبي بكر الحميدي المتوفى عام 804 شيخ إسماعيل بن الأحمر ؛ والقاضي عبد الرحمن الحميدي المتوفى عام 894.

على أن في الأندلس قبل هؤلاء، محدثاً شهيراً ومؤرخاً كبيراً هو محمد بن فتوح بن عبد الله الحُميدي تلميذ الإمام ابن حزم، ومؤلف كتاب *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*، المتوفى عام 488. ولا يعرف إن كان للحميدين الفاسيين علاقة قرابة به.

الحُمَيْدي، أحمد بن محمد، حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالكاتب الأرفع، والبدر الأطلع، صاحب القلم الأعلى، واللفظ البالغ الأحلى ... أديب نحرير، له أنظام

رقيقة، وقدم إلى المعالي سبيقة، وخط حسن، وسمت مستحسن، عالي الهمة، عظيم الحرمة".

عمل كاتباً في بلاط السلطان المولى إسماعيل ثم مع ولديه عبد الملك فعبد الله. فكان يحسن الترسل والإنشاء والترتيب، ويأتي من البلاغة بالعجب العجيب".

لم يقف صاحب *نشر المثاني* على تاريخ وفاة أحمد الحميدي وإنما ذكره في خاتمة الكتاب ضمن من تُوفوا في القرن الثاني عشر (18 م) دون تحديد، ولعل وفاته لم تكن بعيدة عن وفاة مخدومه السلطان عبد الله بن إسماعيل سنة 1171 / 1757.

م. القادري، *نشر المثاني*، *موسوعة أعلام المغرب*، 6، 2253.

الحميدي، عبد الواحد بن أحمد، أبو محمد وأبو مالك، عميد بيت الحميديين الذي سطع نجمه في سماء الحاضرة الإدريسية على عهد الدولة السعدية، وارتبط مصيره بتاريخ الشرفاء الزيدانيين بفاس حتى كاد يتطابق معه نشوءاً وارتقاء وانحطاطا. رأى عبد الواحد الحميدي النور عام 930 / 3 ـ 1524، الذي استولى فيه أحمد الأعرج على مراكش. وكان في إبان حداثته يوم دخول محمد الشيخ المهدي فاس عام 956 / 1549، وبلغ أشده أربعين سنة عندما ولاه السلطان عبد الله الغالب بالله قضاء الجماعة بفاس عام 970 / 2 ـ 1563.

لا تُفصل المصادر في هذه المرحلة الطويلة من حياة عبد الواحد الحميدي، والسابقة لاتصاله بالمخزن السعدي، والتي تغطي أكثر من نصف عمره، وتوجزها في أنه كان في ابتداء أمره يطلب العلم، ثم تركه واتخذ حانوتا للتجارة يبيع فيها الثياب الخلقة بالسوق المعروف بالخراقيين من فاس، ثم وقع له حادث نجهله أزعجه إلى حثيث الطلب وتداركه قبل الفوت، فدأب عليه حتى صار من كبار الأئمة. ولا تفصح هذه المصادر عن داعي زهده في العلم، ولا تحدد مدة انقطاعه عنه، ولا تذكر ظروف عودته إليه وإقباله عليه. وتخلف الانطباع بإملاق الطالب عبد الواحد الحميدي، وان العوز هو الذي اضطره إلى الانصراف عن حلقات الدرس والإقبال على بيع سقط المتاع.

وقد وافقت مرحلة تتلمذ عبد الواحد الحميدي وطلبه للعلم مرحلة احتلال فاس مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، واختصاصها بالتعمق في دراسة الفقه المالكي، والعناية الفائقة بعلوم القرآن والحديث وغيرها من العلوم، فأفاد من أعيان علمائها، ولازم عبد الواحد الونشريسي نجل مؤلف *المعيار*، وعبد الوهاب الزقاق حفيد صاحب *اللامية* الفقهية المشهورة والمختص بمختصر *خليل*، وقرأ نفس الكتاب أكثر من عشر مرات على الفقيه الزاهد مبارك التارختي، وأخذ عن أحمد بن علي المنجور الذي أخذ بدوره عنه، وأجازه محمد بن أحمد الغيطي المصري ضمن من أجاز من أعلام الحضرة الفاسية بمشيخته.

وبالإضافة إلى أساتذة عبد الواحد الحميدي هؤلاء والمتواتر ذكرهم في مصادر ترجمته، فقد انفرد تلميذه إبراهيم بن عبد الرحمان الكلالي في كتابه *تنبيه الصغير من الولدان* بالإشارة إلى تتلمذه على محمد بن أحمد اليسيتني. وسجل الأثر البعيد الذي كان لأستاذه هذا في نفسه، وأنه كثيراً ما كان يثني عليه في مجالسه العلمية، ويجل ذكره كمن يذكر الإمام محمد بن علي المازري وأمثاله على الدوام والاستمرار، ويحكي عنه حكايات ويصف لطلبته الحظوة التي كانت له عنده. ونرى أن التقارب في الطبع بين الأستاذ اليسيتني وتلميذه الحميدي، واتفاقهما في الجمع في شخصهما المتناقضات، أمر ربما كان من أسباب الصلة العميقة التي نظمت بينهما. وإذا علمنا أن اليسيتني قد عرف كيف يستغل الظروف السياسية الخطيرة التي عاشتها فاس في منتصف القرن العاشر (16 م)، وذهب ضحيتها كثير من أقرانه، وعلى رأسهم عبد الواحد الونشريسي وعبد الوهاب الزقاق، فحظي بثقة السلطان محمد الشيخ المهدي لما ظفر بفاس، وصار من خاصته وأهل مودته، يحق لنا التساؤل عما إذا كان بعض الفضل يؤول إليه في وصل حبل تلميذه الحميدي بالسعديين، وبالأخص بعبد الله بن محمد الشيخ الخليفة على فاس ؟

ولم يخل عبد الواحد الحميدي من الميل إلى التصوف والتشوف إلى رجاله، شأنه في ذلك شأن معاصريه من خاصة وعامة أهل القرن العاشر. وكان له اعتقاد ومحبة في رجلين لم يكن يرى أحسن منهما في الصلاح في عصره، وهما الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي والشيخ أحمد بن جامع الزروالي. وقد نظمت بينه وبين بلديه الشيخ رضوان الجنوي صلة وثيقة ومستمرة، دأب فيها على صادق خدمته وحسن الأدب معه والهروع إليه ساعة الشدة والضيق. وجرت بينهما محادثات ومكاتبات أثبتها أحمد المرابي في كتابه *تحفة الاخوان*. كما شد الرحال لزيارة الشيخ أحمد ابن جامع بمدشر بني خالد من قبيلة غمارة، وأخذ عنه الوظيفة الزروقية.

ويشترك الشيخان الجنوي والزروالي في صلتهما بالحركة الجزولية المتمركزة في مراكش، والمشايعة للسعديين منذ أولية استقرارهم بها في حدود عام 930 / 3 ـ 1524. فقد استخف الشيخ رضوان الجنوي ـ وهو في إبان الحداثة ـ ببطش حكام فاس، وخرج إلى مراكش متشوفا إلى صحبة الشيخ عبد الله الغزواني الذي كانت له يد في فشل ريح بني وطاس. كما أخذ الشيخ أحمد بن جامع عن الشيخ أبي عمرو القسطلي صاحب أعظم زاوية جزولية بمراكش في وقته، والذي كان السلطان عبد الله الغالب يعظمه ويحترمه، ويعتقد له مزية لا يعتقدها لغيره، ويصرح بأنه ما وجد البركة في دولته ومدته إلا له. فيكون الاتجاه الصوفي الذي انخرط عبد الواحد الحميدي في سلكه أو اشتهر بميله إليه هو الاتجاه الذي حظي بعطف ورضى

السعديين منذ خضعت فاس لهم. وتكون الحظوة الرفيعة لشايخه في الفقه والتصوف لدى السلاطين السعديين ودرجته العالية في الفقه المالكي ومشاركته الواسعة في علوم كثيرة هي المقومات الأكيدة التي أهلته لولاية قضاء الجماعة. ونستبعد أن تكون هناك اعتبارات مادية وراء اختياره لهذه الخطة وأن البضاعة المزجاة التي تاجر بها قد بدلت عسره يسراً وحولت فقره غنى، وهذا قبل أن يصل حبله بالمخزن السعدي.

وقد اشتهرت ولاية الحميدي خطة القضاء بفاس عهد السعديين ومن قبلهم، بحيث لم تطل مدة غيره على هذه الخطة بهذه الحاضرة قبله مثلما طالت ولاية القاضي محمد بن عبد الله اليفراني المكناسي المتوفى عام 928 / 1 . 1522 الذي تولى هذه الخطة منذ عام 885 / 80 . 1481. وهكذا دارم الحميدي على قضاء الجماعة بفاس مدة تنيف على الثلاثة عقود، من عام تقلده له إلى عام وفاته (1003 / 1594). واستبد به في خلافة أربعة سلاطين هم عبد الله الغالب ومحمد المتوكل وعبد الملك المعتصم وأحمد المنصور. وبالإضافة إلى طول المدة امتازت هذه الولاية بتضارب الناس في شأنها : فبعد عام من وفاة الحميدي يخلد أحمد بن القاضي مثالبه في *جذوة الاقتباس* التي ألفها بفاس عام 1004 / 1596، ويترجم له بقوله : "أنه كان حافظاً لمذهب مالك، إلا أنه نبذ الشريعة المحمدية وراء ظهره، وكان يحكم بموافقة شهوته مع علمه بالفقه، إلا أنه لا يبالي بما فعل، حتى اكتسب هو ومن والاه أموالاً جليلة لا حصر لها، من أخيه وأولاده وأولاد أخيه وأختانهم وأعوانهم وغير ذلك. ولما توفي قال فيه صاحبنا أبو زيد عبد الرحمان المشنزائي :

تولى الحميدي وأحزابه	وأيام دولته الفارسة
رمات وخفت موازنه	وصار إلى أمه الهاوية

ولا سبيل إلى الشك في عدالة ابن القاضي، الذي استغرقت ولاية الحميدي قضاء الجماعة بفاس حياته طفولة وشباباً وكهولة إلى حين تصنيفه *الجذوة*. والأكثر من ذلك فقد قصد بتأليفه هذا إلى السلطان أحمد المنصور تلميذ الحميدي، وفي ذلك درك عظيم عليه منه لو لز أستاذه المذكور بما هو بريء منه.

ولم يُنظر بعين الرضى إلى ما كتبه ابن القاضي عن الحميدي في *الجذوة*، وتم التشطيب عليه بالحمرة، وذلك في نسخة المؤلف الأصلية بخطه، والتي لا شك أنها المهداة إلى مخدومه السلطان أحمد المنصور. ولولا وقوف المؤرخ محمد الصغير الإفراني على هذه النسخة المعتبرة ونقله لما شُطب عليه "لوجه لا يخفى على من له ممارسة بالعلم" كما نبه إلى ذلك بلفظه، وذلك في ذكره لأخبار عبد الواحد الحميدي في كتابيه *نزهة الحادي وصفوة من انتشر*، لضاع هذا النص واندثر، والذي لا نعثر له على أثر في النسخ المتوفرة اليوم من *الجذوة* المخطوطة منها أو المنشورة.

ولم يفتر الرد على ابن القاضي في هذه القضية، واستمر الظن في قوله هذا إلى زمان قريب منا. وعبر عنه محمد الكتاني في الترجمة التي أفردها لعبد الواحد الحميدي في *سلوة الأنفاس*، وجاء فيها بقول أحد المعترضين على ابن القاضي، وهذا نصه : "قال بعضهم : لا يقبل ما ذكره ابن القاضي فيه. قال : والذي أدركنا عليه الأئمة المعتد بقولهم من أشياخنا وأشياخهم وهلم جراً أن الحميدي المذكور إمام ثقة مأمون من قضاة العدل. بل أعدل قضاة المغرب في زمانه وأورعهم، ولعدله طالت مدة ولايته بحيث لم تطل مدة غيره بفاس قبله مثل ما طالت ولايته إلا القاضي المكناسي اليفرني. وقد أكثر علماء فاس فيما جرى به العمل عندهم من رأيهم من النقل عن القاضي الحميدي المذكور".

والواقع أن ابن القاضي لا ينفرد بالطعن في عدالة وأمانة القاضي عبد الواحد الحميدي، وقد سبقه إلى ذلك أستاذه أحمد المنجور الذي انتقد انتقاداً مراً خطة القضاء في عصره، وقال إنها أفلست في آخر أيام الوطاسيين عندما أسندت إلى من لا تتوفر فيه الكفاية العلمية ولا النزاهة الأخلاقية، وأكد على ظهور داء القضاء من جديد أيام عبد الله الغالب ومن أتى بعده من الشرفاء، أي على عهد ولاية عبد الواحد الحميدي قضاء الجماعة بفاس بالذات. وقد أثبت المنجور انتقاده هذا في *فهرسه* الذي أجاز به تلميذه السلطان أحمد المنصور، والذي ألفه عام 989 / 1591، والقاضي الحميدي يومها في أوج زعامته العلمية والفقهية وفي أزهى أبهته الدنيوية. ولعل هذا الانتقاد قد وجد من المنصور أذنا صاغية وقلبا واعيا، وكان وراء الأمر الاستعجالي الذي أصدره بعزل عبد الواحد الحميدي عن خطة القضاء، والذي ما لبث أن عدل عنه بنفس السرعة !

وقد يقال إن المنافسة الشديدة الناشبة بين المنجور والحميدي تضعف من هذا الانتقاد وما ترتب عنه من عزل ورد، فتعضده، وتقويه نكبة الحميدي السابقة والقريبة من تأليف *الفهرس* المذكور، والتي تمت على يد السلطان عبد المالك المعتصم الذي نقم عليه شيئا سكتت عنه المصادر فسجنه مدة، وتشفع فيه قوم فلم يقبل شفاعتهم، وبعث بأولاده إلى الشيخ رضوان الجنوي يطلبون منه أن يشفع له عند السلطان، فأبى وكتب له ببيتين يحضه على التشفع بالخالق وترك التعلق بالخلق.

وقد اشتهر غنى عبد الواحد الحميدي بفاس، وحفلت سيرته بحبه المال وإقباله الشديد على الدنيا وسعة خلقه وكثرة انبساطه. وارتبطت جل الحكايات المستفيضة عنه بصلات كبراء المخزن له، وبالهبات والأطعمة الملوكية التي كانت تصله من السلطان أحمد المنصور. كما اتصلت جل الأبيات المأثورة عنه بهذه المناسبات، وما انفتح بها من أبواب المزاح والمباسطة والمداعبة بين أدباء الحاشية المنصورية، وليس هذا مقام التوسع في جلب هذه الحكايات

والمناسبات. وقد تعددت مصادر الجاه الديني والدنيوي الذي تمتع به عبد الواحد الحميدي، فحظي بالجمع بين العديد من الوظائف ذات الأهمية البالغة على عهد السعديين من قضاء وإمامة وخطابة وتدريس، بالإضافة إلى استفادته من الهبات السلطانية والصلات المخزنية. وهكذا وعلاوة على خطة قضاء الجماعة التي اشتهر بها، تقلد خطابة جامع السلطان بالمدينة البيضاء حيث يصلي نائب السلطان وولي عهده، وأجرها أعلى من أجور خطباء مساجد فاس جميعاً. وكان له كرسي تدريس بالقرويين، وهو كرسي الونشريسي الذي يعد من الوجهة المادية من أثرى الكراسي العلمية وأغناها بالقرويين، وكان معروفا لدى الناس بكرسي القاضي. كما ولي إمامة المدرسة المصباحية، وكذا التدريس بها. وكان عضوا في الديوان الذي اتخذه السلطان أحمد المنصور كل أربعاء، تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطارحون فيه وجوه الرأي فيما ينوب من جلائل الأمور وعظيم النوازل.

ومن مظاهر ثراء الحميدي داره الكبيرة ذات الأشجار بحومة المخفية من فاس الأندلس، وخزانته التي وصفها أحمد بابا التنبكتي بالملوكية، والتي كانت واحدة من أشهر المكتبات الخاصة بفاس على هذا العهد. والعادة التي اتخذها عبد الواحد الحميدي من شراء في فصل كل شتاء - عدداً عديداً من الحبابك - وهي لباس العلماء والطلبة في العصر السعدي - وتوزيعها على طلبته بالمدرسة المصباحية. وما يحكى شائعا بفاس من أن ابنته كان في رجليها خلاخل من ذهب لا تحملها إلا بسلسلة في حزامها، ولها إماء يتبعنها يحملن ما تخرج من حللها، واشتهار ابنه البكر محمد بلقب التاجر. وقد كان بفاس يهودي ساحر اسمه ابراهام يستطيع فتح جميع الأقفال دون حاجة إلى مفتاح. وكانت دار الحميدي من بين الدور الفاسية المشهورة بثرائها التي أغرته بالسرقة والسطو.

ومن بين مظاهر السطوة والنفوذ اللذين تحققا لبيت عبد الواحد الحميدي تكاثر أفراده من عقبه وعقب أخيه، ونظمه علاقة مصاهرات قوية من قبل نسائهم وبناتهم، وهو ما عبر عنه ابن القاضي بالأختان مع كثرة الأعوان والخدام، وعبر عنه عبد الرحمان بن إبراهيم المشترائي بالأحزاب والدولة. زيادة على دالة المشيخة التي كانت لعبد الواحد الحميدي على السلطان أحمد المنصور، وعلى العديد من أرباب دولته، وعلى غالبية أعيان الحضرة الفاسية. وقد بث أولاده في مختلف مراكز الأنشطة الاقتصادية والقضائية والعلمية بفاس، فكان ابنه محمد يشتغل بالتجارة، وتقدم ابنا آخر له لتلقي الشهادة بسماط عدول فاس، ونبغ ابنه عبد الوهاب المترجم بعده في الأوساط العلمية والأدبية الفاسية، وسيتولى قضاء فاس مدة والتدريس بالمدرسة العنانية.

ورغم تعدد وأهمية الوظائف التي تقلدها عبد الواحد الحميدي من قضاء وإمامة وخطابة وعمل في ديوان السلطان، فقد كان من أنشط عناصر التدريس بفاس، ومن أبرز أعلام الحركة الفكرية على عهد السعديين، خصوصاً خلال الدور الثاني من أدوارها، الذي أعقب معركة وادي المخازن ودام إلى وفاة السلطان أحمد المنصور. وقد اتسعت دائرة نشاطه التعليمي خلال هذا الدور، وشملت مراكش التي احتلت مكان الصدارة في الميدان العلمي على عهد هذا السلطان. وتتصل العديد من أخبار عبد الواحد الحميدي بترحاله الدائم بين حاضرتي البلاد مراكش وفاس، في ركاب الأمراء أو الدهماء، وخروجه مع السلطان أحمد المنصور في زياراته إلى المراكز الدينية والعلمية النشيطة في الأطلس والسوس وغيرهما، مثل زيارته إلى رجال أغمات ورحلته إلى المحمدية. ولا تذكر رحلة عبد الواحد الحميدي إلى هذه الحاضرة إلا وتذكر معها فضيحته على يد أحد علمائها وهو محمد بن إبراهيم الهلالي الذي ألقى عليه أسئلة غريبة في قواعد اللغة نظمها في ستة أبيات من البحر الطويل، فتوقف عن الجواب عنها. فرفعت القضية إلى المنصور الذي أمر أحمد المنجور فأجاب عنها بنفس الوزن والقافية.

وقد أفنى عبد الواحد الحميدي عمره في التدريس بفاس، بالمواظبة على قراءة التفسير والفقه والتصوف والنحو في القرويين والمدرسة المصباحية. وخلف لنا تلميذه إبراهيم بن عبد الرحمان الكلالي وصفا دقيقا لبرنامجه الدراسي اليومي الحافل، الذي يبدأ بحصة صباحية في القرويين يفتحها بدرس التفسير الذي يعتمد فيه تفسير الإمام ابن عرفة التونسي، ويعقب عليه بدرس الفقه فيقرئ *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني، ويختم حصته هاته بتدريس *حكم* ابن عطاء *الله* الإسكندري في التصوف. ثم ينتقل بعد ذلك إلى المدرسة المصباحية فيقرئ طلبتها *تهذيب البرادعي على المدونة في الفقه*، قبل أن يؤم بهم صلاة الظهر. ثم يعكف على درسه المشهور الذي كان يحضره إلى جانب الطلبة الفقهاء المعتبرون، وهو درس مختصر خليل على الدوام بعد صلاة الظهر إلى العصر. وينهي يومه بتدريس *المغني* لابن هشام في اللغة والأدب. وقد أفاض الكلالي في وصف الإقبال العظيم الذي كان على مجلس شيخه الحميدي، وأسهب في ذكر النجباء الذين كانوا يلازمونه، ومنهم من كان ينتقل إليه مع أكثر طلبته، مثل الشيخ علي بن عمران السلاسي. وذكر أن مجلسه كان حسنا له حلاوة ورقة، وربما مازح بعض الأوقات طلبته بحكايات ومضحكات تناسب المحل. وأنه كان غالب أمره لا يعقد مجلسه هذا يوم الأربعاء لحضوره ديوان السلطان.

وشابت علاقة عبد الواحد الحميدي ببعض كبار علماء الوقت منافسة حادة. واشتهرت خصومته الشديدة مع الإمام أحمد المنجور والشيخ أحمد الزموري، فكان لا يتورع عن الوقوع في أعراضهما أحياء وأمواتا، وفي أجل محافل الدين والعلم : وقد قدم السلطان أحمد المنصور أستاذه

أحمد المنجور مرة للصلاة، فلما أراد المنجور أن يدخل المحراب منعه الحميدي، فقال له السلطان دعه فقد قدمه علمه، فقال الحميدي إن قدمه علمه فقد أخره نسبه، تعريضاً بأصله اليهودي. ولما توفي الشيخ أحمد الزموري لم يحضر الحميدي جنازته، وأياما قلائل بعدها انجر به الكلام - وهو في مجلسه العلمي الحافل - إلى التعريف بأولاد ابن إبراهيم المشنزائيين، فذكر الشيخ أبا القاسم المشنزائي الذي تتلمذ عليه الزموري، فقال : "وأحمرهم ذاك بلقاسم خلافاً لمن استريح منه !". وعلق تلميذه الگلالي على عبارته هاته "ومراده التوصل إلى ذم سيدي أحمد الزموري بواسطة شيخه مبالغة بأنه إنما كان شيخه الذي هو الأستاذ الحافظ سيدي أبو القاسم حمارا، بل أتى به بأفعل الدال على المبالغة في الحمرية، فكيف يكون تلميذه المستراح منه ؟".

وعموماً لم يكن عبد الواحد الحميدي يكظم غيظه ويعفو عن الناس، ولم يسلم من لسانه العديد من معاصريه من مشايخ الفقه والتصوف، ولم يكن يبالي بما يلحقه من إذايتهم من ضرر : فقد مر يوما على الملامتي عبد المجيد بن أبي القاسم البادسي، وهو جالس بازاء صومعة القرويين والناس يتبركون به، فقال له قم يا بغل الناس كلهم يصلون وأنت لا تصلي والناس يزورونك ! فنظر إليه وقال له أنت معزول ! فجاءه أمر السلطان أحمد المنصور بالعزل بيوم أو يومين من ذلك. وتشفع الحميدي بالبادسي، فجاءه من الغد كتاب من المنصور بتوليته ورده إلى خطته. ووطئ الفقيه سعيد بن إبراهيم الهلالي على حبل من حبال خباء عبد الواحد الحميدي المضروب بباب المحمدية، وكانت على الهلالي أطمار بالية وهيئة رثة، فصاح عليه الحميدي : من هذه البقرة التي قوّضت علي خيمتي ؟ مستحقراً به. فجاء الهلالي وقال له : البقرة هو الذي لا يجيب عن هذه المسائل! وألقى إليه قرطاسا مكتوبا فيه الأبيات الستة التي لم يحر لها جواباً.

وتذكر المصادر من حسنات عبد الواحد الحميدي حرصه على محبة الطلبة ونفعهم بعلمه وماله، وأنه كان يمازحهم في درسه بالحكايات والمضحكات، ويهديهم كسوة الشتاء، وأن أرباب الخصومات الذين كانوا يقصدون مجلس قضائه كانوا يعلمون منه ذلك فيتشفعون إليه بهم فيعفو ويتجاوز عنهم. وأيضاً محاولته نصح السلطان أحمد المنصور وندبه إلى العدل والرفق بالرعية، لما شاهد وهو في طريقه إلى مراكش سلسلة فيها رجال ونساء، وفيهم امرأة أخذها الطلق وهي في كرب المخاض. وكذلك مبادرته إلى تبشير المجاهدين أولاد أبي الليف بنهاية اغترابهم ورجوعهم إلى وطنهم الهبط، بعد أن رحلهم السلطان أحمد المنصور إلى فاس عام 998 / 1590.

وقد تخرج على يد عبد الواحد الحميدي خلائق، يتصدرهم السلطان أحمد المنصور، ووزيره وكاتبه عبد العزيز الفشتالي، ومن القضاة ابنه عبد الوهاب المترجم بعده، وعبد العزيز المركني الفيلالي، وأبو القاسم بن أبي النعيم الغساني وإبراهيم الگلالي. وتتلمذ عليه أيضاً أبو المحاسن يوسف الفاسي، وأولاده أحمد الحافظ ومحمد العربي وأخوه عبد الرحمان بن محمد الفاسي "العارف". وقد سعى الحميدي إلى سكنى أبي المحاسن فاس بعد دخوله إليها عام 988 / 1580، وكتب إلى أهل القصر يطلب منهم الكف عن مطالبته بعدم الخروج من بلادهم. ومن تلامذته أيضاً الحسن ابن يوسف الزياتي، وأخوه أحمد.

ويقال إن عبد الواحد الحميدي كتب شيئاً على أوائل *مختصر خليل*، وقد احتفظ ببعض أجوبته تلميذه القاضي إبراهيم الگلالي في *تنبيه الصغير من الولدان والمسألة الشهية الاملبسية*، وكذلك عبد العزيز نجل تلميذه الحسن الزياتي في *الجواهر المختارة*.

رُزئ عبد الواحد الحميدي في آخر أيامه بوفاة ابنه التاجر محمد، ولعل ميتته لم تكن طبيعية، إذ ذكر تلميذه الگلالي أن لها سببا لا يعرفه إلا القليل، وقد كان أحب أولاده إلى نفسه، ووجد عليه وجدا شديداً. وخرج لحفر قبره فحفر بمحضره، وأمر الحافر فحفر له قبر نفسه بجانبه، وهو يمازحه ويقول له وسع علي من كذا وسع علي كذا، حتى فرغ من حفره، فأدلى رجليه في القبر وبكى بكاء عظيماً أبكى الحاضرين معه لذلك، ثم رجع لداره. وكان قبل هذه المصيبة قد رأى رؤيا عبرها بموت ابنه محمد وأنه يلحق به، فكان كذلك، فما بقي إلا قليلاً ولحق به.

توفي عبد الواحد الحميدي عشية يوم السبت 18 ربيع الثاني 1003 / 31 دجنبر 1594، ودفن من غده بعد صلاة الظهر بروضة أبي زيد الهزميري خارج باب مصمودة من عدوة فاس الأندلس. وحضر جنازته الخليفة محمد الشيخ المامون بن السلطان أحمد المنصور، ووقف على قبره حتى فرغ من دفنه. وكان يوما عظيما خلت الديار من النساء والأولاد فضلاً عن الرجال لحضور جنازته، حتى كاد الناس يقتتلون من شدة الازدحام. وصلى عليه مفتي فاس وشيخ الجماعة بها الشيخ يحيى بن محمد السراج.

أ. المنجور، *فهرس*، 53 - 79 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 181، 80 ؛ *درة*، 3، 142 ؛ *لقط*، 290 ؛ أ. المرابي، *تحفة الإخوان*، مخطوط، خ. ع، 154 ك، 367 - 371 - 373 - 425 ؛ أ. المقري، *روضة*، 18 - 20 - 35 - 175 - 181 ؛ أ. الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط، خ. ع، 571 ك، 18 - 21 ؛ م. الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، تح. ز. النظام، الرباط، 1997، 98 - 113 - 114 - 282 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة*، هوداس، 53 - 54 - 56 - 121 - 130 - 133 - 134 - 158 - 159 - 165 - 171 - 173 ؛ *صفوة*، ط. حجرية، 14 - 32 - 46 - 95 - 96 - 97 - 102 - 166 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية، 10 - 37 - 85 - 148 - 166 ؛ م. القادري، *نشر*، *موسوعة أعلام المغرب*، 3، 1071 - 1074 ؛ *التقاط*، 2، 1 - 22 ؛ س. الفشتالي، *تقييد*، مخطوط، خ. ع، 283 د، و 87 ظ - و 88 ظ ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5، 46 - 55 - 57 - 65 - 167 - 168 - 198 - 190 - 192 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية، 2، 60 - 61 ؛

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 525، 532 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بعناية : إ. عباس، 2 : 888، 890 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تعريب ع. الخلادي، 170 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 95، 112، 117، 122، 124، 128، 271، 274، 309، 310، 317، 361، 378، 382، 406، 487، 540، 541 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، الرباط، 1986، 175، 280، 281، 282، 560، 561.

F. R. Mediano, *Familias de Fez*, C.S.I.S., 1995, p. 172-173.

الحميدي، عبد الوهاب بن عبد الواحد، أبو محمد وأبو النصر، يعرف بالقاضي الحميدي الصغير تمييزاً عن والده المترجم قبله. تتلمذ على والده المذكور، والحسن الدراوي ويحيى السراج ومحمد القصار وأبي المحاسن يوسف الفاسي وعبد العزيز المركني وعلي الجراري وأحمد الفاسي وأبي القاسم ابن أبي النعيم.

لقيه أحمد المقري لما دخل المغرب أول مرة عام 1009 / 1600، ومكث بفاس أسابيع معدودات ريثما يلتحق بقاعدة الملك مراكش. وخلد في *روضة الآس* مبادرته إلى إكرامه وقضاء مآربه ومراميه، وسجل علاقته الحسنة بالأمير محمد الشيخ المامون ولي عهد السلطان أحمد المنصور وخليفته على فاس، وأنه ناوله قصيدة له في مدحه.

قلّد الأمير المذكور عبد الوهاب الحميدي قضاء الجماعة بفاس، وذلك أواسط عام 1012 / 3، 1604. لما استبد بأمر هذه الحاضرة بعد وفاة والده السلطان أحمد المنصور، وعزل قاضيها ابن أبي النعيم لمبايعته أخاه زيدان وتولى فيه وفي شقيقه أبي فارس أولاد الإماء. ثم أخر عبد الوهاب الحميدي عن هذه الولاية وأعيد إليها أستاذه ابن أبي النعيم. كما ولي التدريس بالمدرسة العنانية. ومن تلامذته الفقيه الزاهد محمد بن عبد الوهاب الدكالي الفاسي الذي جمع بين الفتيا والقضاء.

اشتهر عبد الوهاب الحميدي باعتقاده الكبير ومحبته الزائدة في شيخه أبي المحاسن الفاسي وملازمته الكثيرة له وانتفاعه به، وبالألفة الأكيدة والمواصلة التي كانت بينه وبين محمد العربي الفاسي، ودأبه على حضور مجالس أحمد الفاسي الملقب بالحافظ، وهو مجاوره بالدار. وقد خرج معه من فاس عام 1019 / 1610 فارا بدينه، ممتنعا عن ممالأة مخدومه محمد الشيخ المامون وموافقته على تسليم العرائش للإسبانيين. ولا نعلم هل ألقى عبد الوهاب الحميدي عصا التسيار ببادية بوزيري بالريف، والتي مات بها شيخه أحمد الفاسي عام 1021 / 1612، أم بقي متنقلا بالبوادي إلى وفاته بعده بعام واحد.

وستؤذن وفاة عبد الوهاب الحميدي الموافقة لمقتل محمد الشيخ المامون بانهيار بيت الحميديين بفاس انهياراً مأساوياً. ويؤول الحال بأخته المذكورة في ترجمة والده، والتي اشتهرت ببذخ حليها وحللها وكثرة إمائها إلى الدوران على الديار وطلب من يستأجرها طحناً أو غيره. ويختفي رسم دارهم الكبيرة بحومة المخفية، وتصبح عرصة براحاً معترسة بالأشجار. وقد يكون عبد الله بن محمد الشيخ المامون هو الذي استصفى أموال الحميديين انتقاما من موقف عبد الوهاب الحميدي من والده. وقد يكون ذلك من فعل حاقدين وناقمين من أيام القاضي عبد الواحد الحميدي انتهزوا الفتن التي أظلم لها جو فاس فثأروا لأنفسهم من ذريته. وقد يكون نتيجة الشر الذي عم فاساً وخلا أكثرها بسببه، واستولى عليها الخراب حتى كادت تضمحل ويعفو رسمها. وتبقى ثروة الحميديين الطائلة مثالاً للثروات الخاصة التي نفدت كلمح البصر خلال هذه المرحلة المعتمة من تاريخ فاس.

صنف عبد الوهاب الحميدي *تقييداً* ترجم فيه لمشايخ العلم والتصوف الذين عاصرهم. وربما يكون قد قصد به التذييل على كتاب *دوحة الناشر* الذي ألفه محمد بن عسكر عاما واحداً قبل معركة وادي المخازن. وقد ذكر فيه بعض شيوخه مثل الشيخ أحمد الشاوي، الذي يقول في حقه "سيدي وشيخي وقرة عيني". وترجم فيه لبعض من كان له به اتصال من مشاهير صلحاء فاس مثل الشيخ علي رورك، وللعديد من أتباع أبي المحاسن مثل الشيخ إبراهيم الصباد والشيخ حمادي وغيرهما. وقد ضنت مكتبة الأسرة الفاسية بهذا التقييد النفيس، فلم تتعهده الأيدي بالنسخ، ولم يحصل له الذيوع والانتشار، واقتصر النفع به بخط مؤلفه على أبنائها ومعارفهم من كتاب التراجم الفاسيين، وتم النقل عنه في عدد محدود من مصنفات التراجم المشهورة، مثل *ابتهاج القلوب* لعبد الرحمان الفاسي و*الروض العطر الأنفاس* لمحمد بن عيشون الشراط و*الإعلام بمن مضى وغبر* لعبد الله الفاسي. وقد عبر هذا الأخير عن نفاسة هذا التقييد بنعته لمصنفه عبد الوهاب الحميدي بالمؤرخ، وذلك في الترجمة التي عقدها له من كتابه المذكور.

وعفّى الزمان على هذا التقييد، ونسجت عليه عناكب النسيان، فلا نجد له ولا لصاحبه ذكراً لا في *مؤرخي الشرفاء*، ولا في *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*. ونعتقد أن مادة هذا التقييد المفقود موجودة في التقييد المنسوب إلى المدعو سليمان بن أحمد الفشتالي، الذي يبدو أنه عاش في أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وقد سطر في ديباجته أنه في "ذكر من توفي من الأعيان من أول العشرة الأولى بعد القرن العاشر إلى ثلاثين، وما وقع فيها من الأخبار من أحوال ملوك الوقت، وغير ذلك مما جمعه بعضهم". والمقصود تقييد عبد الوهاب الحميدي قطعاً، والذي يترجم له ولوالده عبد الواحد الحميدي ولشيخه علي الجراري، بل ويتفرد بذكر أخذه عن الشيخين الدراوي والجراري، وبخبر خروجه من فاس مع شيخه أحمد الفاسي الحافظ. وهذا التقييد محفوظ في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع

عدده 283 د. وعدد ورقاته خمسون، من الورقة 80 إلى الورقة 130.

توفي عبد الوهاب الحميدي عام 1022 / 3 . 1614.

أ. المقري، *روضة الآس*، 223 ـ 225 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية، 130 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، تح. ح. الدازي، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 381 ـ 443، 449 ؛ م. الشراط، *الروض*، تح. ز. النظام، الرباط، 1997، 256 ؛ ع. الفاسي، *الإعلام*، تح. نـه نافع، د. د. ع، الرباط، 23، 39، 79 ـ 82 ـ 83 ـ 91 ـ 125 ـ 126 ؛ م. الصغير الإفراني، *صفوة*، ط. حجرية، 64 ـ 142 ؛ م. القادري، *نشر*، موسوعة *أعلام المغرب*، 3: 1203 ؛ *التقاط*، 2: 60 ـ 61 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 3 - 294 ؛ س. الفشتالي، تقييد، مخطوط، خ. ع، 283 د و108، و111 و116 و120 ظ.

عبد الله نجمي

الحُميديّة، خديجة بنت أحمد بن عزوز الحميدي الفاسي. قال عنها تلميذها عبد الحفيظ الفاسي : "الشيخة الصالحة المقرئة من أهل فاس ... كانت حافظة لكتاب الله وما يلزم لأدائه من قراءة وتجويد، عارفة بمخارج الحروف قارئة بكثير من القراءات كقراءة ورش وقالون ومكي، عارفة بوجوه قراءة هذه الروايات وأحكامها، ملازمة لتعليم كتاب الله، كثيرة العبادة والتلاوة مشتغلة بما يعنيها". أخذت القرآن الكريم بروايته على شيخ القراء الحسن جنبور، وتلقى عبد الحفيظ الفاسي عنها القرآن الكريم برواياته الثلاث وأجازته بذلك سنة 1323. وتوفيت بعد ذلك بيسير بمدينة فاس.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*، الرباط، 1931، ج. 2 : 26.

محمد حجي

حميراء أو حْميرا ـ بالمد والقصر ـ كذا يُنطق بها في المغرب وفي المشرق العربي أيضاً ـ وتسمى أيضاً بوفسيو في بعض المناطق الشمالية من البلاد ـ طيور بريّة صغيرة القد تألف الغابات والأدغال والبساتين والمناطق الصخرية. تحرك ذيلها باستمرار وسميت بالحميراء لحمرة ريشها. تنتمي إلى رتبة الجواثم وفصيلة الشحروريات Turdidae . يسمى الجنس علميا Phaenicurus وبالفرنسية Rouge - queue وبالأنجليزية Redstart وبالإسبانية Collirojo وبالبربرية أجضيض أزكاغ.

يُعرف لجنس الحميراء في المغرب ثلاثة أنواع يعتمد على الذكور للتمييز بينها وذلك لألوانها الزاهية المختلفة. إناث هذه الأنواع كثيرة التشابه وألوانها حمراء بنية. يتكون غذاؤها من الحشرات والديدان وبعض الفواكه العنبية.

النوع الأول من الحميراء Phaenicurus moussieri من أكثر الأنواع انتشارا في المغرب ويقتصر توزيعها الجغرافي العالمي على تونس والجزائر والمغرب، منها عدة مجموعات تشتو في المناطق الصحراوية من هذه البلدان الثلاثة ثم تعود في فصل الربيع لتتوالد في المناطق الوسطى والشمالية.

لا يتعدى طولها 12 سم. تتميز الذكور بريش أحمر على الصدر والبطن والذيل. الرأس أسود يتوسطه خط أبيض يمر فوق العينين وينتهي على جانب العنق، الجناحان سوداوان تتوسطهما بقعة بيضاء. المنقار والأرجل رقيقة سوداء.



حميراء

تتوالد مرتين في السنة ابتداء من شهر أبريل وتبني عشها وسط الأدغال وفي حواشي الغابات وفي الأماكن الصخرية وأحيانا في الجحور الموجودة في جذوع الأشجار. يتكون العش من قطع الأغصان ويفرش بالريش. تلد الأنثى 4 ـ 6 بيضات تميل إلى الأزرق، يبلغ قطرها 15 × 20 ملم. تُحضن من طرف الأبوين 13 ـ 14 يوماً وتبقى الفراخ بداخل العش مدة أسبوعين.

إنه طائر شائع في جميع المناطق المغربية الجافة منها والرطبة، الشمالية منها والجنوبية.

ويسمى النوع الثاني الحميراء الدبساء Phaenicurus ochrurus وبالفرنسية Rouge - queue noir. يبلغ طوله 14 سم. يتميز الذكور بذيل أحمر. العنق والصدر أسودان، الرأس والظهر رماديان مسودان، الجناحان رماديان تتخللهما بقع بيضاء. يعيش في المناطق المحيطة بحوض البحر المتوسط وفي أوروبا الوسطى الغربية. منه عدة مجموعات تشتو في جميع المناطق المغربية. عدة أفراد تتوالد في المغرب تبني عشها ابتداء من شهر أبريل في المنازل المهجورة ووسط الأدغال الكثيفة الأغصان. تلد الأنثى 4 ـ 6 بيضات تحضنها الأنثى وحدها لمدة 12 ـ 16 يوماً.

ويدعى النوع الثالث الحميراء بيضاء الجبهة يسمى علميا Phaenicurus phaenicurus وبالفرنسية Rouge - queue à front blanc. تتوالد في أوروبا وشمال المغرب والجزائر وتونس وتشتو في إفريقيا وآسيا الغربية. يبلغ طولها 14 سم ويتميز الذكر بعنق أسود وببقعة بيضاء على جبهته، ريش الصدر والذيل أحمر ورمادي على باقي الظهر

والجناحين. يتوالد ما بين مايو ويوليوز ويوضع العش بداخل شقوق الصخور والجدران وفي الأدغال وعلى أشجار البساتين. تلد الأنثى 5 ـ 8 بيضات زرقاء مخضرة تحضنها الأنثى وحدها مدة أسبوعين.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, London, 1984, p. 250 - 251 ; C. Harrison, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 270 - 271.

الحميري، إدريس بن صالح بن منصور آتي الترجمة، يرجع إليه الفضل في دخول الإسلام إلى الريف أيام عبد الملك بن مروان. إذ يشير الزياني إلى أنه : "في أيام عبد الملك دخل المغرب من إفريقية إدريس بن صالح الحميري، ونزل الريف وهو الذي بني مدينة النكور وعليه أسلمت قبائل الريف" (*الترجمانة*، ص. 81).

وبالرغم من طول المدة التي حكم فيها بنو صالح إمارة النكور، فإن تاريخها بقي غامضا، وظلت المعلومات قليلة عن هذه الإمارة، بسبب إهمال المؤرخين القدامى تدوين أخبارها شأنها في ذلك شأن إمارة المدراريين بسجلماسة، إلا أن الجغرافي الأندلسي أبا عبيد الله البكري ذكر نتفاً من تاريخ الإمارة، تعرفنا أن مدينة النكور كان تأسيسها على يد سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري (*المسالك*، ص. 91) الذي أتم بناء المدينة التي اختطها والده ادريس بن صالح عندما كان يفكر في إقامة عاصمة جديدة لإمارة الريف المستقلة بدلا من بقائه في قبيلة تمسمان إلا أن المنية وافته قبل إتمام مشروعه، وبذلك يكون سعيد هو أول من اتخذ مدينة النكور عاصمة له (*العبر*، 6 : 440).

أ. البكري، *المسالك والممالك*، باريس، 1965 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ج 6، بيروت، 1968 ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، الرباط، 1967.

الحميري، صالح بن منصور أول فاتح عربي وصل إلى الريف وكان يعرف بالعبد الصالح (*المسالك*، ص. 91). حيث صحب الجيوش العربية برئاسة عقبة بن نافع الفهري في حملته الأولى عام 50 ـ 55 / 670 ـ 674. وربما أسندت لصالح قيادة حملة عسكرية إلى بلاد الريف خلال ولاية عقبة بن نافع الثانية عام 62 ـ 64 / 681 ـ 684 الذي قام بحملته إلى بلاد المغرب الأقصى. وقد استقر صالح بتمسمان مع عصبته من العرب اليمنية. وتمكن الجيش بقيادته من الاستيلاء على بلاد النكور، ويشير ابن خلدون إلى أنه : "لما استولى المسلمون أيام الفتح على بلاد المغرب وعمالاتها واقتسموه ... وكان صالح بن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه، وأقطعه إياها الوليد بن عبد الملك في أعوام إحدى وتسعين للهجرة" (*العبر*، 6 : 439) وإذا كنا متحفظين من المراحل المضطربة التي مربها الفتح الإسلامي بالريف، فمن المؤكد حسب المصادر التاريخية أن العناصر البربرية من صنهاجة وغمارة أسلمت على يد صالح بن منصور (*المسالك*، ص. 91).

ويبدو أن سكان المنطقة ارتدُّوا عن إسلامهم، وقاموا بإخراج صالح من قبيلة تمسمان. ونصَّبوا رجلاً من قبيلة نفزة لتولية شؤونهم يسمى داود ويعرف بالرندي (*معيار الاختيار*، ص. ٩٧)، إلا أنهم سرعان ما تراجعوا عن ثورتهم وعادوا لطاعة صالح، يقول البكري : "وتلافاهم الله بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندي واستردوا صالحاً" (*المسالك*. ص. ٩١) ومازال قبر هذا القائد العربي بقبيلة تمسمان يقصده السكان للتبرك به، كما أن اسم هذه الأسرة (الصالحية) مازال موجوداً في نفس القبيلة.

أ. البكري، *المسالك والممالك*، باريس، 1965 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1968 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، تح. كمال شبانة، الرباط، 1977.

عبد الرحمان الطيبي

الحميري، محمد بن عبد المنعم الصهاجي السبتي. برز في علوم الحديث واللغة والنحو وكان يستظهر كتاب *التاج* للجوهري وكتاب *سيبويه* وجواهر *ابن شاس* وغيرها فاستحق أن يوصف بين علماء عصره باللغوي. إلى جانب ذلك كانت له دراية بالعلوم العقلية والطبية ولعبة الشطرنج، تدرُس تلك العلوم بالمسجد القريب من زقاق المفضل بسبتة.

أخذ عن كبار أساتذة سبتة وفاس وغيرهما كشيخ النحاة والقراء إبراهيم بن أحمد بن عيسى الغافقي (ت. 716) وشيخ علم الأصول والفرائض بمدرسة سبتة أبي القاسم بن عبد الله ابن الشاط (ت. 723). وقد انضم إلى وفد سبتة الرسمي الذي ذهب إلى غرناطة لتقديم البيعة لبني الأحمر في شخص أميرها محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (701 ـ 708) بعد أن استولى على المدينة سنة 705 / 1306. وكان هذا الوفد يتكون بالإضافة إلى الحميري من أستاذه أبي القاسم ابن الشاط ومحمد بن علي ابن هانئ اللخمي. كما استقدمه السلطان أبو الحسن المريني إلى حضرة فاس لحضور مجالسه العلمية واستعراض محفوظاته من لغات العرب وشواهدهم.

وقد اعتقد كثير من الباحثين أن ابن عبد المنعم هنا هو مؤلف كتاب *الروض المعطار في خبر الأقطار*، وعلى رأس هؤلاء الدكتور إحسان عباس الذي حاول جاهداً في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب الربط بين *الروض* وبين ابن عبد المنعم اعتماداً على الترجمة التي خصه بها ابن الخطيب، علما بأن كل الذين ترجموا لصاحبنا بمن فيهم ابن الخطيب لم يذكروا

فقط أنه اشتغل بالجغرافيا أو ألف كتابا *كالروض*.

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة ابن عبد المنعم. فقد ذكر ابن الخطيب أنه توفي أثناء عودته من زيارته لسلطان المغرب بأحواز تازة عندما داهمه الوباء الجارف. ولعل المقصود بذلك هو ما عرف بوباء الطاعون الذي ضرب المغرب ومناطق أخرى من العالمين الإسلامي والأوربي سنة 749 / 1349 وخلف وفيات كثيرة من بينها الخميري نفسه. أما ابن حجر العسقلاني فقد أشار إلى تاريخ آخر هو سنة 727 / 1327. وعلى أية حال يظهر أن ماوراه صاحب *بلغة الأمنية* هو الأقرب إلى الحقيقة حيث أكد بشكل واضح أن وفاة ابن عبد المنعم كانت سنة 750 / 1350 وأنه دفن بمقبرة المنارة بسبتة.

ولعل مؤلف *الروض* اسمه محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري التونسي الذي كان حيا سنة 726 وهو غير ابن عبد المنعم اللغوي صاحب الترجمة وإنما هو اتفاق في الأسماء أوجب هذا الالتباس.

م. الحميري، *الروض المعطار*، مقدمة المحقق إحسان عباس، ط. 2، بيروت، 1984 : ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*. تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1975، 3 : 134 ـ 135، اللمحة البدرية، بيروت، 1978، ص. 66 : مجهول، *بلغة الأمنية*، الرباط، 1984، ص. 24 ـ 26 : الأنصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، ط. 2، 1983، ص. 20 : ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، القاهرة، 4 : 151 : ج. السيوطي، *بغية الوعاة*، مصر، ط. 1، 1926، ص. 69 : ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ...، ص. 316 : م. المنوني، *حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض المعطار*، *مجلة المناهل*، العدد 10، نوفمبر 1977، ص. 367 ـ 372.

حْمِيِّر جَدّة أو حْمِيِّر نَانَّة، كما هو شائع في المغرب، أو حمار قبان في المعاجم : دُوَيْبة صغيرة من شعبة المفصليات Arthropodes وطائفة القشريات - Crustaces Malacostaces ورتبة متساويات الأرجل Isopodes. تشمل القشريات بالأساس حيوانات مائية، وأنواع حمار قبان هي الوحيدة التي تعيش في البر وتألف الأماكن الشديدة الرطوبة كالكهوف والمغاور وتحت الأحجار وبين أوراق الأشجار المتساقطة وبجانب ضفاف الأنهار والبحيرات.

تتراوح مقاييس الأنواع ما بين 8 و15 ملم. يتكون الرأس من خمس قطع حلقية مشبكة. العينان مركبتان تتكونان من عدة عناصر بسيطة ذات قدرة بصرية قوية. يحمل الرأس زوجين من قرينات الاستشعار. الأولى صغيرة جدا وتتكون من مفصل واحد. والثانية Antennes طويلة وقوية. الصدر مرتبط بالرأس ويتكون من 8 قطع تحمل كل واحدة منها زوجة من الأرجل متشابهة فيما بينها وتنتهي بمخلب واحد. يتكون البطن من ست قطع تحمل الأخيرة منها الأعضاء التناسلية بالنسبة للأنثى وتلج في كل منها الخياشم وهي بمثابة الأعضاء التنفسية.

تحمل الأنثى البيض بداخل غشاء في مؤخرة البطن وتعطي صغاراً كثيرة أشبه بالكبار تمر بعدة مراحل تطويرية في نموها.

تتغذى بالمواد العضوية ولا تؤذي الإنسان، وفي حالة إزعاجها تلتوي على نفسها فتكوّن كرويات صغيرة لتحمي بذلك أرجلها. من بين الأنواع الأكثر شيوعاً في المغرب Porcellio albinos P. flavocinctus: و P. paleseneeri التي تنتمي إلى فصيلة Porcellinidae. ومن فصيلة Oniscoïdae تذكر Oniscus asellus. تسمى هذه الحيوانات بالفرنسية Cloportes.

البحوث العلمية حول هذه الحيوانات قليلة في المغرب. وقد أجريت عليها عدة تجارب في المختبرات الأجنبية.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988 : *دراسة ميدانية*.

A. Vandel. *Faune de France*, n° 66. *Isopodes terrestres*, Paris 1963, p. 419-931.

محمد رمضاني

الحْنَاية أو الحَنِيَّة ـ في المعمار المغربي، القوس الذي يحدّ، في طرفي بعض الغرف من المنازل العتيقة، مجالا صغيراً يتراوح عرضه ما بين متر ونصف ومترين يسمّى "القبة" يوضع به سرير النوم. وقد اتسع مفهوم الحناية ليشمل كذلك "القبة" نفسها كما أن "القبة" اتُّخذت كمصطلح في بعض المدن (كمراكش مثلا) للدلالة على الغرفة بكاملها. ويشير الناس إلى الغرفة التي بها حْناية بعبارة : "البيت مُولْ الحْناية" للتمييز بينها وبين الغرف التي لا تشتمل على حناية. وفي هذا التمييز طبعاً تقديمٌ للغرف الأولى على الثانية.

ومن هنا فالحناية هي أحد العناصر المتميزة داخل البيوت المغربية التقليدية، تعلو أرضيتُها ببضعة سنتيمات (10 إلى 15 سنتم على الأكثر) أرضية باقي الغرفة.

ويتسع مجال حضور الحناية في العمارة الإسلامية الغربية ليشمل أطرافا شاسعة من المغرب الكبير وبلاد الأندلس. وأقدمُ مثال عندنا بالمغرب لهذا العنصر المعماري حنايا قاعتي القصر الذي تم اكتشافه بموقع بَلْيُونَش بالشمال والذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع (10 م). وقد استمر وجود الحناية بالعمارة المغربية إلى عهد قريب، حيث احتفظت بها منازل النصف الأول من هذا القرن بالمدن العتيقة.

وكون قصر بليونش السالف الذكر وقصره الثاني الكبير الذي ببرج الساحل وكذا المنازل التي اكتشفت بذات الموقع والتي تعود كلها إلى القرن الثامن (14 م) تحتوي على حنايات. فذلك يعني أن هذا العنصر المعماري ليس عنصرا حضريا أي أنه لا يوجد في المنازل التي بالمدن وحدها، وإنما هو عنصر حاضر وقويّ الحضور في العمارة

التقليدية في المدن وخارجها خاصة بالأرياف التي لها علاقة بالأوساط الحضرية.

ابن منظور، *لسان العرب*، حرف الواو والباء من المعتل، معجم كولان، 2، 1949 ؛ ع. توري وجودية حصار بنسليمان، *تامرس*، ص. 70.

عبد العزيز توري

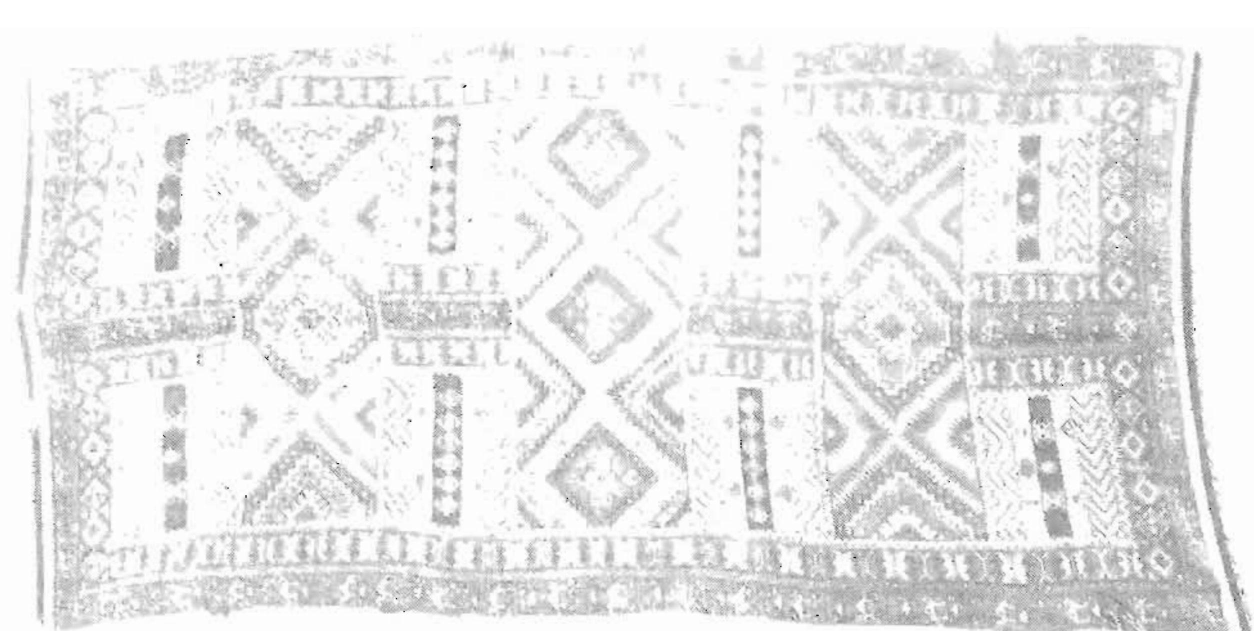
الحنبل، نسيج من صوف متين خيوطه سدًى ولحمةً تميل إلى الخشونة وغير مدكوكة عن قصد ليكون أكثر جلباً للدفء وحفاظاً لحرارة الجسم. وهو يشبه الحائك في طوله وعرضه ومميزاته العامة، وقد يكون أكبر منه في الطول والعرض ونصاعة الألوان. والفرق بين الحنبل والحائك أن الأول فراش وغطاء، والثاني لباس.

وقد اشتهرت في إنتاج الحنابل والمنسوجات الصوفية المتينة عموماً كل من أزمور والجديدة وأسفي منذ عدة قرون وكانت الحياك والحنابل والعبائن من بين البضائع التجارية التي كانت تعتمد عليها البلاد في علاقاتها مع الإيبيريين خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) (*دكالة*، ص. 111). ويذكر ابن الخطيب أن جودة إنتاج مدينة أسفي لهذه الحنابل كانت من أسباب شهرتها وازدهار الحياة فيها (*معيار الاختيار*، ص. 76). لذلك تخصصت نساؤها في إنتاج منسوجات صوفية موجهة بالأساس إلى التصدير وعلى رأسها الحنابل البديعة المنظر المتينة الحجم الدقيقة الصنع الناعمة الملمس فراجت أسواق المواد النسيجية والصباغة واستقدم تجارها الأصواف اللازمة لذلك من سائر أرجاء عبدة وحاحة ودكالة فكادت صناعة المنسوجات الثقيلة أن تكون هي أول نشاط اقتصادي فيها قبل الصيد وصناعة الفخار التي سارت بذكرها الركبان كما يقول لسان الدين بن الخطيب (*معلمة المغرب*، 2 : 427).

واشتهرت حنابل سلا في القرون الأخيرة وحتى اليوم إلى جانب الزرابي الرفيعة المدعوة بالزرابي الرباطية. وتصدر منها كميات وافرة إلى أوربا وأميركا. ومازالت معالم صنع الحنابل ماثلة للعيان داخل أسواقها إلى اليوم.

أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. الشياظمي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط، 1987 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، الرباط، 1977 ؛ ع. اللطيف الشاذلي، *أسفي*، *معلمة المغرب*، 2 : 428 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه*، د. ت ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة خلال القرن 19*، د. د. ع. كلية الآداب الرباط، 1990.

E. Michaux-Bellaire, *Azemmour*, in *Villes et tribus du Maroc*, vol. 10, Paris, 1932 ; *Les Doukkala*, in *Villes et tribus du Maroc*, vol. 10, Paris, 1932 ; J. Goulven, *La place de Mazagan sous la domination portugaise*, Paris, 1917 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, Paris, 1970 ; N. Albarracin, *El hayk en la zona atlantica del Marruecos español*, *Tamuda*, tome 2, 1954 ; M. H. Echigueur, *Les Aït Yadine*, Doctorat ès lettres, Sorbonne, Paris, 1978 ; A. Bertrand, *Tribus berbères*, Lausanne, 1977 (Suisse) ; J. Burlet, *La laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972 ; A. Delpy, *Notes sur le tissage dans les Zemmours*, C.A.T.A.N., n° 3, 1954 ; E. Doutté, *En tribu*, Paris 1914 ; L. Gentil, *Dans le bled Essiba*, Paris, 1906; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris 1920 ; J.



الحنبل (نسيج)

Revault. *Le tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas*. Fès. 1933 ; P. Ricard, *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano - mauresque*. *Bulletin hispanique*, 1951 ; L. Massignon. *Enquête sur les corporations musulmanes*. *R.M.M.*, tome 58, 1924.

محمد بوسلام

الحنبل في دكالة. تميز الوثائق البرتغالية بين الحبل (lanbel, alenbel) والزربية (alcatifa). وقد عرفها الرحالة البرتغالي Pacheco Pereira بكونها أثوابا تشبه الأفرشة التي تحاك بمنطقة الألنتيجو (Alentejo) البرتغالية. فهي مزركشة بشرائط حمراء وأخرى خضراء وثالثة زرقاء، ورابعة بيضاء، ويبلغ عرض كل شريط منها أصبعين أو ثلاثة، تستعمل الحنابل فراشا ليلا وتقوم عند الاقتضاء مقام اللباس. وتعددت الإشارات بالمصادر البرتغالية إلى إقبال البرتغاليين على شرائها بأزمور، وخصوصا بآسفي، وذلك لكونها كانت توجه لغرب أفريقيا، حيث كانت تعرض بوكالات أركان (Arguim) وأشين (Axem) وخصوصا بلامينا (Lamina) الموجودة بساحل الذهب، وكانت تعتبر أهم سلعة يقبل السود على اقتنائها، فكانت بضعة أمتار منها تقايض بعبد. وكانت آسفي، حسبما ورد ببعض الوثائق، قادرة على تزويد أسواق غرب أفريقيا بكل ما تحتاج إليه من تلك السلعة (1507). وتخبرنا رسالة مؤرخة في 15 يونيو 1500 بأن الملك البرتغالي كان يدين لقائد أسفي بثمن الحياك التي اشتراها عنه. وسرعان ما انتقل الملك البرتغالي إلى الإنتاج بأسفي، ابتداء من سنة 1507، أي سنة قبل احتلالها. وقد طالب الوكيل التجاري سنة 1512 بتعويض محل الإنتاج بآخر أرحب، ووعد بتوفير المكان. واعتمد الملك البرتغالي فيما بعد على نظام التعاقد مع منتجين حسب مواصفات كانت تحددها مصالحه المختصة بلشبونة. فقد تعاقد سنة 1512 في هذا الشأن مع "مايل لبفي"، أحد يهود أسفي.

ويخبرنا الوكيل التجاري بأن اليهودي المذكور أنتج في دجنبر 1512 حوالي مائة وحدة "متقنة وجيدة النوعية". وبما أن الكمية المتعاقد بشأنها كانت لا تغطي كل حاجيات السوق بغرب أفريقيا، فإن الملك كان يكلف بين الفينة والأخرى وكيله بأسفي بشراء تلك الأثواب. فقد أنفق Heitor Gonçalvez في ذلك خلال دجنبر 1512 تسعمائة ألف ريال. كما اضطر "مايل لبفي" المذكور خلال نونبر 1514 إلى الالتجاء إلى الحوز حيث اشترى ما قيمته 300 أوقية من "أثواب أرغين"، مع أنه كان بحوزته في نفس الشهر 2000 من الحياك و100 من الحنابل.

وفي سنة 1519 تعاقد الملك البرتغالي مع بعض اليهود لكي يسلموه خلال ثلاث سنوات 9000 حنبل، أي 3000 خلال كل سنة. ولا شك أن اليهود المذكورين كانوا من آل ابن زميرو - أكبر الأسر اليهودية بالمدينة وأغناها - لأن أحد الإيصالات يذكر بأنهم فيما بين 1513 - 1519 يحتكرون إنتاج وبيع تلك الأثواب الصوفية.

وتشير الإيصالات، أو وثائق إبراء الذمة التي كانت الإدارة المركزية تسلمها للموظفين الذين أنهوا ماموريتهم، إلى الكميات من الحنابل التي دخلت المتجر الملكي، وقد بلغت بأسفي 21.409، موزعة على الشكل التالي :

	1495 . 1491	1498 . 1495	1500 . 1498	1501
حنابل عبانن	2455	602	7325	17

	1504	1510 . 1508	1521 . 1517	المجموع
حنابل عبانن	101	972	137	21.409

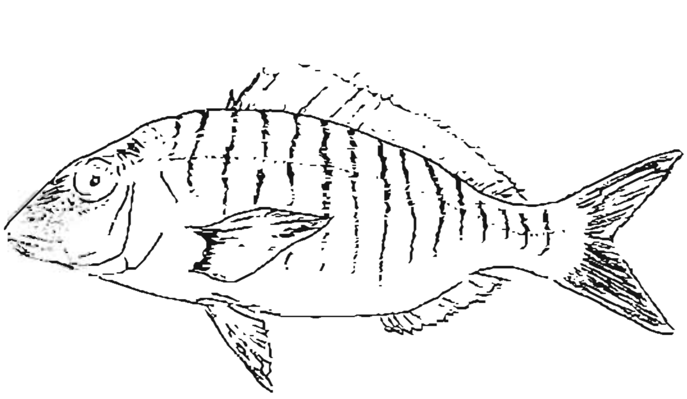
والكميات السالفة الذكر قليلة مقارنة مع الطلب الذي كان يعرفه ذلك الإنتاج، ومرد ذلك إلى اعتماد الملك البرتغالي أساسا على التعاقد مع منتجين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أ. بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، الدار البيضاء، 1984.

R. Ricard. *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*. Coimbra. 1955 ; P. de Cenival (et al...), *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc, série Sa'adienne*. Paris. Tomes 1 et 2 ; P. Pereira. *Esmeraldo de Situ Orbis*. Lisboa. 1975 ; P. de Cenival et Th. Monod. *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal, par Valentim Fernandes, 1506 - 1507*. Paris. 1938.

أحمد بوشرب

حَنْبَل أو خَمْبل - بالنون والميم - نوع من الأسماك العظمية البحرية يسمى هكذا في معظم أسواق الأسماك المغربية كالدار البيضاء والمحمدية والرباط ومولاي بوسلهام والعرائش وطرفاية والعيون. والرَّمُولي هو اسمه في طنجة، ويسمى ثُقْبة في أكادير. سمي بالحنبل لأن جوانبه مخططة عموديا مما أعطى لظهره منظراً يشبه النسج المغربي التقليدي المعروف بالحنبل.



الحنبل (أسماك)

ينتمي سمك الحنبل إلى رتبة شعاعيات الزعانف وفصيلة الأسبوريات ويسمى علميا Actinopterygiens Pagellus وكان يسمى سابقا Lithognathus mormyrus mormyrus. اسمه بالفرنسية Marbré وبالأنجليزية Striped Seabream وبالاسبانية Herrera. يسمى في الشرق العربي الخفّار والمرمار وهي معرّبة.

لونه أشهب رمادي فضيّ اللمعان. وجسمه مضغوط جانبيا وبيضوي الشكل. تتخلل جوانبه 14 ـ 15 بقعة طويلة بنية داكنة وأحيانا رمادية. لا يتعدى طوله 55 سم وشائع بين 25 ـ 30 سم. فمه مستدق وممتدّ إلى الأمام، بداخله أربعة صفوف من الأسنان. تتكون الزعنفة الظهرية من 11 ـ 12 شوكة ومن 11 ـ 12 شعاع في مؤخرتها تتكون الشرجية من ثلاث شوكات و10 ـ 11 شعاع.

إنه سمك لاحم يتغذى بالقشريات الصغيرة والديدان والأخينوسات ويألف الأماكن الرملية والطيفية والأماكن المعشوشبة التي لا يتعدى عمقها 80 متراً.

يتوالد في الربيع والصيف وغالبا ما يعيش وسط مجموعات صغيرة ويصبر بالغا بعد سنتين يبلغ طوله خلالها 14 سم.

يعيش في السواحل المتوسطية والأطلنطية الشرقية الممتدة منذ خليج گاسكون شمالا إلى رأس الرجاء الصالح جنوبا، ويوجد أيضاً في البحر الأحمر وفي الجنوب الغربي من المحيط الهندي.

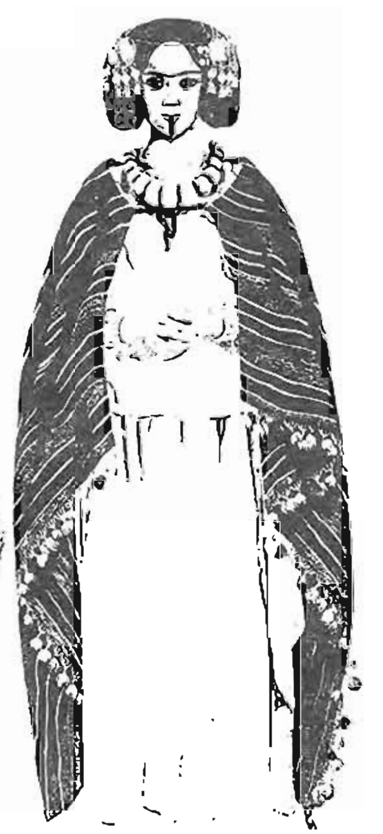
صيده شبه صناعي وتقليدي في المغرب ويصاد بواسطة شباك مختلفة وبالصنانير. وهو موجود باستمرار في أسواق الأسماك المغربية. ويطلق اسم الحَنْبَل أيضاً على بعض أنواع سمك بوبرادع.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci.* Rabat. Mémoires hors série, 1988 p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bauchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*. Rome, 1987, p. 1364.

محمد رمضاني

الحنديرة أو الحندير، رداء خارجي تأتزر به النساء، وهي من الأقمشة الملتحفة وغير المخيطة مما يسدل على الجسم من الخلف لتغطيته جزئيا أو كليا، تنسج دفعة واحدة على منوال أفقي. وتُتخذ الحنديرة عادة من صوف متين أو شفاف ومن قطن أو كتان بحسب المواقع الجغرافية وحسب فصول السنة، ويكون لونها في الغالب الأعم أبيض أو أبيض تتخلله أشرطة سوداء، أو بُنية أو زرقاء، أفقية أو عمودية، ويتراوح طولها في المجمل بين أربعة أمتار وأربعة أمتار ونصف ولا يتعدى عرضها المتر الواحد والنصف. وينطق بها في الأمازيغية : أحندير وتاحنديرت.



حنديرة آيت مرغاد



حنديرة زايان



حنديرة بني مكيلد

كان ارتداء الحنديرة سائداً بشكل واسع في سلسلة جبال الأطلس وسفوحها الشرقية والغربية والأراضي المتاخمة لها، وهي عند النساء الأمازيغيات تحل محل الحانك أو المئزر عند العربيات البدويات أو الحضريات. لذلك لم تكن النساء الأمازيغيات يستغنين عنها وهن خارج بيوتهن لقضاء مآربهن أو في الأفراح والمناسبات.

تُرتدى الحنديرة بطريقة بسيطة : تمرر المرأة طرفها الأعلى على كتفيها وتشده عند ثدييها بمشبك من الفضة وتربطه عند خصرها إما بحزام من صوف أو تجمع أهدابه وتدخل بعضها في بعض (*المعسول*، 1 : 54).

تختلف أشكال الحنديرة وأطوالها وألوانها ورسومها من منطقة إلى أخرى، إذ كانت الألوان والرسوم والرموز التي تتخلل كل حنديرة هي التي تميز بين القبائل. فاللون السائد عند أيت بوگماز وأيت بوعلي وأيت سخمان وغيرها من قبائل الأطلس المتوسط كان هو الأبيض. وكانت حنديرة قبائل أيت يافلمان (أيت حديدُو، أيت مرغاد، أيت يوسي وغيرها) والقبائل الممتدة على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير من عدة ألوان وتتخللها أشرطة زرقاء وحمراء وسوداء وصفراء. أما حنديرة أيت مگيلد وزيان وزمور فكانت تتخللها سبعة خطوط أفقية ويحتوي بعضها على رسوم هندسية مستوحاة من رموز القبائل وأوشامها. كما كانت تتخللها قطع معدنية دقيقة دائرية لامعة تدعى "المزونة" وتنتهي حواشيها بأهداب متنوعة.

تُلبس الحنديرة الصوفية في فصل الشتاء مع جوارب صوفية تسمى "تافرويين" و"تارغيوين" ونعال جلدية ذات كعب مرتفع مزخرفة برسوم ملونة بديعة. وفي فصل الصيف تُستبدل الحنديرة الصوفية المتينة بمئزر خفيف من قطن أوكتان يسمى في زيان وزمور وقبائل تادلة والحوز وسوس "تاميزارت" أو "تابيزارت". وتحمل الحنديرة أسماء أخرى تختلف باختلاف المناطق، فهي تدعى "تافاكوت" في سوس وحوز مراكش والأطلس الصغير، و"تابرداوت" في أيت واراين بالأطلس المتوسط و "تاشكيوين" عند أيت حديدو وأيت يزدك وأيت مرغاد، و"تيزاكوين" بمنطقة درعة، و"أمنديل" في تيزنيت، و"أرْدي" في السفوح الشرقية الدنيا لجبال الأطلس المتوسط والكبير، و"تاحرويت" في جنوب شرق المغرب وخاصة بمنطقة الرشيدية، و"أفيداح" في تاعلة وعلى وادي أملن "وتاسحلفت" في إيداوسمْلال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1، الدار البيضاء، 1960 : عثمان بن عابد بوشناس، *أمانوز لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء، 1991 : الحسين مهديوي، *الزي التقليدي لقبائل الأطلس*، جريدة الأنوار العدد 122، 31 دجنبر 1996، ص. 10 : م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*. ج 1 الرباط، 1990 : *أربعة وأربعون درساً في اللغة الأمازيغية*. الرباط، 1991 ؛ أ. مزيان، *تكييك مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19*، (1845، 1902)، الدار البيضاء، 1988.

D. Madras. *Au sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950 ; E. Laoust. *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Dugard. *La colonne du Sous*. Paris, 1918 ; A. Delpy. *Notes sur le tissage dans les Zemmours*. *C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954; G. Dalche [et al...]. *Villes et montagnes marocaines*. Rabat, 1964 ; G. Chantreaux. *Les tissages décorés chez les Beni-Mguild*. *Hesp.*, tome 32, fasc. unique, 1945 ; P. Chatinière. *Dans le Grand Atlas marocain*, Paris, 1919 ; A. Adam. *Le costume de quelques tribus de l'Anti-Atlas*. *Hesp.*, tome 39, 3ème - 4ème trim, 1952 ; J. Bellakhdar (et al ..). *Tissint, une oasis du Maroc pré-saharien*, Rabat, 1992 ; A. Bertrand. *Tribus berbères*. Lausanne, 1977 ; M. Bendaoud. *Notes sur les pays Zaïan*. *A.B.*, vol. 2, fasc. 3, 1917 ; G. Spillmann. *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Marquis de Segonzac. *Voyages à Maroc, 1899 - 1901*, Paris, 1903 ; J. Besancenot. *Costumes et types du Maroc*. Rabat, 1944.

محمد بوسلام

الحنش، إدريس بن علي بن الغازي بن المهدي السنتي المالكي البكري الفاسي. فقيه صوفي وأديب شاعر، له ديوان بالعربية الفصحى يسمى *الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح*، وديوان آخر كبير في *الشعر الملحون* يحفظه الأشياخ وينشدونه. تشبع بالروح الصوفية ولازم شيوخها فأخذ الطريقة الكتانية عن الشيخ محمد الكتاني، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الصالح إبراهيم بن علي الغماري، وعاش في فاس على الكفاف قنوعاً لا يملك شيئاً. ثم دخل مراكش في أوائل دولة المولى عبد العزيز وقد لحقته حرفة الأدب.

من تآليفه علاوة على ما سبق رسالة *الشهاب الكاوي لأهل التمشدق والدعاوي* في الرد على أهل الدعاوي الكاذبة في الولاية ؛ ورسالة *التذكير في بعض ما يجب على الفقير* ؛ ورسالة *تأنيس المسجونين وتنفيس المحزونين* ألفها لما سجن محمد بن قاسم الصادقي ؛ *ونزهة الأعيان وتبصرة الإخوان في تبيين ما بُني عليه مقام الإحسان*، كبير وصغير ؛ *وتأليف في الصلاة على النبي عليه السلام* على نسق *دلائل الخيرات* ؛ *والقامة المعنية عن المدامة*.

توفي بفاس زوال يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى عام 1319 / 31 غشت 1901 ودفن خارج باب المحروق.

ع. ابراهيم، الإعلام، 3، 32 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8، 2826 ؛ ع. المالك البلغيثي، *الكنز*، مرقون خ. ص.

أحمد متفكر

الحنشي، أسرة سلوية انقرضت في منتصف القرن الحالي. تنتسب إلى الحنشة بطن من بطون عامر الحوزية المجاورة لمدينة سلا وعامر الوسطى القريبة من مركز مهدية. وهم قسمان : الحنشة البزيزات والحنشة الغرارية. وكان منهم في العهد الحسني بعض القواد هم :

الحنشي، بوعزة بن إبراهيم قائد الحنشة الغرابة سنة 1309 / 1819 بعد أن كان أمرهم موكولاً إلى سلطة سعيد ابن العروسي الهلالي العمري. مكث بوعزة في منصبه إلى سنة 1313 / 1896 حيث عُزل وسجن. تقول عنه الوثائق إنه كان رجلا حازماً حافظاً للطريق الرئيسية من عيث قطاعها، وإن مقاتلات كان تدور بين إخوانه وجيرانهم من عامر وزمور كانت تسفر عن ضحايا وخسائر في الأموال والرقاب.

الحنشي، بوغابة ولي علي الحنشة بعد عزل بوعزة وسجنه، ومكث كذلك إلى وفاته سنة 1315 / 1897.

الحنشي، حميدوش المدعو أيضاً بَشِّي الحنشي، اضطلع بمنصب قائد بعد موت بوغابة. ثم أصبحت الحنشة بعد داخلة في إيالة سعيد ابن العروسي.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا*، ص. 167 و170 و296 ؛ *وثائق بتسعيد*.

مصطفى بوشعراء

الحنشي، علي السريفي، صالح شهير في بلاد جبالة، أخذ عن الشيخين علي الشلي وعبد الرحمان المجذوب، وكان الشيخ أبو المحاسن الفاسي يقول : "ما لقيت أقوى منه حالا يعني في أهل الأحوال".

توفي في حدود 1020 / 1611 وقبره مزارة في مدشر بنر دوار بسريف فوق ربوة صغيرة في مقبرة تسمى باسمه.

م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط حجر فاس، ص. 157، 158.

محمد أخريف

الحَنْطَة (الحرفة) تؤكد المستندات التاريخية أن سكان الحواضر المغربية في معظمهم كانوا إما "أهل حرف وصنائع" أو "أهل أسواق وحوانيت"، بمعنى أن الحرف والتجارة كانت هي مصدر عيشهم الرئيسي. ذلك ما نجده في رbooصائد المكتبات الخاصة والعامة من تقاييد وفهارس وكنانيش مخزنية وبيانات أمناء ومحتسبين، بالإضافة إلى لوائح الإحصاءات المتكررة التي كانت تجريها المصالح الاقتصادية التابعة لسلطات الحماية من 1912 إلى 1956.

وكانت الحرف التي يشتغلون بها قبل انفتاح المغرب على الخارج واتصاله بأوروبا على الخصوص، أي قبل انتشار الحرف المرتبطة بأشكال الحياة الجديدة وأنماط الإنتاج الحديث منظمة في "حناطي" مهنية تجمع أهل كل حرفة على حدة بشكل يتوارثه "المتعلمون" عن "المعلمين" بالتقليد، ويحافظون على استمراره في سائر المدن وخاصة في الحواضر الكبرى التي كانت أكبر مراكز الإنتاج التقليدي في البلاد.

وتعتبر مدينة فاس، بما تحتفظ عليه من تراث في هذا المجال، أحسن نموذج لذلك. فهي ليست ورشة علم وتجارة فحسب، بل إنها "مملكة للصناعات والفنون الجميلة، ولو أتيح لمسافر من القرون الوسطى أن يزورها من جديد لوجد نفسه في مكان ليس غريباً عنه، لاسيما في ميدان الحرف حيث تتواتر تراكمات القرون السالفة فيها بكل وضوح، من القرن الثاني (8 م) إلى القرن الرابع عشر (20 م) جولات في *مغرب أمس بعيد الحماية*، ص. 43). لكن هذه الملاحظة ليست خاصة بفاس وحدها بل تنطبق بدرجات متفاوتة على غيرها من المدن الأخرى كمكناس وتطوان والرباط وسلا ومراكش وغيرها من المدن الصغرى التي مازال سكانها إلى اليوم يعتبرون أن "صنعة اليدين خير من مال الجدين".

وكانت دكاكين تقع مجتمعة في وسط المدينة بجانب الأسواق وقرب المواد الأولية الضرورية للإنتاج في أحياء خاصة بها تحمل اسم "الحنطة" التي ينتمي إليها أفرادها من دباغين وحدادين ونجارين وسفارين وسمارين ونجارين وسكاكين وغيرهم، كما كانت الأشغال المرتبطة بها تتم في دكاكين صغيرة وتعتمد على أدوات إنتاج عتيقة وتقنيات عمل تضرب بجذورها في أعماق التاريخ، وكان تنظيمها الهرمي بسيطا يبدأ من "المتعلم" إلى "الصانع" "فالمعلم" ثم "الأمين" الذي هو رئيس الحنطة ويشرف على جودة الانتاج وعلاقات الحرفيين بالزبناء. وقد كان "أمين الحنطة" أو "أمين الطرقة" هذا يخضع بدوره لتوجيه ومراقبة "المحتسب" و"أمين المستفاد" في كل مدينة حرفية.

من أشهر "الحناطي" نذكر الفرّاشين والحصارين وصناع الزرابي، والشماعين والفخارين والقشارين والسلالين والصفارين والقلالين والقشاشين أو الجوالقيين، والدرازين والدباغين والخرازين والخياطين والصباغين والطرافين والقشابين واللبادين والنيارين والصوافين والصياغين والجبّادين والغسالين والصبانين والحرارين والصقلين والبزازين. إضافة إلى الحجّامين والعطارين والوزانين والسفارين والكتبين والأبّارين والصيادين والفتّالين والحفارين والصحّافين. بعض هذه الحرف استمرت إلى اليوم، ومعظمها سادت في فترات سابقة ثم بادت واختفت.

ع. بن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1931 ؛ إدريس بن الماحي الإدريسي، *إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية*، فاس، 1938 ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصلية*، مجلة *أبعاد فكرية*، العدد 2، 1989 ، أندري باكار، *المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة*، د. ت ر د. م ؛ ع. المجيد ابن جلون، جولات في *مغرب أمس بعيد الحماية*، الرباط، 1975 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الأثر الإسلامي في الفن المغربي*، مجلة *البينة* عدد 10 فبراير 1963 ؛ م. البوعنولي، *من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش*، جريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 3621، 9 يوليوز 1993 ؛ ع. الحق الخياري، *الرأسمالية والصناعة التقليدية*، دكتوراة دولة في العلوم الاقتصادية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1983 .

ع. القادر زمامة، أسماء الحرف المعروفة بفاس، مجلة اللسان العربي، العدد 4، 1966 ؛ م. العجلاني، تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهم والأكحال والمربيات والملطخات، مخطوط خ. ع. رقم 761 د ؛ ع. العزيز العلوي، صناعة النسيج في المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد الثاني، فاس، 1985 ؛ ف. العباري، جوانب من علاقة المخزن بالحرف، د. د. ع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989 ؛ أنطونيو غرسيا خايين، الفن والفنانون المسلمون، مدريد 1951، ترجمة عجيب أبو ملهم ؛ م. گنون، كناية المحتاج في استعمال الحلي والديباج، مخطوط خ. ع. رقم 1231 د ؛ مؤلف مجهول، ورقات في أسرار بعض الصنائع، مخطوط خزانة كلية الآداب بالرباط رقم 216 مكل.

E. Adnan. *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris. 1983 ; Anonyme, *L'industrie marocaine des peaux*. *B.I.D.M.*, juillet 1942 ; J. Baldoui, *L'artisanat marocain à la croisée des chemins*. Alger (s. l). (s. d) ; *Les arts indigènes au Maroc*. Paris. (s. d) ; H. Basset, *Les rites du travail de la laine à Rabat*, *Hesp.*, tome 2. 1er et 2ème trim. 1922 ; Gu. Baumont, *L'avenir des corporations artisanales au Maroc*, 1949 (s. l). (s. d) ; H. Benhalima. *L'artisanat traditionnel Sefroui*, *R.G.M.* n° 1, 1977 ; J. Berque, *La criée publique à Fès*, *Revue d'économie politique*, mai 1940 ; P. Bary. *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; J. Burlet, *La laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972 ; L. Chajai, *Langage d'artisans à Marrakech*, doct. nouveau régime, Paris 4, 1986 ; M. Champion, *La situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; Bernard Chatin. *Les tanneries traditionnelles de Fès*, Université de Bordeaux 1. Th. 3ème cycle 1985 ; A. Chauveau, *L'industrie du cuir au Maroc*, *Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920 ; G. S. Colin, *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech*, *Hesp.*, tome 12, fasc. unique, 1952 ; J. Fontanes, *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950 ; J. Gallot, *Les métiers d'art au Maroc*, *F. M.*, n° 4 ; H. Godbarge, *Deux corporations berbères à Fès*, *B.E.S.M.*, vol. 10, 1948 ; L. Golvin, *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957 ; R. Guyot (et al...), *Les cordonniers de Fès*, *Hesp.*, tome 23, fasc. unique 1936 ; A. Hardy, *Les babouchiers de Salé*, *B.E.M.* tome 5, 1938 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1932 ; R. Letourneau, *La vie quotidienne à Fès*, Paris, 1965 ; L. Massignon, *Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants au Maroc*, *R.M.M.*, vol. 58, 1924 ; A. Massonnaud, *L'évolution des corporations depuis notre installation au Maroc*, *B.E.S.M.* vol. 4, 1937; G. Nogues, *Artisanat et métiers marocains*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique*, Fès 1918 ; *L'industrie indigène au Maroc*, *B.E.M.* vol 1, 1933 ; *Les arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930 ; A. Savine, *Le Maroc il y a cent ans*, Paris (s. d) ; A. Sefroui, *La sellerie*, *G.E.M.* vol. 2, 1987 ; M. Taieb, *L'industrie de la chaussure au Maroc*, Rabat, 1961 ; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; D. Chraibi, *La civilisation ma mère*, Paris, 1980.

محمد بوسلام

الحنظل، نبات يسمى علميا كولوسانتيس ڤولگاريس Colocynthis vulgaris الذي ينتمي إلى فصيلة القرعيات Cucurbitaceae ويدعى بالعربية الدارجة "الحدج" وبالأمازيغية "تَفَرْزِسْتْ" أو "أَفْرْزِيزْ" أو "تَفَرْزِزْتْ" أو "تِيمْحِيدْجِيتْ" أو "إِلِيفْ".

نبات عشبي معمّر زاحف ذو أوراق شبيهة بأوراق الدلاح، مفصصة. أزهاره صغيرة ثماره كروية الشكل تشبه بطيخة صغيرة من سلالة "سْويهْلَة"، ذات لون أصفر ولب شديد المرورة، حتى إن الأشياء المرة تشبّه بالحنظل. يعيش طبيعيا بالمناطق الجافة والصحراوية من إفريقيا وآسيا.



ينتشر الحنظل بالمغرب في البيومناخات الصحراوية والجافة واستثنائيا شبه الجافة. تناسب الأراضي الرملية.

تحتوي ثمرة الحنظل على مواد عديدة كمادة الكولُوسِينْت التي تستعمل كمادة طبية ضد الإمساك. وتعرف ثمرة الحنظل استعمالات عديدة في التطبيب ضد مرض السل ومرض المفاصيل وأمراض الاعضاء التناسلية ولإبعاد الحشرات مثل الباعوض...

أبحاث شخصية.

Renaud et Colin, *Tuḥfat Al-Aḥbāb*, Rabat.

عبد المالك بنعبيد

الحَنْفَاء Chouanne، سلاحف بحرية، من الزواحف، وبالتحديد السلاحف التي تتميز عن باقي الزواحف بجسم محمي داخل ترقعة شديدة الصلابة (باستثناء نوع بحري واحد) تقيه خاصة من بطش الحيوانات المفترسة الأخرى كبعض الثدييات وكذلك بعض الزواحف الأخرى. وتظهر هاته الترقعة سواء عند الأنواع البرية أو البحرية على شكل صفيحات قرتبنية متعظمة إلى حد ما وملتحمة بالأضلاع.

أما عن السلاحف البحرية فلا تتعدى أنواعها ثمانية قد يعثر على ستة منها فقط على السواحل المغربية، أما النوعان الباقيان فواحد منهما لا يوجد إلا على السواحل الأمريكية والثاني على السواحل الاستوائية. ومن بين هاته الأنواع الستة : *الحنفاء*.

تعتبر الحنفاء من أكثر السلاحف البحرية انتشاراً في العالم، فهي تستوطن تقريبا كل المحيطات والبحار في العالم ماعدا المناطق الباردة. قد يصل طول هذا النوع إلى حوالي 135 سنتمترا وقد يتعدى وزنه 440 كيلوغراما وقد

يتميز عن سائر السلاحف البحرية بخمسة أزواج من الصفيحات الجانبية الظهرية تصغر الأمامية منها عن الأربعة الباقية، كما أن عدد الصفيحات الجانبية البطنية لا يتعدى ثلاثة أزواج.

رغم أن هذا النوع بحري محض تكيفت معظم أعضائه لتمكنه من العيش في وسط مائي وبالأخص بحري فإن العديد منه يمكن مشاهدته في مصبات الأنهار وفي البحيرات المالحة. كما أن الإناث، خاصة وقت التوالد، تسعى إلى الشواطئ الرملية الهادئة وغير المأهولة لتضع بيضها.

الحنفاء نوع من السلاحف البحرية اللاحمة تتغذى أساساً بالحيوانات القعرية كالقشريات والرخويات وشقائق البحر والحلقيات، وفي بعض الأحيان على أسماك صغيرة، كما أن هناك عدة حيوانات عالقة يمكن أن تكوِّن نسبة لا بأس بها في وجبات الحنفاء كقناديل البحر مثلا أو الرخويات العالقة. وقد أثبتت أبحاث عديدة أن صغار الحنفاء تتغذى بالأساس على الأعشاب البحرية بما في ذلك الطحالب.

وإذا كانت الحنفاء تلتهم العديد من الحيوانات (الصغيرة الحجم بالأساس) فهناك العديد من الأنواع الحيوانية الأخرى تتخذ من الحنفاء، ومن السلاحف البحرية الأخرى طعاما لها بما في ذلك أسماك القرش الكبيرة وحوت الأركة المسمى كذلك بالحوت القاتل. إلا أن أكثر الأنواع والأجناس تهديداً لحياة الحنفاء خاصة والسلاحف عامة هو الجنس البشري الذي يعتدي على هاته الأنواع في كل مراحل حياتها منذ أن تكون على شكل بيضة حيث يطهيها كما تطهى بيض الطيور إلى أن تصبح كبيرة يتغذى على لحمها أو يصنع من ترقعتها أشياء لتزيين بيته.

أما عن توالد الحنفاء، فيبدو أن سن التزاوج هو حوالي ست سنوات وأن هذا النوع يتوالد تقريبا مرة واحدة كل ثلاث سنوات. وما أن يحين وقت التوالد حتى تسرع الإناث للالتحاق بشواطئ غير مأهولة وفي غالب الأحيان نفس الشواطئ التي وُلدت بها قاطعة بذلك آلاف الكيلومترات في متاهات المحيطات وبدون أي موَجِّه. بعد ذلك تنتظر سدول الليل فتخرج من الماء وتتجه نحو أعلى نقط المدِّ وتحفر لبيضها حفرة تكون فيها ظروف ومعطيات الحرارة والرطوبة مناسبة لتطور البيض.

تضع الحنفاء حوالي مائتي (200) بيضة على مرحلتين إلى خمس مراحل بين كل مرحلة وأخرى حوالي خمسة عشر يوما، أما البيضة فهي على شكل كرة طاولة صغيرة لا يتعدى قطرها 55 ملمترا وقد يناهز وزنها 35 غراما فقط. يبقى البيض في الرمل حوالي عشرة أسابيع تعطي سلاحف صغيرة لا يتعدى طولها حوالي الستين ملمترا.

ويعتبر خروج السلاحف الصغيرة من البيض من أهم الفترات في حياة السلاحف البحرية، وكذلك العديد من الحيوانات الأخرى المفترسة، كبعض الطيور الكاسرة والنورس والكلاب والذئاب وبعض سرطان البحر. أما بالنسبة للسلاحف فرغم خروجها من بيضها في حلكة الظلام وتوجهها بمجرد خروجها من الرمال مباشرة نحو البحر فأعدادها تتناقص بشكل كبير في هاته الفترة حيث تلتهمها حيوانات أخرى. وأما بالنسبة لبعض الحيوانات المفترسة كالسالف ذكرها فهي تنتظر خروج السلاحف الصغيرة من الرمل بكل لهفة حيث تكوّن جزءاً هاماً من غذائها.

تنتشر الحنفاء على السواحل المغربية على الواجهتين المتوسطية والأطلسية، ومجال وجودها يمتد من الحدود الجزائرية - المغربية حتى أبعد نقطة في السواحل الصحراوية لبلادنا، كما أن دراسات أثبتت توالدها في منطقة غير بعيدة عن مدينة القنيطرة.

Anonyme, *Sea Turtles of the world, FAO species catalogue*, vol. 11, 81 p., 1990 ; L. Laurent, Mouira S., N'M. Bradaï et J. Lescure, *Tortues marines en Tunisie, en Algérie et au Maroc méditerranéen*, W W F / Fond Mondial pour la Nature Projet n° 3937.

محمد منيري

الحنَّاء، أو الحنَّة" أو "الحناءة" بالعربية أو "نَخُو" أو "يرنّة" بالأمازيغية، تسمى علميا لَفْسُونْيا إينرميس Lawsonia inermis وهي من فصيلة الحنائيات Lythraceae. شجرة صغيرة يبلغ ارتفاعها أربعة أو خمسة أمتار إذا لم تقطع، لكنها لا تتجاوز في علوها المتر أو المتر والنصف في الحقل لأنها تقطع مرتين في العام بعد أن تقطع للمرة الأولى بعد ثلاث سنوات من عمرها. أوراقها بسيطة تشبه في شكلها وحجمها أوراق الرّمان والريحان.



يقع الموطن الأصلي للحناء ما بين مصر والهند مروراً بشبه الجزيرة العربية وإيران وباكستان وأفغانستان حيث عرفت مزاياها بهذه المناطق منذ أقدم العصور. فزرعت وانتشرت زراعتها بالمناطق الحارة وشبه الحارة بإفريقيا وآسيا وذلك للزينة والصبغة المستخرجة من أوراقها.

يعتبر إنتاج الحناء في المغرب من أهم المحصولات الزراعية بالواحات الموجودة جنوب الأطلسين الكبير والصغير من فكيگ إلى آسَّا مروراً بتافيلالت ودرعة. وهي من الصبغات الثابتة، تستعمل دواء لبعض الجروح والأمراض الجلدية.

ويجب قبل أن تستعمل أوراق الحنّاء أن تجفّف بعد قطعها، ثم تطحن، ويجعل منها عجينة تطلى على أيدي أو أرجل أو شعر النساء فتعطيها لونا برتقاليا أو أحمر أو أشقر وذلك حسب الكمية المستعملة. كما تستعمل ضد قشرة الرأس ولصباغة اللحية والحواجب والأظافر والأوشام وغير ذلك من وسائل الزينة الشخصية ولتليين الجلود وجعلها متينة.

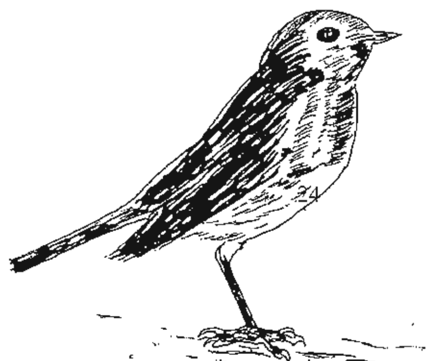
أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

أبو الحنّـاء، طائر صغير القد من رتبة الجواثم وفصيلة الشحروريات، يدعى هكذا لشدة حمرة ريش صدره وعنقه. يسمى علميا Erithacus rubecula وبالفرنسية Rouge gorge وبالانجليزية Robin بالاسبانية Petirrojo وبالعربية الدارجة "بُوحَنّا" وبالأمازيغية "أزگاغ ودمر" و"أزگاغ وُول".

يتشابه الزوجان في ألوان الريش وفي الحجم. ريشه بني مخضر على رأسه وظهره وجناحيه وذيله، وأحمر برتقالي جهة العنق والصدر وأبيض على مؤخرة البطن. المنقار والقوائم بنية. طوله جمعا بين الرأس والذيل 13،5 ـ 14 سم.

يتغذى من الحشرات وخاصة منها التي تطير كالذباب الذي يلتقطه عند الطيران ويألف الغابات والأدغال والبساتين، وهو طائر شديد التستر.



أبو الحناء

يحدد الزوج منطقة عيشه ويمنعها على سواه ابتداء من شهر شتنبر. يدافع عنها في حالة اقتراب زوج آخر من منطقته ويعيش مع زوجته فيها طوال فصل الشتاء، وتبتدئ مرحلة التوالد في مارس فيبني عشه وسط الأدغال الكثيفة الأغصان وبداخل الجحور الموجودة في جذوع الأشجار. تلد الأنثى عادة 4 ـ 6 بيضات ونادراً 9 بيضات لونها أبيض ملطخ بالأحمر ويبلغ قطرها 20 x 15،5 ملم. تحضنها الأنثى وحدهــا 12 ـ 15 يوما وتغادر الصغار العش بعد أسبوعين.

يقتصر توزيعه الجغرافي على دول حوض البحر المتوسط وأوروبا الوسطى والشمالية، ومنه عدة مجموعات تهاجر في فصل الربيع إلى شمال أوروبا بالتوالد. ويوجد أيضاً في آسيا الغربية.

إنه طائر شائع في المناطق الجبلية والساحلية الممتدة من الأطلس الصغير إلى شمال البلاد، ومنه عدة مجموعات تأتي من أوروبا لتشتو في المغرب ثم تعود عبر جبل طارق ابتداءً من شهر مارس. إنه نادر في المناطق الصحراوية التي قليلا ما يزورها في فصل الشتاء.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية*، بيروت، 1988.

C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1977, p. 272 - 273 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East.* London, 1984, p. 252-253.

محمد رمضاني

يوم الحناء هو اليوم الثالث من أسبوع الزفاف بمنطقة وادي نون يقوم خلاله أهل العروس بتحضير إناء من الحناء التي خلطت مع نسبة كبيرة من الماء ترفق معه مأدبة غذاء جاهزة ويحملان إلى دار العريس التي تعود إليها العروس صباح هذا اليوم حيث ستجرى الطقوس المرتبطة بالحناء، والتي يعتقد أنها تعمل على إطالة عمر العلاقة الزوجية أو تساعد على تفادي السلبيات التي يمكن أن تنتج عن تعايش الرجل والمرأة (Mauss, 173) تطلى أثناءها يدا العروس ورجلاها بتلك الحناء لمدة قصيرة فقط لأنها تعتبر في هذه الحالة فألاً وليست زينة. ويتكرر هذا الطقس في مناطق عديدة بالمغرب، مع تقارب مهم وواضح في الدلالات التي تكتنزها المضامين الرمزية ؛ فالحناء تجنب الفأل السيء عن المرأة، كما يفترض في تلك التي تتولى مهمة وضع الحناء على العروس ألا تكون طالقاً أو تزوجت أكثر من مرة حتى لا تتعرض العروس لنفس المصير (Westermark, 202)، وحين تنتهي من ذلك يأتي الأطفال ليأخذوا بعض الحناء من على يدي العروس ورجليها أو كما يقال "إحُوصُو لحنّا" لأن ذلك يترجم مفاهيم الخصوبة والنسل الكثير والرغبة في إنجاب طفل ذكر، فعبر الحناء يتم الإنتاج الرمزي للقيم الاجتماعية، فهي تطرد الجن، وتبعد العين عن البيت وكل الممتلكات الثمينة، كما أنها تحفظ هذا الرباط الزوجي الذي يشهده الجميع (Puigaudeau, 11) ويتم إشهاره واستهلاكه عبر الطقوس الاحتفالية، كما تشارك النساء والفتيات العروس في هذه الحناء ويسعين إلى إبطائها في أيديهن بتعريضها للحرارة حتى تسود، وذلك من أجل نيل بركة

العروس، كما أظهر جاموس أيضاً عند قبائل الريف (Jamous, 272). نرى إذن أن مكونات هذا الطقس بوضح الصفة المقدسة للالتزام، بحققه الاحتفال عبر المشاركة والمراقبة الاجتماعية (Labrusse, 512).

R. Jamous, *Honneur et Baraka : les structure traditionneles dans le Rif*, Paris, 1981 ; C. Labrusse, *Mariage, Encyclopédia Universalis*, Vol. 10, Paris 1962 ; M. Mauss, *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967 ; O de Puigaudeau, *Arts et coutumes de Maures, H.T.*, Vol. XI, 1970 ; E. Westermarck, *Histoire du mariage*, Paris [s.d]

أحمد بوماني

الحنّاوي، محمد بن سالم السلاوي، فقيه عدل وُصف بالتقوى والزهد. وكان مؤدباً للصبيان بداخل مدرسة أبي الحسن المريني بطالعة سلا. وله خط جميل يتولى به نسخ الكتب. كان سنة 1249 من عدول سلا المبرزين، وتوفي سنة 1325 / 1907 عن سن عالية. وتجدر الإشارة إلى أن من أشهر البساتين بسلا "سانية الحنّا" ولعل الحناويين أصحابها أو منسوبون إليها. وقد انقرضوا اليوم.

م. بن علي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 52 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، ص. 57 ؛ *كناشة الحاج أبي بكر الصبيحي*، مخطوط، خ. ص. ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية* : رسوم ووثائق شخصية.

أولاد **حنّون** فريق من الصفافعة قبيلة بني حسن القاطنين بالشمال الشرقي من إقليم القنيطرة في الجماعة القصبية حسب التقسيم الجماعي الأخير (1992) . كان أولاد حنون يعدون في الصدر الأول في القرن الرابع عشر (20 م) بنحو 200 خيمة (أسرة) وقد تولى أمرها عدد من القواد الحنونيين :

الحنّوني، إدريس بن بوسلهام كان سنة 1328 / 1910 قائداً بدلاً من موسى الحنوني آتي الترجمة. وكان لا يزال كذلك في عهد الحماية التي أضافت إليه فخذتي الرسوم وأولاد عبد الله الصفاعيين.

الحنّوني، إدريس (الحاج -) بن يحيى، ولي القيادة على أولاد حنون إثر وفاة أبيه الحاج يحيى. واستمر في منصبه إلى أن أدركته الوفاة سنة 1312 / 1894م.

الحنّوني، العربي بن الحاج يحيى هو الابن الثالث للقائد الحاج يحيى آتي الترجمة، وكان آخر أولاده في الولاية. وقد عين بعد أخيه معمّر بحيث كان قائداً سنة 1322 / 1904. وكان لا يزال سنة 1327 / 1909 في منصبه الذي نافسه عليه موسى الحنوني منذ سنة 1326 / 1908.

الحنّوني، معمّر بن يحيى استعمل على إخوانه سنة 1312 / 1894 بعد أخيه الحاج إدريس. ومكث في منصبه إلى سنة 1318 / 1900 التي لعلها كانت سنة وفاته.

الحنّوني، موسى كان سنة 1326 / 1908 قائداً على طرف من أولاد حنون حسبما ذكره العربي بن الحاج يحيى الذي اشتكى من تعسفاته على إخوانه. لكنه لم يمكث في الولاية مدة طويلة، إذ سرعان ما عين إدريس بن بوسلهام على كافة أولاد حنون.

الحنّوني، يحيى (الحاج -) هو أقدم أولاد حنّون ولاية، أتى ذكره متولياً عليهم منذ سنة 1267 / 1850. ولعله كان آنذاك شيخاً لقومه أو مجرد واحد من الوجهاء. وقد ورد وصفه بالقائد سنة 1295 / 1878 لمّا وجه السلطان إليه وإلى قواد بني حسن رسائل يأمرهم فيها بالعمل على حفظ الطريق الذاهبة من سلا إلى شمال المغرب وشرقه. وقد استعمل على قومه طيلة ثلاثين سنة، إلى أن وافته المنية حوالي 1302 / 1884. وقد خلف أولاداً في الولاية هم الحاج إدريس ومعمّر والعربي المذكورون أعلاه.

م. بوشعراء، *علاقة المخزن بأحواز سلا : قبيلة بني حسن*، 1860-1912، ص. 99، 114، 116، 119 ؛ *التعريف ببني سعيد السلاسين*، ج 2، ص. 170.

مصطفى بوشعراء

با **حنيني** (أسرة) ← **بَاحنيني**

ابن **حُنيني، محمد** بن أحمد الزَّراري ثم التازي نسبة لزرار حوز مراكش، ذكره الشيخ التاودي ابن سودة في *فهرسه* ضمن شيوخه. وكانت تربطه بالشيخ عبد العزيز الدباغ صاحب *الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز*. علاقة متينة ومتميزة، إذ هو عمدته ووارث سره. ويحكي عنه الحوات في *الروضة* قوله : "ومما مَنّ الله به علي أني لما التقيت مع شيخنا الإمام الغوث الهمام مولاي عبد العزيز بن مولاي مسعود الدباغ، كان قلبي متعلقاً جداً بأمور الدنيا من حرث وتجارة ونحو ذلك. كنت من ذلك في غاية الكدّ والتعب. وكانت الدنيا هي المقصودة، والآخرة أضغاث أحلام. وكنت ممن رزقه الله شيئاً من العلم، وعزمت على أن أدخل في زمرة العدول، أو السعي في تولية خطة القضاء، والعياذ بالله، فرحمني الله عز وجل حين لقيته، وطهّر الله قلبي وذلك ببركته وحسن سياسته" وحسب هذه الرواية فقد أمره شيخه عبد العزيز الدباغ ببيع ما عنده من الثيران وغسل قلبه من الفلاحة، كما أمره ببيع ما عنده من الكتب والتجرد إلى الله تعالى.

كان لمحمد ابن حْنيني إخوان في الله وأتباع سالكون طريق السنة مجانبون الابتداع، أورثه سره الشيخ عبد العزيز، فراج عنه في الخلق من معارفه الخالص الابريز وكثر قاصدوه من كل بلد وأخذ عنه أخذ انتفاع قوم ذوو عدد.

توفي سنة 1153 / 1741 بمدينة تازا وضريحه زاوية يقصدها الزوار.

التاودي ابن سودة، *فهرسة*، مخطوط : س. الحوات، *الروضة المقصودة*، 393 ـ 394.

عبد العزيز تيلاني

الحوالات الحبسية، سجلات تضم الوثائق الحبسية فتشمل أسماء الأملاك الحبسية وأنواعها وأماكن وجودها ورسوم ملكيتها وتحبيسها وأسماء محبسيها، وطرق استغلالها ومداخيلها ونفقاتها على المساجد والمدارس والمشاريع الاجتماعية المتنوعة، إلى غير ذلك من الوثائق ذات الصلة بالأوقاف.

ويعتقد أنها سميت بالحوالات الحبسية لأنها أصلا وثائق وقفية حُولت إلى سجلات تجمعها، أو لعلها آتية من الحول بمعنى العام لملاحظة أنها تتجدد كل سنة في أكثر الظروف التي مرت بها الأوقاف، كما أنها تتعرض باستمرار للمراجعة والتتبع، الأمر الذي يدل على اشتقاقها من الحول أو من التحويل، لأن وثائق التحبيس تحول وتنقل لهذه الدفاتر.

ولا يعرف بالتحديد متى بدأ تدوين الحوالات الحبسية، إلا أنها عرفت بالمغرب منذ العصر المريني، غير أن أقدم الأصول الباقية منها إنما تعود للعهد الوطاسي ومنها "حوالة أحباس فاس العليا" و"حوالة أحباس المارستان بفاس"، وهما يعودان تاريخيا لسنة 905، والجزء الأول من "حوالة أحباس القرويين" بتاريخ 961.

ويعتبر العصر العلوي فترة تنظيم ـ أكثر ـ لهاته الحوالات، خاصة في عهد مولاي إسماعيل الذي أمر بإحصاء الأملاك الحبسية في كل البلاد، وتقييدها في سجلات خاصة عرفت بالحوالات الحبسية الإسماعيلية.

أول اهتمام بالحوالات الحبسية تناول حوالة أحباس طنجة فتم نشرها سنة 1914 مصورة في نصها العربي (330 لوحة) بعناية الفرنسي "ميشو بيلير".

ومن الذين اعتمدوا الحوالات الحبسية، عبد الرحمان ابن زيدان الذي استغل الحوالات الخاصة بمكناس بشكل كبير في تاريخه *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة فاس*، سواء فيما يتعلق بالتراجم أو بالأخبار التي أوردها عن مدينة مكناس.

وقد استخدم محمد المنوني الحوالات في بعض كتاباته كما جاء في مقاله عن *مكناس عبر أربعة عصور*، وولجت الحوالات في السنين الأخيرة قطاع الدراسات الجامعية، فاستغلها أحمد التوفيق في كتابه عن *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، ومحمد مزين في رسالته عن *فاس وباديتها 1549 ـ 1637*، ومحمد اللحية في رسالته حول *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*. ومع ذلك مازال الحوالات الحبسية لم تدرس دراسة مفصلة ولم يعن بها أحد ـ فيما نعلم ـ ولا تصدى لبحثها باحث.

وتوجد بالخزانة العامة بالرباط مصورات على الشريط لمعظم الحوالات الحبسية المغربية في 75 مصورة تحدث عنها محمد المنوني في مقال له بمجلة *البحث العلمي*، لكن مازالت بالنظارات الجهوية ثروة هامة من الحوالات غير مصورة. وأخرى في بعض الخزانات، منها بخزانة القرويين بفاس قطعتان من حوالتين فاسيتين قديمتين الأولى تحمل رقم 399 والثانية رقم 395، و"حوالة أوقاف مدينة القصر الكبير" التي جددت عام 1284 وتحمل رقم 780.

من خلال الوثائق المدونة بهذه السجلات تتناثر معلومات بالغة الأهمية عبر الفترات المنوه بها، فتكشف ـ في بلد الحوالة ـ عن أسماء الخطط والآثار والأشخاص والأسر، علما بأن عددا من هذه صار غير معروف. كما تحتفظ الحوالات بمعلومات عن نظام التسيير لقطاع الأوقاف وأسماء القائمين به ومرتباتهم، فضلا عن الأنظمة الدينية والتعليمية والاجتماعية للمساجد والمدارس والمؤسسات الاجتماعية المندثرة. هذا إلى أن كثيرا من وثائق الحوالات يثبت بها تسلسل عدد من العائلات المغربية، مع مجموعات من أسماء الشهود والقضاة وتوقيعاتهم بأشكالهم المعقدة، مضافا لذلك بعض لوائح الكتب الموقوفة على المؤسسات التعليمية، ومجموعات الفتاوى مذيلة بأسماء المفتين، كما تقدم الحوالات الحبسية صوراً للأخلاق الشعبية في مجال البر والإحسان بواسطة مضمون تحبيسات الأفراد على مختلف المشاريع الإنسانية.

تحدث أحمد التوفيق عن حوالة أحباس دمنات قائلا : "وهذه الوثيقة، رغم صغر حجمها، مثال على ما للحوالات الحبسية من أهمية في تاريخ البنية الحضرية لحواضر المغرب، وفي إعادة تصور ولو جزئي للمنظر الزراعي بالنسبة لبواديه" (*المجتمع المغربي*، ص. 25 ـ 26).

هكذا يبدو أنه بالرغم من الصبغة الوثائقية شبه المتخصصة للحوالات الحبسية (رسوم ملكيات، رسوم تحبيس، عقود شراء، بيع إحصاءات) فهي تحوي معلومات كثيرة دقيقة ومتنوعة حول جوانب حضارية مختلفة، وتزداد أهمية الحوالات ـ كمصدر ـ عندما نجدها تهتم بمناطق ونواحي تشكل عناصر ثانوية في زحمة اهتمامات "المؤرخ التقليدي (أو الرسمي) الذي يهتم أول ما يهتم بالأحداث السياسية الكبرى التي لها ارتباط بالسياق التاريخي الذي ينصب أول ما ينصب على تاريخ الدول والأسر المالكية وما يندرج تحت هذا المعنى، فهي تقدم مجموعة من المعطيات المرقمة والمحددة لملكيات المساجد والزوايا والمؤسسات

الإحسانية والمارستانات. كما أنها توفر - من جانب آخر - مجموعة متكاملة من المعطيات في سجال زمني واسع يعطي إمكانية المقارنة بين فترات مختلفة.

حوالات أحباس مدن مكناس وفاس وطنجة ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 1 : 130 ؛ *مجموعة المصادر التاريخية المغربية*، *مجلة البحث العلمي*، عدد مزدوج 20 . 21، السنة 1972 . 1973، ص. 86 . 89.

رقية بلمقدم

الحوامض، تشمل الحوامض أو "الموالح" أو Agrumes بالفرنسية كل الأنواع الشجرية أو الشجيرية لفصيلة الروتاسيات Rutaceae. ومنها أنواع الليمون (انظر حامض) والمَانْدرين والكْليمُونْتِين والبَامْبْلُمُوس والنارنج والترنج (انظر ترنج).

وهي أنواع شجرية أو شجيرية، بعضها قليل الأشواك، ولها رائحة عطرية، مستديمة الخضرة. أوراقها بسيطة أو شبه مركبة. أزهارها بيضاء أو مائلة إلى اللون الأرجواني، مفردة وذات رائحة عطرة وغزيرة الرحيق. ثمارها لبية تعرف بالبرتقالية غزيرة العصير نظراً لوجود أكياس عصارية.

الموطن الأصلي لجميع الأنواع البرية من الحوامض هو شرق آسيا وجنوبها. وقد استؤنست بعض الحوامض وزرعت منذ زمن بعيد جدا، قد يزيد عن ثلاثة آلاف سنة، فالترنج زرع في الحدائق المعلقة المشهورة في بابل لاستعماله في ماء الاستحمام والدهانات. ثم أدخلت الحوامض إلى المنطقة المتوسطية ومناطق أخرى حارة أو معتدلة من العالم، حيث أصبحت الآن من المحصولات الهامة.

جنس سِيتْرُسْ غني بالأنواع التي يزيد عددها عن المائة بالإضافة إلى السلالات التي نتجت عن التهجين كالكْليمَانْتين الصادر عن أبوية المَانْدَرين والنرنج (البرتقال المر) بعد العملية التي أجراها الأب كْليمُونْ Clément بمنطقة وهران. إنها أنواع وأصناف كثيرة لكن القليل منها ذو أهمية اقتصادية.

تغرس الحوامض بالمغرب على نطاق واسع في السجول المسقية لتْريفة وسايس والغرب ودكالة وعبدة وسوس، حيث تنتج كميات كبيرة من الفواكه التي تستعمل للأكل محليا أو للتصدير، أو للعصير أو لصناعة المربى. ويعتبر المغرب من أكبر مصدري الحوامض بالمنطقة المتوسطية. إذ يصدر البرتقال والكليمانتين للسوق الأوربية والروسية والبلاد العربية مما يمكن المغرب من الحصول على كميات وافرة من العملات الصعبة.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، ترجمة د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

الحُوت، السمك لغةً، وقد غلب على الكبير منه، والعامة في المغرب لا تفرق بين الحوت والسمك. وبالنسبة للمختصين في علم الحيوانات الحوت والحوتيات والحيتان Cetacea رتبة من الفقريات اللبونة تعيش في البحار، منها الدلفين والأركة وجمل البحر والبال والعنبر والهركول.

تحاكي هذه الحيوانات الأسماك في شكلها إذ تتوفر على زعانف ورأس ثابتة لا تتميز عن الجذع إلا أن هيكلها العظمي ووظائفها الفزيولوجية تقربها من الثدييات البرية. الجسم منعدم الحراشف ويغطيه جلد عار توجد تحته دهنية سميكة تحمي الحيوان وتعزله عن التغيرات الحرارية الخارجية. ينتهي الجذع بزعنفة ذيلية عريضة وقوية وضعها أفقي تُساعد على السباحة. تحولت القائمتان الأماميتان إلى أعضاء سباحية ذات وظيفة استقرارية. تتوفر كل قائمة على خمسة أصابع.

تتنفس أنواع الحوتيات بواسطة رئتين كبيرتي الحجم بسبب متطلبات البيئة التي تعيش فيها وإضافة إلى ضعف حاجة المناطق الدماغية إلى الأوكسجين تختزن هذه الحيوانات كمية كبيرة من الهواء، تمكنها من الغوص تحت الماء أقصى ما يمكن من الوقت. تسبح عادة غير بعيد عن سطح البحر وتغوص إلى أعماقه تتعدى 1500 متر. يدخل الهواء من المنخار الموجود فوق الرأس به ثقبة أو ثقبتان حسب الأنواع. تبقى هذه الثقب محكمة الإغلاق خلال الغوص وعند ما يطفو الحيوان يقذف النفس بقوة تثير الانتباه حيث يتكوّن مع ملامسة الهواء البارد انبجاس مائي حقيقي يختلف شكله وحجمه حسب الأنواع.

تنقسم رتبة الحوتيات إلى مجموعتين :

أ . مجموعة ذوات الأسنان Odonticeta تتميز بثقبة واحدة على المنخار وبفـ ـ ـد بأسنان متساوية فيما بينها. يمثل هذه المجموعة في الشواطئ المغربية أحد عشر نوعا على الأقل، منها خنزير البحر Phocaena phocaena والأركة Orcinus orca والأركة المزيفة Pseudorca crassidens وخمسة أنواع من التخس أو الدلافين : Delphinus delphis، Tursiops truncatus، Stenella coeruleoalba، Seusa teuzei وGrampus griscus، ونوعان من البال Ziphius cavirostris وHyperoodon ampulatus ونوع Globicephala melaena.

تتميز هذه الحيوانات بخطم مستطيل يقوم مقام المنقار حيث يستعمل للبحث عن المأكولات وإمساكها، ويتكون قوتها اليومي من الرخويات والسرطانات والإربيان وباقي القشريات.

ب . مجموعة منعدمات الأسنان Mysticeta تسمى أيضا الباليات أو الأفاليات منها الهركول الأزرق Balaenoptera musculus والهركول الشائع B. physalus وهركلو رُودُلف B. borealis وجمل البحر أو

الكبع Megaptera novaeangliae والعنبر Physeter macrocephalus. تتميز هذه الحيوانات بثقبين على المنخار ويضم بداخله صفائح مقرنة مثلثة الشكل ومهذبة جانبيا. تشكل صفوفها مصفاة فعالة يمر من خلالها الماء فتحفظ بالأجسام الدقيقة الأرقيانوسية التي تشكل القوت اليومي لهذه الأنواع.

تعتبر أنواع الباليات من أكبر الحيوانات على وجه الأرض طولا ووزنا. يتراوح طولها ما بين 5 أمتار و33 مترا بالنسبة للهركول الأزرق. من المعروف عند هذه الحيوانات أن معظم الأنواع تهاجر من المياه الباردة الشمالية إلى المناطق المعتدلة الحرارة خلال فترة التناسل والولادة وتعد الشواطئ المغربية من أكبر الممرات لعدد كثير من الأنواع. في حالة المرض أو الاصطدام بالصخور أو البواخر تلقي الأمواج بالأفراد المصابة إلى الشواطئ.

تدوم مدة الحمل ما بين 8 و16 شهرا وذلك حسب الأنواع. تضع الأنثى صغيرا واحدا يبلغ طوله 4 أمتار بالنسبة لأنواع الهركول ومترا واحدا بالنسبة للدلافين. تبقى الأم ثابتة على جنبها لاتتحرك لتمكن صغيرها من الرضاعة والتنفس في آن واحد.

تعد الحوتيات من الحيوانات المهددة بالانقراض الناتج عن صيدها لاستغلال شحومها في الزيوت الصناعية وأكل لحومها. صيدها ممنوع في الشواطئ المغربية ونادراً ما تدخل بعض أفراد الدلافين وسط شباك صيد الأسماك فتموت على إثر عدم التنفس.

م. رمضاني، معلمة المغرب، الأركز، ج. 1، ص. 324، 325؛ البلين، ج. 3، ص. 1013؛ التخس، ج. 7، ص. 2299، 2300؛ الأمير مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة 1988؛ المعلوف أمين، معجم الحيوان، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

A. Bayed et P. C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc, Inventaire préliminaire*, *Mammalia*, 51, 3, 1987, 89 - 92 p. ; D. Lloris et J. Rucabado, *Guide d'identification des ressources marines vivantes du Maroc*, FAO, 1998, 263 p. ; M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc, Biodiversité, Biologie Ecologie et Biogéographie*, Expo 98, Rabat, 1998, 68 p. ; H. Moncle, *Deuxième note sur les Cétacés de la baie ibéro-marocaine*, *Bull. Inst. Pêche Marit.*, Maroc, 1967, (15) : 33 - 35 ; M. Menioui, A. Berraho, A. Idelhaj et A. Moumni, *Données récentes sur quelques mammifères marins et sur une tortue des côtes marocaines*, Rapp. Comm. Int. Mer. Medit., 34, 1998.

محمد رمضاني

الحوريات "Nymphae"، إن دور الكائنات التي تحمل في اللغة اللاتينية اسم "Nymphae" يتمثل في حماية العيون الطبيعية والحمات، بهذه الصورة تظهر عبادة الحوريات في مختلف الولايات اللاتينية القديمة.

وانطلاقا من الشهادات الابيغرافية يبدو أن النقائش المتعلقة بها قليلة في إفريقيا وذلك نظرا لانتشار عبادة الاله "نبتون" إله المياه العذبة والمالحة.

لقد انتشرت عبادة الحوريات خاصة قرب الحامات وأهمها حامة "Flaviana" بنوميديا، وأثبتت البقايا الأثرية التي عثر عليها أثناء التنقيبات بأن هذه الحامة كانت تتمتع بخاصية استشفائية وبالتالي فالعبادة التي خصصت لهذه الحوريات وللمياه من طرف المتعبدين كان الهدف منها الحصول على شفاء من أمراضهم العضوية.

وقد عثر على مختلف النقائش بداخل البلاد، الشيء الذي يدل على أن الحوريات اختصت في حماية المياه العذبة كما أثبتت ذلك الهدايا المقدمة لها، وهي عبارة عن قنوات ومعالم مائية (Nymphées) هذا فضلا عن كون عدد من الطوبونيمات التي عثر بها على الهدايا ما زالت تحمل حتى الآن اسم "عين" مثلا "عين موسى" قرب سطيف، وعين الشقور قرب وليلي.

وعادة ما نجد اسم الحوريات ملتصقا بأوصاف رومانية مثل "القدسات" "Sanctissimae" أو الفلافية "Flavianae" أو السبتيمية "Septimianae" الشيء الذي يدل على أن العبادة كانت تقام من طرف ممثلي روما، وهذا لا يعني أن الحوريات لم تكن وريثة القوى الليبية المشرفة على المياه في هذه المنطقة حيث الماء له قداسته.

إن آلهة المياه أو جنة المياه الليبية التي كانت مقدسة من طرف الأهالي استمرت تحت اسم الحوريات أو جنة النافورات ولكن عند تمسيح شمال افريقيا، أصبح لمصطلح "حوريات" الذي حملته النقائش، دلالة أدبية فقط، أي تعبير شعري من أجل الحديث عن الماء.

ويمكن القول إن توزيع النقائش الخاصة بهذه الكائنات غير متعادل، فأغلبها عثر عليها بنوميديا وخاصة بحومة Flaviana كما رأينا. وفي المغرب القديم عثر على نقيشة واحدة بعين الشقور قرب وليلي وهي عبارة عن إهداء موجه للحوريات ولجنة المكان (*IAM*, 2, 822) من طرف أحد الولاة.

ولم يغفل الأفارقة تمثيل الحوريات فوق الفسيفساء، فالحوريات التي ترمز للقوى الطبيعية المترفة على الخصوبة، تتوفر أيضا على خاصية حمائية (Valeur bénéfique) أي الحماية من القوى الشريرة وهذه الخاصية نصادفها في إحدى فسيفساء مدينة Althiburos (*IMGA* II, 575) وسوسة (*IMGA* II, 138). وتجدر الإشارة إلى أن عدداً كبيراً من صور الحوريات عثر عليها بافريقيا سواء فوق الفسيفساء أو التماثيل، ولكن يصعب معرفة المضمون الاركيولوجي الذي وجدت فيه.

وقد حاول بعض الباحثين (R. Ginouvès) إقامة علاقة بين الحوريات وطقوس الزواج. فالحوريات تبدو بمثابة حاميات للزواج، فعادة ما يطلق على الفتيات المتزوجات اسم "حوريات" لأنها تدخل في علاقة تزاوج من أجل الإخصاب.

إن ما يمكن أن نستخلصه هو كون الحوريات اختصت بمجال المياه العذبة في هذه المنطقة من العالم الروماني والتي كان فيها للماء قيمة كبرى، كما أن عبادة الحوريات وجدت بدون شك قبل مجيء الرومان واستمرت خلال الوجود الروماني وحتى بعده ولكن تحت أشكال مختلفة.

J. Toutain, *Cultes païens dans l'empire romain*, p. 380 - 382 ; J. Birebent, *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romain dans l'Est Algérien*, Alger, 1962 ; J.P. Darmon, *Nymphorum Domus : les pavements de la maison des Nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden 1980 ; Darember et Saglio, *DAGR*, p. 124 - 127 ; *CIL* VIII, 17722, 17723, 17727 ; 4322 ; 2662 ; *AE*, 1910, 156; *AE*, 1928, 36 et 37 ; *IAM*, 2, 822.

عبد العزيز بل الفايدة

الحوز، مصطلح جغرافي يعني الضاحية. وفي المغرب حوزان مشهوران : صغير في الشمال هو "حوز تطوان" وكبير في الجنوب هو "حوز مراكش".

حوز تطوان، منطقة على البحر المتوسط تسكنها قبيلة تحمل نفس الاسم "قبيلة الحوز" وفي سفح أحد جبالها تقوم مدينة تطوان. تحد غربا وشمالا بقبيلة أنجرة، وشرقا بالبحر المتوسط، وجنوبا بقبيلة بني حزمر زودراس، تضم فرقتين : - فرقة صدينة وتحتوي على تسعة مداشر هي : سمسة، بني عمران، الدشرين، صدينة، اجعباق، العلوية، الكدان، ترانت، واد أجلة. - وفرقة البحري وتضم 15 مدشراً وهي : القلاليين، الملاليين، بني سالم، السرور، العنصر، واد أليل، بلوازن، البين، الكوف السفلي، الكوف الفوقي، واد الزرجون، بوجميل، الكدانة، عين لين، جبل زمزم.

ينقسم الحوز الآن إلى ثلاثة أقسام : بلدية الفنيدق، جماعة سمسة (صدينة سابقا) سكانها حوالي 5.828 نسمة ومساحتها 75.85 كلم^2 ؛ وجماعة تغرمت سكانها حوالي 11.482 نسمة ومساحتها 255.15 كلم^2 بالإضافة إلى مدينة تطوان ومرتيل.

بنية الحوز الترابية يغلب عليها الصخور الكلسية، لهذا فهي تنتمي إلى الصخور الكلسية الليياتية، كما تحتوي على صخور دولوميتية وبلشية. وأهم جبالها الفحص وجبل البحار وجبل درسة وجبل عورغيز في الجنوب. يغلب على غطائها النباتي طابع الشوكيات خاصة الصنوبر بمختلف أنواعه مثل الحلبي والظلي وأشجار الفلين. أما الماطورال فيتشكل من العرعار والضرو على السفوح الشمالية الغربية. ونظرا للبنية وطبيعة الصخور والتربة فإن الفلاحة ضعيفة، تقتصر على البقول والخضر وبعض الفواكه والحبوب الموسمية البورية.

تعتبر شواطئ الحوز على البحر المتوسط من أهم المناطق السياحية في المغرب، فقد أنشئت فيها عدة منشآت على طول الشاطئ مثل مارتيل، والمضيق، والرأس الأسود، وسانية الطوريس، والفنيدق.

كانت المنطقة الشمالية الغربية في الماضي تنتمي كلها إلى قبيلة غمارة واليوم أصبحت مقسمة إلى قسمين، غمارة وجبالة. والحوز تنتمي إلى هذه الأخيرة. وأهم ما يميزها هو التشبث بالقيم الإسلامية والعادات الأصيلة والحمية الجهادية. وقد تحدث موليراس في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عن عدة جوانب في الحوز منها الجانب الديني وأشار إلى كثرة الزوايا فيه، وإن كان قسمها تقسيماً غريباً، كالزاوية التجانية والقادرية والناصرية والدرقاوية والتهامية الخ.

ساهمت قبيلة الحوز عبر العصور في الحركات الجهادية في الأندلس مع المرابطين والموحدين، وفي معركة وادي المخازن أيام السعديين، وفي محاولات تحرير سبتة وحرب تطوان. وبعد فرض الحماية الإسبانية على المنطقة شاركت قبيلة الحوز في الحركة السياسية والعسكرية لمقاومتها. حضر ممثلو الحوز في مؤتمر عين دالية سنة 1331 / 1913 وفي التجمع بضريح المولى عبد السلام بن مشيش في 14 شعبان عام 1331 / 20 يوليوز 1913 لتأليف المجلس الأعلى للمقاومة بإشراف أحمد الريسوني وقد بلغت المعارك التي دارت رحاها ضد الإسبان بالحوز ثمان عشرة معركة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1 وج 4 ؛ م. ابن عزيز حكيم، بطل جبالة حميدو ولد السكان، ص. 31 - 33 ؛ *الحياة ندوة علمية*، ص. 61 ؛ ع. العزيز خلوق التمسماني، جوانب من تاريخ جبالة المعاصر، 1996، ص. 101 ؛ *دار النيابة*، عدد 14 سنة 1978، ص. 54.

Yebala y el bajo Lukus, Madrid, 1914, p. 9 - 10 - 11 ; *Jbala Histoire et Société*, Paris, p. 458 - 459 ; A. Mouliéras, *Maroc inconnu*, II, 1899, p. 734 - 746.

محمد أخريف

حوز مراكش، هو السهل المحصور بين سلاسل الأطلس الكبير جنوباً وشرقاً والجبيلات شمالاً وهضاب حاحة وشياظمة غرباً. ويقع سهل الحوز بجنوب المغرب حول خط العرض 31° شمالا، وهو على شكل مثلث طول قاعدته الممتدة على طول السفوح الدنيا للأطلس الكبير 150 كلم وارتفاعه 55 كلم بنهايته الغربية حيث يبلغ السهل أقصى عرضه ويضيق في الوسط والشرق إلى 20 كلم. تبلغ مساحته حوالي 4.000 كلم^2. هكذا وُسع مدلول "الحوز" عندما شُرع في وضع الخرائط الإقليمية في بداية عهد الحماية. وكان الحوز قبل ذلك يطلق على البساتين المحيطة بمراكش، أي الضاحية الزراعية للمدينة، بينما كان يطلق على باقي السهل أسماء قبلية في معظمها.

بنيته الجيولوجية : يعتبر الحوز من سهول أقدام الجبال ويتشكل في غالبيته من مجموعة مخاريط انصباب وديان الأطلس يصل بعضها إلى ضفاف واد تانسيفت، بل إنها دفعت مجراه نحو الشمال، له ميل عام من أقدام الجبال : 1000 م نحو واد تانسيفت شمالا : 400 م، وميل معكوس

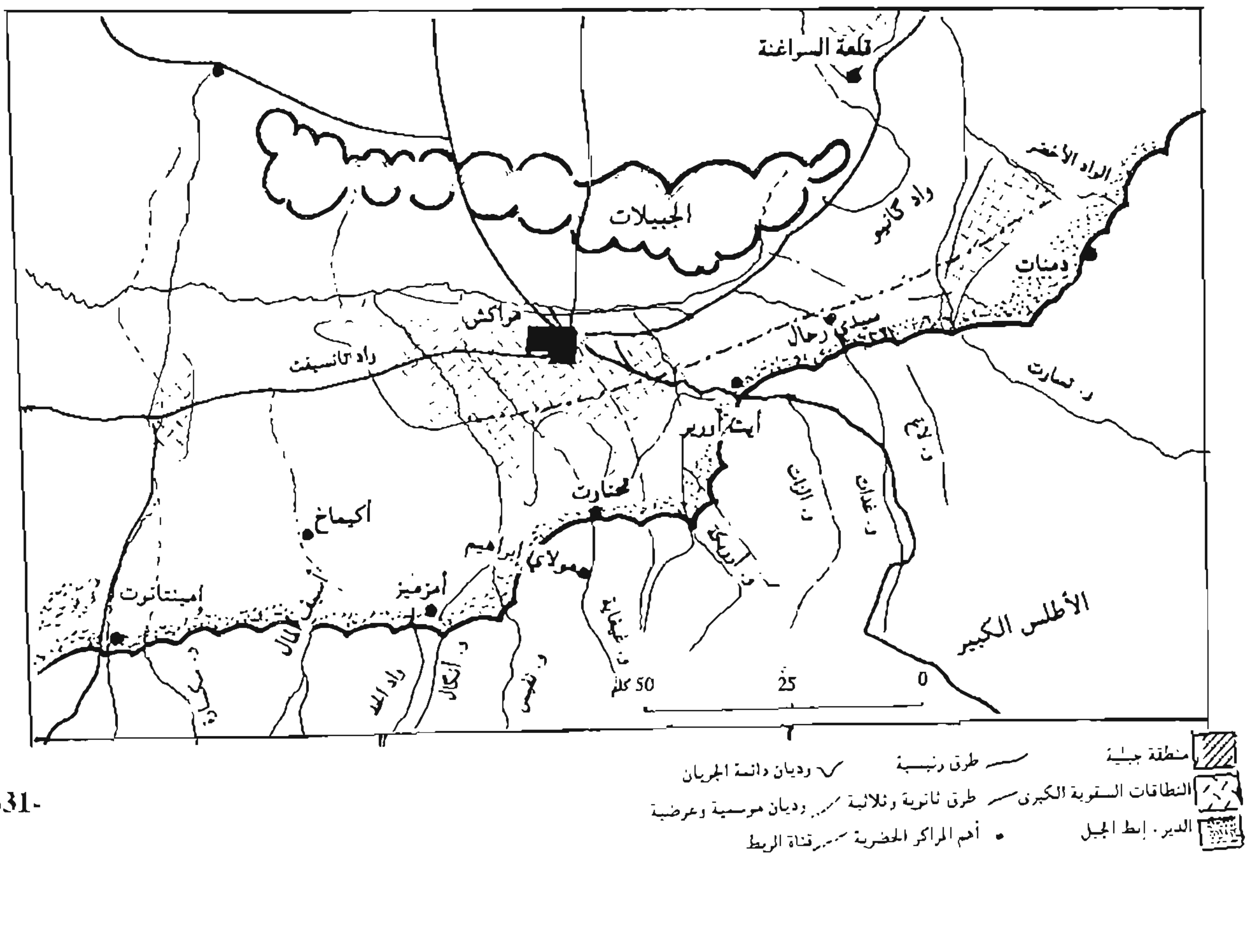
من واد تانسيفت إلى الجبيلات، وميل ثانوي خفيف بقعره من الشرق : 600 م إلى الغرب 300 م.

تتكون معظم أرضيته وتربته من الرواسب التي اقتلعتها وديان الأطلس من المجال الجبلي وغطت بها البنية السابقة لسهل الحوز.

يتكون من قاعدة قديمة للزمن الأول الجيولوجي : صخور غير منفذة : شيست وكوارتزيت وحث سوتها عوامل التعرية في نهاية الزمن الأول ج. ثم تراكمت فوقها خلال الزمنين الثاني والثالث طبقات رسوبية ذات سمك ضعيف غالبا من كلس الكريتاسي والطفل والطفل الكلسي أو الحتى ترجع للسينومانيان والتيرونيان كوّنت أحواضا تتميز بتقطعها خاصة بالجزء الغربي حيث تظهر محلياً أجزاء من القاعدة القديمة على شكل كتل منعزلة أهمها جبل جليز وتلال گماسة وتيورار غرب واد نفيس الذي يتكون من نجد مرتفع على شكل مثلث محصور بين فالقي تاحناوت جنوبا وأسوفيد بوسط الحوز، ذلك أن الحركات التهدلية التي تعرض لها بموازاة مع الحركات التكتونية التي رفعت جبال الأطلس لم تكن متساوية القوة بكل جهات الحوز مما جعل أجزاء من القاعدة القديمة تبرز على السطح وأخرى تنخفض وتتغطى بطبقات رسوبية غير سميكة. تعرضت هذه التكوينات الممتدة من الزمن الأول إلى الايوسين لتسوية أخرى حولتها إلى منخفض كوّن مزرابا لواد تانسيفت الذي يتلقى مياه كل وديان الأطلس بعدما انفصل عن واد أم الربيع وفتح طريقه غربا عبر هضاب حاحة نحو المحيط الأطلسي. ثم تراكمت فوقه في النيوجين والرباعي رواسب نهرية وقارية دقيقة وغليظة مما أدى إلى تنوع تربانه الزراعية حاليا. إذ نجد تربات سمراء دقيقة الحبيبات وأخرى تميل إلى البياض كثيرة الحجارة أو الرمال إلى جانب سطوح صخرية من الكلس المستنقعي. ويلاحظ عموما أن سمك هذه الرواسب ضعيف خاصة بالشمال عند قدم الجبال مباشرة خارج المخاريط حيث تظهر حادروات متنوعة الصخر ترجع للزمنين الثاني والثالث تظهر في عدم التوافق على شكل طبقات رسوبية ذات مكونات متنافرة من الحث والطفل والرصيص في الأعلى وأحيانا شيست الزمن الأول تغطيها جزئياً أو كليا رواسب مخاريط نيوجينية ورباعية قديمة وحديثة متراكبة ومتداخلة ترتبط بمختلف الفترات المناخية التي عرفها جنوب المغرب، تقطعها الوديان الأطلسية وقد تتعمق فيها خاصة عند مخارجها من أوديتها الجبلية، وتمتد بعض المخاريط إلى واد تانسيفت وتتصل فيما بينها كما يلاحظ في وسط الحوز وهي تغطي في جهات متعددة حفرا عميقة ومجاري رملية قديمة للوديان تكون اليوم أفضل خزانات للمياه الجوفية.

يسود الحوز مناخ متوسطي شبه جاف قاري نسبيا يتميز بقلة الأمطار عموما واضطراب سقوطها من سنة لأخرى يتراوح معدلها : 300 . 170 ملم / سنة وضعف رطوبته يبلغ معدلها في مدينة مراكش 242 ملم / سنة (علو 470 م) وشيشاوة 175 (340 م) وترتفع المعدلات المطرية في محطات الدير المرتفعة نسبياً إلى 324 ملم / سنة في إمينتانوت (علو 880 م) و437 في تحناوت (925 م) و346 في أيت أورير (660 م) و525 ملم / سنة في دمنات (علو

حوز مراكش



950 م) يتعرض للرياح الشمالية الغربية الرطبية وأحياناً إلى رياح غربية وجنوبية غربية وترتفع حرارته صيفا خاصة عند هبوب رياح الشركي الجنوبية " 39 يوما كمعدل. يبلغ معدل حرارته 19،8 (يناير 11،5 وغشت 28،8) لكنه يعرف درجات عليا + 40 كما تعرف بعض لياليه شتاء الصقيع.

النباتات الطبيعية : سهبية تتلخص في أعشاب حولية قصيرة وشجيرات السدرة الشوكية والدرم في الدير ونباتات أخرى ثانوية مرتبطة بقعور وسرير الوديان مثل الطارفة والطلح والصفصاف والدفلة...

السكان : تدلّ قرائن عديدة على أن الجبال أسبق من السهل إلى التعمير والاستقرار. تطورت كل مجموعة في واد، وكان سهل الحوز مجالا رعويا خاصا بها وليس هناك ما يثبت قدم الاستقرار البشري به أو استمراره إذ أن أزمات الجفاف التي يتعرض لها كانت تناهض كل استقرار دائم. وكانت كل قبيلة جبلية تحرص على استغلال مياه واديها بأراضي الفم والمخروط وكذلك المجرى الأسفل لواديها بالسهل، وهكذا قسمت أراضي الحوز إلى شرائح تمتد من مخرج الوادي بالدير إلى منطقة اتصاله بواد تانسيفت. لكن بدأ هذا الوضع يتغير في عهد المرابطين بعد بناء مراكش وحرص حكامها على حماية مجالها الخلفي واستحواذ تدريجي على مياه الوديان. وفي عهد المرينيين ظهرت أولى طلائع بني معقل وبني هلال بغرب الحوز وشرقه تنازع قبائل هسكورة مراعيها بشرق الحوز. وتعزز هذا الاتجاه في عهد السعديين عندما أسكنوا حماتهم من أهل سوس والصحراء بالأراضي الواقعة بين مراكش وجبال الأطلس لتقييم خطر تدفق الجبليين على السهل، فأقطعوا أولاد بو السبع مجال سكسارة ونفيفة بالحوز الغربي ومجاط وثكنة بأراضي مروضة وأولاد امطاع والعرب على حساب گدميوة بغرب نفيس والرحامنة على حساب أهل نفيس وغيغاية وأوريكا بالحوز الأوسط. كما انتشر الراغنة بمعظم الحوز الشرقي. وتعزز هذا الوضع في عهد العلويين الذين أقاموا عدداً آخر من قبائل الگيش بأراضي الحوز ومخروط واد نفيس. ولحرص سلطات المخزن بمراكش على تأمين موارد المياه خاصة من نفيس وغيغاية وأوريكا فإنها صارت تحكم هذه الأودية مباشرة من طرف باشا قصبة مراكش. وبنمو مراكش توسعت حولها البساتين التي امتلكها أعيانها وامتدت صعودا مع الوديان إلى مخارجها كما تدل على ذلك كثرة العزبان وأسماء السواقي.

وبعد التوسع الكبير الذي عرفته المجالات المسقية في إطار التحولات الاقتصادية الحديثة والنمو الديمغرافي الكبير الذي عرفته المراكز الحضرية ازداد عدد السكان بسهل الحوز إلى أن بلغ في احصاء شتنبر 1994 : 2.243.000 منهم 782.912 حضريون منهم 672.506 بمدينة مراكش. فرغم وزن مدينة مراكش البشري ونمو المدن الصغرى بالدير وبالسهل فمازال الريفيون يكونون الأغلبية 65٪ من سكان سهل الحوز يتوزعون بتفاوت كبير. إذ ترتفع الكثافة كثيراً بالنطاقات السقوية العصرية ومخارج الأودية إلى 150 ن / كلم^2 وتنخفض إلى حوالي 40 ن / كلم^2 في المناطق البورية التي تعرف بعض دواويرها إفراغاً كما يلاحظ بدائرة سيدي بوعثمان شمال واد تانسيفت وبوسط الحوز الغربي ونجد گماسة.

الثروة المائية : نظراً لسيادة الجفاف فإن الأراضي بسهل الحوز تفقد قيمتها إذا حرمت من مياه السقي المستمدة من مياه الوديان الجبلية التي تستفيد من غزارة الأمطار والثلوج. وقد كان استغلال مياهها مثار نزاع بين القبائل الجبلية من جهة وبين قبائل الگيش بالسهل والسكان الحضريين بمراكش وسلطات المخزن من جهة أخرى. وهذه لائحة معدل جريانها السنوي وأهم معطياتها عند محطاتها بمخارج الأودية ولا يدخل بها الجزء السهلي الذي لا يساهم بشيء- مهم في تغذيتها بل غالباً ما تستنفد مياهها فيه بالسقي والتسرب والتبخر الذي يبلغ معدله بمدينة مراكش 2600 ملم / سنة.

وديان الحوز الغربي :

اسم الواد	طول مجراه الجبلي كلم	مساحة حوضه كلم^2	معدل أمطاره ملم / سنة	معدل جريانه السنوي مليون م^3
امينتانوت	19	146	472	11.5
سكسارة	35	573	562	63.1
أسيف المال	44	510	578	56.2
واد كر	22	150	616	11.4
أمزميز (أنكال)	20	115	546	21.5

يبلغ مجموع معدل جريانها السنوي 163،7 مليون م^3. ولكل واد نطاقه السقوي الذي يتميز بكثافة المزروعات العالية حيث تكثر الأشجار المثمرة وزراعة خفيفة بسافلته حيث يصبح السقي عرضيا ولا تصل مياهها إلى مستوى قاعدتها إلا نادراً. ونتيجة للتسرب الكبير لمياهها تظهر بعض العيون عند بعض الحافات أو بضفاف المجاري السفلى الجافة للوديان أهمها عين أباينو بمجال أولاد برالسبع معدل صبيبها السنوي 600 لتر / ثانية.

وديان الحوز الأوسط :

اسم الواد	طول مجراه الجبلي (كلم)	مساحة حوضه (كلم2)	معدل أمطار حوضه (ملم / سنة)	معدل جريانه السنوي (مليون م3)
نفيس	150	1700	560	160
غيغاية	36	324	676	58
أوريكا	46	575	760	180
اسيل	20	94	534	9
المالح	13	116	696	10
الزات	50	496	696	150
ترانا	24	110	600	15
غدات	50	550	700	120
لاغ	25	152	633	22

يبلغ معدل جريانها السنوي 724 مليون م^3 إلا أنه يتميز بعدم انتظام كبير، فالنسبة بين كمية جريانها السنوي الأدنى والأعلى تتراوح ما بين 1.22 بالنسبة لواد نفيس إلى 1.10 بالنسبة لواد أوريكا، لكل منها مخروطه ومجراه المستقل كليا أو جزئيا. ويلاحظ أن مجاريها لم تستقر بعد كليا لأنه يظهر بها عند كل فيضان نحت وإرساب وقرض للجوانب وحفر مجار جانبية جديدة بأسرتها العريضة.

وديان الحوز الشرقي :

اسم الواد	طول المجرى الجبلي (كلم)	مساحة حوضه (كلم2)	معدل أمطاره (ملم / سنة)	معدل جريانه السنوي مليون م3
تساوت	122	1500	656	370
تيديلي	15	113	546	20
إسيل	25	162	787	xx
الأخضر	117	2840	661	520

ينتمي تساوت والأخضر إلى حوض أم الربيع الذي تمكن من أسر واد تاساوت ورافده الأخضر الذي يعبر ممر گاينو ليصل إلى سهل قلعة السراغنة. يبلغ معدل الجريان السنوي 910 مليون م^3. تتميز بانتظام نسبي لمعدل جريانها السنوي، فالنسبة بين مجموع جريانها لأكثر السنوات جفافا وأكثرها مطرا هي 6.1 بالنسبة لتساوت و1.8 بالنسبة للأخضر. تتميز هذه الوديان بتعمقها فلا يبرز تساوت على السطح إلا في منتصف السهل كما يتعمق الواد الأخضر على طول مجراه مما يصعب استغلال مياهه.

تنظيم استغلال المياه بسهل الحوز : تكتسي هذه الثروات المائية أهمية حيوية بالنسبة للحوز الذي كان يستغل سابقا كمرعى شتوي للقبائل الجبلية ولم يستقر سكانه بقرى دائمة كبيرة إلا بعد إتقان أساليب الري وتنظيم مجالات السقي. وتتمثل ثروته الزراعية اليوم في زراعة مسقية تستفيد من منشآت مائية قديمة وعصرية. فكل واد يغذي عدداً من السواقي بلغ عددها في نهاية الستينيات 150 ساقية مجموع طولها 5000 كلم. ولكل ساقية شبكة من المصاريف على شكل عمود فقري سمكة. وجل السواقي الكبرى أنشئت من طرف سلطات المخزن أو بعض الزوايا أو أعيان المنطقة من شيوخ وقواد وشرفاء، يتطلب استمرار عملها صيانة مستمرة وحماية سلطة قوية، كما حفر به منذ قرون حوالي 1000 خطارة كان يعمل منها إلى عقد الثلاثينيات 650 خطارة بالحوز الأوسط وواد نفيس تكثر وتجود بمياهها خاصة بمجرى وادي نفيس وأوريكا حيث كان عمق الآبار 10-15 م. أما اليوم فقد جف معظمها بسبب الانخفاض الكبير لمستوى المياه الجوفية وصعوبة صيانتها وتعقد بنيتها العقارية لتوزيع ملكيتها بين ورثة كثيرين مجهولين أحياناً بالإضافة إلى عدد من العيون تكثر بالمصاطب الدنيا لوادي نفيس وتانسيفت لكن جف معظمها كذلك، وتقدر اليوم الحصيلة السنوية للمياه الجوفية بالحوز المستمدة من الخطارات والضخ الآلي بحوالي 300 مليون م^3 وهذا ما يجعل كميات المياه القابلة للاستغلال بالحوز تصل إلى حوالي 2100 مليون م^3.

وفي عهد الحماية بنيت منشآت مائية عديدة أهمها ثلاثة حواجز لتغذية السواقي أقيمت على وديان غيغاية وأوريكا وأنكال بالإضافة إلى سد للاتكركوست بحقينة 50 مليون م^3 كما شرع في حفر قناة الربط لجلب مياه الحوز الشرقي غير المستغلة إلى الحوز الغربي الذي كانت به نطاقات سقوية عصرية للمعمرين تحتاج إلى مزيد من المياه.

وفي عهد الاستقلال بنيت منشآت أخرى كبرى أهمها سد أيت عادل على واد تساوت : 230 مليون م^3 وسد أيت شواريت حقينته : 350 مليون م^3 بالإضافة إلى سدود حواجز تكميلية أهمها سد سيدي إدريس على الواد الأخضر 8 ملايين م^3 لتغذية قناة الربط التي أكملت ودخلت مرحلة الإنتاج في بداية الثمانينيات طولها 118 كلم صبيبها 20 مليون م^3 / تحمل سنويا إلى الحوز الأوسط 300 مليون م^3 منها 40 مليون م^3 لمدينة مراكش كما زيد في علو حائط سد تاكركوست 9 أمتار فارتفعت حقينته إلى 80 مليون م^3. وقد جرت العادة أن جل الرساتيق المسقية تسمى باسم الساقية التي ترويها مثل بلاد سعادة - بلاد تسلطانت - تمزكلفت - تارگة. يبرز بينها سواقي مشهورة لها تاريخ كالساقية اليعقوبية طولها 50 كلم والمنصورية والقايدية... خاصة بالحوز الشرقي. وقد تعززت المساحات المسقية في السنوات الأخيرة بحفر آلاف الآبار باستعمال الضخ الميكانيكي الذي أحدث ثورة وشكلا خطيراً إذ أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية كثيراً بـ 10-60 م وأكثر بل ونفادها في بعض الجهات.

ويلاحظ أن كل هذه المنشآت مازالت بعيدة عن تحقيق استغلال أمثل للمياه خاصة بالحوز الأوسط حيث تنعدم السدود لخزن المياه وتذهب مياه الفيضان الشتوي والربيعي إلى البحر، وبهذا لا تكاد الزراعة تستفيد بأكثر من 50٪ من كمية مياه الجريان السنوي. وفي الصيف عندما تشتد الحاجة إلى المياه تقل مياه الوديان بل يجف بعضها، ولهذا تحرص كل السواقي التاريخية الكبرى على أخذ مياهها صيفا من المقاطع العليا للواد التي لا تخرج عن الكيلومترات الأربعة الأولى من مجرى الواد بعد خروجه إلى السهل مما يثير نزاعات مع سكان قرى الدير الأعلى الذين يعتبرون الأسبقية في استغلال مياه الواد للعالية. كما استولى المعمرون في عهد الحماية على قسم وافر منها وأقاموا ضيعات عصرية كبرى بلغ مجموع مساحتها بالحوز 33.000. وتعيش اليوم منطقة الحوز تحولات بنيوية اقتصادية واجتماعية تتناول أساليب الإنتاج وتقنيات السقي ودمج الأراضي وتجديد المزروعات ورفع المردودية والإنتاجية. كما أدى تجديد شبكات الري وتكوين الضيعات العصرية على طول الطرق المعبدة وحيثما توفرت المياه إلى توسيع مجال الزراعة المسقية الذي يبلغ 160.000 منها 60 ألف تدخل في نطاق السقي العصري الكبير والصغير والباقي تقليدي بحيث مازال يتعايش بسهل الحوز أنظمة الري والإعداد المجالي التقليدية والعصرية. ويشرف على أنظمة السقي وإعداد المجال عدد من الأجهزة والمصالح الإدارية والتقنية أهمها المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي للحوز الذي يتحكم في إعداد 660.000 منها 220.000 قابلة للسقي والباقي قابل للزراعة وذلك بفضل عدد من المراكز التقنية والمحطات التي تراقب وتقدم خدمات عديدة بل صارت توزع الماء حسب قوانين جديدة. كما تلعب ضيعات صوديا وصوجيتا دوراً ريادياً في تطوير أساليب الفلاحة وزراعة منتجات جديدة وكذلك بعض الشركات الوطنية مثل "أونا" التي قامت بدور ريادي في زراعة القمح اعتماداً على السقي بالرش المحوري.

توسيع الملكية الحضرية ورسملة الإنتاج والعلاقات : تعرضت أراضي الحوز والدير في بداية القرن الرابع عشر (20 م) إلى منافسة قوية لامتلاكها من قواد الأطلس الكبير : الأكلاوي والكندافي والمتوكي الذين بسطوا نفوذهم السياسي على كل الحوز مكان عشرين من القواد الصغار السابقين الذين كانوا يقتسمون حكم الحوز وأملاكه خلال القرن الثالث عشر (19 م) لكن الباشا التهامي الأكلاوي استطاع الاستئثار وحده بحكم كل الحوز وديره الجبلي بعد سنة 1912 وامتلاك ما أراد من مياهه وأراضيه. وفي ظل الحكم الاستعماري ثبت القواد الكبار وأعوانهم ملكيتهم لما استولوا عليه من بساتين وأراضي الحوز، ومنهم من باع إلى المعمرين أولى ملكياتهم الكبرى بالحوز، ومنهم من حفظ ما استولى عليه مثل الأكلاوي الذي حفظ 12.00 وخليفته البياز 4.800 وغيرهما. واستأثر الأكلاوي بثلثي مياه ساقية تسلطانت التي تأخذ ثلثي الصبيب الصيفي لواد أوريكا وامتلك 8٪ من أراضي مخروط واد الزات و18٪ من مياهه، كما امتلك عزبانا كبيرة بالحوز الشرقي مثل بويدا : 1200 هـ وتمثل أخطر هجوم حديث للملاكين الحضريين على أراضي الحوز ومياهه في المعمرين الذين حصلوا على الأراضي بمختلف الوسائل وهم الذين فتحوا مسلسل الاستغلال الرأسمالي الحديث والري العصري خاصة بأراضي مخروط واد نفيس وتساوت وكونوا عدة نطاقات سقوية حديثة أهمها : السويهلة وتاملالت، بلغت مجموع مساحتها 45 ألف هكتار منها 20 ألف هكتار تدخل في إطار الاستعمار الحر و25 ألف في إطار الاستعمار الرسمي.

وعند شروع الدولة في استرجاع أراضي المعمرين وحجز أملاك الإقطاعيين المتعاونين بعد الاستقلال سارع هؤلاء إلى بيع أملاكهم وتصدى لشرائها الحضريون الذين حصلوا على أكثر من 50٪ منها، كما تحول الباقي لاحقا إلى ضيعات في ملك الدولة تسيرها شركتا صوديا وصوجيتا. وتزايد إقبال الحضريين على شراء الأراضي بعد إنشاء هياكل تقنية للاستغلال والتسويق والقرض الفلاحي وتشجيع الزراعة التسويقية وتنفيذ مشاريع الري الجديدة لأنهم يعرفون كيف يستفيدون منها أكثر من الريفيين. لقد صار اقتناء الحضريين لأراضي الحوز وسيلة لادخار أموالهم وحمايتها من التضخم. وباشتداد أزمة الفلاحة التقليدية واستفحال مسلسل تفقير الريفيين صار الملاكون الجدد يشترون القطع الصغيرة المجاورة ويدمجونها في ملكيات واسعة، بل صاروا يشترون حتى أراضي الكيش والجماعة والأراضي البورية المحجرة ويجهزونها بالضخ الآلي ويحولونها إلى ضعيات عصرية تهتم بالزراعات الشجرية والتسويقية، وهكذا عرفت الزراعة المسقية بالحوز توسعاً كبيراً في العقدين الأخيرين باستعمال الضخ الآلي الذي أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية بشكل خطير في جهات عديدة خاصة بمخروط واد نفيس مما عجل بإتمام قناة الربط وتوزيع مياهها عبر قنوات باطنية بجماعات نفيس بالرش قصد ترشيد المياه. إن انتشار الملكية الحضرية والزراعة المسقية خاصة بالحوز الأوسط أدى إلى تفجير البنيات التقليدية وتفتيت وحدة الحوز البشرية وتقليص علاقاته القديمة بسكان الجبال وبروز علاقات جديدة قوية بين كل مخروط مع مدينة مراكش مما أخضعه لهيمنتها المالية والتجارية والإدارية.

التقسيم الجهوي الفلاحي :

الدير والتحولات الحديثة : الدير هو شريط من الأراضي العالية بمنطقة اتصال السهل بالجبل اشتهر بغناه الفلاحي لتنوع مجالاته الزراعية ووفرة مياهه. لكن قرائن كثيرة تدل اليوم على تقلص أهميته الاقتصادية والبشرية وتمزيق وحدته، إذ تميز كل من حادورات الدير ومخاريطه يتطور

خاص. فالحادورات والمتون البينهرية عرفت تقلصا في ساكنتها وأنشطتها القائمة على الزراعة البورية والرعي وذلك لعدم اهتمام المسؤولين بتطوير الزراعة البورية وانخفاض مداخليها وتدهور إنتاجها في السنوات الجافة وضيق مجال الرعي بسبب توسيع الملكية الخاصة بالسهل وتقنين الرعي بالغابات وعجز المراعي عن تغذية كل المواشي التي ترتادها. أما المخاريط فقد تزايد سكانها ونمت قراها وتعقدت البنية العقارية لأراضيها بسبب التفتت الكبير وتقلص معدل الملكية إلى - 1 ومازال معظمها في حوزة السكان المحليين. أما الملكيات الواسعة نسبيا التي كونها الأعيان سابقا فقد تحول بعضها إلى حضرية بانتقال مالكيها الجدد من أبناء الأعيان إلى السكن بمراكش وغيرها من المدن، ويلاحظ أن الضخ الآلي مازال ضعيفا هنا لقلة المياه الجوفية وعمقها بأراضي الدير غير المستوية. لكن الدير عرف تدخلا آخر أدى إلى تضييق مجاله الفلاحي والضغط على سكانه هو تشجير الأراضي التلية والمنحدرات التي تتناول آلاف الهكتارات من الملكية الخاصة والعامة غرست بها أشجار اللوز البوري وغيره في إطار مشاريع حماية وإصلاح التربة D.R.S. ويلاحظ على مستوى التحولات الحديثة تباين تطور أقسام الدير الثلاثة :

- فالدير الأوسط ارتبط مصيره بالنطاقات السقوية بسهل الحوز الأوسط وصار أكثر انفتاحا وتطوراً تحول إلى ضاحية بقلية وحليبية وسكنية لمراكش وصار أكثر تمدناً باستقرار منشآت تقنية وإدارية واجتماعية واستبدلت منتجاته التقليدية كليا أو جزئيا بمنتجات حديثة : فواكه مشمش تفاح خضر وأعشاب طبية، كما توسعت به زراعة الزيتون وتربية الأبقار الحلوب وانتشر به السكن المتشتت وتوسعت قراه مما أفرز تمدّناً اجتماعياً وعمرانياً.

أما الدير الغربي الذي يتميز بجفافه وضعف موارده وبعده النسبي عن مراكش فإن الملكية الحضرية به منعدمة وزراعته تقليدية ومازالت قبائله تهتم بتربية المواشي وتستعمل النجعة الشتوية بأراضي الحوز القاحلة أو المستراحة، والهجرة هنا قوية إذ تعتبر أهم موارد الأسر.

أما الدير الشرقي فقد كان أقل سكانا وأكثر اعتمادا على تربية المواشي لفقر تربته وصعوبة استغلال مياه الوديان المتعمقة في مجاريها ومازالت الملكية الجماعية منتشرة، كما اجتذبت القطاعات السقوية الحديثة بالحوز الشرقي مهاجرين كثيرين مما أبقى على ظاهرة قلة سكانه.

الحوز الغربي : صار تابعاً في معظمه لإقليم جديد هو شيشاوة. ونظراً لجفافه - 200 ملم - وقلة مياهه وفقر ترباته وكثرة الأراضي المتحجرة والقشرات الكلسية فإن زراعته بقيت متخلفة تعتمد على زراعة بناصيبية للحبوب وتربية الماعز والأغنام التي تكون حوالي 70٪ من مداخيل الأسر. ومازالت أراضي الگيش والملكية الجماعية والهياكل القبلية قائمة والملكية الحضرية نادرة. أما الزراعة المسقية فتقتصر على مقاطع من الوديان خاصة بواد سكساوة وشيشاوة خاصة عندما تظهر بعض العيون بضفافها مثل عين ابّاينو كما ظهرت بعض الجيوب للزراعة المسقية المعتمدة على الضخ الآلي في بعض الأحواض التي تجمعت فيها تربة زراعية وتتوفر على مياه جوفية تنتشر بها زراعة أشجار الزيتون والقطنيات والحبوب. وقد اكتست مدينة شيشاوة أهمية كبرى بعد تحويلها إلى عاصمة الإقليم وينتظر أن تساهم بأموالها ونفوذها في تنمية إقليمها.

الحوز الأوسط : استفاد من كل المشاريع الحديثة للسقي وإعداد المجال بالإضافة إلى القديمة إذ نجد هنا أكبر تركز للخطارات والسواقي. عرفت زراعته تطوراً كبيرا لانتشار الملكية الحضرية وتكوين ضيعات حديثة مختصة في زراعة الخضر والفواكه خاصة الحوامض والزيتون والمشمش وتربية الأبقار للحليب أو اللحوم أو التوالد. وقد عرف السكن المشتت والمنشآت التقنية المرافقة للزراعة انتشاراً واسعاً خاصة على طول الطرق المعبدة. واندمج النطاقان السقويان المخلفان من عهد الحماية بتارگة وتسلطانت في منطقة سقوية واسعة تمتد من واد نفيس إلى واد اغدات. تعرف تعدد أنظمة الري وأساليب الاستغلال ويزداد انتشار الزراعة العلمية المختصة باستعمال واقية البلاستيك والري بالتقطير والرش والاهتمام بمنتجات التصدير وتعاقد الضيعات مع مؤسسات أجنبية لزراعات منتجات تحت الطلب مشتراة مسبقا. غير أن هذا التحول لم يشمل كل الحوز الأوسط فمازالت الرساتيق البائرة المحرومة من السقي واسعة الانتشار، وكذلك الزراعة البناصيبية إذ يرتبط التطور الزرعي بوفرة المياه الجارية أو الجوفية فتبقى المتون البينهرية والمحدبات حيث تقل المياه الجوفية أو تنعدم مناطق زراعة بورية مقلالة ومنطقة رعي تتشبث بها أسر ريفية فقيرة.

الحوز الشرقي : تابع لإقليم قلعة السراغنة، إن مضمون الحوز الشرقي يتجاوز هنا سهل الحوز الجغرافي إذ يطلق على تساوت السفلى المتصلة بأم الربيع والواقعة أراضيها بين سهلي تادلة والبحيرة. يتميز الحوز الشرقي بوفرة مياه وديانه الكبيرة وزيادة معدل أمطاره وقلة أراضيه الصالحة للزراعة المسقية لكثرة الأراضي المحجرة. ولكن اشتهر منذ القديم بسواقيه التاريخية التي تحمل مياه الواديين بعيدا إلى سهل قلعة السراغنة بل إلى أراضي سهل البحيرة، كما اشتهر قطاع مسقي تقليدي واسع على ضفاف واد تساوت وأنشأ به المعمرون قطاعاً سقويا غنيا بتاملالت والعطاوية، إلا أن انتشار الأراضي الجماعية (30 ألف) عرقل التطور الفلاحي وأبقى على الزراعة البناصيبية والرعي، كما أن انتشار الملكيات الكبيرة منذ القديم أدى إلى انتشار الاستغلال غير المباشر باستخدام الخماس أو الرباع.

وبعد بناء سد أيت عادل على واد تساوت اندمجت

قنواته الرئيسية في شبكة الري التقليدي المعتمد على السواقي الترابية، كما نفذت محاولات إصلاح زراعي لضم الأراضي وتتميز البساتين بكثافة زراعتها الشجرية والمتمثلة في الزيتون ومختلف الفواكه القديمة والحديثة كالتفاح والعنب والمشمش وانتشار الضخ الآلي ببعض المنخفضات لمحاربة صعود مستوى المياه الجوفية. ولازال هذا النطاق السقوي يتوسع ويبلغ حاليا 38 ألف. أما تساوت السفلى فقد كانت مجال رعي وزراعة بناصيبية للحبوب لانتشار الجفاف والتربات الفقيرة باستثناء بعض الأحواض التي أقام بها الأعيان السابقون بساتين. إنها تعيش الآن مخاضا اقتصاديا واجتماعيا ببداية تطبيق وتجهيز نطاق سقوي حديث يُسقى بقناة تساوت 2 التي ستحمل إليه سنويا 230 مليون م^2 من مياه سد بين الويدان.

نمو مسلسل التمدين بسهل الحوز والدير. كان الدير منذ القديم مركز ثقل سكاني ظهرت به أول المدن التاريخية عند مداخل الأودية بشكل تلقائي كأسواق محلية تستجيب لحاجيات السكان إلى التبادل التجاري وكمحطات للقوافل التجارية بطريق الدير واكتسى بعضها أهمية سياسية واقتصادية مثل أغمات، لكن تأسيس مدينة مراكش بموقع غير بعيد عن الدير سرعان ما اجتذب إليه الفائض الاقتصادي والبشري للمنطقة وكذلك القوافل التجارية وأصبح عقدة مهمة للمواصلات تقلص من أهمية هذه المدن وجعلها تنقهقر إلى أن اختفى بعضها... كما أن الفتن المحلية وحروب القبائل والقواد التي عرفت أبعاداً خطيرة في القرن الثالث عشر(19 م) قضت على الكثير من العمران. ولم يكن يوجد بالدير في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) من مدن حقيقية سوى دمنات وأمزميز. لكن الأمن الاستعماري أنعش تدريجيا بعض مراكش الدير خاصة تلك التي استقر فيها أجهزة التأطير الجديدة كأمزميز وامنتانوت وأيت أورير ودمنات، كما اختيرت تاحناوت في نهاية عهد الحماية كمركز قيادة وثكنة عسكرية. وباستثناء دمنات التي تميزت ببعض مظاهر التمدين التقليدية فإن كل مراكز الدير الأخرى لم تزد في قيمتها الحضرية عن قرية للفلاحين وبعض التجار المحليين والموظفين. وأهم ما امتازت به عن بقية القرى موقعها الجيد على طريق معبد أو مدخل واد مهم وتوفرها على سوق أسبوعي وبعض المنشآت الإدارية والخدماتية. وبعد الاستقلال حظيت بعض المراكز السكنية بالحوز بأهمية متزايدة إما لموقعها على طرق مهمة أو إقامة منشآت تقنية وإدارية تشرف على النطاقات السقوية. كما تدعم مسلسل التمدين بتطبيق سياسة اللامركزية الإدارية، فقد تكونت أقاليم جديدة بمنطقة الحوز : إقليم السراغنة سنة 1975 ثم إقليم أزيلال 1977 ثم إقليما شيشاوة والحوز 1991 لكن مع ذلك مازالت نسبة الحضريين بالحوز منخفضة إذ لم تتجاوز 35٪ سنة 1994 ويرجع ذلك إلى فقر المنطقة ككل والدور المهيمن الذي تلعبه مدينة مراكش كمدينة كبيرة متضخمة تستأثر بكل الوظائف المهمة والأنشطة مما وجه إليها تيارا قويا من الهجرة الريفية. ولكبح هذا التيار وتدعيم حركة التمدين أنشأ المسؤولون عددا من الأجهزة الإدارية والتقنية والتجارية ببعض المراكز السكنية المهمة ورفعوها إلى مستوى مراكز حضرية ومراكز مستقلة وبلديات أملاً بأن تلبي حاجيات السكان إلى التمدين وتقليص حركات النزوح وتوزين الشبكة الحضرية بالحوز. وهكذا استفادت عدة مراكز من موقعها وتجهيزاتها وتزايد سكانها فارتقت إلى مستوى مدينة بالحوز بلغ سكانها في إحصاء شتنبر 1994 :

- إقليم الحوز : بلدية أيت أورير 12.162 نسمة ؛ مركز أمزميز : 8.985 ؛ مركز تاحناوت 4.462 ؛ مركز مولاي إبراهيم : 3.117 ؛ مركز تامصلوحت : 4.758
- إقليم شيشاوة : بلدية شيشاوة : 9.738 ؛ بلدية إمنتانوت : 12.592 .
- عمالة مراكش المنارة : مركز سيد الزوين : 7.726
- إقليم قلعة السراغنة : بلدية العطاوية : 11.219 ؛ بلدية تملالت : 8.701 ؛ بلدية سيدي رحال : 6.292 ؛ مركز سيدي بوعثمان . 2.872
- إقليم أزيلال . بلدية دمنات : 17.782 .

وبذلك يبلغ مجموع الحضريين بسهل الحوز وهوامشه : 110.406 نسمة وإذا ما أضيف إليهم سكان مدينة مراكش الكبرى 672.506 نسمة يكون مجموع الحضريين 782.912 يكونون 35٪ من مجموع سكان الحوز البالغ عددهم 2.243.000 نسمة.

ع. الباركي، *الري وندرة الماء مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش*، د.د.ع. الرباط، 1987 ؛ أ. هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*، د.د.ع. الرباط، 1987 ؛ بحث ميداني، مارس 1996، اعتمد خاصة على *معلومات المرشدين الزراعيين بالمنطقة*.

O.R.M.V.A.H. *Les ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz*. *RGM*. n° 17, 1970; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*., Rabat 1983 ; Document de la D.P.A. de Marrakech. Service de l'équipement rural, *Dossiers provisoires*. juin 1979 ; *Hydrologie études des ressources en eau nappe de Haouz*, mai 1988. Odeam - France : *Revue Marocaine de l'eau*, n° 5 1987 *Eau et développement*

أحمد هوزالي

الحوزي، أحمد بن محمد بن عبد الله الجديدي المراكشي،عالم فلكي معدل حيسوبي. كان له حضور بارز، ومشهود له في عالم الفلك...

ولد في بداية عام 1316/ منتصف 1898 بضاحية الجديدة، من أسرة فقيرة تعيش على الغزل والنسيج، وممارسة بعض الأعمال اليدوية. وكان والده صاحب كتاب

قرآني سهر على تحفيظ ابنه الوحيد أحمد القرآن الكريم، وتنشئته تنشئة صالحة. وتشاء الأقدار أن يموت الأب، ووحيده في سن الثالثة عشر من عمره، لتتولى الأم رعاية ابنها، وتقر عينها لحفظه كتاب الله العزيز عن ظهر قلب.

وفي سن العشرين من عمره عين كاتبا خاصا للسيد العباس ثم لابنه بعده القائد "حمو" الذي أصبح بعد استقلال المغرب باشا على مدينة الجديدة. وخلال مزاولته لهذا العمل أخذت اهتماماته تتجه لمعلم اللغة الفرنسية، تسهيلا لتبادل الزيارات والنافع بين القائد وبعض الفرنسيين والألمان من مصدري الأبقار والجلود.

وسعي من القائد المذكور، عين المترجم له كاتبا تجاريا بمدينة بوردو الفرنسية، لضبط الصادرات والواردات مما اتفق على التعامل فيه آنذاك. فبرزت اهتمامات علمية للكاتب الشاب، إذ أقبل على علم الفلك بدرسه بمساعدة ثلة من علماء الفلك الفرنسيين. وعن طريقه تعرفوا على رسالة زيج ابن الشاطر، وكتاب *المناهج* لابن البنا العددي

وعند رجوعه إلى المغرب في الثلاثينيات استقر بمدينة مراكش للعمل في القطاع المصرفي باحد الأبناك، واستطاع أن يربط الصلات بين مجموعة من رواد الفلك وعشاق الرياضيات سواء من مراكش أو من المدن المغربية الأخرى أمثال أحمد الكنسوسي، وأحمد بن الطيب المراكشي موقت المنار العباسي، ومحمد المهندس فلكي مدينة الجديدة، ومحمد بن الطيب بلكاهية موقت أسفي، وأحمد الأزموري قاضي مدينة البيضاء. وشيخ الفلكيين بفاس محمد العلمي الذي كتب إليه مرة بقول :

(محبنا الأعز الأرضى الفقيه الأنجب الموقت المعدل الحاذق الذكي سيدي أحمد بن محمدالحوزي، سلام عليكم ورحمة الله، ...

وما أشرتم إليه مما كنتم تعاقدتم فيه مع محب الجميع الفقيه سيدي محمد بن الطيب ابن الكاهية، وعاقكم عنه ماس المرض كان أخبرني به حين كنت بطرفه، وكنت إلى رؤيتكم والاستفادة من معارفكم أحوج وأشوف. ودعونا الله جميعا لكم بالشفاء...).

لقد عاش العالم الحوزي في مراكش باحثا منقبا، ساهرا الليالي لترصد نجمة، أو تسجيل فكرة شاردة، أو تعقيب وتصحيح إلى أن فارق الحياة.

ألف أحمد الحوزي عدداً من الكتب في الترقيت والتعديل، منها : *الشهاب في تعديل الكواكب بالحساب*، *والعقد الفريد في تعديل الكواكب على الرصد الجديد*. *وإيضاح الأدلة في مراصد الركلة*، والفتوحات الغيبية في *مبادئ علم الفلك والحصص*.

توفي بمراكش في شهر شوال عام 1369 / غشت 1950، ودفن بمقبرة باب دكالة.

أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مخطوط ؛ روايات شفوية ؛ شهادات شفوية.

أحمد متفكر

الحَوْزي، غناء منسوب إلى حوز مراكش، وهو نوع من الغناء، يدخل ضمن فن العيطة المركبة كالحصبة أو المرسي، مجاله احمر الشماعية، اليوسفية، الرحامنة، مراكش، بن گرير.

للعيطة الحوزية أو الحوري مقدمة وفصول ونهاية أي قفل، غير أنها تختلف عن الحصبة والمرسي من حيث بعض المميزات كالمقام الموسيقي الحاد (يجب أن يتوفر المغني على طبقات صوتية حادة جدا لمسايرة هذه المقامات)، الذي يتميز بتقنية خاصة في الأداء، على شكل مواويل وخاتمات سريعة جداً تعتمد على اختلاط الأصوات وتكاثف الإيقاع والسرعة وتدخل ضمن ميزان الدرج.

ومن أهم عيوط هذا النمط نجد : الخادم وخالي با خويلي والشجعان، وهي من أشهر العيوط الحوزية التي مازالت تغنى. وعن الرواة نذكر الشيخ "محمد ابن حمامة" الذي كانت له محاولات لإحياء هذا النمط.

وتمتاز الفرق الحالية التي تغني الحوزي بكثرة العازفين على الكمان، والإيقاع إما بواسطة الگوال أو التعريجة بالإضافة إلى الاعتماد الكبير على الكفين وحركة النقر بالقدم على الأرض خصوصا في خاتمة العيطة.

ونسوق في ذلك مثالا لهذا النوع من العيطة، عيطة "الشجعان".

نين ايامك يا بن كرير   الغبرة والكور يطير
فين ايامك يا الأربعا   كان موسم ولا حركة
فين ايامك يا بوعثمان   الطرابش كي بلعمان
نين ايامك يا الالسان   ميشي ما لبسنا كتان
دوزها راحد في القباد   دوزها القايد العبادي

ع. ركوك، بعض *الدلالات التاريخية من خلال العيطة*، *بيان اليوم الثقافي*، 5 / 3 / 92 ؛ *التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والشياظمة*، بيان *اليوم الثقافي* 12 / 3 / 92 ؛ *الرواية الشفوية*.

S.M. De Deriny, *Marrakech et les pays du Sud*, Paris, 1918

علال ركوك

الحَوْزِيّة، قبيلتان إحداهما قرب أزمور ببلاد الشاوية، والثانية بضواحي مدينة الرباط. ونظراً لكون مدلول الحوز الذي هو جذر الاشتقاق لنعت الحوزية يعني الأراضي المتاخمة والتابعة وبلغة التنظيم الترابي العصرية : الضاحية. وهكذا سنجد قبائل كثيرة تحمل هذا الاسم لا كهوية سلالية ولكن كصفة مجالية ذات حمولة ترابية أساساً.

وينطبق هذا على قبيلة الحوزية بأزمور. تتكون هذه الوحدة القبلية الترابية من عدة مجموعات قبيلة سلالية مختلفة الأصول. وقد تكونت هذه الوحدة ضمن دائرة إشعاع أزمور. وتعتبر أزمور من مدن العبور ذات الأهمية على الشريط الساحلي الأطلنتي استفادت الضاحية من مخالطات البرتغاليين، ولم تكن تنتج إلا القمح حسب ما

أورده الوزان في *وصف إفريقيا*، وقد أدخلت ضمن فلاحتها إنتاج الخضراوات والفواكه خاصة بالولجة ومهيولة. كما اشتهرت المنطقة على الخصوص بفلاحة الحناء. وتميزت التقنيات الفلاحية باستعمال الناعورات ضمن وسائل الري.

ويقع المجال الحوزي ضمن الحدود التالية :

فمن جهة الشمال الغربي هناك الساحل الأطلنتي انطلاقا من مصب وادي أم الربيع إلى الغرب على مسافة يبلغ طولها حوالي عشرة كيلو مترات حيث تقع حدود الحوزية مع أولاد بوعزيز التي تتجه نحو الجنوب الشرقي على امتداد اثني عشر كيلو متراً تقريبا. وما بين هذه النقطة الكيلومترية ووادي أم الربيع تقع الحدود المتعرجة للحوزية التي تمر على أولاد سالم لتتجه شرقا على مسافة ثلاثة كيلو مترات تقريباً تتحول بعدها نحو الشمال الشرقي حتى وادي أم الربيع الذي يعتبر حدا طبيعيا للقبيلة من الجهة الشمالية الشرقية. ومن الملاحظ أن هذه الحدود كانت تتقلص وتتسع تحت تأثير الظروف الأمنية والناحية خاصة من جهة الجنوب الشرقي والشرق حيث الحدود ليست طبيعية.

إن أهم ما يميز قبيلة الحوزية بهذه المنطقة هو تكونها من عدة مجموعات قبلية متنوعة الأصول. غير أن ما يلاحظ حول هذا التنوع كونه جاء نتيجة عوامل تاريخية ساعدت على تكون قبيلة الحوزية كمتحد ترابي له صبغة كونفدرالية قبلية. كما أن أزمور بفعل طبيعتها كمدينة - قنطرة ساهمت في تبلور حوزها بهذا الشكل لما هي في حاجة إليه لرواجها الاقتصادي، بل إن قبيلة الحوزية نادراً ما كانت تدخل في صراعات مع المدينة لطبيعة العلاقات المجالية والمبادلات الرمزية والاقتصادية. كما عرفت المنطقة بفعل الأطماع البرتغالية وجود المرابطين الذين جلبوا الأتباع وأقاموا الرباطات خاصة بفحص الزموريين والذي كانت تنطلق منه الجيوش لمحاربة البرتغاليين بالجديدة (مزغان). وقد لعب قرب الجديدة من أزمور دوراً كبيراً في تكون الحوزية لهذه الأسباب التاريخية والمعطيات المجالية.

وقد تم إحصاء عشر مجموعات مكونة لقبيلة الحوزية قبيل دخول الاستعمار الفرنسي، وهي : أولاد رحمون، أولاد عميرة، أولاد عامر، أولاد حميد، أولاد غانم، بني تامر، إضافة إلى التريعات والغربية (الأزمور) والشرفاء الكرتيين والشرفاء القرامشة. وتنحدر هذه المجموعات من أصول مختلفة عربية وأمازيغية جاءت إلى المنطقة في الظروف سالفة الذكر.

وقد بدأ تشكل الحوزية مع تراخي الهيمنة البرتغالية ثم اضمحلالها ورغبة السلاطين السعديين ومن جاء بعدهم في إعمار ضواحي آزمور كنقطة عبور بين فاس ومراكش والتضييق على من رغب من الأجانب في احتلالها أو توسيع نفوذه انطلاقا منها. في هذا الصدد شُيِّد الفحص (أو ما يعرف بفحص الزموريين) من طرف أولاد بوعزيز الذين ستنفصل منهم فرقة أولاد رحمون لتصبح مكوّنا من مكونات الحوزية. وفي سنة 1301 / 1823 ولَّى المولى عبد الرحمان بن هشام على آزمور والحوزية أحمد بن الحاج الحوذري وذلك في إطار إعادة تنظيم الجهة.

وسوف تدخل قبيلة الحوزية في حالة عصيان ضد المخزن العزيزي لما اشتدت الدعوة الحفيظية. وقد قاد هذا العصيان قبيلة التريعات تحت إمرة القائد السي محمد المعطي التريعي الذي ضيق الخناق على مناصري المولى عبد العزيز بأزمور وفرض مراقبته على طريق أزمور الجديدة مما دفع بمحاولة تموين أزمور عبد البحر دون نتيجة. واستمرت حملات القائد التريعي حتى دخوله في مواجهة مفتوحة مع الجيوش الفرنسية، الشيء الذي دفع بالسلطات الاستعمارية الفرنسية إلى أن تتحين فرص كسر شوكته حيث أخذت ابنه رهينة فحاول الحصول على حماية إسبانية لكنها لم تنفعه في استمرار بسط نفوذه، حيث احتلت قصبته الواقعة على بعد عشرة كيلو ميترات جنوب أزمور ودمرت عن آخرها يوم 5 غشت 1912. وبهذا عادت الحوزية إلى الاحتماء بمدينتها، وارتبط مصير الحوزية مع أزمور قطب الإشعاع المحلي.

أما الحوزية الثانية فتقع بضواحي الرباط، ظهرت كوحدة إدارية بمواصفات قبلية جاءت نتيجة تدخلات المخزن في إطار إعادة تنظيم المجال وترتيب الأمور الإدارية على إثر انتفاضة قبائل الجيش من الأوداية بفاس أيام حكم السلطان مولاي عبد الرحمان (1832 / 1247)، حيث قام بتوزيع الأوداية على مختلف المناطق بعد سحق انتفاضتهم. وهكذا تم نقل رحى أهل سوس إلى الرباط وأسكنهم بقصبة تمارة. وكان إسكان الأوداية خطة مدروسة هدفت إلى تحقيق أمرين :

أولاً : ترسيم اقتطاع قرابة 9000 هكتار من أرض قبائل عرب الصباح كان قد أقطعها المولى سليمان إلى الشرفاء العلويين بالرباط جزاء مساندتهم له على تفرّد بالملك وعقابا لهذه القبائل على مناهضتهم له. ولم يستطع الشرفاء استغلال هذه الأراضي إلا بواسطة منح القبائل حماية (الكسا) عند دخولهم المدينة مقابل الحصول على مداخيل استغلال الأرض.

ثانياً : إضعاف قبائل عرب الصباح التي كان مجالها القبلي يمتد من حدود الزيايدة جنوبا إلى نهر أبي رقراق شمالا على طول الشريط الساحلي الذي تحده قبائل زعير من الشرق. حيث إنها كانت محور حلف عرب الويدان الذي جعل للاصفية تنصح أخاها المولى سليمان قائلة : "عطشوا أباك ولم يقدر عليهم ... أنت تحتاج إليهم وهم لا يحتاجونك. فاصفح عنهم وأمن عليهم" (الضعيف).

ضمن هذه السيرورة ظهرت "قبيلة الحوزية" بعد عزل المعاضيد ولغشاش عن إخوانهم من عرب الصباح عندما استوطن الأوداية الشريط المقتطع من الشاطئ الأطلسي إلى حدود قبائل زعير. وهكذا أصبح المجال الحوزي يحد شمالا

بنهر أبي رقراق وغربا بأسوار مدينة الرباط وشرقا بقبيلة زعير وجنوبا بالأوداية، ويمتد على مساحة 5000 هكتار تتقاسمها قبيلتا المعاضيد ولعشاش إضافة إلى فرقة الفقراء موساوى. وقد أخذت "القبيلة" اسمها من حوز الرباط، أي أنها أصبحت تحت إمرة قائد الرباط وخاضعة لسلطته المباشرة. ومنذ دخول الاستعمار، وفي إطار التنظيم الترابي خضعت قبيلة الحوزية في البداية لحكم دائرة الرباط ثم أصبحت تابعة لقيادة حوز الرباط مع الأوداية وتبادل لعرب بعد حل مشكل الحدود الترابية بين الدغمة والزيايدة. كما عرفت داخلياً تغيراً في تقسيمها الإداري من مشيختين تضم الأولى كلا من المعاضيد ولعشاش وتقتصر الثانية على الفقراء موساوى الذين كانوا يشددون على تنصيب شيخهم من فرقتهم لكونهم شرفاء إلى ثلاث مشيخات : المعاضيد العشاش والفقراء موساوى.

وقد انتظمت مكونات قبيلة الحوزية بحسب مرجعيات الشرف أو القوة.

1 ـ فالمعاضيد، فرع من قبيلة المعاضيد من عرب الصباح الموجود إلى الآن بتافيلالت. وهذه القبيلة أهم وحدة قبلية داخل الحوزية، فهي تمتلك أكبر حصة من الأرض داخل المجال الحوزي وذات ثروة وجاه حيث إنها أعطت قواد القبيلة وحسمت مسألة تنصيبهم.

2 ـ الفقراء موساوى وهؤلاء شرفاء أدارسة يعود نسبهم إلى عمران بن إدريس (حسب الشجرة التي بحوزة نقيبهم) وجدّهم موسى بن علي دفين جبل أيت راس أو أتراس ببلاد زمور. وضريحه مازال مزارهم ليومنا هذا. وقد منحهم الملوك العلويون ظهائر توقير واحترام يعود أقدمها إلى عهد المولى إسماعيل. وقد وُجدوا بالمنطقة منذ تاريخ طويل حيث توجد فرق منهم بدكالة وبالغرب. وتكاثف وجودهم داخل المجال الحوزي بفعل ضعف قبيلتي عرب الصباح (المعاضيد ولعشاش) اللتين حاولتا توظيف وجودهم لاتقاء هجمات قبائل زعير والسهول وحصين دون فائدة. وقد استطاعوا امتلاك أجود الأراضي وأخصبها (الولجة) بفعل الهبات والإرث، ذلك أن نظام الزواج مكنهم من ذلك، إذ أن زواج الشريفة من عاميّ أمر محظور في حين كان مسموحا للشريف أن يتزوج عاميّة. غير أنهم كانوا الفرع الأقل ارتباطا بالأرض وبالنشاط الفلاحي مما سهل تكون أملاك حبسية نتيجة اقتناء الأرض من طرف حضريين قاموا بتحبيسها.

3 ـ لعشاش : كانت أصغر وحدة قبلية داخل الحوزية. وظل هؤلاء يعيشون ضمن المعاضيد حتى حدود سنة 1913 عندما تكونت مشيخة خاصة بهم. وقد احتلوا الأراضي المتاخمة لأرض مولاي عبد العزيز (الزفاطي أو دار السلام حاليا).

وقد عانت الحوزية منذ تكونها من ضغط قبائل زعير على الخصوص حيث كانوا يضربون عليهم بمحلاتهم مما تضطر معه قبيلة الحوزية إلى اللجوء إلى شالة أو كرمة سيدي سعيد بن صالح (قصر قائد عبد البخاري أيام سيدي محمد بن عبد الله حيث بنيت الإقامة العامة / وزارة الداخلية حاليا). ويعتبر استبدال اسم باب الحديد بباب زعير مؤشراً على سطوة القبائل الزعرية السائبة آنذاك والتي كانت تمتد غزواتها حتى داخل أكدال (حسان حاليا) حيث كان مضرب الأمان يقع ما بين المدينة القديمة ومحج شالة والمشور (القصر الملكي). ولهذا ظلت المجموعة الحوزية تعيش ضمن دواوير متنقلة داخل مجالها محتمية بالرباط كلما اشتدت وطأة "السيّاب" لدرجة أنهم قرروا أنهم كلما اعتقلوا سائبا يخلون سبيله بعد معاقبته ثم إكرامه خوفا من الفدية والانتقام. ومع دخول الاستعمار تفرقت المجموعات إلى دواوير داخل مجالها، ونشطت عملية تداول الأرض، واقتطعت العديد من الأراضي لفائدة المعمرين والمدينة كحي الطيارات والتقدم الذي كان قرية نموذجية، والحي الإداري ... كما أن أوراش البناء جلبت إلى المجال القبلي عدداً من المهاجرين تكدسوا داخل أحياء هامشية مكونة من براريك ونواويل وخيام كدوار بوكاش الذي أصبح يعرف بدوار الدوم ودوار المعاضيد.

ومع تطور العمران الحضري واكتساح المدينة للمجال القبلي تفككت القبيلة وكان مشروع حي النهضة السكني (1978) الضربة القاضية التي أنهت الوجود القبلي لكل من المعاضيد ولعشاش في حين ما زالت فرقة الفقراء موساوى قائمة ضمن شريط الولجة على طول نهر أبي رقراق حتى عكراش لانتظامها كمؤسسة لها نقيبها ولانتعاش فلاحة الخضراوات التي تغذي الأحياء السكنية القريبة وللدور الإشعاعي لسوق أحد عكراش.

هذا التفاوت في استمرارية مكونات الحوزية، لا يرجع فقط إلى عوامل سوسيو مجالية (عنف القبائل السائبة والتوسع العمراني للمدينة) بل كذلك إلى عوامل تاريخية وسوسيو ثقافية. لموقع الرباط كمدينة قنطرة تربط بين فاس ومراكش جعل المجال الحوزي ومجال قبائل عرب الصباح بالمنطقة عموما رئيسا للحركات السلطانية والتنقلات المخزنية الشيء الذي منع تكون زعامات محلية وجهوية مهمة وذات إشعاع رغم الدخول المتأخر للقبائل الجياشة خاصة في العصر العلوي مما أن شطب على قبائل عرب الصباح من ديوان القبائل القائبة. وهكذا مع عزل المعاضيد ولعشاش عن المكونات الأخرى تقوى موقع الفقراء موساوى الذين استغلوا وظيفتهم الدينية ووجود ضريح أحد أوليائهم بمنطقة عكراش (سيدي قاسم الناظور). غير أن انضمام هؤلاء إلى قبيلة الحوزية لم يمنع المعاضيد ولعشاش من استمرار ولائهم للزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم من خدامها، إذ بقيت الاحتفالات تقام بمناسبة قدوم ممثلي الزاوية حتى منعت أيام الاستعمار. فالانتماء الحوزي لم يرق إلى هوية قبلية مشتركة بين المكونات الثلاث لتشبث الشرفاء بمكانتهم الاجتماعية.

نقبيلة الحوزية لا يمكن اعتبارها متحداً قبلياً أو كونفدرالية قبلية بأي معنى من المعاني لاختلاف وضعيات مكوناتها ولكون هذا التجميع القبلي فرضته عوامل سياسية وقرارات تنظيمية هدفت أصلا إلى توفير عازل قبلي يحمي المدينة من القبائل المتمردة وإلى كسر شوكة عرب الصباح.

ورغم هذا التفكيك الذي عرفته قبائل عرب الصباح فإن علاقات المعاضيد على الخصوص مع محيطها ظلت متجاهلة الجوار الأوديي (نسبة إلى الأوداية) مرطدة التبادلات ضمن "عرب الرمل" وهي تسمية تطلقها قبائل عرب الصباح على وحداتها الموجودة بين وادي يكم ووادي أبي رقراق لطبيعة التربة التي كانت رملية. غير ان اعتقال ابن يسف قائد المعاضيد وباقي الحوزية من طرف القائد السويسي (قائد الرباط) وسجنه بتطوان حيث توفي هناك أثر على هيبة القبيلة ومكونات الحوزية، الشيء الذي حولها إلى قبيلة مسالمة.

كما أن "قبيلة الحوزية" لم تكن تتوفر على "جماعة" كمجلس تمثيلي، بل كان للشرفاء جماعتهم الخاصة بهم والتي لا تشبه من حيث التكوين والتنظيم "جماعة العوام" من المعاضيد ولعشاش. فداخل الفقرا، موساوى كانت الكلمة لماسكي ظهائر التوقير والاحترام، على عكس المعاضيد ولعشاش الذين كانت جماعتهم مفتوحة بحسب النفوذ والتحالفات، بل إنها كانت تنقسم إلى جماعتين عند احتداد الصراع بين المعاضيد ولعشاش.

لقد أنشئت "قبيلة الحوزية" لغرض تنظيمي وإداري، وما أن أصبح متجاوزاً حتى تحللت القبيلة للعوامل المذكورة.

ع. الفتاح الزين، *العلاقات بين المدينة والبادية بحوز الرباط*، د. د. ع، في علم الاجتماع، كلية الآداب بالرباط، السنة الجامعية، 1986 / 1987.

Villes et tribus du Maroc : Rabat et sa région, tome I (*les villes avant la conquête*), Paris, 1918.

عبد الفتاح الزين

ابن الحوزية، محمد، وينطق به العامة كلمة واحدة "بلحوزية" من أعيان قبيلة أولاد سعيد الشاوية. قام بدور كبير في انتفاضة الشاوية سنوات 1903 - 1906. ينتمي لفرقة أولاد عريف، شارك في معارك الجهاد بالدار البيضاء، حيث استشهد قرب المدينة سنة 1325 / 1907.

حَوْضْ الحْنَاشْ. موقع معركة بزعير جرت في صيف 1329 / 1911. بعدما احتلت القوات الفرنسية مدينتي فاس ومكناس (ماي - يونيو)، توجهت من الشرق نحو قبائل زمور وزعير. وكان هدف المحتلين هو دخول أرض قبائل زعير التي استعصت على الفرنسيين منذ سنة 1908 عندما أصبحوا مجاورين لها بعد احتلال بلاد الشاوية. وقد أمر الجنرال موانيي قائد جيش الاحتلال، أن تتوغل قوات من الشاوية في زعير من الغرب لتلتقي مع القوات الآتية من الشرق (يوليوز - غشت 1911).

وبمجرد ما دخلت القوات الفرنسية في أرض زعير بعد مرورها من المعازيز، وجدت الأرض فارغة من سكانها الذين انسحبوا أمامها. وعندما وصلت مكان گلتة الفيلة أنشب معها المجاهدون من قبيلة النجدة القتال في المكان المسمى بحَوْض لحْناش. وقد دام الاشتباك حوالي ساعتين قتل خلاله أربعة جنود من الگوم الجزائريين العاملين مع جيش الاحتلال وجرح أحد عشر جندياً. وقد وصف أحد الضباط الفرنسيين الحادث، وتأمل في القبور الأربعة التي حفرت للجزائريين، متسائلاً عن المصير الذي جاء بأربعة من الگوم من جنوب الجزائر ليقاتلوا لصالح مجموعة من رجال المال الموجودة بأوربا.

تحريات ميدانية.

E. Nolly, *Gens de guerre au Maroc* : A. de Montalembert, *En colonne chez les Zaërs*, A.F., 1911.

علال الخديمي

الحَوَّات، أسرتان تطوانيتان استوطنتا تطوان قديماً. إحداهما شريفة علمية موسوية أصلها من بني عروس ثم شفشاون ومنها انتقلوا إلى درعة وفاس وتطوان اشتهر منهم العلامة الصوفي محمد الحوات ونجله الأديب النسابة الشهير سليمان الحوات.

ومن أفرادها بتطوان الفقيه العدل الشريف محمد بن المختار الحوات كان يتعاطى الشهادة عام 1290 وولداه الفقيه العدل محمد وأخوه الطالب المكي. أما الأسرة الأخرى فلا أدري أصلها. وقد انقرضت الأولى من تطوان الآن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ح، مخطوط؛ م. داود، عائلات تطوان، نسخة المؤلف بخطه بخزانته.

محمد بوخبزة

الحوات، سليمان بن محمد بن عبد الله العلمي الشفشاوني، ولد صبيحة يوم جمعة من رجب عام 1160 / مارس - أبريل 1747 وعاش في كفالة أمه ميسورة الحال، حيث ترك والده عدداً كثيراً من المواشي والأصول داخل شفشاون وخارجها. كما ترك غلاماً ساهراً على أملاكه اسمه "صهيب" وهذا ما ساعد سليمان على متابعة دراسته بفاس دون الاعتماد على أحد. دخل مدينة فاس لمتابعة دراسة سنة 1196 / 1772 وبقي بها إلى وفاته.

أخذ عن الشيخ محمد بن الخياط ابن إبراهيم الدكالي ومحمد بن الطيب القادري وعمر بن عبد الله الفاسي ومحمد بن الحسن بناني وزين العابدين بن هاشم العراقي وغيرهم.

وبرز في الأدب واللغة والتاريخ وعلم الأنساب. يقول عنه صاحب *نزهة الأبصار* : "وكان إماما هماما عالما عاملا

تصرف في سائر العلوم. قيد يده للمنطوق والمفهوم، ألف في طريق القوم وكان في بحرر العلم يحسن السباحة والعوم".

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ التاودي ابن سودة وشغل مهمة نقيب الأشراف العلميين على عهد السلطان المولى سليمان. وترك مجموعة من المؤلفات مازال معظمها مخطوطا. تتناول التراجم والأنساب بالإضافة إلى أشعار وخطب، منها :

- *البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*. مخطوط، خ. ع. الرباط رقم 261 د : *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي* : وهو عبارة عن ترجمة ذاتية تعرض فيها الحوات لحياته منذ ولادته بشفشاون حتى استقراره بصفة نهائية بفاس. مخطوطة خ. ع. رقم 1264 / 4 ك ورقم 1186 / 6 : *السر الظاهر فيمن أحرز بفاس السر الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر*، وضعه في التعريف بالشرفاء القادريين، طبع بفاس عام 1351 / 1932 : *قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون*، يعرّف فيه بالشرفاء الدباغيين الحسنيين القاطنين بحي العيون من عدوة فاس القرويين. مخطوط خ. ع. رقم 1256 ك. ضمن مجموع : *المسلك الاريج في نسب أولاد الدريج* تكلم فيه على نسب أولاد الدريج الموجودين بفاس وتطوان وأنهم من الأنصار. مخطوط : *تأليف في ترجمة شيخه محمد بن الحسن البناني* (ت. 780 / 1194) : *تقاييد في الأنساب*، مخطوط خ. ح. رقم 1252 : *تغيير المنكر في الرد على من حرم السكر*. مخطوط خ. ع. رقم 1072 ك. طبع بفاس عام 1326 / 1908 : *منظومة في نحو ثمانين بيتا في الشيخ أبي عبد الله محمد ابن النقيب* (ت. 1136 / 1723) مخطوط خ. ع. رقم 1306 ك ضمن مجموع : *كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع* : *تأليف في الناصريين* ؛ *كناشة علمية* : ديوان شعر في مدح *السلطان المولى سليمان* : خطبة بحث فيها على مساندة المصريين بعد حملة نابليون بونابرت.

توفي سليمان الحوات بفاس يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر عام 1231 / 20 يناير 1816، ودفن بضريح الشيخ التاودي ابن سودة خارج باب عجيسة.

س. الحوات نفسه، *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*. مخطوط، خ. ع رقم 1264 / 4 ك ؛ زين العابدين العراقي، *فهرسة*. مخطوط، خ. ع رقم 1942 ك ضمن مجموع، ص. 276 ؛ العربي المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*. مخطوط، خ. ع. رقم 579 ك ص. 451 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*. فاس، 1 : 116 ؛ ل. بروفنصال. *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي. الرباط، 1977، ص. 241 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف الطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2497.

عبد العزيز تيلاني

وقد ظهر اهتمام سليمان الحوات بالموسيقى كلون من ألوان الثقافة العامة التي كانت سائدة يومئذ بفاس، فأقبل على رجالها يأخذ عنهم كابن سعيد الذي نعته بفريض العصر ومعبده، ومن له الباع الطويل في مدده، وارتاد مجالس السمر، فاستمع إلى مشهوري المغنين كعبد الرحمان المزداري، وعازفي العود كعبد الرحمان ابن زكري الذي نوّه الضعيف بعزفه وإنشاده.

وقد نظم الحوات في الموسيقى الأندلسية أرجوزة قوامها خمسة وخمسون بيتا سماها "*كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع*". استعرض فيها أسماء طبوع "الآلة" فجعلها خمسة وعشرين طبعا سار في ترتيبها على نهجين : أولهما وهو القديم - نهج محمد بن الحسين الحايك في كناشه ويراعي ربط الطبوع الأصول بالطباع الأربعة : السوداء والدم والبلغم والصفراء، ثم تفريع هذه الأصول إلى فروعها.

وثانيهما مذهب استحدثه أهل فاس يقوم على ترتيب الطبوع حسب ما بينها من تقارب نغمي.

س. الحوات، *كشف القناع* ؛ *كناشة* ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 4 : 121 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص. 187.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الحوات، عبد العزيز بن إدريس العلمي الفاسي، ولد بفاس، ودرس في القرويين إلا أنه لم يتم دراسته بسبب نشاطه السياسي ومساهمته الفعالة في الحركة الوطنية. سجن لمدة سنتين، بعد أحداث المطالبة بالاستقلال سنة 1944، بناحية بولمان ثم علي ومومن. وبعد خروجه من السجن استأنف نشاطه الوطني في صفوف حزب الشورى والاستقلال، وأسندت إليه إدارة مدرسة "الشعب" المجانية بفاس، التي أسسها هذا الحزب لأبناء الفقراء، فكان على حد تعبير رفيقه في الكفاح الحاج أحمد معنينو : "أب اليتامى والمحتاجين، وصديق الطبقة المحرومة يعالج شؤون الأبناء بالتربية الصحيحة والاعتماد على النفس".

كان عبد العزيز الحوات على رأس جمعية إخوان الصفا، وعلى صلة وثيقة بجمعيات التمثيل والثقافة والكشفية وأخوات الصفا اللاتي كن يساعدن ماديا ومعنويا تلاميذ مدرسة الشعب. إلى أن أثقلت أثناء الأزمة السياسية الكبرى في أوائل أعوام الخمسين. وقد نظم خلايا المقاومة في بادية فاس، وخاصة في قبيلة كزناية، وسجن سنة 1953 و1954 في عين قادوس ثم علي مومن. وبعد الاستقلال انهارت قواه الجسدية ودخل المستشفى للعلاج وبدأ يشتغل بالعدالة إلى أن وافاه الأجل المحتوم على إثر نوبة قلبية، في خامس وعشري ربيع الأول عام 1386 / 15 يوليوز 1966 ودفن بزاوية شرفاء وزان بحومة الشرشور بفاس.

أ. معنينو، *ترجمة مرقونة للحوات* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

الحوات، محمد بن **عبد الله** العلمي السُّوسِري الشفشاوني، والد النسابة الشهير سليمان الحوات سابق الترجمة. حلاه القادري في *نشر المثاني* "بالفقيه الأديب اللوذعي النجيب الذكي اللبيب".

درس في فاس على شيخ الجماعة محمد المسناوي الدلائي، وأخذ الطريقة الناصرية على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي وكانت له به صلة وثيقة. ولي قضاء شفشاون بدون انقطاع إلى وفاته. واتصل بالخليفة السلطاني بدرعة الشريف بن إسماعيل وامتدحه بقصيدة رائية طويلة "فأجزل جائزته وأكرمه بالعطاء" وخلّف محمد الحوات تآليف منها *تحفة المعاصر ببعض صالحي تلامذة أبي عبد الله محمد ابن ناصر*، *وقصائد* معظمها في المديح النبوي، وكنانيش علمية.

لكن تبدد غالبها - كما يقول ولده سليمان - على يد من لم يراقب الله من الأقارب.

توفي قاضياً بشفشاون عام 1160 / 1747.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، ص. 244، 245 و348 ؛ م. القادري، *نشر*. *موسوعة أعلام المغرب*، 6 : 2147 - 2149.

محمد حجي

حْويدَّة، الزيدية الغياتية، مغنية شهيرة (تصغير لاسم حادَّة) من قبيلة البحاترة العبدية تنتمي إلى آل غيات من فخذة أولاد زيد، لهذا كانت تسمى بالشيخة حْويدَّة الغياتية الزيدية.

تربّت في كنف قبيلتها وتشبّعت بعشقها للغناء - لما كان الغناء يمارس بنوع من التلقائية - فكانت بمثابة شاعرة أو مغنية حماسية لقبيلتها أثناء انفجار الصراع مع القائد عيسى بن عمر العبدي أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

خلّدت الشيخة حْويدَّة في هذا الإطار تراثاً فنياً رائعاً، ما تزال الذاكرة الجماعية العبدية تحتفظ به كملحمة درامية للقبيلة أطلق على هذا النوع من التراث الفني اسم "العَيْطة الحَصْبَاوية". وما تبقّى في مخزون الذاكرة من هذه الملحمة - رغم ندرته - يشكّل وثيقة تاريخية لها دلالة عميقة في مجرى الصراع الذي كانت تخوضه البادية المغربية ضد استبداد بعض القواد الكبار وتسلطهم.

فحْويدَّة من هذا المنظور، ليست مجرد شيخة، بل هي رمز للمرأة البدوية المناضلة التي كانت لا تتردد في رفع صوتها عاليا، معلنة عن تمردها ورفضها - باسم قبيلتها - لكل أنواع الهيمنة والاستعباد صارخة :

أنا عبدْ لعَبْـــــدْ ولِلْشّي عيـــــــى لاّ

تعود أحداث ووقائع هذه الملحمة إلى السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) بعد وفاة السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز سنة 1311 / 1894 حيث قامت القبائل الحوزية - وبالأخص منها قبيلة الرحامنة - وامتنعوا عن مبايعته لصغر سنه من جهة ولاستبداد الوزير الوصي أحمد ابن موسى (ابّا احماد) بأمر الدولة من جهة أخرى.

وانتفضت قبائل عبدة بدورها، ومنها قبيلة البحاترة ضد قوادها وممثلي المخزن بها. فكانت انتفاضة أولاد زيد ضد القائد عيسى بن عمر العبدي امتداداً للأحداث التي وقعت في قبائل الحوز وغيره بزعامة الشيخ الحاج محمد بن ملوك ابتداءً من النصف الثاني من شهر محرم سنة 1313 / 1895، وهي الانتفاضة التي عايشتها وتفاعلت معها الشيخة حْويدَّة لمدة تزيد عن نصف سنة، كانت كلها صراعاً عنيفاً انتهى بتعذيبها وقتلها، وهي التي خلدت ملحمتها الدرامية من خلال ما تركته لنا من أغان كان لها دور كبير في إثارة حماس القبيلة لمواصلة الانتفاضة ضد الطاغية عيسى بن عمر الذي كانت تهجوه هجواً عنيفاً وتقول :

أعيسى بَنْ عُمر أقتّال اخُوتُو
أعيسى بن عمر أوكّال الجيفة

ثم تزيد فتقول :

دار الـــي عيسى ﮔالو خْلاتْ
راها مقابلاً للمماتـــــات

فكانت تفجر في أعماق المحاربين الشجاعة والبطولة التي كانت تغني بها القبائل، فتقول :

نُوضَا نُوضَا حتـــى لَبُوكشـــور
نُوضَا نُوضَا حتى دارْ السِّي لدُور

هذا الكلام الذي كانت تردده حويدَّة في شكل عيطة تتغنى بها وسط أفراد فخذة أولاد زيد، كان ينتقل بسرعة من مكان إلى آخر فيردده الناس فرادى وجماعات، ولعل هذا ما أعطى نفسا ودعماً لانتفاضة أولاد زيد، فظهرت بمظهر قوي وعنيف، وأصبحت عبدة تشتعل من عنف الانتفاضة وحوصرت مدينة أسفي. فتدخل المخزن المركزي لتدعيم القائد عيسى بن عمر ومساندته من أجل وضع حد نهائي لانتفاضة أولاد زيد، وكان في عشية يوم 15 جمادى الأولى عام 1313. على الطريقة المعروفة وتابع القائد الفارين واعتقل رؤساء فخذة أولاد زيد وأشياعهم بمن فيهم الشيخ الحاج محمد بن ملوك الزرهوني.

وأمام العنف والتنكيل الذي مارسه القائد عيسى بن عمر فرّت الشيخة حْويدَّة لدى أولا سعيد من الشاوية ناحية مدينة سطات، ونقلت معها إلى هناك التفاصيل الدقيقة لهذه الملحمة التي رددت مقاطع من فصولها وما مارسه القائد عيسى بن عمر من قتل وفتك بقبيلتها أمام أولاد سعيد.

وإذا كان القائد قد تمكن من القضاء على انتفاضة أولاد زيد، فإنه مع ذلك لم يستطع أن يُسكت صوت الشيخة حويدَّة، التي مازالت تنطق بعمق معاناتها وتقول :

اللي ما عَزّاني في كْبَدْتي — نعـرفـو بكرنــــي
تْعَالى تْعَالى نكُول لِيك — أذاك الفـــادي

نـكُـونْ سـبـابـــــــي حتى فـارقْـتْ بـــلادِي

* *

راتـي الحــــــارَةْ كُـلـتـنـي بـنــــوتْ

وتـبْـقـى الـعْـدَارَى أنـــــابــــــدي

رْجَــانـــا فـي الـعـالـي

اعتُقلت حويدّة وأُدخلت إلى السجن بقصبة القائد داخل "البردوز" الذي كان يشبه القبر، وهناك عانت من التعذيب ما ذكره أحمد الصبيحي نقلا عمّن عاشوا تفاصيل هذه الأحداث : "كان يركبها ناقة، ويأمرها أن تغني، وهو في وسط إخوانه، الغناء الذي كانت تغنيه لأولاد زيد". وكانت حُويدّة وهي في حالة التعذيب تجادله بكل قوة وتقول له "انما هي امرأة، وانه إذا أراد أن يشفي غليله رغيظه فليكن مع الرجال" ومن آخر ما حُفظ من عيطاتها :

اللـيلـة لـيـلـة الـعـــــذاب ابـابـــــا ونْـتْـــاسـي

الدنيـا نْـفـــــــوتْ ابـابـــــا ونْـتْـاسـي

اخْرْهـــا الـمُــــــوت ابـابـــــا ونْـتْــاسـي

أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة*، تح. ع. العطاوي : *رواية شفوية*.

المصطفى ننبنر

الحويشي، عبد الله الرباطي شخصية دينية صوفية من العلماء والصلحاء النساك، عاش في القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر (17 . 18 م)، ضريحه مقصود للزيارة والتبرك ملتمس ممن يرجو الاستشفاء من العاهات والامراض. وهو موجود بالرباط بالزاوية الرحمانية التي يقال إنه هو بانيها . أخذ الطريقة الشاذلية عن علي بن عبد الرحمان الدرعي دفين تادلا، وأخذ هذا بدوره عن أبي عبد الله الراوزغتي الدادسي عن القطب أبي بكر الدلائي، وطريقته هذه جزولية شاذلية كان يلقنها وظل كذلك إلى أن توفي.

وقد ذكره عدد من كتاب التراجم مثل محمد المنالي في كتابه *دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمان*، وأحمد بن عبد القادر التاستاوتي المكناسي في *اختصار ممتع الأسماع* الذي قال إنه رآه سنة 1092 وهو رجل مسن وعليه أمارات المسكنة. وتحدث عنه كذلك الحفيد العكاري في *البدور الضاوية* ونظم أحمد بن عبد القادر المذكور نظما لرجال *ممتع الاسماع* فذكره هو وصالح سلا الشيخ أحمد حجي في هذا البيت :

وأحمدُ حجي صالح الفعل خيــرٌ

كذاك الحُويشي في الرباط انمى لبـا

خلف عبد الله الحويشي عدة أولاد، منهم الفقيه محمد وهو ممن انتفع أيضاً بالشيخ العكاري، وأخذ عنه علوماً مثل النحو والبيان والكلام والأصول والفقه، وقبره قرب قبر والده.

وذكر محمد المنالي في *دوحة البستان* أن عبد الله الحويشي توفي ليلة الجمعة 14 صفر 1103 / 2 نونبر 1691.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 384 ؛ م. دهنية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986، ص. 84.

عبد الإله الفاسي

الحياة، جريدة صدرت في تطوان يوم فاتح مارس 1934 مقدمة نفسها كـ"جريدة أسبوعية حرة تدافع عن المصالح القومية". وكان رئيس تحريرها المسؤول عند انطلاقها هو عبد الخالق الطريس، أحد قادة هيئة العمل الوطني بشمال المغرب ثم زعيم حزب الإصلاح الوطني لاحقا. غير أن مهمة رئاسة التحرير انتقلت إلى التهامي الوزاني ابتداء من العدد 32 الصادر في 18 أكتوبر 1934، واستمر الطريس في الاحتفاظ بإدارة الصحيفة وتزامن هذا التغيير مع تقلد الطريس لوظيفة سامية في إدارة الأوقاف (16 أكتوبر).

صدرت "الحياة" عن المطبعة المهدية في حجم متوسط، وتراوح عدد صفحاتها بين 4 و8. ولم تكن مصورة إلا في حالات نادرة مثل العدد الممتاز الذي صدر يوم الأحد 18 نونبر 1934 احتفاء بعيد العرش والذي تصدرت صفحته الأولى صورة السلطان سيدي محمد بن يوسف.

تطرقت الجريدة التطوانية إلى مواضيع شتى بأقلام كل من عبد الخالق الطريس، والتهامي الوزاني، ومحمد بنونة، ومحمد حصار، وعبد السلام بن جلون، ومحمد الطنجي، وأحمد بلافريج، وغيرهم. ومن بين تلك المواضيع : أسس النهضة، وقضايا التعليم، ومحاربة الخمور، ومكافحة الشعوذة، وأحوال المشرق العربي، إلخ.. ولكن ربما كان نشر الصحيفة لعرائض الاحتجاج ضد الإدارة الاستعمارية والتي ترد عليها من مختلف أرجاء البلاد هو ما أزعج السلطات الفرنسية والإسبانية أكثر من غيره. وإذا كان الإسبان قد لجأوا إلى إثقال كاهل الجريدة بغرامات باهظة، فإن الفرنسيين اختاروا، ابتداء من 16 ماي 1934، منع ولوجها المنطقة السلطانية الرازحة تحت احتلالهم، وكانوا بمبادرتهم هذه، يدركون جيدا أهمية الضرر المادي الذي يلحقونه بـ"الحياة" التي فقدت جزءاً من مواردها الأساسية التي يوفرها قراؤها في جنوب المغرب. ومع ذلك، استمرت الأسبوعية التطوانية في تأدية مهمتها ؛ ومن الخدمات التي أسدتها للحركة الوطنية المغربية نشرها في أعداد متتالية، ابتداء من 3 يناير 1935، "*مطالب الشعب المغربي*". لكن مختلف العراقيل التي قامت في وجهها أجبرت "الحياة" على الاحتجاب بعد إصدارها لعددها السابع والسبعين (29 غشت 1935).

جامع بيضا

حياة الشعب (جريدة -) منذ تأسيس الحزب الشيوعي المغربي سنة 1943 عمل على امتلاك جريدة عربية

تنطق باسمه إلى جانب صحافته الصادرة بالفرنسية (Espoir). لكن الإقامة العامة واجهت بالرفض الطلبات المتكررة للحزب في هذا الشأن. ويفسر هذا الرفض بكون السلطات كانت تخشى أن يمتلك الحزب الشيوعي أداة إعلامية ناطقة بلغة قد يصل صداها إلى الأوساط الشعبية. وأخيراً اهتدى الحزب الشيوعي في ماي 1946 إلى تأسيس جريدة سرية تحت عنوان "*حياة الشعب*".

بالرغم من ملاحقة واعتقال السلطات لموزعي هذه الجريدة السرية، فقد واصلت الصدور حتى إعلان الاستقلال سنة 1956. وحينئذ تقدم الشيوعيون بطلب ترخيص لإصدار الجريدة علنا للحكومات المتعاقبة على أمور البلاد خلال السنوات الأولى للمغرب المستقلّ (حكومات البكاي وبلافريج وعبد الله إبراهيم)، غير أن الطلب رفض أكثر من مرة، الشيء الذي جعل الساهرين على الجريدة يصدرونها سرية لمدة سنوات وعلى شكل عتيق يفتقر إلى أبسط التقنيات العصرية في النشر (انظر الصورة). وغداة ظهير نونبر 1958 المنظم للصحافة في عهد الاستقلال، أقدم الشيوعيون على إصدار أول عدد من "*حياة الشعب*" بصفة علنية (خريف 1959)، إلا أن الرقابة كانت لها بالمرصد، وانتهت بذلك هذه التجربة الصحفية.

J. Brida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*. Rabat, 1996, p. 310 - 311 ; A. Yata, *Presse démocratique au Maroc, bilan et difficulté*, s.d., Casablanca, p. 17 - 21.

حامد بيضا

ابن **حياتي، محمد** بن علي الغافقي الفاسي، فقيه أستاذ نحوي، قال عنه تلميذه ابن قنفذ (له تحقيق بالنحو والقراءات). وُلد عام 718 / 1318 وهو أول من أدخل إلى فاس *شرح المرادي على ألفية ابن مالك*.

أخذ عنه كبار طلبة فاس والقادمين إليها، أمثال يحيى السراج الكبير، وأحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، والحفيد ابن مرزوق التلمساني. ويذكرون من إنصافه وتواضعه أن بعض الطلبة سأله أن يقرأ عليه *المقدمة الجزولية* في النحو، فأخذها ابن حياتي وقصد أبا العباس ابن الشماع المراكشي وقرأ عليه فاتحتها، ثم أقرأها عشية اليوم نفسه.

توفي زوال يوم الخميس 8 جمادى الأولى عام 788 / 7 يونيه 1386 وعند ابن قنفذ أنه توفي سنة 781 لكنه غير مدقق.

ي. السراج، *فهرست*، مخطوط. خ ع 1242 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة. ط. الرباط، 1973، 1 : 237 ؛ *درة الحجال*، 2 ، 275 ؛ أ. ابن قنفذ، *شرف الطالب*، *موسوعة أعلام المغرب*، 2 ، 692 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، ص 272 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 ، 278.

محمد حجي

الحَيَايْنة، قبيلة تقع شرق وشمال شرق فاس وتخضع إداريا لعمالة إقليم تاونات. والمؤكد أن أولاد حيون أو حيان، أو الحياينة كما يعرفون اليوم، لم يرد ذكرهم قبل العصر السعدي، هذا العصر الذي عرف استقرار بعض القبائل بالمنطقة كالشراقة وأولاد جامع (*فاس وباديتها*، 1 : 113) . كما أنه من المحتمل أن يكون الحياينة قد حلوا محل بني ومود الذين لم يبقوا معروفين بهذا الاسم اليوم، وقد أكد مرمول وجودهم بضاحية فاس على بعد ثلاث مراحل إسبانية، أي أقل من 17 كم من فاس الذي لا يفصلهم عنها إلا النهر، وربما كان النهر المقصود هنا هو ايناون (*إفريقيا*، 1 ، 264).

والحياينة الذين يتفرعون إلى أولاد عمران الذين يسكنون الشمال، ثم أولاد رياب إلى الجنوب، ووسطهم أولاد عليان، ربما يكون أصلهم من الخلط الذين كانوا يسيطرون على جوانب وادي سبو. كما يمكن إدراج أصلهم مع أولاد أحيى الذين هم من ذوي حسان المعقليين، ولو أن المواطن الأولى لهؤلاء، هي نواحي ملوية. إلى أن استصرخ بهم علي بن بدر الأسكندري صاحب السوس بعد الموحدين فأصرخوه وارتحلوا إليه وأقاموا بالسوس. وهل يمكن إدخالهم ضمن المعقليين المنتمين إلى عوف بن بهثة بن سليم: أولاد بحيى لأن هؤلاء، كانوا يسكنون بجنوب القطر التونسي ؟

وكل ما نعرفه الآن أن قبيلة الحياينة شأنها في ذلك شأن قبيلتي شراقة وأولاد جامع. كانت موجودة بناحية فاس على العهد السعدي الأخير (*فاس وباديتها*، 1 : 113). أما مولاي التقي العلوي فيصنفهم ضمن القبائل المختلطة التي تسكن الضفة اليسرى لورغة أحد روافد سبو (*البحث العلمي*، 27 : 211).

وترى الرواية الشفوية للحياينة أن السكان ينحدرون من قبائل عرب بني هلال الذين نزحوا إلى المغرب من الشرق، حيث الولي الصالح سيدي مَحمد (فتحا) بن الحسن الجناتي أكبر صلحاء البلدة الذي كان يملك أغلب أراضي المنطقة، استقدم لدى زيارته إلى الشرق المدعوَّ حيّون إلى قبيلة الحياينة ومعه أبناؤه الثلاثة، عمران وعليان ورياب، حيث سلمهم أراضيه، فاختلط السكان بذرية حيون، نحملت المنطقة أسماءهم (*مهرجان الفروسية*، 2 : 17).

ونظراً لموقع قبيلة الحياينة على مسالك فاس تجاه الشرق والشمال الشرقي فقد ساهمت أكثر من غيرها في الاضطرابات التي عرفتها فاس ما بين القرن العاشر والثالث عشر (16 . 19 م). وهكذا وقعت حرب بين أهل فاس والحياينة وشراقة سنة 1047 / 1637 على قنطرة سبو، قتل فيها من أهل فاس خمسة وأربعون رجلا، فخرج شرفاؤها وعلماؤها إلى سلا مستغيثين بالمجاهد العياشي السلاوي.

وفي رجب عام 1062 / يونيه . يوليوز 1652 خرج الفقهاء من فاس لزاوية الدلاء مستغيثين بالرئيس محمد

الحاج الدلائي لكف الحياينة من النهب وقطع الطريق وسفك الدماء، بعد أن كتب له أئمة العصر أجوبة بوجوب مقاتلتهم، إذ بلغت الفتاوي سبعا حررها أكابر فقهاء المدينة.

وفي عام 1073 / 1662 خرج مولاي محمد بن عبد الله بن علي بن طاهر الحسني لقتال ابن عمه مولاي مَحمد بن الشريف، معاضداً من طرف الحياينة. هذا الحدث له أهميته السياسية في وضعية فاس الداخلية وعلاقتها بزعماء الحركة السياسية لقيام الدولة العلوية، وعلاقتها أيضاً بالقبائل المجاورة.

وبعدما تمكن مولاي رشيد من ابن مشعل بناحية تازا ومقتل مولاي مَحمد، قام أهل فاس صحبة الحياينة والبهاليل وغيرهم واجتمعوا با الفتوح للميز وتأكيد الخروج عن مولاي رشيد فأعرض عنهم .وفي عام 1141 / 1728 كانت قبيلة الحياينة من ضمن القبائل التي اجتمعت على دعوة عبد المالك أخ مولاي المنتصر ابني المولى إسماعيل لمحاربة العبيد، فجرّد لهم العبيد خيلا سارت إليهم، فانهزم الغرب ومنهم الحياينة في وقعة دارت رحاها قرب وادي إيناون ...

وعلى عهد السلطان المولى سليمان وخروج أخيه المولى مسلمة عليه، ساند الحياينة المولى مسلمة، فخرج السلطان إليهم وأوقع بهم، حيث انهزم الحياينة والمولى مسلمة، فنُهبت حلة الحياينة، وجاؤوا تائبين فعفا عنهم ونظمهم في تلك الجماعة (*الاستقصا*، 8 : 91).

وعلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1201 / 1786 تصدى هذا الملك لغزو قبيلة شراقة ... فلجأوا إلى ضريح الشيخ أبي الشتاء بفشتالة، ثم سار إلى الحياينة فأطلق الجيش في زروعهم فحصدوها ودرسوها واستصفوها عن آخرها، ثم جرد الخيل في طلبهم، فاكتسحوا حللهم وأثاثهم. قال صاحب *البستان* : كنت يومئذ قد توجهت بجيش إلى عامل وجدة أبلغه إياه، فلما رجعت أدركت السلطان ببلاد الحياينة (*الاستقصا*، 9 : 62).

وفي أواخر شعبان 1276 / مارس 1860 كان لقدوم عرب الحياينة عميق الأثر، لمحاربة أودنيل الاسباني بوادي بوصفيحة. بعد أن انتقض الصلح مع الأصنيول الذين استولوا على تطوان ثم تراجعهم عن ذلك، حيث إن أبطال الحياينة "جاؤوا في حرد كبير وحنق شديد فقويت قلوب الناس بهم واشتد أزرهم وتقدموا إلى العدو، فأنشبوا معه الحرب بأبي صفيحة، فأوقعوا به وقعة أنست ما قبلها فقتلوا منه ما خرج عن الحصر ... وكان الذكر فيه لعرب الحياينة.

وبأرض الحياينة كانت انطلاقة ثورة الجيلالي الزرهوني المدعو بأبي حمارة، حيث إنه ذهب إلى قبيلة الحياينة التي كانت تتقلب بين الطاعة والعصيان وصادف وصوله انعقاد موسم صالح مدفون بها يسمى سيدي مَحمد بن الحسن الجناتي، وهو موسم مشهود تحضره قبيلة الحياينة ووفود القبائل المجاورة كغياثة والبرانس والتسول وصنهاجة الجبلية... فلم يجد الجيلالي الزرهوني فرصة خيراً من فرصة ذلك الموسم لإعلان ثورته.

لا يعني ما سبق أن قبيلة الحياينة كانت تثور من أجل الثورة المجانية، لكن ربما اعتباراً لظروف سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، خصوصاً إبان الأزمات السياسية وضعف السلطات المركزية، حيث إن المدينة (فاس) تشعر بنفسها محاصرة نتيجة لتحكم قبيلة الحياينة في بعض شرايين المدينة التجارية، لا سيما حينما كان للموكب الحجي عبر هذه المسالك أهميته الكبرى قبل نهاية القرن الثاني عشر (18 م). أضف إلى ذلك مشكل الأراضي الفلاحية والعزبان على الخصوص، حيث تكثر الملكيات العقارية للفاسيين بأرض الحياينة. كما أن التوتر بين فاس والحياينة لا يعني أن الصراع كان تنافريا باستمرار، بل إن فترات الانفراج كانت تفسح المجال أحيانا إلى تحالف واضح في مواقف موحدة، حيث حصلت تحالفات متكررة بعد وفاة المولى إسماعيل، وكذا عند انتقال السلطة إلى السلطان الحسن الأول (تطور العلاقات بين البوادي والمدن، 38)

ويصف الرحالة الفرنسي دوفوكو الحركة التجارية بين تجار فاس والحياينة في ثمانينيات القرن الماضي في أحد أسواق الحياينة قائلاً : "أهل فاس يبيعون (البلغة)، لكن كذلك المنتجات القطنية والسكر والشاي ... ويشترون الحبوب والزيت والماشية والدواب (*Reconnaissance du Maroc*, 36).

أما بعد توقيع الحماية فإن قبائل الحياينة شأنها في ذلك شأن القبائل التي تسكن الخط الرابط بين فاس ووجدة مروراً بتازا، وقفت حجر عثرة أمام الجيوش الفرنسية المدججة بكل أنواع الأسلحة، فعلى الطريق من فاس إلى تازا شمالا وجنوبا هبت القبائل المجاورة لفاس وتازا، والتي تتخذ من تيسة (أهم مراكز الحياينة) مركزاً لها لتضرب الجيوش الفرنسية المتوغلة، وحرموا على الجيش الفرنسي دخول مركز تيسة في مارس 1913 حيث قرر الجنرال "گورو" توقيف كل تحرك عسكري فرنسي، فقد حرم عليه القائدان "الحجامي" و"الفشتالي" كل حركة منذ محاولة مارس إلى منتهى دجنبر 1913. وضاق الجنرال "گورو" ذرعاً بهذا الحصار الذي فشلت كل المحاولات لفكه في 24 يناير 1914. وقالت الوثائق الفرنسية إن الجنرال إنما كان يقوم باستعراض عضلات جيشه لإرهاب قبيلة الحياينة، وأنشأ مركزاً على بعد ثمانية عشر كيلومتراً من تيسة في (الزرارقة) هذا المركز الذي لم ينج بدوره، إذ دارت معارك شرسة ما بين 24 و26 مارس، قتل خلالها القبطان "أوفيفر" (*الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية*، 249). نفس البسالة والصمود أبانتها قبيلة الحياينة في وقعاتها ضد الاستعمار

الفرنسي بكل من عين عائشة وعين معطوف. وحتى إبان تدخل المجاهدين الريفيين ضد القوات الفرنسية الإسبانية المتحالفة، كانت قبيلة الحياينة تبدي بسالة ومقاومة شديدة، حيث اخترقت طائفة من المجاهدين المناطق الشمالية لتازا في اتجاه تيسة مما يؤكد مخطط الهجوم على فاس (*الحرب المغربية* : 364). ويضيف نفس المصدر أنه عندما تحركت قوات فرنسية يوم 5 ماي 1925، لإنقاذ معسكر فرنسي في عين معطوف، وجدوا الجميع مقتولين حيث أطلقت الوثائق الفرنسية التعبير بقولها (لم تجد قوات القبطان ميج في معسكر عين معطوف إلا عسكريا واحداً على قيد الحياة). وفي معارك تيسة تذكر المصادر انقلاب المجندين المغاربة، حيث لم يبق تحت الجنرال "فريد نبيرغ" إلا القبطان "ريسبلاندي" الذي كان ينزف دماً كان ذلك يوم 9 ماي 1925، وبعد هتاف المجندين المغاربة "الله أكبر" وانقلابهم ضد الجنرال، لم يبق أمام هذا الأخير إلا الهروب، حيث تعقبه الريفيون حتى (غارة الزيات) (*الحرب المغربية*، 365).

ح. الوزان الافريقي، *وصف افريقيا*. ا. تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 : القادري، *التقاط الدرر*. تح. هاشم العلوي، بيروت، 1981 : أ. الناصري، *الاستقصا*. الدار البيضاء، 1954 : التقي العلوي، *أصول المغاربة*، مجلة البحث العلمي. عدد 27، الرباط، 1977 : م. مزين، *فاس وباديتها*. الرباط، 1986 :ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط 1979 : مصطفى العلوي، *الحرب المغربية الفرنسية الاسبانية 1906-1936*، الرباط، 1994 : عمالة إقليم تاونات، *مهرجان الفروسية*، رقم 2، *تطور العلاقات بين البوادي والمدن في المغرب العربي*. (ندوة)، الرباط، 1988.

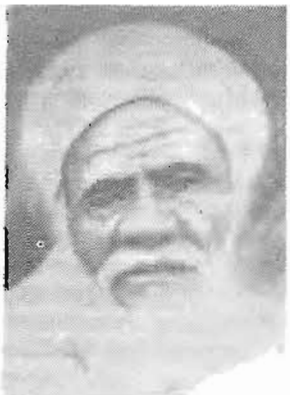
C. De Foucauld, *Reconnaissance du Maroc, 1883 - 1884*. Paris, 1888.

الحسين البعاري

حيدا بن مايس، قائد كبير أصله من الصحراء تربى في الإغارات على الآخرين وبذلك استطاع أن يجعل مكانته بين أمثاله في رأس الوادي بسوس، وينتمي إلى أولاد برحيل من قبيلة المنابهة. ربط علاقاته بأسرتين كبيرتين مادياً ومعنوياً. فقد تزوج حيدا إزّى بنت بَيْرُوك من عائلة بَاهْبَّاز الشهيرة (*خلال جزولة*، 3 : 181) كما زوّج حيدا بنته لمحمد بن الحسن بن حماد من عائلة المجد والكرم، فكان حيدا نفسه رجل الكريهة مغْواراً مدافعا مهاجما، كأنما خلق من عثير الحرب الزبون ..." (*المعسول*، ج 4 : 165).

وبتلك الصفات أصبح أهلاً لقيادة من هناك من طرف المخزن المغربي. وقد تناول الكتاب شخصية حيدا، تارة بالإعجاب والتقدير، وطوراً بالهجاء، والتحقير. ويمكن التحقيق من حدة هذه المفارقة إذا استحضرنا عند الكتابة عن هذه الشخصية أن ما يقال عن فائدة معركة ما عند الانتصار، ليس هو ما ينعت به عند الانهزام، وهنا تأتي الصعوبة التي مصدرها الموازنة بين ماله وما عليه.

وصف حيدا بأنه كان أعظم قائد في تلك الظروف أمام كل من الحاحي والأكلاوي والكنتافي. كما كان آخر قائد للمخزن التحق بالأمير أحمد الهيبة مما يدل على أنه أخذ جانب الاحتياط تدبراً منه للموقف الصعب.



ولما قدم حيدا على الأمير أحمد الهيبة بتيزنيت فرح به الجميع، وقد أنساهم مقدمه أبّهة الباشا كابا بالأمس، حتى إن الأمير أحمد الهيبة قال له : "فإنك يا حيدة منذ الآن والدي وأمري كله بيدك" (*المعسول*، 4 : 124). وهكذا عين حيدا رسمياً كبير المحلة عند الخروج من تيزنيت إلى مراكش من طرف الأمير الهيبة (1912). وفعلا نظم تلك المحلة لمدة 14 منزلة. ولما وصل إلى مراكش أوعز إلى الأمير الهيبة بالقبض على قادة الحوز غدراً، قائلاً له : "تتغدّ بهؤلاء، قبل أن يتعشوا بك". فالغاية عند حيدا تبرر الوسيلة. لكن الأمير أحمد الهيبة رد عليه رداً إسلاميا بقوله : "أمان الله عليهم، هم مسلمون وما كنت لأغدر المسلمين" (*المعسول*، 4: 135).

كانت هذه المفارقة هي السبب الواضح في جعل حيدا يلتمس لنفسه مخرجاً آخر، لذلك بعد انهزام المجاهدين في معركة سيدي بوعثمان شمال مراكش اتصل بجانب الحماية وهكذا رجع إلى داره برأس الوادي فقلب ظهر المجنّ، وقاوم الأعراب ومن إليهم ومع ذلك راود الهيبة أن يدخل مع حكومة مولاي يوسف ... ومع الدولة الحامية (*المعسول*، ج 4 ص. 164) ولما رفض الهيبة ذلك، كما أن حيدا رأى رأس الباشا كابًا معلقا بأساراگ بتارودانت أعلن الحرب على خصومه. خصوصا أن الحكومة المركزية قبلت توبة حيدا بمجرد فراقه للهيبة، فأرسلته ليكفر عن سيئته بإخراج الأعراب من تارودانت وهكذا أصبح حيدا رأس رمح لصالح الحماية ضد الأمير الهيبة، وهو عميد الحكومة الوحيد في رأس الوادي.

لم يكن حيدا وحده الذي قلب ظهر المجنّ بل هناك آخرون "بدّلوا مواقفهم بعد الانهزام، فتنبهوا من ذلك التنويم المغناطيسي" (*المعسول*، 4 : 167). وأدهى وأمرّ أن يكون حيدا المطلع على أسرار الأمير الهيبة هو القائم بمحاربته لأنه - ولاشك - يعرف مواطن الضعف والقوة.

ولكن ما العمل فقد كانت مدينة تيزنيت أول من ناصرت الأمير الهيبة وها هي اليوم أول من انتفض ضده،

وهاهم قادة الحوز كلهم مع سلطة الحماية، وهكذا فعل القائد الجراري وهو بجانب تيزنيت، والناس دائماً مع قوة الزمان فإذا كان المتحمسون للأمير الهيبة بالأمس يفرون منه اليوم، فكيف بحيدا الذي وصفه محمد بن الحسن بن يعيش حاجب السلطان بقوله : "فإذا بالغدار حيدا تعرّض للرسول - بينه وبين الهيبة - فاغتاله أصحابه" (*المعسول*، 4: 181).

وعلى كل حال لم يكن الأمير الهيبة لقمة سائغة في حلق حيدا، بل كانت الحرب سجالا، لكن كفة حيدا تميل دائما إلى الرجحان.

ومما يدل على مكانة حيدا لدى الحكومة أننا نجده يكاتب قائد ماسة الحاج محمد باغْبّالُو ويَعِدُه من طرف المخزن المغربي بما يسره، كما كان يراسل قبائل أزغار ويحاول ضمها إلى المخزن المركزي بقدر ما يُنفّرُها من الأمير الهيبة.

استطاع حيدا أن يُخرج الأمير الهيبة من تارودانت فصار هو نفسه باشا تلك المدينة، ومنها تخرج الحَرْكاتْ إلى اشْتُوكَنْ، وكان مغواراً بخوض الحرب بنفسه حتى إنه جرح مرة ضد القائد الناجم الاخصاصي، وكاد أمره يَنْدَحِرُ، غير أنه جمع بسرعة قوته من جديد.

ومن دهاء حيدا استغلاله ما صدر من جانب الأمير الهيبة تُجاه كبَارَ القوم، مثل الفتك بالقائد سعيد المجاطي والقائد عبد السلام الجراري والباشا گابّا بتارودانت والعلامة محمد أو عَبُّو بأشتوكن، فصار الناس يقولون : "هكذا رجع الهيبة فاتكاً بعدما كان يستأمره حيدا أمام أسوار الحمراء في الفتك بالعظام فيتورع، ولكنه إنما تورع عن ذبح الكباش الكبار، ثم رجع أخيراً إلى ذبح الخرفان الصغار" (*المعسول*، 4 : 188).

يجب أن نستحضر هنا أن الأمور قد اختلطت في ذلك الوقت فلا يمكن أن نحمل الأمير الهيبة كل شيء، ومع ذلك فقد استفاد الداهية حيدا من كل ما نسب للصحراويين صدقا أو كذبا، وباستغلال تلك الإشاعات وترويج وتصحيح ما صح منها استطاع أن يحتل إشتوكن بكاملها، وفي الحين انضم إليه أيْتْ لمعْدْر الذين فضلوه على حكم ابن دحّان وسرعان ما تحكم في قبائل أزغار كلها إلى رأس الوادي ثم سلط عليها المغارم الباهظة وجمع أموالاً كثيرة.

كان الوقت إبّان الحرب العالمية الأولى فإذا بغواصة ألمانية ظهرت بأيْت باعمران في أفتاس - ن - ركُونْت بقبيلة أيت إخْلْف وهنا فضلت الحكومة المركزية الباشا حيدا على ابن دحّان، حيث رحل هذا الأخير فحلّ حيدا محله تيزنيت، يجرّ وراءه قوة عظيمة، غزابها دار القائد المدني الأخصاصي، كما صالحه أبو الطعام الرخاوي، ولم يبق له إلا أيت باعمران للوصول إلى المحيط ومشارف الصحراء.

وفي نفس الوقت عينت الحكومة في تيزنيت القائد حَاديمَانْ الحاج عبد الرحمان، ومعه القبطان جوستيتار بينما الحرب ومصارعة القبائل مَوكُولة إلى الباشا حيدا وحده.

وقد اشتد تخوف سلطته الحماية بعد اتصال الأمير الهيبة، بمن خرج من تلك الغواصة الألمانية.

وهنا جاء دور حيدا باحتلال جهة أيت باعمران، قبل أن تحتلها ألمانيا ومعه جيش كثيف لكنه سقط ميتاً في معركة إيگالْفن سنة 1335 / 1917 أمام مقاومة أيت باعمران ومن إليهم من القبائل التي لم تخضع بعد وذهبت محلته كلها غنيمة للمقاومين وحُمل رأسه إلى الهيبة في كاردوس ثم ألحق بجثته ودفن أمام ضريح الصالح سيدي عبد الرحمان بتيزنيت.

م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 2، 3 - 4 - 20 ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، مداخلة ندوة بتيزنيت لجهادي الحسين ؛ الجامعة الصيفية بأگادير - مداخلة جهادي الحسين : *خلال جزولة*، ج 3 : *كناشة شابلاة* سيدي محمد بن أحمد الكرمي، مخطوط : *الكلمة* مجلة عدد 1 ص. 57 سنة 1971.

الحسين جهادي

ابن **حيدَة**، أسرة أسفيّة تنتمي إلى قبيلة "تمرة" العبدية بضواحي المدينة. استقر جدهم الأول الحاج عبد الله ابن حيدة بأسفي حوالي 1260 / 1844 وكان من بين أولاده أحمد ومحمد وعبد القادر، وكان لأحمد عقب، منهم :

ابن **حيدَة، عبد الله** بن أحمد بن الحاج عبد الله، ولد بأسفي في 27 رمضان عام 1330 / 9 أكتوبر 1912 واشتهر كشاعر للملحون، فهو من جيل الحاج محمد ابن علي الدمناتي ومحمد الرباطي، وكلهم كانوا من كبار أشياخ الملحون بأسفي.

اتصل عبد الله بشيوخ هذا الفن في أسفي بمنزل خاله السيد أحمد الگراوي، كما كان يتردد على نوادي الملحون في مختلف المدن المغربية. وقد ساهم هذا العامل في تكوين شخصيته الأدبية بالإضافة إلى معرفة جيدة بالمناخ الشعبي الذي نشأ فيه وتأثر به.

اشتغل عبد الله ابن حيدة منذ شبابه بالتجارة والصياغة، خاصة منها صياغة الأباريق والمجامر والأواني النحاسية بعد أن تعلم هذه الحرفة في فاس، ومنها ذهب إلى حج بيت الله الحرام راجلا. ولا تزال بعض الأسر في أسفي تحتفظ ببعض الأواني التي تُعد من صنع المترجم، يفتخرون بامتلاكها، وحتى إذا ظهر شيء منها، فإن الناس يتغالون في ثمنها لاقتنائه.

وكان عبد الله ابن حيدة إلى ذلك بحاراً حتى اشتهر بين الناس بلقب "الرايس". وغالبا ما كان يختم قصائده بهذا الوصف يقول :

خذ أراري ما يرضيك في جْواهر لنظام من علم الفتـــاح
شْغَلْ رايس فالملاحة واللّي سالك عني فاشْفـــي

نظم ابن حيدة في كثير من أعراض الملحون، على غرار ما نجده عند كبار شعراء هذا الفن. والملاحظ أن معظم

قصائده تكاد تكون في المديح النبوي، أو في الشعر الوطني إضافة إلى بعض الأحداث التي عاشها وعاينها.

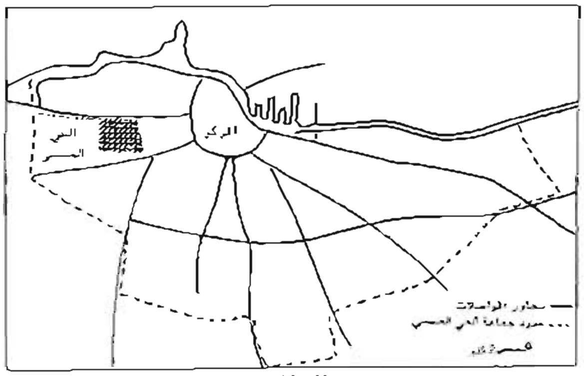
توفي بأسفي في شهر ربيع عام 1407 / نونبر 1987 فكان آخر شعراء الملحون بهذه المدينة.

روايات شفوية؛ ومعلومات خاصة.

منير البصكري

حيدوس (رقص) ← **أحيدوس**

الحَيُّ الحسني، تجمع سكني ضخم بالهوامش الجنوبية - الغربية للدار البيضاء، وهو جزء من عمالة عين الشق - الحي الحسني. يرجع أصل هذا الحي إلى تجمع الصفيح المسمى الدرب الجديد الذي تشكل سنة 1949 عن طريق عدد من الأحياء الصغرى التي كانت تنتشر داخل أحياء الواحة وبوسيجور وأنفا والمطار ... وقد بلغ عدد سكانه 15.819 نسمة سنة 1957، ليصبح بذلك ثالث أحياء الصفيح بالدار البيضاء من حيث الحجم بعد كاريان سانطرال وكاريان بن مسيك، وعلى إثر حريق شب به يوم 11 يونيو 1958 تم تشييد حي جديد مكانه أطلق عليه اسم الحي الحسني.



الحي الحسني

جاء المشروع الأصلي للحي الحسني ممتدأ على مساحة 80 هكتاراً ومن حجم مدينة صغيرة لحوالي 30.000 نسمة. ويتكون من وحدات سكنية صغيرة (غرفتين ومطبخ) سفلية أو على طابقين ومن عمارات للسكن الجماعي. وقد تم إنجاز شطر منه من طرف الدولة وتكلف السكان بإنجاز الأغلبية. واستغرقت هيكلة الحي زهاء عشر سنوات تم خلالها إنجاز عدة مجموعات سكنية متباينة الأشكال والأحجام. وشكلت عملية تشييد الحي الحسني إحدى التجارب الأولى لعهد الاستقلال في ميدان إشراك السكان في بناء سكناهم. كما شكلت انطلاقة للسكن الاقتصادي بالأحياء الجنوبية الغربية لمدينة الدار البيضاء.

يتجلى تواضع المستوى الاجتماعي لهذا الحي من خلال استمرار فئة العمال في احتلال الصدارة داخله. فهم يمثلون أكثر من ثلث ساكنته النشيطة. ومع استقطاب الحي لبعض شرائح الفئات الوسطى المتمثلة في صغار الموظفين ومستخدمي القطاع الخاص وصغار التجار والحرفيين، تصاعد دفع الفئات المتواضعة نحو هوامش الحي بسيدي الخدير. ولم يحد من اكتساح الحي الحسني من طرف الفئات الوسطى إلا صغر حجم السكن به، الذي لا يتعدى ثلاث غرف بالنسبة لما يزيد عن ثلثي الوحدات السكنية. وبذلك ظل الحي الحسني يشكل أكبر تجمع سكني للفئات المتواضعة بالأحياء الجنوبية الغربية للدار البيضاء. وبقيت وظيفته سكنية بالدرجة الأولى. فهو لا يوفر الشغل داخله إلا لحوالي 20٪ من ساكنته النشيطة. وترتبط الأغلبية بباقي أحياء المدينة وخاصة منها المعاريف والأحياء الصناعية والمركز.

مع احتضان هوامش الحي الحسني لمقر عمالة عين الشق - الحي الحسني وما يرتبط بها من مصالح إدارية، ومع تعدد تجزئات الدولة في امتداده الجنوبي، يجنح هذا الحي نحو التشتت والتباين عمرانيا ووظيفيا. وبذلك يكون الحي الحسني قد نشأ واتسع وفقد وحدته وتجانسه في ظرف لا يتجاوز ثلاثة عقود من الزمن، وبالتالي فهو يشكل نموذجا لسرعة إيقاع التحولات السوسيومجالية بالدار البيضاء.

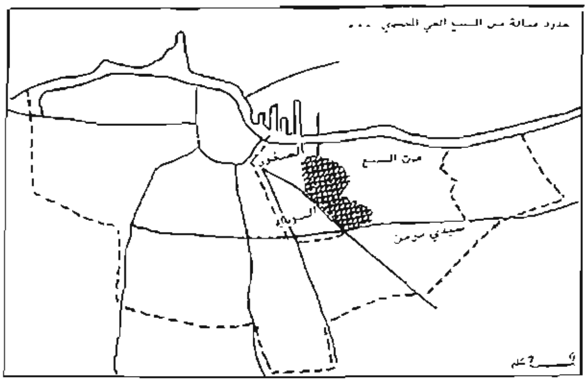
بحكم سرعة توسع الحي الحسني وتباين أجزائه وهوامشه تم فصله سنة 1981 عن جماعة عين الشق ليشكل جماعة حضرية تمتد على مساحة 1590 هكتار. وقد أصبحت هذه الجماعة تضم 198.195 نسمة سنة 1994. وبذلك أصبح الحي الحسني يشكل قطبا للأحياء المجاورة والمتكونة من أحياء الفيلات (السلام والهناء والراحة ...) وأحياء العمارات (بوسيجور والولفة ...) وأحياء السكن الاقتصادي (الولفة وفرارة ...) وأحياء السكن غير اللائق (سيدي الخدير وامتداده نحو الجنوب). ومع هذا التوسع المجالي والوظيفي يجنح الحي الحسني نحو الحد من طابعه السكني لتنتشر به أنشطة التجارة والخدمات ولتتحول بنواته الأولى الطوابق السفلية إلى محلات تجارية ولتتعدد به الأسواق وتتجه نحو التخصص.

م. شويكي، *إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء*، أطروحة دكتوراة الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1985، 3 أجزاء.

A. Adam, *Casablanca : essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; M. Benhima, *La cité de Derb Jdid*, 1959 ; A. De Montmarin, *Les nouvelles solutions en matière d'habitat : leur application au Derb Jdid*, *BESM* n° 80, pp. 437 - 447.

الحَيُّ المحمدي، بالدار البيضاء، من أكبر وأشهر أحيائها، وهو الآن جزء من عمالة عين السبع - الحي المحمدي. يرجع أصل الحي المحمدي إلى تجمع لسكن

الصفيح ظهر سنة 1920 بمحجر مهجور بمحاذاة المحطة الحرارية للصخور السوداء، وعرف تحت اسم كاريان سانطرال الذي يعتبر أكبر أحياء الصفيح التي تشكلت مبكرا بالدار البيضاء. ومع تصاعد حركة التصنيع بالمنطقة توسعت النواة الأولى لهذا الحي الذي تم ترحيله عدة مرات في اتجاه الشمال الشرقي والشرق. وفي نهاية سنة 1939 تم ترحيله إلى هوامش المدار الحضري نحو بقعة أرضية من 17 هك اقتنتها البلدية لهذا الغرض. وقد بلغ آنذاك عدد الأكواخ به 4.000 براكة. واستمر توسعه مع استقباله لسكان أحياء الصفيح الذين تم طردهم من القطاع الشرقي للمدينة. فتوسع على حساب أراضي الخواص. وبذلك أصبح كاريان سانطرال سنة 1950 عبارة عن تجمع لعدة أحياء للصفيح تضم 13.250 براكة و48.834 نسمة.



الحي المحمدي

ومع تعاظم حجم هذا التجمع وتزايد ارتباطه بالأحياء الصناعية، خضع بين 1950 و1960 لعدة محاولات للتحكم في توسعه. وتم ذلك عن طريق إنجاز برامج سكنية متباينة من حيث أحجامها وأشكالها. وفي هذا الإطار تم تشييد عدة تجمعات سكنية على شكل عمارات ووحدات سكنية مستقلة أو على طابقين، أطلق عليها اسم الحي المحمدي. ومع فتح المجال لتدخل الحي فئات اجتماعية أخرى في إطار تسويق الوحدات السكنية من طرف المؤسسات العمومية، أصبح الحي المحمدي عبارة عن تجمع سكني ضخم يضم إلى جانب أحياء الصفيح الأصلية عدة تجمعات للسكن الاقتصادي. وأضيفت إليها خلال عهد الاستقلال عدة تجمعات أخرى للفئات الوسطى مثل حي عادل والمسيرة وليلماء ... كان آخرها مجمع دار الأمان وإقامة الموحدين.

رغم هذا التحول يحافظ الحي المحمدي على طابعه الشعبي من خلال بنيته السوسيو مهنية التي يحتل بها المأجورون أكثر من 80٪. وتمثل داخلها اليد العاملة حوالي 75٪. وفي ارتباط بذلك لا يتوفر حوالي نصف الأسر بالحي المحمدي على أكثر من غرفتين. ولا يرجع ذلك إلى كون أغلبية وحدات السكن الاقتصادي تتكون فقط من غرفتين، بل أيضاً إلى انتشار حالات تعدد الأسر بالمسكن الواحد (حوالي ثلث الأسر تقطن غرفة واحدة). ونتيجة لذلك يعرف الحي المحمدي تكدسا كبيراً للسكان إلى درجة أن الكثافات السكانية بتجمعات السكن الاقتصادي قد أصبحت تفوق بكثير كثافات أحياء الصفيح. وعلى سبيل المثال تبلغ الكثافة في درب مولاي الشريف حوالي 1.800 ن / هك وتناهز 1.200 ن / هك في درب الكدية والسعادة، في حين لا تتعدى 660 ن / هك في كاريان السوق. وأمام هذا الضغط الديمغرافي شهدت معظم مجمعات السكن الاقتصادي توسعا عموديا عن طريق زيادة طابق أو اثنين. وبذلك أيضاً تزايدت الكثافات السكانية.

بشكل مواز للتوسع العمودي الذي لم تنج منه حتى أحياء الصفيح، شهد الحي المحمدي توسعا أفقيا كبيراً وخاصة في اتجاه الشرق. وبذلك فقد الحي تجانسه سواء على مستوى الإطار المبني أو هيكلته المجالية، لكنه ازداد ارتباطا بالأحياء الصناعية التي تشغل حوالي 75٪ من ساكنته النشيطة. وازداد الحي المحمدي تفككا مع التقسيمات الإدارية المتوالية التي ألحقت جزءاً من حي الصفيح الأصلي بجماعة عين السبع بدل جماعة الحي المحمدي التي يرتبط بها عضوياً ومجالياً.

أنشئت جماعة الحي المحمدي على إثر التقسيم الإداري لسنة 1981 الذي فصلها عن جماعة عين السبع. وخضعت بدورها سنة 1983 لعملية تقسيم جديد. فانفصلت عنها جماعة الصخور السوداء. وتضم جماعة الحي المحمدي في إطار حدودها الحالية معظم التجمعات السكنية التي تشكلت في ارتباط بحي الصفيح الأصلي، بالإضافة إلى عدد من الأحياء الصناعية. وتمتد على مساحة 390 هكتار وتضم 174.635 نسمة. وهي بذلك تسجل أعلى الكثافات السكانية بعمالة عين السبع ـ الحي المحمدي (450 ن / هك مقابل 150 ن / هك كمتوسط للعمالة)، وفي ذلك تعبير عن دورها كخزان لليد العاملة ليس فقط داخل هذه العمالة بل على صعيد الدار البيضاء ككل.

A. Adam, *Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'Occident*, Paris, 1968, 2 vol. ; CIFM, *Etude sur les populations habitants dans des cités construites par la Compagnie Immobilière Franco - Marocaine*. Document ronéo, Casablanca, 8 oct. 1955 ; R. Manneville, *L'expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca. Notes marocaine*, n° 7, 1956, pp. 2-8 ; A. Raggabi, *Promotion immobilière et production de logement en milieu urbain . Cas de l'opération Dar Lamane*. Mémoire cycle supérieur INAU, Rabat, 1985.

المصطفى شويكي

الحيَّاني، محمد موسيقي معروف ولد بالرباط عام 1362 / 1943. ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره التحق بالمعهد الموسيقي، ومقره يومئذ بساحة بيبيتري، فانخرط في قسم الصولفيج، وتلقى على يد الأستاذة أوريل دروسا في الغناء الكلاسيكي كان لها أثر في بعث موهبته الفنية وتهذيب ميله الفطري إلى الغناء. وقد تعرف عليه الملحن

المغربي عبد الله عصامي، فاستحسن صوته، ولم يتردد في تقديمه إلى عبد القادر الراشدي وهو يومئذ رئيس الجوق الوطني للإذاعة.

بدأ الحياني مسيرته الفنية منشداً مردداً ضمن المجموعة الصوتية بالجوق الوطني، ثم تحول ـ كعادة جل المطربين المبتدئين ـ إلى تقليد المغنين المشارقة، خاصة منهم عبد الحليم حافظ الذي كان يجد في أغانيه المجال الأمثل لصقل موهبته وإرهاف إحساسه باللحن والكلمة.



كان الحياني ـ لحسن أدائه وعذوبة صوته ـ محط اهتمام ألمع الملحنين وكتّاب الكلمات المغاربة، فلحن له أحمد البيضاوي، وعبد القادر الراشدي، وعبد السلام عامر، وعبد الرحيم السقاط، وعبد الله عصامي، وحسن القدميري، وكتب له زجالون أمثال علي الحداني وحسن المفتي.

تميز الحياني من بين سائر المغنين المغاربة ببراعة في أداء الأغنية الزجلية والقصيدة الفصيحة معا، وتلك ملكة قلما تهيأت لغيره من المطربين، وإن كان حضوره في مجال المطولات والقصيد الفصيح أكثر قوة وإشراقا. وإلى ذلك عرف بتشدده في اختيار أغانيه وحرصه على سلامة كلماتها وسمو ألحانها، مثلما عرف بحرصه على توفر الأجواء المناسبة لتسجيلها في استوديوهات الإذاعة.

كانت أولى أغاني الحياني أغنية "يا وليدي" التي سجلها مع جوق إذاعة الدار البيضاء. وعلى امتداد ثلاثة عقود تألق في أداء روائعه الغنائية التي شكلت محطة بارزة في مسيرة الأغنية المغربية الحديثة التي طبعها صدق المعاناة، وأداء وديع هادئ بمشاعر الطمأنينة التي يشوبها الحزن، ويتحاشى ركوب أساليب الميوعة وأنماط التطريب المتفسخ.

ومن هذه الروائع : راحلة ـ غنت لنا الدنيا ـ قصة الأشواق ـ بارد وسخون ـ مَنْ ضَيّ بْهاكْ ـ أنا حر. وهي إبداعات ستظل منقوشة في ذاكرة المستمع الواعي تفرض مكانتها إلى جانب ما أبدعه رواد الأغنية المغربية العصرية الأوائل أحمد البيضاوي، والمعطي البيضاوي، وعبد الوهاب أكومي.

دخل الحياني ميدان الفن السابع فتقمص دور البطولة في شريط "دموع الندم" الذي أنتجه حسن المفتي عام 1982 وقدّم فيه جملة من الأغاني العاطفية هي على التوالي : أنا في احضان الفرحة (زجلية) ـ تابعك بعيون المغروم (زجلية) وقْتاشْ تغني يا ݣلبي، راجع والندم دموع ـ ضَحْكِي يا عْيوني.

وقد اعتراه مرض عضال ألزمه الفراش، ولم يمهله أجله فتوفي صباح يوم الأربعاء، 10 جمادى الثانية عام 1417 / 23 أكتوبر 1996 عن عمر بلغ 53 حولا.

تصريح لمحمد الحياني في شهر يوليوز 1996 : جريدة العلم، 27 أكتوبر 1996 ، *جريدة الاتحاد الاشتراكي* 27 أكتوبر 1996 / 17 نونبر 1996.

عبد العزيز بنعبد الجليل

حيُّوج، يهودا بن داويد المعروف عند العرب بأبي زكريا يحيى، وهو نحوي مشهور، ولد بفاس حوالي سنة 950 م وتوفي بقرطبة أوائل القرن الحادي عشر.. وقد وضع الأسس العصرية لدراسة النحو العبري باكتشافه الجذور الثلاثية في هذه اللغة بمقارنتها مع اللغة العربية واللغة الأرامية. ومن أشهر كتبه، كتاب *التنقيط* وكتاب الأفعال ذوات حروف اللين.

مالخي ونان ليوسف بنايم ولرديوا (*Les noms des Juifs du Maroc*, Madrid, (1972)

شمعون لفي

ابن **حيّون**، أسرة فاسية عريقة، أصلها من الأندلس، ومايزال بفاس حي يعرف بدرب ابن حيون. كان منهم فقهاء وتجار وحرفيون ذوو معاش. كما يوجد بواحة اكتاوة بجنوب درعة قصر كبير يدعى "قصر ابن حيون" لكن النسبة إليه : "حيّوني".

ابن **حَيُّون، أحمد** بن المدني الفاسي، ضابط مغربي برتبة عقيد التحق بالجيش الفرنسي سنة 1924 واستمر في هذا الجيش إلى أن بلغ سن التقاعد سنة 1960 وتفرغ لكتابة مذكراته. اشتغل والده بأعمال تجارية في سوق "الحرارين" بفاس. إلا أنه سرعان ما جلبه المغرب الشرقي بسبب موقعه قرب الجزائر فاستقر ببلدة "عيون سيدي ملاك" في بداية القرن الرابع عشر (20 م) حيث اشتغل بتجارة الاستيراد والتصدير بعدما زار عدة دول أوربية وربط علاقات تجارية هناك، فأصبح من أثرياء المنطقة وأعيانها، ولذلك كان مقرباً لقواد المخزن أمثال القائد "ركينة" و"البوزكاوي". وربطته علاقة صداقة مع المدني الأكلاوي أثناء قيامه بالمغرب الشرقي على رأس جيش لمحاربة "بوحمارة". وعند رجوع "الأكلاوي" إلى مراكش رافقه المدني ابن حيون وأسكنه الأكلاوي في رياض خاص به. كما شجعه على

ممارسة التجارة هناك، وأصبحت قوافله تجوب الأطلس الكبير. إلا أنه بعد توقيع معاهدة الحماية. قامت السلطات الفرنسية، وخاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 بمصادرة ممتلكات المحميّين الألمان المغاربة ؛ وبما أن المدني ابن حيون كان محميا ألمانياً فقد صودرت ممتلكاته ولولا تدخل المدني الأكلاوي بصرامة لدى الجنرال دولاموط De la Mothe لتعرض للإفلاس والسجن. وعند افتتاح الأكاديمية العسكرية بمكناس شجع الأكلاوي المدني بن حيون لإرسال ولديه أحمد وعبد الكريم فدخلا معاً هذه الأكاديمية سنة 1924 وتخرجا منها سنة 1926 برتبة ملازمين.

التحق الاثنان أحمد وعبد الكريم ابن حيون بالخدمة في صفوف المشاة المغاربة ثم الكوم وذلك لمدة خمس سنوات (1927 ـ 1932). وانطلاقا من 1932 دشن أحمد ابن حيون مرحلة جديدة في علاقاته مع الجيش الفرنسي والإدارة الفرنسية بالمغرب بحيث انضم إلى نخبة الضباط الذين يصنفون ضمن "أهل السيف والقلم" حيث عين ضابطا للشؤون الأهلية بإقليم ورزازات سنة 1932.

وقاد الجيوش التي ساهمت في احتلال درعة السفلى وصاغرو والصحراء كما كان يقوم بمهمة المترجم وجلب أعيان هذه المناطق للمساهمة إلى جانب فرنسا في عملية الغزو والاحتلال. وقام بدور فعال في استمالة قائد المقاومة بصاغرو "عسو أبُسلام" من أجل التفاوض وإنهاء المقاومة وفي هذا الصدد يقول أحمد بن المدني في إحدى رسائله إلى المؤلف :

"... لما نودي على الجنرال Le Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالجنوب، كان الضباط الذين وجهوا إليه الدعوة ـ لينتقل من مركز القيادة ببومالن دادس إلى جبهة العمليات بجبل صاغرو ـ كانوا يعتقدون أن الأمر قد انتهى بمجرد قبول عسو أبُسلام لمبدأ التفاوض وأن حضور الجنرال سيكون شكليا وشرفيا بحيث إنه سيتقبل الاستسلام ويحضر مراسيم التعرگيبة. إلا أن هؤلاء اندهشوا جميعا وأصيبت فرائصهم بالارتعاش لما سمعوا عسو أبُسلام يخاطبهم قبل وصول الجنرال هوري بدقائق بقوله :

"عليكم معشر الفرنسيين أن لا تعتقدوا أنني جئت هنا لكي أتعرض للإذلال والإهانة، إنني جئت موفداً من طرف إخواني المقاومين، لأبحث معكم شروط تحقيق السلم بدون هزيمة وإلا فأنتم هنا ونحن لم ننزل بعد من الجبل ولم نضع السلاح بعد ..."

أمام تصريح عسو أبُسلام هذا وقف الضباط مشدوهين خاصة وأنهم تورطوا في إيهام القائد الأعلى بأن الأمر انتهى ـ فالتفت جميع هؤلاء إلى جهتي ففهمت قصتهم : إنهم يبحثون عن وسيلة للخروج من الورطة، وما هي إلا هنيهة حتى وصل الجنرال هوري بالطائرة. وبدأ في إلقاء خطابه أمام عسو أبسلام وهو خطاب مشحون بالوعيد والتهديد وكان من جملة ما قاله لقائد أيت عطا : "إن المخزن قوي جداً وقادر على سحقكم مثل الذباب" وأرفق كلامه بحركة رجله يدك بها الأرض.

ولما جاء دوري للترجمة حاولت تقليد حركة رجل الجنرال هوري إلاّ أنني حرفت من ترجمة الخطاب قليلا فقلت لعسّو أبسلام :

"إن المخزن متسامح ويقبل التفاوض معكم لإنهاء الحرب" وعندئذ انشرحت ملامح "عسو أ ُبسلام" وبدأت المفاوضات، وأدرك زملائي الضباط الدور الذي قمت به لإنهاء جحيم الحرب التي ذهبت بكثير من رفاق هؤلاء الضباط".

بعد نهاية العمليات العسكرية سنة 1934. دشن أحمد ابن المدني ابن حيون حياة جديدة، إذ أصبح من رجال السلطة في منطقة سوس حيث عين قائداً على قبيلة أيت صواب بالجنوب. وفي غيره من المراكز إلى أن عين باشا على أكادير سنة 1953 وأصبح أحمد ابن حيون إبّان الأزمة السياسية من قواد الجنوب الملتفين حول باشا مراكش التهامي الأكلاوي، كما أنه كان أداة لتطبيق سياسة الإقامة العامة بأكادير منذ عهد الجنرال جوان إلى الاستقلال أي بين 1953 و1955. وعند قيام مجلس العرش يوم 15 أكتوبر 1955 أي بعد إبعاد ابن عرفة إلى طنجة نودي على باشا أكادير لينضم إلى المجلس الموسع. وكان هذا المجلس يضم عند تأسيسه وتنصيبه يوم 17 أكتوبر 1955 : الحاج محمد المقري ومبارك البكاي والحاج محمد الصبيحي والطاهر وعسو، وقرر المجلس بالإجماع يوم 19 أكتوبر تكليف الفاطمي ابن سليمان بتأليف الحكومة وذلك بإيعاز من المقيم العام "بوايي دولاطور" Boyier De Latour وعندئذ خرج أحمد بن المدني ابن حيون بموقف على اثر انعقاد هذا المجلس يوم 26 أكتوبر ووزع التصريح الآتي على الصحافة :

"أصرح أنني لا أعترف في أي حال من الأحوال بالمؤامرات التي تحاك وتدبر حاليا في القصر. إنني أرفض الحلول التي تسعى إلى تجريد المغرب من سلطانه الشرعي، وبالتالي فإنني أطالب برجوع جلالة الملك محمد بن يوسف إلى عرش أسلافه بدون أي قيد أو شرط".

وهكذا نلاحظ أن التغيير الذي طرأ على موقف أحمد ابن حيون ـ شأنه شأن كثير من القواد ـ أملته عليه المستجدات بعدما رأى الشعب المغربي برمته يسير نحو الاستقلال فالتف بدوره إلى تلك الجهة جهة الحرية والاستقلال وعودة السلطان محمد بن يوسف. وقد غادر المغرب في دجنبر 1955 واستأنف عمله بالجيش الفرنسي إلى أن بلغ رتبة عقيد ثم تقاعد سنة 1960. وقد أدركته المنية سنة 1992. وترك مؤلفاً يدافع فيه عن مواقفه سماه "متهم بالإخلاص". وقد كان أحمد بن المدني ابن حيون من ألمع الضباط الذين عملوا مع فرنسا خلال الحماية.

توفي سنة 1413 / 1992.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط، 1984 ؛ ع. بوراس، *مجموعة من رسائل أحمد بن المدني ابن حيون*.
C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978, p. 446 ; *Bulletin de la Koumia*, N° 125 juillet 1992, pp. 24 - 26 ; N° 127 décembre 1992, pp. 39 - 40.

عبد القادر بوراس

ابن حيّون، الغالي بن محمد الفاسي، وصفه ابن سودة في *إتحاف المطالع* "بالفقيه العلامة المدرس المطلع" وقد تتلمذ له وحضر دروسه بجامع القرويين وخصص له ترجمة مطولة في فهرسه *سل النصال* لكن هذه الترجمة مما سقط وضاع من هذا الكتاب.

توفي بفاس عام 1354 / 1935.

م. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة أعلام المغرب، 8 : 3045.

ابن حيّون، محمد بن المدني الفاسي، انفرد بترجمته - فيما أعلم - إدريس بن الماحي الإدريسي في وفياته، وقال عنه "كان خيراً ديناً ورعاً زاهداً معتكفاً على قراءة العلم... ومع إقلاله من الدنيا كان ذا همة عالية لم يطلب وظيفاً قط، إنما كان ينوب عمن حصل له عذر من الأئمة والخطباء والوعاظ، وكان يتقوّت من كدّ يمينه" إنه نموذج فريد في الفترة المعاصرة للعالم الزاهد المواظب على فعل الصالحات، المسارع في الخيرات، إلى أن لقي ربه راضياً مرضياً يوم الأحد 22 محرم عام 1361 / 8 فبراير 1942.

إ. الإدريسي، *وفيات بعض أهل القرن الثالث عشر والرابع عشر*، مخطوط المؤلف، ص 23.

محمد حجي

الحَيُّوني، محمد الحنفي بن أبي بكر الأكتاوي الدرعي، ولد في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وأخذ مبادئ القراءة والكتابة بمسجد بلدته على عادة بني قومه من سكان أكتاوة. ثم انتقل شمالا إلى واحة فزواطة فالتحق بزاوية تامگروت الناصرية لأخذ العلم عن شيوخ الزاوية وعلمائها. ونستشف من بعض الإشارات في *رحلته الحجية*، أن الفقيه الحيوني بعد أخذه لحظ من العلم بتامگروت عاد إلى مسقط رأسه بقصر بني حَيُّون، فأسندت له قبيلة القصر إمامة المسجد وهي المهمة التي تجعل منه بطريقة مباشرة عدلا تكتب رسوم معاملات القبيلة في بيعها وشرائها وحَكَماً شرعياً يفصل في قضاياها. وقد سمحت له هذه المهمة في وسطه القبلي بربط صلات قوية مع شيخ قبيلة قصر بني حَيُّون في وقته محمد البَشْرِي، وبعد تجربة قصيرة في ممارسة الأحكام الشرعية، لم يكن الحيوني راضيا عن وضعيته، لأن بعض الناس من عامة القبيلة كان يعترض على أحكامه ويرفضها : "فإن قلنا له الحق كذا، يقول ليس ذلك الحق وليس ذلك الشرع" (*الرحلة*، 56) وحتى يتخلص من التزاماته مع القبيلة عامة والشيخ القوي محمد البَشْرِي بصفة خاصة، قرر أن يرحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وفي نيته المجاورة بالأزهر الشريف لإتمام دراسته العلمية.

غادر الحَيُّوني بلاد درعة في حدود عام 1260 / 1844 ولم يدون أخبار رحلته إلا بعد مضي ثلاث سنوات وقضائه مدة طويلة بالقاهرة تمكن خلالها من التمرس باللهجة المصرية، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه، أن الرحلة تحتوي على ألفاظ من اللهجة المصرية مثل الشبّال والشلبي والطرح والعربية وغيرها. وتبلغ عدد صفحات *الرحلة* حوالي ستين صفحة من الحجم المتوسط، وتتكون من مقدمة وسبعة أبواب وحوالي ثلاثة عشر فصلا كلها مخصصة للحديث عن السفر في البحر وبلاد المشرق العربي باستثناء المقدمة التي لخص فيها أخبار سفره من أكتاوة إلى مدينة أسفي عن طريق مراكش.

ومن الملاحظ أن رحلة الفقيه الحَيُّوني تختلف عن باقي الرحلات الحجية التي أنجزها علماء زاوية تامگروت من الناصريين وغيرهم، بحيث لم يقلد أحدا في عمله ولم ينقل عن غيره، وإنما يصف ما شاهده بعينيه وما طرق سمعه، قاصدا بذلك إعلام الشيخ محمد البشري "ببعض الغرائب والعجائب التي قصر عليها ذهنه من أجل عدم الوصول إلى أماكنها" (*الرحلة*، 1).

ورغم أننا حاولنا العثور على أخبار الفقيه الحيوني بمنطقة أكتاوة فلم نتمكن من الحصول إلا على معلومات تفيد بأنه فقيه محصّل وأنه قرأ في مصر وحج لا غير. ولم يفدنا أحد بتاريخ عودته من مصر ولا تاريخ وفاته.

ونقدر أنه مات في حدود عام 1280 / 1863.

م. الحيوني نفسه، *الرحلة*، مخطوط ؛ وثائق محلية ؛ وتحريات ميدانية.

أحمد البوزيدي

خ

الخابوري (لون) كانت صباغة الخشب والحديد والجلود والملابس والأردية والأفرشة والجدران وأبواب الأضرحة والمساجد والمنازل وغيرها في مغرب ما قبل الحماية وقبل انتشار الصباغة الحديثة طبيعية أهلية بلدية. وكانت هذه الصباغة تستمد من مصادر نباتية كالنيلة والحناء والزعفران، أو معدنية كالبارودية والطرطار، أو حيوانية كالقشينة أو القرمزية، وهي حشرة تعيش على الصبار أو شجر البلوط الأخضر.

وكانت الألوان الطبيعية المستخرجة من المصادر الثلاثة المذكورة هي الأزرق والأحمر والأصفر، وهي ألوان أساسية تتفرع عنها عدة ألوان ثانوية تختلف في نصاعتها باختلاف كمية الصباغة ومدتها. فعن الأزرق يتفرع النيلي والعلجي والفضي، وعن الأحمر الأرجواني ودم الغزال والوردي، وعن الأصفر الكبريتي والرنجي والقصبي والخابوري وغيرها.

فاللون الخابوري يستمد اسمه من الخابور وهو نبات الوزال ذو اللون الأصفر الفاقع الذي يفرض نفسه بين الألوان، وهو ينتشر في المغرب والأندلس وينمو بكثرة في المرتفعات الشرقية لجبل سيروا والأطلس الكبير والصغير ويدعى أشْفُود بالأمازيغية.

وقد كانت للصباغين في مغرب القرن الماضي وماسبقه قدرة كبيرة على مزج الألوان والتحكم في مقادير المواد التي تكون منها وتحديد المدة الكافية للحصول على كل لون، ولذلك يقول أهل الحرفة من الصباغين بأن "الناقص عيب والزائد عيب في الصباغة". ويؤدي كل إخلال بالمقادير ومدة الغليان أثناء الصباغة إلى تغيير اللون والانحراف عن فرعه المطلوب مما قد يلحق كبير الأضرار بسمعة الصباغ ويطعن في اتقانه للحرفة

وكان الزبناء يقصدون الصباغين بأرديتهم وأصوافهم وجلودهم وغيرها، ويطلبون تلوينها بصباغة محددة تكون إما لونا رئيسيا أو متفرعا عنه يذكرونه لهم بالاسم. فمنهم من يطلب اللون الكبريتي الذي يشبه الكبريت ومن يطلب الرنجي الذي يشبه لون الرنج أو الأترج، وقد يطلب بعض الزبناء، من الصباغ اللون القبقلاني نسبة إلى لون شجرة القيقلان المعروف بالميموزا le mimosa أو القصبي نسبة إلى لون القصب أو الخابوري نسبة إلى الخابور. وتعتبر كل الألوان المذكورة من فصيلة رئيسية واحدة هي الأصفر لكنها تختلف عن بعضها البعض زيادة أو نقصانا في كمية الصباغة ومدتها وطريقة مزجها وأسلوب إذكائها أو إخفائها. وهنالك ألوان فرعية أخرى من غير ما ذكر مما ينتسب إلى مجال الأصفر نذكر منها القشرى الذي يشبه لونه لون قشور الرمان والقيحي الذي يشبه لون القيح والتبني الذي يشبه صفرة لون التبن ثم الذهبي والمشماشي والگرعي والبناني والجنجلاني والزيواني وشمس العشي والقمري وضوء الصباح والمحنية. وتشبه هذه الثلاثة الأخيرة ضوء القمر وضوء شروق الشمس في الصباح وصفرة لون الحناء.

ع. بنعبد الله، معجم *الألوان*، الرباط. 1969 ؛ جامعة الدول العربية، معجم *الملابس*، الرباط، 1975.

M. Kouadri et P. Ricard, *Procédés marocains de teintures des laines*, Rabat 1938 ; L. Gatineau, *Notes sur le montage d'une cuve à indigo, C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959 ; Anonyme, *L'industrie du tannage des peaux au Tafilalet*, *B.E.M.*, vol. 3, 1936 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Roy, *La laine*, Paris 1946 ; A. M. Goichon, *La vie féminine au Mzab*, Paris 1927 ; H. Miner, *Le déclin des corporations de Fès*, *B.E.S.M.*, vol. 3 n° 109, avril - juin 1968 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913, *R.M.M.*, tome 58, 1924.

محمد بوسلام

الخارجية (وزارة الشؤون الخارجية والتعاون) بعد حصول المغرب على الاستقلال قبل أربع وأربعين سنة انبعثت من جديد وزارة الشؤون الخارجية المغربية في 26 أبريل 1956 بمقتضى ظهير (قانون تشريعي) صدر في 13 أكتوبر من نفس السنة نص على إحداثها وتنظيم الخطوط العريضة لها. لقد سبق أن غيّبت معاهدة الحماية التي أبرمت بين فرنسا والمغرب هذه الوزارة فيما غيبته من الوزارات المغربية في سياق انتهاجها لسياسة الحكم المباشر، وذلك بموجب الفصل الخامس من هذه المعاهدة الذي نص على ما يلي :

"سيمثل الحكومة الفرنسية لدى الجلالة الشريفة مندوب مقيم عام بيده جميع سلطات الجمهورية بالمغرب وهو الذي يسهر على تنفيذ هذه المعاهدة. وسيكون المندوب المقيم العام الوسيط الوحيد للسلطان لدى الممثلين الأجانب وفيما يجريه هؤلاء الممثلون من علاقات مع الحكومة، وسيكلف على الأخص بجميع المسائل التي تهم الأجانب في الإمبراطورية الشريفة. وستكون له سلطة المصادقة والإذن بالنشر باسم الحكومة الفرنسية لجميع المراسيم التي تصدرها الجلالة الشريفة".

وهكذا ألغت معاهدة الحماية وزارة الشؤون الخارجية المغربية التي استمرت قروناً عبر الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، وكانت نشيطة بالأخص في عهد الدولة العلوية حتى يوم فرض الحماية. ويكفي دليلاً على ذلك ما كتبه وصرح به مراراً أول مقيم عام فرنسي بالمغرب الماريشال ليوطي. لقد ذكر في محاضرة ألقاها بمدينة ليون سنة 1916: "بمجرد مجيئنا إلى المغرب وجدنا أنفسنا في مواجهة امبراطورية تاريخية مستقلة وغيورة على استقلالها ومتمردة على كل نوع من أنواع الاستعباد. هذه البلاد كانت تبدو إلى السنوات الأخيرة في صورة دولة قائمة الأساس تشتمل على منظومة من الموظفين مُرتَّبين من أعلى إلى أسفل وعلى تمثيل في الخارج". ثم أضاف الماريشال ليوطي موجهاً الكلام إلى مستمعيه قائلاً :

"تذكروا أنّ العديد من الشخصيات المغربية مازالوا أحياء يُرزقون، وكانوا إلى ما قبل ست سنوات سفراء للمغرب المستقل في بيطيرسبورغ ولندن وبرلين ومدريد وباريس، وكان بمعيتهم سكريتيرون وملحقون حاصلون على حظ كبير من الثقافة العامة يتعاملون على قدم المساواة مع رجال الدول الأوربيين، ولهم وعي وإدراك للشؤون العامة".

لنرجعْ في هذا الصدد إلى المعاهدات الأخيرة التي أبرمها المغرب المستقل في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، أهمها : المعاهدة الفرنسية - المغربية سنة 1845 بعد احتلال فرنسا للجزائر ومعركة إيسلي، ومعاهدة الصلح الإسبانية - المغربية سنة 1860 بعد هجوم إسبانيا على تطوان واندحار الجيش المغربي، ومؤتمر مدريد سنة 1880، وهو أول مؤتمر دولي حول القضية المغربية. تلاه مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي يُعدّ المؤتمر الدولي الثاني الذي انعقد لتسوية المشاكل الناتجة عن الاتفاقات السرية التي أبرمتها فرنسا مع الدول الاستعمارية الأخرى التي كانت تشرهُ لأخذ نصيبها من تقسيم المغرب.

كلما عدنا إلى الوراء إلاّ ونجد علاقات المغرب مع



الخارج ضاربة في القدم منذ عهد الأدارسة إلى دولة العلويين، من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مع الدول المعروفة أو التي نشأت فيما بعد. ومكتبات الدول الأوروبية على اختلاف أنواعها ومواقعها، ودول الحوار في البحر المتوسط، والدول الإسلامية والإفريقية والعالم الجديد، كل هذه المكتبات مليئة بالوثائق وبأخبار الدبلوماسيين - مغاربة وأجانب - وبمذكراتهم.

وإذا كانت علاقات المغرب وبعثاته الدبلوماسية إلى الخارج واستقباله للوفود الأجنبية ترجع إلى أقدم العصور، فقد نشطت الدبلوماسية المغربية بالخصوص في عهد الدولة العلوية كما تقدم، وبالأخص في عهد المولى إسماعيل الذي امتد حكمه من الربع الأخير في القرن السابع عشر إلى الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. والشأن في الجهاز الخارجي لكل دولة أن يكون تابعاً لرئيس الدولة. وكذلك كان الحال بالنسبة للمغرب. كان يُطلق اسم "وزارة البحر" على هذا الجهاز من عهد السعديين إشارة إلى أن هذه الوزارة تعنى بشؤون ما وراء البحار من "عقد المعاهدات والاستصدار والاستيراد وفض المشاكل التي تعرض في بعض الظروف. وظل اسم "وزارة البحر" متداولاً إلى منتصف القرن التاسع عشر حيث بدل باسم "وزارة الأمور البرانية" وهو مصطلح عربي سليم أكثر دلالة من سابقه. وكان أول من تولى الشؤون الخارجية في عهد المولى إسماعيل القائد عبد الله ابن عائشة. وتوالى بعده عشرات الوزراء والبعوث والسفراء في شتى مهام الدولة على عهود خلف المولى إسماعيل من السلاطين، نذكر منهم بوجه خاص المولى عبد الله والمولى محمد بن عبد الله والمولى هشام والمولى يزيد والمولى سليمان والمولى عبد الرحمن والمولى محمد بن عبد الرحمن والمولى الحسن والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

كان التمثيل الأجنبي، خاصة تمثيل الدول الغربية، على شكل قنصليات، فكان القناصل يستقرون تارة بالرباط وأخرى بسلا أو أسفي أو الصويرة وتطوان الخ .. لتتبع ما جريات الأمور عن كثب. ثم بعد ذلك أصدر السلطان محمد بن عبد الله قراراً بنقل مركز الدبلوماسية إلى طنجة الذي أصبح يُعرف بدار النيابة فيما بعد. وبقيت كذلك إلى عهد الحماية حيث أصبحت منطقة دولية.

المهام الكبرى التي أسندت إلى "وزارة البحرية" ثم إلى "وزارة الأمور البرانية" كانت تتلخص في المحافظة على استقلال المغرب، والسعي لمسالمة دول الجوار وربط علاقات الود والصداقة مع جميع الأقطار والارتباط معها بمعاهدات ومواثيق تجارية. كما عهد إليها بفداء الأسرى المسلمين والتفاوض في شروط فداء الأسرى الأوروبيين. أخذت أعمال الدبلوماسية المغربية تتنامى ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي. فبلغت أوجها في القرن الثالث عشر في عهد الدولتين المرابطية والموحدية حيث امتدت رقعة المغرب إلى طرابلس الغرب شرقاً وحدود السنغال جنوباً والأندلس شمالاً. بيد أن المغرب أصبح في نهاية القرن الخامس عشر مهدداً من لدن إسبانيا بعد احتلالها غرناطة في 1492 والزحف على ما تبقى من الفتح العربي في الأندلس، والتوسع العثماني في تونس والجزائر. فأصبحت مهمة الدبلوماسية المغربية تنحصر في الدفاع عن ثغوره في الشمال والشرق. باستثناء الفوز العظيم الذي حققه المغرب في واد المخازن مما اكسب الدبلوماسية المغربية سمعة كبيرة، وجعل المغرب يزحف على دولة مالي ويحتلّ تنبكتو في 1591. لكنه ارتكس منذ ذلك الحين. وإذا كانت الدبلوماسية المغربية عرفت بعض الهدوء في القرنين السابع عشر والثامن عشر بسبب انشغال الدول المسيحية بنزاعاتها المسلحة، إلا أنها نشطت في عهد الأوائل من سلاطين الدولة العلوية.



أهم المعاهدات التي أبرمها المغرب خلال هذه الفترة كانت تتعلق بالقرصنة البحرية في كل من المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وبالتمثيل الدبلوماسي واستقرار الأجانب في المغرب، وفكّ الأسرى، وبالآفاق التجارية. ولائحة الدول التي أبرم معها المغرب معاهدات في هذه الأغراض طويلة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر فرنسا، إسبانيا، البرتغال، انجلترا الدانمارك، الولايات المتحدة، هولندا، إيطاليا، السويد. وتعرض استقلال المغرب ووحدته إلى امتحان رهيب ابتداء من القرن التاسع عشر الذي شهد نهضة أوروبا وإبرام اتفاقتي فيينا سنة 1815 وايكس - لا شبيل سنة 1818 وانحسار المد العثماني. لكن أعظم الخطر جاء إلى المغرب من احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 وتحرشات إسبانيا والبرتغال. فكان عليه أن يدافع عن كيانه في واجهتين. وأصبح على الدبلوماسية المغربية أن تبذل مزيداً من الجهود في هذا السبيل. فكانت معاهدات إسلي وتطوان والجزيرة الخضراء التي أشرنا إليها. ووقفت

الدبلوماسية المغربية منذ ذلك الحين موقف الدفاع. وكانت فرنسا تتآمر سراً لعزل المغرب، فأبرمت معاهدات بهذا الصدد مع ايطاليا في 1902، وأنجلترا في 1904 وإسبانيا في 1904 وألمانيا أخيراً في 1911. تنازلت بمقتضاها عن امتيازات لهذه الدول مقابل إطلاق يدها في المغرب. وهكذا تمت عزلة المغرب، بينما مهدت فرنسا كذلك لمعاهدة الحماية في 30 مارس 1912، بإحداث قلاقل وتسليح عملاء لتقويض سيادة الدولة المغربية في الوقت الذي كانت الدبلوماسية المغربية تبذل قصاراها في التفاوض ورد العدوان كما قال المؤرخ Chauvel في كتابه *Les Notions d'état et de nationalité au Maroc* : "تاريخ دبلوماسية المغرب يشهد بأن سيادة السلاطين أثبتت منذ زمن طويل وفي كثير من المناسبات عن حيويتها في الحقل الدولي".

وقد حفظ التاريخ أسماء بعض الذين تولوا "وزارة البحر أو الأمور البرانية" أمثال ابن عائشة ومحمد ابن حمو ومحمد الخطيب ومحمد بركاش ومحمد الطريس ومحمد المفضل غريط، وعبد السلام التازي ومحمد بن عبد الكريم بن سليمان والحاج محمد المقري. إلى جانب سفراء وموفدي السلاطين إلى الخارج ممن يطول عرض أسمائهم.

لقد ألغت الحماية الفرنسية "وزارة الأمور البرانية" المغربية بموجب معاهدة 30 مارس 1912 كما ذكرنا. وبقيت هذه غائبة مدة أربع وأربعين سنة إلى أن أعاد انبعاثها جلالة الملك محمد الخامس تحت اسم وزارة الخارجية والتعاون عند تأليف الحكومة الثانية بعد الاستقلال برئاسة السيد مبارك البكاي سنة 1956 وأسند مهامّها إلى الحاج أحمد بلافريج الأمين العام لحزب الاستقلال إذ ذلك. منذ ذلك الحين إلى اليوم توالت على المغرب ثلاث وعشرون حكومة. بينما تعاقب على وزارة الشؤون الخارجية والتعاون ثلاثة عشر وزيراً آخرهم محمد بنعيسى ونجد عشرة كتاب دولة. والجدير بالذكر أن وزارة الخارجية تشتمل بالإضافة إلى الوزير المذكور على ثلاثة كتاب دولة. وتذكيراً بمهام الوزارة وتفريعاتها يمكن الرجوع إلى الفصل المتعلق *بالدبلوماسية* الذي حررناه في *معلمة المغرب*.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف* ؛ ع. الهادي التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب* ، الصديق بن العربي، *كتاب المغرب* ؛ قاسم الزهيري، *مذكرة عن الدبلوماسية المغربية (أرشيف وزارة الخارجية)* .

Le Maroc avant le Protectorat, sous le Protectorat, faillite du Protectorat ; Chauvet, *Notions d'état et de souveraineté au Maroc.*

قاسم الزهيري

جاء في *المسند الصحيح* : "استأذنني متولي الأشغال يوماً وأنا بالدار البيضاء، في أن يدخل من المال المودع ما شذ على العادة في المال إذا اجتمع في المودع البراني .. (*المسند*، ص 309) وأضاف صاحب المسند في ص 310 "قال : فأذنت لهم فأدخل المال وصب في خرائط حتى يجتمع للشد..."

ويفهم من نص ابن مرزوق في جهة أخرى من الصفحة ومن نصوص وإشارات أخرى أن الخرائط كانت تضم نقوداً دنانير معدودة ومختوم عليها وغالباً ما كانت الخريطة تختم على 1000 دينار :

"قال : والكتاب بين يدي فلمحت هذا الشخص قد مد أطناب غفارته أو برنسه على خريط منها وفي كل خريط ألف دينار ذهب (*المسند*، 310) وجاءت الإشارة في *التشوف*، ص 77 إلى "خريطة فيها 1000 دينار". وفي *كتاب المعجب*، 371 : "وجدت خرائط كثيرة مما كان يرفع إلى أمير المومنين أبي يعقوب بختمها ..."

في هذه النصوص القصيرة وفي غيرها - مما لا يسعنا ادراجها هنا - إشارة إلى أن أموال المخزن ومستحقاته النقدية كانت تصل إما معدودة ومختومة في خرائط وإما في صناديق وأكياس، وعندما ما يراد استعمالها تصب في خرائط وتوزع أو تخزن (*تاريخ الدولتين*، 14).

فما هي الخرائط وما هي دلالة الاسم ؟

يبدو من تلك النصوص والإشارات أن الخرائط كانت تصنع من الجلد وتحديداً من جلود الضأن (*المسند*، 310) ومنها الكبير والصغير. فالكبير هو ما ورد في النصوص أعلاه أما الخريط الصغير فهو الذي يستعمله الشخص في حياته اليومية وهو شبه بالصرة تحزم على النقود ويتم توزيعها بحسب الاستحقاق والظروف فيأخذ المستحق النقود معدودة بخرائطها، ومنها الساذج الذي يشبه الصرة من الجلد أو هي نفسها. أما الخريط ففيه صناعة من فصالة وخياطة ؛ ولعل اسمه آت من شكله المخروطي أو من فعل الخرط المرادف للجرد والحساب ؛ ويقابله في اللغة الفرنسية La Bourse.

الزركشي، *تاريخ الدولتين*، تونس، 1289 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في ذكر بلاد المغرب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن مرزوق التلمساني، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، الرباط، 1958 و 1984.

La Rourse : *Dictionnaire.*

محمد حجاج الطويل

خارط، أو خارطة، يجمع على خرايط : وعاءٌ من جلد لجمع النقود، توضع فيه بعد عدها، فتكون خرائط بألف دينار مثلاً، أو توضع فيها دون عدٍّ حتى يسهل نقلها وتوزيعها.

الخاضير بن عبد العزيز، مقاوم وُلد سنة 1929 بدوار ازكريتا ملحقة اجدير دائرة أكنول بإقليم تازة من أبويه : عبد العزيز بن محمد، وزهرة بنت علال، تشبع بالروح الوطنية منذ نشأته الأولى، ولما قام المستعمر بنفي عاهل

البلاد محمد الخامس دفعته الغيرة الوطنية إلى الدفاع عن مقدسات البلاد والانخراط في صفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالمنطقة الشمالية بجبال الريف، حيث عمل ضمن الفرقة التي كان يرأسها حسن الزكريتي، وقد شارك في عدة هجومات أبان فيها عن قدرة هائلة في النضال والجهاد إذ كان مثالا للرجل المجاهد المخلص وواصل نضاله البطولي بكل شجاعة وإخلاص إلى أن استشهد رحمه الله في هجوم قنطرة أجدير يوم 3 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4، 83.

خاطف الذباب أو مُلتهم الذباب، وخطّاف الذباب ولقّاف الذّباب كما ينطق به في المغرب، جنس طيور برية صغيرة القد من رتبة الجواثيم وفصيلة ملتهمات أو خاطفات الذباب Muscicapidae مشرومات المناقير تسمى بالفرنسية Gobe-mouches وبالانجليزية Flycatcher وبالاسبانية Papamoscas. من عاداتها ترقب الحشرات الصغيرة المجنحة والتهامها وهي طائرة.



خاطف الذباب

خاطف الذباب من الطيور القواطع يتوالد في شمال المغرب العربي وفي أوروبا ويشتي في ضواحي إفريقيا الاستوائية الشمالية. منه نوعان يتوالدان في المغرب : خاطف الذباب الأسود وخاطف الذباب الرمادي أو المخطط. يتراوح طولهما ما بين 13 . 14 سم جمعا بين الرأس والذيل. تبلغ بسطة الجناحين 24 سم. ويتراوح وزنه ما بين 11 . 20 غرام.

يتميز خاطف الذباب الأسود Ficedula hypoleuca بمنقار وأرجل سوداء. ريشه أسود على رأسه وظهره وذيله وجناحيه، تتخلله بقع بيضاء على جبهته وجناحيه. الصدر والبطن أبيضان. والإناث لها ريش رمادي بني مخضر. يتوالد ما بين أبريل ويونيو، ويبني عشه عادة بين أغصان الأشجار وسط الغابات والادغال والبساتين والحدائق وأحيانا بين شقوق الجدران والصخور. تلد الأنثى 3 . 8 بيضات زرقاء مصفرة منقطة بالبني والأحمر. يبلغ قطرها 18 + 13 ملم تحضنه الأم 11 . 15 يوماً ولا تغادر الصغار العش إلا بعد أسبوعين.

خاطف الذباب الرمادي أو المخطط Muscicapa striata له ريش بُنّي ورمادي، صدره مخطط بريش بُنّي داكن. المنقار والأرجل سوداء. الاناث شبيهة بالذكور. يتوالد مرتين في السنة ما بين مايو ويونيو، وتضع الأنثى في عشها 2 . 7 بيضات زرقاء مخضرة يبلغ قطرها 18.5 + 14 ملم. يحضنها الأبوان بالتناوب وأحيانا من طرف الأنثى فقط مدة أسبوعين وتبقى الصغار في العش 13 . 16 يوما.

يعيش خاطف الذباب منعزلا في أغلب الأحيان ومزدوجا خلال فترة التوالد، وكثيراً ما يحدد مكان عيشه الذي يناهز الهكتار الواحد من المساحة. يتعرض لكل طائر من نفس فصيلته ويبعده. يشتد حذره عند التوالد ويكثر تستره وفي الأوقات الأخرى يقترب من المدن والمنازل والحدائق للبحث عن الذباب.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة القاهرة، 1934.

H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East*, London, 1984, p. 240 - 241 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris, 1978, p. 262 - 263.

محمد رمضاني

الخالدي، أسرة فاسية، هم فرقتان، فرقة من معسكر ينتمون إلى الشرف من بني عامر ومنهم القاضي خليل الخالدي. والفرقة الثانية من قبيلة غمارة أهل معاش وحرفة وطلب، منهم الفقيه عمرو بن الحسين الغمري الخالدي وهذه الفرقة من أقدم بيوت فاس لها جنان بالمرج ينسب إليها إلى الآن.

وهناك أسرة تطوانية تنسب إلى قبيلة بني خالد إحدى قبائل غمارة التسع، تقع شرق شفشاون واسم عائلة ينتسب بعض أفرادها للشرف، انقرضت الآن من تطوان. وان كان المنتسبون للقبيلة موجودين بها بطبيعة الحال.

ورد ذكرها في الوثائق منذ القرن الثاني عشر الهجري، وبرزَ من رجالها :

الخالدي، أحمد الخراز حرفة، جهبذة النوادر والأنساب والأخبار. كان بتطوان أوائل القرن الرابع عشر، وتوفي من غير عقب.

م. داود، عائلات تطوان (حرف الخاء) ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج : 2 (حرف الخاء) ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 175.

محمد بوخبزة

الخالدي، خليل بن صالح الخشمي الفاسي، ترجم له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي في *مختصر العروة الوثقى* وقال عنه : "قرأت عليه حظاً من العربية نحواً وصرفاً واشتقاقاً ولغة، وذلك أهم فنونه، ويتقنها ويحسن تدريسها". كما وصفه بذلك ابن زيدان في *الإتحاف* وقال : كان آية في صناعة التدريس وبالأخص *ألفية ابن مالك*، ذا تؤدة لا يتزحزح ولا يتحرك حالة إلقائه الدروس، فصيح اللسان حلو العبارة، يحصّل ما ألقاه في درسه تحصيلاً عجيباً. مجلسه بالقرويين حفيل يحضره نجباء أعيان طلبة وقته".

تولى النيابة عن قاضي فاس بمقصورة القرويين الشيخ عبد الله ابن خضراء، ثم أسند إليه قضاء مكناس وزرهون، وصدرت منه أثناء ذلك "نوادر عجيبة" تدل على أنه لا يحسن الفقه وقواعد الأحكام، وقد فصل ابن زيدان القول في هذه "النوادر" تنصيلاً استنكره ابن سودة في *إتحاف المطالع*. والخلاصة أن المترجم كان لغوياً نحوياً ولم يكن فقيهاً، وقد ظلم نفسه بقبوله تولي خطة القضاء، والكمال لله.

له رحلة *تباشير الفرح*، وهي منظومة في وصف انتقال الحسن الأول من فاس إلى مراكش عبر تادلا : *ومقامة الفيل* الذي أهدي إلى نفس السلطان.

توفي بفاس صبيحة يوم الاثنين تاسع عشر قعدة عام 1326 / 14 دجنبر 1908 ودفن قرب ضريح أبي بكر ابن العربي خارج باب الشريعة (باب محروق).

ع. الرحمان ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1931، ج 3 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 ؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط. 2، الدار البيضاء، 1960، 1 و2.

محمد حجي

الخالدي، عبد السلام وهو (يكتب الخَلَد بفتح الخاء وكسر الدال في الحالة المدنية) من أسرة عالمة شهيرة في سوس، ترجم محمد المختار السوسي لأربعة عشر عالماً منها وذكر مالهم من التأليف في مختلف العلوم المتداولة



وبخاصة في اللغة العربية والدراسات الإسلامية (*المعسول*، ج 11، ص. 201) وقد كتب المترجم على بطاقته لدار الحديث الحسنية، كسبب للدراسة : "بيئتي التي نشأت فيها حبّبت إليّ الإسلام والدراسات الإسلامية".

ولد سنة 1946 بدوار تارگنين قبيلة إدا گاگمار عمالة تيزنيت، من والده محمد بن خالد بن الحاج إبراهيم، ونسبة الخالدي من اسم جده المتوفى عام 1343 / 1925.

تعلم القرآن ومبادئ العربية بالمدرسة العتيقة بقبيلته إداوْباعقيل ثم انتقل إلى معهد محمد الخامس بتارودانت حيث انهى دراسته الابتدائية والثانوية في حدود سنة 1968.

انخرط في سلك التعليم معلما بأگادير ونتيجة ما يتمتع به من طموح علمي كأجداده لم يتوقف عن الدراسة والتدريس، فاندفع في اتجاه التدريس وارتقى إلى الأستاذية، ثم تولى الحراسة العامة. كما اندفع في الاتجاه الدراسي، فبعد الحصول على الباكلوريا وهو يزاول التدريس استطاع الحصول على شهادة الإجازة في كلية اللغة العربية بمراكش سنة 1980 ثم التحق بدار الحديث الحسنية بالرباط شعبة علوم القرآن والحديث وأنهى الدراسات العليا منها سنة 1984 وفي نفس الوقت التحق بمركز تكوين المفتشين بالرباط وتخرج منه في قسم التربية الإسلامية سنة 1987.

ونظراً لما تكون لديه من التمكن في علوم اللغة وآدابها وفي التوسع في الدراسات الإسلامية، بفضل المؤسسات التي تخرج منها وبفضل شيوخه الكبار.

اعتمد المترجم على خزانة والده وأجداده التي تزخر بنوادر المخطوطات وتشبع بعلومها. فقد اتجه في انتاجه العلمي صوب تحقيق التراث، وأنجز بهمة عالية تحقيق مخطوط تربوي تعليمي هو *تمام النصيحه في إرشاد الطلبة*، من تأليف إيبورك بن عبد الله السملالي المتوفى سنة 1058 وقدم عنه دراسة في دار الحديث الحسنية، كما قدم التحقيق في مركز تكوين المفتشين، وعرّف ببعض المخطوطات مثل : رسالة في تحرير السكك المغربية في القرون الأخيرة، كما نشر بحثاً بعنوان : التعريف بكتاب *تمام النصيحة* بمجلة دار الحديث الحسنية عدد 9 سنة 1991 ص 399 . 415، غير أنه لم يعمر طويلاً، وقد أدركته المنية سنة 1411 / 1990.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1963، ج 11، ص 201 ؛ ع. أفا، *النقود العربية في القرن الثامن عشر*، 1993، ص 20، ملف دار الحديث الحسنية الإداري، *رواية شفوية* عن عبد الله الدرقاوي.

عمر أفا

الخالدي، علي الغماري التطواني الفقيه الصالح المتبرك به المتطبب، كان يسكن في الغالب مجشر (الملالين) القريب من تطوان من ربع (بني سالم) من قبيلة

الجوز. ويتردد على تطوان باستمرار، يقصده الناس للزيارة والتبرك بدعائه، وسؤاله عن الأدوية، فينتفعون بما يصف لهم.

قال المؤرخ أبو العباس الرهوني : حدثني الحاج أحمد الفاسي أنه حضر عائداً عند السيد عبد الكريم اشْشُوشُو (انقرضت هذه العائلة اليوم) وكان مريضاً جداً في غيبوبة فاقداً الوعي. فوجد عنده المترجم له وقد عمد إلى فرخي دجاج فذبحهما ووضعهما على قلبه وانباضه فأفاق المريض من حينه.

توفي المترجم له في طاعون عام 1271 ودفن بتعبده بالملاليين رحمه الله.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، (6، 21)، مخطوط.

الخالدي، المكي بن الحاج العربي التطواني الذي كان ناظر أحباس الضعفاء والمساكين بتطوان سنة 1175 / 1761 وأحباس الولي الصالح السيد علي الخالدي.

م. داود، عائلات تطوان، (حرف الخاء) : الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 (حرف الخاء)، مخطوط.

محمد بوخبزة

خالص، أسرة سلاوية انتقلت إلى الرباط فاستوطنته، وقد ذكرت في كتاب *التشوف لرجال التصوف* تارة بخالص وأخرى بابن خالص. لم تذكر في كتب التاريخ الحديث ضمن الأسر التي لعبت دوراً تاريخياً في مدينة الرباط بل لم يرد اسمها إلا في القرن الحالي كأسرة تجار اشتغل بعض أفرادها بتجارة السكر والشاي وخصوصا الإخوة محمد وأحمد والتهامي. وقد تعاطى هؤلاء الفلاحة بعد أن ورثوا عمهم الذي لم يخلف ذرية وهو عز العربي الذي كان في العشرينيات من هذا القرن مشرفا على ضريح مولاي المكي. وقد أضافوا النشاط الفلاحي إلى نشاطهم التجاري. عرف من بين الاخوة المذكورين : التهامي خالص وأحمد خالص.

م. الأمين بلكناوي، *رواية شفوية في* 30، 05، 1995.

عبد الإله الفاسي

خانْقُوفْ (معركة -) اسم مكان في قبيلة أيت إخلف الباعمرانية في الواد الذي يربط ما بين تاگراگرا شرقاً، ومدينة سيدي إفني غرباً، على بعد حوالي 18 كلم من مدينة سيدي إفني.

وكلمة خانْقُوفْ تعني الخانق بين الجبلين، وينطبق هذا الوصف على هذا الممر الطبيعي الذي عمّق فيه واد تيزگي مجراه في الاتجاه نحو المحيط غربا. وفي خانْقُوفْ يمر الطريق الوحيد الذي يربط ما بين مدينة سيدي إفني وباقي الثكنات الإسبانية في شرق البلاد، مثل تيغزا، وأملُو، وإبسْكْ وبوتاتْن، وتامُوشا...

وقد تفطن الاسبان لأهمية خانْقُوفْ الاستراتيجية، فأنزلوا فيه معمراً وبنوا فيه داراً عبارة عن حصن متين واستخرجوا فيه مياها غزيرة وغرسوا فيه الموز والخضر والعلف، وشرعوا في تربية الماشية وإنتاج الحليب، وذلك كله بعد انتزاع الملكية العقارية من أهلها ببخْس دراهم معدودة، وبحيل شتى، والهدف في الواقع هو التمكن من ذلك الممر الطبيعي.

وفي سنة 1957 أثناء معركة تحرير أيت باعمران وفي الأسبوع الأول تقدمت القوة الإسبانية من مدينة سيدي إفني، ومن ثكنة باطايْونْ بالذات لفك الحصار على أكبر ثكنة عسكرية بعد إفني وهي تيغزا، ومن حسن الحظ أن جيش التحرير الباعمراني، أسرع إلى احتلال دار خانْقُوفْ، وعدد المجاهدين دون العشرين ومع ذلك لم يستطيعوا احتلال ذلك الحصن (دار خانْقُوفْ) إلا بعد نفاد العتاد الحربي لدى المعمر الوحيد الذي في الحصن، وقتل على يد البالكوكي مولاي المحفوظ.

وما كاد حصن خانْقُوفْ يقع في يد المجاهدين حتى قدمت القوة الإسبانية من مدينة سيدي إفني لاحتلال خانْقُوفْ فوقعت معركة بين الطرفين لعبت فيها الظروف الطبيعية دوراً هاماً لإيقاف الزحف الإسباني بعد أن تكبد خسائر في العتاد والأرواح. وبفضل معركة خانْقُوفْ هذه تمكن المجاهدون من الطريق الرئيسي، وضربوا حصاراً شاملاً على باقي الثكنات العسكرية في شرق البلاد إلى أن استسلمت كلها ماعدا تيغزا.

بحث ميداني، استجواب مع الضابط المشارك في نفس المعركة البالكوكي مولاي المحفوظ.

الحسين جهادي

الخاوة، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الهبط ما زال بعض أفرادها بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 602.

محمد ابن عزوز حكيم

خاوة (أولاد -) قبيلة عربية تقطن منطقة ملوية الوسطى ما بين مدينة ميسور ومدينة القصابي على الضفة اليمنى لواد ملوية (وهي تابعة إداريا لدائرة ميسور، عمالة إقليم بولمان). وحسب علمنا فإن أول من ذكر اسم هذه القبيلة هو الرحالة الفرنسي دوفوكو (V.C., De Foucauld, 1988) خلافا لما ذكرته (جان شيش J. Chiche, 1984)، حيث ذكرت بأن قبيلة أولاد خاوة لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل دخول الاستعمار.

هكذا نجد بأن دوفوكو هو الذي خلف لنا تفاصيل هامة

عن هذه القبيلة : أصلها، عدد أفرادها، ونمط عيشها. حيث يقول إنّ قبيلة أولاد خاوة كانت في الأصل متحدة ومندمجة مع قبيلة أولاد الحاج (إحدى أهم وأكبر القبائل بالمنطقة، ومقرها حاليا، الناحية الشرقية لمدينة أوطاط الحاج، دائرة أوطاط الحاج عمالة إقليم بولمان). ولأسباب سياسية انشقت عنها واتجهت غربا وشكلت حلفا مع قبيلة آيت أوفلا (ص : De Foucauld. 243) وعند تنصيب قائد القصابي خضعت لسيطرته، ودخلت في حظيرة السلطان، وأصبحت بلادها بلاد المخزن (ص : De Foucauld. 282) ويضيف قائلا بأن أغلبية سكان هذه القبيلة هم رعاة متنقلون، حيث إن منطقتهم رعوية بالدرجة الأولى، وذلك راجع لغنى سهو بها بالنباتات العشبية، حيث تتوفر على حوالي 25 صنفا من النباتات الخاصة بالمنطقة، وأطلق عليها .P. Y Bertrand) (1991 نباتات أولاد خاوة.

وقبيلة أولاد خاوة حاليا هي عبارة عن كونفدرالية تضم القبائل التالية : أولاد منصور، أولاد دحو، الكْرَارْمَة، الحْشَالْفَا، الهمَّالْ، ويقدر عدد سكان هذه الكونفدرالية حسب إحصاء سنة 1982 بحوالي 3.000 نسمة.

إلا أنه ومع توالي سنوات الجفاف وخاصة في الثمانينيات، فإن النظام القبلي قد تصدع، ونمط الترحال قد تفكك وانقرض، وأتلفت القطعان (Tag Boutayeb, 1985)، مما دفع بأفراد القبيلة إلى الاستقرار الجبري أو القهري، حيث أصبحوا لاجئين ايكولوجيين، ونزحوا إلى مدينة ميسور واستقر معظمهم بالضاحية الشمالية الغربية للمدينة مشكلين حيا يدعى بدوار النخلة (محمد أزهار، 1993).

م. أزهار، *الانسان والبيئة في الواحات السهبية الفاصلة، واحة ميسور نموذجا (المغرب الشرقي)*، أعمال ندوة، "المجال والمجتمع بالواحات المغربية". سلسلة الندوات رقم 6، كلية الآداب والعلوم الانسانية - مكناس، ص. 134 ،135، 1993.

C. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc (1883 - 1884)*. Paris (p. 243 - 282). 1988 ; J. Chiche, *Contribution à l'étude de l'élevage dans le Sud-Est marocain*, in actes du colloque international : *Intégration économique des provinces sahariennes et développement national*, Rabat le 9 - 10 juillet 1984. Casablanca, p. 157 - 158 ; P. Y. Bertrand. *Les noms des plantes au Maroc*, Rabat, 1991 ; B. Tag, *Les hauts plateaux du Maroc oriental . la destruction du nomadisme et ses conséquences*, *Revue de la Faculté des Lettres de Fès*, N. S. n° 1, département de géographie, p. 25, 1985.

محمد أزهار

خايمي الأول، ملك أراغون تولى الملك بعد وفاة أبيه حدثاً في سنة 1213، واستمر حكمه مدة طويلة حتى سنة 1276. تشير إليه المصادر العربية باسم جَايْمَشْ أو جَاقْمَة، أما المصادر الفرنسية فتنعته باسم Jacques I. دشن حكمه بالهجوم على الأندلس وتمكن في ظل ضعف المخزن الموحدي من احتلال مجموعة من المدن الإسلامية كالجزائر الشرقية (جزرميورقة) سنة 631 / 1233 وبلنسية سنة 636 / 1238 ومرسية سنة 665 / 1266. وبسبب سياسته التوسعية في المناطق الشرقية من شبه الجزيرة الإيبيرية لُقب بخايمي الفاتح أو الغازي، Jaime El Conquistador. وهذا اللقب يعكس كذلك طموحات خايمي إلى تحقيق هيمنة أراغون السياسية والتجارية والعسكرية على منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في مواجهة الحضور القوي في المنطقة للايطاليين خاصة جنوة وبيزة والبندقية. لذلك اتجه ملك أرغون إلى الاهتمام ببلاد المغرب واللعب على التناقضات والصراعات التى بدأت تحتدم بين مجموعة من القوى السياسية على إثر انهيار الامبراطورية الموحدية، وهي : بنو حفص بافريقية وبنو عبد الواد بالمغرب الاوسط وبنو مرين بالمغرب الأقصى.

وقد شكل المغرب الأقصى حجر الزاوية في هذا التوجه الجديد الخايمي الأول، والعامل الحاسم بالنسبة لمستقبل سياسته الخارجية، لهذا حاول ربط علاقات دبلوماسية منذ سنة 637 / 1239 مع سبتة العزفية التي كانت تابعة حينذاك لأبي زكرياء الحفصي، وتوجت يوم 4 فبراير 1269 بعقد معاهدة سلام ومهادنة بين ملك أراغون وصاحب سبتة العزفي. وهي المعاهدة الأولى من نوعها التي تعقدها مملكة أراغون مع قوة سياسية في المغرب الأقصى.

غير أن تغير الأوضاع السياسية في المنطقة وبروز بني مرين كقوة سياسية أصبحت تسيطر على الجزء الأكبر من المغرب الأقصى خاصة بعد دخولها مراكش عاصمة الموحدين سنة 668 / 1269، التي، الذي أرغم خايمي الأول على تغيير تحالفاته ومخططاته والسعي إلى ربط اتصالات منذ سنة 1273 مع الرجل القوي في المغرب وهو يعقوب بن عبد الحق المريني وذلك على حساب الحليف القديم العزفي.

لقد تزامنت هذه التحولات مع محاولات يعقوب المريني الرامية إلى اتمام سيطرته على كل مناطق المغرب الأقصى خاصة سبتة وسجلماسة المحطتان الاستراتيجيتان اللتان مازالتا خارج قبضة السلطان المريني. ولعل من أبرز الأحداث المغربية التي تقف عندها الوثائق والمصادر الاسبانية بالنسبة لهذه الفترة تتعلق بالارهاصات الأولى للعلاقات المرينية الأراغونية في عهد كل من السلطان أبي يوسف يعقوب والملك خايمي الأول، وكانت مدينة سبتة العنصر البارز في تحديد طبيعة ومستقبل هذه العلاقات.

فعند محاولة يعقوب إتمام سيطرته العسكرية على المناطق الشمالية الغربية، استولى على طنجة شهر ربيع الأول من سنة 672 / 1273 وبعث ولده وولي عهده يوسف إلى سبتة في جيش كثيف حيث وجد مقاومة عنيفة خاصة من الجهة البرية، أما الجهة البحرية فكانت تشكل المتنفس الذي قلل من خطورة الحصار المريني وساعد السبتيين على المقاومة والصمود. واعتبرت المصادر الإسبانية أن عدم توفر يعقوب على أسطول عسكري لحصار سبتة من البحر

وتطويقها من الجهتين اضطره إلى طلب العون والمساعدة من ملك أراغون خايمي الأول، ومده بسفن حربية للقيام بهذا الحصار البحري. وقد اهتمت الوثائق والمصادر الإسبانية بهذه القضية واعتبرت أن المساعدة العسكرية الأراغونية كانت حاسمة في استيلاء بني مرين على مدينة سبتة. والوثيقة التي اعتمدها المؤرخون الإسبان في الخروج بهذه الاستنتاجات تدفع الباحث إلى طرح مجموعة من الملاحظات حول مدى صحة الوثيقة المذكورة وحقيقة المعلومات التاريخية الواردة فيها.

يستفاد من هذه الوثيقة / المعاهدة أنها وقعت وحررت بتاريخ 17 جمادى الأولى 673 / 18 نونبر 1274 وأن هذا التوقيع تم بحضور السلطان يعقوب شخصياً إلى برشلونة، وهذا أمر مشكوك في صحته ومستبعد إلى أبعد الحدود، فالمصادر المغربية والأندلسية لم تشر قط - لا من قريب ولا من بعيد - إلى وجود هذه المعاهدة ولا إلى وجود يعقوب ببرشلونة، بل حتى بعض الباحثين المهتمين بموضوع العلاقات الاراغونية المغربية شككوا في ذلك وأكدوا أنهم لم يعثروا في أرشيف أراغون على مثل هذه المعاهدة. في حين تبقى المصادر الوحيدة التي أشارت إليها هي : Salas : Capmany : *Antiguos tratados...* و *Marina española...* و Mas - Latrie : *traités de paix...* وعليها اعتمد المؤرخون الإسبان وغيرهم فيما بعد.

كما ورد في ديباجة هذه المعاهدة تحلية السلطان يعقوب بـ"أمير المؤمنين سيد المغرب وفاس وسجلماسة وما يليها..."، في حين تؤكد المصادر المغربية أن سجلماسة التي اعتبرتها المعاهدة ضمن حكم السلطان يعقوب لم تكن كذلك، بل كانت، حسب تاريخ توقيعها خاضعة لسيطرة بني عبد الواد، وأنها لن تصبح تحت حكم بني مرين إلا بعد هذا التاريخ، أي في شهر صفر أو ربيع الأول - حسب اختلاف المصادر - من سنة 673 / شتنبر 1274 وقبل فتح يعقوب مدينة سبتة سنة 672 / 1273. فكيف يعقل أن يطلب السلطان مساعدة أراغون لحصار سبتة ويوقع معاهدة بذلك في تاريخ يتناقض مع تسلسل الأحداث التي تقدمها المصادر المغربية.

ومما جاء في المعاهدة كذلك أن يعقوب تقدم بطلب مساعدة عسكرية من خايمي الأول لحصار سبتة من البحر مقابل تعويضات مالية، وتتمثل هذه المساعدات في منح السلطان خمسين سفينة حربية وخمسمائة فارس ونبيل، وقد خصص السلطان لذلك تعويضات مالية تقدر بمائة ألف بيزنطة فضية سبتية (عملة كانت رائجة في ذلك الوقت في البحر المتوسط وهي منسوبة إلى بيزانسيو - القسطنطينية) ومائة ألف كذلك لاعداد سفر الجيوش الأراغونية إضافة إلى أموال أخرى عندما تفتح المدينة. فهل كان يعقوب المريني - وهو في أوج قوته العسكرية - محتاجاً لطلب مثل هذه المساعدة من ملك أراغون والقبول بها لحصار مدينة لها موقع متميز في التجارة بين المغرب وأوربا.

في هذا الصدد تفيد المصادر الإسبانية أن ملك أراغون استجاب فعلاً إلى طلب السلطان المريني وبعث قائده بيري فبرنانديز دي هيخار Pere Fernández de Hijar في أسطول للهجوم على سبتة ومحاربة الأسطول العزفي وتضييق الخناق عليها فترة وجيزة لتستسلم بعدها ويسيطر عليها الجيش المريني. ويلاحظ أن أخبار هذا الهجوم الأراغوني لا وجود له إلا في بعض المصادر الإسبانية، في الوقت الذي تتفق فيه جميع المصادر المغربية على أن سبتة حاصرها يوسف ابن السلطان يعقوب أياما معدودة دفعت العزفي إلى الاستسلام ومصالحة بني مرين ومبايعة السلطان يعقوب مقابل خراج يؤديه كل سنة، وكان هذا الفتح كما هو معروف في سنة 672 / 1273 الشيء الذي يؤكد أن تاريخ هذا الفتح وقع قبل تاريخ توقيع المعاهدة المذكورة بينما منطق الأحداث يفترض العكس أي توقيع المعاهدة قبل فتح سبتة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 312. مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 137. 139. 140 ؛ ع. الرحمن ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7 : ص. 385. 388. 389 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1974، ج 2 : ص. 98 ؛ *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978، ص. 47 ؛ ع. الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المحمدية، 1988، ج 7 : ص. 121.

A. de Capmany y Monrpalau, *Memorias sobre la marina, comercio y artes de Barcelona*, Madrid, 1779 - 1792, t. 3, p. 200 ; t. 4, p. 7. , *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunes reyes de Aragon y diferentes principes infieles de Asia y Africa desde el siglo XIII hasta al XV*, Madrid, 1974, pp. 1 - 4 ; Mas - Latrie (L. de), *Traités de paix et de commerce concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge*, Paris, 1866, pp. 285 - 286 ; *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes au Moyen âge*, Paris, 1886, pp. 255 - 256 ; Cubells (M.), *Documentos diplomaticos aragoneses*, in *Revue Hispanique*, Paris, t. 37, 1916, p. 142; M. Capdeferr, *Historia de Cataluña*, Barcelona, 1967, pp. 69 - 77 ; *Libre dels feyts (Crónica de Don Jaime I)*, Barcelona, 1926, chapitre 81 et 92 ; F. Gazulla, *Jaime I y los estados musulmanes*, Barcelona, 1919, p. 24; Ch. E. Dufourcq, *L'espagne catalane et le magrhib aux 13e et 14e siècles*, Paris, 1966, pp. 157 - 168 ; *La question de Ceuta au 13e siècle*, in *Hesp.*, 1955, 1er et 2ème trimestre, t. XLII, pp. 73, 110 - 121 ; *Vers la mediterronée Orientale et l'Afrique*, in *X congreso de Historia de la corona de Aragon*, Zaragoza, 1976, pp. 7 - 23 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*, Paris, 1986, pp. 13, 75 - 78, 83 ; A. Khaneboubi, *Les premiers sultans mérinides (1269 - 1331)*, Paris, 1987, pp. 56, 79, 161, 162 ; Ginénez Soler, *La Corona de Aragon y Granada*, in *Boletin de la real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, 1905 - 1907, t. 3, p. 110 ; Salas (J. de), *Marina español de la edad media*, Madrid 2e éd., 1925 - 1927, t. 1, p. 84 ; J. de Zurita, *Anales de la corona de Aragon*, Zaragoza, 1669, t. 1, pp. 205, 223.

رشيد السلامي

خايمي الثاني (ملك أرگون) هو حفيد خايمي الأول المعروف بالفاتح El conquistador الذي حكم أراگون معظم القرن السابع الهجري (13م)، وحاول المرينيون الاستعانة بقواته البحرية لإخضاع سبتة في أوائل السبعينات. وبالنسبة لخايمي الثاني (690 / 1291 ـ 727 / 1327) كانت هناك بعض العوامل في علاقته مع المرينيين، فبالإضافة إلى تزايد أهمية التجارة بين البلدين ظهرت من جديد قضية سبتة في مطلع القرن الثامن الهجري (14م)، حيث تمردت على السلطان المريني الثاني يوسف بن يعقوب، ثم سقطت بيد بني الأحمر النصريين ملوك غرناطة الذين أخذوا يشجعون على خلق الاضطراب في المغرب وتدعيم المنافسين لسلطانه المحاصر آنذاك لتلمسان حليفة غرناطة التقليدية ـ وهذا ما دفع السلطان يوسف إلى توجيه رسائل ومبعوثين من المنصورة (خارج تلمسان) إلى أرگون بحثا عن دعم بحري للتعجيل بفتح مراسي المغرب الأوسط التي لم تخضع له بعد، وكذلك لإخضاع سبتة، واستمرت الاتصالات حول سبتة في عهد خلفه أبي ثابت الذي وقع اتفاقا مع مبعوث ملك أراگون يتضمن امتيازات تجارية الهدف من ورائها أساسا بالنسبة للمرينيين الدعم البحري الأراگوني لتحرير سبتة إلى أن انتهى الأمر بعقد تحالف بين خايمي الثاني والسلطان أبي الربيع سليمان الذي خلف أخاه على السلطة المرينية، وقع الاتفاق بفاس في صيف سنة 709 / 1309، غير أن المرينيين تمكنوا من إخضاع سبتة دون تدخل مباشر للبحرية الأراگونية باستثناء تحركاتها في مياه المضيق.

وخلال العقد الثاني من القرن الثامن الهجري (14م) برز دور المرتزقة الكطلانيين (الأركونيين) في دعم السلطان أبي سعيد المريني (710 ـ 732) ضد مناوئيه. وخلال العقد الثالث أصبح خايمي الثاني أكثر اهتماما بأمور سردينيا فبحث عن دعم لتنظيم حملة عسكرية إليها، فطلب من السلطان أبي سعيد سنة 723 / 1323 توجيه جماعة من المرتزقة الكطلان إليه مع قرض مالي لدعم الحملة التي ستتم سنة 725 / 1325 ولا يبدو أنه حصل على شيء مهم من ذلك ربما بسبب الظروف الداخلية بالمغرب سواء في الجنوب حيث وقع تمرد ابنه مرتين أو في سبتة التي كانت بين إظهار الطاعة والتمرد على السلطة المركزية، ولعل هذا ما جعل أراگون تحاول نفس المحاولة مع أمراء تلمسان الزيانيين دون نتيجة. وانشغلت أراگون بمشاغلها الداخلية بعد موت ملكها خايمي الثاني سنة 1327.

أ. عزاوي، *المغرب الإسلامي من خلال رسائله*، ق. 1 (ص. 80 وما بعدها)، ق. 2، *الرسائل* عدد 181، 182، 183، 190، 193 مكرر، 194، 221، 222، 233.

Masc, Latrie, *Traités de paix et de commerce....* p. 285, 297 - 300, 315, 318 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13 et 14s.* 234, 355, 387, 395.

أحمد عزاوي

بنو الخبّا، أسرة بربرية كان لبعض أفرادها بفاس حظوة وجاه عند ملوك بني عبد المؤمن الأوائل والأواخر فعندما قامت ثورة بفاس ضد والي بني مرين عليها السعود بن خرباش الحشمي والدعوة إلى الموحدين، قام الأمير أبو بكر بن عبد الحق المريني بحصار المدينة سنة 648 / 1250 وتضييق الخناق على زعماء الثورة من الأشياخ والأشراف والرؤساء الذين اضطروا ـ في آخر المطاف، وبعد تأخر نجدة الخليفة المرتضى الموحدي ـ إلى الاستسلام وطلب الأمان من أبي بكر مقابل تعويض ما نهب من محلة بني مرين وهو ما يعادل مائة ألف مثقال. وأمام تسويف وتماطل هؤلاء الأشياخ في دفع التعويض اعتقلهم الأمير وطالبهم بالمال، فأشار عليه أحدهم وهو ابن الخبّا بإنزال العقوبة الشديدة على رؤوس الفتنة وتغريم الباقي. نحدد له ستة من الثوار وهم : الشيخ القاضي أبو عبد الرحمان المغيلي وولده، والشيخ المشرف ابن جشار وأخوه، وابن أبي طاطو وولده، فقتلوا جميعا خارج باب الشريعة ونهبت ديارهم وأموالهم.

ولابن الخبا هذا حفيد عاش في أيام السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وكانت له قصة مشهورة مع صاحب العلامة وكاتب السلطان أبي القاسم محمد بن أبي مدين العثماني تتعلق ببيع الروض الكائن بداخل باب بني مسافر المعروف بجرواوة بفاس.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 295، الرباط، 1972 ؛ ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، ص. 49، 50، الرباط، 1972.

رشيد السلامي

الخبّار، أسرة تطوانية من قبيلة أنجرة الراقعة بين مدينتي طنجة وسبتة ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 1607.

الخبّاز، أسرة تطاونية أصلها من الأندلس وهي التي ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسمهم العائلي بالحروف اللاتينية هكذا Cabeza - Cabeç - Cabez ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1180 / 1677 وإليها ينسب حي عين الخباز الواقع بضواحي المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 603

محمد ابن عزوز حكيم

الخباز، بوجمعة بن علي، مقاوم ولد سنة 1914 بمدينة الدار البيضاء. انضم إلى صفوف المقاومة المغربية، وعمل ضمن منظمة (اليد السوداء) تحت مسؤولية السيد عمر المريزي. والسيد البشير بن محمد الشرقاوي بمدينة الدار البيضاء منذ سنة 1953.

قام بتنفيذ عدة عمليات فدائية، وقد صرعه متعاون مغربي أمام منزله، فسقط شهيداً يوم 6 مارس 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين، وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 173.

ابن **الخباز، عبد الرحمان** بن محمد القصري، من مواليد القرن العاشر الهجري بمدينة القصر الكبير. تتلمذ على صفوة من علماء مدينته قبل أن يرتحل إلى فاس للأخذ عن علمائها من أمثال رضوان الجنوي وسقين والراشدي، كما أدرك هناك كلا من اليسيتني وزروق وأبي عَمَر القسطلي. وقد تميز ابن الخباز بالمشاركة في مختلف علوم عصره من نحو وفقه ولغة وتفسير وحديث ومنطق، إلا أنه انفرد بعلم القراءات. وهذا ما يؤكده الدكتور محمد حجي حين يقول "تخرج بفاس في القراءات. وغيرها على يد الراشدي وطبقته من تلاميذ الإمام ابن غادي" (*الحركة الفكرية*، 28) ؛ كما أن الكتاني يؤكد على حسن سند ابن الخباز في القراءات لأخذه عن الراشدي الذي يعتبر آخر المقرئين والمحدثين في القرن العاشر (*فهرس الفهارس*، 2 : 257).

وأهم ما خلفه عبد الرحمن الخباز كتاب *بذل العلم والود في شرح تفصيل العقد*، وهو شرح لأرجوزة ابن غازي في علم القراءات المعروفة باسم "تفصيل الدرر في القراءات العشر"، حيث إن الأستاذ حجي أشار إلى أن ابن الخباز اعتمد فيه على ما سمعه من شيخه الراشدي مما رواه مباشرة عن الناظم الإمام، كما ذكر نفس الأستاذ أن هذا الكتاب القيم يوجد على شكل مخطوط بالمكتبة العامة بتطوان تحت رقم 125 (*أعلام القصر الكبير*، 61).

وبعد أن أجيز ابن الخباز بفاس من طرف الكثير من العلماء، عاد إلى القصر الكبير وقد تقدم به السن وتصدر للتدريس بالمدينة منوعا دروسه في الفقه والنحو والحديث والتفسير وعلم القراءات وقواعد اللغة بالإضافة إلى علم الأصول. ومن ضمن من أخذ عنه أبو المحاسن الفاسي، حيث إنه تعلم منه الرسم والقراءات إلى أن توفي سنة 964 / 1556 (*نشر المثاني*، 1 : 124).

وأسرة الخباز من الأسر القصرية العريقة ذات الجذور القديمة في هذا البلد ولا تزال بقية منها في هذه المدينة وقديما انتقل منها فرع إلى فاس (*أعلام القصر الكبير*، 62).

م. بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية علمية وتاريخية*، مطبعة طنجة، 1994 ؛ محمد حجي، *الحركة الفكرية* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق.

الحسين البعاوي

الخُبّازَى، أو الخُبّيزة والبَقُّولة باللهجة الدارجة، نبتة خضراء، تؤكل طرية قبل تصلب عودها، وتؤكل مطبوخة بأشكال مختلفة وقد تستعمل مخلوطة بغيرها من الأعشاب التي تؤكل، وتستعمل كخضر مع الكسكس خاصة مع جريش الشعير (الدشيشة) (*التشوف*، 202)، وتنمو هذه النبتة الطبيعية بشكل عشوائي في المناطق السهلية العارية، وبجوار المنازل في البادية في الجبال والسهول والهضاب، ويرتبط ظهورها بالأمطار الأولى التي تتساقط في فصل الخريف، ويستمر ظهورها ونموها خلال فصل الشتاء والربيع، كما تنمو بصفة دائمة على ضفاف السواقي وفي المناطق الرطبة ووسط البحائر والحقول المسقية.

والخبازى نبات أشير إلى استهلاكه في مناطق مختلفة من المغرب خلال العصور الوسطى (*التشوف*، 197، 202، 362) لكن استهلاكه في تغذية الإنسان ارتبط بالصلاح والزهد وبحياة المتصوفة بصفة عامة (*بهجة الناظرين*، 42)، وربما ترجع أصول استهلاك الإنسان للخبازى إلى أزمنة بعيدة خاصة في السنوات العجاف والظروف المصاحبة للمجاعات حيث أكل الإنسان كل ما وقعت عليه يداه من نباتات كايرني ونوار الخروب وتامود وغيرها (*البيان*، 3 : 316). وقد استساغ الإنسان الخبازى أكثر من غيرها فاحتفظ بها والتي لم يستسغها تخلى عنها، وينبغي الرجوع إلى كتب الفلاحة الأندلسية وكتب الطب القديمة لأخذ فكرة علمية تقريبية عن استهلاك هذه النباتات.

ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 1958 و1984 : ابن عذاري المراكشي، *البيان*، بيروت 1948 : ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مرقون كلية الآداب الرباط، د.د.ع. 1985، 1986 ؛ *دراسات ميدانية خاصة ورواية شفوية*.

محمد حجاج الطويل

ابن **خَبّازة، ميمون** بن علي بن عبد الخالق الخطابي الصنهاجي، يكنى أبا عمرو وأبا سعيد، اشتهر في عصره باسم خاله الشاعر ابن خبازة. ولد بمدينة فاس وأخذ العلم عن شيوخها وعلمائها، وفي مقدمتهم جده من الأم علي بن مهدي القيسي، وابن حرزهم والحجري وغيرهم، وقد أورد صاحب *مفاخر البربر* ترجمة ذاتية للشاعر بعد أن نقلها من خطه، يقول : "رأيت بخطه جوابا لمن سأله عن اسمه ونسبه : أنا ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، وبنو خطاب في قبائل من المغرب والبربر، فبنو خطاب في صنهاجة، وفي هسكورة من ملزوزة ... وأنا من الصنهاجيين، مولدي

بمدينة فاس، قاعدة من قواعد المغرب، وأكثر قراءاتي بها على الجلة الذين لحقت، وأكبرهم جدي من الأم علي بن مهدي القيسي، وعن الفقيه العالم الفاضل أبي الحسن ابن حرزهم، وقرأت في سبتة على ابن عبيد الحجري، ولحقت في الأندلس ما لا أحصيه كثرة، وأكبرهم شأنا أبو محمد القرطبي ..." وأما سني، فما أضبط تاريخه لكني أعلم أني في السبعين حقيقة".

كان شاعراً متألقا، حاضر البديهة، تحدث عنه ابن عبد الملك المراكشي في كتابه *الذيل والتكملة* بإعجاب وتقدير، قال عنه : "من أكبر أعاجيب الدهر في سرعة البديهة، ناظما أو ناثراً، مع الإجادة التي لا يجارى فيها، والتفنن في أساليب الكلام معربه وهزله، جيد الخط، ذا مشاركة حسنة في علم الكلام وأصول الفقه".

لزم أبا العلاء بن المنصور الموحدي، وله فيه أمداح كثيرة "بلغت ثلاثة مجلدات"، من ذلك قصيدة لامية في مدحه وقد انتقل واليا على إشبيلية، مطلعها :

قد حقق الله آمال العباد فسل   ولت أذهبت عنها الروع والوجلا

وهي قصيدة طويلة انفرد بروايتها كتاب *الذيل والتكملة*، وتقع في أربعة وسبعين بيتا. وعلى الرغم من أن ابن عبد الملك لم يورد له غير هذه القصيدة في المدح، فإنه تحدث عن امتداحه الملوك، فقال : "وقطع مدداً من عمره في الارتسام بامتداح ملوك عصره، فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع ذكره، ولا يطمع في لحاقه، سرعة ارتجال وحسن افتنان، وبراعه إنشاء"، مع أنه أورد له بعض الأشعار في موضوعات أخرى.

كما أن أغلب المصادر التي ترجمت له وأوردت بعض أشعاره لم تثبت نماذج من تلك الأشعار المدحية التي قيلت في أبي العلاء أو في غيره خاصة وقد "بلغت ثلاثة مجلدات ضخمة". أما محمد الفاسي فقد نبه إلى احتمال يقول : "ولا شك أن شعره جُمع في ديوان خاص، لأنه كان طويل النفس".

وتنفرد *أزهار الرياض* و*ذكريات المشاهير* بإثبات قصيدة لامية صنفتها *"أزهار الرياض"* في الحنين إلى الأحباب إذ جاء في تقديمها : "ومن رائق نظمه في الحنين إلى أحبابه"، بينما صنفتها *ذكريات المشاهير* في النسيب، تقع في أربعة عشر بيتا، مطلعها :

هب النسيم ضحى نفاح المندل   وتأرجت منه الصبا والشمأل

ومن شعره قصيدة رائقة في رثاء أبي محمد عبد الله ابن أبي بكر بن الجد كان قد توفي يوم عيد الفطر، وكان توفي له أخ قبله، ويعزّي أباهما، وهو يومئذ وزير إشبيلية وعظيمها، "وهي من النمط العالي والطراز الكامل الحسن"، كما يصفها ابن عبد الملك، و "من بدائعه التي تدل على افتنانه في التعبير وحسن تصرفه في المعاني الشعرية" كما يصفها كنون، وتقع في سبعين بيتاً.

أما قصيدته الفريدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقدم لها ابن عبد الملك بالآتي : "قصيدته البارعة التي نظمها في مدح سيد البشر المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وسماها "الميمونيّة" ليعزز جمال الرائق بكمال الفائق، ويعدل عن مجازات المجازات إلى حقائق الحقائق، نفع الله ناظمها وراسمها ومنشدها ومستجيدها وسامعها ومستعيدها"، مطلعها :

حقيق علينا أن نجيب المعاليا   لنثني في مدح الحبيب المعانيا

وهي قصيدة رائقة مدح بها ابن خبازة النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن مناقبه ومآثره، وفضائله ومعجزاته، في أسلوب رصين وسرد محكم، تقع في مائة وخمسين بيتا.

ولابن خبازة وثيقة نثرية طريفة تلخص انصرافه عن الدنيا وبهرجتها، وطمعه في التمسك بالأوامر الربانية، أثبتها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* وقدم لها بقوله : "وهذه وثيقة أنشأها في بيع قلبه من ربه، أثبتها عقب هذه القصائد الفرائد، لأشفع منظومه بمنثوره، وأشير بأن الصادر عنه في الفنين من أفضل محفوظ الكلام ومأثوره :

"يقول العبد الذي اعترف بما اقترف لمولاه، وأقر له بما أضاعه، لا بما أطاعه، على ما منحه من النعم وأولاه، الميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، جبر الله بالتقوى كسره، وفك من حبائل الدنيا أسره"، وجاء في العقد أيضاً : "هذا ما اشترى المولى اللطيف الجليل، من العبد الضعيف الذليل، الميمون بن علي، اشترى منه صفقة واحدة دون استباق ولا تبعيض، ولا استثناء بتصريح ولا تعريض، جميع المنزل المعروف بمنزل القلب والفؤاد، الذي من سكانه المحبة والإخلاص والوداد ..." وأنت ترى أنها نمط من الكلام مبتكر لا هو بالخطبة ولا بالمقامة، ثم هي بأسلوبها وجوهر موضوعها، تدل على قوة عارضته أيضاً في النثر، وامتداد نفسه فيه كالشعر، كما أنها بروحها الصوفية تدل على صلاحه وتقواه".

أما الأستاذ ابن تاويت فيقول عن هذه الوثيقة : "يعتمد الخطابي في وثيقته من ناحية الصياغة اللفظية على التلاعب بالألفاظ والقرابة الصوتية فيما بينها، أما من ناحية المعاني التي تضمنتها تلك الصور التي لا تخلو من جمال، فقد رفق فيها إلى حد بعيد، ونسقها أحسن تنسيق، وقد عملت فيها شاعريته وخياله، فتشارك فيها نظمه ونثره".

وتذكر المصادر التي ترجمت له أنه تولى حسبة السوق بمدينة مراكش في آخر حياته.

كانت وفاة ابن خبازة بسلا أوائل سنة 637، كما جاء في *الذيل والتكملة* وبها دفن، وقبره معروف، بل إليه ينسب واحد من أبواب سلا المشهورة ؛ وهو باب الخباز. وفي أزهار الرياض أنه توفي بالرباط.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الثامن، القسم الثاني، ص. 388، رقم الترجمة 183 ؛ أ. المقري، *أزهار*

الرياض في أخبار عياض، 2 : 379 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 348 ؛ ابن سعيد، *رايات المبرزين*، تح. رضوان الداية، ص. 72، لمؤلف مجهول، *نبذ تاريخية في أخبار البربر*، ص. 65 ؛ ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 313، حضارة الموحدين ص. 118، 139، 145، 158 ؛ ع. الله كنون، النبوغ المغربي، 1 : 170، 3، 194، 248، 264 ؛ *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، ج 7 ؛ خ. الزركلي، ط 7، ج 7 : 341 ؛ م. الفاسي، ابن خبازة، *رسالة المغرب*، العدد 4، السنة السادسة، يونيو 1947.

نجاة المريني

أيت خبّاش، فرع من قبيل أيت أونبكي الذين يمثلون خمس الحادية آيت عطا بتافيلالت. وسنقتصر في هذا التعريف الموجز على الحديث عن وصول هذا الفرع إلى واحات باني. ففي سنة 1349 / 1930 طرد فرع آيت خباش وقبائل أخرى من البْرابِر (بتسكين البائين) وهم أيت مرغاد وأيت سفول وأيت حمو بقيادة الثائر بلقاسم النكادي، من موطنهم الأصلي بعد احتلال مركز زاكورة الاستراتيجي، وبعد مقاومة الاستعمار الفرنسي لعقد من الزمن. نزل الجميع في معدر درعة مدة، ثم بمعدر إداوسْلاّم بفم الحصن نحو شهرين. ثم استضافهم القائد البشير التامنارتي وأكرم وفادة زعيمهم بأكرض ونواحيها أكثر من شهرين. ثم بعد سوء تفاهم رحلوا إلى مركز تاغجيجت ليعودوا بعد ذلك إلى إيشت وأيت وابْلّي، ولا يستبعد أن يكون لحلف تحگات - أعداء التامنارتي - يد في ما وقع بينه وبين البرابر من سوء تفاهم.

كان لهذه التنقلات تأثير واضح على صيرورة الأحداث، إذ كان عدد خيام البرابر أكثر من سبعمائة خيمة منها مائتا خيمة لفرع أيت خباش. كما كانوا طرفا في الأحداث خاصة وأن هذا الفرع عمل على تغيير معالم موازين القوى بتامنارت.

ففي أواخر سنة 1351 / 1932 وغل على مركز إيشت الذي يعد مركزاً استراتيجياً خلفياً لقيادة الكثيريين بأكرض، والذي احتله حلف تحگات منذ عشر سنوات ونيف.

لقد تمكن أيت خباش من طرد كل القاطنين بالمركز فلبثوا به أكثر من سنة إلى أن دخلته الجيوش الفرنسية سنة 1352 / 1933 فرجع الراحلون إلى مساكنهم.

نتج عن جلاء القاطنين تضرر كبير في الأمتعة والدور، كما فقدت بعض العائلات رسومها وجاهها ومركزها الاجتماعي، ومازال شيوخ البلدة يتذكرون الحدث.

وتذمر التمنارتيون من جهة أخرى والإيشتيون من أيت خباش وساءت العلاقة بين الطرفين، لذلك نجد بعض الرواة الذين عاينوا الحدث يحملونهم مسؤولية ما آلت إليه الوضعية في المنطقة، إذ كانوا سببا مباشرا - في اعتقادهم - في دخول الفرنسيين إلى واحات باني. غير أن القرائن المتوفرة تدحض هذا الزعم. فقد كانت فرنسا - على ما يبدو - تخطط لاحتلالها منذ دخولها مركز إيغرم سنة 1926 أحد منافذ الأطلس الصغير وواحات باني. لكن دخول البرابر أجّل تنفيذ ما خطط له. فانصب اهتمام الحماية على تنشيط مراكز الاستعلامات بمنافذ أخرى مختلفة هي فم الحصن، أقا على وادي صياد (أسيف أونگمارْ). ومن بين الأدوار المنوطة بها مراقبة تحركات القبائل خاصة البرابر. إلى جانب "سياسة الهدنة" هاته، غدت تتحين الفرص لاحتلال المنطقة.

فقد عرفت قيادة أقا صراعات داخلية وصراعات مع محيطها القبلي دفعها للتمهيد لدخول الاستعمار سنة 1348 / 1929. وبعد سنتين من الاحتلال، حاصرت قبائل البرابر مركز أقا، وقتلت قائدها، لكنها لم تتمكن من دخول المركز كما كان مقررا، بل تكبدت خسائر بشرية خاصة بين صفوف أيت خباش حيث بلغت ضحاياهم ستين ضحية حسب الرواية الشفوية المحلية.

أمام هذه الهزيمة، فسح المجال لكتيبة عسكرية فرنسية لتراقب أقا بعد ذلك نشب صراع بين حلف القائد الحسن المريبطي وبين محمد ازنكض شيخ قبيلة أيت أُربلي المدعم من لدن أيت خباش والمدني الاخصاصي والمرابطين القصبيين والمريبطين الساحليين.

تدخلت الطائرات الفرنسية فقتلت آيت أربلي على مدى شهر تخلله دخول الطرفين في هدنة مؤقتة مرتين. إلا أن جحافل الجيوش الفرنسية تمكنت من احتلال أيت أربلي ثم إيشت فواحة تامنارت بأكملها سنة 1352 / 1933.

نتج عن هذا الدخول فرار البرابر إلى وادي نون حيث استسلموا بعد حين. يستخلص من هذا أنه رغم قصر المدة، فإن وجود أيت خباش بالمنطقة من سنة 1930 إلى 1934 كان له تأثير واضح على رسم معالم الخريطة السياسية لواحات باني غداة دخول الاستعمار الفرنسي إليها.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، تطوان، 3 : 22، 30 ؛ *المعسول*، 3 : 399، 400 ؛ 7 : 66، 67 ؛ 16 : 305، 306 ؛ 19 : 257، 264 ؛ 20 : 269.

شفيق الرناك

خُبّان، أسرة يقول أفرادها إن أصلهم من الشمال الشرقي للجزيرة العربية وأن اللفظ الذي تحمله أسرتهم يعني في إحدى اللهجات شمال الخليج العربي الانسان المتعقل والمتبصّر.

الثابت عن هذه الأسرة أن أحد أفرادها يسمى الشيخ محمد أبو جماعة نزل بمنطقة الشياظمة - إقليم الصويرة حالياً - في أواخر القرن السابع عشر الميلادي واستقبله الشرفاء الركراكيون الموجودة أضرحة أقطابهم في جهات شتى من هذه المنطقة. وطفق هذا الشيخ يدعو الناس إلى الاعتصام بحبل الله والتفاني في إقامة الشعائر الدينية. تم

أخذ يطوف على الزوايا الركراكية إلى أن استقر به المقام بقبيلة مسكالة التي توجد أراضيها على بعد ما يقرب من خمسين كيلومترا من الصويرة شرقا.

ظهرت للشيخ المذكور عدة كرامات جعلت الناس يلتفون حوله ويقصدونه للاستشارة والاستفتاء في شؤونهم الخاصة والعامة. وكان في كل عيد للمولد النبوي، يحشد القوم ويحثهم على القيام بفريضة الحج، معلنا أنه حج عدة مرات، وبقي على هذا النشاط إلى أن وافاه الأجل بأحد فروع مسكالة، وبالضبط فخذة السباهان، فبنى له الناس هناك ضريحا بقبة.

كان من بين أولاده واحد يسمى الحاج المحجوب وهو جد أولاد خبّان الذين سنقتصر على ذكر من كان لهم دور هام في حياة الشياظمة أو المغرب، نذكرهم حسب الترتيب الألفبائي :

1 ـ حسن بن مبارك بن (الحاج) سعيد بن المحجوب خبّان، ولد بمسكالة عام 1267 / 1850. بعدما انخرط في الكتاب المحلي وحفظ القرآن واستحق لقب "الطالب"، حثه والده على الذهاب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ولتعلم الشريعة الإسلامية وعلوم القرآن من مدارس مكة والمدينة. ولما عاد بقليل إلى مسقط رأسه. راح ينشط حلقات دراسية بمسكالة حينا وحينا آخر بإحدى زوايا المنطقة. وفي عام 1310 / 1892، أجمع أهل مسكالة على اختياره ليخلف أباه ـ الذي مات قبل حين ـ على رأس مشيختهم. وزكى هذا الاختيار، عامل الوقت بالصويرة، الركراكي الدبلالي.

خلال عام 1314 / 1895، صدر ظهير عزيزي يحول مشيخة مسكالة ـ التي أخذت منذ سنوات تسمى دار خبّان ـ إلى قيادة، وتم تعيين الشيخ حسن خبّان قائدا، الأمر الذي ابتهج به السكان الذين تلا عليهم الظهير قاضي الصويرة إدريس بن محمد بوعبيد العمري الفاسي، حسن خبان كان إذن أول قائد على مسكالة.

بقيت هذه الالتفاتة المولوية عالقة بذاكرة مسكالة ويعتبرها آل خبّان مفخرة اجتماعية وسياسية وتاريخية، ولا يخفى على الملاحظ ما لمثل هذا الحدث من أهمية وأثر عميق في نفوس المعنيين به، خصوصا إذا كانوا من أهل البوادي.

وزاد من أهمية هذا الحدث، أنه اكتسى ما تكتسيه كل مخاطرة وما يحمل كل رهان، لاسيما أن المغرب كان يومئذ يتجه نحو التدهور الشامل والتفكك الداخلي، إذ أعلن بعض قواد الشياظمة وحاحا كغيرهم في ربوع البلاد، عن تمردهم على السلطان المولى عبد العزيز.

إلا أن (الحاج) حسن خبّان رفض أن ينساق وراء الغاضبين ومضى يجاهد لتوحيد الكلمة والحفاظ على الشرعية العلوية القائمة. ولما تولى مولاي حفيظ العرش بدوره، كان (الحاج) حسن خبّان من بين أعيان الإقليم الذين توجهوا إلى فاس لتقديم الهدايا ـ في حفلة الهدية، حسب العرف ـ والولاء إلى السلطان الجديد، وهناك، وافاه الأجل بعد احتفالات عيد المولد، في ربيع الأول 1329، مارس 1911، وعمره يقارب ستين عاما.

2 ـ سعيد بن العربي بن الحاج مبارك خُبّان، ولد عام 1318 / 1908. حفظ القرآن بقريته، ولما بلغ سن الرشد أخذ والده يشاركه في بعض مهامه الإدارية، ويرافقه معه عبر القبائل التي كانت خاضعة لحكمه، فظهر تفهمه لمشاكل الناس وتعاطفه مع المستضعفين منهم. لهذه الأسباب اختاره والده معاونا له بصورة رسمية. فزكتْه السلطات الحاكمة بالإقليم. ولما توفي أبوه عام 1942، أصبح سعيد قائدا على مسكالة. وأظهر من الحنكة والخبرة ما لم يظهره أسلافه، فصرف اهتمامه لرعاية شؤون الناس كافة، وبدأ في تعمير مسكالة وتحسين أحوالها الاجتماعية، ومدّ إليها الاسلاك الهاتفية على نفقته، عبر مسافة طولها عشرون كيلمترا وهي المسافة الفاصلة بين سوق الخميس ـ مسكالة والطريق الرئيسية الرابطة بين الصويرة ومراكش ـ وخفف عن الناس بعض أعباء العمل الإجباري الذي كانت تفرضه سلطات الاستعمار على أهل البوادي للاشتغال بالمجان في القطاع الغابوي والمساهمة في حصاد حقول المعمرين، وزرع النبات الواقي من اكتساح الرمال بالمنطقة، مجانا. وكانت سلطات الحماية المحلية تقدر التدخلات الإنسانية التي ما فتئ يقوم بها القائد سعيد بن العربي لصالح رعاياه وهو لم يكن ليطمع في ممتلكاتهم ولا يشغل باله بمتاع الدنيا، همّه الوحيد هو حسن التدبير وتطلعه إلى رضى الملك محمد الخامس.

كان يشجع أبناء مسكالة على التعلم، وبعث أبناءه إلى المدارس العصرية بالصويرة ومراكش، فقدرت فيه سلطات الحماية خصاله الحميدة وأسندت إليه مسؤولية قبائل أخرى ومدّدت اختصاصاته إلى نصف أحواز الصويرة، فأصبح بذلك أعظم قائد بالشياظمة.

وعندما قام محمد الخامس بزيارة رسمية للصويرة عام 1946، اختار أن يقيم بقصر القائد سعيد بدار خبّان بمسكالة، وكان أول قصر بالبادية هناك يتوفر على جميع وسائل الراحة، من كهرباء، وماء عذب جار في القنوات، والهاتف، وغير ذلك. وكان لهذا الحدث صدى طيب في نفوس أهل مسكالة بالخصوص، ورأوا فيه تكريما لهم من الملك الذي لم ينس خدمات أجدادهم للعرش ووفائهم للدولة العلوية.

ربطتني صداقة حميمة بأبنائه، في أواخر الأربعينات، فسمحت لي تلك الصداقة بمجالسته معهم ونحن في عنفوان الشباب، فكنت ألاحظ تقديره وعطفه على الحركة الوطنية وهو في حديث مع بعض أصدقائه من موظفي المخزن، كما كنت ألمس مدى تفتحه على الحضارة العصرية مع تمسكه بالمبادئ والأخلاق الإسلامية. وكان في كل مناسبة تجمعني به صحبة أبنائه، يحثنا على الاجتهاد في الدراسة

للمساهمة في ازدهار المغرب وتحقيق ما ضاع للأمة. أما لفظة الاستقلال، فلم تكن يومئذ تخرج من فم أحد من الناس إذ لم يكن أحد يحلم به.

كان نبيلا في أخلاقه وسلوكه، محبّا لأهل المعرفة والعلم، يدعو إلى مائدته - سواء بمسكالة أو بالصويرة - معلّمي أبنائه، ويتذكرهم في الأعياد. كما كان يجالس فقهاء الشياظمة والصويرة مثل القاضي محمد بن إدريس بنرحمون ثم بعده القاضي عبد الحفيظ الفاسي، وغيرهما من كبار موظفي المدينة. وما كان لينفرد في اتخاذ قرار هام - يوم لم يكن فصل بين السلطات الإدارية والقضائية والتنفيذية - إلا بعد استشارة ذوي الخبرة من هؤلاء الموظفين المغاربة، أو من بعض المقربين من المخزن المركزي بالرباط. وشكل هذا السلوك أحد العوامل التي جعلته طيلة حياته يحظى بالرضى المولوي طيلة حياته.

مع هذا القائد، سطع نجم آل خبّان وبلغ أوجه، ومع وفاته في أواخر عام 1952، مال إلى الأفول إلى أن احتجب نهائيا مع بداية الستينات، رغم الجهود التي بذلها مع السلطات، اثنان من أبناء القائد الراحل. وقد يعزى فشلهما المتتابع إلى قصورهما في التدبير حسب المقاييس الجديدة.

3 - سعيد (الحاج -) بن المحجوب خبّان. ولد حوالي عام 1200 / 1785 بمسكالة. حفظ القرآن واكتسب قسطاً من المعرفة بشؤون اللغة والدين عن أبيه. ثم رحل إلى الصويرة لمواصلة تعليمه خصوصا وأن علماء مشهورين - كان من بينهم الفقيه محمد بن أحمد الشيظمي المروري. والفقيه الحاج محمد توفلعز السوسي - وصادفت هذه الفترة إقامة مولاي عبد الرحمن بالصويرة، بصفته خليفة سلطانياً.

بعد ذلك، رحل الطالب سعيد إلى المشرق، وأدى فريضة الحج وجال في أقطار مجاورة، ثم عاد إلى المغرب بعد عامين، أكبره الناس في مسكالة وأنزلوه أقصى منزلة التقدير والاحترام، وهو في نظرهم العالم الجدير بالتبجيل، ثم أجمعوا على اختياره شيخا على قبيلتهم ومنحوه كامل ثقتهم.

مارس الحاج سعيد خبان مهامه بحكمة وتبصر. وكان معمّرا إذ عاش زهاء مائة وعشرين سنة، وتوفي وهو مالك لجميع حواسه وعلى وعي بما حوله، وذلك عام 1322 / 1904.

4 - العربي بن الحاج مبارك بن الحاج سعيد بن الحاج المحجوب خبّان والد القائد آتي الترجمة. ولد عام 1286 / 1869 بمسكالة (دار خبّان). حفظ القرآن في الكتاب ثم تتلمذ محليا على بعض الفقهاء المشهورين من بينهم العالم الشريف أحمد بن عمر المدني، فاغترف من علوم القرآن، كالتفسير والبلاغة والنحو والصرف والشريعة، ذلك ما جعله يعد من الفقهاء والأدباء ويتبوأ مكانة مرموقة في بيئته خاصة، والصويرة وأحوازها عامة.

وبعد خلع السلطان مولاي حفيظ وتعيين شقيقه مولاي يوسف ملكا، عام 1330 / 1912 تم كذلك تعيين العربي خبّان عاملا على الشياظمة، وأحمد السعيدي الطنجي عاملا على الصويرة.



غير أن عبدالرحمن الگلولي، قائد حاحا يومها، رفض البيعة وركب مطية العصيان هو وأنصاره، بمجرد ما بلغهم نبأ توقيع الحماية وتنحية مولاي حفيظ واعتلاء مولاي يوسف كرسي العرش. وللتذكير، فإن أهل حاحا كانوا منذ القرن التاسع عشر، في خلاف عميق مع المخزن.

وصدرت الأوامر من الرباط إلى العربي خبان وعامل حاحا محمد أنفلوس بتعبئة كل ما يستطيعان من قوة - جنود ومؤن وذخائر حربية - لإعانة الجيش المخزني الذي يقوده العسكري الحسين الزعري السلاوي وجنود فرنسيون قادمون من مراكش تحت قيادة الرائد ماسوتي.

وسار العربي خبان على رأس جيشه وقامت معركة حامية بين القوات المخزنية والثوار، وسقط عدد من الضحايا في صفوف الجانبين، وأظهر العربي خبان شجاعة كبرى في المعركة التي دامت عدة أيام عبر مسافات شاسعة لا تخلو من مواقع استراتيجية هامة، مثل موقع دار القاضي، وزاوية بنحميدة وزاوية الكرات وبوريكي وأيت السرابدي.

وأشاد المخزن ببطولة العربي خبان، فجزاه على وفائه وتضحياته بأن أضاف إلى "حكومته"، أي قيادته، زاوية بنحميدة وزاوية الكرات بمن حولهما من قبائل، وقد كانت تابعة للقائد أنفلوس الذي ارتد عن قتال ضد الگلولي واختفى هو وجنوده طيلة المعركة.

5 - مبارك بن (الحاج) سعيد خبّان : ولد عام 1226 / 1811، وحفظ القرآن وتلقى بعض علومه على أيدي أبرز الفقهاء الرگراكيين الموجودين وقتها بالشياظمة، مما جعله يحظى بتقدير واحترام الأهالي. ومضى يدعو إلى التمسك بالدين والوفاء للدولة العلوية ونبذ النزعات الانفصالية والفوضوية التي كان لها بعض الدعاة في المنطقة، ومن الناس من كانوا يروون ويرددون حادث نهب صاكة الصويرة بما تضمنته من أموال هامة ونفائس مستخلصة من مرسى المدينة، وقد حدث ذلك النهب الغادر عام 1238 / 1822، من

طرف ذوي بلال بتواطئ مع قائد الشياظمة يومئذ، علي بن محمد الشياظمي. وكانت خزائن الصاكة موجهة إلى مراكش تحت حراسة مخزنية، فكان لما حدث وقع سيء في نفس السلطان مولاي سليمان. ويقول صاحب الاستقصا "إن هذه الواقعة هي التي هدّت أركان مولاي سليمان، فاعتراه مرضه الذي كان سبب وفاته".

وفي عام 1260 / 1842، رحل مبارك خبّان رفقة أخويه محمد وعبد السلام إلى المشرق لأداء فريضة الحج، ولم يرجع مع أخويه حيث آثر البقاء هناك قصد التبحر في العلوم التي كانت تدرس في مكة والمدينة وغيرهما، ولم يرجع إلى المغرب إلا بعد عشرة أعوام، فاستقبله أهل مسكالة بحفاوة بالغة. وما هي إلا أيام قليلة حتى وقع عليه الاختيار ليكون عضواً في مجلس الشورى الجهوي الذي أحدثه المخزن عبر التراب الوطني، فازداد شرفا في أعين الناس، وسعى قواد المنطقة إلى وده، منهم القائد بوجمعة التادلاوي الذي اتخذه مستشارا خاصا، والقائد عمر البلاح الذي كلفه بالنيابة عنه فيما يرجع لتدبير شؤون مسكالة، عندها أقام الحاج مبارك ببلاد التوابت على مقربة من زاوية سيدي عيسى بوخابية الركراكي ومضى ينظم حلقات دراسية لفقهاء المنطقة، وأمر ببناء "دار خبّان" وهي قرية صغيرة بمسكالة، غير بعيدة من سوق الخميس، لتكون مركزاً إدارياً.

غير أن الهدوء لم يكن ليستتب في هذه المنطقة المجاورة لحاحا إلا قليلا، إذ ما أن علم الناس بوفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن حتى ثاروا على قواد شياظمة وشيوخها، وغضبوا أيضاً على عمر البلاح وخليفته الحاج مبارك خبان. فدعاهما السلطان مولاي الحسن إلى مراكش وبعدما استمع إليهما - كما استمع إلى غيرهما - استبدل قواد الشياظمة بآخرين، وعين الحاج مبارك خبان عاملا على الشياظمة برمتها، وسمح له باتخاذ "دار خبّان" قاعدة إدارية لعمالة. وبقي الحاج مبارك يمارس مهامه الإدارية - بتعاون مع قواد المنطقة - إلى جانب مهام التدريس إلى أن وافاه الأجل، عام 1310 / 1890.

وثائق أسرة خبان؛ *مذكرات شخصية*؛ م. بن سعيد الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 8.

E. Gouvion, *A'yān al-Maghrib al-Aqsā : Le Makhzen marocain* ; R. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne.*

أحمد بنجلون

خبريش، محمد مقاوم من مواليد سنة 1940 بجماعة تيغزة بتزنيت، من والده الحسين بن علي ورقية بنت إبراهيم.

انخرط في صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن الفرقة الثالثة عشرة بمنطقة أيت باعمران بسيدي افني. شارك في العديد من الهجومات والمعارك التي خاضها جيش التحرير ضد قوات مراكز الاستعمار الاسباني خصوصا أثناء انتفاضة قبائل أيت باعمران يوم 23 / 11 / 1957 حيث لقّن المجاهدون الباعمرانيون للاستعمار أكبر درس في التضحية ونكران الذات من أجل تحرير هده المنطقة من المستعمر الغاشم.

توفي خبريش بتاريخ 17 أكتوبر 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، رقم 513050.

الخبز بالمغرب في العصر الوسيط أنواع تختلف باختلاف مادة صنعه : دقيق الشعير، ودقيق الحنطة أو دقيق الذرة (*وصف افريقيا*، 255، *البيان*، 3 / 316، *التشوف*، 127 - 296، *المقصد الشريف*، 92، *انس الفقير*، 105، *بهجة الناظرين*، 124 - 137). ومنه الدقيق "العادي" و"الممتاز" وقد عرف في العصر الوسيط بالدرمك والحواري (*التشوف*، 354، *الذيل والتكملة*، 178)، ومن حيث الشكل يبدو أن المغرب لم يعرف آنذاك إلا الخبز المستدبر (قُرص ج أقراص) (*بهجة الناظرين*، 78 و 83) ويختلف الخبز كذلك باختلاف طريقة طهيه فهو إما فطائر أو (فطير) مقلية (*وصف إفريقيا*، 1 . 185)، وإما مشوية على صفائح من حديد أو مواعين من طين وتختلف أسماء هذه الأنواع باختلاف المناطق في المغرب : الشيار أو بوشيار الرغايف البطوط، المسمن، الملوي إلى غير ذلك، والخبز الناضج في الفرن - أو كما يقال في الدارجة "المخبوز" في الفرن - هو أكثر الأنواع تطوراً وتقدماً وانتشاراً ويختلف الفرن باختلاف المناطق والجهات كذلك فهو في سوس والريف التنور حيث تلصق أقراص العجين بجدار التنور، أما أكثر الأنواع شيوعاً في البوادي المغربية اليوم مع اختلاف في الشكل والإتقان فهي الأفران التي تضع النار في جهة والعجين في الجهة المقابلة.

توجد طريقة أخرى لطهي الخبز ويبدو أنها طريقة بدائية، وتنتشر بين السكان الرحل وتعتمد على الرماد المحرق، بحيث يدفن العجين ويتم غمره وتغطيته بالرماد المحرق مرات عديدة حتى ينضج، وتتبع أشكال الخبز وطريقة طهيه تعطينا المراحل التاريخية التي مرت منها هذه الصناعة، ويبدو أن أول هذه المراحل هي طريقة الدفن في الرماد المحرق، وآخر هذه المراحل هي الوضع المتقابل في الأفران التقليدية والمعروفة عند سكان البادية "بفران بوجبهة" سواء منه التقليدي أو العصري، المنزلي والتجاري، قبل أن تدخل الوسائل والطرق العصرية في الخَبْز.

تأثر المغاربة بالحضارات التي احتكوا بها، كالحضارة الرومانية (ففي مدينة وليلي الأثرية ما تزال تنتصب آثار المخابز الجماعية والتجارية). كما أن تأثير الأندلس واضح أكثر من غيره بخصوص بعض أنواع الخبز وخاصة الخبز

على شكل أقراص، سواء منه المعد في الفرن (ابن رزين، *فضالة الخوان*) أو المقلي بالزيت أو المشْوي فوق المقلاة الحديدية أوالطينية (الفراح - الرداد ...).

وتعتمد هذه التقنية على "التخمير" الذي يحتاج إلى المادة "المخمرة" وهي مادة لم تكن متوفرة فيتم استعمال مواد أولية أو مواد مجربة مثل تغطية العجين بأوراق شجر التين (*فضالة الخوان* ...) أو تعريض العجين للتدفئة الطبيعية عن طريق تغطيته بمناديل وأغطية صوفية وما أشبه ذلك. وقد عمت اليوم الطريقة الميكانيكية لتحضير الخبز في جميع مدن المغرب وقراه.

ع. ابن خلدون، *العبر*، المقدمة، الجزء السادس، بيروت، (ت. ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان في طيبات الطعام الألوان*. الرباط، 1981 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 3 بيروت، 1940، وبيروت 1983، تطوان، 1960 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 و 1955 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ابن الزيات التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، 1958 و 1984 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ ابن قنفذ، *انس الفقير*، الرباط، 1965 ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*. مرقون كلية الآداب، د. د. ج. ع، الرباط، 1985 و 1986 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، الرباط، 1984 ؛ الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967 ؛ *دراسات ميدانية*.

محمد حجاج الطريل

أولاد الخبز، أسرة فاسية من قبيلة صنهاجة، كان بعض أفرادها ما يزالون بقيد الحياة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م).

الخبزاوي، إدريس، أصله من تلمسان حيث كان يشتغل بوظيفة العدلية لدى محكمة المدينة. وفي سنة 1904 استقدمه الفرنسيون إلى طنجة فكلفوه بتحرير جريدة "*السعادة*" التي أصدرتها المفوضية الفرنسية هناك كوسيلة للدفاع عن أغراضها الاستعمارية في المغرب. وكانت مهمة هذا الرجل تكمن في إضفاء صبغة "عربية إسلامية" على جريدة خشي أربابها أن ينفر منها القراء المغاربة.

وفي سنة 1906 حل محل إدريس الخبزاوي الصحافي الشامي المسيحي الماروني وديع كرم. ولما رجع الخبزاوي إلى الجزائر أنعمت عليه الإدارة الفرنسية بترقيته إلى درجة قاض شرفي جزاء له على الخدمة التي أسداها للمشروع الفرنسي في المغرب. وتدخل تجربة الخبزواي على رأس "*السعادة*" في إطار تسخير بعض أفراد النخبة الجزائرية المتعلمة لتحقيق مآرب فرنسا بالمغرب، وهي السياسة المسماة آنذاك بـ "التدخل السلمي" والتي دعا إليها إدمون دوتي Edmond Doutté بإلحاح في تقرير رفعه إلى الحاكم العام بالجزائر عقب مهمة قام بها في المغرب سنة 1900.

الأرشيف الديبلوماسي الفرنسي في نانط.

J. Bida, *La presse marocaine d'expression française des origines à 1956*, Rabat. 1996 : E. Doutté, *Des moyens de développer l'influence française au Maroc. Première partie : Analyse des moyens généraux d'influence*, Paris. 1900.

جامع بيضا

الخُبْزة (مصطلح فلاحي) يُقصد بالخبزة أحدُ عقود المزارعة التي كانت سائدة في المجتمع الفلاحي شبيه بالخماسة (تخمّاست)، إلا أن التعاقد بالخبزة، خلافا لتخمّاست (انظر هذه المادة)، يمثل في الواقع كراء الأرض من طرف صاحبها لمن يستغلها لمدة سنة، إذ أن المكتري أو الخباز هو الذي يتحمل مسؤولية كل ما يتعلق بالبذور وأدوات العمل، وذلك مقابل حصة من الإنتاج، يتفق عليها مسبقا، تعود لصاحب الأرض.

يتم التعاقد، تبعا لنوعية الأرض - إن كانت حاملة لأعشاب ضارة أم لا، إن سبق حرثها في الموسم الفلاحي الفارط أم لا، إن كانت خصبة أم لا - بالنصف (بالنُّص)، بالثلث أو الربع.

وعادة ما يلجأ إلى التعاقد بالخبزة صغار الفلاحين الذين لا يتوفرون على زوجة للحرث ولا على بذور، فيفضلون التشارك مع من يتوفر على هذه الإمكانيات ؛ أو الذين يملكون قطعا أرضية صغيرة لن تكفيهم لسد حاجياتهم، فيفضلون من ثم كراءها بالخبزة حتى يتسنى لهم العمل كخماسة عند أحد كبار الملاكين ؛ أو من يقطن بعيداً عن حقله ؛ وكذا بعض كبار الملاكين الذين يفضلون هم بدورهم، هذا النمط من الاستغلال الذي يعفيهم من مراقبة الخماسة.

وقد يحدث أن يتعاقد الخباز، هو بدوره، مع من يعينه في استغلال الأرض أو يوفر له زوجة للحرث، كأن يستعين بخماس، أو يشترك مع فلاح آخر في اقتناء زوجة للحرث، وفق شروط يتفقان عليها مسبقاً.

دراسة ميدانية.

عبد الجليل حليم

أولاد الخُبْزي، أسرة فاسية كانت لهم مصاهر مع أولاد ابن إبراهيم الدكاليين المشنزائيين العلماء. وإليهم ينسب "فندق الخُبزي"، بعين علون، كما جاء في حوالة حبسية مؤرخة بعام تسعة وعشرين وتسعمائة.

ع. ابن سودة، إزالة الالتباس، مرقون، جزء 1 : 117.

خُبيزة (أولاد -) أسرة فاسية ← **اليعقوبي**

الخبيْزي، أسرة تطوانية اتخذت هذا الاسم لتتميز عن باقي أفراد أسرة الخباز، شأنها في ذلك شأن أسرة

العطيطر بالنسبة لأسرة العطار، وأسرة الطويلب بالنسبة لأسرة الطالب الخ ؛ وقد انقرضت أسرة الخبيزي بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1959. والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 604.

محمد ابن عزوز حكيم

الختان والختانة في اللغة موضع القطع من الذكر، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : "إذا التقى الختانان..." وقد تُسمى الدعوة للختان ختانا. وفي الاصطلاح العرفي يطلق الختان على قطع الجلدة التي تغطي الحشفة لئلا يجتمع فيها الوسخ والإفرازات الضارة التي قد تؤدي إلى خبيث الأمراض ولتمكن من الاستبراء من البول ولئلا تنقص لذة الجماع عند الرجل.

أما ختان الأنثى فيكون بقطع الجلدة التي تكون في أعلى عضو التناسل منها، وهي تكون كالنواة أو كعرف الديك. والذي ينبغي إذا حدث الختان للأنثى هو قطع الطرف الأعلى دون استئصال الزائدة كلها.

ويُروى أن امرأة كانت تُختن النساء في المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تنهكي (أي لا تستأصلي) فإن ذلك أحظى للمرأة". ولكن إذا ثبت في بعض الحالات أن خفاض الأنثى ليس في مصلحتها فلا اثم في ذلك لما قررة بعض الفقهاء.

أما بالمغرب فختان الرجال سنة مؤكدة على مذهب الإمام مالك الذي قرر أن من ترك الاختتان من غير عذر لم تجز إمامته ولا شهادته. كما ينص على كراهة الاختتان يوم الولادة ويوم السابع لأنه من فعل اليهود. ويقتصر الختان بالمغرب على الذكور دون الإناث.

وتتميز حفلات الختان في مجتمعنا المغربي بعادات وتقاليد تأخذ أبعادا فنية واجتماعية متقاربة في هدفها العام متباينة الإجراءات والوسائل، تختلف من منطقة لأخرى لكنها لا تخرج عن اتجاهات ثلاثة بمختلف جهات البلاد حاضرها وقرويها.

- الاتجاه الأول تقليدي في شكله ومضمونه.

- الاتجاه الثاني اتجاه محافظ يتأرجح بين تقاليد الماضي وأساليب العصر الحديث.

- الاتجاه الثالث يختلف تمام الاختلاف عن سابقيه خال من كل العادات والتقاليد القديمة يجرى في جو الخفاء والانفراد العائلي دون إقامة وليمة أو إحياء حفل تكريمي للمناسبة وتجرى عملية الختان تحت إشراف الطبيب المختص بعيادته ويُحمل الولد إلى بيته في تكتم وستر، وهذا هو الاتجاه الذي أصبح يطغى على فئات من المجتمع المغربي الحديث.

أما الاتجاه التقليدي فيتميز بمشاركة الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء أصحاب الحفل ليلة المبيت ويوم الحفل وصباح الختان كما يقوم أهل الحفل بتقديم الطعام للضيوف طيلة مدة الحفل، ويقوم بعملية الختان حجام تقليدي يحضر لبيت الحفل وتتم إجراءات عملية الختان في الصباح الباكر وسط جو تغمره الفرحة والابتهاج حيث تذكر الصلاة على النبي مع اطلاق الزغاريد وأنواع الغناء والرقص التقليدي المتميز بالجهوية.

وأهم ما يميز الاتجاه الثاني المحافظ قيام الوليمة في بيت الطفل وانطلاق موكب الحفل منه يتوسطه فرس مزين بوسائل تقليدية خاصة يركبه الطفل المزين بلباسه التقليدي رفقة أحد أقاربه وسط جو تطبعه الفرحة وتسيطر على أجوائه الموسيقى والزغاريد وبعض أناشيد الفرح التي ترددها النساء المشاركات في الموكب الذي يطوف ببعض الشوارع الرئيسية للمدينة أو القرية ويعود قافلا إلى بيت الفرح لاتمام الحفل وقيام السهرة التي تشارك فرحتها كل الفئات المدعوة. وفي الصباح الموالي يحمل الطفل "أو الأطفال" إلى الطبيب المختص أو الممرض التقني حيث تجرى عملية الختان بطريقة حديثة.

هذا بالنسبة للاتجاهات الانفرادية الخاصة بمختلف شرائح المجتمع المغربي. أما بالنسبة للإعذار الجماعي فإن الأمة المغربية تتميز بعاداتها الحسنة في هذا المجال هذه العادات والتقاليد لها ارتباط وثيق ببعض المناسبات الدينية والوطنية، تتجلى في الختان الجماعي لأطفال الطبقة الفقيرة وأبناء المعوزين واليتامى بمختلف عمالات وأقاليم المملكة تحت إشراف رجال السلطة في بعض الأحيان وبحضور المحسنين وأولياء الأطفال المهيئين للختان. وأهم ما يميز هذا الحفل الجماعي توزيع الهدايا الرمزية على الجماعات التي تم إعذارها تخفيفا لهم عن آلام العملية وتعبيرا لهم عن مشاركتهم هذه الفرحة التي يطبعها التكافل والتضامن الأخوي الإسلامي والمسؤولية الهادفة.

مشاهدات ميدانية.

محمد رمضاني

خَتّع، محمد بن علي من قبيلة أيت إيسمور الباعمرانية، درس الروايات القرآنية منذ صغره في قرية اطبين بقبيلته، واستكمل روايتي قالون وابن كثير على فتحي إبراهيم بن محند في مدرسة تانكًارفا، ثم انتقل إلى مدرسة همو أ'لحسن الاخصاصية عند شيخ القراء محمد بن عبد الكريم العبلاوي الباعمراني. فأتقن على يده رواية حمزة، وصار مرجعا في هذا الفن بعد وفاة شيخه العبلاوي، رشارط في مدرسة ثلاثاء أونلاً بالاخصاص بقية حياته فتخرج على يده العديد من الطلبة. توفي محمد ختع عام 1408 / 1987. وكان آخر المحققين في هذا الفن في تلك الجهات.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص.23-33. *مدارس سوس*

العتيقة، ص. 97 ؛ *خلال جزولة*، ج. 2، ص. 233 ؛ ح. جهادي *معلمة المغرب*، ج. 7، ص. 2226 : *استجواب مع هذا الروائي*.
الحسين جهادي

بنت خجو، آمنة بنت علي الحسانية الصنهاجية، أخت العالمين أبي القاسم والحسين آتيي الترجمة. صالحة عالمة نشأت في زاوية أخيها أبي القاسم، وتعلمت على يده مبادئ اللغة والدين، فكانت فقيهة محدثة تهتم بشؤون نساء قريتها وتعلمهن. لذلك نصح الطلبة والمريدون الشيخ عبد الله الهبطي - وكان عزوفاً عن النساء - أن يتزوج آمنة بنت خجو لتقوم بتعليم النساء في زاويته بالجبل الأشهب ويتفرغ هو لتعليم الرجال وتربيتهم، وكان أكثر دروسها في الفقه والحديث، وبخاصة *صحيح مسلم*. وقد ذكرها ابنها العالم محمد الهبطي الصغير في أرجوزته *المعرب الفصيح* :

قالوا تزوج إن ترد ما ترجو   أخت أبي القاسم ابن خجو
فإنها في غاية الديانة   والحسب الأثيل والصيانة

ابن خجو، الحسين بن علي الحساني الصنهاجي. ولد ونشأ في قبيلته بني حسان شمالي مدينة شفشاون، ودرس على أخيه أبي القاسم في زاويته، وعلى غيره من فقهاء جبال غمارة. تخرج فقيهاً متشبعاً بروح الإصلاح والنصح والإرشاد، وتدل فتاواه الباقية على ضلاعته الفقهية.

توفي حوالي 970 / 1562.

بنت خجو، العريفة الحسانية، امرأة متحضرة حاذقة عاشت في قصور الوطاسيين بفاس. فلما حل الشرفاء السعديون محلهم - وكانوا منذ بويعوا في الجنوب مشتغلين بالجهاد وتمهيد البلاد - ودخل محمد المهدي الشيخ إلى فاس يوم الخميس 24 شوال عام 961 / 22 - 9 - 1554 - وعليه هو وأهله سمة البداوة - جاءت العريفة بنت خجو فهذبت حريمه، وعلّمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس، وتاداتهم مع النساء وغير ذلك، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضرية.

ابن خجو، علي بن أبي القاسم الحساني، درس على والده وعمه الحسين في زاويتهم، وسار على هديهما في التربية والإرشاد. ولما مات أبو القاسم خلفه علي في القيام بالتدريس في جامع بني حسان، وإفتاء من كانوا يستفتونه من أنحاء بلاد الهبط.

توفي حوالي عام 985 / 1577.

ق. ابن خجو، *ضياء النهار*، مخطوط ؛ ع. الزياتي، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ م. الهبطي، *المعرب الفصيح*، مخطوط ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ ص. 63 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص 28 - 29 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 5، 30 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 461 - 462.

محمد حجي

ابن خجو، أبو القاسم بن علي الحساني - نسبة إلى بني حسان - إحدى قبائل الجبل - قرب شفشاون.

تعلم في الكتاب على عادة أبناء البادية، وكان سكناه بدشر سعادة في قنة جبل من بلاد غمارة، ولعله به ولد ونشأ ؛ ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم بالبادية : أبو عمر يوسف بن سرحان، وأخوه علي بن سرحان، وعبد الله بن القاسم، والقاسم بن فرحون، وموسى اليدوني، والحسن بن سكنان، ويوسف بن عثمان، والحسن الفراس، وعبد الله بن ناصبانت، ثم أتم دراسته بفاس، وطالت إقامته بها، وأخذ عن كبار مشايخها، كأبي عبد الله بن ...ري، وأبي الحسن علي بن هارون، والشيخ أحمد زروق، وأبي العباس الحباك، ومحمد بن جمعة الهبطي - صاحب *وقف القرآن*، وأبي العباس أحمد الزقاق.

ولما عاد إلى بلده صحب أبا محمد الهبطي وأخذ عنه طريق التصوف : وكان الشيخ يجله ويرجع إليه في الفروع الفقهية، لما يعلمه من علمه وصحة ديانته.

وتصدر للإفتاء وإرشاد العباد، وكان يعلّم باللغتين العربية والبربرية ؛ وبيتهم بيت علم وفضل، فأبوه عالم جليل، له أجوبة في الفقه، وأخوه الحسين من الفقهاء البارزين، وولده علي بن أبي القاسم فقيه متضلع، له عدة فتاوى. وكان أبو القاسم على قدم شيخه الهبطي في تغيير المنكر، ومحاربة البدع، قوالا للحق، شديد الشكيمة على أهل الزيغ.

كتب رسائل إلى المسؤولين في جهات من المغرب يدعوهم فيها إلى حماية الثغور، والتعبئة العامة للجهاد، والاستعداد بالقوة والعتاد ؛ ويلفت نظرهم إلى الخطر الداهم الذي يتهدد البلاد، وعناصر الفساد المتفشية في كل جهة ومكان ...

ولما استولى محمد الشيخ على الملك، بعث إليه - في جملة من دعاهم لحضرته من شيوخ العلم - فحضر إلى فاس وأعجب به السلطان وقال : ما رأيت مثله علما وصلاحا !

توفي بفاس، ودفن بجوار روضة ابن عباد - داخل باب الفتوح. والذي وصلنا من مؤلفاته :

1 - الحكم المنتخب من عيون الحكم. (فهرس المخطوطات والوثائق لعرض الحسن الثاني سنة (1394 - 1974) الرقم الترتيبي (1928) إقليم بني ملال).

- شرح أرجوزة الهبطي في العدة مخطوط الخزانة العامة بالرباط (958 د).

- شرح نظم بيوع ابن جماعة للسنوسي عرض فيه لكثير من البدع الشائعة في ذلك الوقت، ويوجد مخطوطا بالخزانة الكتونية بطنجة.

- ضياء النهار، المجلي لغمام الابصار، في نصرة الفقراء أهل السنة الاخيار، ضمنه مقدمة وثمانية فصول، دافع فيها عن متفقرة عصره، وحاول أن يجد لأعمالهم مستنداً في السنة المطهرة، وآثار السلف الصالح.

أورده بكامله المهدي الوزاني في *النوازل الكبرى* ج 11 ص (218 . 226)، ويوجد مخطوطاً بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع (939 د).

النصائح، فيما يحرم من الأنحكة والذبائح، مخطوط تطوان (353). وله مجموعة فتاوى أورد طائفة منها الزياتي في *الجواهر المختارة*، والعلمي في *نوازله*. وكان يرى رأي المغيلي في أن اليهود لاذمة لهم، لأنهم نقضوا العهود التي أعطوها للمسلمين.

فأبو القاسم بن خجو من العلماء العاملين، والدعاة المصلحين، يتجلى ذلك واضحا في مختلف رسائله وأكثر كتبه.

توفي عام 956 / 1549.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص. 13 . 97 ؛ ط. حجرية بفاس (د. ت) ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 218 ؛ ط. حجرية بفاس (1309 . 1891) ؛ *درة الحجال في اسماء الرجال*، 3 / 286، مطبعة الحضارة العربية، (1394 . 1974) ؛ ع. الزياني، *الجواهر المختارة*، مخطوط ؛ ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون ونواحيها*، 1402 . 1982 ؛ ع. العلمي على، *النوازل*، ط. حجرية بفاس، 1303 . 1885 ؛ ك. م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 . 149 ؛ ط. حجرية بفاس، 1318 . 1890 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ص. 252، بيروت، 1381 . 1961.

سعيد أعراب

ابن خدّة، أسرة فاسية من قبيلة شراگة، أهل معاش وحرفة ومال، من أقدم البيوتات ورد ذكرهم في حوالة ترجع تاريخها إلى عام ستة وستين وتسعمائة.

وهناك أسرة أخرى في بني حسن ببادية سلا كانت تتولى على بني ثور البالغ عدد خيامهم نحو ستمائة خيمة حسب إحصاء سنة 1914. وبنو ثور صفاعيون من قبيلة بني حسن. وفي مطلع القرن العشرين كانت بسلا أسرة تسمى بنخدّة، ولعلها من بقية عمال بني حسن.

ومن القواد الثوريين الصفاعيين ببني خدة : الطيب بن خدة. كان سنة 1323 / 1905 قائداً، وكان سنة 1330 / 1912 مايزال في منصبه حتى عزلته عنه سلطات الحماية أول أمرها.

ومحمد بن العربي بن خدّة الذي تولى على فرق من بني حسن سنة 273) / 1857.

ومحمد بن علي بن خدّة كان سنة 1311 / 1894 عاملاً، واستمر كذلك إلى وفاته سنة 1321 / 1904.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 178 ؛ م. بوشعراء، قبيلة بني حسن 1860 . 1912 ؛ مخطوط.

Villes et tribus du Maroc. Béni Ahsen, passim.

مصطفى بوشعراء

ابن خدّة، مالك أبو يشو الصبيحي من عرب صبيح ولي صالح شهير، عابد، عالم، فاضل، له مناقب مشهورة أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع. ولقي مشايخ الصوفية وأخذ عنهم. وأخذ عنه جماعة، ومن أعيان أصحابه الشيخ أبو النجا سالم الروداني.

توفي في العشرة الثالثة من القرن العاشر ودفن على ضفة وادي سبو على مرحلة من فاس وقبره مزارة هناك.

م. ابن عسكر، دوحة، ص. 73 . 74 ؛ م. القادري، *الطرفة*، مخطوط ؛ *الإكليل*، مرقون، ص. 383.

مارية دادي

خدوج السبتية، من شهيرات الشيخات المطربات الفاسيات اللوتي نبغن في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

تحدث عنها الرحالة الفرنسي أوبان في كتابه *مغرب اليوم* الذي نشره عام 1903 فذكر أنها كانت من بين الشيخات المجيدات نادرات الوجود في فاس وممن عرفن الاقبال الكبير على حفلاتهن الغنائية. وقد لقبت بالسبتية لأنها تنتمي لعائلة أصلها من سبتة.

وقد رحلت في بداية أمرها إلى الجزائر حيث تعلمت شيئاً من اللغة الفرنسية وحذقت بعض الأغاني الجزائرية ؛ ثم عادت إلى المغرب بعد سنوات قليلة فاستقرت بمدينة فاس حيث عملت على ترويج محفوظاتها في الحفلات والأعراس. وفي سنة 1902 اعتزلت الغناء بسبب زواجها تاركة المجال حرا لمطربة أخرى كانت تنافسها في مجال الغناء هي الشيخة ابريكة بنت بنعلال التي لمع نجمها بفاس منذ أن قدمت إليها من اشراكة مع والدها وشيخها في ميدان الطرب.

وقد عادت خدوج السبتية بعد فترة قصيرة لممارسة الغناء، واستعادت شهرتها ومكانتها بين الناس. وكان لها جوق خاص يرافقها في انشاد صنعات الموسيقى الأندلسية وقصائد طرب الملحون.

ع. شقرون، *مجلة الفنون*، س. 1 ع 1 غشت 1973، ص. 38، مط. وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الخديم (ولد سي -)، **إدريس** ولد سي لخديم بن عبد الكامل، ولد بدوار الطواهرة، فخذة الفوجان المنتمية إلى قبيلة النجدة إحدى قبائل زعير قسم المزارعة، حوالي سنة 1287 / 1870. تربّى كأقرانه في حضن الجماعة على حمل السلاح وركوب الخيل، إذ كانت عادة جماعات القبائل

أن تفرض على كل أسرة دفع واحد من أبنائها - على الأقل - للتدرب على الفروسية والرماية ؛ حفاظاً على رصيد الفرقة من الرجال واستعداداً لمواجهة الطوارئ.

اشتهر إدريس ولد سي لخديم بالاستقامة والجد والميل إلى أعمال البر والاستئناس بمعاشرة المساكين الذين كانوا يجدون في خيمته الترحاب والإكرام. كما اشتهر بالشجاعة والصدق والصرامة في معاملاته مع الناس ومع أهل بيته. وفي هذا الباب يحكى عنه أنه كان يَحْرِسُ جنّانه الذي غرسه بيديه. وكانت به أنواع مختلفة من أشجار التين وغيرها. وعندما تنضج الثمار يستدعي الطلبة الحافظين للقرآن وبعد إكرامهم يسرحهم للجنان، حتى إذا ما فرغوا منه، سمح بعد ذلك لأبنائه وللناس بغشيان الجنان والأكل منه، ولذلك كان الناس يسمون بعض أنواع التين "كرمة الطلبة".

شارك ولد سي لخديم، في الدفاع عن فرقته ضمن أبناء الجماعة، أيام "السيبة" التي سبقت الاحتلال الفرنسي. وكان له شرف المساهمة في جهاد الفرجان ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي زحفت من الشرق عبر المعازيز ومن الغرب عبر الرماني صيف 1329 - 1330 / 1911.

وقد جرت عدة معارك في منطقة گلتة الفيلا، وهو مكان تاريخي يقع على وادي گرو، كثيراً ما كان مشرعاً لمرور حركات السلاطين ومحلا لتخييم محلاتهم، في الطريق بين مكناس ومراكش.

فعندما زحفت الجيوش الفرنسية على قبيلة النجدة، واجهتها مقاومة عنيفة، في حوض لحناش، والقرادة، وگلتة الفيلا ومرزاگة وتيسيلي ..

ويحكي من عرف إدريس ولد سي الخديم، أن الرجل كان من بين الرجال الذين حملوا لواء الفرقة، ومعلوم أن حامل الراية (مول لعلام)، كان مفروضاً فيه الثبات والإقدام والصبر في أوقات الشدة.

هرب ولد سي الخديم مع فخذته الفرجان وأوغلوا حتى وصلوا إلى جبال زيان القريبة من ضريح الولي الشهير أبي يعزى. وهناك عقد الفرجان حلفاً مع سكان المنطقة، وكان الحلف من نوع الطاطا المشهورة في قبائل الأطلس، حيث تبادل الرجال السلاهم والأحذية (البلاغي) فمن خرج خذاؤه مع صاحبه أصبح كأخيه يربطهما رباط مقدس من الولاء المتبادل.

والجدير بالذكر أن الفرجان شاركوا زمّور وزيان المجاورين في قتال الفرنسيين قرب تيداس وولماس ومولاي بوعزة. ولما احتل الفرنسيون هذه المناطق رجعت القبيلة إلى موطنها. لتجد المعمرين قد استولوا على أجود الأراضي الجماعية. ثم عمل المحتلون على تثبيت الناس واستقرارهم بواسطة التمليك والتحفيظ العقاري للأرض ؛ وهي وسيلة كان الهدف منها - كذلك - تفويت الأراضي الجماعية للمعمرين عقاباً لمن شارك في الجهاد.

توفي إدريس ولد سي الخديم حوالي سنة 1950، ويحكي عنه من يعرفه أن يده اليمنى كانت لا تصل إلى فمه لا ختراق الرصاص لمرفقه. ولما شلت يسراه أصبح عاجزاً عن إيصال الطعام لفمه سوى بمساعدة زوجته الأخيرة. وقد ترك ستة أبناء منهم ثلاثة ذكور من زوجته الأولى العالية البركاوية، نسبة إلى أولاد بركة دوار من فخذة المراكشية المجاورين للفرجان.

تحريات ميدانية.

علال الخديمي

الخرائطيّة (بالمغرب)، حسب التعريف الذي تبنته اليونسكو، تشمل كافة الدراسات والإجراءات العلمية والفنية والتقنية التي تستند على نتائج الملاحظات المباشرة أو استغلال الوثائق، والتي تستهدف وضع الخرائط والتصاميم وأي نوع من وسائل التعبير، وكذا توطين تلك النتائج.

إن الأدوار والوظائف التي تقوم بها الخرائطية، والتي تتزايد يوماً عن يوم لا تحتاج الآن إلى برهان. فالخريطة هي قبل كل شيء أداة إخبارية ومعرفية تقوم على توطين وتمثيل الظواهر والمعالم السطحية، سواء كانت مرئية قارة أو مؤقتة، أم تجريدية أو متحولة أو افتراضية. وبذلك تكون مصدراً لعدد لامتناه من المعلومات وأرضية لا تعوّض لقياس المسافات والمساحات والأحجام والارتفاعات والأعماق. كما أنّها تعدّ وسيلة من الوسائل الأساسية للتوضيح البصري والترسيخ في الذاكرة وأيضاً وسيلة للاستدلال والتوجيه في الميدان.

فضلاً عن ذلك، فإن الخريطة تستعمل كتقنية منهجية ترتكز على مبادئ وقواعد متينة تساعد على البحث والتحرّي والتنقيب، وكذلك التحليل والمقارنة، وفي مرحلة نهائية التركيب والتأليف. من ثم فإن وظيفتها الإجرائية تتمثل اليوم بدون جدال في تحضير وتعزيز القرار، سواءً بالنسبة للإنجاز أو التخطيط والتوقعات، وسواء في علوم الأرض أو الطبيعة والاقتصاد والتهيئة والتجهيزات والسكان والنقل والملاحة والتدريس وميادين أخرى لا تحصى.

بناءً على مكانتها المكتسبة هذه وكلّ المهام التي أنيطت بها، فإن مستوى الخرائطية قديماً كان على قدر متطلبات العصر، وكان طبعاً قاصراً عن تلبية جزء كبير مما يحتاجه مستعمل الخرائطية في الفترات اللاحقة، من تنوّع في المعلومات ودقة في المواقع. وعليه، يمكن ويحق اعتبار الخرائطية الدقيقة بالمغرب نتاجاً للجغرافية الحديثة، واعتبار هذه الأخيرة وليدة للاستعمار، لما للتحكم في معرفة الوسط المستهدف من ارتباط عضوي بالسلطة والتغلغل والغزو. مع العلم أنه كان للمغاربة والعرب والمسلمين باع طويل في تطوير وإرساء قواعد هذا النوع من العلوم قبل العصر

الحديث. وخير دليل هو ذلك التألق الذي أنجزوه لمدّة طويلة. ولا سيما في ثلاث محطات تاريخية رئيسية :

ـ مرحلة الصورة المأمونية أو خريطة المامون، القرن الثالث (9 م) التي تجند لوضعها سبعون عالماً، كان ضمنهم الخوارزمي، والتي تعبّر عن توجه عام يؤلف بين إرث الفرس وتأثير اليونان في تحديد الأطوال والمناطق ووضع حدود العالم المسكون، مع أوجه عديدة من الإبداع والاجتهاد، في إطار القفزة الهائلة التي شهدتها الجغرافية الرياضية والفلكية أيام المامون، بجانب الجنس الوصفي، من نوع المسالك والممالك (الجغرافيا الإقليمية) الذي ظهر في نفس الفترة (ابن خردا ذبة ؛ ابن رسته، قدامة).

ـ مرحلة أطلس الإسلام، القرن الرابع (10 م) الذي يضمّ إحدى وعشرين خريطة للبلدان الإسلامية وضعت تحت إشراف أربعة جغرافيين خرائطيين (البلخي، الإصطخري، ابن حوقل، المقدسي)، وهي فترة أوج سادت فيها المدرسة التقليدية التي غلبت الجانب الخرائطي على الاعتبارات الرياضية والوصفية، كما عرفت ازدهار الجغرافية الإقليمية (اليعقوبي وأصحاب أطلس الإسلام) وكذا جغرافية الرحلات (ابن فضلان، المسعودي).

ـ مرحلة الإدريسي القرن السادس (12 م) الذي يعتبر مدرسة لوحده وأكبر خرائطي ليس فقط على المستوى المغربي الأندلسي أو العربي الإسلامي، بل على صعيد العالم الوسيط. لقد استطاع بروعة تجميع وتركيب كافة المعارف الخرائطية التي عرفتها البشرية إلى ذلك العهد، فحققها وأغناها، ثم أبدع ثلاث تحف ظلت مصدراً لا غنى



صورة الأرض لابن حوقل عام 370 هـ / 990م

عنه حتى القرن (16) على الأقل، وهي خريطة العالم المطبوعة بالألوان على الورق والمكونة من جمع 70 لوحة، والأطلس الذي سمي فيما بعد "الإدريسي الصغير"، والكرة الأرضية الفضية التي أهداها للملك الصقلي روجر.

عقب الثورة التي خلفتها أعمال الإدريسي، شهد العالم العربي الإسلامي تدهوراً جسيماً في ميدان الخرائطية، حيث قبع المشارقة في مجال الكونيات ومعاجم البلدان التي برزت ابتداءً من القرن (11). وفي أحسن الأحوال استمر المغاربة في تتبع نهج الإدريسي، وبالتالي في التميز عن المشارقة والتفوق عليهم نسبياً. وأهم أتباعه : ابن سعيد المغربي (النصف الثاني من القرن (12) وحاجي أحمد التونسي القرن (16) وعائلة الصفاقسي (بين القرنين، 16 و18). أما التنقلات الشهيرة لابن بطوطة القرن (14) وحسن الوزان القرن (16) فلم تتوّج بوضع خرائط ولا بأي تقدم في هذا الميدان.

اعتباراً لفترة الركود الطويلة في هذا الصدد، ونظراً لطبيعة الأوضاع الداخلية في المغرب من جهة وسيرورة العلاقات بينه وبين أوربا من جهة أخرى، فإن الخرائطية العصرية، التي تتسم قبل كل شيء بضبط القياسات ودقة تمثيل المظاهر المجالية، لم تدخل المغرب إلا بعد احتلال الجزائر (1830) ولم تتكثف وتتوسع إلا بعد تبلور ملامح الأطماع التوسعية الفرنسية، لما للخرائط من أهمية قصوى في توجيه الاستطلاعات وتهييء الهجمات العسكرية والاحتلال. وهكذا ينبغي التمييز بين مرحلة الخرائطية التمهيدية (1832 ـ 1883) وبين الفترة التأسيسية (1883 ـ 1905) التي كان فيها الإنتاج الخرائطي غزيراً وكان عزم فرنسا لا رجوع فيه.

لقد سعى جلّ الاستعلاميين إلى المسح الخرائطي أثناء رحلاتهم وتنقلاتهم عقب الاستيلاء على الجزائر. وحتى بعض من لم يسبق لهم زيارة المغرب قد وضعوا خرائط، مثل مولييراس الذي تم له ذلك عن طريق مخبره ابن الطيب. بل حتى الذين لم يضعوا خرائط، مثل دوتي الذي أعلن بوضوح أنه ليس جغرافياً، كانوا يدققون الوصف إلى درجة أن بعض بياناتهم جاءت عبارة عن "خرائط نصية"، إذ كان همهم الأول هو التحديد بمنتهى الإحكام لأهم المعالم المجالية والأحوال المجتمعية، من أسماء مواقع ومحاور دالة ونقط متميزة ومساحات مستعصية.

ظلّ المغرب مجهولاً نسبياً إلى ما بعد أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بسبب انغلاقه على نفسه. ذلك أن كتاب *المرآة الجغرافية والإحصائية للأمبراطورية المغربية* لصاحبه دو همسو (1832) شكّل المصدر الأساسي إلى بداية الثمانينيات من هذا القرن، كما أن *الوصف الجغرافي لأمبراطورية المغرب* لرينو (1846) ظل المرجع الثاني إلى حدود ذلك التاريخ.

في الوقت الذي ازدهرت فيه الرحلات الاستخبارية

الأوربية، على يد الانجليز والألمان بالأساس، ورغم استسلام الأمير عبد القادر (1897) وقبلها هزيمة إيسلي (1844) التي فتحت أمام فرنسا باب الفضول ودفعتها إلى الحث على التنقيب عن مكامن ضعف وتناقضات الأمبراطورية المغربية، فإن محتلة الجزائر استمرت في انكبابها على إخماد والانتفاضات الجزائرية إلى حدود الثمانينيات، وصدت وجهها عن المغرب، فاكتفت ببعض الأبحاث.

كان للمنافسة الأوروبية المتعددة الأوجه الدور الكبير في الدفع بالتسابق الاستراتيجي نحو معرفة المغرب لتعويض النظرة الغرائبية إليه. وخلال ربع قرن بعد معركة إيسلي، تعرض المغرب لعدوان متكرر من النواحي العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية قد استلزم ريادات ممهّدة وخلّف استعلامات لاحقة ومتزامنة. إلا أن القضاء على الرحالة "الاستكشافي" فلاترس وبعثته (1880) بمشاركة مغاربة التوات أثناء التجول بالصحراء الجزائرية كان بمثابة الذريعة الحاسمة لتقنين ومنهجة الاستخبارات انطلاقاً من الصحراء، وخصوصاً من الواجهة الجزائرية التي كانت تحتكرها فرنسا. كما أن إطلالة دوفوكو على المغرب أثناء معركة بالجنوب الوهراني هي التي أوحت له بما ينتظره من مسؤولية جسيمة في تدشين العهد الجديد للمغامرات "الاستكشافية" الفرنسية منذ 1883.

لم تتجسّد خلفيات المطامع المقنعة في شكل مطالب ترابية معلنة تجاه المغرب إلا بعد احتلال تونس (1881). ومع تحسن وسائل التأطير والمزيد من تراكم الأبحاث حول المغرب، طوّعت فرنسا علماءها رسمياً بهدف التوسع العلمي والإعلامي لإشراك الرأي العام الفرنسي والجزائري في مشروع الغزو، وكذا تبرير وتحضير التدخل العسكري والسياسي والتوغل الاقتصادي، وخصوصاً بعد احتداد المنافسة بينهما وبين بريطانيا وإسبانيا وألمانيا. فأصبح تكثيف البحوث حول المغرب ضرورة حتمية خلال العقدين الأخيرين من القرن (19).

بمجرد احتلال التوات (1899) صارت فرنسا سيدة الميدان في باب الإحاطة بشؤون المغرب، وأعطت قفزة نوعية وكمية لبعثاتها الرسمية، قبل أن يختتم الصحافي أوبان هذه المرحلة بتقاريره المستفيضة (1902 - 1903) التي جاءت كتركيب لكل الأعمال التمهيدية، مباشرة قبيل الأحداث الثلاثة التي وقعت كلها لسنة 1904، والتي تعتبر المحاولة الحقيقية الفاصلة لحماية المغرب سياسياً ولغزوه علمياً، وهي عقد الاتفاق الفرنسي - البريطاني، وتقديم مشروع الإصلاحات الفرنسية وإنشاء البعثة العلمية الفرنسية. أما بعد مؤتمر الجزيرات (1906) فقد انتقلت الأبحاث إلى مرحلتها النهائية التي أدت إلى بسط الهيمنة الاستعمارية على المغرب. [illegible]

وهكذا، كان ضباط الجيش بخاصة يشتكون قبل العقدين الأخيرين من قلة الخرائط وعدم دقتها. فكان يطلب من [illegible]

الرحالة الاستخباريين المزيد من الضبط الخرائطي. يقول كانال في هذا الصدد بأن اتفاقية للامغنية (1845) "كانت لصالح المغاربة بسبب دهائهم ومكرهم وبسبب تغفلنا وجهلنا لطبغرافية المنطقة". فتعالت أصوات رواد الاستعمار الفرنسي منادية بتكثيف الدراسات الهادفة والموثقة، لتجنب مشكل النقل المتواتر عن المصادر الأولى والتمكّن من التسلح بالمعرفة العميقة للإنسان والأرض والمجتمع، وحتى يتم المرور من الإرتسامات المؤقتة إلى المعلومات الدقيقة ومن الوصف إلى التحليل ومن وضع الخرائط الاستراتيجية إلى المسح المعمّق.

أول خريطة حديثة للمغرب وضعت وفق هذه التوجهات، يرجع تاريخها إلى سنة 1846، بمقياس المليونين، أنجزها رونو اعتماداً على كل المعلومات السابقة وضمّها لكتابه سابق الذكر. وضعت بعدها "خريطة امبراطورية المغرب" للقبطان بودوان، وقد كانت أهمّ خريطة مستعملة حتى فترة 1883 - 1905 التي ستعرف تتويجاً للتكاثف المسح الطبغرافي. وبعد رحلة دوفوكو (1883 - 1884) التي زُيّنت بالعديد من الخرائط ورسوم المسارات البالغة الأهمية، ظهرت مجموعة من الخرائط الشاملة والممتازة أحياناً، أهمها :

- خريطة الألماني هابنيخت (1885)،
- لوحة المغرب ضمن خريطة إفريقيا (بيسي، 1887)،
- خريطة الأنجليزي دالتن (1889)،
- خريطة الألماني شنبل (1892)،
- خريطة مؤقتة للمغرب في 13 لوحة نشرتها المصلحة الجغرافية الفرنسية للجيش (1894).
- خريطة دوفلوط (1897) التي تعتبر أكثر دقة وكان لها الوقع الكبير في الأوساط العلمية والسياسية والعسكرية.

تختلف خريطة دوفلوط عن سابقاتها باعتبار أنها وضعت بمقياس أكبر من الوثائق المتداولة عند الجمهور آنذاك، ولأنها استندت على كافة المراجع، فألفت بين كل وثائق الجمعية الجغرافية لباريس ومسودات ضباط البعثات العسكرية بالمغرب، وخصوصاً منهم لوفالوا، أحد رؤسائها السابقين، كما اعتمدت على المسارات الأولى للماركيز دوسيكونزاك ومسارات دوفوكو ومعلومات موليراس ومسارات فوكوس ودو فيريي. إلا أنه نظراً لبعض الأخطاء التي تضمنها في مواقع بعض العناصر والمراكز، لقلاحظ برنار في مقال له على تجاوز هذه الأخطاء بإتقان رصيد دوفلوط.

أما الدكتور فايسجيربر، الذي لا يحصى ضمن أهم الخرائطيين خارج منطقة الشاوية، فلما وصل لأول مرة إلى الدار البيضاء (1896) كانت لديه أحسن الخرائط الموجودة حول المغرب، وأساساً الطبعة الأولى من خريطة دوفلوط، لكنها لم تكن كافية، فأغناها وأضاف معطيات جديدة لها، مما جعله يتعاطى فيما بعد للمسح الميداني المكثف في الشمال الغربي وخصوصاً في الشاوية.
[illegible]

خلافاً لما تريد إخفاءه بعض الكتابات الاستعمارية تحت ستار حبّ الاستطلاع والمغامرة والمبادرة الشخصية والروح الوطنية، لم يقم أي واحد من هؤلاء العيون بمهامه بمعزل عن تشجيع وتأطير مختلف المؤسسات، سواءً كانت علمية وإعلامية (الجمعيات الجغرافية، لجنة المغرب، لجنة إفريقيا الفرنسية، ...) أو مصالح عسكرية (وزارة الدفاع، البعثة العسكرية، الجيش بالجزائر...) أو مدنية (وزارات التربية الوطنية والشؤون الخارجية والتجارية، ...) أو اقتصادية أو بعثات ومؤسسات دبلوماسية.

في هذا الإطار، ظلت تمثل الجمعية الجغرافية بباريس منذ نشأتها سنة 1821 المنبر الرسمي والسند الأساسي لكل "الاستكشافيين". جميع المتجولين في المغرب تقريباً، من أجل الدراسة والإخبار، قد أرسلوا في مهام تؤطرها الجمعية، أو كانوا في علاقة معها. وكلهم كتبوا أو كتب عنهم في منشوراتها، "حوليات الجغرافية" و"نشرة الجمعية الجغرافية" و"الجغرافية". وقد اشتهر دو فوكو بصلته الوثيقة بالجمعية الجغرافية، وهو الذي اتنق عام 1885 مع كاتبها العام مونوار لتشجيع دوڤيريي، الذي كان نائباً لرئيسها سنة 1884 وصاحب خبرة وتجربة في الميدان، حتى يستأنف رحلاته إلى المغرب بعد أن انقطعت منذ 1860. وهما اللذان عملا أيضاً على التخفيف من حبته بعد فشل رحلته إلى الريف (1886).

هذا دولس الذي كتب في بداية 1887 رسالة إلى الجمعية يخبرها بانطلاق جولته من جزر كناريا والصحراء، ثم بعث لها تقريراً كي تسانده في رحلته إلى سوس ومراكش، ونشر التقرير النهائي سنة 1888 في "نشرة الجمعية الجغرافية". وذاك سولر الذي زار المغرب سنة 1887 وكان على اتصال بالجمعية، والآخر دلبغل الذي أرسل بياناً في سفره الثاني (1899 - 1900). وحتى الطبيب نايسجيرير كان على علاقة مع الجمعية، ولم يتمكن من وضع شبكته الخرائطية بالشاوية والشمال الغربي إلا بتمويل جزئي منها ومن "لجنة المغرب".

تجدر الإشارة إلى أن الأعمال الخرائطية قبل الإعلان الرسمي عن الحماية، كما هو شأن الرحلات عموماً، كانت تتمّ مقابل تضحيات جسيمة تصل بعضها إلى السجن والقتل، وكانت تتطلب تهييئاً وثائقياً محكماً قد يدوم أعواماً عديدة، كما يشترط ربط اتصالات مع الأوساط الدبلوماسية والسلطات المخزنية بالمغرب إذا كانت رسمية أو علنية، لطلب الإذن بالتجول وتحضير الترتيبات المادية اللازمة.

بجانب التجار والصناع ومستخدمي الشرطة البحرية والجمركيين وآخرين، كان للسلك الدبلوماسي فعلاً النصيب الأوفر في تنظيم الرحلات الاستطلاعية وتقديم العون المادي والمعنوي. وحتى المخزن وموظفوه كانوا يسهلون عمليات البحث، سواءً بإرادة منهم في حالة السماح لهم بذلك أو بطريقة غير مباشرة عند استقبال الاستعلاميين البعثات القنصلية أو دعوتهم للمشاركة في الحركات، كما هو شأن سولر الذي اشتغل بكل حرية في "بلاد المخزن" بسوس. لكن التجسس الواضح أو الإفراط في الفضول كان يقابلان دائماً بالرفض. وهكذا سجن دلبغل أثناء تسربه في حركة تافيلالت (1893) لما كان الأوربي الوحيد الذي أذن له بالمشاركة هو الدكتور ليناريس. كما سجن دولس عندما اكتشف أنه قدم من الجنوب إلى مراكش متنكراً وباحثاً عن المزيد من الوثائق الاستخبارية (1887). وقنصل الصويرة الفرنسي لاكوست هو الذي ساعده على الفرار إلى آسفي ثم الجديدة ومرسا عبر الجزائر بحراً. كما قدم العون لدولا مارتينيار عندما أتى من سوس وجرح قرب الصويرة.

إن المنقبين داخل التراب الوطني كانوا يكشفون [illegible] هويتهم في المغرب الشرقي [illegible] لاستئناس المغاربة بالأوربيين [illegible] كانوا يلبسون الزي المغربي دون إخفاء [illegible] كمثل دولامارتينيار أودوسيگونزاك وبعض أعضاء البعثة العسكرية (إيركمان، دوبروي، ليناريس،...). لكن البعض الآخر كان يعمل في سرية (القبطان لاراس) أو متستراً تماماً في شخصيات مسلمة (كايي من قبل ودولس وغولفس ودلبغل،...)، ما عدا دو فوكو الذي تنكر في زي يهودي. لقد عمل جلّهم على التهييء العملي لدخول المغرب بتعلم الحضارة العربية الإسلامية واللغة العربية واللباس المغربي والشعائر الإسلامية، أو تدربوا على ذلك في الجزائر (دو فوكو، دوڤيريي، دوسيگونزاك، برنار، دوشاڤانياك، دوتي،...).

إضافة إلى تمكنهم من التجول دون إثارة شعور وأحاسيس الناس واستطاعتهم العمل بحرية بسبب التنكر، كان الاستعلاميون يتخذون مرشدين يهتدون بهم للوصول إلى أعماق ما يريدون، وأصدقاء من الأعيان والأشراف والشيوخ يحتمون بهم لتأمين حياتهم. رغم ذلك فإنهم كانوا دوماً معرضين للمخاطر ومهددين بالموت. ولو كانت بعض مهامهم مرخّصاً بها. ومن الأحداث البارزة في هذا الشأن نذكر قتل داڤدسن بالجنوب وتعرض غولفس لمحاولة القتل على يد مرشديه في تافيلالت، وقتل دولس على يد مرشديه الطوارق في الصحراء، وانتحار دوڤيريي (1892) بعد فشل مغامراته بصحراء الجزائر ورحلتيه إلى المغرب، والهجوم على دولامارتينيار غيرما مرة، وقتل فوري بالريف (1899) ومحاولات قتل دلبغل،...

إن التوقف ملياً عند الحقبتين الخرائطيتين، التمهيدية والتأسيسية، له كثير مما يبرّره، باعتبار أن التوغل العلمي يعدّ وسيلة استراتيجية حاسمة لإحكام الضغط الدبلوماسي والسيطرة الاقتصادية والإكراه العسكري. ورغم كل ما يعاب على ما توصل إليه الخرائطيون من نتائج إلى حدود القرن (20)، فإن فرنسا وجدت نفسها على أتم الاستعداد

في هذا الميدان، لما استقر الرأي الأوربي على الاحتلال.

اعتماداً على الذخيرة الموروثة التي عجلت فرنسا بإتمامها وإغنائها وتجديدها، شرعت في تدشين عهد فاصل تسود فيه خرائط القيادة العليا (الطبغرافية)، التي تعتبر قاعدة لسائر الخرائط الأخرى، والتي عرفت تحسناً سريعاً بفضل تطور الطيران وطرق التثليث والمسح والتصوير والطباعة. على أن الخرائطيين الطبغرافيين المغاربة يميزون اليوم بين ثلاث مراحل طبغرافية متدرجة، وهي الاستطلاعية (بين 1905 . 1920) والمنتظمة (من 1920 إلى الاستقلال أو حتى 1963) والحديثة (ابتداء من 1963).

إن التطور العاجل الذي حققته الخرائطية الطبغرافية يستمد جذوره من مختلف الأعمال الميدانية التي تراكمت في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 . 20 م). وكان الكثير من رواد الاستعمار، باختلاف تخصصاتهم ومهامهم، يتحينون الفرصة للقيام بالمسح الخرائطي والاستطلاع الميداني، لا سيما أثناء الرحلات والحركات والهجمات العسكرية. على سبيل المثال، بعد الهجوم على عين الشعير (1870) لتأديب قبيلة بني گيل، نتج عنه تحري حوالي 250 كلم غرب الحدود الجزائرية. كما أن دوكاستري وضع خريطة للمغرب (1887) بسبب النزاع حول الحدود، وكلف بتسليمها للحسن الأول، فانتهز فرصة سفره لمسح الطريق الرابطة بين الدار البيضاء ومراكش، وكان ذلك أساس زحف الجيش الفرنسي بالشاوية سنة 1908 وبعدها.

استمر لابجيرير في مجيئه الأول إلى المغرب (ابتداء من 1896)، في مسح المسارات على حصانه إلى أن بلغت في المجموع 3000 كلم، منها 2000 كلم بالشاوية وحدها، حتى إنه أخذ يتبجّح بما أسداه بخرائطه من خدمات لتسهيل مهام الغزاة، حيث استعان الجنرال داماد بخريطة الشاوية في أحداث 1907. كما أنه حين رجع إلى المغرب في 1907 كمراسل لنشرة "الزمن" وكمكلف بمهمة لدى وزارة الشؤون الخارجية صرّح أنه "واثق من أن الأحداث لن تلبث أن تحتم علينا احتلال فاس ومراكش، فشرعت فوراً في استطلاع المنطقتين بدقة، الأولى سنة 1909 . 1910 والثانية سنة 1911، فجمعت عنهما كل المعلومات المجدية". خريطة فاس استعملها الجنرال موانيي في مسيرته نحو فاس، قبل أن تطبع سنة 1912، وخريطة مراكش استعملتها مصالح ما نجان في هجومها على مراكش.

لكن غالبية الاستطلاعيين كانو ضباطاً عسكريين سبق لهم أن تلقوا تعليماً في المسح الخرائطي أو مارسوه في الميدان، أمثال الكومندار دوبروي (1886 . 1888) الذي كان رئيساً للبعثة العسكرية، والقبطان مانجان الطبغرافي الذي كان يعمل بالحدود ويتجول في المنطقة بين 1900 و1902 والقبطان طوماس (1891). غير أن في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19 . 20 م) كان القبطان لاراس يعدُّ أهم "استكشافي" في "بلاد المخزن"، وهو مهندس طبغرافي عسكري قام بتغطية ما يقرب من 8000 كلم من المسارات بين 1889 و1903. بالمقابل، كان الماركيز دوسيگونزاك يعتبر أهمّ شخص في "بلاد السيبة"، حيث قال عنه أحد أبرز أقطاب الاستعمار الجزائري (إتيان) إنه



مدينة بركـــان

"خَلَفَ دو فوكو بحق". أما المؤرخ الجغرافي برنارفــوك يكبر شأنه لاحقاً.

كانت الخرائط توضع أيضاً من طرف مختصين آخرين، سواء في علوم الأرض أو الطبيعة أو الآثار، أمثال جانتي الذي تجول ووضع عدة خرائط بين 1904 و1905 وريتث الذي زار المغرب بين 1901 و1907 ولوموان (1904) ودولامارتينيار الذي سافر كثيراً داخل المغرب. أما بعض واضعي الخرائط فقد تعلموا المسح بالممارسة الميدانية، مثل دوفيريي الذي قام برحلة فاشلة بالنسبة له ولكنها كانت ناجحة من الناحية العملية (1886)، حيث استطاع مسح مسار جديد بين مغنية ومليلية، طوله 118 كلم.

لقد كان المغرب مقسماً سنة 1905 إلى مجموعتين خرائطيتين متميزتين، وهما مجموعة المغرب الشرقي المعتمدة على تماروك المساحي الجزائري، والمجموعة الغربية، انطلاقاً من الدار البيضاء، المرتكزة من البداية على إحداثيات محلية.

فكان من اللازم ملء الفراغات جيوديزياً، وضم المجموعتين إلى بعضهما. ورغم أن ذلك قد تحقق بين 1905 و1913 على الخصوص بكثير من النقائص وعدم الضبط، فقد كان كافياً لوضع خرائط لا تحتاج آنذاك إلى الدقة الخالية من العيوب.

وقد تمّ وضع خرائط طبغرافية من مقياس 1/100 000 و1/200 000 إرتكازاً على شبهلبلج كلارك وعلى مسقط بون التكافئي. لكن المسح الميداني مباشرة بواسطة اللوحة التقليدية كان من شأنه تأخير تغطية المغرب بهذا النوع من الخرائط إلى حدود 1932.

إن فرنسا هي التي كانت تسهر على كل الأعمال الخرائطية عن طريق المصلحة الجغرافية للجيش أو المعهد الجغرافي الوطني، سواء بالنسبة لهذه الفترة أو بالنسبة للمرحلة اللاحقة والمتعلقة بالطبغرافية المنتظمة. وتتميز هذه الأخيرة عن سابقتها بمجموعة من الخصائص :

- استبدال مسقط بون بمسقط لامبير المخروطي المطابق، ورسم شبكة تثليث جديدة كانت تشمل سنة 1954 كل أقاليم المغرب خارج الأطلس الصغير والصحراء والريف (الذي تمت تغطيته بين 1958 و1963) ؛

- تحديد معالم السطح إما بواسطة المسح الميداني المباشر أو اعتماداً على التصوير المسامي الضوئي والتصوير المجسم والتثليث الجوي ؛

- اتخاذ مقياسين أساسيين يتم من خلالهما تقطيع المغرب إلى رباعي من حجم 23.5 كلم x 27.5 كلم في مقياس 1/50 000 و48 كلم x 55 كلم في مقياس 1 / 100 000 ؛

- اتخاذ فارق ارتفاع بين خطوط التسوية يتراوح بين 10م و20 م في 1/50 000 وبين 20 م و50 م في 1/100 000 ؛

- احترام القواعد المنمطة للهوامش والرموز الاصطلاحية واستعمال خمسة ألوان وتحسين تقنيات الرسم والطبع ابتداء من 1922.

بعد الاستقلال، وعلى الخصوص ابتداء من 1963، شهد المغرب تغيرات عديدة في معالمه المجالية وقطاعاته الاقتصادية، فكثر الطلب على الخرائط لاستعمالها في شتى ميادين البناء والإنجاز. وقد صادف ذلك تطوراً ملموساً وسريعاً لوسائل التصوير العمودي والتصوير المسامي الضوئي وتقنيات قياس المسافات وفنون الطباعة. فكان لزاماً أولاً (1963) تحويل صلاحيات وضع الخرائط المغربية من فرنسا (المعهد الجغرافي الوطني) إلى المغرب (مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية)، وبالتالي استرجاع تجميع الوثائق والأصول الخرائطية الوطنية : علماً بأن المغرب ظل متعاقداً مع المعهد الجغرافي الوطني إلى حدود 1978 لإنجاز 270 خريطة، قبل أن تتم مغربة هذا القطاع ابتداء من ذلك التاريخ.

كان ضرورياً كذلك أن تتجانس الشبكة الجيوديزية وأن تتكثف وتتوسع لتشمل مناطق جديدة (الأطلس الصغير بين 1964 و1967) وأن يراجع شمولياً قياس الارتفاعات (1955) وهكذا تم التعجيل بتمديد التغطية الطبغرافية الأساسية (1/50 000) وتعميم مقياس 1/100 000، علاوة على تغطية الأقاليم الصحراوية بالصور الجوية (1/60 000) وبخرائط من مقياس المليون، وإضافة العديد من تصاميم المدن والخرائط ذات مقياس 1/25000 بالنسبة لبعض المناطق كثيفة السكان والنشاط الصناعي والفلاحي.

يتبين من خلال الحصيلة، إلى حدود 1992، أن قطاع الخرائطية الطبغرافية قد أنجز 888 خريطة منذ البداية، منها 59 تصميماً حضرياً (بين 1/ 500 و2/20000) و46 خريطة عامة (16 من فئة 1/500 000 و7 من فئة المليون) و783 خريطة طبغرافية ذات المقياس الكبير أو المتوسط، تتوزع على مقياس 1/ 250 000 (50 خريطة) و1/ 200 000 (5 خريطة) و1/100 000 (23 خريطة) و1/50 000 (425 خريطة) و1/25 000 (80 خريطة). ومما يجدر ذكره على صعيد مجموع الخرائط المنجزة أن فترة 1963 - 1978 كانت أكثر إنتاجاً (43٪) من الحقبتين السابقة (25٪) واللاحقة (32٪). هذا إضافة إلى عدد قليل وحديث من الخرائط التقنية (ملاحة بحرية وجوية) وكذا الموضوعية (فلاحة، سكان...).

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن المعهد الجغرافي الفرنسي قام بوضع 56٪ من مجموع التراث الطبغرافي الوطني من البداية إلى سنة 1978. لذلك يتعين أكثر فأكثر على قسم الخرائطية أن يساير التحولات والمستجدات التي تطرأ على المجال الوطني، وذلك بالزيادة في وتيرة تغطية البلاد بمختلف أنواع الخرائط الأساسية والمشتقة لتعويض خصاص يتراوح بين 30٪ و50٪ حسب مختلف المقاييس، والسهر

كذلك على تدعيم وتحسين التكوين والتدبير، مع الإسراع في إيقاع مراجعة وتحيين الخرائط المتقادمة، باعتبار أن نسبة الخرائط التي نشرت قبل 20 سنة تبلغ حوالي السدس، وكذلك إدخال الوسائل الحديثة في وضع ومراجعة الخرائط من استشعار عن بعد وخرائطية رقمية.

التأكيد على سيرورة الخريطة الطبغرافية لا يتوقف هنا على ضخامة الاستثمارات المرصودة لصناعتها، من مهارات تقنية ومستلزمات مادية، وتعبئة إدارية وآجال للإنجاز، بقدرما يجد تعليلاً من جهة في الدور الجسيم الذي لعبته أثناء مصاحبتها لعمليات التغلغل، ومن جهة أخرى في قيمتها الذاتية الثابتة كمصدر للمعلومات وأداة للقياس والاستدلال. وهي خصائص تميزها إلى حد بعيد عن الخريطة الموضوعية التي تبدأ عادة حيث تنتهي الخريطة الطبغرافية.

ذلك أن واضع الخريطة الموضوعية يلجأ في أكثر الأحيان إلى تعميم الخريطة الطبغرافية، أو بالأحرى الخريطة العامة، وتصغيرها والاحتفاظ من بين معطياتها بما يفيد التوطين وتعيين الحدود. وبالتالي يكون مآلها في أقصى الأحوال هو الاختزال في شكل هيكل يحمَّل فيما بعد برموز إيحائية أو اصطلاحية أو تجريدية لا علاقة لها بالأصل. بل قد لا يتم الاحتياج إليها البتة إذا كان أساس الخريطة الموضوعية يقتصر على صورة جوية أو صورة قمر صناعي.

من زاوية أخرى، إذا كانت الخريطة الطبغرافية مقيدة بقواعد مقننة ومواضيع منمطة وتقنيات معيارية، فإن الخريطة الموضوعية هي مادة في غاية الانفتاح على المواضيع والأساليب اللامتناهية، ومن ثمة تشجع على الخيار والإبداع. لذلك، ومهما تعدّدت وتوسعت استعمالاتها، فإن الخرائطية الموضوعية ظلت تعتبر إلى اليوم ركناً لا محيد عنه من أركان الجغرافية التي تضطلع دوماً وبغيرة قصوى بمشروعية احتضان هذا الميدان والوصاية عليه، لأنه من صميمها ويندرج في صلب تفكيرها. كما تغذية بالأساس روافدها التي تهتمّ على السواء بتمثيل الأرض والإنسان والمجتمع والموارد والمنشآت والحركة والعلاقات.

لاغَرْوَ إذن أن نرى الساهرين على السياسة الاستعمارية يتعاملون مع الخرائطية والتقارير الميدانية التمهيدية تعاملاً نفعياً وإجرائياً فورياً. ورغم أن الخريطة الموضوعية أقدم بكثير من الخريطة الطبغرافية، فإن هذه الأخيرة هي التي حظيت بأولى الأولويات، لأنها كانت تستخدم حالاً في تنظيم المعارك، علاوة على استعمالها للتعرف على الأقاليم ركل المعالم السطحية المساعدة على الغزو والاجتياح. لذلك وضع ليوطي على رأس قائمة مبادئه الثلاثة، التي أعطت أكلها في مستعمرات أخرى "المسح الاستعلامي للمنطقة التي يراد اقتحامها، لإفراز تناقضاتها" (إ. أبو طالب). فتأسست الجمعية الجغرافية المغربية ومنبرها مجلة جغرافية المغرب سنة 1916 بإيحاء منه وبمساندته، كما شجع الجغرافيين والخرائطيين بعد أن فطن عقب الحرب العالمية بمناطق عديدة غير محتلة كانت مجهولة، وأخرى كانت تتطلب تعميق وتكثيف الاستعلامات والمسح الميداني، حتى أن العلاقة ظلت وثيقة بين الجغرافيين والعسكريين إلى أن رحل عن المغرب (1925)، ثم أخذ يتلاشى هذا التواطؤ في بداية الثلاثينيات بالنظر إلى توطيد الاحتلال واستنفاد منافع الجغرافية الوصفية والميدانية، وبعد قطع أشواط في تنظيم القطاع الطبغرافي الذي أوكل حصراً على الجيش.

هكذا أخذ الاتجاه الجغرافي والخرائطي الميداني للعمالة والتعاون يفقد حظوته لصالح العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى، خصوصاً بعد ذهاب هاردي إلى الجزائر، وهو أحد أبرز أعمدة الجغرافية الاستعمارية (مع سيليريي وبرنار). فتم إطلاق العنان للخرائطية الموضوعية بعد أن انزوت الجغرافية وانعكفت على التدريس، وسخرت أعمالها لأغراض "تنموية" و "تنويمية"، تحت شعار العلم للعلم وتجرّد المعرفة عن التطبيق، اللهم ما كان صالحاً "للخير" وترقية "المغرب الجديد" واحترام "الروح الأهلية". عندها تعمق التفكير في المجال وفي سبل تنظيمه، وتمّ تنبيه السلطات بطريقة "بناءة" إلى تناقضاتها ونقط ضعفها.

لم يكن من بين الجغرافيين من يهتم نسبياً بهذه الادعاءات التشويهية والتمويهية سوى دريش الذي كان يفضل رمزياً في البداية تسليم خرائطه إلى النشرة الاقتصادية والاجتماعية على أن يسلمها لمجلة جغرافية المغرب، وكان يناهض الحماية مناهضة علمية وسياسية صريحة ومستمرة. لكنه لم يتمكن من إحاطة نفسه بأتباع وزملاء لهم نفس القناعات والاختيارات. كان سنده الوحيد هو فوج انتقالي نقدي من الجغرافيين الجدد الذين تفرّغوا للمشاغل العلمية الصرفة بعد الحرب العالمية الثانية (رينال، جولي، عياش، موربر، لوكوز). وظلّ هذا النهج سائداً حتى بعد الاستقلال. وهو المنحى الذي أدى إلى ازدهار الخرائطية الموضوعية.

ع. حميدة، *أعلام الجغرافيين العرب*، دار الفكر، دمشق، 1980 ؛ أ. الغرباوي، *البحث الجغرافي والالتزام السياسي في المغرب*، *البديل*، الرباط، 1983، عدد 4 ـ 5، ص. 54 ـ 65 ؛ إ. أبو طالب، *التاريخ المعاصر. البحث الغربي حول المجتمع المغاربي في الفترة الاستعمارية* (حصيلة وتقويم)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986 ؛ م. عباد، *الأهداف الاستعمارية للاستعمالات الجغرافية* (1880 ـ 1904)، *الجامعة الصيفية*، وزارة التربية الوطنية، المحمدية، يوليوز 1987.

J. Canal, *Les troubles de la frontière marocaine*, *Bull. de la Soc. de Géo. et d'Archéo.*, tome VI, Fasc. XXIX et XXX, Oran, Mars - avril, 1886, p. 112 - 121 ; A. Bernard, *Une nouvelle carte du Maroc*, *Bull. de Géo. et d'Archéo.*, t. XVII, Fasc. LXXII, Oran, 1987, p. 53 - 66; F. Weisgerber, *Contribution à l'histoire de la cartographie marocaine*, *R.G.M.*, t. VII, Fasc. 7, Rabat, 1928, p. 5 - 6 ; F. Gendre, *Voyageurs et géographes pionniers oubliés ou méconnus de la France*, *R.G.M.*, N° 1 à 4, Rabat, 1946 ; A. Hakam, *La cartographie au Maroc*, *le topographe*, Rabat, mars 1984, N° 4, p. 15 - 24; M. Naciri, *Déterminants et contextes de la production du*

savoir géographique au Maroc de la fin du XIXè au milieu du XXè siècle, la recherche géographique sur le Maroc, Rabat, 1989, p. 11 - 30 ; M. Hmam, *La cartographie au Maroc - situation et perspectives, topographe et foncier*, Rabat, juill. 1992, N° 2, p. 11 - 16 ; A. El Gharbaoui, *Cartographes et géographes arabo-musulmans aux temps de leurs splendeurs*, *Pub. Rev. Esp. Géo. et Soc. Ma.*, Casablanca, 1999

مصطفى عباد

الخراشف، أسرة تطوانية أصلها من قرية الخراشفة من فرقة الريسانة بقبيلة الخلط ؛ وقد انقرضت بتطوان. كان منهم بها :

الخراشف، عبد السلام بن أحمد فقيه زاول نفس خطة من سنة 1214 / 1799 إلى سنة 1291 / 1804.

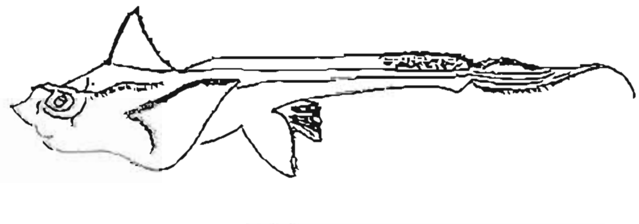
الخراشف، محمد بن أحمد فقيه زوال خطة العدالة بتطاون سنة 1192 / 1778.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 608.

محمد ابن عزوز حكيم

الخرافة أو السمكة المخيفة كما هو في المعاجم، نوع من الأسماك البحرية الغريبة المنظر. تنتمي إلى طائفة الأسماك الغضروفية ورتبة مكتملات الرؤوس Holocéphales بفصيلة الخرافيات Chimaeridae. تسمى علميا Chimaera monstrosa وبالفرنسية Chimère commune وبالانجليزية Rabbit fish وبالاسبانية Quimera.

الإناث أكبر حجما من الذكور ولا يتعدى طولها متراً واحداً. غليظة الصدر والرأس، مستدقة الذنب السوطي الطرف. الجسم مضغوط جانبيا. العينان كبيرتان وبارزتان. الفم باطني الوضع يحمل أسنانا ملتحمة مع بعضها



خرافة

ومتواصلة النمو. توجد على كل جانب أربع فتحات خيشومية مغطاة بغشاء جلدي. يحمل وراء رأسه شوكة قوية يصل طولها أحيانا 10 سم لها صلة بالغدة السامة. على ظهرها زعنفتان غشائيتان، الأولى منتصبة وراء الشوكة مثلثة الشكل، والثانية ممتدة على طول الظهر ولا يتعدى علوها 3 سنتمترات. الزعنفة الشرجية صغيرة جداً. الزعنفة الصدرية كبيرة ومستدقة الرأس. الزعنفة الحوضية مثلثة الشكل عند الإناث وتتحول إلى أعضاء تناسلية عند الذكور. الجسم خال من الحراشيف، فضي رمادي مخضر اللمعان على الظهر والجانبين ومصفر على البطن.

يشمل توزيعها الجغرافي السواحل الغربية للبحر المتوسط والسواحل الأطلسية الشرقية الممتدة من رأس الشمال إلى المغرب. تعيش في أعماق البحار المتراوحة ما بين 300 وألف متر وتتغذى على القشريات وصغار الأسماك والرخويات. تتوالد في الربيع والصيف وتضع الإناث البيض بداخل غشاء يلتصق بالصخور.

تُصاد بواسطة الجيَّاب Chalutier والصنانير التي ترمى في الأعماق. إنه سمك نادر في الأسواق نظراً لقلة الإقبال عليه ويحتوي كبده على زيوت تشحيمية تستعمل لتسهيل حركات آلات الصناعة الميكانيكية. يعتبر الإسبان من أكبر صيادي هذا النوع في البحار المحيطة بالمغرب.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*. مكتبة لبنان، بيروت، 1988.

W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bauchot, *Fiches, FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Méditerranée et Mer Noire*, Volume II, vertébrés, 1987, p. 889 - 890.

محمد رمضاني

الخرباش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا : Girbes - Carbas. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

وهناك الخرْباش، عائلة جبلية تطوانية مازالت موجودة. وقف الفقيه الرهوني على رسم مؤرخ بـ 19 ربيع الأول عام 1214 مضمنه أن أولاد الخرباش شرفاء ميمونيون وذكر عمود نسبهم الذي ينتهي إلى أحمد بن إدريس ابن إدريس، وهم غير الميمونيين المتجبرين بقبيلة بني بوزُرة وغيرها المنتسبين لميمون والد الفقيه الصوفي الشهير علي بن ميمون الغماري البوزراتي، بل نسبة هؤلاء إلى ميمون بن محمد بن رزق.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*. 4 : 130، مخطوط خاص، م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 608.

محمد ابن عزوز حكيم و محمد بوخبزة

ابن خرباش، السعود الحشمي نسبة إلى جماعة الحشم أحلاف بني مرين وصنائعهم. وكان السعود هذا وزيراً للأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ونائباً له على مدينة فاس بعد أن استولى عليها في شهر ربيع الأول من سنة 647 / 1249. وفي شهر شوال من نفس السنة. وأثناء غياب الأمير أبي بكر في إحدى فتوحاته ببلاد فازاز اجتمع أشياخ فاس بزعامة الشيخ المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبي طاطو وولده والقاضي أبي عبد الرحمان المغيلي وتآمروا على خلع الأمير وأغروا قائد الروم شديداً بقتل السعود فقتله واحتزت العامة رأسه ورفعوه على عصى وطافوا به في أسواق المدينة ثم انتهبوا داره واستباحوا حرمه.

وبعدوة الأندلس من فاس درب يعرف بدرب السعود حيث يعتقد البعض أنه ينسب إلى الوزير السعود بن خرباش المذكور.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، ص 396 . 397 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية* ... دالرباط، ص. 74 ، 76، 1972 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص 294 . 295، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون. *العبر*. بيروت. ج 7، 358 . 360، 1978 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا. الجزائر. 1981، ص. 113 1981 ؛ ابن الأحمر. *بيوتات فاس الكبرى*، ص. 57، الرباط. 1972 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 174، الرباط. 1974 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3 ، 15، الدار البيضاء، 1954.

A. Khaneboubi, *Les premiers sultans merinides (1269 - 1331)*, Paris, 1987, p. 104.

ابن خرباش، عمر بن السعود الحشمي أبو علي استوزر للسلطان يعقوب بن عبد الحق المريني ولخليفته يوسف. وفي عهد هذا الأخير قاد ابن خرباش عدة حملات عسكرية كان أشهرها منازلته لحصن تازوطة بالريف سنة 691 / 1292 بعد أن استبد به بعض المخالفين للسلطان كعمر ابن يحيى بن الوزير الوطاسي وأخيه عامر. وفي سنة 693 / 1294 حاصر ابن خرباش مدينة طريف مدة فامتنعت وأفرج عنها.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 381، 384، 409، الرباط، 1972؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، ج 7 449، 450 452، 1978 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، ص. 21، الرباط. 1962 ؛ *النفحة النسرينية واللمحة المرينية*، تح. عدنان محمد آل طعمة، ص. 37 . 39، دمشق، 1992 ؛ بيوتات فاس الكبرى، ص. 438، الرباط، 1974 : أ. ابن القاضي. جذوة، الرباط، 1974، ص 438 : أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3، 73 . 75، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

الخَرّباشي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مكث بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللتينية : Girbes - Carbas ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*. تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 610.

محمد ابن عزوز حكيم

الخرباشيون، أو إخرباشن، إحدى التجمعات السكانية المستقرة بخُمس بني بويفرور من قبيلة قلعية. أصلهم من السجع الهلاليين، حلفاء بني مرين منذ دخولهم إلى إقليم كرط. استقروا بجانب واد خميس جزولة خلال الزحف المريني إلى الشمال الشرقي المغربي حوالي سنة 609 / 1212.

مجهول، نسب قبيلة قلعية، مخطوط. خ. ع. الرباط ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون. العبر ؛ ح. الفكيكي، *المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية*، 1497 . 1859، البيضاء، 1997، تازوطا، *معلمة المغرب*.

حسن الفكيكي

خَرْبان، حْميدُو، هو الاسم الذي اشتهر به البطل الشريف أحمد بن الحسن الدقاش العمراني الذي كان آخر مجاهد استسلم بشمال المغرب يوم 9 يوليوز 1927 حيث اعلنت القيادة العسكرية الإسبانية عن انتهاء المقاومة المسلحة بشمال المملكة.

وُلد المترجم له بمدشر ادقاشين ببني عمران من فرقة بني علي بقبيلة بني حسان في حدود سنة 1900 ؛ وفي سنة 1920 التحق بصفوف المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني.

يقول عنه الكولونيل كباص في مذكرته بعنوان : *Cabecillas rebel des Gomora* (الزعماء الثوار بغمارة) التي أعدها لنيابة الأمور الوطنية ما يلي :

"احميدو خربان من سلالة الشرفاء العمرانيين الذين يتمتعون بنفوذ كبير في قبيلة بني حسان، وقد التحق بالمقاومة في سن مبكر وكان دائماً بجانب الزعيم احميدو السكان خليفة الريسوني الذي استشهد في المعركة الأولى بضواحي تازروت سنة 1922، وكان خربان آخر من استسلم أمام الجنرال سانخورخو بباب تازة يوم 9 يوليوز 1927".

ويقول عنه أحمد البوعياشي في كتابه *حرب الريف التحريرية* (2 ، 241) ما يلي :

"المجاهد أحمد بن الحسن العمراني المعروف باحميدو خربان الذي كان له القدح المعلى في الجهاد عند الغزو الإسباني والذي كان آخر من اعتصم في جبال العلم مع ثلة

من المجاهدين، فلم ينزل إلا عندما استحال الدفاع فألقى عليه الإسبان القبض وعذبوه وسجنوه وعمر طويلاً إلى أن توفي رحمه الله سنة 1970".

ونفس هذه الشهادة نجدها عند العياشي المريني في كتابه "النضال الجبلي" الجزء الثاني، ص 6.

وأما قصة استسلامه فنجدها في تقرير أعده الكولونيل لاسكيطي بتاريخ 9 سبتمبر 1927 حيث قال :

"في أوائل شهر يوليوز 1927 كان جميع الزعماء المحليين الذين ظلوا يقاومون عملية التهدئة قد سلموا أنفسهم إلى قواتنا في جميع أنحاء المنطقة باستثناء الثائر المسمى احميدو خربان المعروف بعداوته لنا والذي ظل معتصما بجبل بوهاشم إلى آخر لحظة.

"وعندما اشتد عليه الحصار من كل جانب ونفذ ما كان لديه من زاد وبارود أرسل الثائر المذكور أحد أصدقائه يطلب الأمان من الجنرال سانخورخو بباب تازة يوم 8 يوليوز وأعطاه الجنرال الأمان بواسطة قائد المحلة القائد محمد الحرميطي الذي توجه إلى المكان الذي كان يوجد به الثائر وأخبره بذلك، وعندئذ خرج خربان من نوالته وتوجه صحبة الحرميطي إلى باب تازة صبيحة يوم 9 يوليوز".

إلا أن التقرير الإسباني لم يشر إلى ما تعرض له البطل خربان الذي ألقي عليه القبض بمجرد وصوله إلى باب تازة. وظل بالسجن لمدة طويلة، حيث كان من بين الأبطال المجاهدين الذين طالب الأستاذ الطريس بإطلاق سراحهم في مذكرة رفعها إلى المقيم العام الإسباني يوم فاتح غشت 1934.

أطلق سراح البطل خربان يوم 4 فبراير 1935 ولكنه فرضت عليه الإقامة الإجبارية بداره، وعلى إثر الحوادث التي جرت بسوق أربعاء بني حسان يوم 28 دجنبر 1935 اتهم خربان بأنه كان له يد فيها فتم اعتقاله من جديد وظل معتقلاً إلى غاية يوم فاتح أبريل 1936.

وفي يوم 22 يوليوز 1936 ألقي عليه القبض مرة أخرى بأمر من قيادة الجيش الإسباني الذي أطاح بالنظام الجمهوري بإسبانيا، ولم يطلق سراحه إلا يوم 8 يناير 1937 وذلك بفضل تدخل الأستاذ الطريس في شأنه.

ومنذ ذلك اليوم أصبح يعمل في صفوف حزب الإصلاح الوطني، ولم تكن المخابرات الإسبانية بغافلة عن تحركاته وسكناته.

وافته المنية بتطوان سنة 1970.

Capaz Fernando, *Caberillas Nebeldy de Gomara*, 1949 : Las quetti, *Corouel. Episodios de la campaña del Lucus*. Tetuan, 1929.

محمد ابن عزوز حكيم

الخَرْبَة، لغةً من الخراب والتخريب، وهي في هذا السياق منطقة بمدخل مدشر أسرير الذي يبعد بحوالي عشرة كيلو مترات عن مدينة كلميم، حيث تجثم أهم البقايا للمدينة الشهيرة نول لمطة عاصمة وادي نون في العصر الوسيط، تتناثر آثار المدينة المندرسة على مساحة واسعة. وإذا كان البحث في تاريخ هاته الأخيرة يتوسع نسبيا، فإن الباحث فوق ذلك يطرح جملة من الأسئلة لاستنطاق هاته المخلفات واستغلال آفاق البحث الاركيولوجي لتغذية هذا الخصاص المعلوماتي حول نول لمطة. هذا إذا استحضرنا أن الأدب الجغرافي يزيد من غموض النصوص الواردة حول تاريخ المنطقة إن لم يكن في غالبه مجرد إعادة إنتاج يشكك في حقيقة اطلاع رواده على الأوضاع الاقتصادية والعمرانية لهاته الحاضرة.

تأتي "الخربة" في أسفل إحدى الهضاب حيث الموقع الشهير بأكويدير الذي يحتفظ بآثار أسوار متفرقة تنم عن تحصين قديم يجرنا السمك القياسي لأسواره وضخامتها إلى اعتبارها مؤشرات لدور عسكري (ناعمي، *الصحراء*، 43) يكرس ترجيحه الموقع الاستراتيجي المتمنع الذي يسمح بمراقبة كل المناطق المحيطة بالمدينة بجانب الخنادق المنجزة أسفل الأسوار، وهو ما يعطي أيضاً للباحث مشروعية التفكير في مدى ومبررات صمود نول أمام الحملات الموحدية المكثفة.

هذه المخلفات المتباينة تدل فعلاً على التوسع الكبير للمدينة التي ربما تكون فعلاً قد شملت في امتدادها التخوم الجنوبية لمدشر تغمرت بينما تبقى المواقع والأسماء الجغرافية بالغة الأهمية في ترجمة هذا الامتداد على الأراضي البورية المحيطة الآن بالمداشر حتى مشارف واعرون (اگاوس) ويفسر أيضاً هذا العمران الذي بلغ أوجه في القرن العاشر الميلادي كثافة التجمع السكاني الذي كانت تحويه المدينة والذي سبق أن عبر عنه الإدريسي حيث قال : "ومدينة نول مدينة كبيرة وعامرة" (Meunié, 246) ومع أننا واعون بالاحتياط المنهجي لاستحالة تطبيق وإسقاط المفاهيم الجغرافية المعاصرة، غير أن العلاقات البيجالية والموقع الاستراتيجي للمدينة كمحطة تجارية ومركز للعبور والتنقل السريع وفرت لها إمكانية جذب واستقطاب أعداد كبيرة من السكان مع اكتظاظها وامتدادها (ناعمي، *الصحراء*، 43).

ومن حيث إن المساءلة هنا تظل واردة ووحيدة في غياب معطيات قارة ومحددة تنقص من حدة الطابع الاستفهامي، فإن لنا أن نقارن بين حجم المقبرة التي خلفتها المدينة والتي تتجاوز قرية أسرير متركزة بشكل أضخم في منطقة "الخربة"، وبين معطى الساكنة الكبيرة (جوماني، 34) والمهم في هذا الصدد هو الحيِّز الكبير الذي تحتله الخربة في الذاكرة الجماعية بوادي نون وفي الرواية الشفوية المتعلقة بنول لمطة (مدينة لمطة) في صيغة تجعل من الإحالة عليها ممراً ضرورياً تتناقله الأجيال وتعبده محافظة على مجمل مكوناته، كاشفة عن مضمرات غيبية لفكرة الخراب وعن

تعدد الحمولات الرمزية التي تخلط فيها الرواية بين الرموز الدينية ومشاغل الاهتمام التاريخي بالحقائق. فإتساع المدينة المعروف لا يلبث أن ينقلب إلى رغبة في تأويل وتفسير هذا الخراب الضخم والمحير. فنلتفت هنا بقوة إلى أهمية عنصر الطوفان (الغرقة أو بومغروق بالتعبير المحلي) الذي تدور حوله الرواية الوحيدة. ولا تنفي هنا سيطرة المرجعية الدينية إذا نحن تذكرنا بأن العناصر الحكائية المكونة للرواية تستلهم بشكل مورفولوجي قصة سيدنا نوح مع ساكنة ناطقة بالعربية، هكذا يدفعنا هذا التنظيم الشكلي إلى التأكيد على المفاهيم الرمزية للطوفان والانتباه إلى مستويات تعريب "الذاكرة المحلية" وهي مواضيع يجب أن يطرقها ميدان الأدب الشفوي. بين الحقيقة التاريخية والرغبة في التفسير يقع عنصر "الخربة" كمهماز للمخزون الثقافي. فالطوفان يصبح مدمراً لأن درجة الايمان باتت ناقصة لكنه في نفس الوقت يكون متبوعاً بتجديد الساكنة، لأنه في الحقيقة ينتج عن أخطاء سابقة ويظل الماء في هذا الوضع دلالة على اغتسال جماعي من الذنب وعلى مستوى لاحق مطلباً لطهارة هذا الجيل اللاحق (*Dictionnaire*, 182) زيادة على كونه شهادة للاعتبار من "الخربة"، دون أن نغفل طبعا عنصر الماء، وحضوره في فترة يُؤرخ لها القرنان الثالث عشر والرابع عشر للميلاد المطبوعان تدريجيا بندرة خطيرة وجفاف مميز حتى إن من بين احتمالات انقراض نول لمطة قلة الماء، وقرب تاگاوست من المحور الساحلي (Naïmi, *Le pays Tekna*, 127).

إننا نؤكد هنا على نجاعة البحث والتفكير في محاور الطوبونيميا والميكروطوبونيميا كعوامل مساعدة لتخطي الفقر المعرفي الخاص بوادي نون أولاً ولدورها في توجيه مساعي التنقيب الاركيولوجي في المنطقة من جهة ثانية.

أ. جماني. *المدينة المغربية في العصر الوسيط. نول لمطة نموذجا*، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ. جامعة ابن زهر، كلية الآداب ـ أگادير، 1993 ـ 1994 ; م. ناعمي. *الصحراء من خلال بلاد تكنة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، عكاظ، 1988.

J. Meunié. *Le Maroc saharien des origines à 1670*, vol. I, Paris, 1982 ; J. Chevalier et A. Gheerbrant, *Dictionnaire des symboles*, vol. I, Paris, 1974 ; M. Naïmi, *Le pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

أحمد حوماني

الخَرْبُوش، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سهانة : وقد انقدضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، تطاون 1999. والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 1608.

محمد ابن عزوز حكيم

خربوشة، عيطة تُغنَّى منذ القديم وتدخل ضمن عيوط الحصبة حسب الرواية الشفوية، نسبة إلى الشاعرة الشعبية حويدة التي تدعى أيضاً خربوشة (انظر حويدة). نظمت هذه المرأة قصيدة خربوشة التي كان مطلعها :

زيدو أولاد زيـــــــد راه الحال مازال بعيـــــــد

وطبعا كانت هذه المرأة تستنهض الهمم وتوقظ الحماس للدفاع، وبعد انهزام القبيلة فرت حْويدةْ أوحادّة وهو اسمها الحقيقي إلى منطقة ورديغة محتمية بقائد المنطقة، لكنه سلمها إلى القائد عيسى بن عمر الذي أمر بدوره بإعدامها وقبل ذلك طلب منها أن تغني له تلك الأغنية.

شرع أبناء قبيلتها الذين أصبحوا مشردين ومنفيين في رثاء شاعرتهم الفحلة وبذلك وضعوا لهذه العيطة هذا المطلع.

الحمرا، خربوشة، زروالة، لكريدة
باربعة محسوبات ما يدم حدْ

الحمراء لكون لونها يميل إلى السمرة، وسميت خربوشة لاصابتها بالجدري، وزروالة نظراً لأن لون عينيها ما بين الأزرق والأخضر، ولكريدة نظراً لأن شعرها كان من النوع الخشن.

وعيطة خربوشة من أقدم العيوط وأحسنها دلالة، وهي تعتبر انعكاسا للتغيير الحاصل في البنية الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة عبدة من جهة والتنافر الذي حصل بين السلطة المخزنية والرعية من جهة أخرى. وتتكون هذه العيطة من خمسة فصول وقفل وثلاث حطات، والحطة هو البيت الذي بواسطته تنتقل من فصل إلى آخر. وعندما جاء بوشعيب البيضاوي حاول نسج عيطة أخرى على منوال عيطة خربوشة في "الحصبة" وذلك بأخذ فصلين فقط من العيطة الأصلية وإضافة عدد من الأبيات التي لها اتصال بمنطقة الشاوية والدار البيضاء، وهكذا أخرج عيطة "خربوشة منانة المرسارية" أو "البيضاوية" والتي تتكون من فصلين فقط وحطة واحدة.

فهذه العيطة الجديدة هي وليدة الخمسينات وقد تناقلها الشيوخ والأجواق نظراً لسهولتها وعذوبتها. وفي بداية السبعينات أخرجتها الحاجة الحمداوية في قالب آخر جديد تحت عنوان : "أمنين أنا أو منين أنت". وقد تجاوزت في تقديمها من إطار الجوق التقليدي الضيق إلى أوركسترا عصرية تعطيها روحا جديدة.

أما من حيث البنية اللحنية لقالبها الموسيقي. فهي وإن احتوت مجموعة كبرى من الألحان فإن جل هذه الألحان لا يكاد يخرج عن مقامين اثنين يتومان على نغمة "ضو" أو نغمة "ري" اللامقامية.

وعن طريق مقابلة للنصوص الثلاثة لهذه العيطة بمختلف تناولاتها يظهر لنا التغييرات التي لا مست جسد العيطة الأصلية :

مقطع

الحمراء، خربوشة، زروالة، لكريدة
فصل 1 الكافرة واغدرتي، أسيدي ما يدوم حد
الزمان إلرحْ القدرة تلاقي
حطة عادا الخيل اجيبو الزين

خربوشة المرساوية أو خربوشة منانة لبوشعيب البيضاوي

خربوشة منانة الحمرة لگليلة بربعة محسوبين
أنا ركوب الخيل آمَيمتي الهوى صعيب على ربي
آه ياوين، آه بارين، الليلة نباتو زاهين
اسيدي الهوى صعيب على ربي
يا للم يا لله انتفكرُو الحباب، الهوى يا سيدي
شدوك علي، آه يا وهيا

إ. الادريسي، *كشف الغطا، عن سر الموسيقى ونتائج الغناء*، الرباط 1935 ؛ ع. ركوگ. *العيطة المرسارية بين الأصل والتطورات الحالية*. ندوة الثقافة الشعبية كلية الآداب ـ عين الشق. 17 / 2 / 94 : *التأثر بين الحصبة والمرسى أثر الجوار الجغرافي*، الإتحاد الاشتراكي، 95 : *الرواية الشفوية : معاينات ميدانية* ؛ كناش مكاتب الطابع الشريف، خ. ع. رقم 39 / 79 . 43 / 79 . 10 / 79 . 19 / 79 . 30 / 79 ـ 66 / 79

علال وكَوكَ

خَرخُور، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار خرخور بقبيلة بني حزمر.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 611.

محمد ابن عزوز حكيم

الخراز، أسرة فاسية على فرقتين، فرقة كان لها ذكر بفاس في القرن العاشر، من بني أمية، سكنوا أولا مدينة شريس بالأندلس ثم انتقلوا إلى فاس واستوطنوها ويوجد بأجنة المرج جنان ابن الخراز الكبير، وجنان الصغير ومنهم الشيخ إمم القراء (ت. 918) دفين باب الحمراء داخل باب فتوح له تآليف في القراءات.

والثانية شرفاء من جبل لعلم كان لهم ذكر بفاس رأيت في رسم مؤخر في عام 1111 ذكر بعضهم وحلاه الموثق : الخراز الشريف. انقرضوا، وبقي منهم جماعة في بني حزمر وبني عمران وغيرهم.

ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 178.

ابن الخراز، عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عباس الجذامي من أهل سبتة عرف بابن الخراز قرأ بسبتة وبالأندلس على جلة من العلماء منهم القاضي عياض السبتي. أصبح أحد أئمة القراءات، وأقرأ بسبتة نحواً من ستين سنة وكان من تلاميذه المحدث الإمام أبو العباس العزفي. كان حيّاً سنة 579، وذكر ابن الزبير وجود ترجمته عند ابن عبد الملك في *الذيل* غير أن اسمه قد يقع في السفر السابع الذي لا يزال مفقوداً.

ابن الزبير، *صلة الصلة*، 3 : 218، 219.

أحمد عزاوي

الخراز، محمد بن محمد الشريشي شيخ القراءات في الغرب الإسلامي. قرأ على كبار شيوخ علم القراءات والضبط فمهر فيه. ومن المعلوم أن دراسة علوم القرآن تقدمت تقدماً كبيراً في العصر المريني، باعتبار القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي، كما تقدمت أيضاً العلوم المتصلة بالقرآن كعلم القراءات فكان محمد الخراز من مشاهير شيوخ هذا العلم والمبرزين فيه. وله فيه تآليف عديدة منها :

رجز بعنوان مورد *الظمآن في رسم أحرف القرآن*. أصبح هذا الرجز معتمداً لدى طلبة علم القراءات في المغرب زمناً طويلاً، أورده أبو سالم العياشي في اقتفاء الأثر كسند من أسانيده.

- نظم آخر في رسم القرآن سماه : عمدة *البيان*.
- تأليف ثالث في رسم القرآن مثل مورد الظمآن، لكنه منثور.

توفي الخراز عام 718 / 1318 ودفن بفاس.

خ. الزركلي، *الأعلام*، ج 7، ص 262 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 114.

رقية بلمقدم

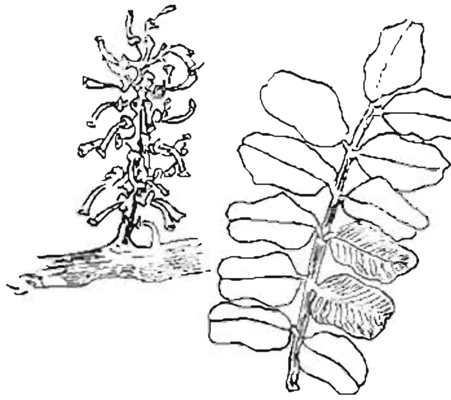
الخراط، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، ولعل اسمها مأخوذ من حرفة الخراطة التي كان يتعاطاها بعض أفراد هذه الأسرة التي انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 607.

محمد ابن عزوز حكيم

الخرُوب أو "الخرنوب" بالعربية، "تيكيدا" أو "سْليغْوا" أو "تيسْليغْوا" بالأمازيغية، نوع نباتي يسمى علميا سيراتونيا سِليكْوا Ceratonia siliqua وهو من فصيلة القرنيات Leguminosae. وهو شجرة ذات تاج كروي كثيف يبلغ علوها ما بين عشرة أو خمسة عشر مترا، دائمة الخضرة. جذعها رمادي أملس في الصغر ومشقق في

الكبر. لها أوراق مركبة ذات وريقات بسيطة عريضة خضراء لامعة. أزهارها وحيدة الجنس لكنها توجد مجتمعة في نفس الشجرة على شكل ازهرارات هرية أنثوية وأخرى ذكرية. ثمارها قرنية طويلة مسطحة، يمكن أن يبلغ طولها عشرين سنتمترا، سمراء بنفسجية ولحمة تحتوي على بذور سمراء ملساء لامعة وشديدة الصلابة.



الخروب

الموطن الأصلي والطبيعي للخروب هو المنطقة المتوسطية حيث يكثر في الطابق النباتي المتوسطي الدافئ واستثنائيا تحت المتوسطي وفي المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة. أما من حيث التربة فإنه يحبذ الأراضي الحمراء السميكة.

بالرغم من وجوده طبيعيا بالمنطقة المتوسطية فإن الخروب غرس في أنحاء عديدة لثماره وبذوره. تستعمل القرون بعد طحنها كعلف للحيوانات نظراً لما تحتويه من قيمة غذائية كبيرة أو في صناعة الأدوية ضد الاسهال عند الأطفال.

واستعملت بذور الخروب من قبل لوزن الذهب.
أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

** ورد ذكرُ الخروب، في عدد من المصادر مثل *أخبار المهدي*، 31 و*الحلل الموشية*، 108، و*البيان*، 3: 316. و*وصف إفريقيا*، 2: 43. ويبدو أن ثمرة الخروب مثلها مثل البلوط استعملت كمواد تكميلية في التغذية البشرية ومواد للعلف. ومن الأشجار التي تعمر طويلاً ما استغل لأغراض أخرى تتعلق بالجانب الروحي السحري فتحظى بنوع من التقديس. ومنها شجرة الخروب على أن منافع الخروب - شجرة وثماراً وأخشاباً - كانت متعددة من ذلك: ما ذكره البيدق أن الموحدين بايعوا المهدي بن تومرت تحت شجرة خروب (*أخبار المهدي*، 34، *الحلل الموشية*، 108)

وعن توزيعه الجغرافي يظهر من إشارات المصادر أنه كان موجوداً في كل جهات المغرب الجبلية جبال غمارة (الريف) وجبل درن الأطلس الكبير الصغير والنجود العليا (جبل بني يزناسن) (*أخبار المهدي*، 34، *نزهة المشتاق*، 3 ، 230، *الروض المعطار*، 235، *البيان*، 3: 316، *اختصار الأخبار*، 92). لكن ما نلاحظه بخصوص معظم إشارات المصادر المذكورة، هو أنها لم تذكر غابات للخروب باستثناء الحسن الوزان. فقد انفرد بذكر غابة للخروب في جبال بني يزناسن، وأيضاً بإشارته إلى أن الخروب كان الغذاء الرئيسي للسكان (*وصف إفريقيا*، 2: 43)، قد يكون في كلام الوزان بعض المبالغة، أو أن الأمر يتعلق باستهلاك للخروب في ظروف غير عادية مثل قلة المحاصيل الزراعية أو المجاعة حيث تصبح المواد التكميلية مواد رئيسية، أما مسألة "غابة الخروب" فمن خلال إشارات المصادر ومن المقارنة بما هو عليه الخروب اليوم فإن شجرة الخروب تنبت عادة في المناطق الرطبة وفي بطون الأودية وبجوار المياه، أما مناخ المغرب الشرقي فيتميز بجفافه النسبي كما هو معروف في أيامنا هذه، اللهم إلا إذا كانت المعطيات المناخية في عهد الحسن الوزان أكثر ملاءمة لهذه الشجرة، وفي ذلك مؤشر كبير على التحول الذي عرفته المنطقة على المستوى الايكولوجي (*وصف*، 2، 43).

لم يذكر العمري في اللائحة التي قدمها عن الفواكه في المغرب الخروب ولم يشر إليه في معرض حديثه عن الكثير من المعضبات الطبيعية من نبيت ووحيش. أما الأنصاري السبتي فقد ذكر أن في سبتة وبليونش نوعين من الخروب وصنفه ضمن الفواكه الخريفية (*الاختصار*، 92)؛ وانفرد ابن عذاري (في *البيان المغرب*، 316) بذكر استهلاك غريب في مراكش وقت المجاعة في عهد رشيد الموحدي فقد أشار إلى عصائد نوار الخروب ضمن المواد الجديدة التي ظهرت في السوق بمراكش.

مازال الخروب موجوداً إلى اليوم تباع ثماره وتستهلك في مناطق إنتاجه وفي المدن والأسواق لكن بدرجة أقل، ويستخدم في تحضير الكثير من المواد الغذائية مشروبات، حلويات، شكولاته وحتى المساحيق الغذائية العالية الجودة للأطفال الرضع إلى غير ذلك... وقد كان الخروب قبل العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين من المواد المصدرة من المغرب إلى الخارج.

أ. البيدق، *أخبار المهدي بن تومرت*؛ مجهول مراكشي، *الحلل الموشية*؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*؛ الحسن الوزان، *وصف إفريقيا*؛ الأنصاري السبتي، *اختصار الأخبار*؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. المنعم الحميري، *الروض المعطار*؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، م. المزني، ورقات، الرباط، 1979، ومقتطفات ثانيا، الجزائر، 1924.

محمد حجاج الطويل

الخرّوب، قرية وقلعة ونهر وسهل. فقرية الخروب قاعدة جبل حبيب، ببلاد الهبط عرفت بهذا الاسم منذ العهد الإسلامي الأول، حسبما أخبرنا به أبو عبيد الله البكري، إذ أنها كانت محطة تجارية بين فاس وطنجة شمالا وتطوان

وسبتة شرقا، واقعة على السفح الشمالي الغربي من جبل حبيب الفوقي، حسب التقسيم الحالي.

تأثرت القرية بالغزو البرتغالي لأصيلا وطنجة وتحصن أهلها بالقلعة المعروفة بنفس الاسم في قمة جبل حبيب، ولم يعد إليها أهلها إلا بعد الجلاء عن أصيلا سنة 957 / 1550.

ولسنا على بينة من الدور التاريخي المرتبط بالقرية إلا في إطار المحيط الجغرافي للقبيلة كلها. وكل ما نعلم عنها في الأخير سوى أنها كانت في بداية القرن العشرين تضم 46 كانونا، وعانت ما عانى منه الجبل من الغزو الاستعماري الإسباني في مستهل عهد الحماية.

ولقرية الخروب قلعة عتيقة احتفظت بشهرتها القديمة منذ الفتح الإسلامي، وبحصانتها الطبيعية المستندة إلى موقعها المرتفع بظهر جبل حبيب بعلو 900 م. عرفت من طرف البحارة الأجانب بارتفاع باسق لشجرة الخروب بأعلى جبل حبيب، اتخذوا منها منارة برية للدلالة عليه، إذ أنها كانت تشاهد من عرض بحر المضيق.

وبقلعة الخروب أنشأ حاكم طنجة وأصيلا المريني صالح ابن صالح الياباني المتوفى عام 844 / 1440 قصره قبل سنة 844 / 1440 لسكنى إحدى زوجاته وأبنائها. كما كان عميد المقدمين المجاهد أبو علي الحسن بن محمد العنمي قبل مقتله بها سنة 875 / 1471 قد زاد في تحصين القلعة وتجديدها، لتصبح معقله الذي قاد منه حملاته ضد سبتة والقصر الصغير مدة تقرب من نصف قرن.

أصبحت قلعة الخروب منذ احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة عام 876 / 1471 المعقل المدبر لحركة الجهاد بالشمال الغربي المغربي، بفضل تنظيمها للغارات على سبتة منذ احتلالها سنة 818 / 1415 وعلى أصيلا إلى إخلائها سنة 957 / 1550 وطنجة إلى استرجاعها من يد الإنجليز. كانت قلعة الخروب التي أدارتها تفشتاون العلمية خلال القرن العاشر الهجري (16 م) مقر القيادة الجهادية لعدد من المقدمين الهبطيين المتعاقبين على تسيير شؤون الجهاد خلال هذه الفترة.

واشتهر سهل الخروب الفسيح بين شفشاون وطنجة وأصيلا كخط للمواجهة بين المجاهدين من أمراء بني راشد وغيرهم وبين البرتغاليين.

احتفظت قلعة الخروب بمكانتها إلى العهد السعدي منذ وصولهم إلى الشمال الغربي المغربي سنة 956 / 1549؛ وكانت القلعة بعد الجلاء البرتغالي تابعة لحاكم أصيلا الأول عبد الواحد التريسي ثم لخلفه عبد الرحمن بن تودة العمراني، حوالي سنة 1554.

غير أننا نجهل مصيرها بعد ذلك، إذ أن التاريخ يتحدث عادة عن جبل حبيب بدون الإشارة إلى القلعة. وغير بعيد أن ما تعرضت له من الإهمال أدى بها إلى الاندثار التدريجي. ولاتزال آثارها في الوقت الحاضر، بعيدة عن الأنظار، معلقة في أعلى جبل حبيب متداعية العمران، ويجري به [illegible]

وارتباطا بشهرة القلعة [illegible] جبل حبيب من الجهة الجنوبية بواد الخروب أو الواد الكبير. [illegible] ينبع من بني احمايد ويتصل بواد حريشة عند نهاية جبل حبيب التحتي، ليشكلا معا رافد واد تاهدرات ويصبان شمال أصيلا.

أ. البكري، *المغرب في أخبار بلاد إفريقية والمغرب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج. 1 ؛ أ. ابن عرضون، مقنع المحتاج في آداب الأزواج ؛ ح. الفگيگي، *المقاومة المغربية للوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، د.د.ع، مرقونة، الرباط 1991 ؛ جبل حبيب، جمعية البحث التاريخي : جبل حبيب، *معلمة المغرب*، ج. 10 ؛ ضابط الأمور الوطنية *للمنطقة الخليفية*، تطوان 1951 ؛ *تحرير مياني، تقرير مجموعة بحث وتوثيق في تاريخ الشمال الغربي المغربي*، سنة 1993.

B. Rodrigues, *Anais de Arzilam* Lisboa 1915 ; Gomes Eanes de Zurara, *C. de D. Duarte* ; D. de Gois, *Cronica do rei D.* Manuel ; Luis de Sousa, *Les Portugues ou Maroc* , Martin Ruiz, *Toponimia Menor de Jibala*, *Cuadernos de la Biblioteca de Tetuan 1979* ; *Geografia de Marruecos. Protectorado y Posisiones de España en Africa*, Madrid 1939.

حسن الفگيگي

خَرَوِية (عين -) توجد في المنطقة الممتدة ما بين مدشري أسرير وتغمرت حاليا (بوادي نون) مع ميلها النسبي نحو الجنوب، وترجعها الرواية الشفوية إلى الاستغلال السقوي المبكر لمدينة نول لمطة عاصمة المنطقة في الفترة المرابطية. فالمخلفات الأثرية لنظام سقوي متطور ما تزال تشهد على الأهمية التي كان يُوليها السكان لمياه العيون، ولعل الامتداد الجغرافي للمدينة الذي تشير إليه وفرة الأنقاض سيكون قد جعل البساتين منتشرة على طول المجال الفسيح الرابط بين المدشرين حاليا؛ لكن الرواية الشفوية مع ذلك تتحدث عن عيون مائية بوادي صياد (وادي نون)، فهل يعني ذلك تعدداً للموارد المائية أم اختلاطا في معطيات الذاكرة الشعبية ؟ ولماذا نجد گويرة تاناست (السطلة = آنية لتوزيع حصص الماء) محاذية لضفاف وادي صياد بعيداً عن تغمرت ؟ وبالمقابل أي معنى نستنبطه من كون السواقي التي ظهرت الآن بفعل عوامل التعرية، متجهة في شكل انحنائي منحرف عن وادي صياد ومتجهة نحو عين خروية ؟ ألم يلتفت الحميري نفسه إلى هذا التعدد إذ صرح بأن مدينة نول "ماؤها جار" ؟ (الحميري، 524).

والأكيد جداً أن علي بودميعة (أبو حسون السملالي) حين سيطرته على وادي نون والصحراء في القرن السابع عشر، قام باستغلال عين خروية من أجل تزويد مغارسه الواسعة بالماء المنتظم، قبل أن يعمل السكان فيما بعد على

تخريب منشآته وأهمها البنيات السقوية إذ ما تزال بقايا الخطاطير (ج. خطارة) المنطلقة من عين خروبة منتصبة إلى الآن. فلماذا إذن لم يعمل بودميعة على استغلال العيون الأخرى الموجودة شرقي تغمرت ؟ ولماذا ركز على نظام الخطاطير ؟ هل كان يطمح ويبحث عن موارد تغنيه أو تجعله مستقلاً عن ملكيات جماعية من شأنها أن تشل مساعيه الاستثمارية ؟ ثم هل فعلاً قام بإعادة استغلال عين خروبة بعد أن جفت كما تميل إلى ذلك أغلب الروايات الشفوية ؟ واضح فعلاً أن النزاعات حول الماء في القرن الثاني عشر بين أهل أسرير وأهل تغمرت والتي تتكرر أكثر في بيوغرافية الولي محمد بن عمرو الأسريري لم تكن تعني سوى العيون التي ما تزال مستثمرة إلى الآن مما يشفع لنا في إمكانية التأكد من أن عين خروبة قد أتت عليها حروب وأزمات القرن الثاني عشر أو ربما أيضاً القرن الرابع عشر، إذا نحن علمنا أن من بين أسباب اضمحلال نول لمطة نقصاً خطيراً في عنصر الماء (Meunié, 303)، غير أن مصطلح "خروبة" الذي لا نجد له تفسيراً في القاموس السوسيو اقتصادي المحلي في الوقت الذي تصادفه في موازين وأكيال السوائل في اللغتين الإسبانية والبرتغالية، خاصة في الجهات التي خضعت لسيطرة القوى الإيبيرية، يزيد من ضرورة الاستنطاق التاريخي واللساني للمعطيات الجهوية من أبعادها الواسعة. فهل تؤرخ عين خروبة فيما بعد لاستغلال فلاحي إسباني في المنطقة أو على الأقل مجرد تنظيمات تضمن منتجات من هذا الميدان ؟ الرواية الشفوية في غياب معلومات موثقة تشير إلى منشآت كثيرة متعلقة بالتخصص السقوي كانشاء سد تقليدي بوادي صياد وترميم السواقي ... حتى إن سيطرة المشاريع المرتبطة بالسقي تكاد تستحوذ على جل روايات ماضي الوجود الإسباني المبكر بوادي نون. ألم تشر وثيقة في أواخر القرن الخامس عشر (مؤرخة في سنة 1499) بتبعية تغمرت للتاج الملكي الإسباني ؟(P. Cénival - R. Ricard).

وعلى العموم فالعمليات الأركيولوجية ستجيب وحدها عن مجمل هاته التساؤلات التي تظل إلى الآن معلقة، وستسمح برفع حجاب الغموض عن طبيعة الأنشطة السقوية وعن تطورها طوال الفترة الممتدة لربما حتى ما قبل المرابطين.

الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، ط 3، بيروت، 1980؛

P. Cenival et F. Lachappelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique*, Hesp., 2 - 3 trimestre, 1935 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, vol. I, Paris, 1982; M. Naïmi, *Le pays Takna, commerce, histoire et structure*, thèse du D. d'Etat (inédite), Fac. des Sci. Jur. Eco. et Soc., Univ. Med V. Rabat, 1987.

أحمد جرماني

الخَرُّوبي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما *زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Algarrobo وهو* اسم مدينة إسبانية ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 612.

محمد ابن عزوز حكيم

الخَرُّوبي، محمد بن علي، من الأعلام الذين تربطهم بأقطار المغرب العربي الأربعة روابط متميزة. فهو صفاقسي الأصل وطرابلسي النشأة ونزيل الجزائر ودفينها وسفير الخليفة العثماني سليمان القانوني لدى السلطان محمد الشيخ السعدي. بالاضافة إلى صلاته العلمية والروحية بمشايخ الصوفية والفقهاء، حيث غطت إيجابيته العلمية على فشل مهمته الدبلوماسية. وعاصر ما تعرض له التجار الإسلاميون من مضايقات بكل من مكناس وفاس. فكان الفقيه الوحيد خارج المغرب الأقصى من بين الفقهاء الذين أفتوا في هذه الظاهرة سنة 934 هـ وأرسلوها إلى محمد المسعود وزير السلطان الوطاسي، وقد أشار في مقدمة رسالته بما يشعر بوجود فتاوى متقدمة تمنع الإسلاميين من الاختلاط بالتجار القدامى في أسواق معلومة. وقد أورد محمد حجي مضمن فتوى الخروبي في الجزء الأول من كتابه *الحركة الفكرية في عهد السعديين*. وهذه الفتاوى الموجهة إلى الوزير المذكور تجمع على السماح للإسلاميين أو المهاجرين بالتجارة في الأسواق بدون استثناء. ومما قال هذا الفقيه : "وإذا كان الداخل في ديننا لم يمنع من الدخول في أسواق الآخرة التي هي المساجد والأماكن المشرفة حتى روضته صلى الله عليه وسلم - التي هي أشرف البقاع - فكيف يمنع من أسواق الدنيا وتجارات البوار".

وأتيح للشيخ الخروبي زيارة المغرب مرتين، الأولى سنة 959 والثانية 961 [وقيل إن سفارته الأولى، كانت في أواخر العهد الوطاسي] فدخل مدينة فاس ومراكش. فأقبل عليه طلاب المعرفة رغبة في الإجازة. وهكذا استجازه علي البقال الأغصاوي المتوفى سنة 981. فأخذ عنه وعول عليه في الطريقة، وأخذ عنه كذلك أحمد بن قاسم الصومعي الذي كان يدرس بفاس ولم يعد منها إلى بلده الصومعة إلا سنة 964. واستجازه أيضاً محمد الحضري شيخ أحمد بن القاضي.

وخلفت زيارته ضجة علمية بسبب الرسالة التي بعث بها إلى شيخ الصوفية أبي عمرو القسطلي المراكشي المتوفى سنة 974 ينكر عليه فيها دعاويه العريضة، وقد أورد محمد بن عسكر جزءاً من هذه الرسالة التي تسمى *رسالة ذي الإفلاس إلى خواص مدينة فاس* في كتابه *دوحة الناشر*، وبيّن موقف عالمين منها، وهما عبد الله الهبطي ت. 963 ومحمد اليسيتني ت. 954.

ولمّا اطلع عليها الشيخ الهبطي أمر كاتبه أن يكتب إلى الشيخ الخروبي مبيّنا له هفواته بلطف، ويذكر أن تلك الهفوة إنما طغى بها القلم واعتذر له ليصلح فسادها في رسالته، ولما أتم الكاتب الرسالة أحالها بإذن الشيخ علي اليسيتني فكتب في طرتها يشنّع على الخروبي ويخطئه، غير أن هذا التحامل على هذا الشيخ أغضب عبد الله الهبطي فقال : الله أكبر أراد أن يخطئ هذا الرجل فوقع في خطأ أعظم من خطئه. أو مثله تصدر منه هذه الزلة !

وفي سنة 1000 هجرية وقف أحمد بن أبي محلي على الرسالة المذكورة وهو بأكتاوة بدرعة فثارت ثائرته وجرد قلمه للدفاع عن الشيخ أبي عمرو القسطلي الذي هو أستاذ شيخه محمد بن مبارك الزعري.

وأما مهمته السفارية فتؤرخ لفترة انفجر فيها الوضع بين المغرب وأتراك الجزائر من جراء المعارك على الحدود الشرقية المغربية ودخول محمد الشيخ السعدي إلى تلمسان مرتين ثم طرده منها. ولتهدئة الحالة وترسيم الحدود كلف الخليفة العثماني سفيره محمد الخروبي بهذه المهمة إلا أن السلطان محمد الشيخ تشدد في موقفه وقال : "لا جواب عندي حتى أكون بمصر، وعندئذ أكتب لسلطان القوارب".

وهكذا تعرفت الأوساط العلمية والصوفية والمخزنية بالمغرب على هذا الشيخ الذي وافاه أجله سنة 963 ودفن خارج مدينة الجزائر تاركا عدة مؤلفات منها : *رسالة ذي الافلاس إلى خواص مدينة فاس* و*كتاب في الحكم* و*كتاب في التفسير* و*مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس* و*شرح الصلاة المشيشية*.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ مؤرخ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع في مناقب الجزولي والتباع وماليهما من الأتباع*، ص. 20 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5، 27 ؛ إ. باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، ج. 2، 274 ؛ *هدية العارفين*، ج. 2، 245 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 5، 129 ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 11، 6 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية في عهد السعديين*، ج. 1 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج : 713 و714 ؛ م. الصغير الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 41.

محمد ماكامان

الخرّيم، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سلمان الغمارية، انتقلت إلى تطوان حيث أنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم العدول :

الخرّيم، أحمد بن عبد الله فقيه زاول نفس خطة العدالة سنة 1203 / 1789.

الخرّيم، عبد الجليل بن الفاضل فقيه تعاطى نفس الخطة من سنة 1182 إلى سنة 1193 (1768 - 1779).

الخرّيم، عبد القادر بن محمد، فقيه من قبيلة بني زجل الغمارية كان يترأس جماعة من المجاهدين الذين انضموا إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني ؛ وقد عين الفقيه عضوا في المجلس الاستشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بثنية عين الدالية يوم 11 ماي 1913 ؛ وشارك في المؤتمر المنعقد بضريح مولاي عبد السلام بن مشيش يوم 20 يوليوز 1913 وفي المؤتمر المنعقد بقرية الزوة بقبيلة جبل حبيب يوم 11 يناير 1915، وشارك في 11 معركة.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة*، الرباط، 1981.

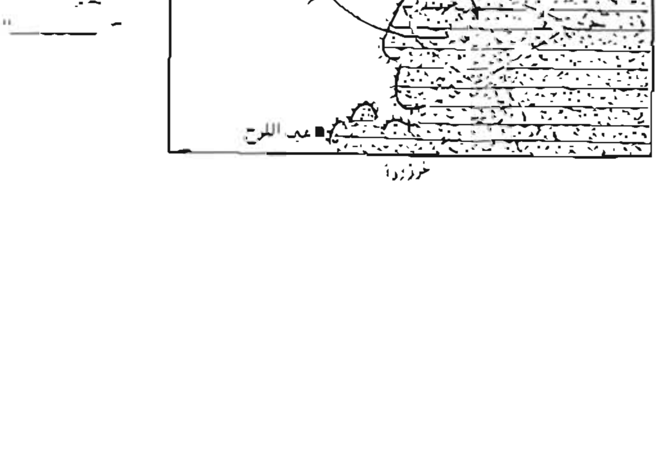
Capaz Fernando, *Coleccidos*, 949.

الخرّيم، محمد بن عبد الصمد فقيه زاول خطة العدالة سنة 1132 / 1720.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 615.

محمد ابن عزوز حكيم

خرزوزة، تقع منطقة خرزوزة جنوب شرق مدينة أزرو وتتمثل في مرتفعات الأطلس المتوسط الغربي الهضبي عند اتصاله بأعالي سهل تيگريگرة المنتمي إلى منخفض الهضبة الوسطى. وتعلو الكورنيش الصخرية الشامخة التي تتوسطها والتي تحمل اسم خرزوزة إلى مدى ارتفاع يفوق 1800 م إذ تصل أعلى قمة فيها إلى 1826. تمتد شرقا في اتجاه جبل حبري (2109) وجبل تهيريت (2052). وتشرف غربا على المجموعات القروية، أيت يحيى أوعلا، حشادة رأبت بن عتّو الواقعة على قدم الجبل عند مستوى ارتفاعات تتراوح بين 1100 و1200.



خرزوزة

يغطي أعالي السفوح والقمم كساء غابوي مكون من البلين الأخضر أساسا وشجر الأرز المتميز، وهي قمم مكونة من صخور كلسية دولوميتية من الجوراسي توضعت فوقها فرشات من البزالت والرماد البركاني ذي اللون الفاتح.

وتتميز خرزوزة كباقي مرتفعات الأطلس المتوسط بمناخ متوسطي جبلي حيث يشتد البرد ويكثر الصقيع وتتهاطل التساقطات التي تأخذ أكثر من مرة شكل ثلوج في فصل الشتاء. ويمكن أن يفوق حجم التساقطات في السنوات العادية 1000 ملم غير أن الجفاف المتكرر خلال العقدين الأخيرين قد أدى إلى تراجع الكميات المائية التي تستقبلها المنطقة. أما فصل الصيف فيكون عادة جافاً وحاراً بيد أن ظلال الغابات تخلق جوا معتدلا يوفر المتعة والراحة للزائر والكلأ والأعشاب لقطعان الأغنام. وليس من النادر أن تزيد العواصف الرعدية خضرة للمراعي الفسيحة التي تزخر بها المنطقة.

وعلى الرغم من التساقطات الهامة التي تستقبلها خرزوزة فإنها تشكو من قلة المنابع المائية بسبب نفاذية الصخور الكلسية المغطية للسطح. وباستثناء عين خرزوزة الواقعة عند قدم الكورنيش فإن معظم العيون تغذي سهل تيگريگرة.

- خرزوزة، رستاق رعوي جبلي. وتجدر الإشارة إلى أن منطقة خرزوزة تدخل ضمن المجال التقليدي الذي تستغله قبيلة أيت يحيى أوعلا المنتمية إلى بني مگيلد الشهيرة القادمة من أعالي واد ملوية إبان القرن التاسع عشر. وهي قبيلة نصف ترحالية كانت تعيش تحت الخيام وتمارس النشاط الرعوي في إطار حركات تنقلية تدفع بها في فصل الشتاء إلى أراضي أزغار الواقعة بسهل تيگريگرة. وفي فصل الصيف إلى مرتفعات خرزوزة التي كانت تشكل مراعي جبلية صيفية، تقيم بها الأسر والأغنام ابتداءً من نهاية شهر مارس إلى نهاية شهر شتنبر. إذ ذاك ينتقل الجميع إلى بلاد أزغار حيث الطقس أكثر اعتدالا، لاستغلال المراعي الشتوية والقيام بزراعة الحبوب المتمثلة أساسا في الشعير والقمح. ويملك هؤلاء الرعاة بيوتا في إغرم أيت يحيى أوعلا لخزن المحاصيل الفلاحية من صوف وحبوب، شيدها لهم على النمط الصحراوي عمال مهاجرون يقدمون من تافيلالت إلى منطقة الأطلس المتوسط باحثين عن أشغال تكميلية في إطار هجرة فصلية. ويشكل هذا الإغرم الذي يشغل موضع عبور محطة لا تقام بها الخيام إلا في إطار الرحلات الفصلية للأسر.

غير أن التحولات التي لحقت بالبنيات الاقتصادية والاجتماعية بسبب دخول الاستعمار في النصف الأول من القرن الماضي وتوسع قاعدة النظام الرأسمالي في النصف الثاني منه قد نتج عنه تراجع نمط العيش نصف الترحالي لقبيلة أيت يحيى أوعلا وبدأت الأسر تستقر، فمنها من استقرت بالمزارع الواقعة بالسهل، ومنها من اختارت أن تلجأ إلى المراكز القروية والحضرية المجاورة مثل أيت يحيى أوعلا، حنشادة، أيت بن عتو، أزرو... وانتشرت ظاهرة الانتجاع حيث التنقلات تقام تحت حراسة الرعاة فقط وفي غالب الأحيان مستعملة الشاحنات.

- خرزوزة : مركز اصطياف جديد. اهتمت إدارة الاستعمار بموضع الكورنيش الصخرية وبجمالية طبيعته الرائعة المنعمة بالخضرة والهواء الطلق والماء العذب، وعملت على إنشاء مركز اصطياف به حيث أقيمت البنيات التحتية من كهرباء وماء وتطهير وشيدت الملاجئ الجبلية وأماكن نصب الخيام، كما بني مسبح وبناية للعلاج السريع.

ويفتح المركز في فصل الصيف نظرا لاعتدال الجو في هذه المرحلة. وتنظم المخيمات في إطار طورين : طور يونيه وطور غشت. يدوم كل واحد منهما ثلاثة أسابيع يتمتع فيها المصطافون والأطفال والشباب القادمون من مختلف المدن المغربية بصفاء السماء ونقاء الهواء واعتدال الحرارة.

استمر استغلال مخيم خرزوزة هذا من طرف مصالح الشبيبة والرياضة ومصالح الأعمال الاجتماعية للمؤسسات الاقتصادية الكبرى ومنظمات الشباب إلى حدود السنين الأخيرة. ومثل هذا المركز عقودا طوالا مدرسة تربوية من مستوى رفيع تلقن السلوك الأخلاقي المتميز المطعم بروح التطوع والمبادرة واحترام الطبيعة وحب الوطن. وكم رددت قمم خرزوزة صدى تلك الأناشيد الحاملة لهذه القيم النبيلة التي كانت تتغنى بها أفواج المصطافين. غير أن ظروف الاصطياف أصبحت تتدهور بسبب ندرة المياه وشيخوخة بنيات الاستقبال.

تحريات ميدانية.

عائشة البلغيتي العلوي

الخُرْشُف أو "خُرْشُوف" أو "قورَق" أو "قورْنِيع" أسماء عربية لنوع نباتي من الخضر يسمى علميًا سِينَارا گَرْدُونْكُولُوسْ Cynara cardunculus، وهو من فصيلة المركبات Compositae أو النجميات Asteraceae. ويشمل أنواعاً برية عديدة تعيش طبيعياً بالمغرب وبمنطقة البحر المتوسط وتعتبر المصدر الأصلي "للخرشوف" و "القورق". والمعلوم أن هذه الأسماء تطلق على أنواع أخرى برية تنتمي لهذا الجنس، وأجناس أخرى.

والخرشوف نبات معمر له أوراق خيطية محيطها مقسم، تنبعث مباشرة من الجذر القريب أو الموجود في مستوى سطح الأرض. محاور الأوراق غليظة ولحمية بالنسبة للخرشوف مما يجعلها قابلة للاستهلاك الآدمي بعد طهيها. سيقان أزهارها تنتهي بازهرار ملوّن بنورات صغيرة مجتمعة على شكل رأس كروي، يحاط بمحيطات من النثابات الكبيرة. لا قيمة لرؤوس الخرشف إلا في استعماله كمادة مُجَبِّنة للحليب الطري. أما بالنسبة للقورق أو القرنيع البري أو المزروع فإن الرؤيسات غير الناضجة وكذا القواعد المنتفخة للقنابات والتخت المتضخم تؤكل نيئة أو مطهوة.

تنمو الأنواع البرية للخرشوف في البيومناخات الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة. وعلى أتربة

غنية بالطين والطمي. أما فيما يخص الصنف المزروع من الخرشف أو القوق فإنه يزرع في الأراضي المسقية من السهول مثل سهل تريفة والغرب ودكالة والشاوية.

أبحاث شخصية : ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، 1962، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة، الأنجلو مصرية، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

الخُرْطَال، ينتمي الخرطال للنجيليات وقد أعطى اسمه للخرطاليات وهي ردف معروف بالميزات النباتية التالية : الأوراق خطية هدباء، مزودة بتابع طويلة، ومفندة القاعدة.

تنتظم الزهور على شكل عشكول مبسوط أو عناقيد منتصبة تحملها سويقات طويلة. تتوفر السنيبلات على زهرتين أو ثلاث زهرات خنثاوية، تجهض العليا منها في غالب الحالات. تتوفر كل زهرة على ثلاث أسدية ومبيض بها قلمين أرشين للسمة. الثمرة عبارة عن بُرّة طويلة، مغلفة بعصافات دائمة أو نفضية.

من الوجهة النباتية، وعلى الصعيد العالمي، يمكن اعتبار أربعة أنواع أصلية من الخرطال، تفرعت عنها مختلف الضروب المزروعة حاليا :



الخرطال (نبات)

الخرطال الشائع (Avena sativa) المتميز بأزهاره المتجمعة في عشكولات مهملة، وسنابله المثناة الزهر، وحبته الطويلة الملساء، وهو النوع الذي أعطى أكبر عدد من الضروب.

الخرطال الشرقي (Avena orientalis)، عشكولاته متجمعة، حباتها محمولة من طرف عنيقات قصيرة، كلها مائلة في نفس الاتجاه.

الخرطال القصير (Avena brevis) أو خرطال أقدام الذباب، عشكولاته مهملة، خفيفة، أحادية الجانب، وذو حبات صغيرة وقصيرة.

الخرطال العاري (Avena nuda) تضم سنيبلاته أربعا إلى خمس زهرات، ملتئمة في عناقيد صغيرة. حباته عارية غير مرتبطة بالعصافة كما كان الشأن في أنواع الخرطال المكسوة السالفة الذكر.

أهم الأنواع هي الأولى والثانية.

أما من الوجهة الزراعية، فلا يخضع التمييز لنفس المعايير بل يكون على أساس فصيلتين فحسب، خرطال الشتاء وخرطال الربيع، حسب الحاجة للبرد في إخراج الحبة أو انعدامها.

المتطلبات الزراعية الإيكولوجية :

تنتمي نبتة الخرطال إلى المناخات المعتدلة، حيث لا تستطيع الإنتعاش إلا في حرارة 6 درجات. يتطلب نضجها 1500 إلى 2000 درجة / أيام، مرزعة على النحو التالي : من البذر إلى التفريخ 322 درجة / أيام، ومن التفريخ إلى الإزهار 552 درجة / أيام، ومن الإزهار إلى النضج 837 درجة / أيام، وصولا إلى مجموع 1711 درجة / أيام. وتتراوح مدة الانبات ما بين 90 إلى 150 يوما حسب قيم المقادير الحاصلة من الحرارة والإشعاع.

أهمية المزروع :

بالمغرب، يُعد الخرطال من الزروع الثانوية. حيث يحتل حوالي 54.300 هكتار من مجموع مساحات الزروع التي تبلغ 5.3 مليون هكتار تقريبا. وعلى أساس 10.7 قنطارا هكتار كمردودية وسطى للخرطال، يكون الإنتاج الوطني من حوالي 583.3 ألف قنطار بالنسبة لموسم 1988 ـ 1989.

تكون زراعته غالبا كمادة علفية، مختلطة مع البيقة من فصيلة القطاني (بيقة ـ خرطال) في العديد من الجهات بالمغرب. أما في البلاد الأوربية، خاصة ألمانيا وفرنسا وروسيا وأنجلترا والنرويج والسويد، فيزرع الخرطال كمزروع علفي أو لإنتاج خبز الخرطال الذي تستحسنه فئة خاصة من المستهلكين.

الضروب المزروعة :

ضربان فقط في ذوات التبن الطويل واللون الأصفر، هما المثبتات في السجل الرسمي بالمغرب. يتمتعان بالشيوع والاستعمال على المدى الواسع. يتعلق الأمر بالبلدي والرومي الواردة خاصياتهما في الجدول التالي :

الضرب	نطاق التكيف	الأمراض	نسبة البروتينات	عشكولات	مردودية
البلدي	البور المراني	متأثر بالعقربة وبأنواع الدرد الطفيلي وفيروس اليرقان المقزم للشعير	متوسطة	نصف منتصبة متبعة	ضعيفة
الرماني	البور المراني		عالية	مهملة حادية الجانب	عالية في المادة الخضراء متوسطة في الحبات

التنقيبات الفلاحية

إعداد التربة والبذر

يأتي الخرطال غالبا بعد زرع سابق، فمن ذلك ضرورة إعداد التربة إما مباشرة بعد الحصاد أو القيام بحرث خلال شهر شتمبر في المغرب، بزرع الخرطال في الخريف وإن كان وظيفيا ينتمي للربيع.

تختلف مقادير البذار الواجب نشرها في الهكتار حسب حجم الحبات، وقابلية الضروب للتفريخ، وطبيعة التربة، وطريقة وفترة البذر. جل ضروب الخرطال المستحدثة، ذات الحبات الغليظة، لا تفرخ إلا قليلا، حيث يتراوح عدد الإشطاء المتوسط بكل قدم ما بين 1.35 و4.28 حسب الضروب.

إذا كان البذر بالرمي، توجب توفير حوالي 350 لتر للهكتار. أما في الأتربة الغنية، الباردة، وباستعمال الخرطال ذي الحبات الصغيرة، فإنه بالإمكان تقليل الجرعة إلى 200 لتر وبالبذر الخطي تراوحت المقادير بين 150 و275 لتر في الهكتار.

من الأولى عدم المبالغة في الاعتماد على قابلية التفريخ، ذلك أن التفرعات الثانوية تتطور دائما على حساب إثمار السيقان الرئيسية.

تتراوح كثافة الخرطال بين 40 و50 كلغ في الهيكتولتر، وكلما حصل الإبطاء في البذر إلا ولزم تصعيد مقادير المبذور في الهكتار. يخول الزرع بالمبْذر اقتصاد البذور والحصول على إعمار منتظم.

متطلبات التسميد

ينتج عن محصول جيد من الخرطال استخلاص مقادير السماد التالية من الهكتار الواحد 75 إلى 110 كلغ من الآزوط، 50 إلى 65 كلغ من الحمض الفوسفوري و80 إلى 115 كلغ من البوطاس.

الأعداء والأخطار

يكون الخرطال في مرحلة البذر عرضة للإتلاف من الدّوري والقُبرة والغربان. كما أنه خلال التنبيت، يعاني غالبا من أضرار يساريع الدودة المقوسة (دودة رمادية) والخنافس النطاطة. يبقى تحديل الأرض بالدحرجة الماضية في بداية التنبيت أفضل وسيلة للحد من خسائر هذه الحشرات.

يتعرض الخرطال كذلك للعديد من الإصابات الفطرية السّواد (Ustilago carbo)، العفونة الحظية، العفونة المبقعة والعفونة المتوجة. وتعتبر هذه الأخيرة خاصة بهذا الصنف من النجيليات وهي تصيبه في ورقه من الجهتين معا. كما أن هناك عاهتان مشوهتان (الخرطال المبروم، والخرطال الكراثي)، أولاهما ناتجة عن قرادية صغيرة، قريبة من القُمّل (Tarsenomus spirifex)، أما الثانية فيتسبب فيها أنيقليس خاصة (أنيقليس الساق). هنا كذلك يمكن تخفيف ضرر هذه الإصابات بتحضير جيد للتربة، وبذر معجّل، وتسميد ملائم يمكن أن يتأثر الخرطال من جهة أخرى بالضجعات ولفح الحر واليرقان، شأنه في ذلك شأن القمح. كما أنه يُصاب بالقرطب الذي يعطي للأوراق لونا نازعا للحمرة. تطغى هذه الإصابة خاصة في الأراضي الحمضية، وأراضي الإجتثاث، والأتربة الميهة، وهي مثل اليرقان، ناتجة عن عطل وظيفي في الجذور.

الحصاد والجني

يجنى الخرطال في المغرب خلال النصف الثاني من شهر ماي، إما بالمنجل أو آليا بالحصادة الدارسة. تصل المردودية إلى 30 أو 50 هكتولتر / هكتار (20 إلى 25 قنطار / هكتار). تختلف مردودية الخرطال حسب خصوبة التربة، التسميد، نوع البذور المستعملة ومستوى العناية المسخرة في الفلاحة. في المعدل تعطي حزمة 100 كلغ حوالي 36 كلغ من الحبوب، 52 كلغ من التبن و12 كلغ من العصافة.

بعد الجني، يمكن فرز الخرطال بتمريره من خلال الفارزة. لكن بما أن العديد من حبات هذا الزرع خفيفة، وجب تزويد الجهاز بمروحة تهوية تقصي أخف الحبات. يمكن الفرز كذلك بالنقع في الماء، حيث تغوص الحبات الثقيلة وتطفو الخفيفة أفضل تحضير يكون إذن تمرير الخرطال عبر الفارزة ثم نقع الحبات الغليظة المحصل عليها في محلول نترات الصودا أو الملح البحري بتركز 1٪ حتى تقصى الحبات الخفيفة الكبيرة الحجم. تعالج بذور الخرطال لحمايتها من السّواد.

تركيبة الحب والتبن

هناك اختلافات كبيرة في تركيبات حبات الخرطال.

نسوق التركيبة الموالية على سبيل الإستئناس

المواد	التركيبة المتوسطة ٪ حسب (Grandeau, Leclecc)	تفاوت التركيبة (J. Kohn)
الماء	12.10	
المادة الجافة	87.90	79.2 إلى 93.8
المواد الآزوطية	9.80	6.3 إلى 18.5
المواد الدهنية	4.58	2.1 إلى 10.3
المادة المستخلصة	59.9	48 إلى 65.7
الخليوز	11.20	4.1 إلى 20.2
المادة المعدنية	3.32	.
الحامض الفوسفوري	0.75	

أفضل الخرطال هو الأثقل والذي يضم أكبر نسبة من اللب مع قشرة نسبيا دقيقة وخفيفة. أظهرت البحوث التي أجريت على مختلف ضروب الخرطال أن معدل الوزن في 1000 حبة هو قرابة 32.2 غ، وأن نسبة اللب هي 77.7٪ ونسبة العصافة 22.3٪.

الخرطال هو غذاء الخيول بامتياز.

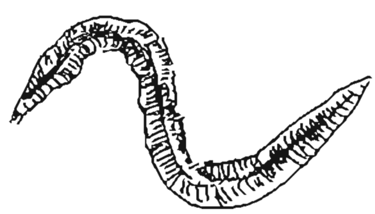
كما أنه مستهلك على شكل خبز من طرف الإنسان

الأوربي على الخصوص. وهو يتميز بخاصيات مغذية ومنشطة معروفة. تستصيغ المجترات تبن الخرطال بصفة جيدة. تختلف قيمته حسب التربة، والنضج والحالة التي يكون عليها عند الجني. يمثل التبن والعصافة إضافات مفيدة في تركيب الخلائط التي يتناولها الأبقار والأغنام.

وتجدر الإشارة أخيرا، إلى أن الخرطال المعلّى هو نجيلية علفية (Avena elatior). يُذكر ترتيب أزهارها بالخرطال العشكولي. قامتها عالية جدا وإنتاجها مرتفع. يبلغ علوها المتر الواحد ويزيد عليه في المنخفضات المواتية. نجد أحسن الظروف في الأتربة الرخوة، الغضة والعميقة، ذات الوجهات الدافئة والمشمسة، كما أنها تنمو بصفة مرضية كذلك في الأراضي الكلسية. وهي تخشى الرطوبة وتقاوم الجفاف.

أحمد بوعزيز

خرطون، كما هو في المعاجم يجمع على خرطونيات وخراطينيات، كلمة فارسية معربة تطلق على بعض أنواع ديدان الأرض. اسمه الشائع في شمال إفريقيا دود الأرض ومصران الأرض وشحم الأرض. وهو حيوان من اللافقريات ومن الديدان الأسطوانية المصنفة إلى رتبة الديدان الحلقية أو الحلقيات الأرضية Oligochètes Lumbricidae. أحصي منه في المغرب ما يزيد عن 20 نوعاً نذكر من بينها Lumbricus terrestris. يسمى بالفرنسية Lombric, ver de terre وبالإنجليزية "Earthworm".



خرطون

يتكون الجسم مما يزيد عن 40 قطعة حلقية تعرف علميا بالسيات بها عضلات دائرية مستطيلة وقوية تمكن من الحركة. يبلغ طول الأنواع عادة 10 . 25 سنتمترات إلا أن هناك نماذج من بين الأنواع تتعدى مترين من الطول. وأنواع الخرطون كلها خنثى hermaphrodite يتم التوالد بالتقاء فردين في اتجاه معكوس. بعد ذلك تمتلئ القطع الحلقية الثالثة والثلاثون إلى الثامنة والثلاثين بالبيض مما يجعل حجمها يكبر. في حالة فقد بعض القطع الحلقية بمؤخرة الجسم يتم استبدالها بقطع تنمو تدريجيا.

يعيش في الأماكن الغنية بالوحل بجانب الأنهار والبحيرات العذبة وكذلك في الأراضي الرطبة. يفضل العيش بداخل التراب حيث يحفر قنوات طويلة تفوق أحيانا 150 سنتمترات. إنه يخشى النور photophobe ولا يظهر على سطح الأرض إلا ليلا وقد يبدو نهارا بعد نزول المطر الذي يعوق تنفسه عن طريق جلده وذلك لترطيبه المفرط للتربة.

يتغذى من المواد العضوية الدقيقة وخاصة منها النباتية الموجودة في التراب. كثيرا ما يبتلع كمية وافرة من الوحل ويتم امتصاص المواد العضوية بداخل الجهاز الهضمي ثم يتخلص من الأتربة بإلقائها خارجياً.

يعد الخرطون من الحيوانات النافعة للزراعة حيث يساهم في تخصيب الأرض وتهويتها بواسطة القنوات التي يحفرها.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، القاهرة 1932 : الأمير مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، الطبعة الثالثة 1988 : *علم النباتات والحيوانات، الموسوعة الحديثة*، الجزء 7، سيلكا سويسرا، 1990.

Encarte 97, *Encyclopédie Microsoft*, 1997.

محمد رمضاني

الخرقوم ← الزعفران

الخرمودي، بوعزة بن عزوز، مقاوم ولد حوالي سنة 1914 بأولاد إبراهيم إقليم خريبكة. شارك في الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمها أبناء الإقليم يوم 20 غشت بوادي زم أثناء تخليد ذكرى ثورة الملك والشعب، حيث هب ضمن المتظاهرين دفاعاً عن حرية المغرب واستقلاله، وعودة ملك البلاد الشرعي من المنفى. وتحت وابل من رصاص جيش الاحتلال سقط رحمه الله صريعا بعد تدخل جنود العدو الفرنسي لقمع الانتفاضة بقوة السلاح وكانت وفاته يوم 20 غشت 1955 وسط المتظاهرين والضحايا.

شهداء الاستقلال، ج 2.

الخَرْوَاع أو "كَرْنَك" بالعربية أو "أورِيُوور" أورِيُون" أو "وَرْوري" أو "وَيْرِرْ" أو "وَرْوَرَى" بالأمازيغية، ألفاظ



الخرواع

تطلق على نوع نباتي يسمى علميا ريسِيُوسْ كُومُونِيسْ Ricinus communis وهو من فصيلة الفربيونيات Euphorbiaceae. وهو شجرة صغيرة أو شجيرة يبلغ ارتفاعها بعض الأمتار، مستديمة الخضرة. وأوراقها بسيطة مفصصة كبيرة، معنقة أزهارها وحيدة الجنس لكنها مجتمعة في نفس الشجيرة. ثمارها علبية ومكسورة بأشواك.

الأصل الطبيعي لهذا النوع من جنوب إفريقيا ومنها انتشر في جميع أنحاء العالم الحار والمعتدل. يزرع بالمغرب في جميع المناطق التي لا يزيد ارتفاعها عن ألف متر فوق سطح البحر، وفي جميع البيومناخات وفي الطابقين النباتيين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي. ويكثر الخرواع في الأماكن الغنية بالنيتروجين الموجودة بجانب الطرقات أو المساكن أو المزابل. تحتوي بذور الخرواع على مواد سامة. ومن الممكن استخراج الزيت المستعمل في الصيدلة والصناعة الكيماوية وصناعة الأثاث ...

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

خَرُوف، أسرة تطوانية أصلها من ناحية غمارة انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 613.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خروف**، **محمد** بن أبي الفضل التونسي الفاسي، العالم المعقولي الذي افتداه أمير فاس أحمد الوطاسي بألف أوقية ذهباً بعد أن طال أسره من قبل الإسبان سنوات - إثر استيلاء جيوش الامبراطور شار لكان على القطر التونسي - وقد تم هذا الافتداء بإلحاح من الشيخ محمد اليسيثني الذي كان قد اجتمع به في تونس وعرف قدراته العلمية. وهو موقف يفيدنا في معرفة صدى مكانة الرجل بين علماء فاس حتى قبل أن يحل بها في حدود سنة 947 / 1540 ويمكن اعتبار هذا التاريخ مرحلة تجديد واتصال لأسانيد العلوم العقلية وتعليمها داخل القرويين وخارجها بعد أن كانت إلى حدود مجيئه غريبة عن فاس.

أقام الشيخ ابن خروف زهاء ثمان عشرة سنة داخل القرويين مدرساً مشاركاً - رغم الصعوبة التي قوبلت بها عبارته المعقدة في البداية - فلقيت مجالسه إقبالاً كبيراً من الطلبة حتى عد شيخ الجماعة في المنطق والكلام وأصوله إلى جانب الفقه والبيان. وبذلك مثل حلقة في سلسلة الأسانيد المغربية، وطبع الحياة التعليمية بطابع التواصل مع المشرق الذي سبق أن أخذ عن شيوخه خلال رحلته الواسعة. ومن أشهر من تخرج على يده من علماء فاس : الشيخ محمد القصار، وأحمد المنجور، وعبد الواحد الحميدي، وعليٌ الزموري وغيرهم.

توفي بفاس سنة 966 / 58 . 1559.

أ. المنجور، *فهرس* ؛ م. القصار، *فهرس* ؛ أ. ابن القاضي، *درة*، ج. 2، 208 ؛ *لقط*، 307 ؛ م. القادري، *نشر*، 1، 91 ؛ م. المحبي، *خلاصة*، ج. 4، 124 ؛ مخلوف، *شجرة*، 1، 281 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، ج 4، 102 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، ج 1، 375-376 ؛ م. حجي، *الحركة*، ج 2، 356-357.

نفيسة الذهبي

الخريب قماش رفيع المستوى سداه من حرير وجزء من لحمته من خيوط الذهب أو الفضة، كانت تتخذ منه أعلى الطبقات الاجتماعية ملابس بذخ فارهة في حواضر المغرب وبواديه. وقد لا يستطيع ارتداء حلة واحدة منه إلا أكثرهم يسرا وثراء. أما من كان دون هؤلاء مرتبة وحاول الحصول عليه فإنه بالتأكيد قد يعجل بتخريب ميزانية تسيير أسرته وتقويض دعائمها، ومن هنا أطلق عامة الناس اسم الخريب على هذا النوع من القماش الذي يسميه بعضهم أيضاً الزردخان. والزردخان كلمة لم نقف على أصلها، لكننا نرجح أنها ذات جذر مشرقي فارسي أو تركي. ومعلوم أن صناعة الحرير والديباج نشأت في عهود تاريخية قديمة بسبب ازدهار القزازة في بلاد فارس وتركيا، ومن هذين القطرين انتقلت إلى البلدان العربية الإسلامية المجاورة في عهد الدولة الأموية والعباسية، ثم وصلت فيما بعد إلى أقصى الغرب الإسلامي بما في ذلك المغرب والأندلس.

وكانت فاس في القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين تحافظ على إنتاج هذا النوع من النسيج الرفيع تحتضن عشرين منوالا من مناول قماش الخريب نصفها كان ينتج أقمشة حريرية زاهية مزركشة تتخللها أكثر من عشرة ألوان. وقد تألقت في صناعة هذه الأقمشة عدة عائلات أشهرها عائلة بن الشريف التي توارثت أسرار حرفتها أبا عن جد ومازال أحفادها إلى اليوم ينتجون بعض أصنافها في فاس اعتماداً على نفس الطرق الموروثة عن الأجداد مع إدخال بعض التعديلات على المناول تمشيا مع التطور ومع أذواق الأسواق الحديثة.

تعرف بروسبيرريكار Prosper Ricard مفتش الصناعة التقليدية والفنون الجميلة في فاس على الأخوين عبد القادر وعثمان ابني الشريف سنة 1915 ووصف مناولهما ومكان إقامتهما في عقبة القطانين وسط المدينة قرب السجن القديم المعروف بسجن الباشا. واعترف ريكار بأن الأخوين المذكورين كانا نساجين بارعين ينتجان أقمشة راقية سواء من حيث أسلوب النسج أو الطرز أو صناعة الألوان أو دقة الإنجاز. كما أشار إلى أنه لم يقف على مثيل لما كانا ينتجانه في شمال إفريقيا بأسرها وإلى أن منسوجاتهما تذكره بما كانت تنتجه طرازات قصور السلاطين في دمشق وبغداد والقسطنطينية والقاهرة وقرطبة.

وكانت أقمشة الخريب تختلف باختلاف الطبقات العليا

نفسها. فقد يكون سداها بكامله من حرير ناعم يدعى "حرير الحر" ولحمتها من خيوط الذهب الخالص بالنسبة لأسر السلاطين وسامي الموظفين المخزنيين، كما قد يكون جزء من سداه ولحمتها من قطن رفيع وخيوط فضة. أما أكثر هذه الأقمشة جودة وغلاء، ورفعة فكانت لا ترتديها إلا أكثر النساء مالاً وجاهاً من حريم السلاطين والوزراء. وكانت الطبقات الأكثر حظوة في المجتمع المغربي تتخذ من أقمشة الحريب الأحزمة النسوية الرفيعة وأغطية الرؤوس وستائر الأبواب والنوافذ وأردية الأفرشة الزاهية.

ولم يكن اتخاذ الملابس الفارهة من هذا النوع من الأقمشة خاصاً ببلد دون أخر ولا مقتصراً على عصر دون غيره لكنه كان أكثر تداولاً في فترات الازدهار في الدول العربية الاسلامية منذ القرن الثاني (8 م) في سوريا والعراق ومصر والأندلس ثم المغرب. إلا أن استهلاكه لم يكن يتعدى نخبة النخبة من الناس، لذا كان إنتاجه لا يتم على العادة إلا تحت الطلب مما جعل صناعه مرتبطين بطريقة شبه رسمية بالقصور وإقامات الأعيان والأمراء والأثرياء، فهو يزدهر بازدهار الترف والمال والجاه وينحسر بانحسارها، وهذا هو ما يفسر أسباب قلة انتشار مناسج هذه الأنواع من الأقمشة، فاقتصر وجودها على فاس وحدها في شمال إفريقيا، ولم يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين.

ولما فتح المغرب أبوابه للتجارة الأجنبية بدأ تراجع إنتاج هذه الأقمشة وأصبحت الأغلبية من الطبقات المترفة تتزود بما تحتاج إليه منها من المصانع الأنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية التي تتفوق بضائعها على ما تنتجه المناول الأهلية من أقمشة سواء من حيث الدقة والإتقان أو الجودة في الألوان أو انخفاض الأثمان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1، بيروت، 1960 ؛ عادل سعيد بشتاوي، *الأندلسيون المواركة*، دمشق، 1985 ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصيلة*، مجلة أبعاد فكرية، السنة الأولى، ع 2، الرباط، 1989 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الرباط، 1961 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، ج 1، مخطوط الخزانة العامة بتطوان، رقم 676.

L. Golvin, *Le métier à la tire des fabricants de brocart de Fès*, *Hesp.*, tome 37, 1950 , G. Vidalenc, *L'art marocain*, Paris, 1925 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes*, Paris s. d. ; P. Ricard, *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès*, *Hesp.*, tome 37, 1950 ; C.M. Perigny, *Au Maroc*, *Fès capitale du nord*, Paris 1917 ; E. Diez, *L'art de l'Islam*, Paris s.d. ; A. Gaudio, *Fès joyau de la civilisation islamique*, Paris 1982; A. Lebouleux, *Regards sur le passé*, Paris 1974.

محمد بوسلام

خريبكة، مدينة يبدو أن تسميتها مشتقة من الخراب، كان يطلقها الرعاة الرحل على مكان يتميز بتجويفات وحفر طبيعية مرتبطة بالتعرية الكبسارية للكلس. وهي مشهورة بكونها مدينة الفسفاط، إلى درجة اقتران نشأتها وسيرورتها العمرانية بالمكتب الشريف للفسفاط. إلى حدود 1921 كانت الظروف السياسية والاقتصادية والقبلية والطبيعية غير سانحة لإنشاء أية مدينة بهضبة الفسفاط وسط نمط إنتاج فلاحي ورعوي حنيف يطغى عليه طابع نصف الترحال.

مع بداية العشرينيات، انطلقت عملية التجهيز المصاحبة لاستغلال أول منجم للفوسفاط، بما فيها الماء والكهرباء والمسالك والطرق، وعلى الخصوص السكة الحديدية. فكان أول مركز أنشئ بالقرب من أول نقطة استثمار هو بوجنيبة سنة 1921. لكن سرعان ما تقرر هجر هذا الموقع لصالح الموضع الحالي لمدينة خريبكة، حيث شيدت "قرية" يقطنها المستخدمون الأوربيون، بجانبها نصبت خيام ونوالات قصبية لإيواء "الأهالي".

لكن عدم استقرار اليد العاملة المغربية، وعدم استئناسهم بالعمل المنجمي الشاق دفعا إلى تأسيس ثلاثة مراكز عمالية أخرى دفعة واحدة، وهي بوجنيبة وبولنوار وخريبكة. من هنا أخذت هذه الأخيرة تتسع بسرعة ابتداء من 1924 سواء من حيث التجهيزات أو من حيث السكن الهامشي العمالي، في حين أن العمال النقابين و"غير المرغوب فيهم" قد أبعدوا لتوطينهم بمركز حطان الذي أنشئ سنة 1948.

مهما يكن من أمر فإن المكتب الشريف للفسفاط أصبح يتحكم في المراكز الأربعة تحكماً كلياً حتى خارج أوقات العمل. وهكذا تحول المكتب من مجرد منتج معدني إلى منعش عقاري ومنظم للمجال الحضري ومسؤول عن الصحة العمومية والتعليم والتجارة والتنشيط الثقافي والخدمات الأخرى في المراكز الأربعة، في وقت كان مثل هذا الاحتكار غير ممكن في أوربا، وبالأحرى في فرنسا. منذ بداية الاستغلال المنجمي، حظيت خريبكة بأكبر وأسرع نمو حضري من بين المراكز الأربعة، وذلك لأسباب عديدة :

- تفضيل خريبكة منذ 1924 لإقامة جلّ التجهيزات التقنية والإدارية المرتبطة بالنشاط المنجمي ؛
- استفادة خريبكة من التجهيزات الجماعية المهيكلة دون المراكز الأخرى التي لم تستفد من السكة الحديدية والطريق التي تربط تادلا بالدار البيضاء ؛
- إيواء الأطر الأوربية الذي أدّى إلى خلق أنشطة تجارية عصرية ؛
- اختيار خريبكة لتوطين الإدارات العمومية المختلفة.

مع أن عملية التمدين كانت تخضع إلى حد كبير حتى نهاية الخمسينات إلى قرارات المكتب الشريف للفسفاط، فإن الامتداد العفوي للسكن العمالي الهش حول المراكز المنجمية ظل ينمو منذ الثلاثينيات. على أن الخمسينيات ستعرف زيادة قصوى لإنتاج الفسفاط مع اكتشاف حقول

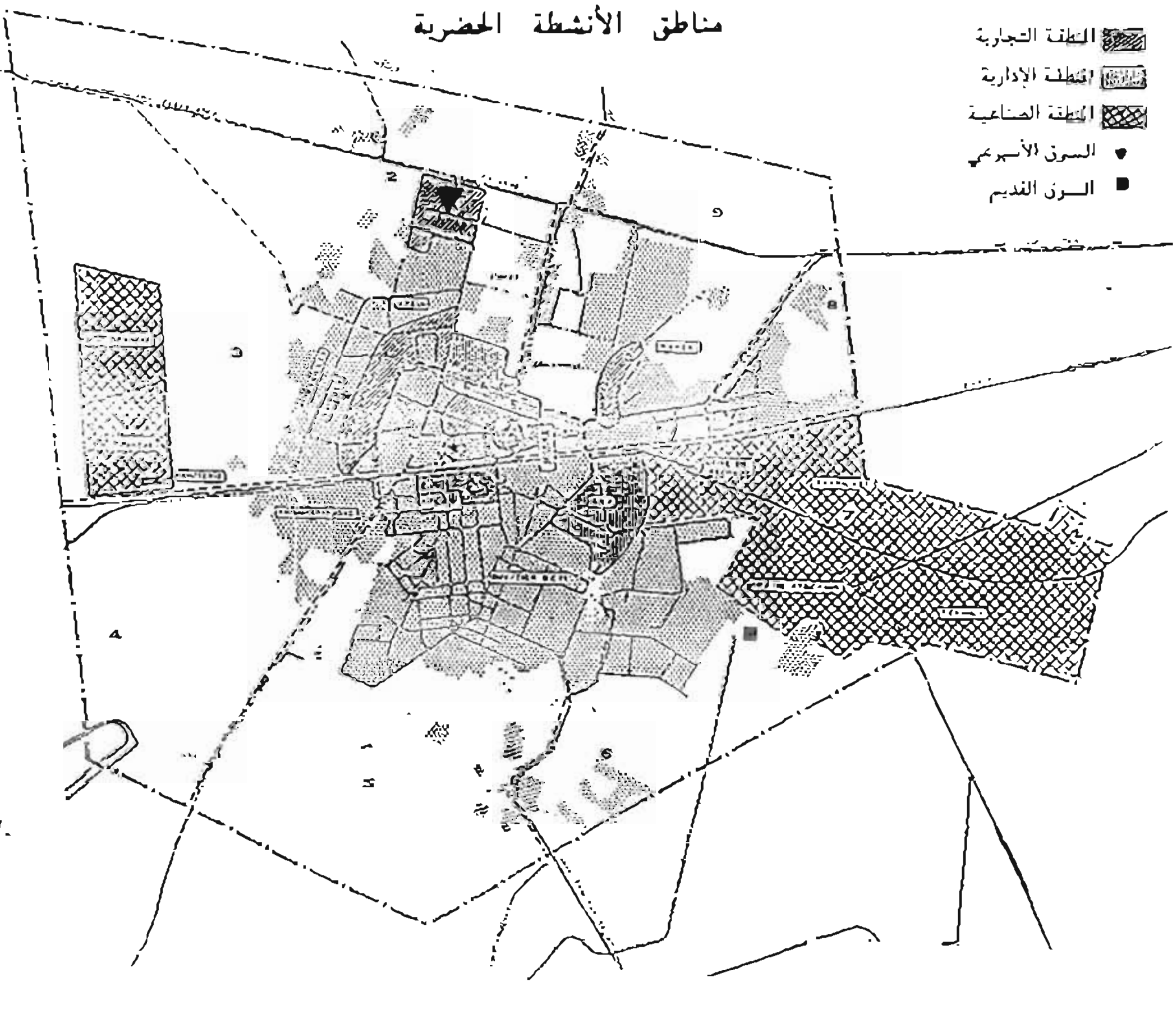
جديدة (أنني إدير رسيدي الضاوي) وتشغيل معامل أخرى للمعالجة. وبالتالي سيتحول مركز ثقل الاستغلال وستفقد خريبگة حظوتها من حيث معالجة معدن الفسفاط. وهكذا ستشهد خريبگة تحولات هامة. بدءاً بتدمير الدواوير الهامشية سنة 1955 وإعادة إسكان العمال في المدينة الجديدة للتجفيف. وإجمالاً بلغ عدد مستخدمي المكتب الشريف سنة 1960 حوالي 9.435 شخص مقابل 40.000 نسمة في خريبگة و20.000 ن في المراكز الثلاثة الأخرى.

ما يجدر استنتاجه من هذه التوطئة التاريخية هو الدور الحاسم الذي لعبه المكتب الشريف للفسفاط في تاريخ المدينة سواء بالنسبة لطاقته الاستيعابية من حيث التشغيل أو فيما يخص الوسائل المالية المرصودة وسياسة الإسكان. لكل الأسباب السالفة الذكر ستشهد ساكنة خريبگة منذ بداية الخمسينات وتيرة ديمغرافية سريعة تفوق بكثير طاقة النشاط المعدني لإعالة كل السكان الوافدين على المدينة. وهكذا تضاعف عدد سكان خريبگة بين 1952 و1960، مسجلة بذلك أعلى نسبة نمو حضري ضمن المدن المغربية. ويرجع ذلك بالأساس إلى الاستقرار التام لسكان المنطقة، وتراجع نسبة الوفيات والزيادة في الهجرة القروية واستقرار نسبة لا يستهان بها من المتقاعدين.

أما ابتداءً من نهاية الخمسينات، فستتغير أسلوب النمو، من نمط تتغلب فيه إمدادات الهجرة إلى نمط يتأثر أكثر بالزيادة الطبيعية نتيجة التجمع العائلي وتراجع وفيات الرضع والأطفال على الخصوص. وهكذا ارتقت خريبگة إلى صف مركز إقليم سنة 1967 بعد أن كانت مجرد بلدية منذ 1959. فأصبح عدد سكانها 73.000 ن تقريباً سنة 1971، ثم 127.000 ن عام 1982، و153.000ن سنة 1994.

ما يسترعي الانتباه هو أن وتيرة التشغيل في حوض خريبگة لم تساير وتيرة النمو الحضري. ذلك أن بين 1960 و1984 ازداد عدد مستخدمي المكتب الشريف بنسبة ضعيفة جداً (24٪)، أي أن عددهم تحول من 9.435 فرد إلى 11.723 فرد خلال 24 سنة، في مدة تضاعف فيها حجم الإنتاج. هذا يعكس مدى التحولات العميقة التي عرفها الاقتصاد الفسفاطي المتميز بالتنافس الحاد بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية التي كثيراً ما تلجأ إلى سياسة الاغراق لتكسير الأثمان وزعزعة استراتيجية المكتب الشريف المبنية على الأسس الرأسمالية لمواجهة مخاطر الظرفية العالمية.

لقد اختار المكتب اتخاذ سياسة المكننة القصوى لعمليات الإنتاج والمعالجة والتفريغ والنقل، وذلك لتحقيق أعلى الأرباح والقدرة على المنافسة العالمية. كما أن الاستغلال الباطني استبدل بالاستخراج المكشوف. فقد تمكن المكتب بالفعل من تخفيض التكاليف بنسبة تتراوح بين 35٪ و40٪. ومن تخطي إكراهات التنافس الضاري بين المغرب والسوق العالمية، علاوة على تفريع الأنشطة والداخل خارج قطاع الفسفاط، من هندسة وأبناك وصناعة معدنية ونقل بحري وفنادق ... على أن أهم ما يمكن تسجيله هو توصل المكتب إلى مراقبة (وامتلاك) كل فروع النشاط الفسفاطي، عقب ارتفاع الأثمان سنة 1973 التي



تبدأ من الاستخراج إلى الصناعة الكيماوية الثقيلة بأسفي والجرف الأصفر وتصدير الحامض الفسفوري، إضافة إلى استخدام وتوسيع مناجم أخرى ببوكراع وبنگرير.

يتبيّن إذن أن المكتب راهن على تعزيز التبعية للخارج فيما يتعلق بالجانب المالي والتكنولوجي وأن مدينة خريبگة ومنطقتها قد تضررتا من تراجع الدور الاقتصادي والاجتماعي للمكتب، نظراً لتخفيض اليد العاملة غير المتخصصة وجرف التكوينات السطحية وتحويلها إلى أراض جدباء من الناحية الفلاحية، وكذا تركيز الآثار الايجابية في الواجهة الأطلنطية (أسفي، الجديدة، الدار البيضاء) أكثر من حوض خريبگة الذي لم يشهد طيلة 70 سنة أية منشأة لتزويد المكتب بالخدمات والمنتجات التي يحتاجها. من ثمة ظهرت اختلالات بين ازدهار الاقتصاد الفسفاطي الذي تحول "ريعه" إلى قطاعات أخرى من جهة وبين الأزمات المتوالية على الصعيد الاجتماعي والعمراني التي أدت إلى تفقير وتدهور ملحوظين، من جهة أخرى.

على المستوى الديمغرافي أولاً، يمكن أن نميز بين ثلاث مراحل. بين 1921 و1960 كانت الهجرة هي التي تغذي أساساً ساكنة خريبگة (أكثر من 73٪)، حيث كان عرض التشغيل يلبي طلب السكان المحليين والقادمين من مناطق بعيدة (سوس الأطلس الصغير، ...) كانت المدينة تسجل آنذاك نسبة نمو دائماً أعلى من المتوسط المغربي. أما مرحلة 1960 ـ 1982 فكان الجانب الطبيعي هو المتغلب في النسبة العامة للتزايد السكاني، بسبب انخفاض نسبة الوفيات وارتفاع نسبة الولادة، وكذلك التجمع العائلي. فظلت نسبة التزايد تتراوح سنوياً بين 5٪ و5,5٪. وأخيراً المرحلة الحالية التي انطلقت مع إحصاء 1982، تتميز بفتور ملحوظ من الناحية الديمغرافية، حيث سجلت المدينة إحدى أضعف نسب النمو السنوي بين 1982 و1994 (1,5٪)، مقارنة مع المتوسط الحضري الوطني (3,6٪). ويعزى هذا التراجع إلى الحد من التزايد الطبيعي وخصوصاً إلى النزوح نحو مناطق أخرى وإلى الخارج (إيطاليا على الخصوص).

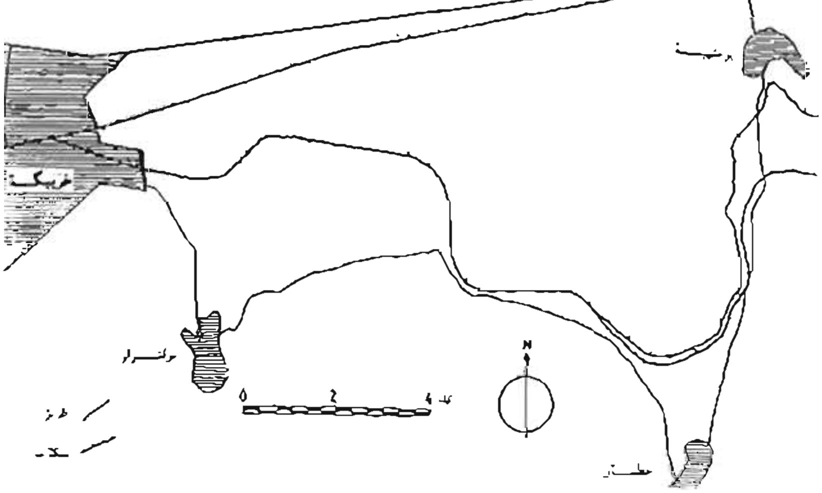
يتجلى بالتالي أن المدينة لم تقو على الحفاظ على ساكنتها الأصلية. فأخذت تنمو بفعل الساكنة غير المنجمية وباستقطاب الريفيين المجاورين الفارّين من الظروف الطبيعية والفلاحية الصعبة. حتى إن التركيبة الاجتماعية صارت منقسمة إلى شطرين : ساكنة منجمية تعتبرها الساكنة الثانية "طبقة" محظوظة ولها عدة مكاسب اجتماعية ومادية، من سكن وتغطية صحية وقدرة شرائية وإمكانية الاستفادة من التجهيزات الجماعية، الخ.. وساكنة ثانية مركبة من موظفي الدولة والبلدية والتجار وكذا النازحون بدون شغل قارّ.

أكثر من ذلك، فإن المكتب الشريف للفسفاط أخذ منذ مدة يتخلى عن التدبير الحضري وسنّ سياسة اجتماعية جديدة تنبني على تصفية إرثه العقاري ونفقاته غير الاقتصادية. فنتج عن ذلك نقصان في الساكنة المنجمية، وفقدان هذه الأخيرة لكثير من الامتيازات، حتى إن الهوة التي كانت تفصلها عن الساكنة غير المنجمية كادت تزول. ومع عجز المنجم عن تلبية مجموع طلبات الشغل، وكذلك انعدام شبه تام للأنشطة البديلة، تفاقمت ظاهرة البطالة (19,8٪) وفاقت النسبة الوطنية (19,1٪). نتضخم القطاع الاقتصادي غير المشكل وازدادت وتيرة الهجرة إلى الخارج التي أصبحت عائداتها تساهم بشكل قوي في تعمير وتنشيط اقتصاد المدينة.

على مستوى السكنى والتعمير، تبلورت الثنائية الاجتماعية في تنطيق حضري مزدوج ومتعارض تجسد لمدة طويلة في مدينتين توأمتين تفصلهما السكة الحديدية : في الجنوب مدينة منجمية شيدها المكتب الشريف للفسفاط على النمط الأوربي العصري، وفي الشمال مدينة عضوية تقريباً تطورت على نمط المدينة القديمة المغربية. هذه البنية الثنائية مازالت قائمة رغم التجانس النسبي الذي أخذ يظهر شيئاً فشيئاً.

إن الضغط الديمغرافي في الذي تعرضت له المدينة وعدم قدرة المكتب على إسكان كافة مستخدميه عملا على إعادة توجيه تعمير المدينة خارج منطقة المكتب، مما شجع على بروز أشكال جديدة من السكن أغلبها هشة وغير صحية. ذلك شأن دوار السكة التي كان يعدّ من أكبر أحياء القصدير في المغرب، ودواوير هامشية أخرى (دوار بنجلون، دوار الزيتون، ...). في سنة 1984 كانت تمثل هذه الأحياء 17٪ من مساكن المدينة و20٪ من السكان. إضافة إلى ذلك تأثر المشهد الحضري بفعل ظهور سوق عقارية متسترة خلقت إنشاء أحياء صلبة غير قانونية. ومازال خطر إحياء هذه الأنواع الهشة من السكن قائماً، بالرغم من تراجعها الكثير بسبب برامج عديدة لإعادة الهيكلة والإسكان.

أما الاقتصاد المحلي فهو ضعيف وغير ثابت بالنظر إلى الفصل الواضح بين الاقتصاد المنجمي والاقتصاد غير



المنجمي وتأثيره السلبي على النمو المحلي. يوفر القطاع الصناعي عدداً قليلاً من مناصب الشغل لا يتعدى ألف منصب (1٪ من المشغلين في الإقليم) بما فيها البناء والأشغال العمومية. حيث لا توظف الصناعة التحويلية سوى 50 فرداً في وحداتها الثلاث (مطحنة ووحدتان للملابس الجاهزة). بالعكس من ذلك، فإن القطاع الثالث يهيمن على بنية الاقتصاد الحضري (55٪ من مناصب الشغل) عن طريق الإدارة والتجارة والنقل والخدمات المتنوعة. على ألا نغفل القطاع غير المشكل الذي يشغل فئات عريضة من سكان المدينة.

أخيراً على المستوى البيئي بمفهومه العام، تجدر الإشارة إلى أن تدهوراً متفاوتاً يمس قطاعات عديدة :

- جرف التربة القابلة للزراعة بفعل الاستغلال المنجمي ؛
- إطلاق الغبار الكثيف من طرف معامل معالجة الفسفاط، وما ينتج عنه من مخاطر صحية مرتبطة بالتنفس؛
- تدمير مشاجر الأوكلبتوس العمومية التي أنشئت أصلا لحماية المدينة ؛
- تدهور الإطار المبني للمكتب الشريف، وخصوصاً في حي الأطر، بفعل الإهمال ؛
- تشويه الوجه المعماري للأحياء العمالية، نتيجة التغييرات التي أحدثها ملاكو المساكن المبنية من طرف المكتب ؛
- غياب المساحات الخضراء في العديد من الأحياء، أو تدهورها وعدم الاعتناء بها.

يستخلص من كل ما سبق أن خريبگة أخذت تفقد تدريجياً خصوصيات المدينة المنجمية (التي مازالت حاضرة في بولنوار وحطان). ذلك أن المكتب الشريف للفسفاط يوجد الآن حبيس نظرتين متعارضتين : منطق اجتماعي يدفع إلى تدبير يد عاملة وساكنة حضرية وكذا إرث عقاري ضخم، ومنطق رأسمالي يحتم سياسة التقليل من نفقات الإنتاج على حساب العامل الاجتماعي. كل هذه العناصر تعتبر أعراضاً لأزمة حضرية عميقة تهمّ كل الميادين التعميرية والاقتصادية والاجتماعية والتدبيرية. وإعادةُ صياغة خطة التهيئة والنمو الاقتصادي من طرف كافة الفاعلين المحليين هي الكفيلة وحدها بالنهوض بالمدينة أمام الرهانات الحاضرة والمقبلة.

*

إقليم خريبگة أحد أقاليم جهة الشاوية - ورديغة، تأسس سنة 1967 ليتوسط أقاليم الخميسات شمالاً وبني ملال جنوباً وخنيفرة شرقاً وسطات غرباً، وهو يمتد على هضبة الفسفاط التي تعد مجالاً انتقالياً بين الأطلس المتوسط والسهول الأطلنطية الوسطى.

يضم الإقليم 31 جماعة، منها خمس حضرية و26 قروية، ويسكنه حوالي 480.800 نسمة حسب إحصاء 1994، منهم حوالي 61٪ من الحضريين وتتوزع المراكز الحضرية بالإقليم كالتالي :

- خريبگة : 152 090 نسمة
- واد زم : 73 953 نسمة
- بجعد : 33 321 نسمة
- بوجنيبة : 14 319 نسمة
- حطان : 11 263 نسمة
- بولنوار : 9 734 نسمة
- المجموع : 294 680 نسمة

يتوفر الإقليم على كثافة ريفية ضعيفة نسبياً (44 نسمة / كلم2) لكن النمو الديمغرافي يظل مرتفعاً، وعلى الخصوص بالوسط الحضري الذي يمتص معظم الفائض الديمغرافي بالوسط القروي الذي يتراوح متوسط حجم الأسر به بين 6 و7 أفراد. وعلى صعيد مجموع السكان، لن يعرف أي تزايد في العشرية القادمة بسبب الانتقال الديمغرافي الذي يهمّ كافّة الأقاليم المغربية منذ بضع سنوات.

تتأثر القطاعات الاقتصادية بمجموعة من الظروف والتجهيزات التي تتفاوت أهميتها من حيث التوزيع والحجم. ويمكن إجمالها في العناصر التالية :

- انبساط التضاريس وارتفاع متواضع (600 - 1000م) وتربة غنية في الجزء الغربي ومناخ قاري شبه جاف مع قليل من التساقطات (350 ملم).

- شبكة طرقية تمتد على 935 كلم، منها 141 كلم رئيسية و71 كلم ثانوية وخط حديدي (77 كلم) يربط الإقليم بالدار البيضاء ومراكش، وكذا الجرف الأصفر فيما يخص نقل الفسفاط بالأساس.
- إنتاج أكثر من 10 ملايين متر مكعب من الماء الصالح للشرب سنة 1995 لتزويد 31 ألف مشترك. من بينهم 893 مشترك خصوصي (إدارات ومستهلكين كبار)
- 310 مليون كيلواط من الكهرباء سنة 1994 تم بيعها.

تتضافر الظروف الطبيعية والعوامل التاريخية لإفراز اقتصاد إقليمي يقوم اليوم على ثلاثة قطاعات أساسية، وهي الفلاحة والفسفاط والتجارة.

يمتد إقليم خريبگة على مساحة 425 000 هكتار، منها 400 000. تعد أراضي فلاحية تتوزع على الأراضي القابلة للزراعة (65٪) والأراضي الرعوية (13٪) والغابات (22٪). وتتميز الفلاحة بطابعها البوري وتهتم بالدرجة الأولى بزراعة الحبوب التي تغطي تقريباً كل الأراضي الصالحة للزراعة.

تجدر الإشارة إلى أن الزراعة توفر مردودية ضعيفة بسبب التقلبات المناخية التي تؤثر كذلك على الغطاء

النباتي الطبيعي الذي يعرف تدهوراً مستمراً تزيد من حدته عوامل بشرية عديدة تضاف إلى الجفاف. إضافة إلى ذلك فإن البنيات العقارية تعيق إلى حد كبير تطوّر وعصرنة القطاع الفلاحي ؛ ذلك أن الاستغلالات الصغيرة تنتشر بنسبة 57٪، فيما يخصّ حجم 5 هكتارات ولا تغطي سوى 32٪ تقريباً من مجموع المساحة المستعملة. بينما تشكل الاستغلاليات التي تفوق 20 هكتار حوالي 17٪ وتغطي 35٪ من المساحة الإجمالية، وبالتالي يكون معدّل مساحة الاستغلالية هو 8.8 هكتار. زد على ذلك أن القانون العقاري مازال يعطي أهمية نسبية للأراضي الجماعية.

نظام الملكية	المساحة	
	هكتار	٪
الملك الخاص	253.656	60
أراضي الجموع	81.344	19
أراضي الإصلاح الزراعي	3.230	1
الملك الخاص للدولة	2.870	1
الملك الغابوي	83.900	19
المجموع	425.000	100

تتغير المساحة المزروعة من سنة لأخرى بسبب مستوى التساقطات، فبحكم القحولة التي تميز إقليم خريبگة، تعتبر زراعة الحبوب النشاط الزراعي السائد، حيث تشكل في ظرف مناخية عادية 3/4 الأراضي الصالحة للزراعة. ويهم الإنتاج الشعير والقمح الطري والقمح الصلب، إذ تصل تغطية كل واحد منها على التوالي 35٪ و23٪ و17٪ من الأراضي الصالحة للزراعة. أما المردودية فتختلف من سنة لأخرى ومن منطقة لأخرى وتصل في المعدل إلى 12 قنطاراً في الهكتار بالنسبة للشعير، و10 قناطير بالنسبة للقمح الطري و8 قناطير بالنسبة للقمح الصلب.

أما زراعة القطاني فتغطي 1.250 هكتار كمعدل سنوي وتتأثر بالصقيع الليلي خلال فصل الشتاء ورياح الشرگي خلال فصل الصيف. وإجمالاً لا تتعدى مساحتها 1٪ من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة، حيث يختلف الانتاج من سنة لأخرى ويتراوح بين 3.000 و7.000 قنطاراً أي بمردودية جد هزيلة تصل إلى 5 قناطر في الهكتار.

أما زراعة الخضر فتغطي حوالي 830 هكتاراً سنوياً وتختلف من منطقة إلى أخرى حسب الإمكانيات المائية ووسائل السقي. وتغلب عليها زراعة البطاطس.

أخيراً تهمّ الأعلاف حوالي 5.000 هكتار وتغطي 2.5٪ من المساحة الإجمالية الصالحة للزراعة. وبالرغم من نموها في السنوات الأخيرة، تبقى ضعيفة مقارنة بأهمية قطيع المواشي الموجود في الإقليم. كذلك الشأن بالنسبة لزراعة الأشجار المثمرة التي يبقى نشاطها هامشياً وضعيف المردودية حيث لا تغطي سوى 0.5٪ من مجموع الأراضي الزراعية تطغى عليها زراعة الزيتون، حيث تغطي 81٪ من مجموع الأراضي المخصصة لهذا النشاط الفلاحي.

أما تربية المواشي في إقليم خريبگة فمازال يغلب عليها الطابع التقليدي غير المهيكل، بالإضافة إلى كونها جد مرتبطة بتوزيع التساقطات. فالإقليم يأوي حوالي 640.000 رأس، منها 78٪ من الأغنام، و9٪ من الماعز و6٪ من الأبقار. على أن تربية الدواجن قد ظهرت خلال الثمانينات، وتهمّ خمس وحدات لإنتاج اللحوم البيضاء ووحدة لإنتاج البيض ووحدة للتفريخ.

نوع الماشية	الإعداد سنة 94
- القطيع	599.218
- الغنم	502.535
- الأبقار	38.495
- الماعز	58.188
- حيوانات الجر	41.216
- الخيل	8.068
- البغال	5.109
- الحمير	26.738
- الجمال	1.301
المجموع	640.434

يحتل القطاع المنجمي بدوره مكانة خاصة في الاقتصاد الإقليمي، حيث يشتمل على حوالي 40٪ من حجم الرواتب ويشغل حوالي 8.000 شخص، وبالتالي فهو مصدر رزق حوالي 60.000 ساكن في إقليم خريبگة. وضمن هذا القطاع، يعتبر الفسفاط أهم ثروة منجمية إقليمية، بل وطنية، بحكم أن المغرب يتوفر على 3/4 الاحتياطي العالمي يوجد 44٪ منه بإقليم خريبگة. كما يساهم الإقليم بـ 60٪ من مجموع الإنتاج الوطني. يشرف على الإنتاج المكتب الشريف للفسفاط، وهو مؤسسة عمومية تتوفر على الاستقلال الذاتي والمالي. فالمكتب يحتكر كل الأنشطة المتعلقة بالفسفاط من تنقيب واستخراج ومعالجة ونقل وتحويل وترويج. يصل الانتاج على مستوى مناجم إقليم خريبگة إلى حوالي 12 مليون طن سنوياً. وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المنجمي المتعلق بالفسفاط قد تعزز باستغلال مناجم سيدي شنان الموجود على حدود إقليم بني ملال.

كما يتوفر الإقليم على العديد من المقالع المختصة في إنتاج الرخام والطين ومواد البناء.

بالرغم من الهيمنة الشبه التامة لقطاعي الفلاحة والمناجم على الاقتصاد المحلي، فقد استطاع إقليم خريبكة أن ينمي نسيجا صناعيا في السنوات الأخيرة، خاصة في وادزم وخريبكة. فبغض النظر عن قطاع البناء والأشغال العمومية الذي يشكل العمود الفقري للنسيج الصناعي، ظهرت وحدات تحويلية تهم بالخصوص الصناعات الغذائية كالمطاحن، وصناعة الخيط والنسيج والأسمدة الفلاحية ومواد البناء، وصل عدد هذه الوحدات سنة 1999 إلى حوالي 31 وحدة تشغل ما يقرب من 1.000 شخص من اليد العاملة بصفة مستمرة. وقد تعزز وتقوى النسيج الصناعي في الإقليم بفضل تهيئة منطقتين صناعيتين في كل من وادزم وخريبكة. وتوزع أهم الوحدات الصناعية بالإقليم كالتالي :

- مطحنتان، واحدة في كل من خريبكة ووادزم، تصل قدرتهما الإنتاجية إلى حوالي 2.500 قنطار في اليوم ؛
- وحدة لصناعة الخيط بوادزم تشغل حوالي 480 شخص وتنتج 3.200 طن في السنة ؛
- وحدة للنسيج بخريبكة وتشغل حوالي 300 شخص ؛
- وحدة لإنتاج الأسمدة الفلاحية تنتج سنويا 140.000 طن وتشغل 18 شخصاً ؛
- وحدة للغاز بوادزم تشغل 50 عاملاً ؛
- وحدة لإنتاج القرمود بوادزم تشغل 20 عاملاً ؛

رغم منافسة المنتجات الصناعية العصرية مازالت الصناعة التقليدية تحتل مكانة مهمة في النسيج الاقتصادي الاقليمي بفضل أصالتها. وتتمركز الصناعة التقليدية بالخصوص بمدينة أبي الجعد المعروفة بتاريخها وإشعاعها الروحي والثقافي. وتهم الصناعة التقليدية في هذه المنطقة بالخصوص : الزرابي، والتجارة والخزف وصناعة الأحذية التقليدية وصناعة "الحايك" المحلي ذي الشهرة الوطنية. ويبلغ عدد التعاونيات التي تشتغل في ميدان الصناعة التقليدية أربع تعاونيات تضم 173 منخرطا. ومازالت العديد من التعاونيات في طور الإنشاء.

تقاس ديناميكية القطاع السياحي بأهمية التجهيزات الفندقية. ففي إقليم خريبكة مازالت البنية التحتية السياحية جد محدودة والسياحة الدولية تكاد تكون منعدمة، فباستثناء وحدة فندقية مصنفة من فئة أربعة نجوم يبقى القطاع الفندقي ضعيف بالإقليم.

الفنادق	العدد	عدد الغرف	عدد الأسرة	الليالي (93) Nuitées
الفنادق المصنفة	1	100	161	18.515
الفنادق الغير المصنفة	7	85	126	7.933
المجموع	8	185	287	26.448

تبرز الأرقام ضعف مردودية القطاع السياحي بالإقليم رغم وجود إمكانات مهمة، كالغابة والثقافة والمآثر التاريخية والمواسم ومناجم الفسفاط ومهرجان السينما الإفريقي وكذا مؤهلات أخرى لم تستثمر بعد.

في ظل ضعف النسيج الصناعي بالإقليم يبقى قطاع التجارة هو المشغل الأول والمحرك الأساسي للاقتصاد الاقليمي، حيث يضم إقليم خريبكة حوالي 5.200 مؤسسة تجارية، منها 3.000 تتمركز في الحواضر. وتتوزع التجهيزات التجارية الحضرية كالتالي :

- 16 قيسارية أو مركز تجاري.
- 3 أسواق للخضر والفواكه.
- 3 مساحات لبيع الحبوب والقطاني.
- 3 تعاونيات استهلاكية.
- 7 مقتصديات.
- 3 أسواق بلدية.
- 4 أسواق حضرية (مقابل 24 سوق قروي).

الإحصاء العام للسكان والسكنى، مديرية الإحصاء، الرباط، 1982 / 1994 :

Collectif, *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 : A. Adidi, *Espace minier et formes de croissance urbaine, le bassin phosphatier de Khouribga*, thèse 3è cycle, Université Lyon III, 1986 ; *Monographie de la province de Khouribga*, 1994 ; M. El Ghalamy, *Planification urbaine et actions économiques des collectivités locales*, mémoire INAU, Rabat, 1998

عبد العزيز عديدي

خريتيس، Chrétès اسم واد ورد في رحلة حنون القرطاجي، الذي قام بجولة بحرية عبر المحيط الأطلسي، في بداية القرن الخامس قبل الميلاد، حسب اتفاق معظم الدارسين. والجدير بالذكر أن نص هذه الرحلة وصلنا في ترجمته الإغريقية. وهكذا فكلمة خريتيس التي أطلقت على هذا الوادي لأول مرة، هي نقل للاسم الذي كتب بالحروف البونية في النص الأصلي للرحلة.

بعدما تعرف حانون عن جزيرة كيرني Kerné، تحدث عن الوادي في النص التالي : "انطلاقا من هذا المكان (يقصد كيرني) اخترنا بسفننا نهرا عظيما يدعى خريتيس، ثم بلغنا إلى مرجة تحتضن ثلاث جزر أكبر من كيرني. وانطلاقا من هذه الجزر وبعد يوم كامل من الإبحار، وصلنا إلى نهاية المرجة التي تطل عليها جبال عالية مليئة بأناس متوحشين كانوا يرتدون جلود الحيوانات، ويرموننا بالحجارة لمنعنا من الرسو" (*Périple d'Hannon*, 9).

حسب آخر الدراسات التي قام بها الباحث الفرنسي روبونا حول جزيرة كيرني، فهو يطابقها مع جزيرة سيدي يوسف، المتصلة بوادي سبو على بعد 23 كلم من المحيط. وبذلك يظن أن خريتيس الذي اخترقه حنون هو وادي سبو نفسه، وأن المرجة التي بلغ إليها صاحب الرحلة تتكون من فيضانات سبو التي كانت تغمر مجالاً واسعاً بسهل الغرب

في القديم، قبل أن يتعمق الوادي كما هو عليه حالياً. وأن المرتفعات التي شاهدها هي جبل أوطيطة وجبل بودرعة ثم جبل حريشة.

لقد اهتدى الباحث إلى هذه الملاحظات على ضوء المعلومات التي وردت في نص الرحلة، حول المرحلة التي قطعها قبل الوصول إلى وادي خريتيس. فقبل هذا الوادي انطلق حانون وأصحابه من وادي لكسوس (اللكوس)، واستغرقوا يومين من الإبحار في اتجاه الجنوب. ثم حولوا اتجاههم نحو مشرق الشمس لمدة يوم كامل حتى وصلوا إلى كيرني (*Périple d'Hannon*, 8).

وهكذا اقتنع الدارس بأن مسافة يومين أوصلت حانون إلى مصب وادي سبو. وحينئذ استمر المكتشفون في اختراق الوادي الذي كان يبدو لهم كخليج. ثم إن اتجاههم قد تغير فعلاً من الشمال إلى الجنوب ليصبح من الغرب إلى الشرق. ولما تقدموا كثيراً وجدوه وادياً، وعلموا أن اسمه خريتيس بواسطة المترجمين الذين اصطحبوهم من أهل لكسوس.

ومن جهة أخرى يلاحظ روبوفا، كمثل الباحث الفرنسي ديزانج، أن هناك تقاربا بين اسم وادي خريتيس وآخر سماه سكولكس كراتيس Krathis أو كرابيس ,Périple de Scylax Krabis : 112، وسماه أرسطو كريمتيس *Chremetes* ؛ (Aristote, *Meteor*, I, 13, 21) والذي هو كراتيس Crathis عند بلينيوس الشيخ (Pline l'Ancien, 37, 38) وكلها أسماء متقاربة وتطابق وادي سبو.

مسألة أخيرة حول خصائص خريتيس، هي صلاحيته للملاحة كما أكد ذلك حانون الذي اخترقه بسفند. وهنا نشير إلى بلينيوس الشيخ، الذي تحدث عن وادي سبو وسماه مرة سوبوس Sububus وأخرى سبوبة Sububa قد أكد أنه واد رائع وصالح للملاحة (Pline l'Ancien, 5, 5 . *Magnificus et navigabilis*). وقد أكد نفس المصدر أن وديانا أخرى تصب في البحر المتوسط، كانت صالحة للملاحة أيضاً. هي ملوشة Mulucha أو ملوان Malvane (ملوية) ثم تامودة Tamuda (واد مارتيل) وأخيراً لاود Laud (واد لاو) (Pline l'Ancien, 5, 18).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*. Paris, 1924 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranées aux confins de l'Afrique*. Reme, 38, 1978 . R. Rebuffat, *Recherches sur le basin de Sebou*, 2. *Le Périple d'Hannon*. B.A.M. 16, 1985 - 6, p. 253 - 83.

محمد مجدوب

الخريرز، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني عروس انتقلت إلى تطوان في حدود سنة 1129 / 1717، وتدّعي أنها فرع من أسرة الخراز.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 614.

محمد ابن عزوز حكيم

خْريرُو، لقب أطلقه زعيم المقاومة المسلحة بالشمال الغربي الشريف مولاي أحمد الريسوني على المجاهد الشاب أحمد بن محمد أسْبُو الذي ولد بمدشر دار الغازي بفرقة الواديين من قبيلة بني حزمر في حدود سنة 1316 / 1898.

كان خريرو في أيام حداثته يرعى ماشية القائد الخطيطي، وفي سنة 1332 / 1914 التحق برباط دار ابن قريش حيث أصبح من خدام الشريف الريسوني يرافقه في حركاته وسكناته إلى أن فكر ذات يوم في أن يقوم بعملية اختطاف خطط لها مع جماعة من أصدقائه الشباب (دون علم الشريف الريسوني) وفي ليلة 11 نوفمبر 1921 اقتحم عرصة المدير العام للأحباس في الحكومة الخليفية علي السلاوي الواقعة خارج باب العقلة واختطفه صحبة حفيدته السيدة عشوشة بنت باشا تطوان الحاج أحمد الطريس.

وما إن علم الشريف سيدي محمد الخراز المعروف بولد حميدو السكان خليفة الشريف الريسوني الذي كان يوجد بدار بن قريش حتى تعرض لقافلة خريرو وأرغمه على تسليمه المختطفين وتوجه بهما إلى تازروت حيث أكرمها الشريف الريسوني إلى أن أعادهما إلى ذويهم.

وأما خريرو فقد توجه إلى غمارة وظل هناك إلى سنة 1342 / 1923 حيث وضع نفسه تحت تصرف أخ الأمير الخطابي الذي كلفه بعدة عمليات ضد المراكز الإسبانية الواقعة بقبائل بني زيات وبني سعيد وبني حسان ؛ وفي يوم 24 أكتوبر 1923 هاجم خريرو القطار العسكري الذي كان يربط ميناء مرتين بالمعسكر الإسباني بمدشر اللوزيين، حيث نصب له كميناً أخرجه عن سكته وأسفر الهجوم عن مقتل سبعة وجرح اثني عشر من الجنود الإسبانيين.

وقام خريرو بدور بارز في عرقلة عملية الانسحاب الإسباني عن بعض المركز الأمامية ابتداء من أواخر سنة 1924 إلى أواخر شهر فبراير 1925.

وخريرو هو الذي ترأس الحصار الشديد الذي أقيم بأمر من الأمير الخطابي على مركز كدية الطاهر (بقبيلة بني حزمر) من يوم 3 إلى يوم 12 سبتمبر 1925 ؛ وهو الذي هاجم مركز دار الغازي يومي 9 و12 سبتمبر من نفس السنة، كما هاجم مركز دار الراعي يوم 4 مارس 1926.

وعندما علم خريرو باستسلام الأمير الخطابي يوم 25 ماي 1926 ظل مع جماعة من المجاهدين معتصماً بجبال غمارة يشن من حين لآخر الهجمات ضد المراكز الإسبانية ويقطع الطريق على قوافل تمويل حامياتها.

وفي يوم 26 ربيع الثاني 1345 ونوفمبر 1926 استشهد خريرو في ساحة الشرف وعمره 28 سنة أثناء اشتباك مع كتيبة عسكرية إسبانية جرى بقبيلة بني يدر، ودفن بجوار ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بجبل العلم.

Archivo historico militar, Madrid ; Garcia Figueras. *Miscelanea de estudios varios sobre Marruecos*. Tetuan, [s.d] ; Servicio historico militar. *Historia de las campañas de Marruecos*. T. 4. Madrid, 1981

محمد ابن عزوز حكيم

الخريف، يقصد بالخريف الفترة الممتدة من 23 شتنبر إلى غاية 20 دجنبر من كل سنة وهي الفترة التي تعرف فيها الظروف الكونية إحدى الوضعيات المتميزة التي تكون فيها أشعة الشمس أثناء الثانية عشرة زوالاً من يوم 23 شتنبر متعامدة مع خط الاستواء، وينتج عن ذلك أن ما يسمى بدائرة الإضاءة تمر مباشرة بالقطبين فتتساوى على إثر ذلك مدة الليل والنهار عند مختلف العروض يعقبه مباشرة خلال فترة باقي الخريف تناقص مطرد ملحوظ لمدة النهار وتزايد ملموس وبالمقابل لمدة الليل وذلك طبعا بالنسبة للنصف الشمالي للكرة الأرضية. ويشكل الخريف بالنسبة للمغرب أحد الفصول ذات الأهمية الخاصة لكونه وبحكم العروض التي ينتمي إليها له خصوصية نوعية تميزه عن باقي الفصول الأخرى إن على المستوى البيواحياتي أو على المستوى المناخي وهذا التميز إنما هو نتيجة مباشرة للظروف الإشعاعية والطاقية التي تطبع هذه الفترة عند مختلف عروض النصف الشمالي.

وتبرز هذه الوضعية العامة بالنسبة للمغرب من الوجهة المناخية إذن ببداية تحرك نظام الضغط الجوي وتزحزحه نحو الجنوب تبعا لحركة الشمس الظاهرية. وبداية التحرك هاته نحو الجنوب يصاحبها تغير هام على مستوى الدورة الهوائية العامة عند عروض المغرب بعد تحولها من حركة ذات رتابة كبيرة خلال فترة الصيف إلى حركة للهواء، ذات تغايرية وتنوع كبيرين. وهذا يعني أن المغرب وكل عروض البحر الأبيض المتوسط قد أصبحت من جديد تحت تأثير جل المؤثرات الجوية للعروض الوسطى ولا سيما منها اضطرابات الجبهة القطبية المسؤولة عن التساقطات الرئيسية في المغرب بعدما كانت في منأى عنه خلال فصل الصيف الجاف والمميز للمناخ المتوسطي.

وكون أن هذا الفصل يأتي مباشرة بعد الصيف وقبل فصل الشتاء، جعل عناصره المناخية تطبع بخصائص مرحلية وانتقالية ما بين الفترتين، ويتجلى ذلك على وجه الخصوص أيضاً على الدورة الهوائية العامة بشكل عام والخصائص الحرارية لهذا الفصل بشكل خاص إذ أن التوزيع الزمني العام للحرارة عموماً يظهر تطوراً تنازلياً من بداية الفصل إلى نهايته ومرد ذلك طبعا إلى أنه مع تقدمنا الزمني داخل هذا الفصل يزداد تردد وصول الكتل الهوائية القطبية الباردة إلى عروضنا وذلك كنتيجة دوما للانتقال التدريجي لآليات الحركة الهوائية العامة للاستقرار جنوبا تبعا لحركة الشمس الظاهرية مما يجعل في الأخير أن الحرارات الوسطى لهذا الفصل تكون مرتفعة نسبياً مع بداية الفصل ومنخفضة في نهايته.

وهذه الصفة الانتقالية نلمسها أيضاً على آليات حركة الهواء عند عروض المغرب وخاصة في المستويات العليا والتي يكون بطغى عليها خلال بداية الفصل طابع الرتابة المميز لفصل الصيف بسبب الضعف النسبي للتناقض الحراري ما بين عروض النصف الشمالي الشيء، الذي يحد من سرعة التيار النفاث التي تستمر نسبياً خلال بداية الخريف مما يجعل رسم هذا التيار يشكل إنعراجات ذات مدى كبير. وهذه الوضعية بالذات هي التي ستسمح بتقدم أو تعمق الهواء البارد نحو الجنوب فيساهم ذلك في تنشيط فاعل للدينامية العامة لحركة الهواء. تكون من نتائجها المباشرة خلق ظروف جوية جديدة تبتدئ غالباً بما يسمى بنشوء اضطرابات محلية تهم على الخصوص السواحل المغربية من عرض أكادير إلى السواحل البرتغالية من خصائصها المميزة إعطاء تساقطات مهمة تقتصر على محيطها المباشر ويكون ذلك إيذانا ببداية الفترة الرطبة والتي سرعان ما تتأكد مع توالي تردد المسارات المختلفة لاضطرابات الجبهة القطبية والتي تهم تساقطاتها جل المناطق المغربية.

وتأتي تساقطات هذا الفصل من حيث الأهمية في المرتبة الثانية بعد التساقطات الشتوية في كل المناطق الساحلية عموماً وغزارة تساقطات هذا الفصل مرتبطة بتظافر عاملين أساسيين، أولهما الطبيعة الجد رطبة للهواء الذي يهم مناطقنا خلال الفترة لكونه يتوفر على كمية كبيرة من الرطوبة بسبب حرارته التي مازالت نسبيا مرتفعة. وثانيهما الدينامية العامة للهواء، عند هذه العروض والتي تؤدي إلى وصول الاضطرابات الجوية التي يزداد نشاطها خاصة بسبب تقدم حركة الهواء الغربية نحو الجنوب من ناحية وتوالي تعمق الهواء البارد في الأجواء العليا دائماً بإتجاه الجنوب أي بإتجاه عروضنا بسبب الأودية الباردة الكبيرة التي يشكلها خلال هذا الفصل رسم التيار النفاث فتتكون على إثر ذلك ما يصطلح عليه بالقطرات الباردة التي هي عبارة عن كتلة معينة من الهواء البارد جداً الذي انفصل عن مصدره وانتقل جنوباً ليعلو منطقة تتوفر على هواء أدفأ وهي تقترن غالباً عند السطح بمنطقة الاضطراب ومنخفضها الجوي المرافق والتي هي أيضاً مكان تصاعدات قوية لهواء حار ورطب بسبب عدم الاستقرار الناجمة عن تلاقي هوائين متناقضين من حيث الحرارة والكثافة هما الهواء القطبي والهواء المداري. ووجود هذه القطرات الباردة في الأجواء العليا يزيد من عدم استقرار الهواء المتصاعد داخل منطقة الاضطراب الشيء الذي يؤدي في آخر الأمر إلى الزيادة من فاعلية الجبهات وبالتالي من غزارة الأمطار فجل حالات الأمطار القياسية المسجلة في المغرب وكذا في شمال إفريقيا غالبا ما تحدث بسبب نفس الظروف وخلال نفس الفصل.

علي البليشي

الخزازرة، فرقة كبيرة من فرق قبيلة الأعشاش بالشاوية (راجع مادة الأعشاش) وقد أشار الضعيف الرباطي في *تاريخه* إلى أن الأعشاش كانوا ينقسمون في

أواخر القرن الثامن عشر إلى ثلاثة أقسام أولى هذه الأقسام وهي : الخزازرة ثم بنو يمان ثم أولاد محمد.

وقد استقلت فرقة الأعشاش بقبادتها منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفي 1315 / 1898 وزع الوزير أحمد بن موسى البخاري الأعشاش إلى سبع قيادات كانت قيادة الخزازرة في مقدمتها. وفي بداية القرن العشرين . خاصة عندما تم احتلال فرنسا للشاوية . أصبحت الخزازرة تكون مع المعاريف والأولاد والخلط وأولاد شعيب وأولاد عريف ما يسمى بأعشاش السهل في مقابل أعشاش الغابة الذين يتكونون من أولاد حمامة وأولاد عبد الله وأولاد الزيرق وأولاد عطو (عتو). وأحصيت خيام الخزازرة فوجدت ستمائة وخمساً وعشرين خيمة. تتوزعها ستة دواوير : الخمالشة، أولاد بوعزة، البرازين، أولاد بوبكر، أولاد بن يسف، أولاد العسري.

Villes et tribu du Maroc. Casablanca et la Chaouia.

T. 2 : Mege. *Les Mzab et les Achaches. A.B* . 1918.

علال الخديمي

الخزاعي، علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود بن موسى بن أبي غفرة يُكنَى أبا الحسن. وهذا الانتساب إلى خزاعة لا نعرفه لغيره في الأندلس والمغرب. يقول المؤرخ ابن الأحمر مؤلف كتاب تخريج *الدلالات السمعية*. إن أصل سلف الخزاعي من الأندلس من بني سعود، وبنو سعود موضع في شرق الأندلس من جهات مدينة مرسية، وفيها يقول حازم القرطاجني في مقصورته .

وحل في بني سعود عقدَه كلَّ حيٍّ عاقد فيها الحُبا

ويبدو أن موسى بن سعود . وهو والد جد الخزاعي . انتقل من بلده في شرق الأندلس إلى مملكة غرناطة بعد استيلاء المسيحيين على مرسية وجهاتها في منتصف القرن السابع الهجري، وقد وَلّي القضاء في بلدة تدعى أدلة بمملكة غرناطة، وخلفه على القضاء بها ولده الفقيه أحمد : وانتقل بعد ذلك إلى مدينة غرناطة، ووُلّي بها في الأشغال السلطانية، ثم إنه هاجر من غرناطة إلى تلمسان لسبب غيرمذكور فاستوطنها إلى أن توفي بها، وقد أورث ولده أحمد معرفة بالأشغال السلطانية والأعمال المخزنية أهلته لتولي الكتابة والوزارة لدى بني زيان ملوك "تلمسان".

أما ولده أبو الحسن علي موضوع هذه المادة فقد ولد بمدينة تلمسان عام 710 ونشأ بهذه المدينة وأخذ عن بعض علمائها أو زوارها كالخطيب أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مرزوق، والخطيب القاضي أبي البركات البلفيقي، ويبدو أنه تعلم أدوات الحساب والكتابة الديوانية على والده وبرع فيها . ولهذا استكتبه ملوك بني زيان وقلدوه خطة الأشغال السلطانية، وهي الخطة التي تقلدها والده وجده، وكما انتقل جد الخزاعي . فيما رأينا . من خدمة بني نصر إلى خدمة بني زيان انتقل حفيده أبو الحسن من خدمة هؤلاء ، إلى خدمة بني مرين إسوة بعدد من التلمسانيين كابن مرزوق والمقري الجد وغيرهما، وقد استكتب في الأشغال السلطانية بفاس في عهد السلطان أبي عنان وولده أبي بكر، وفي عهد أبي سالم وأبي زيان وأبي فارس والسعيد بالله. ولعل مهارته في عمله وأمانته في أدائه من أسباب استمراره في الخطة في عهود متقلبة، ولعل من أسباب ذلك أيضا أنه كان كريما سخيا كثير الصدقة والإيثار لم يكن في زمانه من يضاهيه في هذا.

لقد تفرغ الخزاعي في آخر حياته لتأليف كتابين في موضوعين متميزين :

أحدهما هو موضوع السماع أو الموسيقى، وتأليف الخزاعي في هذا الموضوع مفقود، وقد انفرد بذكره يحيى السراج في فهرسته . وقد كان صديق الخزاعي وشريكه في الأخذ عن بعض الشيوخ . قال : "سمعت من لفظه بعض تأليفه في السماع وناولني المبيضة.".

أما الموضوع الثاني فله تعلق بالخطة التي تقلدها هو وسلفه، واجتهد في أن يجد لها ولغيرها من الوظائف المخزنية أساسا سنيا وسندا شرعيا، وقد سمى تأليفه في هذا الموضوع كما يلي : *تخريج الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية*... وقد ذكر السراج هذا الكتاب كذلك، وقال : "وقرأت أو سمعت من لفظه بعض تأليفه المسمى بتخريج *الدلالات السمعية، على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية* وناولني جميعه وأجاز لي إجازة عامة".

وقد وصل إلينا هذا الكتاب الممتاز، وطبع أكثر من مرة، ويقول الخزاعي في الباعث له على تأليفه : "وبعد فإني لما رأيت كثيرا ممن لم توسخ في المعارف قدمه، وليس لديه من أدوات الطلب إلا مداد وقلمه، يحسبون من دفع إلى النظر في كثير من تلك الأعمال في هذا الأوان مبتدعا لا متبعا ومتوغلا في خطة دنية، وليس عاملا في عمالة سنية، استخرت الله عز وجل أن أجمع ما تأدى إليَّ علمه من تلك العمالات في كتاب يضم نشرها، ويبيّن لجاهليها أمرها، فيعترف الجاهل، وينصف المتحامل، فألفت هذا الكتاب..." وذكر الخزاعي في مقدمته أنه أهداه إلى السلطان المريني أبي فارس موسى بن أبي عنان، والكتاب ينقسم إلى عشرة أجزاء فيها مائة وثمانية وسبعون بابا تشتمل على مائة وست وخمسين خطة.

وقد اختصر هذا الكتاب رفاعة الطهطاوي في كتابه نهاية الإيجاز، وتوسع فيه وأضاف إليه الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية.

ومما يمتاز به تأليف الخزاعي أنه جعل الباب الأخير خاصا بذكر أسماء التواليف التي خرج منها مادة كتابه وهي مائة ونيف وستون تأليفا.

توفي الخزاعي رحمه الله بفاس . وذلك كما يقول صاحب السراج . بعد صلاة العصر من يوم الأحد الخامس من

ذي القعدة عام تسعة وثمانين وسبعمائة ودفن من غده يوم الاثنين.

مقصورة حازم، 1 : 193 : *فهرسة السراج* (مخطوطة) : ابن الأحمر، *نثير الجمان*، 249، 253، *مستودع العلامة* له أيضا : 62 *روضة النسرين* له أيضاً : 31 : ابن خلدون، *التعريف*، 43 : أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 247، 248 : *جذوة الاقتباس*، 489 : *لقط الفرائد*، 224 ؛ وانظر تخريج الدلالات السمعية، تح. الدكتور إحسان عباس

محمد بن شريفة

خُزَامَى (أيت -) منطقة تقع بإقليم ورزازات شرقا وفي الشمال الشرقي للكتلة الجبلية المعروفة بالسروة. ويكاد يكون شكلها مستطيلا طوله نحو 30 كلم، وعرضه نحو 15 كلم، ويوجد ضمن تراب المجموعة القبلية المسماة أيت واوزگيت. وتحد أيت خزامى أيت زينب في الشمال والشمال الشرقي وأيت مخليف غرباً مع أيت أزيلال. ولها في الجنوب حدود مع أيت تدراوت وأيت النقب، أما في الشرق، فإن أيت تماسين هي التي تحدها.

وترتب قرى بلاد خزامى حسب أهميتها : أماسين تأوي اليوم زهاء 400 عائلة، تعيش على ما تنتجه الحقول المجاورة من حبوب، وخاصة الشعير وتربية الأغنام. لكن مستوى المعيشة يبقى منخفضاً هزيلاً. وبعدها تأتي تماسيرت التي تحيط بها مزارع صغيرة على المدرجات الأرضية، كما هو حال أماسين. وكان يوجد في كليهما ملاح لطائفة يهودية انقطع اليوم دابرها. ثم تأتي تشاوكشت وتليها تيفدرا وتيزلا وهي مداشر لا غير.



والجدير بالذكر أن سكان المنطقة قاطبة اعتادوا الاعتماد على أنفسهم في كل شيء. وتتساكن بتراب هذه المنطقة قبيلة قديمة أخذت اسمها من لون الخزامى الذي هو اللون الذي تتميز به الصخور البركانية القاعدية والمزيجيات منها التي تغطي معظم مساحة هذه الجهة. ولهذه الطبيعة القاسية أثر على مزاج السكان الذين عرفوا قديما بغلظتهم وحرصهم على إثبات وإقرار وفرض خصوصيتهم على القبائل التي تخرج عن نفوذ واوزگيت، ولا سيما منها القبائل السوسية التي لم تستطع قديما أيت خزامى التعايش معها.

G. Chouben. *Histoire géologique* ; L. Gentil. *Dans le Bled es-Siba* ; F. Joly et P. Birot. *Excursion.*

أحمد بوجارن

الخُزامِيّ، أسرة تنتسب إلى آيت خُزامَى، القبيلة الكبيرة التي تدخل في تركيب قبيلة أيت واوزگيت بإقليم ورزازات. ويطلق هذا الاسم على إحدى أسر أسفي التي أسسها عناصر هاجرت من أيت خزامى واستوطنت أسفي في عهد لم يحدد. لكن المؤكد - حسب ما لدينا من وثائق -، أن أحدهم يسمى محمداً قدم إلى أسفي خلال نهاية القرن الثامن عشر مرفوقا بعدد من أفراد عائلته كان من بينهم ولدان، أحدهما اسمه امحمد والثاني أحمد، وكل منهما أسس عائلة حتى إن الخزاميين يشكلون اليوم بأسفي فرعين متميزين، تضعف العلاقات بينهما مع توالي الأيام، علما أن خيوط المودة تربط بين عناصر قليلة من الفرعين بفضل المصاهرة.

زد على هذا انبثاق فرع ثالث، من الفرعين الأساسيين المذكورين سلفا، انقسم بدوره إلى شعبتين، إحداهما توجد بمراكش وقطعت علاقاتها بأصولها بأسفي؛ والثانية توجد بالدار البيضاء، وسارت على نفس الدرب. وهذه الظاهرة ترجع أساساً إلى انقطاع الأجيال المتأخرة عن عهد آبائها.

وعلى كل فإن ذاكرة أسفي سجلت بعض الأسماء، منهم، حظوا في حياتهم وبعد مماتهم بالاعتبار والتقدير، إما لمواقفهم المشهودة من الوقائع التي شهدتها الساحة الاجتماعية والسياسية في وقتهم، وإما لرفعتهم في المعرفة والعلوم الدينية وغيرها، أو لمكانتهم في التجارة والصناعة المحلية التي ارتقت على أيديهم. منهم من يردد أن اسمهم دال على أصلهم العربي بانتمائهم إلى بني خزيمة. وهذا غير صحيح، إذ يرد ذكرهم في بعض الرسوم على أنهم "أولاد أخزام" بالصيغة البربرية.

الخزامي، أحمد بن دحمان لا يُعرف تاريخ ميلاده. تلقى قسطا من العلم بأسفي، ثم انتقل إلى فاس حيث درس على شيوخ القرويين. وبعد رجوعه إلى أسفي، صار عدلاً. ثم أنيطت به نيابة القضاء في عهد القاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم عام 1908. كان من الفضلاء ووجهاء المدينة، كريما، طيب الأخلاق توفي في غضون عام 1337 / 1918.

الخزامي، بوزيد بن أحمد بن محمد. تلقى تعليمه الأساسي بأسفي، ثم قضى سنتين بمراكش طلبا للعلم ثم ذهب بعد ذلك إلى فاس. ولما رجع إلى أسفي، اشتغل

بالتدريس إلى أن أسندت إليه نظارة الأوقاف سنة 1290/1873. كان من أفضل رجالات المدينة توفي سنة 1320 / 1902.

الخزامي، دحمان بن **محمد** تاريخ ميلاده غير معروف. هو الفقيه العالم، ذو الاخلاق السوية، الذي كان يحظى باحترام الأهالي واعتبار سلطات المدينة. مارس مهنة العدل والتدريس وكان في حينه مرجعا في مسائل الشرع في علاقته مع من تتطاول أيديهم على أملاك الغير، خصوصا في عهد القائد عيسى بن عمر. وكان دحمان مرشداً موثقا لمن خلفوا القائد الطيب بنهيمة علي عمالة أسفي. (راجع مادة *بنهيمة*، *معلمة المغرب*). توفي في غضون عام 1322 / 1904.

الخزامي، صالح بن **أحمد** (وهو شقيق بوزيد السالف الذكر) تاريخ ميلاده غير معروف. بعد أن تلقى تكوينه بأسفي، ذهب إلى مراكش للمزيد من المعرفة. وبعد رجوعه إلى أسفي اشتغل لتوه بالتجارة فربح في أعماله ربحاً كبيراً. وكانت له متاجر أيضاً بمراكش، وتعامل مع أهل البادية في تربية المواشي، فكانت أعماله مزدهرة.

كان من أهل الفضل والجود، وموجعا لكل ذي حاجة. توفي عام 1340 / 1921. ومازالت بعض ممتلكاته قائمة بالمدينة العتيقة لكنها توجد في حالة اهمال وانهيار.

الخزامي، مَحمد بن **أحمد** بن **دحمان** ولد عام 1886، تلقى تعليمه الأساسي بأحد الكتاتيب القرآنية، وكان ميالاً إلى تعلّم الصناعات اليدوية، مُحبًا أن يكون "معلما". فأدخله أبوه إلى معمل لصناعة البلاغي للرجال والنساء تحت رئاسة صانع ماهر، يسمّى محمد بن التهامي الرباطي – الذي استقرّ بأسفي عام 1890 –، وكان عليه إقبال كبير. ولما اكتسب مَحمد ما كان يريده من المهارة، استقل بمعمل وصار له صناع يشتغلون تحت رئاسته. واشتهرت صناعته وأخذت بضاعته تروج بمراكش والصويرة والجديدة. وخصّته السلطات المحلية في عهد الاستعمار



بعنايتها، فأدرجته في لائحة الأعيان. فربطته صداقة متينة باثنين من رجالاتها وهما باشا أسفي الطاهر المقري والخليفة الشهير علال الوزاني، وأصبح الأهالي يسمونه الأمين. وكان حقّاً أميناً يؤدّي عمله بإتقان ولم تبر له سلعة، وكان أميناً على كافة صناع حنطة الخرازة. وكان أميناً بطهارة أخلاقه وسلوكه وجوده وكرمه، محبًا للفقراء والمعوزين، ولم يكن يفكّر في جمع المال والثراء. وكان أميناً أيضاً بسلوكه الوطني إذ استطاع أن يأمن شرّ السلطات في عهد المحنة والأزمة فصبّ عطفه بل تعاونه السرّي مع الوطنيين، ونقل الأخبار من خلية بالدار البيضاء إلى خلية بأسفي دون أن يكتشف أحد هذا الأمر في وقته، إذ لم تكن مرتبته الاجتماعية المتميزة لتثير الشكوك حوله. فأدّى مهمته أحسن تأدية. ومات في غضون 1966 دون أن يترك شيئاً من حطام الدنيا.

أ. بنجلون، *عائلات أسفي*، مخطوط ؛ محمد بن أحمد الكانوني، *أسفي وما إليه*.

أحمد بنجلون

الخزانة بالمغرب أو خزانة الكتب أو المكتبة، يعتقد بعض الباحثين أن أصلها يرجع إلى رفوف المصاحف الشريفة بالمساجد التي بُنيت بالمغرب الأقصى إبان الفتح الإسلامي، حيث أقام بعض القراء من الفاتحين أو ممن جاء بعدهم يعلّمون سكان هذه البلاد القرآن الكريم حفظاً وكتابة. وبعد تأسيس جامع القرويين سنة 245 (858 م) تكاثر عدد مهاجري القيروان والأندلس إلى فاس، وفيهم فقهاء ومدرسون حملوا نواة الخزانة العلمية الأولى، التي ربما لم تكن أيضاً غير رف أو رفوف في أحد أركان الجامع قبل أن تخصص لها إحدى المقاصير حين قام الأمير أحمد بن بكر الزناتي في حدود سنة 345 (956 م) بتجديد جامع القرويين وتوسيعه، بإشارة من حليفه الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي كان المثل يُضرب بخزانته العلمية، ولا يُعقل أن يُغفل مشروع توسيع الجامع جانبَ الخزانة فيه.

وقد عرفت الخزانة العلمية بالمغرب تطوراً مع المرابطين الذين وحّدوا العدوتين المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حاضرتهم مراكش مهبط الفقهاء والعلماء والأدباء، ثم بنى ثاني ملوكهم علي بن يوسف بن تاشفين جامع ابن يوسف العظيم في حدود سنة 520 (1126م) ويُظنّ أن إحدى مقاصيره خصصت للكتب فكانت منطلق خزانة ابن يوسف المعروفة حتى اليوم. وتذكر كتب التاريخ والتراجم توافد الفقهاء والأدباء والكتاب على حاضرة مراكش أيام أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، وتنافسهم في تقديم مؤلفاتهم ومنتسخاتهم إلى هذا الملك الكريم الشغوف باقتناء الكتب والحفاظ عليها، حتى إنه لما مات الطبيب زهر بن عبد الملك ابن زهر أمر أمير المسلمين

بجمع مصنفاته، فجمعت في المغرب والأندلس وانتُسخت عام 526 (1131م) ولاشك أن هذه الكتب دخلت إلى خزانة علي ابن يوسف الخاصة أو العامة.

وإذا كنا لا نتوفر، إلى جانب القرائن المذكورة، على وثائق مادية تثبت وجود خزانة القرويين في عهد الأدارسة والزناتيين، فبعكس ذلك هناك براهين قاطعة على وجود خزانة مراكش المرابطية، وذلك أجزاء من كتاب *الموطأ* في رق الغزال محفوظة بخزانة القرويين جاء في الجزء الحادي عشر : "مما كتبه لخزانة أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف أدام الله تأييده ونصره... وكان الفراغ منه بحضرة مراكش - حرسها الله - غرة شعبان من سنة اثنتين وخمسمائة" وشبه ذلك في أجزاء أخرى منه.وفي خزانة عبد الحي الكتاني المودعة اليوم في الخزانة العامة بالرباط خمسة مخطوطات كانت في حوزة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين منها مصحف شريف وكتاب *مشكل القرآن* لابن قتيبة.

ولما كان المهدي ابن تومرت أوصى الموحدين ألاّ يدخلوا مراكش إلا بعد تطهيرها، أي محو كل آثار المرابطين منها، فإن عبد المومن بن علي بعد أن تمت له الغلبة سارع إلى هدم جامع ابن يوسف وكل مرافقه، وشيَّد بالمقابل جامع الكتبية الذي كان يحيط به مائتا دكان لبيع الكتب، كما أسس حفيده يعقوب المنصور "قصر الخلافة وسط المدينة التي اختطها خارج مراكش (القصبة السلطانية) خاصة به وبخواصه ... وفي رحبة القصر قصر الخلافة دار الكرامة والأضياف، وفي هذه الرحبة المدرسة، وهي مكان جليل به خزائن الكتب" (*مسالك الأبصار*، ص. 145 - 147) وأسس عمر المرتضى من متأخري الملوك الموحدين خزانة عمومية أخرى بقصبة مراكش مازال بعض مخطوطاتها قائماً في خزانة ابن يوسف يحمل وثيقة التحبيس (*المصدر السابق*، ص. 147 هامش 1).

وليس بسرٍ نشاط المجالس العلمية للملوك الموحدين بمراكش، خاصة أيام السلطان العالم أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن صاحب "الخزانة العالية" الذي كان من الملازمين له الفيلسوفان ابن الطفيل وابن رشد الحفيد والأديب الكبير أبو العباس ابن الصقر الذي قال فيه ابن عبد الملك : "أتقن أهل عصره خطأ وأجملهم فيه منزعاً، وكتب من دواوين العلم ودفاتره ما لا يحصى كثرة وجودة وضبطاً ... ألزمه خطة الخزانة العالية، وكانت عندهم من الخطط الجليلة التي لا يعيَّن لتوليتها إلا علية أهل العلم وأكابرهم" (*الذيل والتكملة*، 1 : 225 و228). وفيها طلب أبو يعقوب من ابن رشد أن يلخص كتب أرسطو ويقرّب أغراضها بعد أن يفهمها جيداً. قال ابن رشد : "فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من كتب أرسطوطاليس".

وتمتاز مدينة سبتة بحكم موقعها الجغرافي كأقرب نقطة اتصال بين المغرب والأندلس وبحكم تاريخها السياسي والعلمي المطبوع بجاذبية قوية بين فاس ومراكش من جهة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة من جهة أخرى، بريادتها في ميدان الخزانة العلمية. وأكثر خزائنها من إنشاء أسر نابهة توارثت العلم والجاه أجيالاً متعاقبة، كبني العجوز الكتاميين الذين تخرج جدهم عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 418) بالإمام ابن أبي زيد القيرواني وطبقته، وتسلسل الفقه والقضاء في أبنائه قروناً عديدة. وهم من شيوخ القاضي عياض الذين تحدث عنهم في كتابه *ترتيب المدارك*، وظلت خزانة بني العجوز أشهر الخزائن بمدينة سبتة إلى ما قبيل سقوطها.

وجاء في كتاب *اختصار الأخبار* للأنصاري السبتي أن عدد الخزائن العلمية بسبتة "اثنتان وستون خزانة كان منها في الزمن القديم بدور الأكابر وذوي الأقدار خمس وأربعون خزانة... وكان منها في زماننا (أوائل القرن التاسع (15م) سبع عشرة خزانة، تسعٌ بدور الفقهاء الصدور... وثمانٍ موقفة على طلاب العلم، أقدمها الخزانة الشهيرة ذات الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة خزانة الشيخ أبي الحسن الشاري المذكور التي بالمدرسة المنسوبة إليه التي ابتناها من ماله، وهي أول خزانة وُقفت بالمغرب على أهل العلم. وأعظمها إحدى خزانتي الجامع العتيق الكائنة بشرقي صحنه وبإزاء باب الشواشين" ثم تتبَّع الأنصاري مواقع هذه الخزائن بمختلف مساجد سبتة ومدارسها. وبحث المهتمون بتاريخ الخزانة العلمية بالمغرب وفي مقدمتهم العالمان المرحومان محمد المنوني ومحمد العابد الفاسي، قضية أولية خزانة أبي الحسن الشاري بسبتة كخزانة عامة، ويبدو أن هذه الأوليّة إنما هي بالنسبة لسبتة. وسبقتها خزائن عامة في مدن مغربية أخرى.

كان لبني مرين سياسة متفتحة مندفعة في ميدان تأسيس المدارس والخزائن العلمية، سواء في حاضرتهم فاس أو في مدن أخرى من أقصى الشمال إلى الجنوب، وفي تلمسان والجزائر، حتى قيل إنهم أول من أنشأ هذه المعاهد العلمية بالمغرب. واستقصى الخطيب ابن مرزوق التلمساني في كتابه *المسند الصحيح الحسن* المدارس المرينية، ومنشآت أبي الحسن بصفة خاصة، وتحدث في الباب الحادي والأربعين عن نفائس الكتب المحبسة على خزائن هذه المدارس.

ولما تغلب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول ملوك بني مرين على ملك قشتالة سانشو ابن الفونسو العاشر وصالحه في 20 شعبان عام 684 (21 أكتوبر 1285) على شروط جد ملائمة لصالح مسلمي الأندلس، أمره أن يبعث إليه بما يجد في بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين، فبعث إليه سانشو، ثلاثة عشر حملاً فيها مصاحف وكتب في التفسير والحديث وأصول الفقه وفروعه واللغة والأدب، أمر أبو يوسف بحملها إلى فاس وحبسَّها على طلبة العلم بمدرسة الحلفاويين (الصفارين) التي كان

شيّدها بجوار جامع القرويين (*القرطاس*، ص. 363 ؛ *العبر*، 7 : 434 ـ 435). "وقد نُقلت كتب خزانة مدرسة الحلفاويين في زمن غير محدد إلى الخزانة التي أسسها أبو عنان المريني بجامع القرويين" وتوجد بها الآن جملة من الكتب مرسوم في أول ورقة منها أنها من كتب خزانة مدرسة الحلفاويين... وأكثرها من نوادر مخطوطات الأندلس ومكتوبة في رق الغزال. كما يوجد بالخزانة (القرويين) وثائق أخرى من وقف أبي الحسن على المدرسة الحلفاوية المؤسسة من قبل جده". (*الخزانة العلمية*، ص 25).

تقع خزانة أبي عنان بأعلى مستودع الجانب الشرقي بجامع القرويين في بناية أثرية متوسطة نُقش بأعلى بابها في الخشب بحروف ناتئة : "مما أمر به... أمير المومنين أبو عنان بن الخلفاء الراشدين... إنشاء هذه الخزانة السعيدة، الجامعة للعلوم المجيدة، المشتملة على الكتب التي أنعم بها من مقامه الكريم، المحتوية على أنواع من العلوم الواجب لها التعظيم والتكريم. جعل ذلك ـ نصره الله ـ وقفاً مؤبداً لجميع المسلمين... وذلك في جمادى الأولى عام خمسين وسبعمائة" (*المصدر السابق*، ص. 27 ـ 28) وأضاف علي الجزنائي أن أبا عنان "أخرج لها من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان، واللسان والأذهان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها، وتنوع ضروبها وأجناسها، ووقفها ابتغاء الزلفى، ورجاء ثواب الله الأوفى، وعيّن لها قيماً لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة، وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعناية" (*زهرة الآس*، ص. 79). ومازالت بقايا مخطوطات خزانة أبي عنان محفوظة بخزانة القرويين، وكلها نفائس وذخائر. وكذلك المخطوطات التي أوقفها بنو وطاس على هذه الخزانة.

ثم عرفت الخزانة العلمية بالمغرب نقلة نوعية مع الشرفاء السعديين في مطلع القرن العاشر (16م) حيث اتسعت الرقعة الجغرافية للخزائن تبعاً لاتساع المراكز العلمية وانتشارها في البوادي فضلاً عن المدن، لا سيما في جبال الأطلس وما وراءها من بلاد تافيلالت ودرعة وسوس. ودخلت كميات كثيرة من الكتب الأندلسية إلى المغرب مع الأفواج الأخيرة من المهاجرين بعد سقوط غرناطة وجلبت أخرى من الشرق والصحراء والسودان، إضافة إلى وفرة المؤلفات المغربية في هذا العصر.

لقد وُجدت في المغرب السعدي عشرات الخزائن العامة والخاصة (*الحركة الفكرية*، 1 : 182 ـ 194) أشهرها : خزانة القرويين التي شيدها أحمد المنصور في قبلة الجامع، وهي باقية حتى اليوم، فتح لها باب في حي الصفارين. تشتمل على أنفس الكتب القديمة والحديثة في جميع الفنون، ويتصل بقبة الكتب فيها حريم يدخله القراء من بويب قريب من المحراب.

وأسس السعديون أوجدوا في حاضرتهم مراكش عدداً من الخزائن العلمية كخزانة جامع ابن يوسف التي أحياها عبد الله الغالب وأوقف عليها كثيراً من نفائس المخطوطات مازال بعضها يحمل وثائق تحبيسه، وذلك حين شيد بجوار هذا الجامع المدرسة البديعة المنسوبة إليه وإلى الجامع بحكم الجوار (مدرسة الغالب ومدرسة ابن يوسف)، وكخزانة جامع الشرفاء (المواسين) الذي أسسه نفس الملك عبد الله الغالب وأوقف على خزانته هو وآله من الكتب ما لا يحصى كثرة. وكان يتردد على هذه الخزانة أحمد بابا التنبكتي خلال إقامته بمراكش، ومنها استقى مادة كتبه الشهيرة في التراجم (*نيل الابتهاج*، 53 و197 و265) ؛ وكخزانة جامع الحرة بباب دكالة الذي أنشأته مسعودة الوزكيتية أمّ المنصور ووقفت هي وأحفادها على خزانته عدداً وافراً من الكتب القيمة ؛ وكخزانة الحرم العباسي التي أسسها الأمير أبو فارس عبد الله بن أحمد المنصور في قبلة الجامع الكبير الذي شيده بجوار ضريح أبي العباس السبتي. وقال أحمد المقري عن هذه الخزانة : "وحبّس عليها خزائن من الكتب العتيقة". (*روضة الآس*، ص. 59).

ومن الخزائن العامة الكبرى أيضاً في العهد السعدي، خزانة الجامع الكبير بالمحمدية (تارودانت)، وهي من تأسيس محمد المهدي الشيخ عند ما جدد مدينة تارودانت بالسوس في حدود سنة 935 / 1528. وخزانة دار العدة في فكيك من تأسيس الشيخ عبد الجبار بن أحمد الفكيكي رأس الأسرة العالمة الشهيرة آل عبد الجبار، في مطلع القرن العاشر (16م) وخزانة الزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، من تأسيس الشيخ أبي بكر بن محمد الدلائي أواخر هذا القرن، وازداد عدد كتبها بما أمدّها به أبناء الشيخ وحفدته العلماء والأمراء حتى شبهها بعضهم بخزانة الخليفة الأموي الحكم المستنصر.

أما الخزائن الخاصة في العصر السعدي فتأتي في طليعتها خزانة أحمد المنصور وخزانة ابنه زيدان. ضمت خزانة المنصور عيون الكتب في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية. وضمتها مؤلفات علماء المغرب والمشرق المعاصرين له، كانوا يتنافسون في إهدائها إلى الخزانة المنصورية ويذكرون ذلك في مقدمات تلك الكتب. وكان المنصور يجزل لهم العطاء. وقد رتب المنصور في رحاب خزانته وراقين حاذقين بضروب الخطوط المغربية والمشرقية يكتبون إلى جانب المداد بمحلول الذهب والعنبر المسقي بماء الورد، وينشفون بالتبر بدل التراب ؛ وفنانين يقومون بالتجليد والترويق، فضلاً عن الوراقين في القاهرة واصطنبول والحرمين الشريفين الذين لا يفترون عن إمداد خزانة المنصور بما ينتجون. وكانت رُسلُ المنصور تتردد على المشرق حاملة أوقار الذهب النضار مكافأة للمؤلفين والوراقين والشعراء. ومازالت بعض مخطوطات خزانة المنصور بترها محفوظة في بعض الخزانات العامة.

وكانت خزانة زيدان كذلك عامرة بنفائس المخطوطات خاصة كتب التفسير واللغة والأدب، ثم أضيفت إليها خزانة

المنصور أو بعضها بعد وفاته، غير أن قسماً منها ضاع في الفتن التي شبت بين أبناء المنصور وبينهم وبين الثوار على الحكم. ولما خرج زيدان من مراكش على إثر هزيمته أمام ابن أبي محلي أخذ معه إلى أسفي ـ في جملة ما حمل من ذخائر ـ ثلاثة آلاف كتاب بعث بها في سفينة إلى سوس، فاعترضها القراصنة الإسبان وحُملت إلى دير الإسكوريال بضاحية مدريد.

ولما آلت الخلافة إلى الشرفاء العلويين في أواخر القرن الحادي عشر (17م) أولوا اهتماماً خاصاً بالخزانات العلمية، وأهم ما استُحدث منها في هذا العصر: خزانة السلطان الرشيد بن الشريف بالجامع الأعظم من المدينة البيضاء (فاس الجديد)، وخزانة المولى إسماعيل في دار خاصة بقصره بمكناس وكان يقوم عليها الوزير العالم أحمد اليحمدي ؛ وقد أوقف محمد بن عبد الله مخطوطات خزانة جده المولى إسماعيل على طلبة العلم ووزعها على خزائن جامع القرويين بفاس والجامع الكبير بمكناس وجامع ابن يوسف بمراكش وغيرها، وكوّن هذا السلطان الخزانة الملكية بالرباط التي تعد من أغنى خزانات المخطوطات بالمغرب وأصبحت تدعى في العقود الأخيرة الخزانة الحسنية.

ومن كبريات خزانات العصر العلوي كذلك الخزانة الناصرية بتامگروت درعة أسسها الشيخ العالم الصالح مَحمد ابن ناصر الدرعي، (ت. 1085 / 1074) ووسعها وأثراها ابنه وخليفته من بعده أحمد ابن ناصر بما اقتنى أو استنسخ لها من أمهات الكتب في المغرب والمشرق ؛ والخزانة الحمزاوية بالزاوية العياشية في ملتقى الأطلسين الكبير والمتوسط، أسسها العالم الرحالة أبو سالم العياشي (ت. 1090 / 1679) وأثراها كذلك ابنه العالم حمزة وإليه تنسب ؛ والخزانة الوزانية، وهي من تأسيس حفدة الشيخ مولاي عبد الله الشريف (ت. 1089 / 1678) وكانت حتى منتصف القرن الرابع عشر (20 م) محفوظة داخل ضريح هذا الشيخ في ثمان خزائن خشبية، مشتملة "على العدد الجمّ من الدواوين العلمية من كل فن" يشرف عليها مقدمو الضريح. وخلال سنة 1368 / 1947 نقلت الخزانة إلى مقرها الحالي في قبلة المسجد الأعظم في بيت مجهز بالرفوف الخشبية، ونسبت إليه فسميت خزانة المسجد الأعظم بوزان.

ومنذ مطلع القرن الثالث عشر (19 م) أخذت المطبوعات العربية الواردة من الشرق تدخل الخزائن العلمية المغربية، وتكاثر عدد المطبوعات بعد ظهور المطبعة الحجرية بفاس في النصف الثاني من هذا القرن. ولما فُرضت الحماية على المغرب أ ُسست خزانتان كبريان، الخزانة العامة بالرباط (انظرها فيما يلي) وخزانة أخرى في مدينة تطوان، وفي كلتيهما عدة أقسام، بعضها للمخطوطات، وبعضها للمطبوعات بالعربية واللغات الأجنبية، والكتب والجرائد والدوريات والوثائق. بالإضافة إلى خزانات عمومية صغرى في الأقاليم على غرار خزانتي الرباط وتطوان.

وأشهر الخزانات الخاصة في هذه الفترة الخزانة الكتانية بفاس للشيخ عبد الحي الكتاني وهي أغناها بالمخطوطات النادرة ؛ وخزانة نقيب الأشراف عبد الرحمن ابن زيدان بمكناس، وخزانة القاضي عباس ابن إبراهيم بمراكش ؛ والخزانة الصبيحية بسلا للباشا الحاج محمد الصبيحي، وخزانة الشيخ عبد الله گنون بطنجة، وخزانة الشيخ محمد داود بتطوان الغنية برصيدها الصحفي والوثائقي.

وبعد الاستقلال فتحت جامعات ومدارس عليا ومعاهد ووزارات تقنية وظهرت فيها خزانات كبرى متخصصة مازالت تتوسع وتتنامى. وتطوع بعض المحسنين فأوقفوا خزاناتهم الخاصة وفتحوها لعموم القراء، مثل الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، وخزانة عبد الله گنون بطنجة، وخزانة محمد داود بتطوان. وقد أ ُسند قطاع الكتب والخزانات أو المكتبات إلى وزارة الشؤون الثقافية التي حرصت على توسيع شبكة الخزانات العمومية في المدن والقرى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب لتسهيل القراءة والتشجيع عليها ووضع الكتاب المناسب بين يدي القراء في كل مكان. وحسب الإحصائية الأخيرة لهذه الوزارة فإن الخزانات العمومية التابعة لها بلغ 153 خزانة. وفي إطار النهوض بالعالم القروي في الألفية الثالثة، خططت وزارة الشؤون الثقافية لفتح مائة خزانة كل سنة قصد توفير خزانتين لكل جماعة قروية.

القاضي عياض السبتي، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، تطوان، 1403 / 1983، الجزآن 7 و8 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. الجزناني، *زهرة الآس*، باعتناء الفريد بيل، الجزائر، 1340 / 1922 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر الأول، تح. م. بن شريفة، بيروت، د. ت ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1959، الجزء السابع ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار* (الباب 13)، تح. م. المنوني، مجلة البحث العلمي، عدد 1، 1964 ، ص. 131 ـ 153 ؛ م. الأنصاري، *اختصار الأخبار عمّا كان بسبتة من سني الآثار*، تح. م. ابن تاويت التطواني، مجلة *تطوان*، عدد 3 ـ 4 السنة 58 ـ 1959، ص. 73 ـ 95 ؛ أ. بابَ التنبكتي، *نيل الإبتهاج*، القاهرة، 1351 / 1932 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1383 / 1964 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، تح. ع. اللطيف الشادلي، الدار البيضاء، 1419 / 1998 ؛ م. العابد الفاسي، *الخزانة العلمية بالمغرب*، الرباط، 1380 / 1960 ؛ م. المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الرباط، 1977 ؛ المصادر العربية لتاريخ المغرب، المحمدية، 1410 / 1989 ؛ *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، ط 2، الدار البيضاء، 1996، دور الكتب في ماضي المغرب، مخطوط، خ. ح رقم 258 ؛ *قبس من عطاء المخطوط المغربي*، بيروت، 1999، ثلاثة أجزاء ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، المحمدية، 1396 / 1976، جزآن ؛ الصديق بن العربي، *مقدمة فهرس المخطوطات خزانة ابن يوسف*

براكش، بيروت، 1414 / 1994 ؛ فوزي، عبد الرزاق، *المطبوعات الحجرية في المغرب*، الرباط، 1989 ؛ وزارة الشؤون الثقافية، تقرير قسم الخزانات والمخطوطات عن سنة 1998 - 1999، الرباط، 1999 ؛ منجزات قسم الخزانات والمخطوطات في مجال القراءة العمومية، الرباط، يوليوز 1999 ؛ لائحة الخزانات العمومية التابعة لوزارة الشؤون الثقافية، الرباط، 2000.

محمد حجي

الخزانة العامة والوثائق للحماية أسس نظام الحماية الفرنسية بالمغرب المكتبة العمومية الكبرى القائمة بوظائف المكتبة الوطنية من جهة ووظائف مؤسسة الإداري من جهة أخرى، وسماها الخزانة العامة والوثائق للحماية Bibliothèque Générale et Archives du Protectorat بنتظر أن يتغير هذا الاسم إذا صدرت القوانين المؤسسة للمكتبة الوطنية للمملكة المغربية ولأرشيف المغرب وقد عرضتها وزارة الشؤون الثقافية على المناقشة الحكومية في شتنبر 1999 ومن المعلوم أن اسم "الحماية" لم يعد يظهر في التسمية المستعملة منذ حصول المغرب على الاستقلال.

أسس نظام الحماية هذه المنشأة للاستجابة للحاجيات الإدارية الخاصة لذلك النظام ولخطته في التعامل مع التراث والثقافة في المغرب ولمواجهة جزء من طلب الجمهور الأوربي المقيم في المغرب وفي الرباط خاصة. كانت تابعة للإدارة العامة للتعليم العمومي والفنون الجميلة والآثار (Antiquités). وقد أصدرت هذه الإدارة سنة 1930، - بمناسبة إقامة المعرض الدولي للمستعمرات بباريس - وثيقة تتضمن معلومات عن الخزانة نقتبس أهمها في هذه المادة.

في 11 يوليوز 1914 صدر ظهير بتسمية العقيد هنري دوكاستري مستشاراً تاريخياً للحكومة الشريفة وعهد إليه بإعداد تنظيم مصلحة للأرشيف، أي الوثائق التاريخية والوثائق الإدارية. وفي سنة 1921 حرر المستشار المذكور مذكرة في موضوع البحث عن الوثائق في المغرب، وقدم تعليقا عليها يوم 17 يناير من نفس السنة بمعهد الدراسات العليا المغربية بمحضر المقيم العام ليوطي. وذكر في مذكرته تلك ما أداه إليه تنقيبه في الوثائق الأجنبية بالخارج من العثور على وثائق غميسة نفيسة تتعلق بتاريخ المغرب وأواعز بأن يجرى بحث مماثل لجمع وثائق داخل المغرب علماً بأنها مشتتة عند العائلات المخزنية والعالمة.

توصل دوكاستري إلى الحصول على رصيد من الوثائق في وجدة وآخر في آسفي، ولكن مجموع ما استحق أن يصور منها لم يكن يتعدى مائتي قطعة. وتابع التنقيب فيما بعد ولا سيما بإعانة من علماء مغاربة أمثال محمد ساسي بسلا وعبد الرحمان بن زيدان بمكناس وجوستينار العارف بجهات سوس.

وقد اقتنيت مجموعتان من الرسائل الصادرة عن السلطان في القرن التاسع عشر : إحداهما اشتريت منذ 1920 ووقع إهداء الأخرى سنة 1927. واستخرجت مجموعة ثالثة أكثر أهمية من أحد القصور الملكية. وقد كلف الضابط سيكار Sicard مستعينا بأحد الطلبة بأن يضع فهرسا لهذه المجموعة الأخيرة بتنسيق مع الخزانة العامة.



وقد تنازلت بعض القنصليات عن وثائقها لإدارة الحماية ومنها قنصلية طنجة، ومن النفائس التي أودعتها جريدة القنصلية Journal du Consulat لسنة 1767.

وهكذا فإن الاهتمام بالوثائق سابق في عمل نظام الحماية عن الاهتمام بالخزانة فقد أنشئت بقرار للمقيم العام بتاريخ 2 فبراير 1917 خزانة إدارية مركزية للحماية ولكن وإلى غاية عام 1919 لم تكن هنالك خزانة عمومية للكتب من غير الخزائن الأصلية في الجوامع والمدارس والزوايا. ولكن المديرين المتعاقبين على معهد الدراسات العليا المغربية وعلى رأسهم نهليل Nehlil قد حرصوا على جمع الوثائق والكتب الضرورية لعمل مجموعات الباحثين المنضوين تحت مؤسساتهم، ومعظم الرصيد المتجمع لهم كتب تهم المغرب والغرب الإسلامي.

ولما قرر المقيم العام الجنرال ليوطي سنة 1919 إنشاء خزانة عامة كان يرى أن نواتها تكون ذلك الرصيد المتجمع في المعهد. فقد كانت فكرته هي تجميع كل أرصدة الوثائق في خزانة عمومية واحدة.

تولى بيير درسينيفال P. De Cénival سنة 1920 إدارة المنشأة الجديدة. وهو الذي حدّد قواعد التصنيف متكيفا مع مبدإ الفهرس العام على الجذاذات بحسب المؤلفين وبحسب المواد.

وهو الذي أعطى التوجيهات التي روعيت في تشييد بناية الخزانة. وكان المقيم العام ليوطي، وقد صار مشيراً، يزور الورش ويفتخر به بمعية ضيوف مرموقين من أمثال أميلي Amélie أميرة البرتغال والكاتب الفرنسي أندري جيد André Gide وغيرهما.

وفي سنة 1924 تم المبنى ونقلت إليه الكتب والوثائق. وانضاف إلى عمل فهرسة الكتب والوثائق عمل جرد أهم الدوريات.

وجاء ظهير 24 ربيع الثاني 1345 / 1 نونبر 1926 ليحدد الوضعية القانونية للخزانة بترقيتها إلى صف مؤسسة عمومية مديرها محافظ ويخطط لها مجلس إدارة. وقد جعل الظهير مهمة هذه المؤسسة في حفظ جميع أنواع الوثائق وتقديمها إلى العموم وتلقي الإيداع القانوني، وحدد تنظيمها الإداري والمالي وعهد إليها بمقتضى المادة التاسعة بتلقي الأرشيف الإداري بعد أقدمية عشر سنوات.

حرصت الخزانة على إغناء رصيدها من الكتب والوثائق ولا سيما في ميادين دراسات المغرب وشمالي إفريقيا والإسلام. وقد استطاع مديرها الأول نهليل أن يقتني كتب خزانتين مهمتين : خزانة ماء العينين التي اعتبرت "غنيمة حرب" وخزانة الحاج المختار بن عبد الله السوسي بمكناس. وكان يساعد على الاقتناء علماء من أمثال عبد الحي الكتاني وابن زيدان، ففي سنة 1920 أضيفت إلى كتب الخزانة كتب النادي الألماني بطنجة وكتب مطبوعة ومخطوطة صودرت في طنجة في أملاك السلطان السابق مولاي عبد الحفيظ، وفي سنة 1921 دخلت إليها مجموعة مكتبة الحاكم العام كلوزيل Clozel، وفي عام 1922 مجموعة كتب الموظف السامي بالجزائر Bernard، وفي 1929 دخلت إليها كتب القنصل الفرنسي Leriche.

وكانت كتب الثقافة العامة قد بدأت تدخل إليها ابتداء من 1924، علماً بأن غنى الخزانة يكمن في تخصصها في المواد المتعلقة بالمغرب والغرب الإسلامي وذلك بالعمل الوثيق مع معهد الدراسات المغربية العليا.

تعزز رصيد الخزانة من الدوريات ولا سيما بالتبادل حيث كان معهد الدراسات العليا يمكنها من مائة وعشرين عدداً من مجلة هسبيرس Hespéris تستعملها للحصول على ما يقابلها من مجلات الاستشراق واللسانيات والاثنوغرافية والجغرافية والفنون. وبالإضافة إلى ذلك اشتركت الخزانة في 180 دورية أخرى. وتحت ضغط طلب العموم أخذت الخزانة توسع اقتناءاتها إلى الأدبيات المتتبعة للأحداث، بل وحتى إلى كتب تعميم المعارف والتسلية. وهكذا بلغ رصيد الخزانة عام 1930 إلى 30000 عنوان دون إضافة إدخال الدوريات. أما مجموعة المخطوطات فقد بلغ عدد مجلداتها إلى غاية التاريخ المذكور 1500 جاء معظمها من مقتنيات معهد الدراسات العليا المغربية. وقد عهد بإدارة قسم المخطوطات إلى مستعربين مقتدرين مثل ليفي - بروفنسال Levi Provençal وهو الذي صار مديراً لمعهد الدراسات العليا المغربية ووضع أول فهرس مطبوع للمخطوطات وجورج س. كولان Georges S. Colin الأستاذ بمدرسة اللغات الشرقية الحية.

أما مجموعة الرشمات estamps التي تكونت إلى غاية 1930 فكانت أقل غنى ومما يجدر بالذكر في هذا الصدد أن الخزانة قد اقتنت سنة 1926 قطعة نفيسة كانت التفاوض جارياً بشأنها لتنقل إلى أمريكا، وهي فريدة من نوعها وما تزال الخزانة تحتفظ بها ويتعلق الأمر بالورقات ويتعلق الأمر بالورقات الخمس المكونة لمنظر مدينة مراكش كما رسمها الهولندي أدريان ماطام Adrien Matham سنة 1641.

اقتنت الخزانة مجموعة من قطع النقود التي ضربتها مختلف الدول عبر تاريخ المغرب. مصدرها مشتريات من رولان ماريشال Rolnad Marescal بين 1922 و1924، ومن هبة استودعتها في الخزانة مصلحة الأحباس سنة 1930.

أما إيداع الأرشيف الاداري فقد قام على دراسة قام بها دو سينيفال سنة 1921. ووقع الشروع في تنفيذه سنة 1924 بمجموعة وثائق أودعتها الكتابة العامة للحماية وتضمنت النص الأصلي الموقع عليه لمعاهدة الحماية الفرنسية. ثم قام المكتب المدني بإيداع آخر سنة 1925. وانضافت إلى هذه العمليات هبات خاصة. وقد حضر في عام 1930 مشروع لإنشاء لجنة مركزية للأرشيف مهمتها الأولى تنظيم ترتيب عقلاني ومستديم للأرشيف في كل مصلحة إدارية.

ومنذ صدور ظهير 1 نونبر 1926 الذي يعهد للخزانة بتلقي الإيداع القانوني قامت بإعداد مشروع نص قانوني يرمي إلى تكييف القانون الفرنسي المتعلق بالإيداع القانوني مع مقتضيات الواقع المغربي. وقد صدر النص الضابط للإيداع القانوني المتعلق بالمطبوعات في الظهير الشريف المؤرخ في 6 جمادى الثانية 1351 الموافق 7 أكتوبر 1932 ونص على أن يودع بالخزانة العامة ضمن كل مطبوع - أيا كان نوعه - عدد من النسخ بحسب نوع المطبوع، وحدد الظهير مسؤولية الإيداع ووقته بالنسبة لوقت الصدور أو الترويج وقد غير هذا الظهير بظهيرين تناولا عدد النسخ المودعة أحدهما بتاريخ 11 جمادى الثانية / 1363 موافق 3 يونيه 1944 والثاني صدر في الجريدة الرسمية بتاريخ 25 مايو 1951.

إلى جانب تكوين أرصدة من الكتب وتلقي الإيداع القانوني وتلقي الأرشيف الإداري عملت الخزانة على أن تقوم بدور مكتب للتوثيق Office de documentation. وهكذا تعمل على إصدار بيبليوغرافيا مغربية كل سنة تنشرها مجلة هسبيريس *Hespéris* وتحرر نشرة أسبوعية لاخبار العموم عن طريق الصحافة بعناوين الكتب والمقالات المجلات والصحف اليومية التي توصلت بها الخزانة مما يتعلق بالمغرب وبالقضايا التي تحظى باهتمام داخل البلد. وقامت بإعداد بيبليوغرافيا استرجاعية كاملة تشمل ما نشر حول المغرب قبل صدور مجلة هسبيريس سنة 1921 : وقد أنجز منها إلى غاية 1930 ما مجموعه 4000 جذاذة رئيسية.

وأمام تطور مؤسسات التوثيق والمكتبات تعيّن على الخزانة العامة أن تقوم بدورها في التنسيق، فبدأت بالاستنساخ الميكانيكي لجذاذيها وتوزيعه على مختلف المراكز والمصالح والجمعيات الاقتصادية والثقافية. وفي هذا الصدد أجرت الاتصالات الضرورية مع السلطات المختصة ووقع الاتفاق معها على أن يراعي في تصميم كل مبنى بلدية جديدة تخصيص مكان لخزانة بلدية، وعلى أن تقدم للخزانة العامة تصاميم تلك الخزانات قبل المصادقة عليها. كما تم الاتفاق على أن يخضع التسيير التقني في تلك الخزانات لتوجيهات الخزانة العامة. وقد وضع في سنة 1929 مشروع نص قانوني ينص على حق الخزانة العامة للحماية في تفتيش الخزانات العمومية الأخرى. وكان المارشال ليوطي قد طلب من دوسينيفال De Cénival أن يعد منذ عام 1921 تقريراً يتعلق بمراقبة الخزانات الأهلية التابعة للأحباس وقد جاء في هذا التقرير : "إن الخزانات المذكورة كانت قبل الحمايات متروكة مهملة فريسة للأرضة والرطوبة مما ألحق بها أضراراً فادحة بالرغم من كونها تحتوي على مخطوطات نفيسة. ويتعين إنقاذ ما يمكن إنقاذه والاستفادة منه. ولاشك أنها مهمة دقيقة لما لهذه الخزائن من طابع ديني يجعل ولوجها من الصعوبة بمكان. وكانت إدارة الأحباس قد اهتمت بالموضوع، حيث قام Biarnay بإصدار أوامر للنظار بوضع فهارس مختصرة لمحتويات هذه الخزائن تبين عناوين المخطوطات المحفوظة في المساجد وعددها. وقام عبد الحي الكتاني بوضع فهرس أشمل لخزانة القرويين عاملاً بوصايا ألفريد بيل Alfred Bel وقد وضع باتفاق مع الطريس - مراقب الأحباس - مشروع لإعادة تنظيم خزائن الكتب الأهلية بقصد تحسين أوضاع الصيانة فيها أولاً ثم وضع فهارس أكثر تفصيلاً لها ثانياً حتى يتأتى وضع فهرس عام لها مثل الذي وضعه ليفي بروفنسال للمجموعة الأولى من مخطوطات خزانة الرباط".

بلغ عدد بطائق الانخراط في الخزانة العامة الممنوحة في النصف الأول من عام 1930 ما يزيد عن 500 بطاقة وبلغ عدد الكتب المعارة خلال نفس المدة 5000 عنوان. وهكذا تابعت الخزانة تطورها مستجيبة لحاجات نظام الحماية. وقد صدرت في منتصف الثلاثينات نصوص قانونية جردت مجلس إدارة الخزانة من اختصاصاته في تدبير الميزانية وبذلك لحق المؤسسة العمومية نوع من البتر أثر على تسييرها.

غير أن الخزانة العامة للحماية استمرت في أداء مهمتها على أحسن وجه وفي حدود الأبعاد المرسومة لها إلى عهد الاستقلال. ويتجلى ذلك في تنامي رصيدها من المطبوعات حتى وصل إلى ما يقرب من نصف مليون عنوان ومن ضمنها كل المنشورات المتعلقة بالتنظيم الإداري والمالي لنظام الحماية. كما يتجلى العمل المكتبي المتواصل الجاد في تكوين ما يسمى "بجذاذي المغرب" Fichier Maroc وقد بلغ عدد مواده سبعين ألفا أو يزيد تضم ما يهم المغرب من الكتب والمقالات المنشورة في المجلات والجرائد باللغات الأجنبية.

عرفت الخزانة العامة بعد الاستقلال ثلاث وقائع : اثنتان منهما تتعلقان بالرصيد وهما : 1) قيام الدولة الحامية فرنسا، بإحداث بتر في رصيد الأرشيف الإداري المودع بالخزانة العامة، وذلك بنقل عدد كبير من الملفات إلى مدينة نانط Nantes بفرنسا أي إلى فرع لوثائق وزارة الخارجية الفرنسية هنالك، وهي وثائق تدخل ضمن الصنف المصطلح عليه بوثائق السيادة التي حصل بشأن تهجيرها اتفاق بين الدول الاستعمارية ويدخل ضمنها الوثائق السرية والسياسية بأنواعها ووثائق الأمن. وقد نقلت معها من الرباط وثائق الشؤون الخارجية مع العلم بأن المقيم العام الفرنسي لم يكن سوى نائب عن السلطان في نظام الحماية على المغرب. ويظهر من فهارس الوثائق المغربية المنقولة إلى نانط أن النقل جرى في زحمة واستعجال فطال أموراً لم تكن تدخل في ذلك المصطلح وربما قصر عن أمور أخرى تدخل فيه. والمتبقي في الرباط وثائق المصالح التقنية المدعوة بالشريفة، وأهمها مصلحة مراقبة البلديات والأشغال العمومية والتجارة والمياه والغابات والتعمير الخ

وكميتها حوالي 2200م على الرفوف وهي في المبنى الذي فيه المخطوطات، وكان تمام تشييده سنة 1945.

2) نقل عدد من مخطوطات الزوايا والمساجد إلى الخزانة العامة ولا سيما من خزانة تامكروت زاوية أيت عياش وجامع تازا وهي المصنفة تحت أعداد مسبوقة بحرف (أوقاف) ونقل عدد من مخطوطات بعض أعيان العهد السابق إلى الخزانة العامة من أمثال عبد الحي الكتاني والتوزاني ومخطوطاتها تحت أرقام مسبوقة بحرف ك. والتهامي وإبراهيم الأكلاويين ومخطوطاتهما تحت أرقام مسبوقة بحرف ج والحجوي ومخطوطاته تحت أرقام مسبوقة بحرف ح. وبهذه الإغناءات بلغ عدد مخطوطات الخزانة ما يزيد عن 12000 مجلد تضم ما لا يقل عن ثلاثين ألف عنوان وما زالت محتوياته إلى غاية عام 2000 تكتشف بفهرسة المجامع وما يزال الرصيد من حيث العدد يزيد بالإهداء حيث أضيفت إليه هبة العائلة الكتانية التي أودعت مخطوطات الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في الخزانة كما يزيد بشراء مخطوطات يقترحها أفراد ويغتني بميكروفيلمات ومخطوطات تدخل عن طريق التبادل أو عن طريق أخذ صور للمخطوطات التي تأتي للتصوير في مختبر الخزانة بعد إذن أصحابها.

3) دخول الخزانة في نوع من الركود تجلى في فقدان استقلالها الإداري والمالي إزاء الوزارات الوصية : التربية الوطنية أو الشؤون الثقافية كما تجلى في تدني مستوى التأطير التقني وتراجع نوعية المعالجة العلمية للوثائق ونوعية الخدمات للجمهور ونوعية صناعة الرصيد والحفاظ عليه وتراجع الاقتناءات سواء عن طريق الشراء أو الإيداع القانوني أو التبادل أو الهبات. استمرت هذه الحال زهاء أربعين سنة توافق العهد الذي دخلت فيه المكتبات - ولا سيما الوطنية منها - إلى عهد جديد من الرقي المعتمد على التكنولوجيات المختلفة ولا سيما تكنولوجيا المعلومات.

بعد استقلال المغرب تولى منصب محافظ الخزانة السادة : ي. س. علوش ثم عبد الله الرجراجي ثم محمد العباس القباج ثم محي الدين المشرفي ثم عبد الرحمان الفاسي ثم محمد بنشريفة ثم أحمد التوفيق منذ 29 يونيه 1995.

بالرغم من التعثر الذي أصاب الخزانة العامة فإنها ما تزال تحتفظ برصيد مهم كما وكيفا من الوثائق المتمثلة في المخطوطات والوثائق الإدارية والمطبوعات الوطنية والدولية، كما أنها ظلت تقوم بوظائف مكتبة وطنية كتلقي الإيداع القانوني وإصدار البيبليوغرافيا الوطنية. وهي وكالة إعطاء الرقم الدولي الموحد للمطبوعات.

تحققت في الخزانة - في أعوام التسعين - إجراءات أعادت إليها استقلالاً جزئياً، وتحسنت ميزانيتها وفتحت أوراشا تلحقها بالركب وتؤهلها لأن تهيئ للمكتبة الوطنية الحديثة ومن هذه الأوراش :

1) ضم المركز الوطني لترميم المخطوطات وتشغيله بقائده في إطار برامج تعاون دولي من أجل صيانة مخطوطات الخزانة وصيانة مخطوطات أخرى على الصعيد الوطني ؛

2) فتح قسم خاص بالوثائق الإدارية ومعالجتها العلمية ؛

3) الأخذ بتكنولوجيا الإعلاميات في تدبير الإيداع القانوني وتحضير البيليوغرافيا الوطنية وإعداد بيبليوغرافيا للمخطوطات ؛

4) إعداد قواعد معلومات كبرى حول المغرب وللتعرف على إنتاج المؤلفين المغاربة ؛

5) إعداد تهيآت داخلية لاستغلال القضاء المكتظ ؛

6) فتح جناح للقراءة والخدمات المكتبية خاص بالباحثين؛

7) الزيادة من نسبة المكتبيين المختصين وإتاحة فرصة التكوين المستمر لهم في الداخل والخارج.

تستقبل الخزانة العامة ما يزيد عن خمسة آلاف مستعمل في الشهر وتتوسط في الخدمات للباحثين وتتيح تصوير الوثائق على الورق وعلى الميكروفيلم، وقد ارتبطت بشبكة الإنترنيت ابتداء من عام 2000.

يتبلور حول الخزانة العامة اهتمام خاص من قبل الرأي العام الوطني سواء منه المهني أو الثقافي وذلك بغرض تحديثها وترقيتها إلى مكتبة وطنية عصرية. ومن تجليات هذا الاهتمام تنظيم الجمعية الوطنية للإعلاميين يوما دراسيا تحت شعار اليوم الوطني للمكتبة الوطنية ثم تأسيس جمعية انبثقت عن المجتمع المدني هي جمعية أصدقاء المكتبة الوطنية التي تأسست في يناير 2000، وجعلت من أهدافها مساندة مشاريع تطوير الخزانة العامة.

النصوص القانونية المشار إليها أعلاه : وثائق الخزانة العامة.

L. Benjelloun Laroui, *Les Bibliothèques au Maroc*, Paris ; A. C. Binebine, *Histoire des Bibliothèques au Maroc*, Rabat.

أحمد التوفيق

الخزرجي، أسرة أندلسية مغربية عريقة، تنتسب إلى أحد فريقي الصحابة الأنصار : الأوس والخزرج، وربما كان دخول الخزرجيين أسبق إلى الأندلس - كما عند ابن حزم في *الجمهرة*-، ومن ثمّ انتقلوا إلى المغرب لا سيما عندما توحدت العُدْوتان أيام المرابطين والموحدين. وقد أخذ بعض الخزرجيين المغاربة أسماء أخرى مثل الشاميين الخزرجيين المعروفين حتى اليوم بمدينة فاس. كان من بين الخزرجيين فقهاء ومحدثون وأدباء ومؤلفون في مختلف العصور. منهم :

الخزرجي، أحمد بن **عبد الصمد** الأنصاري الفاسي، يكنى أبا جعفر، ويعرف فريقه ببني عبد الحق نسبة

إلى أحد جدودهم الأعليين. ولد بقرطبة عام 519 / 1125 وبها نشأ وأخذ عن مشيخة الأندلس كسليمان بن محمد ابن الطراوة السبتي المالقي، وجعفر بن محمد بن محمد بن أبي طالب القيسي القرطبي، وشريح بن محمد الرعيني، والقاضي أبي بكر ابن العربي وغيرهم، وتخرج فقيهاً متمكناً ومحدثاً راوية ومقرئاً محققاً. اشتغل في مطلع حياته العلمية بالفقه واشتهر بالفتوى على مذهب الإمام مالك، ثم توقف عن ذلك وانصرف إلى الحديث والقراءات دون أن يذكر مترجموه لذلك سبباً عدا ما أشاروا إليه من أسره من طرف النصارى خلال عام 540 / 45 - 1146 في الفتن التي عرفتها الأندلس بسبب المواجهات بين أنصار المرابطين والموحدين والتي استغلها المسيحيون للتوغل في بلاد المسلمين. وكان أحمد الخزرجي كمعظم الفقهاء في الفئة المرابطية.

وفي أثناء أسره - الذي طال عامين - ألّف كتاب *مقامع الصُّلبان* رد فيه على قسيس طليطلة الذي حاول تنصيره. ولا تتحدث المصادر عن نشاط أحمد الخزرجي في الأندلس بعد أن استولى عليها الموحدون مع أنه بقي فيها زهاء ثلاثين سنة، إلا ما أشار إليه ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة* من أن المترجم "تعلق بالرياسة فنال حظوة وجاها... ونُكب نكبات - نفعه الله - !" لا ندري متى نال الخزرجي الحظوة والجاه، وإن كنا نرجح أن ذلك كان مع شيعة المرابطين من بني غانية، وأن "النكبات" التي لحقته جاءته من قبل الموحدين الذين لم يُراعوا في جانب فقهاء المالكية إلاً ولا ذمّة، لا سيما من ظاهَرَ خصومهم المرابطين.

وكيفما كان الحال فإن أحمد الخزرجي هاجر الأندلس وأقام مدة في بجاية، ثم استوطن في النهاية مدينة فاس، وانقطع فيها لتدريس الحديث وإسماعه نحو تسعة أعوام، وكُف بصره في آخر حياته فكان خاتمة نكباته. وأدركته المنية بفاس في أواخر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وخمسمائة / مارس 1187.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 1 : 239 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 7 : 66 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، 50 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 141 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، 59 ؛ م. الكتاني، سلوة، 3 : 242 ؛ م. كحالة، *معجم المؤلفين*، 1 : 274 ؛ م. عز الدين المعيار الإدريسي، *مقدمة نفس الصباح*، المحمدية، 1 : 89، 1994.

محمد حجي

الخزرجي، أحمد بن **يحيى** بن أحمد بن عبد المنان الخزرجي. يُرجع ابن غازي - في *الروض الهتون* - نسبه إلى بني عبد المنان، من الأسر القديمة التي استوطنت مدائن مكناس المندثرة. وهو شيخ محمد بن أبي جابر الغساني، ذكره في شرحه على *التلمسانية* في الفرائض، وحلاه بالفقيه العالم رافع راية الشعر والأدب في عصره، القدوة الأحفل، المتفنن الاكمل.

حظي أحمد بن يحيى بمكانة رفيعة لدى السلطان المريني أبي العباس أحمد بن أبي سالم (1374 - 1384) - وكان أديباً شاعراً - فاستكتبه وضمه إلى ديوان الإنشاء، عرف المترجم كيف يوظف مواهبه الأدبية في جانب مخدومه، فقرّ به إليه وجعله من خاصة حاشيته وخصه بالمزايا السنية، وتحكى عنهما طرائف تدل على ما كان بينهما من مودة واستظراف، منها ما أورده ابن زيدان : حكي أن المترجم قدم مكناسة مع أبي العباس ونزل في مارستان مكناسة لكونه كان خالياً، فكتب له السلطان المذكورأبياتا يباسطه فيها، وأجاب عنها الخزرجي بأبيات أخرى لا كلفة فيها.

توفي أحمد بن يحيى سنة 792 هـ / 1389 / 1390م.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص 53 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 1، ص 312.

رقية بلمقدم

الخزرجي، علي بن عتيق القرطبي الفاسي، ولد بقرطبة عام 523 / 1129 وأخذ القراءات وعلوم اللغة والشريعة عن الأستاذ عبد الرحيم ابن الفرس وأحمد ابن زرقون وأبي جعفر البطروجي وأبي بكر ابن العربي وغيرهم، رحج فسمع من أبي طاهر السلفي، ولقي أبا جعفر الخزرجي سابق الترجمة في بجاية. قال ابن القاضي عنه في *الجذوة* : "وقرأت بخطه أن شيوخه ينيفون على مائة وخمسين، أكثرهم أعلام مشاهير، قال وقد ذكرناهم في فهارس لي صغرى وكبرى ووسطى". تسمى إحداها *بغية الراغب ومنية الطالب*. وكان مقرئاً محدثاً أديباً شاعراً ملماً بالطب، وله مؤلفات في ذلك.

توفي بفاس عام ثمانية وتسعين وخمسمائة / 1201.

م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 1 : 256 ؛ م. الجزري، *غاية النهاية في طبقات القراء*، مصر، 1932 ؛ ش. الذهبي، *معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار*، مصر، 1969 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 2 : 482 ؛ م. عز الدين المعيار الإدريسي، *مقدمة نفس الصباح*، المحمدية، 1994، 1 - 89.

محمد حجي

الخزرجي، محمد بن عبدون بن قاسم الخزرجي المكناسي. يبدو أنه في دراسته انتقل بين مدينتي مكناس وفاس. ترجمته مقتضبة في كل من *الروض الهتون* لابن غازي، وجذوة *الاقتباس* لابن القاضي، وإتحاف أعلام الناس لابن زيدان. ويُجمع كلهم على أنه كان فقيهاً علامة، وأستاذاً مقرئاً، وأديباً شهيراً، وشاعراً مجيداً ذا تصانيف

حسان. وهكذا قال عنه ابن غازي : "حائز قصب السبق في الشعر والكتابة". وأطلق عليه ابن القاضي ـ الذي أورد شيئا من شعره ـ وصف "شاعر أهل العدوة". بينما نعته ابن زيدان بـ : "شاعر مجيد، نادرة نابغة، أديب وكاتب بارع".

ومن نظمه في مدينة مكناس ـ التي كان يعشقها ـ قصيدة مطلعها :

إن تفتخر فاس بما في طيهـــا وبأنها في زيها حسنـــاء

يكفيك من مكناس ارجاؤهـــا والأطيبان هواؤها والمـاء

توفي الخزرجي عام 658 / 1260 ودفن بمدينة مكناس.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص 55 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ج 1، ص 284 ـ 285 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص 578.

رقية بلمقدم

الخزّ، هكذا في *اللسان المغربي الدارج* وفي بلاد الشام، هو عشب مائي مختلف القد والحجم يعيش في البحار والأنهار والبحيرات الساحلية والقارية. ويسمى أيضاً الطحالب في المعاجم وفي مصر، Algues بالفرنسية و Algae بالأنجليزية. والطحلب كما كان يسميها علماء النباتات القدامى مازالت مستخدمة كمصطلح ملائم يشمل كل الأجسام النباتية المائية اللازهرية Cryptogames التي تنتمي إلى فئة المشريات (= ثالوسيات) Thallophyta وهي أعشاب لا تتميز فيها الجذور والسيقان والأوراق كما هو الشأن بالنسبة للنباتات البرية العادية. تختلف عن الفطريات والأشنات Lichens بقدرتها على أن تصنع لنفسها اليخضور والمواد العضوية التي تحتاج إليها بواسطة التخليق الضوئي Photosynthèse.

تعتبر الطحالب من النباتات البدائية وقد وجدت حفريات منها في صخور ترسبت منذ 2700 مليون سنة. وهذه النباتات كثيرة التنوع من حيث الحجم والشكل والتركيب وتزيد الأنواع المعروفة حاليا على 18 ألف نوع، أغلبها دقيق يتطلب ميكروسكوبا قوي التكبير لدراستها، إذ يتألف الكثير منها من خلية واحدة أو من خيط طويل وخلايا مصفوفة متجاورة كما هو الشأن عند سائر أنواع جنس لُولْـبية Spirogyra وجنس Zygnema الشائعة في الأنهار والعيون وجوانب بحيرات السدود وبداخل الضايات. كثيرا ما تكون هذه الأنواع كتلة كبيرة من الخيوط الخضراء المتراكبة تطفو على سطح الماء لتغطي مساحات كبيرة وتعرف هذه الكتلات بالخز في المغرب وفي الشام أيضا.

تعيش أنواع الطحالب طافية في الماء أو ملتصقة بالقعر أو بالصخور، وكثيرا ما تشكل براري وغابات بحرية حقيقية تمثل مصدرا قوتيا ثمينا ومخبأ آمنا لعدد كبير من الأصناف الحيوانية.

مايزال تصنيف الطحالب يطرح مشكلة بالغة التعقيد؛ والتصنيف الأبسط والأعم يقوم على اللون بالاضافة إلى عدة خصائص أدت إلى تقسيم هذه الأعشاب إلى خمسة أقسام، وهي الطحالب الزرق Cyanophyta والطحالب الخضر Chlorophyta والطحالب الذهبية Chrysophyta والطحالب السمراء Pheophyta والطحالب الحمر Rhodophyta.

يرجع لون الطحالب إلى لون الأصباغ التي تحتوي عليها المكنسجات الخاصة بالخلايا النباتية التي تعرف بالجبيلات القادرة على اختزان المواد الملونة أو إحداثها.

ـ الطحالب الزرق كائنات معظمها ميكروسكوبية وحيدة الخلية *تعيش في المياه العذبة وفي الأماكن الرطبة* من التربة. كلها أجسام ذاتية التغذية تتميز بلون أزرق وأخضر نظرا لتوفرها على صباغ خاص يسمى الفيكوسياني. منها أشكال تعيش على الصخور البحرية المبللة تتخذ شكل صفائح أو خيوط كما أن منها عدة أجسام تعيش في جميع الظروف المناخية كالينابيع الحارة وجداول الجبال وفوق الثلوج وفي بحيرات السدود وبحيرات الجبال. من خاصيات هذه الكائنات أنها تثبت نتروجين الجو وتربطه بعناصر أخرى لبناء أجسادها.

ـ الطحالب الخضر إما أحادية الخلية أو متعددة الخلايا، مجهرية أو ظاهرة للعين المجردة وتعتبر من الطحالب الأكثر تطورا حيث تشبه في أغلب الحالات النباتات الراقية ويحتمل أنها أسلاف النباتات الراقية حيث تتوفر على اليخضور "أ" و"ب" بكثرة وعلى النشاء (Amidon). تعرف هذه الفئة تنوعا كبيرا من حيث الأشكال والمقاييس وذلك حسب تعدد الأنواع داخل المجموعة.

معظم الأنواع تعيش في المياه العذبة، والدقيقة منها تتكاثر بالطريقة الشقّية أو اللاشقية، لها قابلية كبيرة للتكييف تساعدها على الانتشار في جميع الأماكن المعتدلة الحرارة مما يجعلها تؤدي إلى تخاصب بحيرات السدود بالمغرب وتغيير لون الماء وطعمه بإفرازها لعدة مواد عضوية ومعدنية كثاني هيدروجين الكبريت. ولمحاربة ظاهرة التخاصب في السدود التي تستعمل مياهها للماء الصالح للشرب قامت إدارة المياه والغابات بتسميك هذه البحيرات بنوعين من الشبابيط الصينية، يتكون نظامها الغذائي بالأساس من الطحالب والنباتات الأخرى الخيطية كجنس لولبة Spirogyra.

تعتبر طائفة كاروفيتا Charophyta من الطحالب الخضر الكبيرة يبلغ طولها أحيانا 100 سم وأنواعها ذات مشرة Thalle تنقسم إلى تفرعات تشبه الجذور والسيقان والأوراق كلها هشة نتيجة وجود الكالسيوم بها. يُعرف لهذه الطائفة بالمغرب ثمانية وثلاثون نوعاً. ينتمي إلى أربعة أجناس : كارا Chara، نتيلا Nitella ولامبروطامنيوم Lamprothamnium وتوليبيلا Tolypella تعيش في البرك والأنهار والجداول والبحيرات القارية والمنابع وتلعب دورا هاما في تصفية المياه بترسيب المواد المعدنية على فروعها.

الأنواع البحرية أقل عددا على التكيف بالنسبة لأنواع المياه العذبة إلا أنها تكون في الغالب ذات مقاييس أكبر. تعرف منها 25 نوعا على الشواطئ المتوسطية والأطلنطية تعيش في القيعان المنخفضة قرب الشاطئ. ومن بين الأنواع الكثيرة الانتشار والمستهلكة من طرف الإنسان نذكر خس الماء Ulva lactuca أو خس البحر يتميز بعرض أوراقه التي يبلغ قطرها في بعض الحالات 90 سم مقابل طول لا يتعدى 25 سم. تنتشر أنواع أنتيرومرفا Enteromorpha في المياه القليلة العمق، وكثيرا ما تعيش بجانبها عدة أنواع من جنس كيتومورفا وكوديوم وكلادوفورا. ودربيزيا وبريوبسيس.

ـ الطحالب الذهبية لونها أصفر مخضر أو أصفر ذهبي أحادية الخلية في أغلبيتها وقادرة على التنقل بفضل نشاط سوطين اثنين أو ثلاثة سياط التي تتوفر عليها، وأشهرها هي الدياتومات التي نعيش في المياه العذبة والبحار بأعداد ضخمة. تشكل أحيانا ما يفوق 80٪ من علق البحر، كما تمثل أكبر كمية من الطحالب الوافرة في الشواطئ والأراضي الموحلة. تعيش في الغالب بالمناطق الأقرب إلى سطح الماء حيث تتخلص من الأوكسجين عن طريق التخليق الضوئي. من أشهر الأنواع انتشارا في المياه المغربية ناڤيكولا وأمفورا وفراجلاريا وكيتوسيروس وبدولفيا. يترتب عن تراكم هذه الأجسام ذات قوقعات صوانية بعد موتها رواسب تختلط بالرمال والمواد العضوية والمعدنية فتشكل ما يعرف بالدقيق المتحجر.

ـ الطحالب السمر هي طحالب بحرية بالأساس تعيش إما طافية وسط المياه أو ملتصقة بأنقاض الخشب والأحجار والصخور القعرية أو الشاطئية في أعماق متنوعة تبلغ أحيانا 110 متر تحت سطح البحر. يرجع لونها الأسمر إلى توفرها على صباغ خاص يسمى فيكوگزانتين يحجب اليخضور. تتكون هذه المجموعة من أجسام دقيقة وأشكال يبلغ طولها عشرات الأمتار تعيش مغمورة والقاعدة في عمق يتعدى 10 أو 20 مترا بينما تطفو سر خساتها فوق المياه. تتميز الأنواع ذات المقاييس الكبيرة بأكياس هوائية صغيرة ممتلئة بالغازات وملتصقة بالجسم أو معلقة على تفرعات الساق لتمكن هذه النباتات من الطفو وبالاحتفاظ بوضعها العمودي أو الأفقي. تعرف لهذه الفئة في الشواطئ المغربية أزيد من 36 نوعا تعيش غير بعيدة عن الشواطئ ونوع الفوقس الحويصلي Fucus vesiculosus أكثر انتشاراً في السواحل الأطلنطية وخاصة بين الرباط وأگادير. يبلغ طوله أحيانا مترا واحدا. يتميز نوع الشرجس Sargassum vulgare بأكاليل تطفو على صفحة الماء. يعد الطحلب الرقائقي Laminaria ochroleuca من الطحالب السمر المهمة في استخراج المواد الصناعية كالصودا وهدرات الكربون واليود والألجينات ويُستعمل أيضا في الطب الجراحي. موجود بكثرة ما بين الجديدة والصويرة ونادر في الشواطئ الأخرى. يلتصق بصخور القعر بواسطة قاعدة السلق الذي يشبه محجمة غليظة.

إن نوع ساكوغيزا بوليشيدس Saccorhiza polyschides كثير الشبه بالطحلب الرقائقي يتعدى طوله أحيانا مترين، يعيش في الشواطئ الصخرية القريبة من الرباط ويتميز بأنسجة غنية بالخيوط تستعمل لصناعة عجين الورق.

ـ الطحالب الحمر أعشاب بحرية متعددة الأنواع والأشكال تحتوي على صبغ أحمر فاقع وبنفسجي = فيكو إريترين. يعيش الكثير منها على أعماق أكبر من الطحالب السمر، وأغلب الأعشاب البحرية التي تؤكل تنسب إليها. يتوقف تركيز الأصباغ الذي يفسر الفوارق اللونية المختلفة، على الظروف البيئية وخاصة منها كمية ونوعية الضوء التي تتعرض له الطحالب وفي المياه الصافية يمكنها أن تعيش في أعماق تتعدى 200 متر.

تلتصق الأجسام المتعددة الخلايا بالقيعان الصخرية في أعماق تفوق المترين قرب الشواطئ ويعرف لها في المغرب أزيد من 97 نوعا أغلبها يعيش بين الرباط وأگادير. من خاصياتها أن غشاء الخلايا يكون كمية وافرة من مادة الجيلاتين يستخرج منها الآجار أجار تستخدم في أغراض صناعية كعمل الجيلي الذي تربى عليه المزارع البكتيرية في الأبحاث الطبية والبيولوجية. وتعتبر أنواع فصيلة الجيليديات Gelidiacées أكثر استغلالا لاستخراج المادة الجيلاتينية. ويُصنف المغرب في الصف الرابع العالمي بالنسبة للإنتاج يقدر بأزيد من ستة آلاف طن سنويا تُصدَّر كلها إلى الخارج. بدأت صناعة استخراج الآجار أجار في المغرب منذ سنة 1960 من طرف أربع وحدات صناعية لم يبق منها حاليا إلا وحدتان الأولى في القنيطرة والثانية في الدار البيضاء يستعملان كلّ منهما نوع جليد يوم سيسكبدال الشائع في الشواطئ الأطلنطية ما بين الجديدة وأگادير وتقدر كمية الطحالب المستعملة يوميا ما بين 6 و8 طن.

يستخدم الإنسان عدة أنواع من الطحالب الحمراء كغذاء وذلك لما تحتويه من أملاح وسكريات وزلاليات وبروتنيات، أهمها طحلب بورفيرا الذي يزرع في اليابان ومنه نوع واحد يعيش في ضواحي الرباط Porphyra umbilicalis وطحلب غوديميا الذي يؤكل في شمال أوروبا ومنه ثلاثة أنواع تعيش في المغرب : Rhodymenia bifida، R. caespitosa وR. palmetta.

تستعمل أنواع جگارتينا، وخاصة منها Gigastina mamillosa التي تعيش في الشواطئ الأطلنطية المغربية، لصناعة مادة شبه جيلاتينية Carragahen تضاف إلى بعض المواد الغذائية وتستخدم أيضا في بعض الصناعات، وتعتبر فرنسا من أكبر المنتجين لهذه المادة.

إلى جانب الأجسام الكبيرة هناك عدة أنواع وحيدة

الخلية تسبح في البحار بواسطة أسواطها ومنها عدة أشكال تعطي ضوءا أزرق مخضراً خافتاً كما هو الشأن بالنسبة لنوع Nociluca miliaris وعدة أنواع من فئة Euglenophyta. گونيولاكس وأنواع مشابهة لها تعدّ من الأجسام الخطيرة للحيوانات والانسان لإفرازها سموما مختلفة، وكثيرا ما تتكاثر بقوة فتحدث ما يسمى بالمياه الملونة وذلك لكثرة عددها وللونها الأحمر، وهذه الظاهرة تدوم 12 يوما على الأكثر و5 ساعات على الأقل ويؤدي ابتلاعها من طرف الأسماك أو الصدف إلى التسمم.

والطحالب اليوجلينية Euglenophyta وحيدات الخلية تتميز بأهمية كبيرة نظرا للشبه الكبير بينها وبين السوطيات Dinoflagellés التي هي حيوانات بدائية تنتمي إلى شعبة الحيوانات الأولية، فلو انتزعنا من هذه الأنواع اليخضور الذي بداخلها وزودناها بفم لما أمكن تمييزها من السوطيات، وتعتبر هذه الكائنات النقطة التي تفرعت عندها النباتات والحيوانات منفصلة عن بعضها بعضا على سلم التطور.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

P. Bougis, *Le plancton*, Paris, 1977 ; P. Gayral, *Algues de la côte atlantique marocaine. La nature au Maroc*. n° 2, Rabat, 1958 ; A. Faraj. *Contribution à une étude quantitative et qualitative des protéines de l'agarophyte Gelidium sesquipedale*. Doct. 3è cycle, Fac. Sci. Rabat, 1987, 128 p. ; N. Elkhiati, *Biotypologie et biogéographie des chorophycées du Maroc. Contribution à l'étude des peuplements d'algues et de macrophytes de l'hydrosystème de Tamaris (Meseta occidentale)* Doctorat d'Etat, Fac. Sci. Marrakech, 1995, 235 p.

نجاة الخياطي

الخزّار، أسرة باعمرانية من قبيلة أيت عبلا المنتمية إلى القبيل أيت باها أُبحيى.

الخزّار، علي العبلاوي كان من جملة أشراف أيت باعمران الوافدين على السلطان الحسن الأول بأمزوز غرب تيزنيت سنة 1299 هـ فعين بظهير سلطاني كعامل على قبيلته (*إتحاف أعلام الناس*، 2 : 209) جال مع الحاحيين (حكام تيزنيت) فعرك إخوانه بالغرائم، ثم ثاروا عليه فأجلوه وهدموا داره ... (*رجالات العلم العربي في سوس* ص 178). وبسبب ثقل هذه الضرائب على قبيلته، وخروجه عن لف أيت بعمران الذين رفضوا حكم الحاحيين بتزنيت، نالته عداوة الناس، مما جعل الشهادات تختلف حوله.

فمن الناس من ينعته بالذكاء المفرط والعلم الغزير، وبفراسة لا تخطئ ولذلك سُمي خزار. والخزار هو من يكشف الصيد في غير مظانّه في الغابة، واللفظ مشترك بين العربية والأمازيغية (ابن منظور).

قال عنه الإكراري : ومنهم العالم الذي لا ينفعه علمه، وان كثر ما يكتبه قلمه، القائد على الخزار العبلاوي (*روضة الافنان*، ص. 121). وقال عنه صاحب *المعسول* : القائد العالم الخزار العبلاوي.. ضيع الأمور فضاع، وقد أصابته نكبة الكيلولي، ثم استقال منها، ثم خرف أخيراً (*طاقة ريحان*، ص. 29) كما أرّخ له صاحب *المعسول* من بين رجالات العلم العربي في سوس فقال : فقيه حسن عرفت له مدارك غير ضئيلة، ثم رشحه الحسن الأول للقيادة سنة 1299 هـ ... ثم ابتُلي باختلال العقل، ويذكر عنه ما يذكر مما لا نتحمل عهدته (*رجالات العلم*، ص. 178).

ويظهر أن هؤلاء المؤرخين قد تأثروا بما أصاب قبيلة هذا القائد من جراء ثقل غرائمه لإرضاء عدو قبيلته، حاكم تيزنيت، الذي لم يترك لمن خضع له فرسا ولا بقرة، إذ لم ينج من شره إلا أيت باعمران وقال فيه شاعرهم :

إبحيحي زُودْ لوابا كْراف يكّايُوسيتْ

معناه : الحاحي حاكم تيزنيت مثل الوباء، كل ما مر عليه اختطفه

وإلا فقد كان هذا القائد من أعيان أيت باعمران ومن قواد الحسن الأول، ووُصف بالعلم والحكمة وصدق الفراسة، لكن كل ذلك لم يراعه المؤرخون عند نكبته وإصابته باختلال العقل، بدعوى أن الأمور بخواتمها، مع العلم أن أمر الله كان قدراً مقدوراً، وليس على المريض حرجٌ.

توفي في ذي الحجة الحرام 1343.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج 2، ص 209 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، ص 178 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، مادة الخاء ؛ الأكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، ص 121.

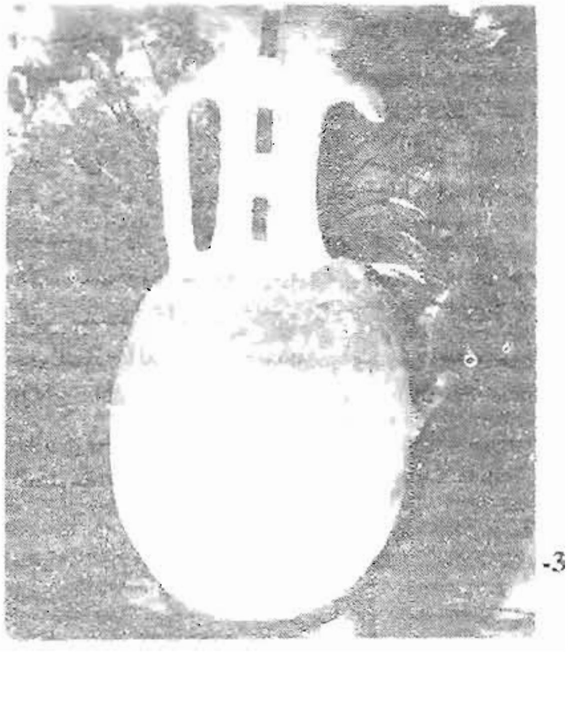
الحسين جهادي

الخزف القديم بالمغرب، من بين المنتجات الخزفية القديمة التي تم تسويقها في مختلف المدن الموريطانية القديمة، نجد الخزف المختوم ذا البرنيق الأحمر الإيطالي الذي يؤرخ إنتاجه بمنتصف القرن الأول قبل الميلاد، في الوقت الذي توقف تقريبا وصول الخزف ذي البرنيق الأسود أو ما يعرف بكمبنيان Campanienne. لقد سبق الخزف المختوم ذو البرنيق الأحمر الجيد نوع آخر هو ما يعرف بما قبل الخزم المختزم La présigillée المتميز بلونه الأحمر الجميل، غير أن هذا النوع لم يتم تسويقه بالمواقع المغربية القديمة. إن وصول الخزف ذي البرنيق الأحمر الإيطالي إلى المغرب يؤرخ بالنصف الأول من حكم الإمبراطور أغسطس. يتميز هذا الخزف بأشكاله الملساء والمزخرفة التي كان أغلبها إن لم نقل كلها تستعمل للشرب وتقديم المأكولات فوق المائدة ؛ من بين النماذج المعروضة في متاحفنا نذكر على الخصوص ذلك الكأس الجميل للصانع الأريدزي Primus P. Cornelli والمؤرخ ببداية القرن الأول بعد الميلاد وكذلك الأواني الملساء المصنوعة من طرف L. Tettivs Samia، Primus C. Anni

و CN. Teivs Zoilvs الموثقين بمجموعة من مصنوعاتهم والتي تحمل أختامهم الشخصية أو الأختام التي يشتركون فيها مع عبيدهم، والتي تأخذ أشكالا مختلفة : مربعة، ومستطيلة وعلى شكل نبتة النفل أو على شكل خاتم يمثل رجل إنسان In planta pedis.

مراكز إنتاج هذا الخزف متعددة، وكلها تتمركز بإيطاليا. منها مثلا مصانع بودزول في وسط إيطاليا أو وادي بو Vallée de PÔ، غير أن أشهر مركز صناعة هذا الخزف هو مركز أردزو Arezzo. إن منتجات هذه المراكز تم تسويقها في مختلف مراكز الاستقرار بالمغرب القديم، إلى حد يمكن القول إن هذا التوزيع شمل المدن والقرى أي المناطق التائية. فيما يخص تسويق ونشر هذه المنتجات الإيطالية بالمغرب، كان يتم بواسطة ميناء قادس بإسبانيا. وفي أواخر حكم الإمبراطور أغسطس بدأ وصول الخزف المختوم الإيطالي إلى الأسواق المغربية يضعف ليتوقف نهائيا في عهد حكم الإمبراطور تيبر Tibère. خلال حكم هذا الإمبراطور سيظهر إنتاج جديد مماثل للخزف الأريدزي أو الإيطالي، وهو الخزف المختوم جنوب بلاد الغول وبالضبط ما يسمى بمصنوعات الكروفزانك Graufesangue التي ستسيطر على جميع الأسواق في الإمبراطورية الرومانية.

إذن بمجرد توقف أفران صنع الخزف الأريتيني ستنتقل صناعة وتسويق الخزف المختوم إلى جنوب بلاد الغول، حيث سيشرع الخزفيون الغالو رومانيون في غزو مختلف الأسواق بواسطة منتجات جديدة. بالنسبة لموريطانية في هذا الوقت ستضم إلى الإمبراطورية الرومانية من طرف الإمبراطور كلود، وستصبح ولاية رومانية. انطلاقا من هذه الفترة (42 بعد الميلاد)، كل المنتجات الخزفية المتداولة في أسواق مدن المغرب القديم كان أغلبها إن لم نقل كلها منتجات مركز كروفزانك والبعض منها ينتمي لمصنع مانتاس Montans، وبنصاك Banassac ولزو Lezoux. إن منتجات هذه المصانع كانت تقلد مصنوعات الخزف الأريدزي الإيطالي. غير أن



صانعي هذا الخزف الجديد قد أغدقوا عليه برنيقا لامعا جميلا أحمر اللون، وفي بعض الحالات أصفر رخامي ممزوج بلون أحمر. للإشارة فقط فإن مركز الكروفزانك وصانعيه، قد انفردوا واشتهروا بهذا النوع من الخزف الذي لم ينتج قط في مصنع آخر، نتيجة لتنظيم الإنتاج والتسويق فقد استطاعت هذه المصانع وخاصة مركز الكروفزانك أن تغزو جميع الأسواق وتنشر منتجاتها في جميع بقاع الإمبراطورية الرومانية. من بين المنتجات التي عرفت انتشارا واسعا هي الأشكال الملساء من أقداح وصحون ملساء والتي كانت تنتج بواسطة القوالب. على شاكلة المنتجات الإيطالية كانت منتوجات الكروفزانك تحمل هي كذلك أختاما بأسماء منتجيها، توضع داخل الإناء أو بمزج الخاتم بالزخرفة. وبخصوص الأشكال المزخرفة، رغم عدم تعدد الأشكال، فإن الزخرفة قد تنوعت وتعددت إلى حد أنها عالجت مختلف المواضيع : الآلهة، العبيد، المصارعين، سباق العربات، الحيوانات، النباتات...

مئات المحارف كانت تقوم بهذا الإنتاج الذي انتشر في جميع بقاع الإمبراطورية الرومانية. بالنسبة لموريطانية الطنجية يمكن تحديد أوج تسويق هذا الإنتاج انطلاقا من النصف الثاني من القرن الأول وبالتحديد خلال فترة حكم الإمبراطور نيرون وفيزبازيان Neron et Vespasien بينما يؤرخ تدهور الإنتاج والتسويق خلال حكم الإمبراطور دومسيان Domitien. أما توقف الإنتاج فيحدد في عهد الإمبراطور ترجان Trajan. مع منتصف القرن الأول بعد الميلاد، وموازاة مع منتجات جنوب بلاد الغول أو ما يعرف بالخزف المختوم الغولي، بدأت مراكز أخرى تنشر إنتاجها، وهي مراكز الخزف المختوم ذو البرنيق الأحمر الإسباني. لقد قام المنتجون الإسبان كذلك بتقليد خزف جنوب بلاد الغول والخزف الإيطالي. هذا التقليد لم ينحصر في البرنيق فحسب بل شمل كذلك الأشكال والزخرفة. لقد شاركت في هذا الإنتاج وبالتالي في تسويقه مراكز كبيرة كالتي توجد بشمال إسبانية والمتعارف على تسميتها بترتيوم مكالوم Tritium magallum والتي تتكون من محارف صغيرة كبرارس وبرانشال وأورتزن دأريبا، ومراكز صغيرة تم توطينها في جنوب شبه الجزيرة الإيبيرية : كأندوخار وغرناطة. إنتاجات هذه المراكز الإسبانية سرعان ما ستغزو أسواق موريطانية الطنجية، وذلك بشكل فعال خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ولا يستبعد أن تكون هذه الإنتاجات قد دخلت في منافسة حادة مع إنتاجات جنوب بلاد الغول. كما أن هذه المنافسة قد أسرعت بتراجع إنتاجات جنوب بلاد الغول خاصة وأن الإنتاجات الجديدة تختلف عن سابقاتها في اللون والأشكال، إذ أضاف الصناع الإسبانيون أشكالاً جديدة وزخرفة خاصة بهذا النوع من الإنتاج. من بين الأشكال الجديدة أقداح وقارورات وأباريق لم يسبق أن تم إنتاجها.

كما أنهم أنتجوا - كالمراكز الأخرى - محابر وأنماع (جمع قمع)... كما صنعوا أشكالاً مزخرفة وقوالب لهذه الأشكال تختلف زخارفها عن زخرفة أشكال إنتاجات جنوب بلاد الغول. لقد تميز إنتاج الأشكال المزخرفة بمراكز إنتاج الخزف المختوم ذي البرنيق الأحمر الإسباني بإنتاج الأقداح النصف دائرية والأسطوانية. لقد شارك في إنتاج هذا الخزف الإسباني أكثر من 120 محرفاً كلها موطنة في شبه الجزيرة الإيبيرية، شاركت وساهمت كلها تقريباً بإنتاجاتها في نشر وتوزيع الإنتاجات الإسبانية، والتي عرفت خلال نهاية القرن الأول بعد الميلاد وخلال القرن الثاني بعد الميلاد إقبالاً من طرف المستهلكين من ساكنة المدن والقرى في موريطانية الطنجية. هذه الإنتاجات الإسبانية هي كذلك كانت تحمل أسماء صانعيها على شكل أختام توضع بالقعر الداخلي للشكل المصنوع. وكما نافست هذه الإنتاجات الإسبانية الخزف المختوم لجنوب بلاد الغول، تعرضت هي بدورها لمنافسة إنتاج جديد يعرف بالخزف اللامع الإفريقي.

بالضبط حوالي سنة 70 - 80 بعد الميلاد ظهر في أسواق موريطانية الطنجية إنتاج جديد وهو الخزف اللامع الإفريقي والذي يتميز ببرنيق برتقالي وله نفس خاصيات الخزف المختوم.

وللتعريف بهذا الإنتاج الجديد سنتبنى التعريف الذي خصصه Lamboglia لهذا الخزف: "هو فخار روماني رقيق ذو طين وبرنيق برتقالي، عرف انتشارا في كل مناطق البحر المتوسط وكذلك انطلاقا من العشر سنوات الأخيرة من القرن الأول بعد الميلاد. فمصطلح لامع يستعمل لتمييزه عن الخزف الأريدزي أو من النوع الإيطالي، وخزف جنوب بلاد الغول وكذلك الخزف الإسباني، التي لها مصدر وتاريخ وانتشار مخالف للفخار اللامع الإفريقي. هذا المصطلح: "الخزف اللامع" يشير إلى الخصوصيات الجوهرية دون الاعتماد على الحدود الجغرافية أو الكرونولوجية. نضيف إلى هذا التعريف تعريفا آخر ساهم به أحد الباحثين الإيطاليين وهو A. Carandini. وذلك لشموليته.

"أولا إن مجال صناعته تحدد في إفريقيا البروكونسلية وكذلك في موريطانية (من الجزائر إلى ليبيا مع وجود مركز بتونس).

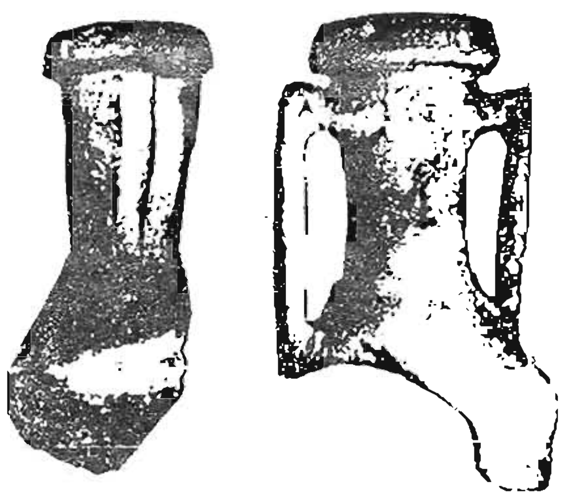
ثانيا: هو ينتمي إلى نفس تلك العادات التقليدية التي تطورت ما بين القرن الأول والسابع الميلادي.

ثالثا: لقد أجاب هذا الخزف عن طلب وضرورة جهوية وبالتالي انتشر ليشمل السوق الكبرى لحوض البحر المتوسط.

رابعا: إنه نوع تقريبا جيد، مطلي جزئيا أو كليا ببرنيق أحمر برتقالي أقل أو أكثر لمعانا، يحمل بين الفينة والأخرى زخارف بالدولب أو الباربوتين".

وجود هذا الخزف في المستويات الأركيولوجية، يحمل في طياته دلالات مهمة، حيث إن وجوده أولا يعني تغييرا في اتجاه الحركية والتبادل التجاري، هذا الذي كان إلى حد الآن مع مختلف الأنواع السابقة ذا اتجاه أحادي شمالي جنوبي أصبح مع هذا النوع جنوبيا شماليا وشرقيا غربيا، وأن موريطانية الطنجية في هذه الفترة كانت تزود بهذه المواد بدون وسيط.

يتكون هذا الإنتاج من مجموعة من الأشكال وهي قدح مبدنة مزخرفة بواسطة البربوتين، أقداح ذات شفاه مزخرفة كذلك بالباربوتين، وأخرى نصف دائرية، وقوارير. يتكون إنتاج هذا الخزف من ثلاثة أنواع متباينة من حيث الأشكال واللون والتاريخ.



نموذج من أمفورات 4 - 2 Dressrll من متحف طنجة

النوع أ: (A) وهو نوع من هذا الخزف اللامع الإفريقي والذي يبدو أن مجال انتشاره لم يتعد المجال الغربي للبحر المتوسط. عرف انتشارا واسعا بموريطانية الطنجية، لكن قيمة إنتاجه قد ضعفت مع مرور الزمن، وتم تسويقه إلى حدود القرن الثالث بعد الميلاد.

النوع س: (C) يتميز بطين دقيق وبرنيق أحمر برتقالي، غلب على إنتاجه صناعة الأشكال المفترحة والمزخرفة بواسطة الدويلب أو بواسطة الزخارف الملصقة (أسماك، أسود، نباتات). يتم تاريخ هذا النوع ما بين القرن الثالث إلى حدود الخامس بعد الميلاد.

أما النوع د: (D) وهو الإنتاج المتأخر والذي يغطي فترة القرن الرابع إلى السابع الميلادي. تم العثور عليه في كل المواقع المغربية التي تميزت بفترة استقرار متأخرة. يتميز هذا النوع بطين أقل دقة وبرنيق محبب. غلب على هذا النوع إنتاج أشكال مفترحة وكبيرة الحجم، مزخرفة بواسطة الرشم (نخيلات، طغرا، المسيح أشخاص وحيوانات) يتم توطين مراكز الإنتاج عادة بتونس حيث تم العثور مؤخرا على محارف لإنتاج هذا الخزف.

تضاف إلى هذه المنتجات المعروفة والمدروسة والمؤرخة، منتوجات أخرى البعض منها درس أو في طور الدراسة

وأخرى لازالت لم تدرس، للإشارة فقط، نذكر الخزف العادي، القناديل، الخزف الدقيق، والخزف الغير المدولب.
كل هذه الأصناف تم تداولها من طرف ساكنة المغرب القديم، وهي ممثلة بالعديد من النماذج التي تزخر بها متاحف المغرب ومخازن المواقع الأثرية

Ch Goudineau, La céramique arétine lisse, fouille de l'Ecole Française de Rome. Bolsena (POGGIO MOSGINI) 1962 - 1967. Paris, 1968 (B.E.F.R AR) : G.PUCCI, Terra sigillata Italica Enciclopedia d'ell'Arte Antica Classica e Orientale. Atlante delle Forme Ceramiche, II. Ceramica fina Romana nel Bacino Mediterraneo, Rome. 1986 : A. Vernhet. Présentation des ateliers du sud de la Gaule. dans la Terre sigillée gallo-romaine lieux de production du Haut Empire Implantations, produits, relations, dans Documents 6. 1986 : F. Laubenheimer. La d'Archéologie Française. n collection des céramiques sigillées gallo-romaines estampillées du musée de Rabat. Antiquités Africaines. 13. 1979. p. 99 - 225 : M. A. Mesquiriz. Terra sigillata hispanica. dans Enciclopedia delle Arte Antica delle forme cramiche. II. ceramica fina romana nel Bacino Mediterraneo. Roma, 1985 : F. Mayet. Les céramiques sigillées hispaniques contribution à l'histoire économique de la Péninsule Iberique sous l'Empire romain. I, II. Paris, 1984 : M. Sotomayor. Sieté hornos de ceramica en Granada, con production sigilata. dans IXeme Congreso Arqueologico National. Saragosa. 1970 : M. Sotomayor. Marcas y estillos en sigillata decorada de Andùjar. Jaen. 1977 : T. Garabito Gomez. Los alfareves romanos Riojanos. production y comercializcion. dans Biblioteca preahistorica hispanica. XVI. Madrid. 1978 : A. Carandini et S. Tortorella. Ceramica Africana, produzione A. C. D. dans Enciclopedia dell' Arte Antica Classica et Orientale. Atlante delle forme ceramiche. I. Rome. 1981 : S. Tortorella. Ceramica de produzione Africana et rinvenimenti archeologico sottomarini della média Tardo éta imperiale. analissi dei dati dei contributi reciproci. dans Melange de l'Ecole Française de Rome. 93. 1981. p. 355 - 380 : H. Limane. Contribution à l'étude des sigillées d'importation durant le Ier et le IIème siècle en Maurétanie Tingitane. Etude du matériel de Lixus, Banasa. Tamuda, dactylographie Aix-en-Provence. 1988.

حسن لبسان

الخزف من عمق أسرار الطين إلى أعلى مراتب الإبداع.
عرف المغرب الخزف منذ البدايات المتوسطية السحيقة، لكن صناعته بقيت غالباً في صيغتها البدائية قبل الاستفادة من الوصفات الرفيعة على العهد الإسلامي وتطويرها وطبعها بالشخصية الإقليمية وبثها في الأمصار.

ثم جاء الخفوت التدريجي والتراجع بعد النهضة. فما هي طبيعة المسار الطويل وما هي الأسباب ؟ يمكن تعريف الخزف بأنه فن تشكيل الطين وتثبيت الأشكال الحاصلة عن طريق شيِّها بالنار. بقي هذا التعريف صحيحاً على مدى العصور وحتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين، معتمداً على خاصية تحول خليط الطين والماء إلى عجين لدن، يجعله الطهي صلبا وغير قابل للتفسخ. لكن من الخزفيات الصناعية الحديثة ما يخالف هذا التعريف، إذ طيناً يمكن أن لاتتصص صناعتها، بل وأن تستغني بنسبة كبيرة عن المواد الطبيعية.

لذا، أصبح تعريف الخزفيات الجديدة في صناعة الأشياء غير العضوية، غير الفلزية من خلال مسار إعدادي يتضمن معالجة حرارية عالية الحدة.

كانت شقوف الخزف على الدوام الشاهد الأمين على وجود الإنسان والتوثيق له، تغني عن كتب التطورات الحضارية وتعكس الخطوات الإبداعية.

فلا شك أن أولى المنعطفات في تاريخ البشرية تلك التي جعلت الإنسان قادراً على تغيير طبيعة المادة، بحيث ينقلب الطين المطاوع إلى حجارة صلبة بفعل التسخين القوي.

فرضت أهمية الحدث أن تكون عناصر التصنيف الكلاسيكي للمواد كالتالي : الفلزات والخزفيات والزجاج والنسيج ومواد التكثيف والمواد المركبة.

يبدو أن الشرق الأوسط قد عرف صناعة الخزف قبل عشر آلاف سنة وأنها أصبحت بعد ذلك إبداعاً فنياً، يعرف التلوين في العراق وفارس وآسيا الصغرى، وأن مصر القديمة تفننت في صنع الأشكال التامة الصفاء، ذات الألوان النضرة.

مثّلت الحضارة الإسلامية مرحلة رقي وانتشار بالنسبة للخزف الرفيع، الذي انطلق إلى الغرب عامة عن طريق إفريقيا الشمالية والأندلس.

عرفت الأرياف المغربية، قبل وصول تقنيات الخزف الحضرية، وبعد ذلك حتى الآن، مصنوعات طينية يمكن الاصطلاح عليها بأنها منتجات التراب المشوي أو الفخار. وهي متخصصة في صنع الأواني الشائعة التداول ذات الأغراض النفعية قبل الجمالية. تُعتمد فيها العمليات الأساسية الثلاث، وهي الغسل والعجن ثم التشكيل وأخيراً الكي بالنار.

يتوخى الغسل وعجن التراب إعطاء التجانس المرغوب



فيه بتنقية المادة من الشوائب وفقاعات الهواء، ويتم ذلك عن طريق الخبط والدعك والدوس بالأقدام.

ويحصل التشكيل يدوياً في المرحلة الأولى بتجميع مشروع العمل وتقدير حجمه، ثم يُنصَبُ بعد ذلك على الدولاب لإعطائه شكله الدائري النهائي.

يتحقق تثبيت الجسم الطيني الناتج بواسطة التجفيف والتسخين على نار حطب أو خشب في الهواء، وقليلاً ما تتعدى ذلك إلى فرن متخصصة. تدخل صناعة من هذا المستوى في ما يسمى بالخزف الهش، أو الخزف المسامي المنفذ، أو ما نصلح عليه هنا بالفخار. وهي لا تختلف كثيراً عن المعالجات البدائية التي ترجع لأواخر العصر النيوليتي وللعصر البرونزي، وقد أضيف إليها دولاب الفاخوري في فترة متقدمة كذلك، حيث إنه كان معروفاً عند السلالات الفرعونية الأولى على الأقل، إذ وصلت صناعة الخزف عند المصريين الأقدمين إلى إنتاج التحف الرائعة، كالمزججات الزرقاء، قبل ستة آلاف سنة.

أما المادة الأولية فهي لا تستحمل النقل البعيد نظراً لوزنها ولقلة المردود النهائي، وكذلك لأن الفخار من أوليات التجهيز المنزلي الريفي، تقوم بإنتاجه النساء مباشرة عند الحاجة، قطعة قطعة، وحسب المقاس.

تكاد تكون هذه هي القاعدة في شمال المغرب.

فالفخار وليدُ بيئته بالنسبة للمادة الأولية، وهو عمل النساء لا يستعمل فيه دولاب الفاخوري إلا نادراً كما يظهر من الأواني والصحون ومجامر الشيّ الطولية.

وهو في الشمال الغربي (واد لاو) أصفر وردي شديد النعومة، خال من أي زخرف، موسوم بجمال البساطة، تُصنع منه الصحون والطاجين الخاص بهذه الأقاليم، المتميز بعمق (التاگرة) والمستعمل في طهي الوجبات مباشرة خاصة منها طاجين السمك المتبل.

في مقدمة الريف، يصير استعمال دولاب التدوير شائعاً، ثم يُطلى المُنتَجُ بدهان ترابي أبيض تنمقه الفاخورية بريش من شعر الماعز المحزوم تخطط بها أبسط الأشكال الهندسية. تُجلب كلُّ مواد الصناعة من طبيعة الوسط المحيط.

تؤخذ كتلة الطين الأساسية من الطبقات الجيولوجية الطينية العميقة التي تجاور دائماً أهم أماكن إنتاج الفخار. أما التزويق فيكون بألوان التربة المغربية، التي يغلب عليها الحمرة والسمرة والسواد.

تقوم بدور التلوين فيها أكاسيد الحديد، التي تلون بالأحمر عندما تكون طليقة في الأتربة المتحسلة والتيرا روسّا الشائعة (الحمري) في الهضاب الشمالية والشمالية الغربية والسفوح الجبلية المغربية؛ والتي تلون بالسمرة عندما تكون مركبة من الأتربة السمراء الكلسية والكلس - مغنيزية للهضاب والسهول التي يغلب فيها تطعم الأتربة بكاتيونات الكالسيوم والمغنزيوم الضامن لتثبيت فلزات التلوين في القطاع الترابي. كما أنها تلون بالسواد الرمادي أو السواد القاتم أتربة التيرس في السهول الفيضية التي تتضاعف فيها ظروف الاستقرار فتتعدى السمرة إلى السواد بسبب النسب الأعلى من الحديد ومعه بعض المنغنيز المضمومة داخل السلكانات الطينية المفرخة للتربة والمنشأة في الأوساط القاعدية الحبيسة أو المرجات.

معرفةُ هذه المسارات العدائية ليست مجانية، لأنها هي التي جعلت الإنسان يستغني عن المواد الطبيعية، ويتحرر من المسافات التي يقتضيها جلبُها، ويقوم بصناعتها متحكما في المقادير والنسب وخصوصيات المادة ووحدة الألوان.

نفس الأمر صحيح بالنسبة لمواد الحرق، حيث يوفر خشب العرعار والبلوط الأخضر أساساً الوقود الضروري، كما أنه ينتج القطران النباتي المستعمل كذلك في التزويق بالسواد.



توفّر بوادي الجنوب طبيعةً أخرى وسياقات إنتاجية من نوع آخر. يحظى الفخار الصحراوي بقيمة خاصة. يتربع ولائك على قمتها الصانع الفيلالي، إلى حد أنه استطاع تصدير صنعته إلى جهات مختلفة من جهات الشمال، ربما بمحض الصدفة. لأن الصحراويين، خاصة من الجنوب الشرقي، قد نزحوا كمزارعين أولاً، حملوا معهم دراياتهم الهائلة في ميدان البستنة الواحية واستوطنوا المجالات المجاورة للمدن، وأسهموا في إعدادها لتوفير حاجيات المدن من خضر ومواد حليبية، كما هو الشأن مثلاً في ضواحي مكناس حيث جل القبائل التي تسكن الأودية الجبلية الغنية المحيطة بالمدينة هي من أصل صحراوي. كما صادفَ أن جل فخاري مدينة زرهون المجاورة هم من أصل فيلالي كذلك.

وما زالت الفخارة نشيطةً جداً في تافيلالت ودرعة (الريصاني وتامگروت) إلى حد اختلَّ معه التوازن البيئي

بالإقليم بسبب قطع النبات المنهج لتزويد أفران الخزف التقليدية. فبعد أن استفحل قطع أحراج الطلح الصحراوي إلى أن أبيد نهائياً في كل الجهات القريبة من الواحات، يتم الآن اقتلاع كل الجنيبات التي تنبت في كف الكثبان الرملية والتي تقوم بتثبيتها. الشيء الذي أسهم بصفة حاسمة في زحف الرمال على الأراضي الزراعية والمساكن المتراصة على طول شبكتي زيز ودرعة. على العموم، تأتي مواد التراب المشوي شديدة المسامية، وهي مع ذلك تستعمل في صناعة الجرار لجلب الماء من الآبار والعيون، وكذلك في تخزين المرغوب منها في تبريده باعتبار أن عملية الرشحان تساعد على ذلك. كما تستعمل في إنتاج الأوعية والصحون وأواني الحفظ والتخزين من القوارير إلى الخابيات.

كما أنها مقاومة آلياً، يتراوح لونُها الطبيعي ما بين الأبيض المصفر إلى الأسمر. وبقدر ما تكون أقرب من الحواضر والعمران، بقدر ما يزيد استعمالها لأغراض البناء، (الآجر والترميد ومواد التغليف ...) لما توفره من ميزات جمالية، وظروف الراحة في الوقاية من الرطوبة والحرارة والتلوث الصوتي، كما تستعمل في الفخارة البستانية (المحابق).

أما صناعة الطاجين، فإنها القاسم المشترك بين فخارة البوادي والمدن من حيث الشغف به ومن حيث طرق صنعه. فكما يُعتبر الطاجين السلاوي معيار الجودة في الحواضر، نجد طاجين الأطلس الكبير جنوب مراكش (إيجوكاك) والطاجين السوسي، نماذج للإناء المتحمل للنار والصالح للإنضاج المباشر للطعام بعد إعداد تكميلي بالمنزل قبل التعريض للنار العنيفة.

أما من حيث أساليب الصنع، فإننا مع الطاجين نمر من أنواع الفخار الهش الاعتيادي إلى فصيلة المزدُجات الغالبة في المدن.

خزفيات المدن، إما منفعية صرفة وجلها من المزدَّجات، أو منفعية وجمالية من المزدجات المزخرفة، ومنها التي تنزع إلى تقليد الخزف الرقيق أو البورسلانة الحقيقية، وهي لا تكتمل عندنا بسبب انعدام أو قلة مادتها الأولية وتقاليد ووسائل صناعتها النوعية الخاصة.

ظهرت أرقى المزدَّجات وازدهرت أرفع أنواع الخزف الرقيق في الشرق الإسلامي ومنه جاءتنا في صورها الفنية المكتملة.

فبعد أن استكملت تقنياتها بمصر وسوريا والعراق وفارس، وصلتْ إلى الأندلس والمغرب مع القرن الثامن، ثم بدأت بالانتشار في باقي أوروبا مع تراجع الحكم الإسلامي بالجزيرة الإيبيرية وتوقد جذوة النهضة الأوروبية بإيطاليا وغيرها، وُصولاً إلى أمريكا عن طريق التأثير الإسباني والبرتغالي.

ولما كانت إيطاليا النهضة هي أول بلد استقبل المزدَّج الإسلامي وقام على نشره، فقد حمل الإنتاج منذ ذلك الوقت اسم المدينة الإيطالية التي تولت عملية الإشاعة وقعّدت للخزف الأوروبي بين القرن الرابع عشر والسادس عشر (فاينزا = فايانس)، ومازال يحمل نفس الاسم إلى الآن في جل اللغات العربية باستثناءات منها الإسبانية التي تستعمل كلمة الزليج (Azulejo) الشائعة عندنا كناية على البلاط المزدَّج. ولا أظن، كما يزعم بعضُهم، أن الكلمة من أصل إسباني لها أي ارتباط مع اللون الأزرق (Azul) الموجود في المزدَّجات. ولكن مع فعل زلَج وزجَّج الذي يعني مباشرة تقنية صناعة هذا النوع من المواد . من ذلك اعتمدنا في هذا العمل عبارة الخزف المزدَّج أو المزدَّجات. الشائعة في العامية المغربية، للتعبير عما أصبح سمي الفاينس، احتراراً لاسم فاينزا موقع عبور المزدجات الشرقية.

تجلت بدايات الشرخ الحضاري الإسلامي قبل ألف وثلاثمائة سنة بالجامع الأموي بدمشق الذي أوحى من أساليب الهندسة والتحلية إلى غير من الصروح بتركيا والهند وقرطبة..

وقد سُميت مسالك انتشار هذا النوع من الزينة من الشرق إلى الغرب. عبر الشمال الإفريقي وإيبيريا، "طريق المزدَّج" أو الزليج.

وتتلخص طريقة صناعة المزدَّج في إصلاح مشكل النفاذية الذي يعيب الفخار، بتغليفه من جهة واحدة أو من الجهتين بطلاء، مركب قابل للتزجج بالتسخين، إذ يتحول إلى طبقة شفافة صائنة. ومعلوم أن الفخار المطبخي، أيا كان أصله الطيني، عندما يُعالج بما يكفي ليصبح قابلاً لتحمل حرارة المجمر أو الفرن المنزلي، يعتبر خزفاً مطليا أو صبرنقاً، وهو بذلك ينتسب للمزدَّجات بمفهوم هذا العمل. فتكون المزدَّجات إذن، بالإضافة إلى المنتجات الفنية الصرفة، المزود الرئيسي للأواني المنزلية كالطاجين والطنجرة الثقيلة والطنجية وغيرها من أدوات الطهي، والصحاف والقصاع والصحون للتقديم، ومختلف الأوعية ومنها الخوابي لتخزين المؤونة وتصبير المخللات أو الزاد القابل للترقيد، وكذا الحبوب والقطاني والثمار المتنوعة واللحم المقدد، والمصبَّر في الشحم، والعسل والدهون والزيتاين ومختلف أنواع الحلوى...

أما الميدان الثاني الذي تصرف فيه المزدجات فهو ميدان الزليج وهي بالأساس مربعات أو قطع تبليط الجدرات. مرت تقنيات التزديج من مراحل مختلفة.

ظهرت أولاها في الشرق الأوسط، وكان الغرض منها، منذ البداية، إسقاط مسامية الفخار العادي بإحكام سدها. والإسهام في الزينة الهندسية . ترجع الطلاءاتُ الأولى، ذات الأصل الألقلي أو المستعملة للرصاص، والقابلة للشي بحرارات نسبياً منخفضة، لماض يُعدُّ بآلاف السنين. لكنها تُعتبر بُرنقاً بسيطاً وليس تزديجا حقيقياً.

يرجع التزديج المستحق للتسمية إلى استعمال الطلاء

الخزفي المنعوت بالميناء (émail) وليس مجرد البرنق الذي مَرَّ بنا، والمتضمن لأكاسيد القصدير. ظهرت التقنية أول الأمر ببابل، وهي تحتمل إضافة تلميع قوامه الفضة أو النحاس، هذه هي التقنية، بزيادة التلميع أو عدمها، التي أشاعها المسلمون إلى أن أعطت طفرة المزدّج الموريسكي (مالقة أو بلنسية)، ومنه إلى مظاهر النهضة في العصر الحديث بإيطاليا (فلورانسا، سيينا أو فاينزا)، ثم هولندا وفرنسا، كمراكز إبداع وإشاعة، فألمانيا والمجر واسكندنافيا وبلاد البلطيق ثم أنگلترا، إضافة إلى المحور الذي عبر إلى المكسيك والعديد من البلاد الأمريكية.

وكانت مدينة فاس نقطة ارتكاز الصنعة الخزفية الرقيقة بالمغرب، منذ القرن التاسع، على عهد الأدارسة، حيث نزح أفواج من سكان قرطبة ومن بينهم العديد من الصناع.

في القرن الثالث عشر، على عهد الموحدين، بلغ عدد الفخارين بها المائة والثمانين. وهم الآن حوالي الخمسين من المعلمين، يساعدهم ثلة من الصناع والمتعلمين. ومثل ذلك يوجد في الحواضر الكبيرة الأخرى كمراكش وأسفي ومكناس وسلا...

طلاء التزديج تركيبة من أكاسيد الرصاص والقصدير، مخلوط بشيء من الرمل السيليسي. قد يستعمل في لون واحد وقد ينطبع بالزخرف الأزرق أو المتنوع الألوان بإضافة الأخضر والأصفر والبني على قاعدة بيضاء. وتتناول الرسوم مواضيع مختلفة أهمها الرياحين ومختلف النباتات، والأشكال الهندسية والكتابات مع امتياز للخط الكوفي.

في الواقع، من الصعب التمييز داخل الخزفيات الحضرية المغربية بين المزدجات والخزفيات الرقيقة. يمكن أن نعتبر من ضمن المزدجات المواد النفعية الصالحة للطهي وتقديم الوجبات والتخزين، والتي غالباً ما تكون سميكة، ثقيلة، عسلية اللون، بدون تنميق. ومنها كذلك بعض مواد البناء وأنواع الزليج والفسيفساء التقليدية.

ثم نمر تدريجيا إلى الخزف الرقيق المؤدي إلى البور سلانة مع تزايد دقة وصفاء المواد الأولية، وتوفير وسائل التسخين بحرارات شديدة الارتفاع، وخفة المنتوج وتناقص المسامية فيه، ونزعته إلى الشفافية. يُعتبر هذا المسار مساراً فنياً وحرفياً من النوع الرفيع أمكن للخزف المغربي أن يدخله إلى حد ما.

هناك اتجاه آخر، صناعي صرف، يستعمل الخزفيات لأغراض علمية وتكنلوجية شائعة الاستعمال إلى شديدة التطور، ويتعلق الأمر بما يسمى بالخزفيات الجديدة.

إنتاج الخزفيات الرقيقة أو الفنية، سياق معقد تعترض طريقه صعوبات جوهرية، رغم أن السوق المغربية مولعة به في صيغة الصينية المدعوة عندنا بخزف الطاووس الصيني. أهم معضلة هي الحصول على المادة الأولية الطينية التي يجب أن تكون من نوع الكاولين أي أن يكون معدن طين الكاولنيت فيها عالية النسبة جداً وأبيض اللون. والحالة أن هذه الطين، التي تتكون في الأتربة المعرضة للرطوبة والحرارة على مدد زمنية طويلة، لا توجد عندنا إلا بنسب قليلة، وحتى إذا ما وُجدت تكون حمراء في الغالب. فمثلاً خزافة فاس التي تتوفر على خبرة طويلة في الموضوع لا تجلب أطيانها إلا من طبقات النيوجين الغنية بأطيان السمكتيت، والملونة سطحياً بالأصفر وفي أعماقها السميكة بالرمادي والأزرق. الخصوصيات العدانية لهذه الأطيان تجعلها نفوخة عندما تختلط بالماء، تتشقق بعد التجفيف. ولتجنب التشقق الضار بالإنتاج الخزفي وجب الدعك الطويل المتأني والتليثم وطرد فقاعات الهواء، والتجفيف البطيء في الظل. ومع ذلك، فإن التمكن الجهيد من تجنب التشقق لا يُعفي من المسامية العالية رغم استعمال الأفران العصرية والحرارات المرتفعة.

سر النجاح إذن هو التوفر أولاً على المادة الأولية التي استعملها الصينيون والكوريون واليابانيون منذ أواسط القرن الرابع عشر، والتي لم يوجد ما يضاهي رقتها وصفاءها وكفاءاتها الفيزيوكيماوية إلا بعد أن اكتشفت مناجم الكاولين في أوروبا خاصة في أواخر القرن الثامن عشر، حيث برزت مراكز جديدة لإنتاج البورسلانة الرفيعة (ليموج بفرنسا مثلاً).

يخول معدن الكاولين صناعة ما يُسمى بالخزف الصلب أو البورسلانة الحقيقية. وهو كذلك لا نعدام المسامية المفتوحة فيه تكون شقَفة بيضاء بفضل اختيار أصفى المواد الأولية، وتعرض عند الكسر مقطعاً لا معا ذا مظهر زجاجي في صلبه وليس على أطرافه فقط كما هو الشأن في المزدَّج. نسبة امتصاصه للماء، دون كره بالمائة وهو ينزع إلى الشفافية.

يمر الخزف الصلب من نفس المراحل التي يجتازها المزدَّج باستثناء المادة الأولية الأساسية، الكاولنيت. يتم الطهي على فترات. يكون الأول بحرارة 980 درجة لخليط الكاولين، يتلقى بعدها طلاء التزديج ثم الطهي الثاني بالنار الكبيرة التي تفوق 1250 درجة، يأتي التزيين عادة فوق الميناء، ثم يُشوى مرة ثالثة بحرارة أقل من حوالي 850 درجة.

أهم استعمالات البورسلانة، أو الخزف الصلب أواني المائدة الرفيعة والتزيين وكذلك مختلف أنواع العوازل الكهربية.

ما هو الفرق إذن بين الأطيان الشائعة عندنا، والغنية بالمعادن الطينية من فصائل السمكتيت والإليت والكلوريت، مع نسبة متفاوتة من الكاولنيت، تكون غالباً قليلة، وأطيان الكاولين المستعملة في الخزف الصلب والتي تتوفر على نسب عالية جداً من الكاولنيت ؟

تتكون وريقات الأطيان عامة من شقين كيماويين رئيسيين : واحد سيليسي والآخر ألوميني. لذا سُميت سليكات الألومين. كلما زادت نسبة الأول، زادت معها

القدرة على امتصاص الماء والانتفاخ واللدانة، وهي ضرورية لتوفير المطاوعة وسهولة التشكيل. لكن الألومين هو الذي يُعطي الخصوصيات النهائية الأساسية للخزف ويوفر له حظوظ الصلابة والانتساب إلى فئة الخزف الصلب. فالألومين عالي المقاومة للحرارة، لا تحصل ذوابيته إلا فوق 2000 درجة حرارية، وشديد الصلابة، يوجد في الدرجة التاسعة من سلم موهس المكون من عشر درجات، وقليلُ التشوه في الحرارات العليا، وهو عازل كهربي جيد ولا يتأثر بظروف الأكسدة والاختزال شديد المقاومة لعوامل التآكل والتفسخ.

لهذه الأسباب، كانت أحسن الأطيان لصناعة الخزف الصلب، تلك التي تمتلك الحد الأدنى الضروري من اللدانة المخولة لتشكيل المادة مع الماء، وليس أكثر، أي أقل ما يمكن من السليس المندمج في البنية، وأقصى ما يمكن من الألومين لتوفير أكبر مميزات الكمال في البورسلانة.

في المعادن الطينية عندنا، يمكن أن تمثل نسبة السليس مقادير تصل إلى خمسة أضعاف مقادير الألومين. وهي نسبة شديدة الارتفاع ترفع اللدانة إلى حد السطيط، وتصعب خبز الطين ودعكه، وتتطلب مقادير كبيرة من الماء، وتطيل وتعرقل عمليات التجفيف، وتعطي مادة نهائية ثقيلة، شديدة التشقق والمسامية.

في حين تصل نسبة الألومين في الكاولين إلى نصف الكتلة الاجمالية أو تزيد عليها.

صحيح أن الأتربة الأولى أخصب من الوجهة الزراعية، لكن الكاولين الصافية تعتبر من نفائس الطين المنجمي لأنها الشرط الأساسي في إنتاج البورسلانة الفنية.

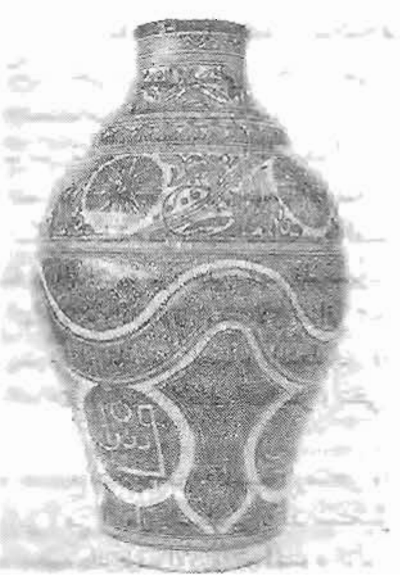
أما دخول ميدان البورسلانة الصناعية أو ما يُسمى بالخزفيات الجديدة فهو رهين بالتقدم التكنولوجي. يُستعمل هذا النوع من الخزفيات في الصناعات النووية والكهربائية والالكترونية، وكذلك في صناعات الملاحة الجوية والفضائية والصناعات الغذائية الخاصة، حيث يتفوق في كل الحالات على المواد المعدنية الفلزية في مقاومة الحرارة والصدِّ الآلي للضغوط، وعدم التفاعل الكيماوي، بالإضافة لكونه يوفر غالباً العوازل ونصف الموصلات الكهربة.

ميادين استعمال الخزفيات الجديدة في تزايد مطرد. منها الاستعمالات الطبية بسبب الترافق بينها وبين الأنسجة الحية الذي أكسبها نجاحات بينة بالنسبة للمزدرعات في ميادين جراحات العظام والأسنان والقلب وغيرها.

بالإضافة إلى استعمالات أخرى في الهندسة الكيماوية وصناعات الأسلحة وحتى في إنتاج الحلي عبر صياغة الأحجار الكريمة الاصطناعية.

الملفت في الخزفيات الجديدة أنها تستغني في صناعتها بصفة شبه تامة عن المواد الطبيعية لتعتمد في كل شيء على المواد الكيماوية والتكنولوجيات المتطورة.

حصيلة الدراسة بشأن الخزف، أن المغرب قد شكل منه حلقة وسطى بكل المواصفات. فهو تاريخياً، قد أسهم في إشاعة العلوم الخزفية الإسلامية باتجاه العالم الغربي، ونشأ نوّع الفخار ولوّنه بتنوع أثاليمه البديعة الجمال، وطوّر وحسّن المزدُجات، لكنه لم يُراكم الإمكانات الكافية للدخول في السياق الراقي لإنتاج الخزفيات الصلبة.



ثم بمجرد أنْ دخلت الخزفيات الجديدة ميدان الصناعات المتطورة، وتحولت من عموم الإنتاج الفني إلى خصوص الخلق العلمي، كان التعاملُ معها في أحسن الظروف من باب الاستهلاك.

موضوع الخزف كغيره من ميادين الخلق والابتكار الكبرى، يخترق كل تاريخ الوجود البشري على الأرض، جامعا بين الملكات الإبداعية للإنسان المتأرجحة بين الفنون والعلوم والتكنولوجيات.

لذا فإنه في كل حقبة من أحقاب الحضارة البشرية، يعيد ترتيب الأقوام بشفافية وصراحة.

استطاع المغربُ أن يشارك المشرق الإسلامي مرحلة النهضة في العصر الوسيط، في ميدان الخزف وفي غيره، فاقتحمها واضطلع بترسيخها، عندما كانت الحركةُ الفنية فيه تنمو مواكبة للتقعيد العلمي والحضاري باعاً بباع.

ثم حصل الاختلال وتفككت حلقات المسيرة، وتحول الإبداع إلى تراث جامد. يبدو أن السر في إحياء التراث ليس هو الاكتفاء باجترار النماذج المحنطة، ولكن الأخذ بأسباب التواصل العلمي والتأصيل الحضاري.

إ. الفسي ومحمد البدراوي، *التبرس*، *معلمة المغرب*، 1996، الجزء 8 ؛ الحمري، *معلمة المغرب*، 2000، الجزء 11.

M. Brunet, J. Giacomotti et C. Bardin, *Céramique. Céramique industrielle. Encyclopedia Universalis*, vol. 4, p. 56 - 65 ; S. Caillère, S. Hénin, M. Rautureau, *Minéralogie des argiles*, Paris, 1982, 2 tomes ; G. Frade, des matériaux, Encyclopedia Uni. vol. 6, p. 612 - 617 ; A. Sefrioui, *La poterie et la céramique*, *G.E.M.*, vol. 2, *Culture, Arts et Traditions*, Rabat, 1987, p. 97 -106

إدريس الفاسي

الخزيرات (مؤتمر -) الخزيرات كلمة إسبانية محرفة عن الجزيرة الخضراء تبناها المغاربة، وهي مجاز مضيق جبل طارق في أقصى جنوب إسبانيا يقابل سبتة التي هي مجازه في أقصى شمال المغرب. وقد ذاع صيتها في تاريخ العلاقات الدولية بسبب انعقاد مؤتمر صاخب فيها من 15 يناير إلى 7 أبريل 1906 لمعالجة ما كان يسمى بالأزمة أو المسألة المغربية. وكان المؤتمر لبنة أولى من لبنات نظام الحجر الاستعماري الذي فرض على المغرب خلال النصف الأول من القرن العشرين، حتى صار المغاربة كلما أرادوا أن يصوروا لأية حالة من الطغيان والإجحاف بين الناس شبهوا ذلك "بشروط الخزيرات". كما كان أيضا جولة أولى من جولات الصراع الديبلوماسي بين دول أوربا الكبرى، وبخاصة منها فرنسا وإنجلترا وألمانيا وإسبانيا، التي توالت منذ 1905 حتى انتهت إلى الحرب العالمية الأولى سنة 1914. ويمكن الإلمام بأهم جوانب المؤتمر بذكر أسباب انعقاده وتلخيص مقرراته والإشارة إلى ما تخلل جلساته من أسباب التأزم والتوتر وكيف انتهى باتفاق الأقطاب على إخضاع المغرب لهيمنتهم. ثم نختم بذكر مفعول المقررات على المغرب إلى أن ألغيت جملة وتفصيلا غداة الاستقلال سنة 1956.

انعقد مؤتمر الخزيرات بدعوة من سلطان المغرب المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907) الذي اشتد عليه الضغط الاستعماري الفرنسي في طليعة سنة 1905، حيث جاءه المبعوث الفرنسي سان ـ ريني طايانديي Saint-René Taillandier بمشروع معاهدة لا تخفي شيئاً من نوايا فرنسا الاستعمارية. فلم يكن منه إلا أن لاذ بما ظل يلوذ به أسلافه من سلاطين القرن التاسع عشر من محاولة التضريب بين الدول الأوربية واستغلال تنافسها على السوق المغربية وإفشال مساعيها بالاستعانة ببعضها على البعض الآخر. فاستشار الجانب الألماني فأثار ثائرة الامبراطور غليوم الثاني الذي كان ينقم على فرنسا وإنجلترا وإسبانيا ما كان قد حصل بينها من الاتفاق بشأن اقتسام النفوذ في المغرب منذ سنة 1904. مما استشف منه رغبة في إقصاء بلاده عن تلك السوق. وجاء رد فعله عنيفا مدويا، حيث انتهز فرصة تجوله في البحر المتوسط ليتوقف في ميناء طنجة (31 مارس 1905)، ويدلي بتصريح أعلن فيه أمام الملأ أن المغرب دولة مستقلة موحدة التراب وأن لا أسبقية فيها لدولة على أخرى. فاهتزت أركان الحكومة الفرنسية جراء ذلك. وبدا وكأن ألمانيا على وشك إشهار الحرب عليها. ووجد رئيس الحكومة الفرنسي بول روفيي Paul Rouvier نفسه مضطراً لإقالة وزير الشؤون الخارجية طيوفيل ديلكاسي Théophile Delcassé. وتحمل هو نفسه مسؤولية الشؤون الخارجية ليفتح باب التفاوض مع ألمانيا بشأن المغرب. وتم الاتفاق بين الجانبين على عقد مؤتمر دولي يدعو إليه سلطان المغرب للنظر في أوضاع البلاد وفي كيفية إصلاح شؤونها الداخلية وفيما يتصل بعلاقاتها مع باقي الدول. كما اتفق الجانبان بعد جولتين من التفاوض دارتا في شهر يوليوز وشتنبر 1905 على أن ينعقد المؤتمر في الخزيرات مثلما كان قد انعقد أول مؤتمر دولي بشأن المغرب في العاصمة الاسبانية مدريد سنة 1880، وأن يتم ذلك بناء على استقلال الدولة المغربية ووحدة ترابها وترك باب المعاملات التجارية والصناعية مفتوحا أمام جميع الدول ومراعاة الفوائد المكتسبة قديما لكل واحدة منها، بما في ذلك من مصالح خاصة بفرنسا وإسبانيا في المناطق المتاخمة لممتلكاتها الترابية مع المملكة المغربية. كما اتفق رئيس الحكومة الفرنسية وسفير ألمانيا في باريس على إلزام سلطان المغرب من خلال المؤتمر باتخاذ بعض التدابير الإصلاحية تحت المراقبة الدولية، منها تنظيم شرطة ناجعة في الموانئ التي ينزل فيها تجار أوربا، ومراقبة تجارة الأسلحة وردع أعمال التهريب بشأنها، ثم تنظيم الشؤون المالية المغربية بإقامة بنك مركزي يقوم بما تقوم به الأبناك المركزية إضافة إلى الوظائف البنكية العادية، ثم النظر في إصلاح الجهاز الجبائي المغربي كي تنتعش الخزينة السلطانية بشرط أن يلتزم السلطان بعدم تفويت الأشغال العمومية لأية جهة بالخصوص وأن يراعي المساواة بين الأجناس في إسناد الصفقات الكبرى التي كان المغرب في حاجة إلى القيام بها لإلحاق أسواقه بالسوق العالمية.

وهكذا اجتمع مندوبو ثلاث عشرة دولة في الخزيرات ابتداء من يوم 15 يناير 1906. وتلك الدول هي : فرنسا وإسبانيا وإنجلترا وألمانيا والنامسا وروسيا وبلجيكا وهولاندا والسويد والبرتغال والولايات المتحدة والمغرب. وجاء معظمها لا لحاجة ملموسة في المغرب ولكن فقط لئلا يتغيب عن محفل دولي تعلقت به الأنظار، وكان الأمل معقوداً عليه ليجعل حداً لتوتر العلاقات بين فرنسا وإنجلترا من جهة وبين ألمانيا من جهة أخرى. ولذلك قام بالأدوار الرئيسية وفد فرنسا الذي كان على رأسه بول ريفول Paul Révoil، السفير المنتدب الفرنسي لدى المغرب ووالي الجزائر سابقا الذي كان قد فرض اتفاقيات الحدود على المخزن سنتي 1901 و1902، مصحوباً بعدد من ذوي الخبرة الطويلة بشؤون المغرب، فمساعده الأول هو بول رينيو Paul Regnault بصفة كونه ممثل أصحاب قرض 1904، إلى جانبه راوول دي مار جيري Raoul De Margerie مستشار سفير فرنسا في مدريد، وإينار Aynard نيابة عن والي الجزائر، ودي بيي De Billy عضو البعثة الفرنسية في طنجة، وهانري گايار Henri Gaillard قنصل فرنسا في فاس، وليريش Leriche قنصلها في الرباط، وقدور بن غبريط الترجمان الجزائري، إضافة إلى دوباسور Dupasseur مدير بنك باريس والأراضي المنخفضة، ومجموعة من مبعوثي كبريات الصحف الفرنسية على اختلاف مشاربها.

وكان الوفد الألماني تحت إشراف سفير ألمانيا في مدريد

رادوفيتز Radowitz، مصحوباً بالكونط فون طاطنباخ Von Tattenbach الوزير المفوض لدى البرتغال يومئذ وممثل ألمانيا في المغرب في ما بين 1890 و1895، والمبعوث الخاص من قبل حكومته إلى السلطان المولى عبد العزيز في مطلع سنة 1905 لحثه على الصمود في وجه فرنسا. وكان الوفد الإسباني بقيادة الدوك دي ألمودفار (Almodovar) وزير الدولة في الشؤون الخارجية في حكومتها، مرفوقا ببيريس كباليرو Perez Caballero السفير في بلجيكا، وهونطوريا Honioria، وبينيا إي ميليت Piña y Millet وكريسطوبال فاليين Cristobal Vallin، ومجموعة من الموظفين جعلوا الوفد الإسباني ثاني الوفود - من حيث العدد - بعد الوفد الفرنسي. وكان الوفد الإنجليزي تحت نظر أرثور نيكولسن Arthur Nicolson سفير بلاده لدى المغرب في ما بين 1901 و1904 والمعين قريبا سفيراً في روسيا. وكان عدد مساعديه في المؤتمر متواضعا من حيث العدد والخبرة، مما دل على تخلي إنجلترا لفرنسا عن المغرب منذ الوفاق الودي لشهر أبريل 1904. أما باقي الدول غير المعنية مباشرة بالمسألة المغربية، فناب عنها وفود منحصرة كان عليها أن تسعى في التوفيق أكثر مما عليها أن تسعى في التفاوض والأخذ والرد، مثل الولايات المتحدة الممثلة بسفيرها في روما هانري وايط Henry White. والنامسا الممثلة بسفيرها في مدريد الكونط فون فيلسرسهايم Von Welsersheimb، وإيطاليا الممثلة بالماركيس دي فيسكونتي - فينوسطا - Visconti - Venosta، مصحوبا بوزيرها المفوض في المغرب مالموسي Malmusi، وروسيا الممثلة بالكونط كاسيني Cassini سفيرها في مدريد، مصحوبا بوزيرها المفوض في المغرب باشراشت Bacheracht. أما الوفد المغربي فكان بقيادة الحاج محمد بن العربي الطريس مندوب السلطان لدى الأجناس في طنجة، يساعده الحاج محمد بن عبد السلام المقري وزير المالية والحاج محمد الصفار وعبد الرحمان بنيس من كتاب المخزن.

وكان مقر المنتدبين على العموم فندق رينا كريستينا Reina Cristina، باستثناء الوفود الفرنسية والانجليزية والمغربية التي أقامت في فيلات خاصة. وكان مقر الجلسات العمومية في بلدية الخزيرات. وقد طال المؤتمر أكثر مما كان متوقعا، واحتد النقاش بين الجانبين المتنازعين بسبب ما بذلته ألمانيا من جهود لفسخ التحالف بين فرنسا وإنجلترا وللتضريب بين فرنسا وإسبانيا بمعاونة الوفد المغربي، وبسبب سعي فرنسا الحثيث في إطالة تلك المحاولات وكسب مزيد من المؤازرة الدولية دعما لما كانت قد أحرزت من قصب السبق في المغرب. ومما زاد المؤتمر تعقيداً وامتداداً سقوط الحكومة الفرنسية برئاسة بول روفيي يوم 10 مارس 1906. فتأججت المناورات الألمانية لعزل فرنسا على الصعيد الديبلوماسي. لكن سرعان ما تشكلت حكومة فرنسية جديدة برئاسة جان ساريان Jean Sarrien. وأسندت الشؤون الخارجية فيها لليون بورجوا Léon Bourgeois الذي سار على نهج الحكومة السابقة. فوقع الضغط الديبلوماسي على ألمانيا حتى من قبل من كان متعاطفاً معها مثل روسيا والنامسا وبلجيكا والولايات المتحدة. وألزمت بالموافقة على الحلول الوسطى التي حصل الإجماع بشأنها بسهولة، سوى ما كان من قضية تنظيم الشرطة المغربية وإقامة البنك المركزي. فإن النقاش احتدم بشأنهما وطال لحرص الفرنسيين والألمان على عدم التنازل في إحدى القضيتين قبل الحصول على امتيازات ملموسة في الأخرى. وكانت الخطة الفرنسية الرامية إلى التنازل لألمانيا في المجال الاقتصادي، واقتسام أسهم المشاركة في البنك وترك أبواب السوق المغربية مفتوحة أمام الجميع مقابل الحصول على حق تنظيم الشرطة في الموانئ الثمانية المفتوحة للتجارة الدولية هي الراجحة، بما كانت تنطوي عليه من الإغراء لباقي الدول وبما كان لفرنسا من شديد الرغبة في التمكن من أدوات السلطة السياسية في المغرب. بينما لم تجد الديبلوماسية الألمانية فتيلا لاستعمالها "المسألة المغربية" لأغراض تتجاوز المغرب بكثير، فضلاً عن كونها عائمة مبهمة، ولمحاربة إخفاء، ذلك التناقض تحت خطاب لا يخلو من غلظة وفظاظة. مما كان يزعج الأصدقاء، والخصوم على حد سواء.

يضاف إلى ذلك أن الجانب المغربي كان عاجزاً عن مساندة المساعي الألمانية، ليقينه بأن الأجناس الأوربية لا تتفق إلا على ضرورة إخضاع المغرب للحجر الدولي، وأيضاً لخضوعه عن وعي أو غير وعي للضغط الفرنسي المستمر. ويوم قام الوفد المغربي بمحاولة لكسب السند الأمريكي بادر السفير الأمريكي إلى فضح ذلك لدى زملائه داعيا إلى توحيد الصفوف لفرض الإرادة الدولية عليه. والحالة هذه أن الوفد المغربي كان كالحاضر الغائب أو الغائب الحاضر، لا يملك أن يقدم رجلا أو أن يؤخر أخرى دون أمر السلطان المقيم في فاس، الذي يتطلب الاتصال به أياما متوالية، بل وأسابيع لانعدام وسائل المواصلات السريعة. وقد اختتم المؤتمر أعماله يوم السبت 7 أبريل 1906 بعد الموافقة على مقرراته المدرجة في مائة وثلاثة وعشرين فصلا مبوبة في مقدمة وسبعة أبواب وبروطكول ملحق.

تثبت المقدمة رغبة الدول في أن ينعم المغرب بالسلم والأمن والازدهار، وفي أن يقوم بما يلزمه من إصلاح شؤونه الداخلية، وعزم الجميع على احترام استقلاله ووحدة ترابه شريطة أن يتعامل مع الدول بدون حيف ولا ميز.

وأقر الباب الأول (الفصل 1 إلى 12) تنظيم شرطة مغربية في الموانئ الثمانية المفتوحة أمام تجار أوربا تحت إشراف إسبانيا في تطوان والعرائش وتحت إشراف فرنسا في الرباط والجديدة وأسفي والصويرة وتحت إشراف كليهما في طنجة والدار البيضاء، على أن تكون مراقبة تلك

الشرطة بيد ضابط سويسري تنحصر مهمته عند التفتيش دون القيادة، ويطلع سلطان المغرب ونواب الأجناس على عمله.

ووضع الباب الثاني (من الفصل 13 إلى الفصل 30) شروط التجارة في الأسلحة وكيفية ردع التهريب بشأنها الذي كان يزود القبائل من آخر ما جد في صناعة البنادق.

وأقر الباب الثالث (من الفصل 31 إلى الفصل 58) شروط إقامة بنك الدولة في المغرب من خمسة عشر سهما. لكل واحدة من الدول المشاركة في المؤتمر سهم منها، فهي ثلاث عشرة دولة، ومنح السهمان الباقيان لأصحاب قرض1904 فاحتفظ الجانب الفرنسي بالأغلبية إذ كان القرض المذكور من أموال فرنسية في الغالب. كما تقرر أن يكون مقر البنك في طنجة. واتخذت الترتيبات اللازمة بشأن إدارته ومراقبة معاملاته من الجانب الدولي ومن الجانب المغربي وكيفية الفصل في ما يقيم هو أو يقام عليه من الدعاوي فيفصل فيها محكمة قنصلية مختلطة أو محكمة لوزان بسويسرا بحسب القضايا. وأسند لهذا البنك مهام إصدار العملة المغربية والقيام لدى المخزن مقام الخزينة العمومية تستودع أمواله وتصرف منها بأمره، فضلا عن قيامه بكل ما يقوم به أي بنك خصوصي من معاملة الخواص.

وتطرق الباب الرابع (من الفصل 59 إلى الفصل 76) إلى وسائل إصلاح النظام الجبائي المغربي بأن فرض رسما استثنائيا على جميع الواردات نسبته 2,5٪، يضاف إلى التعشير (10٪) المفروض عليها منذ المعاهدة المغربية الانجليزية لسنة 1856. ويوضع الدخل من ذلك الرسم في صندوق خاص لتمويل ما كان المغرب يفتقر إليه من التجهيزات الأساسية. كما تقرر جعل ضريبة على المباني الحضرية ينفق منها على الخدمات البلدية (الفصل 61). والتزمت الدول المشاركة بإخضاع رعاياها لضريبة الترتيب على شكل ما كان وضعها السلطان المولى عبد العزيز منذ 1901 بمجرد ما يتم العمل بها على الرعية المغربية (الفصل 59). والتزم السلطان بالحد من الرسوم المفروضة على الصادرات المغربية الأساسية كالحبوب والقطاني والأنعام (الفصلان 67 و68) التي كان يجني منها أموالا ذات بال. وفي هذا الباب أيضاً فصلان جعلا تجارة التبغ حكرا على المخزن (72 و73).

ويعالج الباب الخامس (من الفصل 77 إلى الفصل 104) ترتيب شؤون الجمارك ورواج السلع في الإيراد والإصدار، وطرق تقييمها بقصد التعشير وقباضة الرسم الاستثنائي، وشروط النقل البحري بين مختلف موانئ المغرب، وزجر أعمال التدليس والتهريب مع ذكر كيفية معاقبة المخالفات ومن يستفيد من الذعائر المفروضة.

وأقر الباب السادس (من الفصل 105 إلى الفصل 119) مبدأ الباب المفتوح على قدم المساواة في كل المزايدات المقامة بشأن الصفقات العمومية في المغرب (الفصل 105)، مع إلزام السلطان بإطلاع الهيئة الديبلوماسية على دفاتر التحملات وتفاصيل المشاريع وعلى كل الوثائق الرسمية (الفصل 108) والأمر بما قد يترتب على تلك الأعمال من نزع الملكيات وما إلى ذلك من المقتضيات (الفصل 113 وما بعده).

أما الباب السابع والأخير فيتركب من أربعة فصول تحدد ثلاثة منها الأجل المضروب لمصادقة الدول المشاركة على المقررات وهو 31 دجنبر 1906، بناء على قوانينها الوطنية (من الفصل 120 إلى 122). بينما يثبت الفصل 123 كل ما كان من المعاهدات والأوفاق السابقة بين المغرب ومختلف الدول لا يتعارض مع مقررات الخزيرات ويلغي ما يتعارض معها.

وأدرك الوفد المغربي ما كان في كل ذلك من التطاول على سيادة المغرب فامتنع عن التوقيع. فقرر المؤتمر إيفاد مالموسي وزير إيطاليا المفوض في طنجة إلى فاس بقصد حمل المولى عبد العزيز على إمضاء ما بات معروفا لدى المغاربة "بشروط الخزيرات"، وذلك هو موجب البروطوكول الإيضافي. مما يعني أن المؤتمر إذا كان قد أرجأ موعد الحماية المزدوجة الفرنسية الاسبانية على المغرب، فإنه انتهى في الواقع بإثبات امتيازات تينك الدولتين بما منحهما من الهيمنة على جهاز الشرطة وعلى أموال المخزن من خلال البنك المركزي مقابل ترك أبواب السوق المغربية مفتوحة أمام جميع المقاولات الأجنبية مهما كانت جنسيتها.

ولا أدل على تفوق فرنسا في المؤتمر من إقدامها في السنة التالية فقط على الشروع في احتلال المغرب زحفا من الجزائر من جهة الشرق حيث تم احتلال مدينة وجدة (أبريل 1907)، ونزولا من البحر على مدينة الدار البيضاء وإقليم الشاوية من جهة الغرب (غشت 1907)، هذا فضلا عما كانت قد احتلت من واحات توات منذ سنة 1900 وواحات شنكيط منذ 1905 التي كانت تابعة يومئذ للدولة المغربية. ولذلك لم تكن مقررات الخزيرات سوى ممهد دولي لاستعمار المغرب من قبل فرنسا وإسبانيا. وقد باركت ألمانيا نفسها ذلك بالمعاهدة المبرمة بينها وبين فرنسا يوم 4 نونبر 1911. ففرضت الحماية الفرنسية على المغرب يوم 30 مارس 1912. ووضعت شروط نصيب إسبانيا منها في معاهدة 27 نونبر 1912.

وما أن أبرمت معاهدة الحماية حتى صار شغل فرنسا الشاغل إبطال مفعول مقررات الخزيرات لتحتكر لنفسها ما نابها من التراب المغربي وتستغل خيراته مع التشدق المستمر بسيادة السلطان ووحدة تراب المملكة. وهكذا أبطلت بالتدريج فصول وأبواب كاملة من المقررات بما أصبح لفرنسا ولإسبانيا من النفوذ المطلق في المجالات السياسية والإدارية في منطقتيهما، بل ومن النفوذ الاقتصادي

والمالي أيضاً. أما من حيث النفوذ السياسي والإداري فإن أجهزة السيادة الحكومية (وهو ما يقابل وزارات الداخلية والدفاع والشؤون الخارجية) كانت كلها بيد المقيم العام الفرنسي والمندوب السامي الاسباني. وأما من حيث النفوذ الاقتصادي والمالي فإن فرنسا استطاعت أن تقصي منافسيها عن السوق المغربية مثل ألمانيا والنمسا بمقتضى معاهدة فرساي (1919)، ومثل اليابان والمجر على إثر الحرب العالمية الثانية، ومثل إنجلترا باتفاق أبرم بينهما سنة 1938. كما استطاعت أن تستحوذ على جميع المقاولات المغربية العمومية الكبرى مثل بنك الدولة ومثل النقل والكهرباء ومناجم الفوسفاط بشتى أنواع التحايل على مبدأ الباب المفتوح. وازداد جانبها تعزيزا بإحداث الفرنك المغربي منذ 1920 وإلحاقه بالفرنك الفرنسي فأصبحت السوق المغربية حكرا على منطقة رواج العملة الفرنسية ينطبق عليه ما ينطبق عليها. ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية صدر ظهيران بتاريخ 9 و10 شتنبر 1939 بفرضان مراقبة الواردات ومراقبة الصرف. ثم استمر العمل بهما حتى بعد نهاية الحرب. فقام نزاع حاد بين فرنسا والولايات المتحدة التي تذرعت بما كانت الدولة المغربية قد أنعمت عليها به من الامتيازات التجارية منذ 1836. واحتكم الجانبان لدى محكمة لاهاي الدولية فحكمت بإمكانية ممارسة الاستيراد في المغرب دون الاعتماد على العملة الصعبة.

بيد أن احتكار فرنسا وإسبانيا للسوق المغربية تبين في نهاية المطاف الاستعماري أنه كان شراً في طيه خير. ذلك أن مجرد إعلان استقلال المغرب سنة 1956 جاء بمثابة إلغاء ضمني لما كان لم تبق من مقتضيات الخزيرات. فإنها فرضت على المغرب يوم كانت الدول المتغلبة لا تتورع عن إعلان حقها في استغلال الدول المستضعفة. أما بعد صدور البيان العام بحقوق الإنسان من قبل هيئة الأمم المتحدة في شهر دجنبر من سنة 1948 الذي ورد في مقدمة التصريح "بمساواة الرجال والنساء وكذا الأمم الكبرى والأمم الصغرى في الحقوق" فإن مقتضيات الخزيرات باتت مخالفة للقانون الدولي لاغية دونما حاجة إلى فتح باب التفاوض والمساومة عن أجل إلغائها.

مراسلات مخزنية، *النصف الثاني من سنة 1323هـ والنصف الأول من سنة 1324*، مديرية الوثائق الملكية، الرباط ؛ مراسلات إنجليزية، F.O 413. *Affairs of Morocco*، ج. 30 و31 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، 1894 - 1910*، الدار البيضاء، إفريقيا - الشرق، 1990 ؛ م. خير فارس، *المسألة المغربية، (1900 - 1912)*، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية، 1961.

Documents diplomatiques (français), 1906, *Protocoles et comptes rendus de la Conférence d'Algésiras*, Fasc., V, Paris ; Y. Famchon, *Le Maroc d'Algésiras à la souveraineté économique*, Paris, 1957 ; Hajoui, M. O., *Histoire diplomatique du Maroc 1900 - 1912*, Paris, 1938; B. Hamdouch, *Spécialisation subie et sous-développement au Maroc : Les effets du régime de la "Porte ouverte" et de la domination de zone*, Casablanca, 1983 ; Harris W. B., *Morocco that was* ; M. Paléologue, *Un grand tournant de la politique mondiale, 1904 - 1905* ; P. Révoil, *Journal tenu pendant la conférence d'Algésiras, 12 Janvier - 9 Avril 1906*, Paris, 1939 ; Saint-René Taillandier, G., *Les origines du Maroc français, Récit d'une mission, 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; Tardieu, G., *La Conférence d'Algésiras, Histoire diplomatique de la crise marocaine*, Paris, 1907 ; Taylor, A.J.P., *La Conférence d'Algésiras*, Revue Historique, t. CCVIII, oct.-déc. 1952, pp. 235 - 254

إبراهيم بوطالب

الخزينة العامة للمملكة المغربية تقوم بتنفيذ ميزانية الدولة وميزانيات الجماعات المحلية وذلك بتحصيل المداخيل العمومية وتنفيذ النفقات سواء منها المتعلقة بالتسيير أو التجهيز أو الدين العمومي وبالنظر إلى عجز الموازنة العمومية وإلى استحالة حصول تناسق يومي بين المداخيل والصاريف. تعمل الخزينة العامة على تجنيد أموال الخواص والمؤسسات العمومية عبر تدبير ودائع يتم تدبيرها وفق التقنيات البنكية المعاصرة وعبر تجنيد الادخار بواسطة سندات الخزينة وغيرها من القروض العامة.

وبهذه الصفة فإن الخزينة العامة للمملكة، تشكل إدارة أساسية تلعب دوراً حيوياً في السير اليومي للمرافق العمومية التي لا يمكن أن تضطلع بالمهام المنوطة بها إن لم تتوفر على الوسائل المالية الضرورية لهذا الغرض.

ولهذا فإن تطور هذه المؤسسة مرتبط بكيفية وثيقة بتطور الإدارة والمجتمع المغربيين مما يتطلب التعرف على التطور التاريخي لهذه المؤسسة (1) الذي يمكن من فهم دورها ووظائفها (2) التي تحدد بدورها تنظيم هياكلها (3) وعلاقاتها بمحيطها (4).

يرجع تنظيم وهيكلة المصالح العمومية المكلفة بتحصيل الموارد وصرف النفقات العمومية إلى عهد السلطان مولاي الحسن الأول حيث كانت هذه المصالح تتكون من أمناء المداخيل والذين كانوا مكلفين بتحصيل الضرائب ومداخيل الجمارك ومن الأمناء المكلفين بصرف نفقات المخزن. وكان على رأس كل هؤلاء الأمناء أمينهم الذي كان مكلفاً بمركزة حساباتهم ومراقبتها والمصادقة عليها. وبداية من سنة 1906، أي بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء، سوف يضطلع بنك الدولة المؤسس بموجب هذه الاتفاقية، بدور قريب من دور أمين الأمناء. لكن هذا الدور سرعان ما سوف يؤول بعد دخول الحماية الفرنسية للمغرب، إلى موظف سام عين من أجل هذا الغرض. وترجع كتابة القوانين والأنظمة والمساطير المتعلقة بتنفيذ عمليات الخزينة إلى هذا التاريخ، وهكذا صدرت قوانين إعادة تنظيم الترتيب (1912) وإصلاحه (1915) وقوانين التسجيل (1915 و1916) وقوانين التنبر (1917) ... الخ وصدر نظام المحاسبة العمومية في 9 يونيو

1917 ليحدد القواعد الأساسية المتعلقة بإعداد وتنفيذ الميزانية.

وبعد ذلك سوف يتم تحسين هذه النصوص قصد جعلها ملائمة لمستجدات الحركة الاقتصادية والتجارية. وبالموازاة، تطور دور الخزينة ليشمل إضافة إلى الوظائف التقليدية مهام جديدة مثل:

- النشاط البنكي
- مركزة عمليات البريد والشيكات البريدية
- تدبير مالية الجماعات المحلية
- تدبير الدين العمومي
- المساهمة في تجنيد الادخار العمومي.. الخ

يتطلب توضيح هذا الدور التذكير بالتقسيم الوظيفي الذي تعرفه الإدارات المسؤولة على تدبير المالية العمومية حيث نجد في هذه الإدارات قسمين من الموظفين : الأمرون بالصرف والمحاسبون العموميون. فالآمرون بالصرف، وهم الوزراء أو من يقوم مقامهم من مديرين عامين أو مسؤولين يفوّض لهم الوزراء سلطتهم في المجال المالي ويقومون بتحديد مبلغ النفقة واللجوء إلى المساطير الضرورية من أجل تنفيذها ثم يعدون الأمر بتنفيذ هذه النفقة. إلا أن قرارهم هذا يجب أن يصادق عليه الموظف المسؤول من مراقبة الإلتزام بنفقات الدولة.ومتى تم ذلك، يأتي دور المحاسب الذي يتحقق من احترام القوانين والمساطير المتعلقة بالنفقة المعنية ومن توفر الاعتمادات الضرورية ومن وجود جميع الوثائق الضرورية لاثبات هذه النفقة. وفي حالة توفر كل هذه الشروط فإنه يؤشر على النفقة ويقوم بأدائها. لكنه يرفعها في الحالة المعاكسة. ونجد نفس توزيع المهام في ميدان المداخيل حيث إن هناك مصالح الضرائب والتسجيل والجمارك التي تحدد مبلغ الضريبة أو المدخول المعين وتترك للمحاسب التابع للخزينة العامة للمملكة مسؤولية تحصيل المداخيل في إطار قوانين التحصيل الجاري بها العمل.

ومن أجل حث المحاسين على تدقيق مراقبتهم فإن القوانين الجاري بها العمل تجعلهم مسؤولين، شخصياً ومادياً، عن كل تقصير في القيام بمهامهم. وهم مطالبون بإعداد حساباتهم من أجل مراقبتها من طرف البرلمان من جهة (قانون التصفية) ومحكمة الحسابات.

ونظراً للتنظيم الإداري للمملكة، فإن هذه المسؤولية تقع على الخازن العام للمملكة، وهو المحاسب المسؤول عن عمليات المصالح المركزية للدولة، والخزنة الجهويين والاقليميين، وهم المسؤولون عن عمليات المصالح الخارجية للدولة، والقباض الذين يقومون بتحصيل ضرائب الدولة في كافة مناطق المملكة، والقباض محصّلي أموال الجماعات المحلية الذين يقومون بتنفيذ ميزانيات هذه الجماعات علماً بأن الآمرين بالصرف بالنسبة لهذه الجماعات هم العمال ورؤساء المجالس الجهوية والبلدية والقروية.

ويحدد المرسوم المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة المالية الصادر يوم 13 دجنبر 1978 الوظائف الرئيسية للخزينة العامة للمملكة في :

- تحصيل المداخيل العمومية وأداء النفقات العمومية مع الحرص على مراقبة موافقتها للقوانين والأنظمة الجاري بها العمل وخصوصا منها المرسوم الملكي المحدد للنظام العام للمحاسبة العمومية الصادر في 21 أبريل 1967.
- تنفيذ عمليات الخزينة أي العلميات التي تهم مداخيل ونفقات عمومية لا تندرج في إطار القانون المالي مثل تدبير الودائع والدين العمومي القصير الأمد..
- مركزة محاسبة عمليات الدولة والجماعات المحلية وإعداد حسابات التسيير.
- مراقبة محاسبة الدولة والجماعات المحلية.
- تدبير محفظة الأوراق المالية للدولة.
- تصفية حسابات تسيير الجماعات المحلية.
- إعداد مشاريع النصوص القانونية والتنظيمية المتعلقة بالمحاسبة العمومية وذلك بارتباط مع المصالح المعنية لوزارة المالية، والعمل على تنفيذ النصوص التشريعية والتنظيمية في هذا المجال.

وبالإضافة إلى هذه المهام التي ينص عليها المرسوم المنظم لوزارة المالية تقوم الخزينة العامة عبر مصالحها المركزية والخارجية بأدوار أخرى مثل :

- الاستشارات التي تمنحها للجماعات المحلية حيث إن محاسبي هذه الأخيرة هم كذلك مطالبون بوضع خبرتهم المالية رهن إشارة هذه الجماعات.
- المساهمة في تحدي السياسة المالية وفي التسيير اليومي للسيولة من خلال المساهمة في اللجان المحدثة لهذا الشأن بوزارة المالية.

تطور هذا التنظيم بالموازاة مع التوزيع الذي عرفته الإدارات العمومية المغربية ومع ضرورة مواكبة هذا التطور من جهة وتغير هذا التنظيم كذلك بفعل تقنيات التسيير وخصوصاً المعلومات التي كانت الخزينة العامة من الادارات السباقة إلى الاستفادة من نتائجها الايجابية.

وتشهد الخزينة العامة حالياً مرحلة انتقالية حيث إنها شرعت منذ نهاية الثمانينات في إصلاح هيكلها التنظيمي وفي تعديل عدة قوانين وأنظمة تحكم عملها (قانون التحصيل، نظام المحاسبة العمومية، الخ ...) أو المساهمة في تحضيرها (القانون التنظيمي للمالية، المرسوم المتعلق بالصفقات العمومية..).

لكن الإطار القانوني للتنظيم الحالي للخزينة العامة يبقى هو المرسوم المشار إليه أعلاه. المتعلق باختصاصات وتنظيم وزارة المالية والذي ينص على أنها تتوفر على مديريتين :

- مديرية العمليات المتعلقة بالميزانية وذات الصبغة البنكية والتي تقوم بتنفيذ النفقات العمومية، ومتابعة تحصيل المداخيل العمومية وبتدبير الودائع البنكية

والتسيير المحاسبي للدين العمومي ولمحفظة أوراق الدولة.

- مديرية المحاسبة العمومية والمركزة والتي تقوم بمركزة حسابات الدولة والجماعات المحلية وبإعداد حسابات التسيير إضافة إلى إعداد مشاريع النصوص القانونية والمذكرات المتعلقة بالمحاسبة العمومية.

وتتوفر الخزينة العامة كذلك على :

- مفتشية مصالح المحاسبين.

- وكالة مركزية للحسابات المتعلقة بتسيير السفارات والقنصليات في الخارج.

- المصالح الخاصة بالموظفين والتكوين والمعلومات.

وإضافة إلى المصالح المركزية، تتوفر الخزينة العامة للمملكة على مصالح خارجية مكونة من :

- خزنة جهويين وإقليميين على صعيد الجهة أو الإقليم وهم يعتبرون بمثابة رؤساء مصالح المحاسبة العمومية على صعيد المصالح الخارجية.

- قباض لضرائب الدولة ولتسيير مالية الجهات والجماعات المحلية الأخرى وهم جميعاً تابعون للخزنة الجهويين والإقليميين.

علاقات الخزينة العامة للمملكة بمحيطها :

ترتبط الخزينة العامة بعلاقات يومية مع المديريات الأخرى لوزارة المالية ومع الوزارات الأخرى المشكلة للحكومة إضافة إلى المؤسسات المالية والبنكية.

وهكذا، فإن للخزينة العامة علاقات مع كل من مديرية الضرائب والإدارة العامة للجمارك والضرائب الغير المباشرة وذلك في كل ما يهم الجبايات، ومع مديرية الميزانية والالتزام بنفقات الدولة في كل ما يتعلق بالنفقات العمومية، ومع مديرية الخزينة والمالية الخارجية في ما يهم تسيير الدين العمومي وحركات الأموال العمومية وتحويل العجز الظرفي للخزينة.

وفي علاقاتها مع الوزارات الأخرى، تعمل الخزينة على تنفيذ نفقات مصالح هذه الوزارات وإصدار البيانات والجداول التي تسهل عليها تدبير الاعتمادات التي يفتحها لها القانون المالي.

أما مع المؤسسات البنكية والمالية فللخزينة العامة علاقات يومية مع بنك المغرب حيث إن الجزء الأكبر من الأموال العمومية يدفع إلى الحساب الجاري للخزينة المفتوح لدى هذه المؤسسات كما أن النفقات العمومية تؤدي في الجزء الأكبر منها بواسطة تحويلات من هذا الحساب.

وتخضع علاقات الخزينة مع المؤسسات البنكية الأخرى للقوانين العادية المنظمة لعلاقات هذه المؤسسات مع الأشخاص والمنظمات الأخرى بل إن كثيراً من خزنة تتوفر على حساب في الخزينة في حين لا تتوفر خزينة العامة للمملكة إلا على حساب بنكي واحد هو حساب الجاري المفتوح لدى البنك المركزي بنك المغرب.

وبطبيعة الحال فإن ... الخزينة ... ومزبونها هم من جهة المستفيدون من النفقات العمومية من موظفين ومقاولين وغيرهم ومن جهة أخرى الملزمون بالضريبة والمدخرون الذين يضعون أموالهم رهن إشارة الدولة.

ل. السباعي، مراجع دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد ؛ دبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية الإدارية ؛ وثائق الخزينة العامة بوزارة المالية.

Loi organique des finances ; Decret fixant les attributions et l'organisation de la Trésorerie Générale du Royaume, 1978 ; M. Champion, Les finances publiques au Maroc, Rabat, 1961 ; M. Loze, Les finances de l'Etat, Rabat, 1971 ; M. Doghmi, Le rôle de la Banque du Maroc dans le système monétaire et bancaire, 1966 ; Al Malya, Bulletin du Ministère de l'Economie et des Finances N 23 consacré à la Trésorerie Générale, 2000 ; Rapports, notes et études diverses de la Trésorerie Générale du Royaume

لحبيب السباعي الإدريسي

الخس أو الخص أو "صلادة" أو "شلادة" أو "سلاطة"، كلها ألفاظ تطلق على أنواع وأصناف نباتية تتناول كمدخل لوجبات الغذاء والعشاء. تنتمي كل هذه الأنواع والأصناف لجنس لاكتوكا Lactuca وفصيلة المركبات Composition أو النجميات Asteraceae.

والخس أنواع وأصناف حولية أو ثنائية الحول عشبية. لها أوراق قاعدية تؤكل نيئة قبل أن تعطي في نهاية الموسم ساقا عنقيا يحمل الأزهار والثمار. لها عصير لبني. والاسمان الفرنسي Laitue والعلمي Lactuca يدلان عن وجود هذا العصير اللبني.

والموطن الأصلي للخس البري هو منطقة البحر المتوسط، ومنه انحدرت الأصناف المغروسة حاليا. إنه من الأعشاب التي استعملها الإنسان للاستهلاك منذ ما يزيد عن خمسة آلاف سنة. وكل الأصناف المزروعة حاليا كانت معروفة في المنطقة المتوسطية قبل العصور الوسطى.

للخس قيمة غذائية قليلة لكنه يحتوي على فيتامينات وأملاح معدنية كثيرة. تزرع عدة أصناف بالمغرب في الأراضي السقوية والبساتين القريبة من مراكز الاستهلاك.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، النبات الاقتصادي، ترجمة د. ع. زاعر وآخرين، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1962.

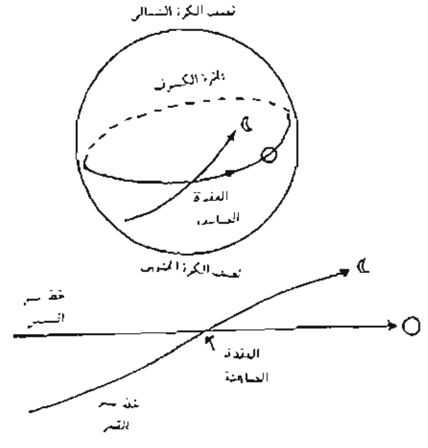
عبد المالك بنعبيد

الخسوف والكسوف لا شك أن ظاهرتي الكسوف والخسوف من أكثر الحوادث السمارية إثارة وأعظمها غرابة، وقد عكف الفلكيون على دراستها وتفننوا في التنبإ بحدوثها والتنافس على حسابها ومعرفة أشكالها. وسعيا لشرح هاتين الظاهرتين والإطلاع على ما خفي منهما يتعين التذكير ببعض الحركات الفلكية للشمس والقمر وطريقة تحرك كل واحد منهما. يتعين التذكير ببعض الحركات الفلكية للشمس والقمر وطريقة تحرك كل واحد منهما.

فقد علم الفلكيون من قديم الزمن أن الأرض تدور حول الشمس في مدة تقرب من ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم. أما بالنسبة للراصد الموجود على ظهر الأرض فإنه يخيل إليه أن الشمس هي التي تتحرك بين النجوم فتقطع دائرة كاملة في سنة واحدة وقد سمى الفلكيون هذه الدائرة بخط الكسوف لأن الكسوف والخسوف لا يقعان إلا إذا كان القمر والشمس قريبين منها. وقد قسم الفلكيون هذه الدائرة إلى اثنى عشر قوسا سموها بروجا وأعطوا اسما معينا لكل واحد منها.

وعند التدقيق في حركة الشمس هذه أدرك الفلكيون أن الشمس في حركتها داخل البروج تسرع مرة وتبطئ مرة أخرى كما أن قطرها يظهر كثيرا نسبيا عندما تكون الشمس قريبة من الأرض أوائل شهر يناير ويظهر صغيرا نسبيا عندما تكون الشمس بعيدة من الأرض أوائل شهر يونيو.

أما بالنسبة للقمر فإنه يقطع كذلك خطا معينا كل شهر وهذا الخط يقرب كثيراً من شكل دائرة تنحرف عن دائرة البروج وتلتقي معها في نقطتين أطلق عليهما اسم العقدتين فالعقدة الهابطة هي ملتقى خط سير القمر عندما يتقاطع مع دائرة البروج منتقلا من نصف الكرة السماوية الشمالي إلى نصفها الجنوبي والعقدة الهابطة هي ملتقى خط سير القمر مع دائرة البروج بعد ستة أشهر قمرية منتقلا من نصف الكرة الجنوبي إلى نصفها الشمالي (الشكل 1).



الشكل 1 سير الشمس والقمر داخل الكرة السماوية

وسرعة تحرك القمر في فلكه غير ثابتة كما أن قطره المنظور من الأرض يتغير تبعا لقربه أو بعده عن الأرض.

ويعلم الخاص والعام أن القمر يكون قريبا من الشمس في أول الشهر الهجري حيث يظهر في شكل هلال ثم ينمو ويبتعد عن الشمس شيئا فشيئا كل يوم إلى أن يبلغ الغاية في حجمه وابتعاده عن الشمس فيكون بدرا ليلة الرابع عشر من الشهر ثم يتناقص ويقرب من الشمس إلى أن يختفي تحت شعاعها ابتداء من اليوم الثامن والعشرين ولا يظهر للعيان إلا ليلة الفاتح من الشهر اللاحق.

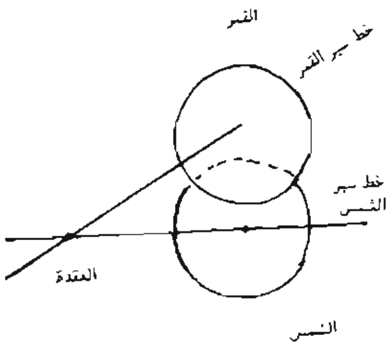
ومن عجائب الكون أن قرصي القمر والشمس المنظورين من الأرض قريبان من بعضهما ولا يفوت أحدهما الآخر إلا قليلاً جداً.

ويحدث الكسوف متى توسط القمر بين الأرض والشمس فيحجب آنذاك ضوءها عن قسم من الكرة الأرضية ولا يحدث ذلك إلا إذا كان القمر والشمس معا قريبين من إحدى العقدتين وكان ذلك يوم الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين من الشهر الهجري ولا يمكن أن يحدث الكسوف أبدا يوم الثلاثين من الشهر.

ويصنف الفلكيون الكسوف إلى ثلاثة أنواع :

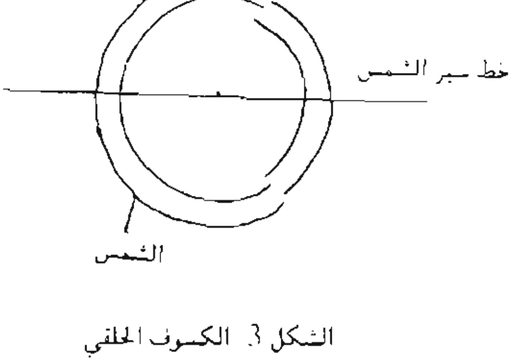
- فالكسوف الكلي يحدث إذا كان جرم القمر تبعا لموقعه وموقع الشمس كافيا لتغطية الشمس كلها فيحجبها كليا عن جزء صغير من الكرة الأرضية ولا يحدث أبدا أن يحجب القمر الشمس عن كل الأرض.

- والكسوف الجزئي يحدث عندما يحجب القمر جزءاً لا غير من الشمس يتفاوت مقداره حسب موقع الراصد وساعة الرصد وذلك كيفما كان تفاوت قطري القمر والشمس (الشكل 2).



الشكل 2 الكسوف الجزئي

- والكسوف الحلقي يحدث عندما يكون مركز القمر قريبا جدا من مركز الشمس ويكون قرص القمر أقل من قرص الشمس فلا يكفي ليغطيها كلية وتبقى حلقة من الشمس مضيئة من الشمس حول القمر (الشكل 3).



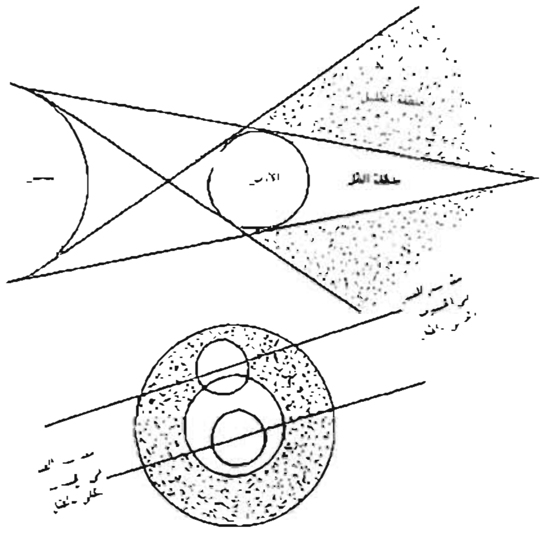
الشكل 3 الكسوف الحلقي

- والكسوف المزدوج وهو أندر الأنواع هو ما يبتدئ كليا ثم ينقلب جزئياً أو العكس وكيفما كان نوع الكسوف فإنه لا يرى في شكل واحد وفي لحظة واحدة من جميع الكرة الأرضية فهناك من يراه كليا وهناك من يراه جزئياً وهناك من لا يرى شيئاً.

أما الخسوف فهو يحدث عندما توجد الأرض بين الشمس والقمر فتحجب عنه أو عن بعضه كلا أو جزءا من نور الشمس ولا يحدث الخسوف إلا ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر من الشهر.

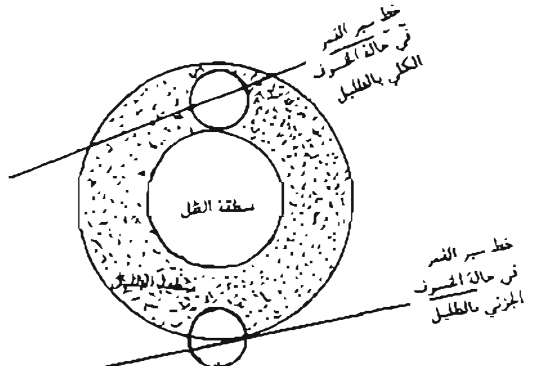
ويصنف الفلكيون الخسوف إلى عدة أنواع :

- فالخسوف بالظل يحدث عندما يغطي ظل الأرض وجه القمر ويكون هذا الكسوف كليا أو جزئيا حسب درجة تغطية القمر (الشكل 4).



الشكل 4 الخسوف بالظل

- والخسوف بالظليل يحدث عندما يمر القمر في منطقة لا ينحجب عليها ظل الأرض كليا والتي تسمى منطقة الظليل ويكون هذا الخسوف كذلك جزئيا أو كليا (الشكل 5).



الشكل 5 الشكل بالظليل

وخلافاً للخسوف الذي لا يرى إلا من منطقة محدودة من الأرض فإن الكسوف يراه جميع من وجد على نصف الكرة الأرضية المقابلة للبدر ولهذا السبب فإن ظاهرة الخسوف يراها جمهور كبير من الناس من مكان واحد وفي أزمنة متقاربة أما الكسوف الكلي فلا يتكرر في مكان واحد إلا بعدما يقرب من 370 سنة.

أما دورية الكسوف والخسوف فهي تساوي 223 شهر قمري فإذا شوهد كسوف أو خسوف في مكان ما فإن كسوفاً أو خسوفاً آخر يرى من نفس المكان أو من مكان آخر بعد 223 شهر.

وتحتوي هذه المدة من 223 شهر على ما يقرب من 40 كسوفاً و40 خسوفاً وفي الجدول المرفق توجد توقعات حدوث الكسوف والخسوف في العقود المقبلة.

وأشهر كسوف في التاريخ الإسلامي هو الذي شوهد بالمدينة المنورة والذي صادف وفاة سيدنا إبراهيم آخر أبناء النبي صلى الله عليه وسلم فخطب عليه الصلاة والسلام على الصحابة وذكر لهم أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنخسفان لموت أحد.

وتوجد مواقع كثيرة على الأنترنيت لمن أراد زيادة الاطلاع على هذه الظواهر نخص منها بالذكر bdl.fr، وsunearth.gsfc.nasa.gov/eclipse.

علي العموري

الخشب، هو المادة العضوية التي تعطي الصلابة لجذوع وأغصان الأشجار، وهي تتكون من السليلوز (40 . 50٪) وشبه السليلوز (20 . 30 ٪) المتصقين فيما بينهما بالخشبين (Lignine) (20 . 32 ٪) التي تعتبر بمثابة الإسمنت الذي يضمن للخشب صلابته.

يعتبر الخشب من أقدم المواد المستعملة من طرف الإنسان منذ وجود هذا الأخير على وجه الأرض، وذلك لتلبية حاجياته من الحطب وأعمدة وركائز السكن، وأدوات الصيد والحروب كالقوس، والسهم والقذافة...

استعمل الخشب فيما قبل التاريخ كمصدر للفحم الحطبي الذي كان آنذاك ضروريا لتذويب الحديد والمعادن الأخرى.

اكتشف الفراعنة ثم اليونانيون التحويل الكيميائي للخشب بطريقة التحليل الحراري، وذلك لإنتاج سوائل هامة مثل الحامض الخلي والأسيطون...

عرفت استعمالات الخشب تطوراً تدريجياً منذ العهد الحجري، إذ زادت استعمالاته في القرون الوسطى، أما الآن فإن الخشب أصبح من المواد التي لا يمكن الاستغناء عنها في السكن والمعامل والادارات وجميع المؤسسات : ألواح وأبواب، ونوافذ، وأعمدة، وركائز، وطاقة، وأثاث وورق... بالإضافة إلى هذه المواد إنه من الممكن استخراج مواد أخرى عديدة مثل الإيثانول (Ethanol) والسكر والميثين، والكحول وفيتامين ج، والبروتينات..

عرف استعمال الخشب تطوراً كبيراً في القرون الأربعة

الأخيرة، حيث صنعت منه العربات والسفن واستعمل في البناء. وهكذا كان استعمال خشب الأرز والعرعر من الأخشاب التي استعملت في تشييد المدن المغربية العتيقة، كفاس ومكناس ومراكش وتطوان ووجدة... وعلى سبيل المثال كانت مراكش في بداية تشييدها تحتاج إلى كميات كبيرة من أخشاب الأرز والعرعر، ولاسيما فيما يخص القصور والمساجد والمدارس... فإذا كان العرعر غير بعيد عن المدينة فإن الأرز كان ينشر محليا بالأطلس المتوسط على شكل ألواح (4 م x 0,22 م x 0,04م) ثم تنقل إلى وادي أم الربيع لينقلها مطفوة فوق الماء من ناحية خنيفرة إلى موقع دار ولد زيدوح، ثم يتم نقلها على ظهر الجمال والبغال إلى مدينة مراكش.

لكن دور الخشب في البناء بدأ يتقلص منذ بداية الخمسينات من هذا القرن وذلك يرجع إلى ظهور مواد أخرى كالحديد والإسمنت، والخرسانة...

تطورت تكنولوجية الخشب بعد الحرب العالمية الثانية لتظهر عدة مشتقات خشبية كالألواح المكونة من جزيئات (panneaux de particules) والألواح الليفية (panneaux de fibres) وورق الطباعة والورق المقوى...

تختلف أنواع الخشب حسب اختلاف الأشجار بالإضافة إلى الاختلاف في اللون والبنية والمظهر... وتشتهر الأخشاب المدارية بمظاهرها الجميلة مثل خشب الآكاجوا (Acajou) والباليستاندر (Palissandre) والمزاكوي (Mazakoe) وسابيلي (Sapelli)... ففي غالب الأحيان تنشر هذه الأخشاب على شكل صفحات (Placages) وذلك للرفع من مردودية استعمالها. وكل هذه الأنواع الخشبية مستوردة بالنسبة للمغرب، ولا ينتجها، كما هو الشأن بالنسبة للأخشاب الأوربية مثل التنوب (Sapin) والمران (Hêtre) والسنديان (Chêne).

أما الأخشاب المنتجة بالمغرب فهي قليلة جداً. أهمها أرز الأطلس والعرعر البربري والجوز، والصنوبر البحري والصنوبر الحلبي إلى جانب أنواع أخرى تستعمل بصفة تقليدية لبعض الخدمات كصناعة المحراث ومقابض أدوات أخرى.

إن استعمالات الخشب عديدة وهي مرتبطة بجودته :

1 ـ خشب ذو الجودة العالية المستعمل لصنع الأثاث الرفيع والأدوات المنقوشة (Bois d'ébénisterie).

2 ـ خشب النجارة المستعمل لصناعة الأبواب والنوافذ وبعض الأثاث العالي.

3 ـ خشب الصناعة الذي يستعمل مسحوقا لصناعة العديد من أنواع الألواح، وعجين الورق.

4 ـ خشب الخدمات المستعمل لأغراض فلاحية وفي البناء التقليدي : أعمدة، أوتاد، ركائز، سقوف...

5 ـ خشب للمعادن المستعمل داخل المناجم.

6 ـ الحطب المستعمل كوقود (انظر حطب).

7 ـ خشب الأعمدة الهاتفية والكهربائية.

أما من ناحية الإنتاج فإن المغرب لا ينتج إلا كمية قليلة ما عدا الحطب (انظر حطب) وخشب الصناعة (690.000 م3) الذي تعطيه أشجار الأوكاليبتوس والمستعمل لإنتاج حوالي 100.000 طن من عجين الورق. فإذا كانت حاجيات المغرب من خشب النجارة تقدر بـ507.000 م3، فإن الإنتاج المحلي لا يتجاوز الخمس من هذه الكمية إذ يقدر بـ91.600 م3، وهو لا يمكنه أن يرتفع بينما الاحتياجات في تزايد مستمر بسبب النمو العمراني للبلاد. وهذا يعني أن الانتاج الوطني لا يغطي حاليا إلا 18٪ فقط من الحاجيات الوطنية من هذا النوع من الخشب. يستورد المغرب أكثر من أربعة أخماس حاجياته من الخشب من الدول الافريقية الغابوية كساحل العاج، والگابون والكاميرون، وغانا وغينيا، أو الدول الآسيوية كماليزيا، أو الدول الأوربية كفرنسا والبرتغال والسويد وفنلندا...

Eero Sjöström, *Wood chemistry : Fundamentals and applications.*, 1981, London ; J. El Krari, *Le sciage du cèdre au Maroc : Etude technico-économique*, Mémoire 3° cycle I.A.V., Hassan II, Rabat, 1989 ; I.M. Kaikai, *Le commerce des bois tropicaux au Maroc : Evolution et perspective*, Mémoire de 3° cycle de l'Ecole Nationale Forestière d'Ingénieurs de Salé, 1995.

محمد هشمي

* *

لم يكن المغرب في تاريخه القديم وجلّ فترات التاريخ الوسيط مستورداً للأخشاب رغم استهلاكه الكبير لها، بل كان منتجاً ومصدراً لها إلى نهاية العهد المريني الأول، ولم تهتم المصادر بالموضوع إلا عندما يتعلق الأمر بشكل مرتبط بالأخشاب ومعظم الإشارات تأتي عرضاً.

من أكثر أنواع الأخشاب ذكراً في المصادر خشب الأرز فقد استعمل بكثرة في أغراض صناعية متعددة : صناعة السفن والقوارب وصناعة الأثاث والأواني المنزلية ؛ وأكثر استعمالاته كانت في البناء، فمنه كانت سقوف القصور والمساجد ودور الأعيان، ومنه كانت مصارع الأبواب والنوافذ، وقد كان الإقبال عليه في الحواضر الكبرى وحتى من بعض الأغنياء في البوادي، وترجع أهميته إلى عدة خصائص ومميزات منها المنظر الجميل : فلونه البني المفتوح ورائحته الطيبة تدوم ولا تتأثر بعامل الزمن، إضافة إلى شدة مقاومته للتسوس وسهولة تشكيله ؛ ذكر ابن أبي زرع في كتابه *روض القرطاس* ما يلي : "وهو (خشب الأرز) أطيب خشب الأرض، يعمر العود منه في سقف البيت ألف سنة ولا يسوس ولا يعتريه شيء، ما لم يمسه الماء" (*القرطاس*، 43، *معيار الاختيار*، 143، *التشوف*، 133).

أهم مراكز استهلاك خشب الأرز مدن فاس وسبتة ومراكش وسلا، ودور صناعة السفن : سبتة والقصر الصغير والمعمورة وسلا وغيرها ؛ ويبدو أن ثمنه ارتفع بشكل كبير خلال العصر الوسيط (*وصف إفريقيا*، 1 :

250) لكثرة الطلب عليه في الداخل والخارج، ولاستنزاف خشب الأرز وتدهور غاباته بسبب الاستغلال العشوائي للغابة حتى إن القبائل التي تملك غابات الأرز بدأت تمنع استغلالها من قبل الغير حتى ولو كان المخزن، وقد جاء في المصادر أن السلطان المريني أبا سالم ذهب بنفسه إلى جناتة (زناتة بجبال فازاز) للوقوف على قطع الأخشاب بنفسه حسب تعبير ابن بطوطة (*الرحلة*، ص 650 ؛ *استقصا*، ج 3).

نتيجة للاستغلال العشوائي والمكثف تضاءلت غابات الأرزوتراجعت عما كانت عليه في جبال غمارة وفازاز منذ نهاية العهد الموحدي وما هو موجود منها اليوم لا يشكل إلا بقايا. تدخلت القوانين الجديدة التي جاء بها الاستعمار الفرنسي والإسباني للمغرب لحمايتها.

يأتي خشب الصنوبر في الدرجة الثانية بعد الأرز من حيث الخصائص والمميزات الطبيعية، وقد كان استعماله واستغلاله مكثفاً في مختلف الصناعات، لكن غاباته كانت أكثر انتشاراً من غابات الأرز. فغابة الأرز لا تنمو وتزدهر إلا في المناطق الباردة التي تتلقى التساقطات الثلجية باستمرار، أما غابات الصنوبر فتوجد في الأماكن الرطبة بصفة عامة، فرغم التدهور الذي أصاب غابات الأرز بسبب تعسف الإنسان، فإنها ظلت تتجدد ولم يؤثر عليها إلا التغيرات المناخية والاعتداءات المتكررة للإنسان مثل اقتلاع الأشجار واحراق المساحات الغابوية قصد الحصول على الأراضي الزراعية أو المراعي المكشوفة أو لأسباب أمنية.

من الأخشاب التي استعملت بكثرة وتأتي في تقديري في الدرجة الثالثة بحسب تردد ذكرها في المصادر خشب البقس فهو يتميز عن النوعين السابقين بصلابته الشديدة، وبقلة انتشاره. فشجرة البقس لا تكون غابات مستقلة بل توجد مختلطة مع أشجار أخرى في الغابات السهلية والهضاب الرطبة، ونظراً لخصائص خشب البقس (الصلابة، المنظر الجميل، اللون البني الغامق، مقاومة التسوس والرطوبة والحرارة) فقد صنعت منها الأشياء الدقيقة كالأمشاط والدبابيس والاقفال والملاعق والشوكات، وصنعت منه المهارس ومقابض الأدوات الحديدية، وقد استعملت أخشابه بحسب توفرها حتى في صناعة الأثاث المنزلية وبعض منابر المساجد والمحاريث والأدوات الفلاحية (*معلمة المغرب*، ج 4).

تحدث البكري في كتابه *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* عن شجرة سماها تامجانت وقال إن خشبها يصنع منه كل منحوت وتصدر أوانيه الخشبية إلى خارج المنطقة وإلى إفريقية والسودان (*المغرب*، 156، *معلمة المغرب*، 7)؛ أما شجرة البلوط التي تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الانتشار بعد الأرز والصنوبر فإن خشبها لا يصلح إلا لأغراض صناعية محدودة مثل الاقفال والزوايا والدعامات، والمحاريث، فهي شجرة غير مستقيمة الساق والأغصان وبالتالي فهي لا تعطى ألواحاً ولا أعمدة طويلة ومستقيمة صالحة لصناعة المراكب أو للنجارة المنزلية والأثاث، ومع ذلك فقد اضطُر المغرب في عهد بني مرين إلى الاعتماد في صناعة المراكب والسفن على خشب البلوط فكانت دار الصناعة بالمعمورة وسلا تعتمد على خشب غابات البلوط حتى إنه يتم إتلاف العديد من الأشجار للحصول على ألواح معدودة (*الاستقصا*، ج 3، ص 22).

وما قلناه عن البلوط ينطبق على شجر أرگان فهو لا يعطي ألواحاً بالواصفات التي تتطلبها النجارة أو دور الصناعة. ولكن اعتمد عليه في أخذ الدعائم لاستخراج المعادن من المناجم الباطنية واستعمل كمصدر للطاقة في صناعة السكر في العهد السعدي. فسددت هذه الصناعة ضربة قاضية لغاباته وما يوجد منها اليوم في المغرب ما هو إلا بقايا متخلفة عن العهد السعدي. وتشير بعض الدراسات الميدانية وتؤكد ما جاء من إشارات في بعض المصادر من أن شجرة أرگان وغاباته كانت تمتد حتى شمال وادي تانسيفت (*أحسن التقاسيم*، 230، *المغرب*، ص 87 و90 و114 و 147 وما بعدها، *نزهة المشتاق*، 3 : 229 و 236 و 239).

وقد فسر الدارسون ظاهرة تراجع الغابات في حوض البحر المتوسط - وخاصة غابات الأرز والصنوبر والبلوط - إلى عوامل بشرية أكثر منها طبيعية فاستهلاك الأخشاب كان كبيراً إضافة إلى استهلاك الحطب في الصناعات والخدمات (أفران، حمامات وغيرها) (*L'Islam dans sa première grandeur* ص. 191 و192 و193 و194).

لم يكن المغرب كما أسلفت مستورداً للأخشاب بل كان مصدراً لها إلى نهاية العصر الوسيط (*القصد الشريف*، 74)، وفي العهد السعدي طالعتنا المصادر البرتغالية وغيرها بإشارات تفيد أن المراكب البرتغالية كانت تأتي بالأخشاب ويبيعها التجار في المدن الداخلية مثل تارودانت وغيرها، لكن ذلك لا يعني البتة نفاد الأخشاب من البلاد بقدر ما يعني انعدام الأمن والاستقرار الذي حال دون قطع الأخشاب ونقلها، إضافة إلى تكاليف نقلها براً فالمواد المنقولة بحراً أرخص. والعوامل البشرية كانت أعظم وأكبر تأثيراً على انتاج الخشب وتسويقه من العوامل الطبيعية. ولعل نص الجزنائي وهو يتحدث عن إرسال خشب الأرز والصنوبر في مياه نهر سبو بطريقة متقنة ليصل إلى المصب حيث دار الصناعة في مرسى المعمورة لخير دليل على أن الأمن والاستقرار يساعدان على الرواج والتجارة استيراداً وتصديراً. وقد كان العهد الموحدي الأول الفترة التي بلغ فيها استغلال الأخشاب في صناعة المراكب الذروة، ورغم بعد الجزنائي عن الفترة فقد أعجب بما قرأه عن طريقة نقل الأخشاب بواسطة مياه نهر سبو (جني زهرة *الآس*، ص 38).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*. الرباط، 1958 و 1984 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، بيروت، د. ت. ؛ البكري، المغرب، الجزائر، 1911، وباريس 1965 ؛ *معلمة المغرب*، ج. 4 و7 ؛ أ. الناصري. *الاستقصا*، ج 3 الدار البيضاء، 1954 ؛ ع. الجزنائي. *جني زهر الآس*، الرباط، 1967 ؛ البادسي، *المقصد الشريف*، الرباط، 1982 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الإيطالية نابولي، د. ت.

Martin et autres, *Géographie du Maroc*, Paris, 1967 ; Michaux Bellaire, *Les Doukhala* in *villes et tribus du Maroc*, Vol. X ; M. Lombard, *L'Islam dans sa première grandeur*, 1980.

محمد حجاج الطريل

وباعتبار صناعة الخشب فإن المنتجات المستخرجة مهمة ومتعددة، وهي في تطور مستمر نتيجة الأبحاث وحيوية الصناعات التي تحول الخشب.

تشمل صناعة الخشب بالمغرب قطاعين، أحدهما تقليدي والآخر عصري.

- القطاع التقليدي : يشمل هذا القطاع صناعة نشر الأخشاب المنتجة وطنيا، وبعض التحويلات كصناعة الفحم، وصناعة الصناديق، وفن التطعيم (Marquetterie) الذي يستعمل خشب العرعر البربري.

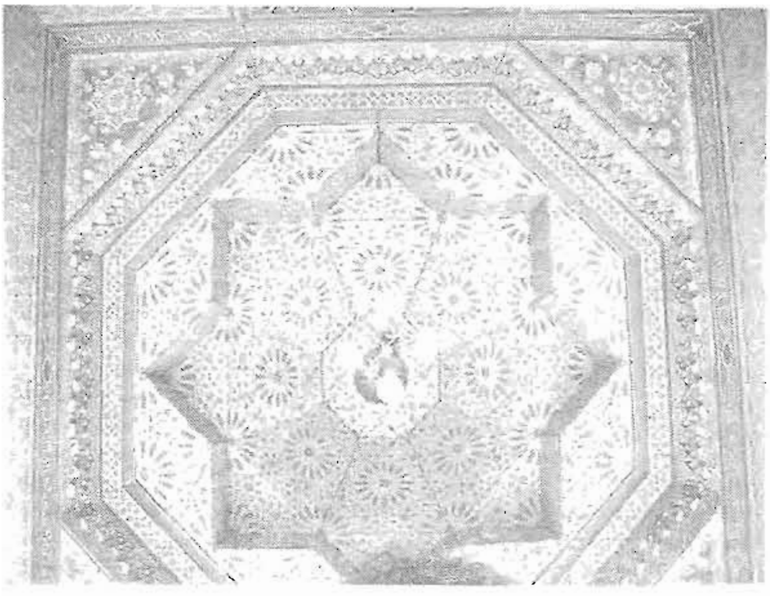
يتم تفحيم الخشب في الأماكن التي تقطع فيها الأشجار. ويستعمل فيه الحطب الناتج عن عدة أنواع من الأشجار كالأوكاليبتوس والأركان والبلوط الأخضر. وترتكز التقنية المستعملة على الكومة التقليدية التي لا تتعدى مردوديتها 20٪ من الفحم، ولا تمكن من استخراج بعض السوائل الهامة كحامض الخليك (Acide acétique) والقطران. وينتج المغرب 75 000 طن من الفحم.

وفي نفس الإطار، أثبتت التجارب أن استعمال الأفران الحديدية للتفحيم ستمكن من رفع المردودية بـ 25 ٪.

أما صناعة نشر الأخشاب المنتجة بالمغرب كالأرز فإنها تشمل 49 منشرة توجد في أماكن إنتاج هذا النوع من الخشب ويخص الأمر منطقتي الريف الأوسط والأطلس المتوسط. تستعمل هذه المنشرات في أغلبها آلات نشر قديمة مما يجعل مردودية النشر لا تتعدى 50٪.

الاستثمار في تجديد الآلات غير ممكن في الحالة الراهنة، لأن إنتاج خشب الأرز الذي يصل إلى 100 000 م^3 في السنة لا يمكن من استيفاء رأس المال المستثمر.

تصنف قطع الخشب المنشورة حسب جودتها أربعة أصناف. يستعمل الصنف الأول ذو الجودة العالية في صناعة الإبنُوس لصنع الأثاث الرفيع والأخشاب المنقوشة التي تستعمل في أثاث المساجد والبيوت كما هو الشأن في المدن العتيقة مثل فاس ومكناس والرباط... كما توجد عدة وحدات تقليدية تقوم بنشر أخشاب الصنوبر البحري أو



الحلبي وذلك لصناعة الصناديق المستعملة في تسويق الخضر والفواكه، وأشياء أخرى وتستهلك في هذه الصناعة أكثر من 25 000 م^3 في وحدات نشر توجد إما في أماكن إنتاج الخشب مثل القنيطرة وسلا وسيدي يحيى أو في أماكن الاستعمار مثل الدار البيضاء والمناطق المنتجة للخضراوات والفواكه.

تنفرد مدينة الصويرة باستعمال خشب جذوع وجذور العرعر البربري من طرف صناع تقليديين لصنع منتجات مختلفة منها المنحوتة ومنها المطعمة بأخشاب أخرى، ومنها المنقوشة... ويتعلق الأمر بأدوات وأثاث منزلية وأواني وصناديق صغيرة تستعمل للزينة. يتم بيع هذه المنتجات في أكثر من 150 متجر أو تسوق في المدن السياحية الأخرى كأكادير ومراكش والرباط... نظراً لندرة فرص الشغل في مدينة الصويرة صار السكان يتعاطون أكثر فأكثر إلى تحويل خشب العرعر. مما أدى إلى ارتفاع عدد الصناع من 1853 سنة 1992 إلى 6300 سنة 1998. الشيء الذي أدى إلى ارتفاع الطلب للمادة الأولية التي تبلغ كميتها حالياً 11700 لوحة و500 جذرة شهرياً. إضافة إلى هذا ظهرت شبكات منظمة لتهريب الخشب المقطوع بدون رخص إلى الصويرة مصدره جهات بعيدة كَأُولُوزْ، وتارودانت، وإمِينْ تَاتُوتَ والخميسات... وقد استبدل بعض الحرفيين خشب العرعر البربري بأخشاب أخرى كالأرز والجوز.

أما صناعة خشب الجوز فإنها ازدهرت في مراكش وأمزميز وتارودانت وورزازات وذلك لصناعة الأثاث المنزلية الرفيعة. كان هذا الخشب في الماضي ينشر على شكل صفائح في عدة معامل موجودة في مراكش ويصدر إلى فرنسا ودول أخرى أوروبية. أمّا حالياً فلم يبق من هذه المعامل إلا معمل واحد في مراكش لإنتاج الأثاث المسوق محليا، والصبغ الأولى لأخمصة بنادق الصيد الرفيعة التي تصدر إلى الخارج.

وتجدر الإشارة إلى أن قطع أشجار الجوز تخضع لقانون خاص يخول لإدارة المياه والغابات السهر على تطبيقه. ونظراً إلى طول المسطرة التي يجب اتباعها من أجل الحصول على رخصة قطع أشجار الجوز يلجأ الملاكون إلى قطع أشجارهم خلسة مما يصعب التعرف على الكمية المنتجة من هذا الخشب في المغرب.

من جهة أخرى توجد في الموانئ المغربية أوراش لصناعة سفن وقوارب الصيد الساحلي والتقليدي. في هذا الإطار تستهلك سنوياً 15 000 م^3 من خشب الأوكاليبتوس و25 000 م^3 من خشب الأكاجو و 500 م^3 من خشب الصنوبر.

- القطاع العصري :

يشمل هذا القطاع كل الصناعات التي تستعمل الخشب كمادة أولية أو التي تقوم بتقويته.

صناعة عجين الورق والورق :

من أهم هذه الصناعات نذكر الوحدة الصناعية الموجودة بسيدي يحيى الغرب التي تقوم بتحويل خشب الأوكاليبتوس إلى عجين الورق. تقدر المادة الأولية بـ 350.000 طن من الخشب المقشر والكمية المنتجة بـ 100.00 طن عجين الورق، يصدر منها 80٪ والباقي يستهلك لصناعة الورق بالمغرب في معامل موجودة بالقنيطرة، وتطوان، وطنجة، والدار البيضاء والجديدة... تستعمل هذه الوحدات كذلك عجين الورق الناتج عن الصنوبر المتميز بأليافه الطويلة التي تعطي للورق صلابته. ويستورد هذا النوع من العجين ذي الألياف الطويلة من الدول الإسكندنافية، ليخلط مع عجين الورق المنتج محليا من خشب الأوكاليبتوس. لكن التقنيات الحديثة أصبحت تكتفي بعجين الأوكاليبتوس لصناعة ورق ذي جودة رفيعة يستعمل في الطباعة. والأنواع الأخرى من الورق والورق المقوى تصنع من الورق المستعمل الذي يجمع في المغرب أو يستورد من الخارج لإعادة استعماله.

صناعة المأطورات :

في مجال صناعة المأطورات توجد شركتان وهما CEMA و BOIS DE L'ATLAS اللتان تنتميان إلى نفس المجموعة المالية، وتقومان بصناعة المأطورات المعاكسة ومأطورات الجسيمات. تصنع مأطورات الخشب المعاكسة من صفائح الخشب الذي ينتمي إلى عدة أنواع كالأوكومي (Okoumé) وهو الخشب الأكثر استعمالا، والأزيگو (Ozigo)، والحور Peuplier. وكل هذه الأخشاب مستوردة من الدول الاستوائية كالكابون أو من أوروبا بالنسبة للحور. وقد عانت هذه الصناعة من منافسة بعض الدول الأسيوية إثر انخفاض قيمة عملتها بحيث أصبح ثمن مأطورات الخشب المعاكس المستوردة أقل بكثير من المأطورات المنتجة محلياً.

تستعمل مأطورات الجسيمات بقايا صناعة مأطورات الخشب المعاكس وخشب الأوكاليبتوس والصنوبر.

صناعة صناديق تسويق الخضر والفواكه.

ترتبط صناعة صناديق تسويق الخضر والفواكه بالكمية المنتجة من هذه المواد الفلاحية. وهكذا يتم صنع ما بين 45 مليون و 55 مليون علبة من فيئة 2 إلى 15 كلغ، وما بين 700 و800 ألف طبق تحميل تصنع العلب من خشب الحور المستورد من فرنسا بكمية 45.000 طن، ومأطورات الخشب المعاكس بكمية 70.000 طن المستورد من اسبانيا، ومأطورات الألياف بكمية 25.000 طن المستوردة من روسيا، وأخشاب الصنوبر بكمية 45.000 طن المستوردة من البرازيل.

صناعة وقاية الخشب : تتم وقاية الخشب بإدخال سوائل وقائية في الخشب من أجل تحسين ديمومته واكتسابه أطول مدة للاستعمال. يتعلق الأمر بتلك الأخشاب التي تغرس في التراب أو تلك التي تتعرض للماء والهواء، كالأعمدة الكهربائية والهاتفية وعارضات السلك الحديدية.

ولهذا الغرض توجد بالدار البيضاء وحدة صناعية تعالج سنوياً 40.000 عمود هاتفي و25.000 عمود كهربائي.

صناعة الأثاث.

يوجد بالمدن المغربية عدة وحدات لصنع الأثاث والنجارة الداخلية والخارجية، تستعمل الخشب المستورد أو الإنتاج محليا كالأرز وكذلك المأطورات.

يستورد سنوياً لهذا الغرض أكثر من 200.000 م^3 من عدة مصادر كالدول الإفريقية مثل ساحل العاج والگابون والكونگو، والدول الأوروبية كفرنسا وإسبانيا وروسيا والسويد ويوغوسلافيا وإيطاليا، وكذلك الدول الأميريكية كالبرازيل والشيلي.

أبحاث شخصية.

ORT. *La filière bois au Maroc. Etude de la production et la commercialisation du bois et des produits dérivés. Projet Gharb-Mamora*, 1992, 80 p. + annexes.

عبد الصادق ساشو

الخشين، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زجل الغمارية، انتقلت إلى تطوان في حدود سنة 1010 / 1601 وقد أنجبت عدة فقهاء. تذكر الوثائق منهم :

الخشين، عيسى بن يوسف فقيه كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1019 / 1610. وقد تولى القضاء بالمدينة سنة 1032 / 1622.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483

إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 644.

محمد ابن عزوز حكيم

الخصاصي، أسرتان : فاسية وتازية، أصلهما من مدينة خصاصة أو غساسة - حسب اختلاف النطق المحلي - المند ثرة في جبل قلعية بالريف الشرقي على ضفاف البحر المتوسط. وبفاس أسرة غساسية لا تعرف لها اتصالاً بالخصاصيين، وإن كانوا جميعاً - على ما يبدو - من موطن واحد. وتميز الخصاصيون الفاسيون بحذق الرياضيات والفلك والفرائض، وتسلسل فيهم ذلك أجيالاً عديدة كما سنرى. وجدهم المشهور هو الصالح قاسم الخصاصي آتي الترجمة. ويذكر النسابة عبد السلام ابن سودة أن أصلهم من الأندلس.

الخصاصي، عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن الفاسي، عالم رياضي فلكي موقت مشارك، كسائر أقاربه، اشتغل بالنيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض منذ توفي والده سنة 1261، إلى أن أدركته الوفاة يوم سادس شعبان عام تسعة وثمانين ومائتين وألف / 9 أكتوبر 1872 ودفن في روضتهم بحي القباب.

الخصاصي، عبد السلام بن **عبد الرحمن** بن أحمد بن عبد الرحمن ابن الولي الصالح قاسم الخصاصي الفاسي. كان عالماً حيسوبياً مشاركاً عارفاً بعلم الأسماء والأوفاق. وهو أول من تولى خطة النيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض، أوائل دولة السلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام إلى أن توفي يوم الجمعة ثامن محرم عام واحد وستين ومائتين وألف / 17 يناير 1845.

الخصاصي، عبد السلام بن **محمد** بن أحمد التازي. ولد ونشأ بتازا، وبها أخذ عن والده الفقه وغيره من العلوم الشرعية، ثم أتم دراسته بفاس ورجع إلى مسقط رأسه حيث خلف والده في مجالس التدريس والوعظ بالجامع الكبير بتازا إلى أن أدركته الوفاة في ثاني عشر صفر عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف / 23 فبراير 1911.

الخصاصي، عبد الكبير بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي. فرضيّ فاس في حياة والده. كان متضلعاً في الحساب والفرائض كسائر بني عمه. وتصدى للقيام بخطة تقدير الفرض نيابة عن والده الذي كبر وعجز عن القيام بهذه المهمة وأدركته الوفاة قبل والده في ثاني صفر عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف / 28 نونبر 1916.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 7 و 8 و 9.

محمد حجي

الخصاصي، قاسم بن قاسم الفاسي. انتقل والده أبو الفضل قاسم في عهد دولة الشرفاء السعديين من خصاصة أو غساسة بالريف الشرقي إلى مدينة فاس وبها أدركته الوفاة تاركاً ولده الذي سمي باسمه في بطن أمه، وكانت ولادة المترجم بفاس في حدود سنة 1002 / 1593 وبها تربى وتعلم، ثم تعاطى لصناعة الحرير في حانوت بسوق مولاي إدريس لم يفارقه إطلاقاً طيلة حياته (*المقصد*، 266 - 267).

وإلى جانب الاشتغال بالتجارة والمال، كان لأهله صلة قديمة بالتصوف. وهكذا يذكر لبعض أسلافه "سهم في الولاية"، وأن هناك في "خصاصة" وليا مشهورا عليه قبة، من أسلافه، يدعى سيدي مسعود الخصاصي. كما يوصف والده الحاج أبو الفضل قاسم بأوصاف الخير والحسب. أما أمه فقد كان لها استناد إلى الشيخ الحسن الجزولي، أحد أصحاب الشيخ عبد الله الغزواني، كبير الطائفة الجزولية في أوائل القرن العاشر (16 م) (*المقصد*، 267 ؛ *الروض العطر*، 185، 190 - 191 - 201).

ومن ثم اقتدى قاسم الخصاصي بأهله، وسلك مثلهم طريق التصوف، بل بلغ في الولاية مكانا رفيعا، حتى حصل على مقام الجذب، وصار من الأولياء السالكين المجاذيب الكبار في فاس في زمانه. وفي هذا الصدد يأبى كتاب سير شيوخ الطريقة الفاسية - المجذوبية، المنسوبة إلى الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، وشيخه عبد الرحمن المجذوب، إلا أن يربطوا "ولادته الروحانية"، وارتقاءه في مدارج السالكين برعاية شيوخ هذه الطريقة له، سواء منهم الذين ماتوا قبله أو الذين عاصرهم. وهكذا يذكر أن "توبته"، حصلت له بزاوية الشيخ أبي المحاسن، وأن هذا الأخير هو الذي أرشده إلى الشيخ المجذوب محمد بن مبارك عبابو، نزيل المدرسة المصباحية بفاس، حيث لازمه سنين عديدة، وانفرد بخدمته إلى أن فتح له على يديه. وبعد وفاة هذا الشيخ، انتقل قاسم الخصاصي إلى صحبة الشيخ العارف عبد الرحمن الفاسي، كبير الطائفة الفاسية، خلفا لأخيه أبي المحاسن. ولما توفي "*العارف*" سنة 1036 / 1626 مال قاسم الخصاصي إلى صحبة وارثه وخليفته على رأس الطائفة الفاسية الشيخ محمد بن عبد الله معن، في زاويته التي أسسها بالمخفية.

بلغ قاسم الخصاصي في صدق محبته للخليفتين أو الوارثين - كما ينعتان في سير صلحاء الطائفة الفاسية المجذوبية -، شأوا بعيدا، جعله يحظى لديهما بالعناية والاهتمام، ويرقى بفضلهما إلى المقامات العليا في الطريق، حتى لقد اعترفا له معا بتميزه عن غيره من

أصحابهما: في طريقه وعرفانه وتحققه، كما اعترفا له بتفوقه في مضمار الطريقة الفاسية، وبلوغه مقام العارفين الكمل فيها، ولا سيما من حيث "خموله"، وأحواله المائلة إلى الجذب والغيبة بشكل عام (*الروض العطر*، 193 ـ 194، 197 ـ 198، 200).

وبعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الله مَعْنٌ سنة 1062 / 1652 بقي قاسم الخصاصي يتردد على زاويته مع من بقي بها، غير متميز عنهم بشيء نحو العامين، حتى إذا لاحت عليه مخايل الخصوصية والخلافة تصدر للتربية والتلقين (*الروض العطر*، 200 ؛ *المقصد*، 271 ـ 272). وقد تبعه جماعة من فضلاء أصحاب شيخه وغيرهم ممن أراد أن يسلك بهم في التصوف طريقه، وانحاشوا إليه، بينما انفض عنه أكثر "الناس"، تجسيدا لإشارة ابن معن، عندما ميز في أتباعه بين أهل "الظواهر الخالية من الأحوال الربانية"، أو أهل الهيئات، من جهة، وبين أهل "البواطن والجذب والأحوال..."، من جهة أخرى. وبينما وجد منه "ذوو الأحوال" فتحا على يده ومزيد مدد، اعترض "الآخرون" بقيادة "صاحب لهم"، وأنكروا عليه "أشياء بلغتهم عنه"، بعضها اعتبره أصحابه "أكاذيب ملفقة" ترتبط ولا شك، برفض خصومه الاعتراف له بالخلافة، وبعضها اعتراض وإنكار على "حالة" (*المقصد*، 42 ـ 43 ؛ نشر *المثاني*، 3 : 82).

وهذا يعني أن تيار طائفة أبي المحاسن يوسف الفاسي، عرفت بعد وفاة محمد بن عبد الله مَعْنْ، اتجاهين، تشبث الأول بالفاسية المجذوبية، بينما حاول الاتجاه الثاني الميل بالطريقة نحو السلوك بالظاهر. وبينما تزعم الشيخ قاسم الخصاصي الاتجاه المجذوبي التقليدي ظهر الشيخ عبد القادر الفاسي (ت. 1090 ـ 1679) الذي حرم من الخلافة بتولي قاسم الخصاصي للمشيخة على رأس أهل الظواهر. واشتد تضييقهم على خصومهم، معتبرين إياهم من الغلاة في الطائفة. وكان التضييق من الشدة، إلى حد اضطر قاسم الخصاصي إلى الانسحاب من الزاوية وإغلاقها، واختلى بنفسه في حانوته بقيصارية مولاي إدريس في فترة وافقت زمن المسغبة الشهيرة خلال العقد السابع من القرن الحادي عشر (17). لكنه سرعان ما نزل عند رغبة أصحابه، وأعاد فتح زاوية آل معن بالمخفية، واجتمع المريدون حوله، واستأنفوا عمارة الزاوية، وقراءة الأحزاب، وإقامة الحضرة، إلى أن مات في 19 رمضان 1083 / 9 دجنبر 1672، وعمره واحد وثمانون عاما.

ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد*، ط. حجر بفاس، 1351 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجر بفاس، 1318 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، تح. م. حجي وأ. التوفيق، الدار البيضاء، أربعة أجزاء، 1397 / 1977 ـ 1407 / 1986 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس*، تح. ز. النظام، الدار البيضاء، 1995.

أحمد الوارث

الخصاصي، محمد بن أحمد التازي، من المتخرجين بفاس على كبار الشيوخ أمثال محمد بن محمد بناني فرعون، وعبد الله الوليد العراقي ومحمد بدر الدين الحمومي.

أصبح محمد الخصاصي إليه المرجع في التدريس والفتوى بتازا والمناطق المجاورة لها، وانتفع به خلق كثير. وله *رحلة إلى الحج*.

توفي بمسقط رأسه تازا في فاتح رجب عام واحد وثلاثمائة وألف / 27 أبريل 1884.

محمد حجي

الخصاصي، محمد (الحاج -) **الفاسي**، وُلد عام 1318 / 1900. وظهرت ميوله الموسيقية منذ طفولته، فكان يلازم حلقات السماع والمديح بالزاوية الحراقية، وفيها لقن إنشاد *البردة والهمزية* وغيرهما من قصائد المديح على شيوخ الطريقة الفاسية يومئذ، كالحسن بن العربي، والفاطمي قنجيرو، والصديق العلوي، والطاهر الكوهن، ومحمد بن إبراهيم، وعلال بن الفقيه، وعلي المنصوري، وأحمد زويتن.

وقد أجاد الخصاصي حفظ مستعملات الزاوية، وأتقن إنشاد البيتينات والمواويل، ثم تحول إلى محافل طرب الآلة، فأخذ ميازينها عن الحاج إدريس بن الفاتحي برادة، وعمر الجعيدي، وعبد القادر كريش، ومحمد البريهي، وبذلك تهيأ له الإلمام بالفنين الغنائيين معا.

تميز الاخصاصي من بين المنشدين الفاسيين بجهارة الصوت وفخامة النبرة وقوة العارضة. وظل مثال المنشد المتمسك بأصول الإنشاد المغربي سواء في البيتينات أو المواويل. إلا أنه انقطع عن الممارسة في أواخر حياته، وتوفي بفاس في عام 1410 / 1989.

ع. اللطيف بنمصور، *كراسة جمعية هواة الموسيقى الأندلسية بالرباط*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الخصاصي، محمد بن **عبد الرحمان** بن عبد السلام الفاسي، عالم رياضي مشارك له ولوع بالتاريخ وخط حسن. تخرج على يد والده وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي ومحمد بن المدني گنون وغيرهم. وتولى النيابة عن قاضي فاس في تقدير الفرض منذ وفاة والده الذي كان يشغل هذا المنصب، ثم عين محمد الخصاصي كاتباً في حكومة المخزن، وبهذه الصفة رحل إلى أوربا في سفارة وجهت إلى ألمانيا. وله *كناشة علمية* استفاد منها عبد السلام ابن سودة في كتابه *إتحاف المطالع* في تراجم العلماء المتوفين من أواخر القرن الثالث عشر إلى قرب وفاته.

توفي بفاس عن نحو خمس وسبعين سنة صبيحة يوم الاثنين سادس وعشري ربيع الأول عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف / 27 أكتوبر 1924.

ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* : *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8.

الخصاصي، محمد بن **محمد** بن **أحمد** التازي، درس على والده في الجامع الكبير بتازا، وعلى غيره من فقهاء فاس فتخرّج "فقيهاً مشاركاً مفتياً".

توفي بتازا في شعبان من عام عشرة وثلاثمائة وألف / فبراير - مارس 1893.

الخصاصي، مَحمد بن **محمد التازي** ثم الطنجي، أخذ مبادئ العلوم في مسقط رأسه عن والده، ثم قرأ بفاس على الشيخ محمد بن المدني كَنون ومن في طبقته، وولي القضاء في مسقط رأسه تازا مدة طويلة فكان نزيهاً في قضائه. ذكره محمد الحجوي في *مختصر العروة الوثقى* في جملة الشيوخ الذين أخذ عنهم وقال إنه "كان فقيهاً حيسوبياً فرضياً موقتاً واعظاً نقياً" أخذ عنه حظاً من الحساب والقلم الفاسي وذاكره كثيراً، وعده ابن سودة في جملة شيوخه الذين تبرك بهم وذكر أن له *تفسيراً للقرآن* الكريم في عدة مجلدات. كما أخذ عن الخصاصي السلطانُ عبد العزيز واتخذه إماماً وجليساً لا يفارقه حضراً ولا سفراً. ولمّا عزل عبد العزيز عن الملك استصحب الخصاصي إلى طنجة وبقي معه فيها إلى أن مات هناك في سادس صفر عام 1354 / 10 ماي 1935 وقد أناف على الثمانين سنة.

الخصاصي، المكي بن عبد الرحمن بن عبد السلام الفاسي حيسوبي فرضي كسائر أهله، اشتغل بتقدير الفرض في فاس نيابة عن أخيه محمد بن عبد الرحمن حين انتقل للكتابة مع المخزن والذهاب إلى الخارج في بعض السفارات.

توفي في رابع جمادى الأولى عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف / 19 غشت 1901.

م. الحجوي، *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع* : *سل النصال* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8.

محمد حجي

ابن أبي **الخصال**، محمد بن مسعود بن الطيب الغافقي. ولد سنة 465 / 1073 بقرية فرغليط من قرى شقورة بكورة جيان بالأندلس، ينتمي إلى أسرة علمية مشهورة، لكن شهرته غطت على باقي أفرادها. أسهبت كتب التراجم الأندلسية في الحديث عن رحلاته في طلب العلم وشيوخه ومقروءاته وتلاميذه ومؤلفاته وأخباره.

يعتبر شيخ كتاب الأندلس، ومن أعظم كتاب الدولة المرابطية. انفرد بمكانة خاصة في تاريخ الأدب، ولم يؤثر أحد من الكتاب بعده في صنعة الكتابة الديوانية بالأندلس إلى نهاية العصر الإسلامي بها. وكان متقدما أيضاً في علوم اللغة والقرآن والحديث والتاريخ والسير.

تولى الكتابة للأمير علي بن يوسف بن تاشفين عندما كان والياً على غرناطة، ونال عنده مكانة وحظوة متميزة. وبعدما أصبح علي أميراً للمسلمين اختص ابن أبي الخصال بالكتابة عن أبي يحيى بن أبي عبد الله بن الحاج، وانتقل مع بني الحاج إلى فاس ثم إلى سرقسطة. وحدثت له بسببهم وحشة مع الأمير أدت إلى خموله مدة. ثم أعاده أمير المسلمين علي بن يوسف للكتابة عنه من جديد، وكان أخوه أبو مروان عبد الملك يساعده في ديوان الكتابة، وهو أيضاً ممن أسلم له الإنشاء زمامه. وقد صدرت بقلم أبي عبد الله ابن أبي الخصال رسائل عديدة عن أمير المسلمين علي بن يوسف بحاضرته مراكش في أغراض مختلفة تقوم شاهداً على أسلوبه الرائق وبلاغته. كما أن تواريخها تدل على طول مدة خدمته في ديوان الرسائل السلطانية.

وله أيضاً رسائل إخوانية عديدة برع فيها، تبادلها مع نخبة واسعة من أصدقائه ومعارفه من رجال العلم والأدب والسياسة كأبي بكر بن العربي، والشاعر أبي إسحاق ابن خفاجة، والكاتب أبي محمد بن الحاج اللورقي، وأبي محمد عبد المجيد بن عبدون، والكاتب أبي بكر بن القصيرة، والفقيه أبي الوليد بن رشد الجد وغيرهم.

تنقل ابن أبي الخصال بين عدد من مدن المغرب والأندلس، في صحبة بعض أمراء المرابطين متولياً للأعمال الإدارية أو الديوانية لهم. ومن المدن التي خدم فيها قرطبة وبلنسية وسرقسطة وفاس وسبتة، فضلاً عن مراكش التي أقام بها طويلاً.

ويُذكر أن إحدى الرسائل كانت سببا في تغير أمير المسلمين علي بن يوسف عليه، وهي رسالة كتبها هو وأخوه أبو مروان على لسان أمير المسلمين إلى الجند المرابطي على إثر انهزامهم في الوقعة المعروفة باسم قليبيرة (Callera) قرب جزيرة شقر، حينما أوقع بهم القائد النصراني ابن رذمير سنة 523 / 1129، وقد أفحشت الرسالة في لوم المنهزمين وأغلظت لهم في القول أكثر من الحاجة، حسب تعبير عبد الواحد المراكشي في *المعجب*، وكاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها لما وجدوا فيها من تنقيص بالملثمين. وقد اعتبرها أمير المسلمين دليلاً على بغض أبي مروان للمرابطين الذي لم يلبث أن توفي بعدها بمراكش، بينما استعفى أبو عبد الله من الكتابة ورجع إلى قرطبة.

لابن أبي الخصال رسائل عديدة، ديوانية وإخوانية ونبوية، اهتم بها الأدباء في عصره وبعده. وقد احتُفِظَ في

الإسكوريال بمجموع فيه 138 قطعة من رسائله وأشعاره تولى تحقيقه وطبعه الدكتور محمد رضوان الداية سنة 1987 في مجلد كبير. ولا شك أن هذا هو الديوان الكبير من رسائله الذي ذكر عبد الواحد المراكشي انه كان "يدور بأيدي أدباء أهل الأندلس، قد جعلوه مثالاً يحتذونه، ونصبوه إماماً يقتفونه" فضلاً عن 43 قطعة أخرى احتفظت بها المصادر المختلفة.

وله خطب ومقامات، وعارض بعض رسائل أبي العلاء المعري وخطب ابن نباتة السعدي. كما ألف عدة مؤلفات قيمة منها كتاب *سراج الأدب*، وهو مجموع أدبي وضعه على منوال *النوادر* لأبي علي القالي *وزهر الآداب* للحصري. ورسالة سماها *لمحة البارق وقذف المارق*، رد فيها على ابن غرسية في رسالته الشعوبية، *وظل الغمامة وطوق الحمامة في مناقب من خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكرامة*، في مناقب الصحابة. وكتاب *المنهج في معارضة المبهج*. وله أشعار كثيرة في مدح الأمير تاشفين بن علي بن يوسف وفي أغراض أخرى.

عُمِّر ابن أبي الخصال طويلاً، واستشهد سنة 540 / 1145، قتله بعض جند ابن غانية عندما دخلوا قرطبة لمحاربة ابن حمدين الذي تأمر فيها في الفتنة التي أدت إلى سقوط المرابطين. وذلك أن أبا عبد الله بن أبي الخصال ساءه ما رأى من عيث الجند واعتدائهم على الحرمات، فأراد زجرهم ثقة بمكانته وعلمه، فاقتحموا عليه داره وقتلوه، وفجع بموته أهل قرطبة والأندلس.

أ. ابن بشكوال، (ت. 578 / 1182)، كتاب *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*. تح. عزت العطار الحسيني، القاهرة، 1955، ج 2، ص. 557 ؛ ابن الآبار القضاعي، (ت. 658 / 1260)، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، نشر كوديرا، مدريد، 1885، ص. 144-148 ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، تح. م. سعيد العريان، م. العربي العلمي، القاهرة، 1949، ص. 173-176 ؛ م. ابن أبي الخصال، *رسائل ابن أبي الخصال*، تح. محمد رضوان الداية، دمشق، 1987 ؛ م. رضوان الداية، *ابن أبي الخصال رئيس كتاب الأندلس*، سلسلة أعلام الفكر، رقم 5.

محمد المغراوي

الخص، يُجمع على أخصاص، نوع من المساكن استعملها ابن خلدون في *العبر والمقدمة* (ج 6، ص. 206) للدلالة على سكنى الخيام بصيغة المفرد "... وتتصل قبائل جناتة منهم ظواعن يسكنون الخص..." أما ابن الخطيب في *نفاضة الجراب*، (89-90) فقد استعمل صيغة الجمع الأخصاص للإشارة إلى الخيام. وفي مصادر أخرى استعملت الكلمة مرادفة للأعشاش وما شابهها من المساكن المبنية بالقش والأعشاب أو أغصان الأشجار وسعف النخل.

وخص الخيمة عنصر أساسي فيها يقوم مقام الجدار لحماية ساكنها من الرياح وللفصل بين أجزائها في الداخل، وقد أطلق الجزء على الكل فأصبحت الخيمة كلها تعرف بالخص والخيام بالأخصاص (*العبر*، 6 : 20 ؛ *نفاضة*، 3 : 90)، يحيط الخص بالخيمة من كل جوانبها وتتم إزاحة أجزاء منه بحسب الحاجة إما كمدخل أو نوافذ للخيمة.

يصنع الخص في الغالب من المواد المتوفرة محلياً، ففي المناطق السهلية وعند القبائل العربية كانت الأخصاص تصنع من القش المنتقى بعناية من حقول القمح قبل حصادها، فيتم جمع سيقان القمح دون سنابل وتجمع على شكل حزيمات صغيرة تربط إلى بعضها بحبال من الدوم فتتماسك، ويتم تدعيمها بأعواد الدفلى أو ما شابهها فيكون منظر الخص في النهاية كالحصير لكنه أكثر درءاً للرياح والبرد، وفي مناطق أخرى يصنع الخص من الأعشاب الطويلة الشبيهة بالقش، وفي بعض الجهات من المغرب وخاصة بعد مجيء القبائل الهلالية والمعقلية واختلاطها بالقبائل البربرية المشابهة لها في نمط العيش، أدخلت تحصينات على الخيمة والخص فأصبحت الخيام المزركشة والخيام ذات الألوان (المُطَرَّقَةُ) واستبدلت خيام الأغنياء والأعيان بالخص "الكفا" أو "الحيطي" أي بجدار بنسيج سميك ملون شبه بالزربية أو "الحنبل" وفي بعض الأحيان يكون "الكفا" من نفس مادة الخيمة "أي من نسيج" الصوف والشعر" ثم يبطن من الداخل بنسيج ناعم أو مزركش بـ "الموزونة".

وفي خيام عامة القوم نجد مستويات مختلفة في العناية بالخيمة من حيث المنظر والتجميل، فمنها الخيام الساذجة الخالية من أية إضافات، ومنها التي تدخل بعض التجميل على الخص فتلونه بما تجود به الطبيعة من أعشاب، ولذلك اختلف تلوين الخص باختلاف المناطق فنجد في المناطق السهلية الفلاحية مثلاً أو في الهضاب الأطلنتيكية وغيرها حيث تنتشر نباتات البسباس البري (*معلمة المغرب*، ج 4) و"الحميضة" يتم تزويق الأخصاص التي أساسها سيقان القمح الذهبية اللون بأعواد تلك النباتات بحيث يُصبح عندنا تتابع اللون الذهبي والأخضر والبني، وليس اللون هو المطلوب فقط بل حتى الرائحة فالبسباس البري (حبة حلاوة أو النافع) تنبعث منه رائحة طيبة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، د.ت ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، ج. 3، الدار البيضاء، 1989 ؛ م. حجي، *معلمة المغرب*، ج. 4، الرباط، 1984 ؛ م. حجاج الطويل، *الدراسة الميدانية والرواية الشفوية* ضمن مذكرات خاصة.

محمد حجاج الطويل

خصوبة التربة بالمغرب، تتمثل في قدرتها على إمداد النبات بالظروف المثلى للنمو والتطور من أجل توفير محصول أقصى محتمل. ويمكن تقسيمها إلى خصوبة آلية وخصوبة كيماوية.

تقتضي الخصوبة الآلية الجيدة تهوية مناسبة ووفرة مائية مواتية وحجماً ترابيا كافيا لنمو الجذور ومسامية جيدة.

تسمح التربة الخصبة بتصرف النبتة في بيئة جيدة التهوية دون أن يصيبها الجفاف، وبامتصاص للماء، دونما احتقان زائد. من الوجهة المرفلوجية، كل تربة عميقة، غير محصبة، ولا تتجمع فيها مياه المطر أو السقي لمدة طويلة، تعتبر تربة جيدة للزراعة. في حالات وجود عيوب في تصريف المياه أو وجود قشرة كلسية تحد من عمق التربة، وجب إصلاح هذه العيوب قبل الشروع في فلاحة الأرض.

أما الخصوبة الكيماوية فهي تعني مدى وفرة المواد المخصبة داخل التربة. توفر التربة الخصبة، من الوجهة الكيماوية، ما يكفي المحلولات الترابية من تركزات المواد المخصبة على مدى الدورة الزراعية. يمكن تقدير هذه الخصوبة بتحليل عينات التربة المعبرة عن كل قطعة أرضية.

يتحقق تقدير خصوبة التربة في حقل معين حسب أربع مراحل :

التشخيص الحقلي، وذلك بتعيين المشاكل المطروحة من الأتربة عند الإنتاج وربطها بالمجال. بالنسبة للفلاح، التربة هي قبل كل شيء قاعدة إنتاجه النباتي. من أجل تحقيق المحاصيل المحتملة حسب الظروف المناخية والتقنية، يكون لزاما على هذه القاعدة أن تقدم للنبتة وسائل النمو والتطور.

تسمح الملاحظات الميدانية بإعداد خريطة مؤهلات التربة بالنسبة لزراعات مختلفة مع تحديد التدخلات المحتملة من أجل التخفيف من الإكراهات أو إزاحتها.

في هذا المستوى بالذات، يلزم اختيار قطاعات التربة. تسمح هذه المرحلة كذلك بإعداد خطاطة لاستعمال التربة وكذا التاريخ الزراعي للحقول. على العموم، تبدي الحقول التي عرفت سلسلات زراعية مختلفة حالات خصوبة مختلفة كذلك. حيث إن غنى التربة في لحظة ما لا يرتبط بنوع التربة.

تجميع عينات التربة : سمحت المرحلة السابقة بتعريف النطاقات المتجانسة داخل الحقول. يتحقق التجانس على أساس المميزات المرفلوجية والآلية وكذا الاستعمالات السالفة للتربة. تمثل هذه النطاقات المتجانسة قاعدة تجميع العينات.

يُعتبر أخذ العينات أهم مرحلة في مسار تقدير خصوبة الأتربة. على العموم، يكون أخذ العينات في بداية الموسم الفلاحي قبل إقامة المزروعات.

يتم استخلاص حوالي عشرين عينة بواسطة البريمة ومن عمق يتراوح بين الصفر و40 سنتمتر من كل نطاق متجانس. يتم خلط هذه العينات للوصول إلى عينة مركبة بوزن نصف كيلوغرام تُجرى عليها التحاليل.

تحاليل التربة : بالنسبة للحقول التي لم تستفد من أية تحاليل سابقة، وجب تكوين ملف متكامل. التحاليل المطلوبة هي : النسيج، نسبة الكلس، نسبة المادة العضوية، نسبة الهيدروجين (ن. هـ)، الملوحة، قدرة احتجاز الماء، قدرة التبادل الكاتيوني، الأزوط المعدني، الفوسفور المستساغ والبوطاسيوم المتبادل.

تجدر الإشارة إلى أهمية اعتماد المناهج الملائمة في كل التحاليل وهي مبدئيا تلك المستعملة في وضع معايير تأويل نتائج التحاليل.

تأويل النتائج : وهي المرحلة النهائية في تقدير حالة التربة من الخصوبة. من الضروري معرفة معايير التأويل الإقليمية للنتائج بالنسبة لكل نوع من التربة ولكل مجموعة زراعية. يندرج تأسيس هذه المعايير في سياق البحث الزراعي الذي يحتاج إلى النفس الطويل ويستلزم إقامة تجارب في استجابة الزراعات للإمدادات بالسماد. ويتعلق الأمر بالعثور على مستوى غنى التربة الذي تصبح النبتة عنده لا تستجيب لأي إمداد إضافي بالسماد.

في حالة توفر التربة على عنصر غذائي بنسبة زائدة على المعيار، وجب الاستغناء عن العنصر في السماد. وتكون التربة قادرة على إشباع حاجيات الزراعة انطلاقا من احتياطاتها الذاتية وحدها.

أما إذا كانت النبتة في التربة دون المعيار، توجب الإمداد بالعنصر المعتبر.

يمكن العثور على معايير تأويل تحاليل الأتربة لدى مؤسسات البحث والمختبرات المتخصصة.

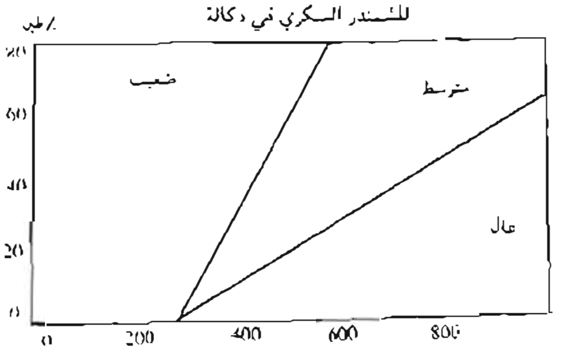
يعرض الجدول والبيان التاليان، على سبيل المثال للمعايير المستعملة وتقدير خصوبة الأتربة من الفوسفور والبوطاسيوم.

معايير تأويل الفوسفور المستساغ في التربة (طريقة Olsen)

المضمون (مغ / كلغ)	تقدير	احتمال الاستجابة	التوصية
0 - 20	ضعيف	عال	الإمداد بالخصاص والتقويم
20 - 40	متوسط	ممكن	الإمداد بخاص الزراعة
› 40	عال	ضعيف جدا	عدم الإمداد

بيان تأويل البوطاسيوم المتبادل بالنسبة للشمندر السكري في دكالة

بيان تأويل البوطاسيوم المتبادل بالنسبة للشمندر السكري في دكالة



البوطاسيوم (K_2O) المتبادل المبدني (مغ / كلغ)

محمد البدراوي

الخُضر. (نبات) لم تكن الخضر بجميع أنواعها المعروفة اليوم متوفرة في المغرب خلال العصر الوسيط ولم تكن عادة استهلاك الخضر شائعة بين المغاربة في ذلك التاريخ بل واستمرت هامشية في التغذية الوطنية، ثم أصبحت تكميلية ما بعد العصر الوسيط، وبالتدريج ومنذ العصر الوسيط وإلى اليوم بدأت الخضر والبقول تحتل مكانة متزايدة في التغذية، بدأت بالمدن وتوسعت لتشمل البوادي ويتفاوت في الكم والنوع (قال الحسن الوزان متحدثا عن أسواق فاس : "سياج من قصب في ساحة مربعة الشكل يباع فيه الجزر واللفت اللذان يستحسنهما الناس في فاس كثيرا... وتجد هناك في كل يوم 500 حمل من الجزر واللفت).

تأتي الخضر في آخر لائحة المنتجات الغذائية عند تصنيفها سواء من حيث الكم أو النوع والتوزيع الجغرافي، ولعل قلة إنتاجها ورواجها ارتبط بمستوى معيشي وحضاري متقدم (الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 185 و186) فكان استهلاكها وزراعتها محصورة في المدن وضواحيها (الوزان، *وصف*، 1 : 220 ؛ *اختصار الأخبار*، 22)، لذلك كانت الإشارات عنها قليلة جدا، فقد جاء ذكر البقول عند ابن حوقل في كتابه *صورة الأرض* في معرض حديثه عن سوس دون تحديد، فلا ندري ماذا قصد بها، فالكلمة في زمانه استعملت للدلالة على الفول، أما الشريف الإدريسي والحميري فتحدثا عن الخضر في سجلماسة ومغيلة (*نزهة المشتاق*، 3 : 226 و244 ؛ الروض، 306) وعند التادلي في *التشوف* نجد إشارات متعددة عن الخضر في مدن مراكش وسلا وفي منطقة تادلا ورجراجة وزواغة (*التشوف*، 97، 186، 218 ، 233، 355، 362 و422)، وقدم لنا العمري في *مسالك الأبصار* لائحة مفصلة عما كان موجودا من الخضر في المغرب في عهده (*مسالك الأبصار*، (ورقات) 299).

وأعطى صاحب *اختصار الأخبار* لائحة أخرى، مما كان موجودا منها في مدينة سبتة وضواحيها (*اختصار الأخبار*، 87، 88، 92، 94) ونفس الشيء فعله ابن غازي بخصوص مكناسة وضواحيها (*الروض الهتون*، 7).

لكن الحديث المفصل عن الخضر وعن كمية ما يستهلك وينتج منها في فاس وضواحيها ورد عند الحسن الوزان في *وصف افريقيا*.

وبالرجوع إلى جدول الخضر والبقول أسفله يمكن تتبع ما كان موجودا من الخضر في العصر الوسيط، ومما يؤكد أن الاستهلاك الكبير للخضر لم يكن إلا مع ارتفاع المستوى المعيشي للسكان. أن مدينة فاس قد حافظت على ازدهارها طيلة العهد المريني فأقبلت فئاتها الميسورة والمتوسطة الحال على تنويع تغذيتها و"التأنق في المآكل والملبس والمسكن" على حد تعبير ابن خلدون في *العبر* (7 : 238)، وقد أدرك الحسن الوزان - الذي عاش في مدينة فاس - بعضا مما ذكره ابن خلدون فسجله بدقة وتقصّ عند وصفه لمدينة فاس (*وصف افريقيا*، 1 : 184، 185 و201 و218).

لم يكن استهلاك الخضر على درجة واحدة بين الناس، بل كان هناك تفاوت : خضر "شعبية" أي شائعة الاستهلاك بين العامة في البادية والمدينة لانتشار زراعتها ورخص ثمنها وتعود الناس عليها، مثل البصل والثوم. امتعض الوزان من تقديم بعض السكان الفقراء ظفائر من الثوم والبصل له كهدية، (*وصف*، 1 : 110)، أما اللفت والباذنجان والجزر والكرنب والخيار والبسباس فكانت أكثر استهلاكا في الأوساط الغنية والمتوسطة، وبعضها قد يعود الإقبال عليها في بداية زراعتها ودخولها المغرب مثل الباذنجان والبسباس (*مسالك*، 95، 97 ؛ *التشوف*، 97 و355).

ذكر ابن الخطيب - وهو في رحلته من مدينة فاس إلى مراكش وعند استضافته من قبل شيوخ بعض القبائل الهلالية الساكنة في المنطقة "أن بقلهم لا يخلو منه قدر" وهي إشارة إلى بداية انتشار عادة استهلاك الخضر عند القبائل البدوية المنتجعة والمعتمدة في عشيها أصلا على الرعي وتربية المواشي، وفي تغذيتها على اللحم والدقيق (*نفاضة الجراب*، 90).

ويمكن أن نضيف إلى الخضر بعض أصناف النباتات والأعشاب المعطرة للمشروبات والمأكولات مثل النعناع والمردوش والشيبة (*اختصار*، ص. 94 ؛ ابن رزين، *فضالة الخوان*، 18) والكرفس وقد ذكر كنبات طبيعي على ضفاف وادي فاس (*القرطاس*، 35 ؛ *زهرة الآس*، 34) ثم القزبرة والمقدنوس (المعدنوس)، والخس والخرشوف والفجل (*فضالة الخوان*، 9، 13، 24، 72، 135 و142)، هذه الأعشاب والأزهار تأثير الأندلس فيها على المغرب واضح.

كثير من أنواع الخضر ينسبها الدارسون إلى الخارج، أي أنها دخلت المغرب في قرون وعصور مختلفة إما من المشرق أو من الأندلس وينفي هؤلاء، عن المغرب وجود بعض الأنواع، وحتى إن اعترفوا بها فيقولون إنها كانت في حالة طبيعية ولم تكن فلاحية (أي أنها كانت متوحشة ولم تدجن)، يقولون ذلك عن الخضر والفواكه وحتى عن بعض المواشي خاصة بعض أنواع الأبقار (R. Grand, *L'agriculture à travers les âges*) ؛ نحن لا نعارض مثل هذه الآراء لكننا نسجل مبالغتها، فالمغرب أعجب الذين زارهم بعضهم شبهه "بالجنة" فكيف يغيب على هذه الجنة التنوع في الخضر والفواكه وكيف لا يحاول السكان منذ ذلك العهد تدجين الكثير من الأنواع ؛ وحتى إذا نزلنا بالنقاش إلى مستوى مبسط واعتبرنا اللغة مقياسا للحكم على وجود الشيء أو عدمه وطبقنا ذلك على الخضر ؛ فبرجوعنا إلى لهجة تاشلحيت الحالية (السوسية) - والتي نعتقد أنها من بقايا لغة المصامدة وهم سكان المغرب الرطب الأصليون - قلت إذا رجعنا إلى اللغة نجد عددا من أسماء الخضر مثل أزليم، تيركمين، تاخسايت، إياون أي (الفول

واللفت والقرع) وغيرها مع الأخذ بعين الاعتبار عامل الزمن وتعاقب الأجيال الذي أسقط كثيراً من الكلمات والمصطلحات من القاموس اللغوي فلم تعد متداولة الآن، إذن المبالغة في جعل المغرب مجرد متلقّي لكثير من التأثيرات في الميدان الفلاحي واضحة ويجب تصويبها (*الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*).

المواد	التقدير	المصادر
الجزر	كثير	*وصف إفريقيا*، 1 : 183 ـ 185 ؛ *مسالك الأبصار*، ص. 299.
اللفت	كثير	*وصف إفريقيا*، ص. 183 ـ 185 ؛ *فضالة الخوان*، 148 وص. 65.
الفول	رخيص	المصدر نفسه
الكرنب	رخيص	*وصف إفريقيا*، 1 : 185 ؛ *التشوف*، 233 ؛ *مسالك الأبصار*، 299.
البصل	رخيص	*وصف إفريقيا*، 1 : 110، 225 ـ 257.
الثوم	كثير	*وصف إفريقيا*، 1 : 110.
البباس	كثير	*التشوف*، ص. 355.
الباذنجان	كثير	*التشوف*، ص. 97.
القرع	كثير	*وصف إفريقيا*، ج 1، ص 218 ؛ *مسالك الأبصار*، ص. 299.
البقلاء	كثير	*التشوف*، ص. 362.
القثاء	كثير	*التشوف*، 422.
الخيار	كثير	*وصف إفريقيا*، 1 : 218.
الخس	كثير	*وصف إفريقيا*، ج. 1 ص. 218.
البقول (الخضر)	كثيرة	*صورة الأرض*، ص. 91.
البقول	كثيرة متنوعة	*مسالك الأبصار*، ص. 299.
الخضر	كثيرة ومتنوعة	*نزهة المشتاق*، 3 : 266 ؛ *الروض المعطار*، ص. 306 ؛ *وصف إفريقيا*، 1 : 183 و185، 227..
اللوبياء	كثيرة	*مسالك الأبصار*، ص. 299
الشمار	كثيرة	*مسالك الأبصار*، ص. 299
القلقاس	قليل	*مسالك الأبصار*، ص. 299
المقدنوس	قليل	*فضالة الخوان*، ص. 136.
القزبر	قليل	*فضالة الخوان*، 13 و61
السلق	قليل	*فضالة الخوان*، ص. 63.
الاسفراج	قليل	*فضالة الخوان*، ص. 69.
الخرشف	قليل	*فضالة الخوان*، ص. 72.
الفجل	قليل	*فضالة الخوان*، ص. 24.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ الأنصاري السبتي، *اختصار الاخبار*... مجلة تطوان، 1958 ـ 1959 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، طبعة نابولي بإيطاليا ؛ ح. محمد بن عبد المنعم، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ ابن الزيات التادلي، كتاب *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ العمري ابن فضل الله، *مسالك الأبصار*، (ورقات المنوني مقتطفات)، الرباط، 1979 ؛ (مقتطفات Fragman)، الجزائر، 1924 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، بدون تاريخ ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الدار البيضاء، 1989 ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان*، الرباط، 1981 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ م. الطويل، *الفلاحة المغربية في العصر الوسيط*، د.د.ع مرقون، كلية الآداب بالرباط، 1998.

R. Grand, *L'agriculture à travers les âges*. Paris, 1950.

محمد حجاج الطويل

ابن **الخضر**، الحاج الجيلالي، مقاوم ولد سنة 1928 بدوار أولاد الجيلالي، فخذة الخزازرة قبيلة المعاريف لعشاش ابن أحمد إقليم سطات. كان يعمل ضمن صفوف منظمة اليد السوداء، أجمعت الشهادات على أنه مات شهيداً وهو يحمل قنبلة من صنع محلي، حيث أُمر بنقلها إلى مدينة خريبكة، وفي الطريق انفجرت وأودت بحياته واستشهد في هذا الحادث وكان ذلك بزنقة الجامع بمدينة خريبكة في ليلة 18 نونبر 1954.

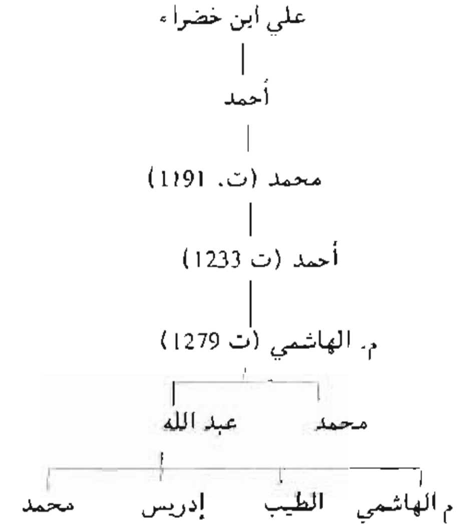
المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 192.

ابن **خضراء**، أو الخضراويون، أسرة سلوية عريقة، أصلها من الساقية الحمراء بالصحراء، كانوا ينتسبون فيها إلى آل إدريس بن إدريس الحسني. انتقلت طائفة منهم إلى الشمال واستقر بعضهم بجبال غمارة، وبعضهم بفاس ومكناس لكن لا تذكر كتب التراجم منهم سوى أحمد بن بلعيد ابن خضراء، صاحب الضريح الشهير بمكناس من رجال القرن الحادي عشر (17م). وكان رجلاً بهلولاً ساقط التكليف، واستوطن فريق آخر من الخضراويين مدينة سلا في حدود منتصف القرن الثاني عشر (18 م)، وأعلى جدٍّ لهم بسلا يعرف اسمُه هو علي ابن خضراء، لكن لا تعرف له ترجمة ولا لابنه أحمد. ويذكر عن محمد بن أحمد بن علي أنه كان أستاذاً مقرئاً منتصباً لخطة العدالة بمدينة سلا عام 1219. كما كان ابنه أحمد ابن خضراء فقيهاً مشاركاً ملازماً للتدريس بالزاوية الناصرية بسلا، منتصباً لتلقي الشهادات كذلك إلى أن توفي في ثامن عشر ذي الحجة عام 1233 / 19 أكتوبر 1818. ودفن قرب ضريح سيدي ميمون بالروضة الكبرى التي وراء الجامع الأعظم.

وعُرف ابنه محمد الهاشمي بن أحمد ابن خضراء بالتمكن في القراءات وطول مدة تلقينها للطلبة السلويين،

فقد "حدّث بعض أحفاده أنه لما شاخ وضعف كان يُحمل في محمل ويوضع في المسجد الأعظم ليأخذ الناس عنه أحكام التلاوة وكيفية تجويد كتاب الله العزيز إلى أن توفاه الله" (*تقييد* ج الناصري). وكانت وفاته بعد سنة 1271 / 1854. وهو والد قاضي الجماعة الشيخ عبد الله ابن خضراء آتي الترجمة.

وقد حج رجل من آل ابن خضراء في القرن الثاني عشر (18 م) وعرج على الشام فاستوطنها وأنجب أولاداً مازال عقبهم على اتصال بأبناء عمومتهم الخضراويين السلويين.



شجرة آل ابن خضراء السلويين

رسوم عدلية في خ ص، سلا ؛ م. القادري، *نشر المثاني / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 4 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ط. 1، الرباط 1986 ؛ ج. الناصري، *تقييد في آل ابن خضراء*، مخطوط ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، الرباط، 1991، ج 2

ابن **خضراء، إدريس** بن عبد الله السلوي. ولد بسلا في مطلع القرن الرابع عشر (أواخر ق 19 م) وبها نشأ وحفظ القرآن على يد مقرئي كتاتيب المدينة، وأخذ القراءات وحفظ المتون على يد والده، ثم حضر مجالسه الفقهية والحديثية في الجامع الأعظم، كما تتلمذ للعالم الورع أحمد الجريري المعروف بابن الفقيه، وللشيخين الطيب الناصري وأحمد عواد. وصحب والدَه حين عُين قاضياً بمراكش ثم بفاس فأخذ عن فقهاء المدينتين، وأجازه منهم أحمد بن الطالب ابن سودة ومَحمد بن قاسم القادري وعبد المالك العلوي الضرير.

رجع إلى مسقط رأسه واشتغل بالتدريس والإفتاء والعدالة، ثم عين على التوالي عدلا بمرسى العدوتين، وقاضياً بالصويرة، مرتين، وبطنجة وسلا.

تُذكر له *تعليقات على شرح والده على البيقونية* في مصطلح الحديث، وعلى *مختصر خليل*، وختمتان *لصحيح البخاري*، وختمة *لصحيح مسلم*، *ومجموعة فتاوى*. وخطب منبرية.

توفي بسلا يوم الأربعاء 21 ربيع الأول عام 1398 / فاتح مارس 1978. ودفن بروضة الشيخ محمد مفضل بالطالعة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، ج 9 ؛ تقييد غير منسوب في ترجمة إدريس ابن خضراء في خ. ص.

ابن **خضراء، الطيب** بن عبد الله السلوي، أديب شاعر صوفي ناسك. ولد بسلا عام أربعة أو خمسة وثلاثمائة وألف، ونشأ في كنف والده العالم الكبير وعنه أخذ القراءات ومبادئ العلوم، ولازم مجالسه العلمية في سلا ثم في مراكش وفاس عندما انتقل إليهما. وقضى مدة في القرويين يأخذ عن أعلامها أيام وجود أبيه فيها قاضياً للجماعة. وبعد وفاة والده رجع إلى مسقط رأسه حيث أتم دراسته على يد أخيه الأكبر محمد الهاشمي وغيره من علماء المدينة. ولا نعرف من شيوخه من كان ذا نزعة أدبية يمكن أن يكون المترجم تأثر به. ولعل رصيده الأدبي يرجع إلى قريحته ومطالعاته الخاصة.

رحل وهو شاب إلى المشرق فزار حواضر الشام واجتمع بعلمائها وأدبائها وحجّ وجاور مدة بالمدينة المنورة وهي تعُجّ يومئذ بالعلماء والأدباء المهاجرين إليها من مختلف أرجاء العالم العربي، ومنهم الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والأديب أحمد ابن الشمس الشنقيطي تلميذ الشيخ ماء العينين، ويوسف النبهاني فأخذ عنهم وأجازوه.

ولما رجع إلى وطنه عُين كاتباً بالحجابة في بلاط المولى يوسف إلى أن توفي هذا السلطان، فلزم بيته، وكان به نزوع إلى الخلوة إلى أن عينه محمد الخامس إماماً بالمسجد الأعظم، فقام بعمله أحسن قيام، وكان يتردد بين المسجد والزاوية التجانية بجواره، يقرأ القرآن ويذكر الأوراد، ويمدح الجناب النبوي خاصة في ليلة المولد بالزاوية التجانية وسط جموع غفيرة من المريدين بالعدوتين. وله *مولديات* كثيرة مطولة في غاية السبك والسلاسة. كما له قصائد مطولة أخرى في مدح السلطان المولى يوسف أيام عمله بالحجابة. معظمها في كتاب *اليمن الوافر الوفي*. على أن أعظم ما أنتجه شعراً في المديح النبوي هي قصيدته *الهمزية* التي عارض بها *همزية البوصيري*، استدرك فيها عدداً من أبواب السيرة التي لم ترد عند البوصيري، وخاصة غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه. وقد وزع الشاعر نسخاً من هذه الهمزية على المادحين بالزاوية التجانية وقرؤوها كاملة بنفس النغمات الموسيقية بعد ختم البردة والهمزية كالمعتاد، وكان الحاج الطيب يقرؤها معهم بتأثر وابتهاج لأنه كان يحفظها عن ظهر قلب. وحرص على أن يحفظها المادحون التجانيون لينشدوها باستمرار في ليالي المولد وسابعه

بزاوية سلا وضريح سيدي العربي بن السايح بالرباط.

توفي الحاج الطيب ابن خضراء بسلا يوم الخميس سابع شوال عام سبعين وثلاثمائة وألف / 12 يوليوز 1951، ودفن بمقبرة سيدي مَحمد مفضل بالطالعة.

ع. ابن زيدان، *اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي*، فاس، 1342 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1956، ج 9 ؛ جعفر الناصري، تقييد في *آل ابن خضراء*، مخطوط، خ. ص.

ابن **خضراء، عبد الله** بن محمد الهاشمي السلوي.

العالم الكبير، والمؤلف القدير، قاضي الجماعة بمراكش وفاس، ومستشار الدولة الأمين. ولد بسلا سنة ستين ومائتين وألف / 1844. وبها نشأ وتعلم دون أن تكون له رحلة لطلب العلم خارجها. ومن أشهر شيوخه السلويين، الإمام محمد بن عبد العزيز محبوبة، والقاضي أبو بكر بن مَحمد عواد. وكان آية في الفهم والحفظ والذكاء والتحصيل.

تصدى بعد أن تم تكوينه لنشر العلم بين ذويه وبني بلدته، وكانت دروسه متنوعة تبعاً لمشاركته وسعة أفقه، في اللغة وقواعدها وآدابها، والفقه والأصلين والتفسير والحديث، وكان يعتني بتحضير دروسه وتحريرها وترتيبها وإلقائها، فكان إذا ختم الكتاب جمع تلك الكراريس وأخرج منها شرحاً أو حاشية أو تعليقاً على الكتاب المقروء.

سافر إلى الحجاز في ريعان شبابه، ودوّن ذلك في *رحلة حجازية* مازالت مخطوطة ضمن مؤلفاته، فأبحر من مرسى العدوتين في 23 رمضان عام 1293 / 12 أكتوبر 1876 فزار الاسكندرية والقاهرة، ولقي بالجامع الأزهر أكابر شيوخه فذاكرهم وأجازوه. ولقي بمكة المكرمة والمدينة المنورة أعلام الحرمين، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد زيني دحلان. ثم رجع إلى وطنه فوصل إلى مرسى الدار البيضاء في 18 ربيع الأول عام 1294 / 2 أبريل 1877. والرحلة مليئة بوصف المشاهد والمآثر والتراجم والأشعار، ونوادر الأخبار.

اشتغل عبد الله ابن خضراء بعد رجوعه من الحج بالتدريس والإفتاء والشهادة بمسقط رأسه، إلى أن استدعاه السلطان المولى الحسن سنة 1296 / 1879 إلى مراكش في جماعة من أعيان العدوتين وعلمائها، فمدحه بقصيدة نونية مطلعها :

لبيك لبيك يا خير السلاطين   أدامك الله في عز وتمكين

فأُعجب بها السلطان وأنعم عليه بظهير التوقير والاحترام، وعينه مفتياً ومدرساً بجامع ابن يوسف بمراكش ونفّذ له راتباً من أحباسه. وكلفه بإحصاء صائر القصور السلطانية بحاضرة مراكش. وبعد سنة رجع إلى مسقط رأسه ولم يكد يستعيد سيرته الأولى في التدريس حتى ولاه السلطان خطة القضاء بمراكش وفوّض إليه في الوكلاء والشهود والعرفاء والأوصياء بظهير خاص.

كان الشيخ ابن خضراء يقوم إلى جانب مهام القضاء بالتدريس في جامع ابن يوسف، وأخذ عنه الجمّ الغفير من طلبة الجنوب، وفي نفس الوقت كان الحسن الأول يستشيره في النوازل وتولية الموظفين في الخطط الشرعية من قضاء وفتوى وعدالة وإمامة وخطابة. وقد طال مُقامه بمراكش فحنّ إلى مسقط رأسه وأهله واستعفى فأعفاه السلطان بعد لأي. ورجع إلى سلا لكن السلطان كان يكلفه فيها بقضايا مهمة تخص بعض العمال والولاة، كما كلفه سنة 1302 / 1885 بالإشراف على إحصاء خزانته العلمية بالقصر الملكي بالرباط فكتب تقديماً مفيداً لكناش الإحصاء، من إنشائه.

ولما بويع المولى عبد العزيز استدعى الشيخ عبد الله ابن خضراء إلى مراكش فسار إليها في جماعة من أهله، فاستقبله السلطان وذكّره باغتباط والده به وولاه قضاء الجماعة بفاس. استلم المترجم مهامه بمقصورة القرويين فسار فيها على نحوما كان عليه في مراكش من عدل ونزاهة وعفة، ولقي لدى علماء الحضرة الإدريسية كل إجلال وتقدير، وتسابق نجباء الطلبة إلى حلقات تدريسه بالقرويين. ولما انتقل عبد العزيز إلى فاس مع حكومة مخزنه، اتخذ القاضي ابن خضراء مستشاراً أميناً يعتمد عليه في المهمات وعند تعيين الولاة وأمناء المراسي والقضاة وسائر الوظائف الدينية والدنيوية، ثم أشركه في مجالس الشورى التي كانت تعقد بدار المخزن لدراسة مطالب الدول الأجنبية المتكالبة على المغرب، كقضية زيارة امبراطور ألمانيا غليوم إلى طنجة ومسألة "المصالح" التي أخذت تطالب بها فرنسا وغيرها، وما ترتب عن ذلك من انعقاد مؤتمر خزيرات، وللمترجم في ذلك رأي خاص مسجل في محضر بعض الجلسات التي كانت تعقد ويحضرها.

ألف الشيخ عبد الله ابن خضراء عدداً من الكتب في الفقه والأصول ومصطلح الحديث واللغة والأدب، طبع ستة منها على الحجر بفاس، و ما يزال سائرها في أصله بخط المؤلف في الخزانة الصبيحية بسلا :

المطبوعات :

- *الإتحاف بما يتعلق بالقاف*
- *تحذير عوام المسلمين* من الاغترار بكل من يتساهل في الدين
- *حاشية على الحطاب على الورقات*
- شرح *البيقونية* في مصطلح الحديث
- *مرآة الفكر والنظر في شرح فرائض المختصر*
- *منتهى الأرب في شرح بيتي العقل والأدب*

المخطوطات :

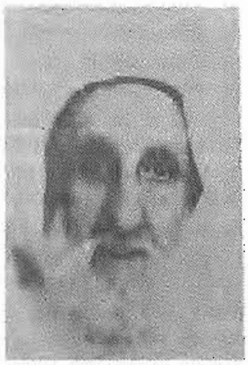
- *رحلة حجازية*
- *تقييد في التعريف بالإمام مالك* (229 صفحة)
- تعليق على شرح *لامية الزقاق* (283 صفحة)
- تعليق على شرح *تحفة الحكام* للتاودي ابن سودة نحو(300 صفحة)

- *كراسة موجهة إلى السلطان في حكم إقطاع المعادن*
- *تعليق على شرح بناني للسلم في المنطق* وحاشية قصارة عليه نحو (50 صفحة)
- *تعليق على الرسالة البيانية* لمحمد بن علي الصبان (كراسة)
- *تعليق على الاعراب على قواعد الإعراب* لابن هشام بشرح الأزهري (كراسة)
- *السيف المسلول* على منكر افتقار الإبراء من الدَّين إلى القبول (كراسة)
- ختم صحيح مسلم والتعليق على الحديث الأخير فيه (كراسة)

توفي عبد الله ابن خضراء بفاس، بعد أن مرض بالحمى، يوم الاثنين ثالث وعشري محرم عام 1324 / 19 مارس 1906. ودفن بالزاوية الناصرية من حومة السياج بفاس.

ع. الله ابن خضراء، *الرحلة الحجازية*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1956، ج 9 ؛ ج. الناصري، تقييد عن آل ابن خضراء السلويين، مخطوط، خ. ص ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1347، ج 3 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1924 ؛ م. ابن علي الدكالي، *إتحاف أشراف الملا*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1977 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 8 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985، ج 2 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، سلا، 1988.

ابن خضراء، محمد الهاشمي بن عبد الله السلوي، من آخر قضاة العدل المتقين بالمغرب. ولد بسلا في حدود 1298 / 1881، ونشأ في بيت علم ودين فحفظ القرآن على المقرئين السلويين وتلقى القراءات السبع ومبادئ العربية والدين على يد والده في البيت، ثم حضر مجالسه العلمية في الجامع الأعظم، ومجالس الشيوخ أحمد الجريري المدعو ابن الفقيه والطيب الناصري وأحمد عواد. ثم أخذ بفاس أيام تولي والده خطة القضاء بها، على الشيوخ محمد بن قاسم القادري وأحمد ابن الخياط والتهامي كنون وغيرهم، ونال منهم إجازات عامة.



ولما رجع إلى سلا أدرج في سلك قائمة العلماء المدرسين بالدرجة الثانية ثم بالدرجة الأولى. فأبان عن تمكن واقتدار إلى أن عين عدلاً بمرسى العرائش ثم بمرسى الدار البيضاء. وبعد ذلك عين عضواً بمجلس الاستيناف الشرعي الأعلى ثم نائب الرئيس ثم أصبح رئيس المجلس بعد انتقال الشيخ عبد الرحمن بن القرشي إلى وزارة العدلية. وكان السلطان المولى يوسف يستشيره في بعض القضايا التي يعرضها عليه الفرنسيون ليتأكد من عدم مصادمتها للشرع. فكان يشير عليه بما يراه حقاً ولو أغضب المستعمرين. لذلك سعوا في إعفائه من منصب الرآسة، وتعيينه قاضياً بفاس.

وفي عام 1350 / 1931 سماه محمد الخامس قاضياً بالدار البيضاء، فقام بوظيفته خير قيام، وكان يحيل عليه القضايا المستعصية من مختلف المحاكم الشرعية فيبت فيها بنزاهة وإنصاف. وظل المترجم قاضياً بالدار البيضاء نيفاً وعشرين سنة كان خلالها يزاوج بين القضاء بين الخصوم والتدريس للطلبة وعامة الناس في مسجد دار المخزن والجامع المحمدي، إلى أن أبعد محمد الخامس عن عرشه فغادر القاضي ابن خضراء الدار البيضاء، ورجع إلى مسقط رأسه منعزلاً في بيته مقبلاً على عبادة ربه إلى أن أتاه اليقين. يوم الأحد رابع محرم عام 1392 / 20 فبراير 1972.

ج. الناصري، تقييد في آل ابن خضراء السلاويين، مخطوط. خ. ص ؛ جريدة *السعادة*، عدد 3718 في 8 غشت 1931 ؛ ع. السلام ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

محمد حجي

الخُضَّار والخضاري والخضيراء، جنس طيور برية متوسطة القد وزاهية الألوان تسمى أيضاً الوروار في الشرق العربي وبلخضر وبليمون في المغرب. تسمى بالبربرية أكامرم وأباقزوا وبالفرنسية Guépier وبالانجليزية Bee eater (آكل النحل) وبالاسبانية Abejaruco. ينتمي إلى رتبة الشقراقيات Coraciadiformes وإلى فصيلة الخضاريات Meropidae. منها نوعان يتوالدان في المغرب ويشتوان في ضواحي إفريقيا الاستوائية. يعيشان وسط مجموعات متعددة الأفراد ما بين 50 و 500 فرد).

الخضار الشائع أو بليمون يسمى علمياً Merops apiaster يبلغ طوله 27سم ووزنه 50 ـ 60 گرام. منقاره طويل، أسود اللون ومقوس شيئاً ما إلى الأسفل. الأرجل قصيرة وبنية. في قمة رأسه وعلى ظهره حمرة وتحت عنقه طوق أصفر محفوف بالسواد سائره أخضر لامع. الذنب طويل تتوسطه ريشتان أطول من سائر ريش الذنب. الجناح مثلث الشكل ودقيق الرأس. يألف ضفاف الأنهار والغابات والسهول والهضاب ويتغذى من الحشرات الطائرة وخاصة منها النحل والزنبور يلتقطها عند الطيران ثم يعود إلى الأشجار ليستريح على أغصانها ويترقب فريسته. يتوالد

في شهر مايو وكثيراً ما يلد البيض مرتين أو 3 مرات في السنة. تضع الأنثى بيضها بداخل جحر يحفره الزوجان بمخالبهما الطويلتين القويتين. يبلغ طول الجحر 50 ـ 200سم ينتهي بحفرة كبيرة تلد فيها الأنثى 4 ـ 8 بيضات، كروية الشكل وبيضاء، يبلغ قطرها 25.5 × 21.5 ملم وتزن 6.5 گرام. يحضنها الأبوان بالتناوب لمدة 3 أسابيع وتغادر الصغار الجحور بعد 3 أسابيع وترافق الأبوين طوال حياتها.



يكثر الخضّار في المغرب منذ بداية فصل الربيع ومنه عدة مجموعات تتوالد في أوربا الجنوبية وآسيا الغربية ثم تعود إلى إفريقيا ابتداء من شهر شتمبر، عدة مجموعات تقضي فصل الشتاء في جنوب المغرب. كثيراً ما يخلف خسائر في الجباح مما يجعل مربي النحل يطاردون الطائر.

الخضار العراقي أو الفارسي يسمى علميا Merops superciliosus يبلغ طوله 31 سم ويختلف عن الخضار الشائع في طوقه الأحمر وعدم الحمرة على رأسه وظهره، له خط رقيق من الريش الأسود يمر على عينيه وسائر ريشه أخضر زيتوني لامع.

يعيش وسط مجموعات تأتي من إفريقيا منذ بداية فصل الربيع لتتوالد في ضواحي الأطلس الصغير والكبير ولا يقطع إلى أوروبا. يتوالد في شهر مايو وتضع الأنثى 4 ـ 5 بيضات في داخل الجحر الذي تحفره مع زوجها. يبلغ قطر البيض 26 × 21 ملم لونه أبيض لامع ويحضن بالتناوب من طرف الزوجين.

يتغذى من الزنبور والنحل والذباب وشائع في ضواحي أرفود والريصاني وزاگورة وتنغير ودرعة والراشدية والمغرب الشرقي ومراكش خلال فصل الربيع والصيف من كل سنة.

مصطفى الشهابي، *معجم الشهابي في المصطلحات الزراعية*، مكتبة لبنان، بيروت، 1988.

W. Read et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs nids et leurs œufs*, Paris, 1968, p. 224 - 225 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe With North Africa and the Middle East*, London, 1977, p. 188 - 189.

محمد رمضاني

ابن الخضّار، محمد بن محمد الكتامي السبتي الضرير، اشتهر بابن الخضار. ولد بتلمسان، واستقر بسبتة إلى أن توفي بها سنة 727 / 1327 (*برنامج التجيبي*، ص. 135 ؛ *درة الحجال*، ص 263) أخذ السيرة النبوية والحديث عن أبي مروان الباجي. وفي محرم من عام 634 / 1237 رحل إلى المشرق بحراً صحبة شيخه أبي مروان الباجي فنزل بمرسى عكّا ومنها توجه إلى دمشق فسمع بها على أبي عمرو ابن الصلاح كتاب *علوم الحديث* وكتاب *الموطأ* على تقي الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن أبي الفهم بن عبد الرحمن ابن عبد المنعم الدمشقي. كما حضر المجالس العلمية التي كان يعقدها شيخه ورفيقه في الرحلة أبو مروان الباجي بالديار الدمشقية. وفي شهر شوال من نفس السنة حج. وفي عودته توقف بمصر لمرض أصاب شيخه ورفيقه أبا مروان فأودى بحياته (*إفادة النصيح*، ص. 103-104) وعند رجوعه إلى سبتة قعد لتدريس كتب السنة والحديث.

من تلامذته أبو القاسم التجيبي (*برنامج التجيبي*، ص. 62 ـ 132 ـ 135 ـ 140) وابن رشيد السبتي (*إفادة النصيح*، ص. 98)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي (*الإحاطة*، 2 : 179) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني الأنصاري (*الإحاطة*، 3 : 200). كما أجاز لابن جابر (*درة الحجال*، ص. 263).

التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا / تونس، 1981 ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، الأجزاء، الثاني والثالث ؛ ابن رشيد، *إفادة النصيح في التعريف بسند الجامع الصحيح*، تح. م. الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر؛ ابن القاضي، *درة الحجال* تح. م. الأحمدي أبو النور، المكتبة العتيقة، تونس / القاهرة، 1391 / 1971، الجزء الثاني.

زليخة بنرمضان

خضُور، أحمد (الحاج -) بن قاسم السلوي، فقيه ومؤدب كان صاحب كتاب قرآني بسلا تخرجت عليه جماعة من أهل المدينة مثل الشيخ أحمد بن الفقيه الجريري البرهوني المتوفى سنة 1353 / 1934. وكان له خط جميل به نقل عدة كتب منها *السلك السهل، في شرح توضيح ابن سهل* للبفرني، *والأقنوم في مبادئ العلوم* لعبد الرحمان الفاسي وصحيح *مسلم وقوت القلوب* لأبي طالب المكي، وصحيح *البخاري*.

انقرضت اليوم أسرته من سلا، وكان سنة 1278 / 1862 مؤذناً بمسجد اللالجة بحي الشراطين بسلا. وقد كان سنة 1294 / 1877 ما يزال بقيد الحياة.

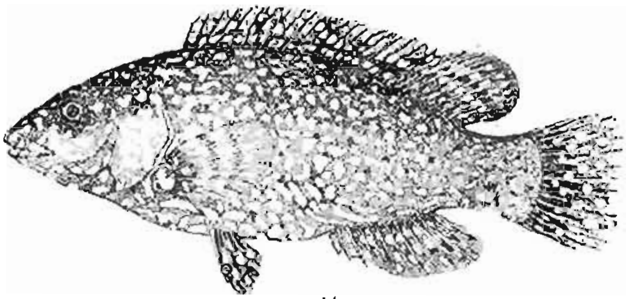
م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، ص. 254 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، ج 2، 53، 55 ؛ ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 37.

مصطفى بوشعراء

الخَضير بن عبد الله، مقاوم ولد سنة 1939 بإقليم كَوليم. وعنّدما احتاجه جيش التحرير المغربي البطل لكي يطعم به صفوفه لم يتأخر عن تلبية هذا الواجب المقدس، فانخرط في مقاطعة القيادة العليا لجيش التحرير حيث كان السيد فوزي الحسين مسؤولا عنه، فتدرب عل كيفية استعمال الأسلحة المختلفة وعندما أصبح قادرا على خوض المعارك شارك في إنجاز أعمال رائعة، وظل هكذا يناضل ويكافح مسترخصا حياته وشبابه إلى أن استشهد بدار حميدوش اسك بأيت باعمران في معركة مع جنود العدوان وذلك بتاريخ 26 نونبر سنة 1957

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2، 155.

الخُضَير أو أبو خضّير وخضيري نسبة إلى لونه الأخضر وكما هو اسمه الشائع في المغرب العربي، سمك بحري من الأسماك العظيمة ومن فصيلة لابريدي Labridae. اسمه العلمي لابروس بيرجيلتا Labrus bergylta (= Labrus maculate) ويسمى بالفرنسية Vieille وبالإنجليزية Ballan wrasse وبالاسبانية Maragota. طوله شائع بين 30 و50 سم ويبلغ أحيانا 60 سم عند الكبار.



الخضير

الجسم قصير وسمين، ويختلف لونه بين الكبار والصغار إلا أن اللون الأخضر يبقى مسيطراً فوق الظهر والجوانب التي تتخللها عدة بقع بيضاء وبنية حمراء. الصغار زمردية اللون وشديدة الاخضرار. فمه حاد وشفتاه غليظتان، الأسنان حادة ومترتبة في صف واحد بكلا الفكين. زعنفته الظهرية متواصلة وتتكون من 18 . 21 شوكة ومن 9 . 13 شعاع هش. تتكون الزعنفة الذيلية من 3 شوكات ومن 8 . 12 شعاع هش. تكسو الجسم حراشف دائرية وكبيرة ويتكون الخط الجانبي من 41 . 47 حرشفة.

يعيش في المناطق الصخرية، الغنية بالأعشاب البحرية والطحالب، والقريبة من الشواطئ. يوجد في الأعماق البحرية الممتدة من متر واحد إلى 20 متراً. يتوالد طيلة فصل الربيع وتضع مجموعة من الإناث بويضاتها في عش من الطحالب تصنعه الذكور بين الصخور. يصير بالغا بعد سنتين ويعمر حوالي 18 سنة.

يتكون غذاؤه من القشريات الصغيرة والرخويات الصغيرة وخاصة منها القواقع البحرية المختلفة الأنواع. يقتصر توزيعه الجغرافي على الشواطئ الاطلنطية الشمالية الشرقية الممتدة من الدار البيضاء إلى الدول الاسكندنافية، كما أنه يوجد في بعض المناطق المتوسطية : تركيا، ليبيا، الجزائر، إيطاليا.

يتم صيده بشباك الجرف وبالشباك الخيشومية وبالصنانير. صيده تقليدي ووجوده غير منتظم في أسواق الأسماك المغربية. لحمه لذيذ ويؤكل طرياً.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزارعية*، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932 ؛ دليل تعريف الموارد البحرية الحية في المغرب، *المنظمة العالمية للتغذية*، روما، 1998.

M. Ramdani et N. Elkhiati, *Flore et faune marines du Maroc. Biodiversité. Biologie. Ecologie et Biogéographie*. Expo. 98 Lisbonne, Rabat, 1998, 68 p.

محمد رمضاني

ابن **خطري**، سيدي **أحمد**، مقاوم ولد سنة 1936 بأسرير ناحية كَلميم، لما اندلعت شرارة الكفاح التحرري بجنوب المملكة وبالخصوص في الأقاليم الصحراوية لتعلن بداية نهاية الوجود الاستعماري على التراب الوطني، كان انخراط ابن خطري في صفوف جيش التحرير بالمقاطعة الثامنة تحت قيادة ناضل الهاشمي والمرابطة بمركز الساقية الحمراء.

وقد خاض عدة هجومات ومعارك مع إخوانه المجاهدين ضد قوات الاحتلال اظهر خلالها تفانيه في خدمة المصالح العليا للوطن. وتوفي على إثر معركة مركالة سنة 1956.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 4، 26.

الخط المغربي يعتبر من أنفس الخطوط العربية وأجملها، بما يتصف به من أشكال هندسية متميزة تجسد ما أبدعته يد الخطاط في الغرب الإسلامي من مبتكرات ما تزال صامدة تزين آثار المعمار في القصور والمساجد والمدارس العلمية ودور الأعيان. كما تزين نوادر المخطوطات والوثائق التي تزخر بها خزاناتنا العامة والخاصة، ويعد بحق معلمة بارزة من معالم الحضارة العربية الإسلامية.

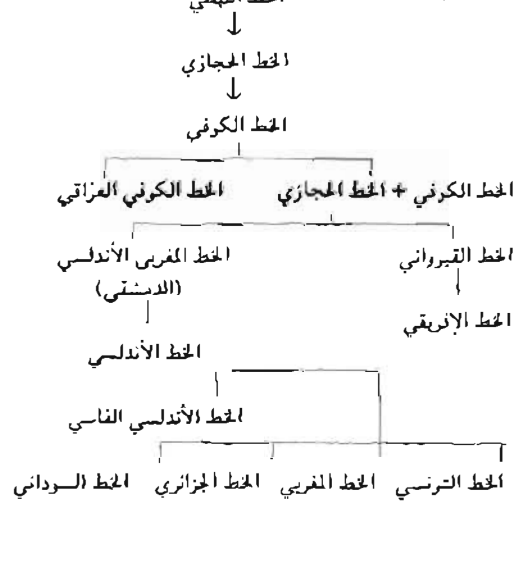
ولقد كُتب الكثير عن الخط العربي في المشرق، بأنواعه وأقلامه وخصائصه وقواعده وآدابه وتاريخه وأعلامه، على حين لم يقع الاهتمام بالخط المغربي إلا نادرا، ولا يتعدى ما يكتب عنه أحيانا بضعة أسطر. وندين بكامل الفضل لما كتبه محمد المنوني عن تاريخ الوراقة المغربية وصناعة المخطوط، ونقدم هنا موجزا عن تاريخ الخط المغربي كما

نذيله بما توفر عنه حتى الآن من كتابات أولية.

نشأ الخط المغربي ضمن الإطار التاريخي للغرب الإسلامي : المغرب والجزائر وتونس وليبيا والأندلس، وهو ما كان يعرف ببلاد المغرب والأندلس في رقعة جغرافية تفاعلت فيها عناصر عربية وأمازيغية وإفريقية وأوربية، وكانت فيها الريادة للثقافة العربية الإسلامية، واستفادت منها هذه الثقافات إلى أبعد الحدود.

إن وصول الخط العربي إلى الغرب الإسلامي يرجع إلى القرن الأول الهجري أثناء الفتح الإسلامي الذي تم على يد عقبة بن نافع، ومن المؤكد أن الفاتحين الأوائل استخدموا الخط الحجازي إلى جانب الخط الكوفي كما يؤكد فلس ضرب في عهد موسى بن نصير سنة 92 / 711، فكان الخط الكوفي - الحجازي أصلا لنشأة الخط العربي الإسلامي، ولقد انتشر الخط العربي مع انتشار مبادئ وقيم الدعوة الإسلامية وحفظ القرآن وكتابته، فتناولته أياد مغربية بالإجادة والتحسين، وكان أشهر من أجاد الخط العربي في هذه الفترة صالح بن طريف زعيم الدولة البورغواطية المتوفي سنة 127 / 744.

ولقد انتشر الخط الكوفي العراقي في بلدان الغرب الإسلامي خاصة في تونس والجزائر والمغرب، فتولد عنه الخط الكوفي القيرواني، وبعد انتقال المسلمين إلى الأندلس وقع استعمال الخط الكوفي المتفرع عن الخط الكوفي الشامي، وقد تغلبت مدرسة دمشق عاصمة الأمويين عند قيام الدولة الأموية الثانية بالأندلس، وتميز هذا الخط بأشكاله المقوسة التي أصبحت حروفه المركنة مدورة في حدود القرن الرابع الهجري، وفي هذه الأثناء، تولد عن الخط الكوفي القيرواني الخط الإفريقي، ومن الخط الكوفي الأندلسي الخط الأندلسي، الذي أصبحت أغلب خطوطه مدورة (كما يذكر كتاب *أحسن التقاسيم*) فكان تيار خط القيروان قد امتد إلى المغرب الأوسط والجزائر والمغرب الأقصى قبل اتصالهما بالخط الأندلسي، فكانت السيادة لمدرستين : مدرسة الخط الإفريقي ومدرسة الخط الأندلسي، ومن هذه الفترة بدأت تتميز خطوط بلدان الغرب الإسلامي حسب شجرة أصول هذا الخط، التي يمكن رسمها مبسطة كما يلي :



وعلى مر الزمان اتخذ كل خط من خطوط بلدان الغرب الإسلامي سماته المحلية وخصائصه الحضارية وطابعه المتميز. ويهمنا بهذا الصدد الحديث عن تاريخ الخط في المغرب الأقصى وأنواعه وبعض خصائصه الجمالية بصورة موجزة حسب عهود السلالات الحاكمة.

أولا : في عهد الأدارسة : بدأ الخط المغربي يتحسن متفرعا عن الخط الكوفي في العهد المغراوي وبني يفرن، وقد غلب عليه الطابع الشرقي بمجئ الإمام إدريس الأول وحاشيته إلى فاس ونشوء الدولة الإدريسية سنة 172 / 788، فتأثر بذلك الخط المحلي نتيجة انتشار الخط الكوفي العراقي الذي استعمل على الدراهم الإدريسية، وكانت النقود الإدريسية قد ضربت بالخط الكوفي دون غيره، وقد أولينا عناية كبيرة لذلك فدرسنا خطوط النقود الإدريسية المضروبة في خمسة وعشرين دارا لضرب السكة موزعة بين مناطق بدوية وأخرى حضرية واستنتجنا أن الخط الكوفي الشائع في العهد الادريسي كان يغلب عليه طابع البساطة ويتميز بالجفاف وعدم الاغتناء، مما يعكس حالة الدولة نفسها اقتصاديا، إذ كان الأدارسة يعيشون وضعية اقتصادية محدودة. وكانت السيادة عموما في مجال الخط لمدرستين : مدرسة الخط الإفريقي ومدرسة الخط الأندلسي.

ثانيا : في العهد المرابطي والموحدي : اكتسح الخط الأندلسي منطقة الغرب الإسلامي كلها إلى منطقة القيروان باستثناء منطقة الجريد التي حافظت على الخط الإفريقي، واستمر هذا التيار الأندلسي إلى العهد الموحدي، وتدل النماذج الخطية على إبداع أهل المغرب الأقصى وتسمح لنا بالتمييز بين الكوفي المرابطي والموحدي وأنواع أخرى من الخطوط اللينة، مثل المبسوط والثلث المغربي، وقد ازدهرت الخطاطة وبرز عدد من الخطاطين المجيدين نتيجة اهتمام الخلفاء الموحدين أنفسهم بهذا الفن، وكان منهم من يكتب بأكثر من خط أمثال الخليفة المرتضى، وتميز عهده بتأسيس أول مركز عمومي للنساخة (وهو خزانة مدرسة العلم بالجامع المرتضى من مراكش).

ثالثا : العهد المريني : في صدر الدولة المرينية حصل نوع من التقدم للخط الأندلسي الذي انتشر بالمغرب حيث أصبحت السيادة لمدرسة فاس في عموم منطقة الغرب الإسلامي 'ويستثني "هوداس" منطقة الجزائر التي تأثرت بالخط الإفريقي التونسي، يقول ابن خلدون عن هذا العصر أنه "حصل في دولة بني مرين بالمغرب الأقصى لون من الخط الأندلسي لقرب جوارهم، وسقوط من خرج منهم إلى فاس قريبا"، وقد أشار في هذا النص إلى ازدهار الخط في مدينة فاس، كما عرفت مدن مغربية أخرى تفوقا في الخطوط ومنها : سبتة وتازة ومكناس وسلا ومراكش. غير أن ابن خلدون يشير إلى نوع من تراجع الخط في المناطق "البعيدة عن سدة الحكم" ولعله يقصد البوادي البعيدة عن المراكز الحضرية. وقد انتقد محمد المنوني ما كان في كلام

ابن خلدون من تعميم وأن ملاحظة ابن خلدون تشير في الحقيقة إلى أن "هذا اللون من الخط" إنما هو الخط المغربي الذي استكمل شكله النهائي في هذه الفترة حيث بدا متميزا عن الخط الأندلسي سواء في موقعه وفي أصنافه. فالخط المغربي من حيث الإجادة ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مغربي حضري في المدن المذكورة، وخط مغربي بدوي وهو خط عرف في جميع جهات جنوب المغرب وشماله تكتب به المؤلفات العربية والأمازيغية، وخط يحتفظ بالسمات الأندلسية. أما من حيث أصنافه فقد استقرت في هذه الفترة في خمسة أصناف، وهي كما يلي :

الخط الكوفي والخط المبسوط والخط المجوهر وخط الثلث المغربي والخط المسند أو الزمامي وسنعود للتعريف بهذه الأنواع بإيجاز بعد حين.

رابعا : العصر السعدي : من أهم خصائص العصر السعدي ظهور إصلاح جديد شمل مختلف مظاهر الحياة في شتى الميادين، شملت ميدان الوراقة وتعليم الخطوط وتأسيس مدارس لتعلم الخط ومن ضمنها مدرسة جامع المواسين لتعليم أصول هذا الفن، وقد نصب عليها خطاط خاص يتولى تسييرها كما كان الشأن في الشرق الإسلامي. وقد تألق في هذا الفن خطاطون لامعون، وكان الخليفة المنصور السعدي يجيد الكتابة بخط الثلث المغربي (المشرقي)، وقد ابتكر حروفا خاصة لكتابة مراسلاته السرية، وعموما فقد ازدهرت الخطوط المغربية والزخرفة الكتابية في العهد السعدي مما يتجلى في كتابة المصاحف والآثار المعمارية وفي الكتابة على القطع النقدية الذهبية منها والفضية.

خامسا : العهد العلوي : برزت معالم الخطوط المغربية واضحة منذ عهد مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل واستمرت نفس الأنواع مع تفاوت في الجودة إلى عصر السلطان مولاي سليمان وبالخصوص في أهم الحواضر المغربية على رأسها مدينة مكناس وتخصصت منها مدن فاس ومراكش في جودة الخطوط المغربية، بينما احتفظت مدينة الرباط وسلا ببعض بقايا الخط الأندلسي. وعرفت جودة الخطوط كذلك ببعض البوادي المغربية في عدة جهات مثل دكالة وبني زيان والأخماس، وجهات أخرى من شمال المغرب وجنوبه.

ولاشك أن الخط المغربي بعد هذه الفترة عرف تراجعا في الجودة مما جعل الخطاط المغربي أحمد ابن قاسم الرفاعي الرباطي (ت. 1841) يقوم بمبادرة إصلاحية كالتي قام بها الخطاط ابن البواب وابن مقلة في المشرق، فألف بإيعاز من أبي علي اليوسي مؤلفا في قواعد الخط وصناعته بهدف حفظ أصوله، إذ وضع منظومة بعنوان *نظم لآلي السمط في حسن تقويم بديع الخط* ثم شرحها في كتاب بعنوان *حلية الكاتب ومنية الطالب*، وإلى جانب هذا فقد اهتم الملوك العلويون بالوراقة، وكانوا ينتقون أجود الخطاطين لنسخ الكتب وكتابة المراسلات والظهائر في أغلب جهات البلاد.

وفي أواسط القرن الثالث عشر (19 م) بدأ تطور جديد في الخطوط المغربية نتيجة ظهور الطباعة الحجرية سنة 1864 م والتي اعتمدت غالبا بالخط المجوهر وجعلته أساسا لعمليات الطبع دون إهمال الخطوط الأخرى، وما تزال المطبوعات الحجرية تحتفظ إلى اليوم بخطوط مجموعة من الوراقين اللامعين. ويبدو أن هذا العصر - نتيجة انتشار المطبوعات الحجرية في عموم البلاد - يمكن وصفه بعصر التفنن في أنواع الخطوط وتجويدها، حيث تعرضت أصناف من الخطوط الأساسية إلى تنويعات أسلوبية عديدة ذات طابع محلي تفرعت إلى أنواع من الخطوط من نفس الصنف وبخصوص نماذج منها (انظر الكتاني، في *تاريخ الوراقة بمنطقة سوس*).

وبعد هذه المرحلة تأتي مرحلة الحماية الفرنسية وعهد الاستقلال، ولا بد أن نشير إلى الوضعية التي عاشها الخط في هذه الظرفية، فقد عاش الخط المغربي أزمة خانقة في هذه الفترة، إذ برزت هيمنة الحرف الأجنبي في المجال التعليمي وفي الحياة العامة على حساب الحرف العربي واللغة العربية، وبالمقابل ظهرت قوية - كرد فعل - أعمال الحركة الوطنية لتلقين الطلاب في المدارس في إطار تربوي



الخط المغربي المبسوط في المصحف الشريف على الحجر بالناظر: 1267

اللغة والخط العربيين، وظهرت في شمال المغرب سنة 1949 مذكرات *تعليم الخط المغربي* في خمسة كراريس من تأليف محمد بن الحسين السوسي وأنطونيو گارسيا-خاين، وكان من مظاهر التشبث بالخط العربي الاحتفاظ بإصدار جميع النقود المغربية بأوربا بخط الثلث المغربي. وبعد الاستقلال بقي الخط المغربي مهتما به في الرسائل والظهائر الملكية الرسمية إلى اليوم. وقد التحق بالديوان الملكي جملة من الخطاطين المرموقين، وتم إنجاز المصحف الحسني بأمر ملكي، كما أشرفت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مؤخرا على طبع المصحف الحسني المسبع وقد قام بإنجازه سبعة من الخطاطين المغاربة بخط موحد هو خط المبسوط.

وقد برز في عصرنا الحاضر عدد كبير من أعلام الخط والنساخة ترجم محمد المنوني - رحمه الله - للعديد منهم، نذكر على سبيل المثال محمد الرفاعي (ت. 1841) ومحمد القندوسي الفاسي (ت. 1861) وعبد الكريم سكيرج (ت. 1984) وعبد السلام بناني (ت. 1997)، كما يوجد اليوم عدد هائل من الخطاطين المغاربة الشباب ممن أبدعوا في مجال الخطوط المغربية وحصلوا على إجازات في الخطوط الشرقية، بل منهم من نالوا جوائز كبرى مشرفة في الخط المغربي والشرقي في عواصم الخط في تركيا وإيران مؤخرا.

ونعود بعد هذا التقديم لتعريف وجيز بأنواع الخطوط المغربية.

أنواع الخطوط المغربية خمسة :

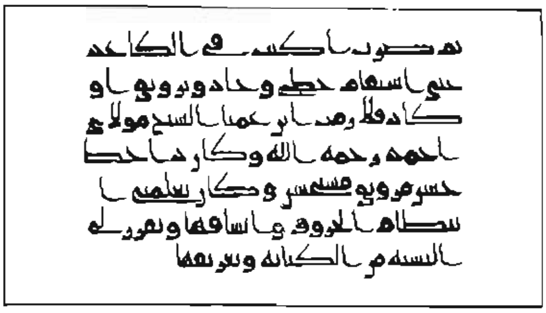
حاول (هوداس) صاحب *محاولة في الخط المغربي* تقسيم الخطوط المغربية إلى مدارس خاصة، حسب أمكنة وجودها، وهي القيروان وفاس والأندلس والسودان، وحاول تطبيق هذا التقسيم على الكتابات المغربية عامة ولكن هذا التقسيم لم يكن مؤيدا بأدلة خطية كافية لتغطي الفوارق الموجودة بين خطوط المدارس التي ذكرها والتي وصفها بغموض.

إن المدارس التي ذكرها وقع طبع كثير من أنواع خطوطها بالطابع المحلي واستمر الحفاظ على بعض خصائصها في أنواع منها، ومع مرور الزمن تستقر بعض التقاليد الخطية لتسجيل الصور النهائية لهذه الخطوط.

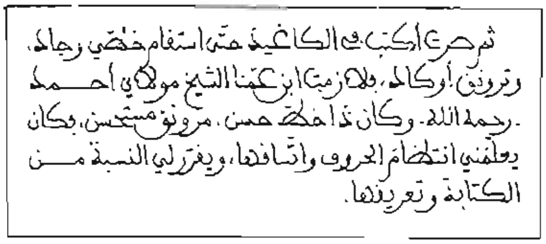
وفي ظل الدول المغربية السالفة الذكر، كان الخط المغربي المتأصل من الخط الكوفي قد تغذى من إبداعات الخطاط المغربي واندمج مع روحه حتى غدا بعد ذلك خطا مغربيا أصيلا في أسلوبه وهندسته وفي أشكاله وزخرفته، فأنجب خطوطا عديدة على غرار التعدد الذي وقع في الخطوط الشرقية، وهي خمسة أنواع أساسية، لكنها تستوعب تشكيلات أخرى محلية وإبداعية كما أشرنا إلى ذلك سلفا وهذه هي الأنواع الأساسية :

1 - الكوفي المغربي : هو خط هندسي بديع يتميز بخطوط مستقيمة وزوايا حادة وهو الأصل الذي تطورت منه الأنواع المغربية الأخرى، ومن حيث الشكل فإنه لم يخضع

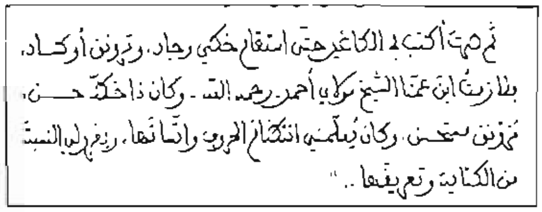
نماذج من الأنواع الخمسة للخط المغربي

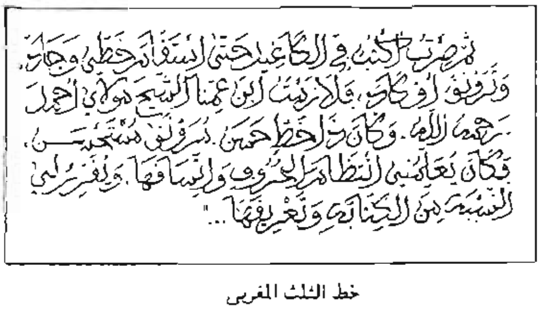


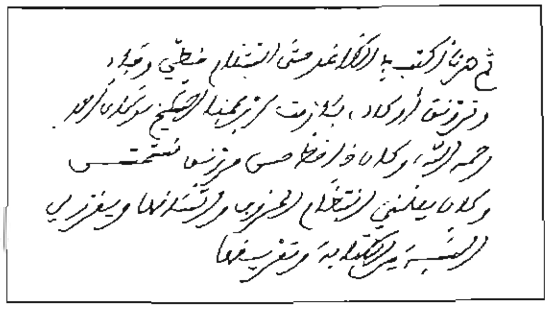
الخط الكوفي المغربي



الخط المبسوط


الخط المجوهر


خط الثلث المغربي


خط المسند ـ الزمامي

لتأثير الكوفي القيرواني بقدر ما هو استمرار للتيار المشرقي المنساب إليه عن طريق الأندلس، فكسب بعمق خصوصياته المحلية، ونتأمل نماذج منه مكتوبة في الماضي على النقود وعلى رق الغزال في المصاحف القديمة ومنقوشات في الحجر على أبواب المدن والقصبات، وفي الجبص على جدران المساجد والمدارس العتيقة وقبور الملوك وأضرحة الأولياء. أما في الوقت الراهن فلم يعد مستعملا في الحياة العملية إلا في كتابة بعض العناوين خاصة في سور القرآن الكريم في بعض المصاحف وزخارف بعض الصناعات التقليدية وفي بعض أعمال فن التشكيل المعاصر.

2 ـ المبسوط : يعتبر الخط المبسوط أكثر راحة للعين بأحرفه الواطئة المبسوطة ويتميز بالوضوح وسهولة القراءة وهو أعلى مراتب الخط المغربي، ولذلك فهو يستعمل في كتابة المصاحف المخطوطة وكتب الأدعية والصلوات. وعلى أساسه يقع التعليم في الكتاتيب القرآنية، وقد كتبت به أهم المصاحف المطبوعة بالمطبعة الحجرية، طبع أول مصحف منها بالمغرب عام 1296 / 1879، خال من اسم الناسخ. وتعتبر هذه المصاحف أكثر رواجا في بلدان شمال إفريقيا عموما وفي طليعتها مصحف الوراق أحمد بن الحسين زويتن الفاسي المطبوع على الحجر عام 1347 / 1928 والمصحف الحسني 1400 / 1980 والمصحف الحسني المسبع الذي أصدرته وزارة الأوقاف أخيراً.

وعرف المبسوط عند العامة "بخط الفقها." أو "خط القرآن" أو "الخط العثماني" أي رسم المصحف العثماني، وكل هذه الأسماء تحيل على جانب من القدسية، ولجمالية هذا الخط فلا يزال في الوقت الراهن مستعملا في كتابة المصاحف وفي عناوين الصحف والمجلات وعناوين الإشهار في المحلات التجارية وتصدر به أحيانا بعض الرسائل الرسمية.

3 ـ المجوهر : تمتاز حروفه بالصغر والتقارب ويوحي تناسقها بعقد الجوهر. انحدر هذا الخط من المبسوط في حدود القرن السادس الهجري، وهو أكثر استعمالا في الحياة العامة، وخصوصا في الرسائل والظهائر السلطانية وفي جل المؤلفات المخطوطة، وهو الخط الرسمي المعتمد في المطبعة الحجرية، حيث طبعت به مختلف الكتب من عهد السلطان محمد بن عبدالرحمان سنة 1864 إلى بداية الحماية الفرنسية سنة 1912، ومن ضمنها كتاب "*التحفة للتسولي*" في مجلد وسط 260 ص. وكتاب "*شرح الخرشي على مختصر خليل*" في ستة مجلدات.

ويستعمل الخط المجوهر الآن في استنساخ بعض الوثائق المهمة وعقود النكاح الفاخرة، ولا تكتب به العناوين.

4 ـ الثلث المغربي : مقتبس من الثلث المشرقي وتعريفه "بالمشرقي المتمغرب" تعريف غير دقيق، ويمتاز الثلث المغربي بليونته وانسياب حروفه وإمكانياته غير المحدودة على التشكيل. وإذا كانت حروف خط الثلث المشرقي تخضع لأحجام معيارية محصورة فإن خط الثلث المغربي يجد حرية أكبر في تطويع صور الحرف الواحد في نفس الجملة تبعا لمعايير جمالية بصرية يقتضيها توزيع الفضاء وتركيب الحروف في تناغم داخلي يعبر عن إحساس شاعري بالحروف وتركيبها، وهو يتخذ شكل اللوحة الخطية، بخلفية مزخرفة بأشكال نباتية وملونة أحيانا بماء الذهب، والثلث المغربي أكثر ما يستعمل للتزيين، فبه تكتب فواتح السور وديباجة بعض الكتب كما يستعمل غالبا في العمارة في زخرفة المساجد والأضرحة والمدارس العتيقة. ويستعمل الآن في عناوين ومواضع بعض المجلات.

5 ـ المسند : ويعرف أيضا "بالزمامي" وهو مشتق من الزمام وهو التقييد والتسجيل في الدارجة المغربية، ويعود استعمال هذا المصطلح إلى العصر الموحدي حيث كان بعض الموثقين يختصون بكتابة "أزمة المجابي السلطانية" التابع لتحصيل الضرائب الشرعية، كما يسمى "خط العدول" وكان خاصا بالوثائق العدلية والعقود، وهو خط سريع يستعمل في التقاييد الشخصية، ولا يستعمل في الكتب العلمية إلا نادرا وهو صعب القراءة مقارنة بغيره من الخطوط المغربية وهو منحدر من المجوهر، ويذكرنا بتسلسل حروف خط الديواني الشرقي في تركيباته. وقل من يحتفظ بأصول هذا الخط من العدول في الوقت الراهن. وقد اختلطت بكتاباتهم السريعة حروف من الخطين (النسخي والرقعة) المتسربة إليها من التعليم المعاصر.

الخلاصة :

على الرغم من كون هذه اللمحة الموجزة عن تاريخ الخط المغربي ليست ملمة بكل الجوانب المرتبطة بالخط، مثل دراسة الخصائص الخطية، وتقنيات الخطوط وأدواتها، ومشكل القواعد والموازين، واستيفاء تاريخ أعلامها، فإن الضرورة تدعو إلى إعادة النظر في شؤون الخط وقضاياه، ومحاولة بعثه حضارياً ـ كأحد الوجوه التي تعبر عن هويتنا ـ ذلك أن خمسة عشر قرنا من تاريخ حضارتنا كلها مسجلة بهذه الخطوط، فحضارتنا حضارة مخطوطة وليست مطبوعة، وإن معظم طلابنا ـ وهم في مستويات متقدمة من التعليم ـ يجدون عسرا في قراءة الوثائق والمخطوطات، كما أن دخول الحاسوب والأنتيرنيت وآليات الكتابة السريعة إلى حياتنا الثقافية، أكسب الخدمات الكتابية سرعة، ولكنه سلب من هذا الجيل ـ بالتدريج ـ حماسا في الكتابة اليدوية والتخطيط، وجعله زاهدا في قراءة حضارته المخطوطة، وهذا يستدعي القيام بإجراءين :

على المستوى الوطني، ضرورة إدماج الخط المغربي في برامج التعليم ومدارس الفنون الجميلة وتوظيفه في الحياة العملية.

وعلى المستوى العربي هناك قضية كبرى تهم مسألة "تقعيد الخط المغربي" على غرار الخطوط العربية في

المشرق، ويجري البحث على قدم وساق لوضع قواعد وموازين مضبوطة للخطوط المغربية، تحافظ على جماليتها وتسهّل تداول استعمالها على مستوى العالم العربي والدولي، وينجز هذا العمل في إطار مجموعة من المتخصصين كان من بينهم محمد المنوني - رحمه الله - وثلة من الخطاطين المتمكنين ببلادنا. وقد أنجز "تقعيد الخط المبسوط" على أن يتم تقعيد بقية الخطوط لاحقا - بإذن الله -.

م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، منشورات كلية الآداب - الرباط، 1991 ؛ البشارى المقدسي، *أحسن التقسيم في معرفة الأقاليم*، تح. دى خوية، ليدن، 1906، 239 ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، دار الفكر، بيروت، 1981، ص. 258 - 259 ؛ ع. أنا، *ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود*، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 18 سنة 1993، ص. 71 - 91 ؛ م. شريفي، *خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة، من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري*، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982 ؛ *اللوحات الخطية في الفن الإسلامي*، دار ابن كثير، بيروت 1998 ؛ هوداس (O. Houdas)، *محاولة في الخط المغربي*، ترجمة عبد المجيد التركي، مجلة *حوليات الجامعة التونسية*، عدد 3 سنة 1966 ؛ أ. الرفاعي، *حلية الكتاب ومنية الطلاب*، مخطوط خ. ع، الرباط، رقم 254 ج. د ؛ قصيدة *نظم لآلي السمط في حين تقويم بديع الخط*، تح. هلال ناجي، مجلة المورد عدد 4 سنة 1986 ؛ ع. الكبير سكيرج، *الخط المغربي*، مجلة الثقافة المغربية عدد 2، سبتمبر سنة 1947 ؛ م. السجلماسي، ع. الكبير الخطيبي، *ديوان الخط العربي*، 1980 ؛ يوسف دنون، *قديم وحديث في أصل الخط*، مجلة *المورد*، عدد 4 سنة 1986 ؛ م. الصادق عبد اللطيف، *الخط العربي في المغرب العربي الكبير*، *المجلة العربية*، عدد 85 سنة 1984 ؛ معروف زريق، *موسوعة الخطوط العربية وزخارفها*، دار المعرفة، دمشق 1993 ؛ *ندوة المخطوط العربي وعلم المخطوطات*، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1994 ؛ أحمد بوزيد الكنساني، *من تاريخ الوراقة والوراقين بمنطقة سوس*، *مجلة كلية الآداب*، الرباط عدد 21 - 22 سنة 96 - 1997، ص. 97 - 142 ؛ صلاح الدين المنجد، *دراسات في تاريخ الخط العربي*، بيروت، 1972 ؛ علي بنعباش، *الخط المغربي المليح*، قراءة في جمالياته (بحث مرقون 1998) ؛ فتيحة الشقيري، *جوانب من التطور التاريخ للخط المغربي*، الدار البيضاء، 1990 ؛ م. *المغراوي، الخط المغربي : الإبداع والتاريخ* (بحث مرقون، 2000) ؛ م. المصلوحي، *الأثر الإسلامي فى إبداع الخط العربي*، بحث للإجازة بكلية الآداب بالرباط، 1985 (بحث مرقون) ؛ م. السجلماسي، *مخطوطات الخزانة الحسنية*، طبع ACR نشر سوشبرس، 1992 ؛ م. عبد العزيز محمود، *الخط العربي الأندلسي وتطوره*، رسالة جامعية نوقشت بجامعة الاسكندرية، كلية الآداب، 1981، رقمها 3249 / 3252 س.

D. Eustache, *Corpus des Dirhams Idristes et contemporains*, Rabat, 1970 ; *Corpus des monnaies Alawites*, Rabat, 1984 ; J. D. Brethes, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, 1939 ; A. Bel, *Les inscriptions arabes de Fès*, 1919 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, Rabat, 1956.

عمر أفا

خطاب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد استقرت بقرية بوسملال بقبيلة بني حزمر، ومنها انتقلت إلى تطوان حيث كان منهم محمد بن عبد القادر الخطاب يزاول خطة العدالة بالمدينة سنة 1129 / 1717.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 618.

محمد ابن عزوز حكيم

الخطّاب، عمر بن عبد العزيز الزرهوني، شيخ صوفي وصاحب زاوية في زرهون خلال القرن العاشر (16م) يذكر الأهالي أنه من عرب رياح الهلاليين. (*جواهر*، 6)، بينما يرفض كتاب ترجمته هذا الزعم، ويشيرون إلى أنه ابن خالة شيخ صوفي زرهوني آخر هو عبد الله بن إبراهيم الشهير باسم عبد الله الخياط الشريف الرفاعي نسبة إلى رفاعة من عرب اليمن، (*جواهر*، 66 - 79، *ممتع*، 48 : *ابتهاج*، 129) وأنهما انتقلا معا من وهران - حيث ولدا على ما يبدو - أواخر القرن التاسع (15م) ودخلا بلاد المغرب الأقصى أوائل القرن الموالي، وهما في سن الاحتلام (*جواهر*، 6 *ممتع*، 48).

ويضيف البعض أنهما "كانا في صغرهما يقرآن على مؤدب واحد في مكتب واحد" بمدينة مكناس. لكن المصادر لا تذكر الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أبو حفص عمر الخطاب، لما بلغ أشده، بل الظاهر أنه لم يواصل الدراسة في مراحل ما بعد الكتّاب، حتى إن البعض يقول "إنه لا بضاعة له في العلم الظاهر" (*دوحة*، 85) في وقت يُعترف له بالريادة في عالم الزهد والصلاح.

وهذا يعني أن عمر الخطاب استهواه عالم التصوف وهو لم ينل بعدُ حظا وافراً من علوم الشريعة. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه لقي عدداً من مشايخ طريق القوم وأخذ عنهم وسلك على أيديهم وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الحرار الشهير بالتباع، خليفة الشيخ المؤسس للطريقة الجزولية محمد بن سليمان الجزولي. وقد صحب عمر الخطاب شيخه هذا وخدمه سبع سنين متوالية (*ممتع*، 48، *ابتهاج*، 140)، أصبح بعدها ولياً صالحاً مأذوناً له فى تأسيس الزاوية التي اختار لها جبل زرهون. ولذلك يصنف أبو حفص عمر الخطاب ضمن أولياء الطبقة الثانية في الطائفة الجزولية، إذ ليس بينه وبين شيخ الجزوليين جميعاً

محمد بن سليمان الجزولي سوى واسطة واحدة. ومعناه، أن أبا حفص واحد من الرعيل المؤسس لمبادئ الطريقة الجزولية والمساهم في توسيع شبكة زواياها وأتباعها.

كما يفهم من كتب المناقب أن الشيخ عمر الخطاب بلغ في عالم التصوف عموماً، وفي سلك الطائفة الجزولية بالخصوص، مقاماً عالياً. بحيث لم يتردد كتاب مناقبه في وصفه بالولي القطب (*ممتع*، 102، *ابتهاج*، 141). وقد أكد صاحب *الابتهاج* على ذلك بقوله : "أما حاله فالفناء الأكبر الناتج عن شهود العظمة الذاتية، الذي منْ وصْفه سَلْبُ النُفْسِ من وصف البشرية، وحبس الروح عن الجولان في ملكوت الروحانية، وعقال العقل عن التقلب في ميدان الواردات الظلمانية والنورانية، ووقوف السر في الحضرة الربانية، كان لله ولا شيء معه ... وولايته على ما بلغنا ولاية الوجود، وهو تجلي الحق لعبده بقضية الوجود، حتى يكون كل شيء منه وإليه، بل كل شيء فيه ولا يخرج عنه شيء، وهذا الوصف كاف في بيان فضيلته إن شاء الله" (*ابتهاج*، 141).

وبناء عليه لا غرابة إذا نسب إليه أتباعه الكرامات وخوارق العادات، ولا غرابة إذا كسب الوجاهة عند العامة والخاصة، (*ممتع*، 48، *دوحة*، 85) وتسابقوا للنيل من بركته، كما تسابق المريدون للأخذ عنه وسلوك طريق القوم على يديه. وحسبنا علما أن الشيخ الشهير عبد الرحمن المجذوب كان واحداً من مريديه (*ابتهاج*، 140).

وإلى جانب هذا كله، اشتهر الشيخ عمر الخطاب بمُسَانَدَته الشديدة للوطاسيين، ووقوفه إلى جانبهم في الصراع ضَدَ الحركة السعدية المتنامية في الجنوب. وهو الموقف الذي ظل متمسكا به إلى أن توفي حوالي 943 / 1536. وحسبنا علماً أن هذا الشيخ كان واحداً من أولياء مملكة بني وطاس الذين مثلوا فاسا في مفاوضات الصلح مع الشرفاء السعديين التي تخللت معركة بوعقبة الشهيرة، التي آلت إلى هزيمة الوطاسيين، سنة 943 - 1536. وفي هذا الصدد تذكر المصادر قصة طريفة مفادها : أن الوفد الوطاسي وجد في خصومه "... شدة وغلظة وامتناعاً عن مساعفتهم على ما أرادوا من الصلح بين الطرفين والتراضي على قسمة البلاد، فحلف الشيخ عمر الخطاب لا دخلوها - يعني فاسا فيما يظهر - مادمت على وجة الأرض، فما دخلوها حتى مات بعد مدة" (*ممتع*، 49 *الاستقصا*، 4 : 19).

ولا داعي للجزم بصحة هذه القصة بكل تفاصيلها، فالمهم بالنسبة لنا أن خلاصتها العامة تتوافق مع ما ذهب إليه صاحب *الدوحة* في حديثه عن وجاهة عمر الخطاب (*الدوحة*، 85) لدى الأمراء الوطاسيين، كما تتوافق أيضاً مع الرواية الشائعة التي تناقلتها المصادر على لسان بعضهم "... لو أن بني مرين (بني وطاس) كانوا يعرفون شيئاً ما دفنوا سيدي عمر الخطاب يعني لتركوه في تابوت على وجه الأرض" (*ممتع*، 49 *الاستقصا*، 4 : 151).

وعلى كل حال، فقد توفي الشيخ عمر الخطاب سنة 943 / 1536، وتوالت الهزائم على حلفائه بني وطاس، إلى أن اقتحم عليهم الشرفاء السعديون عاصمتهم مدينة فاس، وانتهى حكمهم في بلاد المغرب. أما الشيخ عمر الخطاب، فقد ترك في جبل زرهون، زاوية وخلفا هو ابنه عبد العزيز ابن عمر الخطاب، الذي ورث من والده بركته ومهمة تسيير زاويته.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1397 - 1977 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896، ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب*، تح. حفيظة الدازي، د.د.ع. في التاريخ، خزانة كلية الآداب، بالرباط، 1991 - 1992 ؛ م. الخياطي، *جواهر السماط في مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط خ. ع الرباط، الرباط، رقم 1185 ؛ أ. الناصري *الاستقصا*، البيضاء، ج 4، 1955.

أحمد الوارث

ابن **خطّاب** الهنتاتي، وردت ترجمة في *اختصار القدح* (22 - 27) حيث ذكر استقرار عائلته بجيان أيام حكم الموحدين بالأندلس، وكان ابن خطاب أحد حفاظهم (عمالهم) وظلّت داره منتدى لأهل العلم والأعيان، فلما زال الحكم الموحدي من الأندلس بقيت لابن خطاب مكانته المتميزة لحسن عشرته، بل ولاه أمير غرناطة النصري محمد بن الأحمر "خطتي السيف والقلم"، ثم انتقل إلى تونس فجعله الأمير الحفصي على رأس المجموعة الهنتاتية بتونس وأصبحت له مشاركة في أمور البلاد أما عن وفاته فلم يرد ذكرها عند أبي سعيد.

ابن سعيد، *اختصار القدح المعلى*.

أحمد عزاوي

الخطابي، أسرة من قبيلة بني ورياغل أقدم القبائل الريفية عهداً وأكثرها عدداً وأعظمها قوة ونفوذاً وتأثيراً (Bernard, 38). وقد سكنت أسرة الخطابي اجدير في خليج الحسيمة أمام جزيرة النكور التي يحتلها الاسبان منذ 28 غشت 1673 (Rézette, 39)، مما جلعها تعيش في منطقة تتمتع بموقع استراتيجي ظهرت أهميته القصوى أيام حرب الريف.

وقد اعتاد بعض الكتاب الذين كتبوا عن محمد بن عبد الكريم الخطابي أن ينسبوا أسرته إلى عمر بن الخطاب (Woolman, 75)، وهناك من يقول إنها من أولاد عبد الله ابن الخطاب الشريف الزياني من ذرية ملوك تلمسان وتَقَدمت بالصحراء، ومن أحفاد عمران بن مولاي إدريس الأصغر الذي خص له بلاد الريف وباديس بعد موت أبيه (البوعياشي، 1 : 447 هامش 2). إلا أن محمد بن عبد

الكريم الخطابي لم يثر على الاطلاق مسألة الانتساب إلى الأدارسة أو إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رغم أن هذا الانتساب الأخير كانت له ضجة كبيرة أثناء الحرب الريفية (بناني، 272)، وقد جاء في مخطوطة كتبها محمد بن عبد الكريم في جزيرة لارينيون وسلّمها في نهاية عام 1928 لمرافقه الضابط الفرنسي سانيي (Ayache, 347) "إننا إذا حاولنا أن نثبت لعائلة عبد الكريم نسبا حقيقياً مبنياً على رسوم تاريخية لا نجد أمامنا سوى ما نقله السيد الوالد المرحوم عن معاصريه أو رواه عن والده ووالده عن والده وهكذا. إن الوالد كتب قبل وفاته ما سمعه ورواه بعد البحث والاعتناء عن النسب، وذلك الكتاب ضاع في جملة الأشياء التي ضاعت، ولكن ملخصه أن نسبه على وجه الظن كان يتصل بسيدي زرعة دفين ينبغ (مخطوطة سانيي : 1). وفي مكان آخر، يذكر محمد بن عبد الكريم أن عائلته تنتمي إلى محمد بن عبد الكريم الحجازي الأصل، وأن أجداده جاؤوا إلى المغرب في القرن التاسع الميلادي وأقاموا في قبيلة بني ورياغل، وأن منطقة إقامتهم ظلت لمدة ألف سنة تمتد من خليج الحسيمة إلى تارگست (Mathieu, 55). هذا ما ذكره محمد بن عبد الكريم عن نسب عائلته، وهو يختلف عما كان ينشره المارشال ليوطي والسلطات لفرنسية والاسبانية عن هذا الموضوع، والذي كان يُلحُّ بصفة خاصة على أن محمد بن عبد الكريم يستغل اسمه العائلي "لادعاء انتمائه للخليفة عمر بن الخطاب مما يسمح له بالمطالبة بالسلطنة (بناني، 272).

وقد اشتهرت أسرة الخطابي بولائها لسلاطين المغرب، واعتمد عليها هؤلاء في القيام بالاشراف على مهمة الدفاع الوطني في منطقة الريف وتأمين ولاء قبيلة بني ورياغل والقبائل الريفية الأخرى للمخزن الشريف (بن جلون، 174).

امتازت أسرة الخطابي بالتفوق في الاعتناء بتربية أولادها وتعليمهم، واشتهر بعض أفرادها بالعلم والسياسة وشغلوا وظائف مختلفة مع سلاطين المغرب مثل القيادة والقضاء، وأحسنوا التصرف في مهماتهم بما كان فيهم من الإخلاص والصدق والأمانة. ومن بين هؤلاء عم عبد الكريم الخطابي زيان بن محمد الذي عينه السلطان المولى الحسن قائداً على جزء من قبيلة بني ورياغل، ثم رقّاه بسبب استقامته ونزاهته وحسن تصرفه وعيّنه قائداً عاماً على الريف الغربي. ومن بين هؤلاء أيضاً شقيق هذا الأخير مَحمد بن محمد الخطابي الذي أتم دراسته بالقرويين وأدرك شهرة كبيرة في الذكاء والعلم، فاستدعاه السلطان المولى الحسن لتعليم بعض أولاده لما فيه من زيادة العلم والتحصيل والمروءة، وظل كذلك حتى مات ودفن بفاس (مخطوطة سانيي. 2). وقد كان جد عبد الكريم الخطابي عبد الكريم فقيها، وكذلك والده محمد (البوعياشي، 1 : 425)، أما هو فقد سار على نفس الدرب، فذهب إلى فاس وأتم دراسته بالقرويين، وحصل على ثقة السلطان المولى الحسن الذي عينه قاضيا على قبيلته في 9 ماي 1883 (Ayache, 159)، وزاد السلطان المولى عبد العزيز من اعتباره فكلفه في 4 فبراير 1907 بمهمة الإشراف العام على جميع قواد بني ورياغل (Ayache, 160).

وقد أدرك الإسبان قبل احتلالهم لشمال المغرب قيمة هذه الأسرة وأهمية دورها في قبيلتها بني ورياغل، ولذلك حاولوا ربط علاقات مادية ومعنوية معها منذ بداية هذا القرن، وعملوا على فتح حوار مستمر مع رب العائلة قاضي بني ورياغل الفقيه عبد الكريم الخطابي، وعلى فتح آفاق العمل في مليلية لابنه الأكبر محمد، والدراسة في مليلية ثم في مالقة ومدريد لابنه الأصغر مَحمد، والعمل في الإدارة الإسبانية بجزيرة النكور لأخيه عبد السلام. وكانت هي الأسرة الوحيدة في الريف لتي استطاعت تحقيق ذلك مع المحافظة على نفوذها القوي في قلب قبيلة بني ورياغل. وتجب الاشارة إلى أنه في الوقت الذي كان فيه الفقيه عبد الكريم قاضياً في اجدير، وابنه الأكبر محمد قاضيا بمليلية، وابنه الأصغر مَحمد يدرس الهندسة بمدريد، كانت الأغلبية الساحقة في قبيلة بني ورياغل لا تتكلم سوى اللهجة الريفية وقليل من اللغة العربية وبعض كلمات بالاسبانية (Hart, 41)، في حين كان الأب ذا ماض حافل وصاحب علم ووعي ومعرفة بالأحوال، والأخوان ضليعان في اللغة العربية، ويعرفان الإسبانية، ويطلعان على عالم واسع أوسع كثيرا من العالم الذي كانت تعيش فيه قبيلتهما والريف بأسره. وهذا وحده يبين مستوى الوعي الذي كانت تتميز به عائلة الخطابي ليس فقط في قبيلة بني ورياغل وإنما في جميع أنحاء الريف وشمال المغرب. ولذلك لم تبق الحالة كما كانت عليه في منطقة الريف عندما قررت هذه العائلة قطع كل علاقاتها مع الإسبان، ورأت أنه لم يعد هناك سوى طريق المقاومة المسلحة لإقناع إسبانيا بتغيير سياستها الاستعمارية العنيفة وإدخال الإصلاحات الضرورية في منطقة حمايتها. وبدأت بذلك فترة حرب الريف التي كانت فيها قبيلة بني ورياغل هي الذراع القوية الطويلة، وعائلة الخطابي هي العقل المدبر رغم وفاة رئيسها في البدايات الأولى للثورة.

ومما يثير الانتباه في تاريخ عائلة عبد الكريم الخطابي هو ذلك الترابط العميق الذي كان يجمع أفراد العائلة ويلحم بعضهم ببعض. وقد ظهر واضحا أن وحدة العائلة وتلاحمها في السراء والضراء هو الذي جعلها ترتفع وتتغلب على المشاكل التي أفرزتها حياتها المليئة بالأحداث الجسيمة سواء في الريف قبل الثورة وبعدها، أو في المنفى في جزيرة لارينيون طيلة عشرين سنة وزيادة، أو في مصر ثم في المغرب بعد ذلك.

وقد دفعت عائلة عبد الكريم الخطابي ثمنا غاليا لما قامت به من كفاح ضد الاستعمار، فبعد استسلام محمد بن عبد الكريم قامت فرنسا بنفيه بعيدا عن وطنه برفقة أربعين

من أفراد عائلته (Gabrielli, 213)، وعانى هؤلاء جميعا من التغيير الكامل الذي طرأ على حياتهم، ومن الأوبئة والأمراض التي تمتلئ بها الجزيرة ومن سوء طقسها، ومن انسداد الآفاق بالنسبة للأبناء الذين كانوا في سن الدراسة أو الزواج، ومن انقطاع الرجاء في سراح قريب موعود به، وخيبة أمل تراكمت تأثيراتها عبر سنوات عديدة من المنفى. وقد انتقل بعض أفراد العائلة إلى رحمة الله في هذا المنفى البعيد، وكانت من بين هؤلاء والدة محمد بن عبد الكريم التي توفيت عام 1931.

وفي أثناء ذلك عملت إسبانيا على محو كل ما له علاقة بمحمد بن عبد الكريم الخطابي وعائلته، فهدمت منازل العائلة في أجدير واستولت على أملاكها، وشردت وطاردت كل من له علاقة بها أيام الثورة الريفية. ولم تعد عائلة عبد الكريم الخطابي مرة أخرى إلى الحرية إلا عندما تمكنت من اللجوء إلى مصر في شهر ماي 1947. وعندما وصلت العائلة إلى القاهرة، توزع أفرادها على ثلاث مساكن، وكان عددهم يبلغ حينئذ 42 فرداً. وقد كان لمحمد بن عبد الكريم زوجتان أنجب منهما خمس بنات وستة أولاد، وأنجب شقيقه مَحمد أربعة أولاد، وأنجب عمه عبد السلام ثلاث بنات وولدين، وقد دخل هؤلاء إلى مدارس وكليات القاهرة لتتميم دراستهم، وخصصت الحكومة المصرية راتباً شهرياً للعائلة مكنها من أن تعيش مطمئنة (العلمي، 72). وكما كان الوضع في العهد الملكي، ظل كذلك في العهد الجمهوري، فقد اهتم الرئيس جمال الناصر بعائلة الخطابي اهتماماً كبيراً، واعتنى بها عناية خاصة تليق بتاريخها المجيد.

وعندما استقل المغرب في سنة 1956، كان عبد السلام الخطابي قد انتقل إلى رحمة الله ودفن بالقاهرة في يوليوز 1953، وقد فضّل محمد بن عبد الكريم وشقيقه مَحمد البقاء في مصر لأسباب سياسية، إلا أنهما سمحا لأبناء العائلة بالعودة إلى الوطن. وقد عاد بعض هؤلاء إلى المغرب والتحقوا ببعض الوظائف وانخرطوا في الحياة العامة واندمجوا في المجتمع المغربي. وفي فبراير 1963 توفي محمد بن عبد الكريم ودفن بالقاهرة، وفي دجنبر 1967 توفي شقيقه مَحمد ودُفن بأجدير بعد أن كان قد عاد إلى المغرب قبيل ذلك بقليل، وطُويت بذلك صفحة مجيدة من حياة هذه العائلة المتميزة التي تركت بصماتها واضحة في تاريخ المغرب المعاصر.

ع. بناني، *قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقا من كتاب "جذور حرب الريف" للأستاذ جرمان عياش، في دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش* ؛ ع. بن جلون، *هذه مراكش* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال* ؛ م. العلمي، *زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، ط. 2 ؛ مخطوطة سانيي، انظر، ع. بناني في "دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش".

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, Paris, 1981 ; M. Bernard, *Les tribus de la zone nord et nord-ouest du Maroc*, Paris, 1926 ; L. Gabrielli, *Abd-El-Krim et les événements du Rif*, Casablanca, 1953 ; M. Hart, De *"Ripublik" à "République"*, in *Abd-el-Krim et la république du Rif*, Paris, 1976 ; R. J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-El-Krim*, Paris, 1927 ; R. Rézette, *Les enclaves espagnoles au Maroc*, Paris, 1976 ; D. Woolman, *Rebels in the Rif*, London, 1969.

الخطابي، الرشيد بن مَحمد بن عبد الكريم. ابن أخي البطل الشهير محمد بن عبد الكريم الخطابي. عاش مع أبيه وعمه المجاهدين في المنفى، ثم انتقل معهما إلى القاهرة حيث مكث سنين عديدة. وقد جاء إلى المغرب في زيارة لصلة الرحم فمرض ودخل مستشفى ابن سينا بالرباط حيث وافاه الأجل يوم عاشر شوال عام ثمانية وثمانين وثلاثمائة وألف / 31 دجنبر 1968.

ونقل إلى مدفن أسلافه بأجدير قرب الحسيمة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع / موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 9.

الخطابي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الورياغلي وُلد سنة 1860 بأجدير ودرس بالقرويين وتخرج منها (القاضي، 17). وبعد عودته إلى مسقط رأسه، عيّنه السلطان المولى الحسن قاضياً على قبيلته بني ورياغل في عام 1883 (Ayache, 159, note 11)، وظل في وظيفته تلك في عهدي السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، وقد زاد السلطان عبد العزيز من اعتباره عندما ولاّه خطة المراقبة على قواد بني ورياغل. وكما قال عنه ابنه محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة الريفية "فقد حاول دائماً بكل قوته وأفكاره السامية إصلاح وطنه وترقية شعبه ونشر ألوية العلم في الداخلية وحمل الناس على طاعة سلاطين المغرب، وطالما قدّم نصائح للسلطان ولوُلاته في مختلف البلاد" (مخطوطة سانيي، 2). وبحكم مسؤولياته وعلاقاته مع المخزن وببعض خدامه كالباشا عبد الله بن سعيد السلاوي (حكيم، 45)، ونتيجة لما كان يقوم به من زيارات لفاس وتطوان وطنجة ومليلية وجزيرة النكور، فقد كان الفقيه والقاضي عبد الكريم الخطابي يتابع عن كثب تطور الأحداث في المغرب وخاصة بعد مجئ الجيلالي الزرهوني (أبي حمارة) إلى الريف، وتدهور سلطة المخزن في مناطق مختلفة من المملكة، والصراع على السلطة بين عبد العزيز وعبد الحفيظ وما نَتَج عن ذلك من فوضى واضطرابات، والمفاوضات الفرنسية الإسبانية في 3 أكتوبر 1904 والتي تضمَّن تصريحها العلني الذي اطلع عليه المغاربة استعداد فرنسا وإسبانيا تقديم المساعدة للمغرب لإدخال ما يحتاج إليه من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية والمالية، ثم مؤتمر الجزيرة الخضراء (يناير - أبريل 1906) الذي اهتم الفقيه بقراراته وبانعكاساتها على مستقبل المغرب.

كان الفقيه عبد الكريم الخطابي يؤمن بضرورة الإصلاح والتغيير، ولكنه كان يدرك أن المخزن لا يستطيع ذلك ولو أراد، لذلك كان يرى أنه لا بد من الاستعانة بدولة أوربية تساعد المغرب على إدخال الإصلاحات اللازمة. وبحكم الجوار، وبما أنه كان يناهض أي احتلال مباشر للريف من طرف الجيوش الأوربية (مرتين، 58)، فقد رأى أن إسبانيا تستطيع القيام بمهمة الاصلاحات لأنها دولة متقدمة ولكنها في نفس الوقت أضعف من أن تستطيع إخضاع منطقة الريف. وبدأ عبد الكريم الخطابي يتصل بالإسبان في جزيرة النكور ويربط علاقات وثيقة مع إسبانيا (البوعياشي، 1 : 81) باعتبارها الدولة التي انتدبتها الدول للمنطقة الشمالية من المغرب من أجل اصلاحها (Ayache, 165)، "ورأى من الحكمة والرأي السديد أن يتعاون مع إسبانيا ويساعدها فيما عهد إليها من تنفيذ قرارات مؤتمر الجزيرة" (مخطوط سانيي، 2)، خاصة وأنه كان يعتقد في البداية أن اسبانيا "عازمة على نشر نفوذها بالطريق السلمي وبالوسائل الحسنة الممدوحة" (مخطوطة سانيي، 7)، ولذلك عمل على إرسال ابنيه إلى مليلية لتعلم اللغة الإسبانية (Ayache, 164)، وكثيراً ما كانت قبيلة بني ورياغل تنتقد وجود ولديه عند النصارى، فكان يجيب بأن وجودهما عند الكفار لا يخشى عليهما لأن لهما بصيرة إسلامية (البوعياشي، 1 : 429).

وانطلاقاً من اعتقاده الخاص بفوائد قرارات مؤتمر الجزيرة واحترام مشيئة السلطان (Ayache, 165) حاول أثناء أزمة الناجم في عام 1909 أن يصلح الأحوال بين الإسبان والريفيين، ولكنه لم ينجح في ذلك، وحصل الصدام الذي أدى إلى حرب عام 1909. ولم يشترك الفقيه عبد الكريم الخطابي في الحرب التي خاضها الريفيون وعلى رأسهم الشريف محمد أمزيان ضد إسبانيا، وكان يعارض هذه الحرب ولا يوافق عليها خاصة وأن السلطان المولى عبد الحفيظ أمر بالتأني وحل القضية بالسياسة. وقد تأكد هذا الموقف بعد الاتفاق المغربي الإسباني في نونبر 1910، فبدأ قاضي بني ورياغل الفقيه عبد الكريم الخطابي ينصح باتباع أوامر السلطان ويدعو لعدم مقاومة إسبانيا وإن مصلحة الريفيين في الرضوخ إليها (مخطوطة سانيي، 4).

وبسبب هذا الموقف المتسامح مع الإسبان - والذي يتوافق مع إرادة السلطان والمعاهدات التي بين المغرب وإسبانيا، ولكنه يتعارض تماماً مع إرادة الشريف محمد أمزيان والمقاومة الريفية -، كان الفقيه عبد الكريم الخطابي يتعرض لمتاعب كبيرة داخل قبيلته بني ورياغل، ومنها ما حصل لعائلته في 6 نونبر 1911 عندما هاجم جمهور كبير منزله بأجدير وقُتل بعض أقاربه وتم نهب وتخريب وحرق بعض ممتلكاته، مما اضطره إلى اللجوء إلى جزيرة النكور، ومن هناك سافر هو وعائلته إلى تطوان - التي لم تكن قد احتُلت بعدُ - (Ayache, 190)، ولم يعد منها إلى مسقط رأسه برفقة عائلته إلا في مايو عام 1913 (S.H.A.T., Carton 3H - 262).

كانت فترة السنة والنصف التي عاشها عبد الكريم الخطابي في تطوان حافلة بالأحداث ومثيرة للتأمل. فبعد حرق منزله ونهب ممتلكاته والمهانة التي تعرض لها، وصل إلى تطوان وهي لم تحتل بعد، وقد شاهد بنفسه دخول *القوات الإسبانية إلى المدينة في 19 فبراير 1913* وعلى رأسها الجنرال ألفاو (ALFAU) بعد أن دعاه أعيانها واستقبله سكانها بالهدوء والطمأنينة. كما شاهد أيضاً البلاء الذي أصاب تطوان بعد دخول الإسبان إليها، وبصفة خاصة هتك الأعراض ونهب الممتلكات ومصادرة الأموال. وقد حاول الفقيه عبد الكريم الخطابي تغيير هذا المنكر، فتدخّل لدى السلطات الإسبانية ونصح الجنرال ألفاو بعد أن طلب منه ذلك أعيان المدينة، إلا أن الجنرال كان فظا وأجابه بجواب غير مناسب وغير مقنع (مخطوطة سانيي، 6). وفي هذه الفترة أيضاً شاهد عبد الكريم الخطابي ما أصاب أحمد الريسوني والجزاء الذي حصل عليه من اسبانيا رغم الخدمات الجليلة التي قدمها لها، ثم شاهد أخيراً مهزلة استقبال الخليفة ومحاولة تنصيبه سلطانا على المنطقة (S.H.A.T., Carton 3H - 262).

ولم تلبث أن انفجرت الحرب العالمية الأولى وانضمت تركيا لألمانيا وبدأت تنتشر - في المغرب بصفة عامة وفي المنطقة الخليفية بصفة خاصة - الدعوة لتأييد السلطان التركي والأمبراطور الألماني ضد أعداء الإسلام. وقد انتهز الألمان الفرصة وجعلوا المنطقة الخليفية مركزاً لنشاطهم من أجل إثارة المشاكل لفرنسا في منطقة نفوذها، ولذلك اتصلوا ببعض زعماء المنطقة الخليفية ومنهم الفقيه عبد الكريم الخطابي. ولم يتردد الرجل في الانضمام للمتعاونين مع تركيا وألمانيا، ولعب دوراً مهما في ربط الاتصال بين الألمان والقبائل الريفية من جهة، وعبد المالك بن محيي الدين الجزائري - الذي كان مستقراً في شمال تازا ويثير المشاكل لفرنسا - من جهة أخرى (Lyautey, III : 33 - 37).



ويظهر أن علاقة عبد المالك الجزائري بالفقيه عبد الكريم الخطابي كانت وثيقة جداً في هذه الفترة، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال (القاضي، 58)، بل إنه قام برفقة عدة مئات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية غشت 1916 (Ayache, 236).

وقد رأت إسبانيا ـ التي كانت تتابع عن قرب كل ما يجري في المناطق التي لم تستعمرها بعد ـ، أن نشاطات الفقيه عبد الكريم الخطابي تخفي وراءها أهدافا أخرى تتصل بإيجاد الوسائل الفعالة لتعبئة القبائل الريفية واعدادها للمحافظة على استقلالها والدفاع عنه. وبما أن الفقيه بعيد في أجدير، فقد اعتقلت السلطات الإسبانية في 6 سبتمبر 1915 ابنه محمد القاضي بمليلية وأقالته من جميع مناصبه واتهمته بالخيانة العظمى (Ayache, 221)، ثم حكمت عليه بالسجن وأن يبقى مسجونا ما دام والده عبد الكريم البعيد عن متناول يد إسبانيا ينهج سياسة تخالف السياسة الاسبانية في المنطقة.

وقد حاول الفقيه عبد الكريم الخطابي التدخل لدى السلطات الاسبانية لإطلاق سراح ابنه، وفعلا تَمَّ له ذلك بعد ذهابه إلى جزيرة النكور وإجراء محادثات بينه وبين أحد كبار المسؤولين الإسبان أثيرت خلالها سياسة إسبانيا في المنطقة، وتم الاتفاق على إطلاق سراح الابن محمد بن عبد الكريم شرط أن يقوم الأب بتسليم ثلاثة رجال من عائلته ليكونوا رهائن لدى إسبانيا بمليلية، وذلك من أجل ضمان الاتصال والتعاون بينه وبين الإسبان، على أن تتعهد الحكومة الإسبانية بتحسين الحالة وتغيير سياستها في المنطقة (مخطوطة سانيي، 15). وهكذا أطلق سراح الابن وعاد إلى بيت عائلته في بداية غشت 1916 (Ayache, 236).

وفي 15 مارس 1917 عاد الابن الأكبر محمد إلى عمله بمليلية، وأعطت إسبانيا منحه دراسية للابن الأصغر مَحمد للدراسة في مدريد، وبدا وكأن الفقيه عبد الكريم الخطابي يسير حسب ما تريده السلطات الاسبانية.

لكن إسبانيا لم تحاول أبداً إدخال الإصلاحات التي تعهدت بها، بل على العكس من ذلك بدأت في اعتماد سياسة جديدة تقوم أساساً على التغلغل العسكري العنيف في المناطق التي لم تكن قد احتلتها بعد. ولذلك حملت سنة 1918 في طياتها هيجانا عظيماً لم يسبق له مثيل في جميع أنحاء منطقة النفوذ الإسباني، ورأى عبد الكريم الخطابي في نهاية شهر نوفمبر من نفس العام، أنه لا فائدة من إسبانيا وانه قد آن الأوان لقطع العلاقات نهائيا معها بعد أن ضاعت جميع إمكانيات التعاون، إلا أنه لم يكن يستطيع ذلك قبل رجوع ابنيه القاضي محمد من مليلية والطالب مَحمد من مدريد، وقد كانا بمثابة رهينتين عند الاسبان. وفي أواسط دجنبر 1918 وصل محمد بن عبد الكريم إلى أجدير ليحتفل مع عائلته بعيد المولد النبوي الشريف، ولم يعد بعد ذلك أبداً إلى مليلية. أما الإبن الثاني مَحمد فقد عاد من مدريد في منتصف يناير 1919، وبذلك أصبحت العائلة كلها في مأمن وبعيداً عن الخطر وأصبح لرب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي كامل الحرية في أن يفعل ما يوحي به إليه ضميره.

انسحب عبد الكريم الخطابي انسحابا كاملاً من العمل السياسي في نهاية يناير 1919، وانقطعت بذلك علاقاته مع إسبانيا احتجاجا على سياستها السيئة الفاشلة في المنطقة. وقد حاول في البداية البقاء على الحياد والاهتمام بشؤونه الخاصة، وظل كذلك عدة أشهر تعرض خلالها هو وأفراد عائلته لكثير من المضايقات من عملاء اسبانيا ومن أعدائها على حد سواء (مخطوطة سانيي، 14). ولم يتزحزح الفقيه عبد الكريم عن موقفه هذا إلا في شهر غشت 1919 عندما شارك في تعبئة الجهود الخاصة بدعم مقاومة أحمد الريسوني ضد الإسبان، ولم يبدأ في العمل بجانب المقاومة الريفية إلا في فبراير 1920 عندما عبرت القوات الاسبانية وادي الكرت وبدأت في التغلغل غربا في اتجاه خليج الحسيمة. وبمجرد أن احتلت القوات الإسبانية دار الدريوش في 15 ماي 1920، بدأ الفقيه عبد الكريم الخطابي يتجول في أسواق قبيلة بني ورياغل لتعبئة الناس وتوحيدهم، ثم اتصل بأعيان القبائل الأخرى التي يهددها التقدم الإسباني وهي بني وليشك وبني توزين وبني سعيد وتمسمان من أجل تشكيل قوة للمقاومة تذهب فوراً للدفاع عن تفرسيت، وهي الهدف الثاني بعد دار الدريوش للقوات الإسبانية. وكان الفقيه على رأس مجموعة بني ورياغل المتوجهة إلى مركز المقاومة تفرسيت في آخر يونيو 1920 (Ayache, 301). وقد ظهر واضحاً طيلة هذا الشهر أن الفقيه عبد الكريم الخطابي يلعب دوراً أساسياً في تماسك قوة المقاومة وثباتها، وذلك لما يتميز به من خبرة طويلة ومعرفة بالناس والأحداث. ولكن لم يأت منتصف يوليو 1920 حتى حدثت مفاجأة تركت حركة المقاومة في حالة من الاضطراب. ففي منتصف هذا الشهر بدأ الفقيه عبد الكريم وعمره عندئذ يقترب من الستين عاما، يعاني من ألم فظيع في بطنه، وحصل ذلك بعد وصوله إلى مركز المقاومة بتفرسيت باثنين وعشرين يوما (مخطوطة سانيي، 14)، ولم يفارقْهُ ذلك الألم قط، واضطر ابنه محمد إلى العودة به محمولاً على بغلته إلى منزله بأجدير. ولكن حالته لم تتحسن، وظل يتألم لمدة ثلاثة أسابيع إلى أن مات مساء يوم 7 غشت 1920 (Ayache, 303).

وقد كان لرحيل الفقيه عبد الكريم وابتعاده عن مركز المقاومة في تفرسيت أثر كبير على تماسك وصلابة حركة المقاومة، وظهرت هذه الحركة وكأنها أصبحت بدون قيادة، ولذلك لم تواجه القوات الإسبانية أية مقاومة عندما احتلت تفرسيت في 5 غشت 1920 (Ayache, 302).

وقد أشارت بعض الكتابات إلى موت الفقيه عبد الكريم الخطابي متسمما (الوزاني، 2 : 35 ؛ البوعياشي، 1 : 426 ؛ فورنو، 44)، إلا أن ظروف موته ما تزال مجهولة وغامضة حتى الآن، وهذا ما جعل ابنه محمد الخطابي يتردد في اتخاد رأي قاطع في الموضوع (Mathieu, 82).

لقد كان الفقيه والقاضي عبد الكريم الخطابي شخصية وطنية متميزة لعبت دوراً ملحوظاً في منطقة الريف لفترة تزيد على الثلاثين سنة، وقد سارت في نفس الدرب الذي سارت فيه بعد ذلك بسنوات شخصيات وطنية أخرى، فعبد السلام بنونة وعبد الخالق الطريس والمكي الناصري وغيرهم في منطقة الحماية الإسبانية، وعلال الفاسي وأحمد بلا فريج ومحمد اليزيدي ومحمد حسن الوزاني وغيرهم في منطقة الحماية الفرنسية، كانوا كلهم على علاقة بسلطات الحمايتين الإسبانية والفرنسية، ولم يكونوا يرون في ذلك ضرراً أو إساءة لوطنيتهم، وقد كانوا في بداية أمرهم يأملون في قيام الدولتين الحاميتين بالإصلاح وتحسين الأوضاع، ولكنهم عندما أدركوا أن الحماية والاستعمار هما شيء واحد، وفقدوا الأمل في ان تقوم سلطات الحماية بعمل شيء ما يساعد على تحسين الظروف التي يعيش فيها الشعب المغربي، غيروا مواقفهم وبدأوا يطالبون بالاستقلال من أجل إصلاح أحوال بلادهم وتغيير ظروف شعبهم. وهذا بالضبط هو ما فعله الفقيه والقاضي المستنير عبد الكريم الخطابي. فهو كالزعماء الوطنيين الآخرين، تعامل مع سلطات الحماية، وكان يعتقد أن إسبانيا تستطيع مساعدة بلاده على التطور والتقدم ومغالبة التخلف الذي يمسك بتلابيب الريف والفوضى الضاربة في جميع أنحائه، وعندما اقتنع باستحالة ذلك، انقلب مندفعا في تيار المقاومة المسلحة ضد الاحتلال ومن أجل أن يبقى الريف مستقلا، وقد كانت تلك إحدى الاندفاعات الأساسية التي أدت إلى ما حصل في شمال المغرب بقيادة ابنه زعيم الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وخلف الفقيه عبد الكريم الخطابي من الأولاد الذكور محمد ومَحمد، ومن الإناث أمينة وفطيمة ورحمة ورقية، وقد تزوجن رجالاً لعبوا دوراً مهماً في قيادة الثورة الريفية (Gabrielli, 42)، أما زوجته، فهي ثيمونت بنت أحمد بن القاضي من الشرفاء الولقاضيين، وكان عالماً من علماء بني ورياغل (البوعياشي، 1 : 429).

أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، جزآن ؛ م. ابن عزوز حكيم، ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني ؛ ر. فورنو، عبد الكريم أمير الريف ؛ ت. *فؤاد أيرب* ؛ م. القاضي، أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي ؛ م. مارتين، الاستعمار الإسباني في المغرب (1860 - 1956) ؛ ت. عبد العزيز الودي ؛ م. ح. الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، حرب الريف ؛ مخطوطة سانيي، انظر ع. نتاني، قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي انطلاقا من كتاب «*جذور حرب الريف*» لأستاذ جرمان عياش، في «دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش».

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Paris, 1981 ; L. Gabrielli, *Abd-el-Krim et les événements du Riff*, Casablanca, 1953 ; *Lyautey l'Africain*, t. III, Paris, 1956 ; Service historique de l'armée de terre - Vincennes, Carton 3H - 262 (Maroc).

الخطّابي، مُحمد بن عبد الكريم، المجاهد الكبير، والبطل الشهير. وُلد بأجدير عام 1882، وفيه حفظ القرآن الكريم، ثم تولى والده القاضي بأجدير تعليمه بنفسه، فدرس الدين والفقه والنحو والصرف ومبادئ التاريخ. وعندما بلغ العشرين من عمره، أرسله والده سنة 1902 إلى فاس لمتابعة الدروس الثانوية بالقرويين، وسكن في مدرسة الشراطين (البوعياشي، 1 : 77)، وبقي هناك سنتين درس خلالهما على مجموعة من العلماء منهم محمد القادري والتهامي جنون (مخطوطة سانيي، 7)، حتى عاد إلى اجدير في سنة 1904 حيث بدأ يساعد والده في أعماله الخاصة. وفي سنة 1906، أرسله والده مرة أخرى إلى فاس للاتصال بالمخزن في موضوع الجيلالي الزرهوني (بوحمارة) الذي كان في هذا الوقت يسيطر على منطقة واسعة من شرق الريف تدخل ضمنها أراضي قبيلة بني ورياغل. وانتهز محمد بن عبد الكريم الفرصة والتحق بالقرويين حيث تابع بعض الدروس لمدة ستة أشهر. ويبدو أن ما كانت تغلي به مدينة فاس من رغبات في التغيير والإصلاح أثرت تأثيراً كبيراً على محمد بن عبد الكريم (الكتاني، التقديم)، خاصة وأنه ارتبط بإدريس ابن سعيد السلاوي الذي كان زميلا له في الدراسة بالقرويين، وكانت صداقتهما الوثيقة امتدادا للصداقة التي كانت تربط الفقيه عبد الكريم والد محمد بن عبد الكريم بالباشا عبد الله والد إدريس ابن سعيد (حكيم، 45). وعبد الله ابن سعيد هذا، كان أحد خدام المخزن الكبار ومن أشد المقاومين للتدخل الأجنبي في المغرب، وأحد أنصار الشيخ محمد الكتاني، ومن مؤيدي الثورة الحفيظية، ومن المشاركين في إعداد مشروع دستور عام 1908 (Brown, 474). وقد لعب ابنه إدريس دورا خطيرا في تاريخ المقاومة المسلحة ضد التدخل العسكري الإسباني في شمال المغرب (حكيم، 14)، وظلت علاقته وثيقة بمحمد بن عبد الكريم إلى أن اغتاله الإسبان في 14 يونيو 1923 بقبيلة تافريست (حكيم، 43) بعد أن ظل يتوسط بينهم وبين الخطابي منذ قيام الثورة. وبعد عودته من فاس كانت فرنسا واسبانيا قد تفاهمتا على المسألة المغربية، ووقعتا اتفاقهما حول الموضوع في 3 أكتوبر 1904، كما كان مؤتمر الجزيرة الخضراء قد انعقد وانفض (يناير - أبريل 1906).

ويمكن تقسيم حياة هذا الزعيم الوطني إلى أربع فترات متميزة كل واحدة منها عن الأخرى تمام التميز :

- الفترة الأولى، من ولادته سنة 1882 إلى أواسط دجنبر 1918 عندما عاد من مليلية إلى أجدير، وهذه هي فترة الطفولة والدراسة والشباب والعمل في الإدارة الإسبانية.
الفترة الثانية، من أواسط دجنبر 1918 إلى استسلامه في 27 ماي 1926، وهذه هي فترة المقاومة المسلحة من أجل تحرير شمال المغرب.

- الفترة الثالثة، من 27 ماي 1926 إلى لجوئه إلى مصر في 31 ماي 1947، وهذه هي فترة المنفى في جزيرة لارينيون.

الفترة الرابعة، من 31 ماي 1947 إلى وفاته بالقاهرة في 6 فبراير 1963، وهذه هي فترة العودة مرة أخرى إلى ساحة النضال ضد الاستعمار (بناني، محمد زنيبر، 35).

أثار محمد بن عبد الكريم انتباه المسؤولين الإسبان، فعينوه أستاذا للغة الأمازيغية في الأكاديمية العربية بمليلية، كما بدأ يعمل محررا في جريدة تلغراف الريف *Telegrama del Rif* بمليلية، وظل يعمل بها من مارس 1907 إلى أبريل 1915 كمسؤول عن أخبار العالم العربي. وبالإضافة لمسؤولياته الأخرى، أصبح محمد بن عبد الكريم



في سنة 1908 كاتبا بمكتب الإدارة الوطنية بمليلية ثم مساعداً لمدير المكتب، وهو المكتب الذي كان يشرف ويدير العمل السياسي والإسباني في جميع أنحاء المنطقة الشرقية من شمال المغرب. وفي سنة 1910 أصبح محمد بن عبد الكريم قاضي مدينة مليلية، وحصل في دجنبر 1911 على وسام الفروسية جزاءً له على ذكائه وحماسه. وفي مارس 1912 حصل على وسام الصليب الأحمر للاستحقاق العسكري لدوره الحاسم في إطلاق سراح بعض الأسرى الإسبان الذين كانت قوات الشريف سيدي محمد أمزيان قد أسرتهم في نهاية سنة 1911. وفي شهر ماي 1912 حصل على وسام الصليب الأبيض للاستحقاق العسكري، وأعطاه هذا الحق في الحصول على مكافأة شهرية دائمة جزاء له على ما يتمتع به من علاقات طيبة مع القبائل الريفية في الأراضي المحتلة. وفي نفس السنة حصل على ميدالية إفريقيا، وأصبح في غشت 1913 القاضي الأول ورئيسا لمجلس الاستئناف لأحكام القضاء بالمنطقة المحتلة (Ayache, 194). وهذا يعني أنه كان في هذه الفترة يتمتع بسمعة طيبة عند الإسبان، ويحتل منزلة عالية في مدينة مليلية وفي شرق المنطقة الريفية، وحسب قوله فإنه - وقد كان عمره حينئذ 31 سنة - "لم يكن يألو جهداً في عمل كل ما من شأنه أن يوفق بين الإسبان والريفيين ويقضي على الضغائن والأحقاد والبغضاء" (مخطوطة سانيي، 7).

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، واشتركت تركيا البلد المسلم في الحرب بجانب ألمانيا، وامتلأ شمال المغرب بالمحرضين الألمان والأتراك (S.H.A.T., Canon 3 H - 94)، وأدى كل ذلك إلى ظهور عوامل جديدة في المنطقة ساعدت على بلورة موقف محمد بن عبد الكريم ودفعته إلى تأييد المخططات الألمانية والتركية في المغرب ضد فرنسا، وإلى التصريح للإسبان أنفسهم في نهاية غشت 1915 بأن على إسبانيا أن تقنع بما تحتله من الأراضي في منطقة نفوذها، وأن تترك الباقي لأصحابه، وأنه سيحول دون احتلالها لأراضي قبيلته بني ورياغل بجميع الوسائل (Ayache, 218). ونتيجة لهذا الموقف الجديد، لم تتردد السلطات الإسبانية في مليلية من اعتقال محمد بن عبد الكريم في 6 ستمبر 1915 بعد أن حاكمته وأقالته من جميع مناصبه واتهمته بالخيانة العظمى (Ayache, 221). ولم يطلق سراح محمد بن عبد الكريم إلا عندما تعهد هو ووالده بأن يتراجعا عن موقفهما وأن يتعاونا من جديد مع الإدارة الإسبانية بشرط أن تتعهد حكومة إسبانيا بتحسين الحالة وتغيير سياستها في المنطقة (مخطوطة سانيي، 15). وهكذا عاد محمد بن عبد الكريم إلى بيت عائلته بأجدير في بداية غشت 1916، بعد أن ظل رهن الاعتقال أحد عشر شهراً، ولم يعد مرة أخرى إلى وظيفته في مليلية إلا في 15 مارس 1917.

لم تحاول إسبانيا إطلاقا تحسين الحالة وتغيير سياستها

في المنطقة، بل على العكس من ذلك بدأت في اعتماد سياسة جديدة تقوم أساسا على التغلغل العسكري العنيف في المناطق التي لم تكن قد احتلتها بعد. وتزامنت هذه السياسة مع رغبة إسبانيا في تصفية بعض الخلافات التي قامت بينها وبين فرنسا خلال الحرب العالمية الأولى، ومن أجل ذلك سلمت لفرنسا حوالي ستين من أعوان عبد الملك بن محيي الدين الجزائري (Ayache, 248). وحينئذ أدرك محمد بن عبد الكريم المقيم بمليلية والذي يتابع بحكم منصبه سياسة إسبانيا متابعة دقيقة «إن إسبانيا لن تستطيع أن تفعل شيئا في المنطقة التي تكلفت بها سواء بالسلم أو بالحرب» (مخطوطة سانيي، 12)، وتحسبا لأية مفاجأة، وخوفا من أن تسلمه إسبانيا هو نفسه للفرنسيين، فقد فضل الابتعاد عن مليلية والعودة إلى أجدير بعيدا عن يد الإسبان، وذلك ما حصل في أواسط دجنبر 1918. ولم يعد بعد ذلك إلى مليلة، وكان عمره حينئذ 36 سنة.

حاول محمد بن عبد الكريم بعد عودته إلى أجدير، الابتعاد عن السياسة والاهتمام فقط بشؤونه الخاصة (مخطوطة سانيي، 17)، وظل كذلك أكثر من سنة حتى وصل الجنرال سلفستر إلى مليلية في 30 يناير 1920 بعد أن أصبح حاكما عاما على منطقتها، وأعلن عن عزمه على عبور وادي الكرت والتغلغل غربا في اتجاه خليج الحسيمة. وفي نهاية شهر فبراير 1920، بدأت فترة جديدة من حياة محمد بن عبد الكريم تميزت بالمقاومة السياسية والعسكرية ضد التغلغل الإسباني في المنطقة الريفية. وفي بدايته هذه، كان يحتل المرتبة الثانية بعد والده القاضي عبد الكريم الخطابي الذي كان يتزعم حينئذ عملية توحيد قبيلته بني ورياغل والقبائل الأخرى في المناطق غير المحتلة، واتخاذ موقف موحد ضد العدو الإسباني المشترك. وقد ظهر واضحا في شهر يونيو 1920 أن روح المقاومة في الريف ضد التغلغل الإسباني تتركز في قبيلة بني ورياغل، وأن حولها تلتف أغلب القبائل الأخرى، وأن قبيلة بني ورياغل يلتف معظمها حول القاضي عبد الكريم الخطابي وابنه محمد بن عبد الكريم.

وعندما توفي زعيم المقاومة عبد الكريم الخطابي في 7 اغسطس 1920 (Ayache, 303)، حل محله ابنه محمد بن عبد الكريم، وحافظ على نفس الخطة التي سار عليها والده، وبدأ يفرض نفسه على قبيلته والقبائل الأخرى حتى أصبح في بداية عام 1921 الزعيم الأوحد لحركة المقاومة (S.H.A.T., Carton 3 H - 132)، وبدأت بذلك فترة قيادته الحقيقية للمقاومة الريفية ضد الاحتلال الأجنبي التي استمرت بدون منافسة أو انقطاع لمدة خمس سنوات ونصف تقريبا. وتحت قيادته، حققت المقاومة الريفية أول انتصار كبير لها على القوات الإسبانية في معركة جبل ابران القريب من أنوال بتاريخ أول يونيو 1921 (S.H.A.T., 3 H - 132)، وسقط نتيجة لذلك أول مركز إسباني بالمنطقة الشرقية، وهذا أمر لم يحدث قط بهذه المنطقة منذ أن بدأ الإسبان يتغلغلون فيها في سنة 1909. وبدأت بذلك صفحة جديدة من تاريخ المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الإسباني، كما بدأت حرب الريف التي لم تنته إلا بعد ذلك بخمس سنوات. وقد تخللت هذه الحرب انتصارات عظيمة حققتها القوات الريفية تحت قيادة زعيمها محمد بن عبد الكريم.

ونذكر هنا بصفة خاصة ما جرى في منطقة أنوال في الفترة من 17 إلى 21 يوليو 1921، وفي مركز جبل عروي في 2 غشت 1921، وفي المنطقة الغربية أثناء انسحاب القوات الإسبانية إلى الشواطئ في الفترة من 24 سبتمبر إلى 13 دجنبر 1924، ثم في نواحي وادي ورغة شمال فاس في شهر أبريل 1925. ومن القرارات الخطيرة التي اتخذها محمد بن عبد الكريم بعد هزيمة الإسبان في أنوال والتي أثارت تأويلات عديدة قراره الخاص بعدم احتلال مليلية. ويقول هو نفسه عن هذا الموضوع : "كان تنظيمنا العسكري مازال في بدايته، ولذلك رأيت من الصواب التمسك بالحرص والحذر... وقد وجهت ندائي إلى سكان الريف قاطبة وأمرت قواتي بعدم اغتيال الأسرى أو سوء معاملتهم، وإنني لست بآسف على ذلك البتة. وقد أمرتهم أيضا بالحاح بعدم احتلال مليلية حتى لا نساعد على خلق تعقيدات دولية. وقد ندمت على ذلك بمرارة، لأن عدم احتلال مليلية كان غلطة فادحة" (Mathieu, 105).

والواقع أن محمد بن عبد الكريم كان يأمل بعدم احتلال مليلية أن يترك الباب مفتوحا للمفاوضات مع الحكومة الإسبانية حتى يمكن حينئذ عقد اتفاق صلح وسلام ينتج عنه إجراء الاصلاحات التي نصت عليها معاهدة الحماية، إلا أن الإسبان كانوا قد اختاروا الحرب (مخطوطة سانيي، 21)، وبدأت تصل إلى مليلية قوات عسكرية إسبانية مدعمة بسلاح طيران قوي، وبدأت عملية استرجاع ما ضيعته الهزيمة في أنوال. ولهذا السبب ظل محمد بن عبد الكريم في الثلث الأخير من سنة 1921 وطيلة سنة 1922 في موقف دفاعي من الناحية العسكرية، لكنه استطاع خلال هذه الفترة أن ينظم المنطقة التي يسيطر عليها سياسيا وعسكريا وإداريا مما ساعده على عقد مؤتمر عام في أجدير حضره مندوبون عن القبائل المنضوية تحت لوائه، وقد أعلن المؤتمر بتاريخ 18 يناير 1923 (Hart, 33) استقلال الريف وقيام الجمهورية الريفية وتشكيل مجلس من ممثلي القبائل. وكان هذا نتيجة منطقية للتطور الذي تم في المنطقة التي كان يسيطر عليها محمد بن عبد الكريم، وكذلك للسياسة التي ظلت إسبانيا تسير عليها منذ هزيمة أنوال، والتي كانت تتميز بالإصرار على الحرب، وإخضاع الريفيين بالقوة، والرغبة الجامحة في عقاب محمد بن عبد الكريم والقضاء عليه. وقد قرر المؤتمر إعطاء قائد المقاومة لقب أمير بدلا من لقب الفقيه الذي كان يلقب به قبل معركة أنوال، والرئيس الذي بدأ يحمله بعد هذه المعركة، ويفوض في تأليف حكومة يقوم برئاستها (القاضي، 133).

شكّل الأمير الحكومة، واعتمد في تشكيلها على أفراد عائلته وقبيلته. ثم أصدر بيانا وجهه باسم جمهورية الريف إلى جميع الأمم دعاها فيه إلى الاعتراف باستقلال جمهورية الريف من خط الحدود مع المغرب جنوبا حتى البحر المتوسط، ومن وادي الملوية شرقا حتى المحيط الأطلسي، وإلى إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية معها (فورنو، 77). وفي الفترة من يناير 1923 إلى يناير 1925، استطاع محمد ابن عبد الكريم تحقيق وحدة قبائل الريف، خاصة بعد قضائه على عبد المالك بن محيي الدين الجزائري في غشت 1924، كما استطاع نشر نفوذه نشرا قويا في المنطقة الغربية من شمال المغرب وخاصة بعد دخول قواته مدينة شفشاون في 14 دجنبر 1924 (البوعياشي، 2 : 269)، وأسرها لزعيم جبالة أحمد الريسوني في 24 يناير 1925 (البوعياشي، 2 : 296).

كان محمد بن عبد الكريم قد أصبح في بداية 1925 الزعيم الذي لا زعيم سواه في منطقة شمال المغرب كلها، وأصبحت دولته الريفية أقوى ثلاث مرات مما كانت عليه في بداية تأسيسها، بعد أن أصبحت لديها كميات هائلة من السلاح ورصيد معنوي ضخم، وزادت مساحتها أكثر من الضعف حتى أصبحت تُغطي معظم المنطقة الخليفية. وأصبح لهذه الدولة علم يحييه الجنود كل صباح ومساء، كما أصبح للجيش الشعبي نشيد وطني حماسي. وكان محمد بن عبد الكريم يسيطر على هذه الدولة سيطرة كاملة عن طريق شبكة تليفونات واسعة كانت تسمح بالاتصال الشريع بين القيادة المركزية والجبهات المختلفة (.S.H.A.T. Carton 3H - 100)، وكذلك عن طريق إقامة شبكة من الطرق المتجهة من أجدير على شاطئ الحسيمة إلى منطقة قبائل غمارة وإلى الحدود مع منطقة النفوذ الفرنسية. رأحكم محمد بن عبد الكريم قبضته على المنطقة كلها بواسطة "المحاكم" التي أقامها في جميع أنحاء دولته بعد أن اتسع نطاقها.

استطاع محمد بن عبد الكريم بما أحدثه في الريف من نظام وتنظيم لم تعرفهما المنطقة من قبل، أن يفرض العديد من الإصلاحات في المجتمع الريفي، وقد حاول أن يحقق هدفين كانا أساسيين ولازمين لإجراء أي تغييرات اقتصادية واجتماعية وسياسية أكثر جذرية وهما وحدة شمال المغرب وتحرير المنطقة كلها. وقد كاد أن يحقق هذين الهدفين لولا التحالف الاستعماري الفرنسي الإسباني الذي لم يكن في وسع جهازه العسكري أو السياسي أن يقف ضده لفترة طويلة.

وقد اضطر محمد بن عبد الكريم إلى مخاصمة فرنسا بعد استيلاء القوات الفرنسية في يوليو 1924 على منطقة أعالي ورغة الغنية التي كانت خارج منطقة نفوذها، وكان هدفها إحكام الحصار على دولة الريف، وزيادة الضغط عليها اقتصاديا وتجويعها وخنقها غذائيا، وذلك بحرمانها من مخزن القمح ومنطقة التموين التي تتزود منها بما تحتاج إليه من المواد الغذائية. وبدأ الهجوم الريفي في 12 أبريل 1925، واكتسحت القوات الريفية القوات الفرنسية حتى أصبحت على بعد 27 كلم من فاس، ثم تراجعت بعد ذلك إلى المرتفعات على بعد 50 كلم من أهم مدينة في المغرب. وقد أدرك الفرنسيون حينئذ أنهم لا يستطيعون وحدهم القضاء على الدولة الريفية، لذلك أصبح من المحتم أن يتفاهموا مع الإسبان ويتعاونوا معهم في حرب واسعة النطاق ضد محمد بن عبد الكريم.

بدأ التعاون العسكري الفرنسي الإسباني في 17 يونيو 1925، وحل المارشال بيتان (Pétain) في 27 غشت 1925 محل المارشال ليوطي (Lyautey) في قيادة القوات الفرنسية في المغرب. وبدأت بذلك حرب من نوع جديد وأسلحة حديثة لم تكن معروفة في المغرب من قبل (.S.H.A.T. Carton 3H - 100). وقد استعمل الفرنسيون والإسبان سلاح الطيران بشكل كثيف، وهاجمت الطائرات اجدير وشفشاون وترگست والأسواق والمواسم وكل المراكز الإستراتيجية في دولة الريف، وكان الهدف باستمرار هو نشر الفزع والرعب بين السكان والقضاء تماما على ما لديهم من إمكانيات للعيش (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، كما أحكم الفرنسيون والإسبان المقاطعة الكاملة للمنطقة الريفية واتخذوا جميع الإجراءات لعزلها تماما، وبدأوا يقومون بحرب عصابات مضادة ويغيرون على القرى المجاورة لخطوطهم، ويقتلون الدواب ويحرقون المنازل والمحاصيل، ويأخذون الرهائن، ويعدمون أنصار محمد بن عبد الكريم في عين المكان (Rivet, 135)، وبفضل كل هذا، استطاعت القوات الاسبانية أن تنزل في خليج الحسيمة في 8 سبتمبر 1925 (S.H.A.T., Carton 3H - 100)، وتحتل أجدير في 2 أكتوبر من نفس العام. والحقيقة أن الإنزال الإسباني في خليج الحسيمة ثم احتلال اجدير ونهبها وإحراق معظم مساكنها - ومن ضمنها منزل محمد بن عبد الكريم - كان بداية النهاية بالنسبة للمقاومة الوطنية ضد الاستعمار الاسباني في المنطقة الخليفية. وبعد سقوط آجدير، أصبحت تارگست هي عاصمة الدولة الريفية. إلا أن محمد بن عبد الكريم اضطر في نهاية الأمر إلى الدخول في مفاوضات مع الفرنسيين والإسبان من أجل ايقاف الحرب التي كانت تدمر الريف والريفيين. واختيرت مدينة وجدة مقراً للمفاوضات، وبدأ المؤتمر يوم 22 أبريل 1926 وانتهى يوم 6 ماي 1926 بعد أن فشل فشلا ذريعا لأنه لم يكن في الإمكان التوفيق بين موقف الوفدين الفرنسي والإسباني اللذين كانا يعتبران الوفد الريفي مندوبا عن محمد بن عبد الكريم كشخص، وبين الوفد الريفي الذي كان يعتبر نفسه مندوباً وممثلاً لدولة الريف.

بدأت العمليات العسكرية من جديد يوم 7 ماي 1926، واستطاع الفرنسيون احتلال تارگست يوم 23 ماي 1926،

وأصبحت القوات الإسبانية القادمة من الشمال على بعد 15 كلم من قرية كمون التي كان محمد بن عبد الكريم قد انتقل إليها هو وعائلته. ولذلك اضطر محمد بن عبد الكريم إلى التوجه في يوم 24 ماي 1926 إلى صناده عند الشريف حميدو الوزاني، ولم يبق أمامه عندئذ سوى الاستسلام. وقد استسلم للفرنسيين فجر يوم 27 ماي 1926 بعد أربعة أيام من المفاوضات (S.H.A.T., Carton 3H - 466).

نقل الفرنسيون محمد بن عبد الكريم وأربعين من أفراد عائلته إلى تازا، ومنها إلى فاس حيث وصلوها في فاتح يونيو 1926، وظلوا فيها حوالي ثلاثة أشهر. في هذه الفترة، جرت في باريس محادثات بين فرنسا وإسبانيا لإيقاف التعاون العسكري بينهما (14 يونيو - 10 يوليو 1926)، وقد سيطرت قضية استسلام محمد بن عبد الكريم للفرنسيين على هذه المحادثات، ونقد الوفد الاسباني الموقف الفرنسي نقداً مريراً، واتهم الإسبان الفرنسيين «انهم تفاوضوا مع محمد بن عبد الكريم مدة أربعة أيام دون أن يكون لديهم علم بذلك، وأنه لم يتم إخبارهم إلا بعد استسلام هذا الأخير في 17 ماي 1926، مع أنه كان يجب أن يكون هناك تنسيق مشترك بين البلدين حسب ما تنص عليه اتفاقات التعاون بينهما». وقد ظل الخلاف حاداً بين إسبانيا وفرنسا حول الموقف الذي يجب أن يتخذه البلدان تجاه محمد بن عبد الكريم، فبينما كانت إسبانيا تحمله مسؤولية كل ما حصل وتطالب بمحاكمته كمجرم حرب ويعقابه عقابا شديداً ليكون عبرة للآخرين، كانت فرنسا تريد التمسك بتعهداتها له قبل استسلامه، ومعاملته معاملة طيبة تليق بمقامه. وأخيراً تدخلت بريطانيا لفض النزاع، واقترحت حلا وسطا، هو نفي الزعيم الريفي وعائلته إلى جزيرة لا رينيون بالمحيط الهندي (S.H.A.T., Carton 3H - 466).

وفي 27 غشت 1926، نُقل محمد بن عبد الكريم وعائلته بالقطار إلى الدار البيضاء، وفي 2 سبتمبر ركبوا الباخرة «عبدة» المتوجهه إلى ميناء فريول Frioul بفرنسا، ومنها إلى جزيرة لارينيون التي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926 (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55).

ظل محمد بن عبد الكريم في لارينيون مدة عشرين سنة وستة أشهر. ولم يحاول خلال هذه الفترة أن يثير أية مشاكل للسلطات الفرنسية بالجزيرة، بل كان على العكس من ذلك هادئا مستسلما لمصيره. وقد عاملته السلطات الفرنسية معاملة حسنة، وكانت قد أسكنته في البداية داراً غير مجهزة تجهيزاً كافياً لاستقبال عائلة كبيرة العدد، ولكنها نقلته فيما بعد إلى قصر يليق بمقامه، كما خصصت له مرتباً شهرياً كافياً، وسهلت له ولعائلته قضاء أيام العطل في المناطق الجبلية البعيدة عن البحر. والشيء الوحيد الذي كان ينغص عليه حياته في البداية هو طقس الجزيرة السيء، وما ينتشر فيها من أوبئة وأمراض وخاصة الملاريا، الأمر الذي كان يؤذي صحته وصحة أفراد عائلته (S.H.A.T., Papiers Sauerwein 1K55). وبعد سنتين ونصف على وصوله الجزيرة، بدأ محمد بن عبد الكريم يكتب للسلطات الفرنسية من أجل التخفيف من قسوة المنفى. وفي رسائله الأولى كان يؤكد على الوعود التي قدمتها له فرنسا قبيل استسلامه، والتي كانت تنص على تحديد فترة نفيه في مدة قصيرة وفي مكان قريب من المغرب.

وعندما قامت الجمهورية في إسبانيا ووصل الاشتراكيون إلى الحكم في بداية 1931، اعتقد محمد بن عبد الكريم أن أوان الخلاص قد اقترب، ولكن كان ذلك أضغاث أحلام، لأن الإسبان رفضوا إطلاق سراحه عندما استفسرتهم الخارجية الفرنسية في الموضوع (مارتين، 110). وعندما قامت الحرب العالمية الثانية، بدأ محمد بن عبد الكريم يشتكي في رسائله من صعوبة الوضع الذي يهدد مستقبل أولاد العائلة، وبدأ يطالب الحكومة الفرنسية بدراسة حالته لأن فترة المنفى طالت والأبناء كبروا ويجب أن يتابعوا دراساتهم في مكان آخر، والبنات أصبحن في سن الزواج ويجب أن يتزوجن من مغاربة مثلهن (Papiers Sauerwein 1K55).

لم ينس المغاربة زعيم الريف في محنته إذ أنهم بمجرد أن خرجوا من محنة الظهير البربري وبدأوا ينظمون أنفسهم سياسياً، أخذوا يتحدثون عنه من جديد (حكيم، 1 : 186)، وقد طالبت كتلة العمل الوطني السلطات الفرنسية باطلاق سراحه وساعدهم شكيب أرسلان في حملتهم بنشر مقالات عن الموضوع (الفاسي، 339). وفي سنة 1937 نجح الحزب الوطني في اقناع بعض الشخصيات في مجلس الشيوخ الفرنسي بتقديم طلب إطلاق سراح محمد بن عبد الكريم وعائلته إلى لجنة الشؤون الخارجية بنفس المجلس. وأدلى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني بدلوه في هذا الأمر عندما كان مقيماً في برلين وكتب في نهاية سنة 1943 رسالة للخارجية الألمانية يطلب منها تهريب الزعيم الريفي من لارينيون، ورفضت الحكومة الألمانية بدعوى الحرص على مشاعر إسبانيا، ولكنها أخبرت الحسيني أن بعض الألمان حاولوا ذلك ولكن الزعيم الريفي رفض المساعدة (Rouissi, 514). وعندما تأسست "رابطة الدفاع عن مراكش في مصر" في أواخر سنة 1943 نجح أعضاؤها في دفع مجلس الجامعة العربية في دورته المنعقدة بتاريخ 23 نوفمبر 1946، لاتخاذ قرار ينص على أن تبذل الجامعة العربية مساعيها لدى فرنسا لتحرير محمد بن عبد الكريم (الرفاعي، 142)، وبناء عليه كتب أمينها العام عبد الرحمن عزام باشا رسالة لوزير الخارجية الفرنسية حول الموضوع (الفاسي، 339). ورغم شهادات السلطات الفرنسية في لارينيون لفائدة محمد بن عبد الكريم طيلة فترة منفاه، فإن تطورات الأحداث لم تكن لصالحه. ففي

المغرب نفسه ظلت المقاومة المسلحة مشتعلة حتى بداية سنة 1934، ولذلك لم يكن من الحكمة حينئذ إطلاق سراحه أو اقترابه من المغرب، ثم قامت الحرب الأهلية في إسبانيا وجاء للسلطة الجنرال فرانكو وقد كان أعدى أعداء الزعيم الريفي ولم يكن ليسمح بعودة عدوه اللدود من منفاه البعيد، ثم قامت الحرب العالمية الثانية وانغمرت فرنسا في همومها الخاصة، ولذلك كان لابد لمحمد بن عبد الكريم أن ينتظر حتى تنتهي الحرب لكي تقرر الحكومة الفرنسية في فبراير 1947 نقله هو وعائلته إلى فرنسا (Gabrielli, 216). وحسب رأي بعض الباحثين، فإن نقله كان يرجع إمَّا لرغبة الفرنسيين في استعماله ضد السلطان محمد بن يوسف الذي كان قد أصبح على رأس الوطنيين في المطالبة باستقلال المغرب، وإما من أجل استرضاء المغاربة الذين كان الزعيم الريفي يتمتع عندهم بشعبية كبيرة، وإما لخوفهم من وفاته في منفاه خاصة وأن صحته كانت سيئة في ذلك الوقت، وإما للضغط على الإسبان الذين كانت سياستهم المغربية والعربية تتناقض مع السياسة الفرنسية. وعند مغادرته جزيرة لارينيون في 3 ماي 1947، لم يكن محمد بن عبد الكريم يفكر في الهروب من الباخرة أثناء توقفها في إحدى مدن قناة السويس، فهو لم يكن محروساً، بل كان يتمتع بحريته خلال رحلته إلى فرنسا، بالإضافة إلى أن مغادرته لجزيرة لارينيون لم تتصف بطابع السرية، لأن تحريره كان أمراً محتملاً بعد أن قرر مجلس الوزراء الفرنسي نقله إلى فرنسا (ابن عبود، 46). ولكن أعضاء مكتب المغرب العربي الذي كان قد تأسس في القاهرة بتاريخ 22 فبراير 1947 (بناني، 165)، فكروا واقتنعوا ـ عندما علموا بأن باخرته ستمر من قناة السويس ـ بضرورة نزوله مع عائلته في ميناء بور سعيد وطلب اللجوء السياسي من الملك فاروق، وذلك لإفشال كل المؤامرات التي تنوي فرنسا إقحامه فيها. وفي البداية، عارض محمد بن عبد الكريم هذه الخطة معارضة شديدة حتى أثمرت مجهودات مبعوثي مكتب المغرب العربي (الحبيب بورقيبة، علال الفاسي، امحمد بن عبود، عبد المجيد بن جلون)، وخاصة مَحمد بن عبود (Rouissi, 516) الذي باشر العملية من بدايتها نظراً لقيمته الشخصية، ولعلاقته بالملك فاروق والمسؤولين المصريين، ولمنصبه الرسمي بالجامعة العربية.

وفي 31 ماي 1947، نزل محمد بن عبد الكريم وعائلته التي كانت تشمل اثنين وأربعين شخصاً في ميناء بور سعيد وطلب حق اللجوء السياسي. وقد لخص عبد الخالق الطريس نتائج عملية تحرير محمد بن عبد الكريم فيما يلي : "إننا أنقذنا زعيما، وأرحنا ملكا، وسفّهنا مناورة، وكسبنا دعاية" (ابن عبود، 110). وفي اليوم التالي من وصوله، استضافه الملك فاروق بقصره في انشاص، وفي 5 يونيو تناولا الغذاء معا، ثم ذهب محمد بن عبد الكريم إلى الإسكندرية بدعوة من الملك حيث أقام عدة أسابيع في مستشفى فؤاد الأول للراحة والاستشفاء تحت عناية الأطباء (بناني، 177). وفي 18 يوليو 1947، عاد محمد بن عبد الكريم إلى القاهرة، وبدأ حينئذ نشاطه بحذر شديد في إطار مكتب المغرب العربي الذي كان يضم حزبي الاستقلال والإصلاح من المغرب، والحزب الدستوري من تونس، وحزب الشعب الجزائري.

وبسرعة بدأت تظهر الخلافات بين محمد بن عبد الكريم وزعماء الاحزاب المشتركة في مكتب المغرب العربي، وقد عبّر الحبيب بورقيبة عن ذلك بقوله : «لقد اختلفنا مع محمد بن عبد الكريم الخطابي لأنه كانت هناك مواجهة بين مرحلتين : مرحلة العمل المباشر ؛ أي مرحلة الصدام العسكري والحرب، ومرحلة الحوار، والذين اختلفوا معه كانوا وطنيين، أسسوا أحزاباً شرعية ولم تستبعد العمل المباشر، ولكن كانت لديهم استراتيجيات مختلفة. وهكذا اختلفنا لأن الاستراتيجيات كانت مختلفة». وقد كان الحبيب بورقيبة أكثر صراحة من غيره وأكثر انسجاما مع نفسه، ففضل العودة إلى تونس وترك الميدان كاملاً لمحمد بن عبد الكريم، وقد عاد فعلا في 8 سبتمبر 1949، ليبدأ من جديد في «النضال الصحيح ضد الاستعمار» كما عبّر هو بنفسه عن ذلك (Bourguiba, 244).

ومما زاد في تعقيد العلاقات بين محمد بن عبد الكريم والزعماء الوطنيين الذين كانوا يحاورونه في آرائه الخاصة بالحرب والسلام، أن الزعيم الريفي ـ وقد كان ذا طبع حذر وشكاك ـ كان يشك كثيراً في الأحزاب السياسية ولا يثق في زعمائها، وكان يرى أنهم أقرب إلى الانتهازية من أي شيء آخر، وان أحزابهم السياسية هي مجرد نسخ مشوهة للأحزاب الغربية (Rouissi, 516). وقد ظل محمد بن عبد الكريم حذراً طيلة الشهور الأخيرة من سنة 1947، وكان يشترك في نشاطات مكتب المغرب العربي عندما يرى ضرورة ذلك، كما حدث عندما أقام هذا المكتب حفلة كبرى بمقره بمناسبة عيد العرش المغربي في 17 نوفمبر 1947، وتحدث فيها زعماء المغرب العربي، وألقى محمد بن عبد الكريم كلمة بالمناسبة (مكتب، 24).

وفي نهاية سنة 1947 قرر محمد بن عبد الكريم أن يبتعد عن مكتب المغرب العربي، لذلك بدأ يعمل من أجل تأسيس «لجنة تحرير المغرب العربي» التي سوف تنضم إليها إضافة للأحزاب التي أسست "مكتب المغرب العربي"، أحزاب أخرى لم تكن تعمل في إطار هذا المكتب، وبعض الشخصيات المستقلة. وفي 5 يناير 1948 تم الإعلان عن تأسيس اللجنة، وانتخب محمد بن عبد الكريم رئيسا لها، وانتخب شقيقه مَحمد بن عبد الكريم وكيلا للرآسة، وقد انتخبا بصفة دائمة، بينما انتخب باقي أعضاء مكتب اللجنة بصفة مؤقتة (الفاسي، 349). وكان ذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ نشاط الوطنيين المغاربة في المشرق العربي عامة، وفي مصر خاصة، حيث ظهر بوضوح وجود

[illegible]

بيعة محمد بن عبد الكريم الخطابي عن كتاب
COUNTRY WITH A FLUG

اتجاهين لدى المغاربة : اتجاه مكتب المغرب العربي واتجاه لجنة تحرير المغرب العربي. وبدأت الخلافات تظهر شائكة بين الاتجاهين (بناني، 181)، وتقلص نشاط مكتب المغرب العربي ثم حدثت خلافات جديدة بين أعضائه في الخمسينات أدت إلى اقفاله مؤقتا، وقد أثر ذلك على نشاط لجنة تحرير المغرب العربي، لأن بعض الأعضاء كانوا منتمين إلى المنظمتين في آن واحد (ابن عبود، 55). ومهما يكن، فإن وضع مصر السياسي في أيام الملك فاروق (عودة، الفصل الرابع)، لم يكن ليسمح لمحمد بن عبد الكريم أن يتحرك حسب معتقداته وما يوحي به إليه ضميره. وكان عليه أن ينتظر لحين قيام الثورة المصرية في 23 يوليو 1952، ثم بداية تأييد جمهورية مصر تأييداً فعليا ماديا ومعنويا للكفاح المسلح ضد الاستعمار بالمغرب العربي. ونظراً لعلاقته الخاصة بجمال عبد الناصر الذي أحاطه بكل عناية واعتبره ضيف مصر العزيز المكرم (العلمي، 77)، فقد تمكن محمد بن عبد الكريم أن يلعب دوراً مهما في دعم المقاومة المسلحة ضد الاستعمار في مجموع بلدان المغرب العربي. وقد كان يطمح في أن تتكتّل كل القوى السياسية في هذه البلدان، وأن تتوحد في كلمة واحدة، وتسعى لغاية واحدة هي طرد المستعمر الأجنبي وتحقيق الاستقلال التام. إلا أن أمله هذا لم يتحقق، فقد خرجت تونس من المعركة، وتبعها المغرب بعد أن حققا استقلالهما بالاتفاق مع فرنسا، ولم تبق في الساحة سوى الجزائر، لذلك كانت علاقات محمد بن عبد الكريم وثيقة بالزعماء الجزائريين طيلة فترة الكفاح المسلح، بينما كانت مقطوعة مع المسؤولين التونسيين، وسيئة مع المسؤولين المغاربة (جريدة القاهرة، 5 / 12 / 1957)، لأنه اعتبر أن استقلال تونس والمغرب ناقصا (جريدة الشباب، 20 / 2 / 1957)، وأن زعماء هذين البلدين لم يكونوا أوفياء لميثاق تحرير المغرب العربي (العلمي، 81). وقد اتخذ نفس الموقف مع الجزائريين عندما اتفقوا مع الفرنسيين على الاستقلال سنة 1961. وما أن استقل المغرب، حتى أرسل الملك محمد الخامس عدة مبعوثين إلى محمد بن عبد الكريم لإقناعه بالعودة إلى الوطن المستقل، لكنه فضّل البقاء في مصر، وكان يُصرح باستمرار أنه لن يعود إلى المغرب حتى يغادر ترابه آخر جندي أجنبي (العلمي، 87). ولم تكن العلاقات مريحة بين محمد بن عبد الكريم والمسؤولين المغاربة رغم أنهم حاولوا استرضاءه بجميع الوسائل، وقد خصصوا له راتبا شهريا، وأدمجوا بعض أبنائه وأبناء أخيه امحمد وعمهما عبد السلام في الوظيفة العمومية، كما سعوا لاسترداد بعض أمواله التي حجزتها السلطات الفرنسية بعد لجوئه إلى مصر، كما ردّوا له بعض أملاكه التي كان الاستعمار الإسباني قد استولى عليها (العلمي، 87). إلا أن المشكلة بالنسبة للزعيم الريفي كانت أكبر من المحافظة على مصالحه الشخصية، فقد كان يعتقد أن المغرب لا يسير في الطريق الصحيح (*آخر ساعة*، 24 / 4 / 1957)، وزاد من حدة موقفه ما حصل في الريف من اضطرابات في النصف الثاني من عام 1958 وبداية عام 1959، وهي الاضطرابات التي وصفها بـ "الثورة الشعبية العارمة" ثم ما تلا ذلك من تدخلات عسكرية عنيفة (*جريدة الصحافة*، 23 / 5 / 1959). إلا أن تطور الأحداث في المغرب، وانكشاف الأسباب الحقيقية التي كانت خلف الاضطرابات في الريف، جعلت محمد بن عبد الكريم يُعَدّل بعض آرائه ويغير بعض مواقفه، خاصة بعد أن بدأت حكومة عبد الله إبراهيم تطالب بجلاء القوات الأجنبية من المغرب (*جريدة المساء*، 15 / 10 / 1959). وقد قام عبد الله إبراهيم رئيس الحكومة ووزير الخارجية في سنة 1959 بمجهود كبير لتطبيع العلاقات مع زعيم الثورة الريفية (*رسالة عبد الله إبراهيم*، 25 / 9 / 1959)، وخاصة عندما تقابل معه خلال زيارته للقاهرة في يونيو 1959، وكشف له عن بعض أسرار ما يجري في الساحة المغربية. ولهذا كان الوضع مُهيئاً عندما قام الملك محمد الخامس بزيارة بعض الدول العربية المشرقية وجاء للقاهرة في فبراير 1960، وذهب بنفسه لزيارة محمد بن عبد الكريم في منزله، وعبّر له عن تقديره لما قام به من نضال ضد الاستعمار (العلمي، 89). وقد كان ذلك بمثابة طي صفحة الماضي وبدء صفحة جديدة من التفهم الموضوعي لظروف المغرب المعقدة.

ورغم كبر السن وبعض العياء، فقد ظل محمد بن عبد الكريم إلى آخر أيامه على اتصال وثيق بكل ما يجري في المغرب، وساعدته على ذلك الزيارات المتكررة التي كانت تقوم بها لمنزله شخصيات مغربية مختلفة المشارب والمذاهب، وكان في مقدمة هؤلاء المهدي بن بركة الذي كان يتردد كثيراً على مصر بسبب ارتباط نشاطه بمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية التي كان مقر سكرتاريتها الدائمة بالقاهرة.

وفي سادس فبراير 1963، انطفأت شمعة محمد بن عبد الكريم الخطابي في بيته بالقاهرة نتيجة سكتة قلبية، وذلك حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً (العلمي، 92)، وقد أقيمت له جنازة كبرى حضرها جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وأعضاء الحكومة المصرية، ووفد رسمي مغربي، والسفراء العرب المعتمدون بالقاهرة، وكثير من الشخصيات، والطلبة المغاربة، وجمهور غفير، ودُفن في مقبرة الشهداء بالعباسية بالقاهرة، بعد أن رفضت أسرته نقل جثمانه إلى المغرب لدفنه هناك.

أ. ابن عبود، *مكتب المغرب العربي في القاهرة* ؛ ع. بناني، *النشاط السياسي للوطنيين المغاربة بالقاهرة في عام 1947، في النهضة والتراث* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، جزآن ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب*، ج 1 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني* ؛ م.

الرفاعي، الجامعة العربية وقضايا التحرير. ط. 2 : م. العلمي، *زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي*، ط 2 : م. عودة، *فاروق بداية ونهاية* : ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* : و. فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ت. فؤاد أيوب : م. القاضي، *أسد الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي* : م. الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد* : م. مارتين، *الاستعمار الإسباني في المغرب (1860 ـ 1956)* : ت. عبد العزيز الودي، مكتب المغرب العربي، *مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فبراير 1947* : *مخطوطة سانبي*، انظر. ع. بناني، *قراءة في مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي* انطلاقا من كتاب "*جذور حرب الريف*" للأستاذ جرمان عياش. في دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش : ع. بناني، محمد زنيبر *رائدا من رواد البحث في تاريخ الثورة الريفية*. مجلة آفاق. ع. 56، الرباط 1995؛ جريدة "*الشباب*" المصرية" جريدة "*القاهرة*" المصرية : جريدة "*الصحافة*" اللبنانية : مجلة "*آخر ساعة*" المصرية : *رسالة عبد الله إبراهيم إلى محمد بن عبد الكريم الخطابي*، نسخة منها عند المؤلف.

K. Brown. *Résistance et nationalisme*, in *Abd-el-krim et la république du Rif*, actes du colloque international d'études historiques et sociologiques, 18 - 20 janvier 1973. Paris, 1973 : I. M. Hart. *De "Ripublik" à "République"*, in *Abd-el-krim et la république du Rif* ; D. Rivet. *Commandement français et ses réactions vis-à-vis du mouvement rifain (1924 - 1926)*, in *Abd-el-Krim et la république du Rif* ; Y. Rouissi. *Témoignage* ; H. Bourguiba, *La Tunisie et la France*. Paris. 1954 : L. Gabrielli, *Abd-el-Krim et les événements du Rif*. Casablanca. 1953 : A. Germain. *Les origines de la guerre du Rif*. Rabat, Paris. 1981 : R.J. Mathieu. *Mémoires d'Abd-el-Krim*. Paris, 1927 : Service Historique de l'Armée de Terre-Vincennes, Carton 3H-94 (Maroc), Carton 3H-100 (Maroc). Carton 3H-132 (Maroc) Carton 3H-466 (Maroc, Papiers Sauerwein IK55.

الخطّابي، مَحمد بن عبد الكريم الشقيق الأصغر لزعيم الثورة الريفية مُحمد بن عبد الكريم. ولد في أجدير بخليج الحسيمة سنة 1892 (البوعياشي، 1 : 77). وعندما بلغ سن التعليم، أنشأ والده مكتبا ابتدائيا خصوصيا ليحفظ فيه القرآن الكريم، ثم علمه بنفسه مبادئ الدين والنحو والتصريف والفقه ومبادئ التاريخ (*مخطوطة سانبي*، 7).

وقد كان من المنتظر أن يذهب مَحمد بن عبد الكريم إلى فاس لمتابعة دراسته في القرويين كما فعل أخوه الأكبر، وكما فعل والده ومن سبقوه من أفراد العائلة، إلا أن الأحوال السياسية كانت قد تبدّلت بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء (يناير ـ أبريل 1906)، لذلك رأى والده الذي كان يتمتع بحس سياسي ووعي متقدم أن من المصلحة تغيير توجيه ابنه وإرساله إلى مليلية لتعلم اللغة الاسبانية (Ayache. 165)، وقد حقّق ذلك فعليا في نهاية سنة 1906، حيث ألحقه بالمدرسة الابتدائية التي كانت الإدارة الإسبانية بمليلية قد أسستها لتعليم الأهالي وتهذيبهم (*مخطوطة سانبي*، 7)، وكان عمره حينئذ أربع عشرة سنة. ونظراً لتفوقه، ثم لعوامل سياسية قائمة على أهمية وظيفة أخيه الأكبر في مليلية، وعلى مركز والده في قبيلته بني ورياغل، اختارته الإدارة الإسبانية للذهاب إلى مالقة للدراسة في سلك المعلمين. وبعد سنتين أحرز على شهادة معلم (Mathieur, 67)، فعاد إلى أجدير حيث أخذ يعين والده في أشغاله الشخصية، ويتعلم في نفس الوقت على يده العلوم الفقهية والنحوية (*مخطوطة سانبي*، 10).

وفي 6 فبراير 1911، سافر مَحمد الخطابي برفقة والده وأفراد عائلته إلى تطوان حيث ظلوا فيها لغاية شهر مايو 1913 (S.H.A.T., Carton 3H - 262). وقد حاول في هذه الفترة تعلم اللغة الفرنسية، فالتحق بمدرسة الاتحاد الإسرائيلي بتطوان (Ayache. 191)، إلا أن السلطات الإسبانية استاءت من ذلك واستنكرته، فاضطر إلى قطع دراسته، ثم العودة إلى أجدير بعد أن رأى والده أن الظروف مناسبة لعودة العائلة إلى مسقط رأسها.



بعد ذلك ببضعة أشهر، سافر مَحمد الخطابي إلى مليلة لمتابعة دراسته الثانوية، وبعد عامين حصل على شهادة البكالوريا بعد إجراء الامتحان في مالقة باسبانيا، وحصل على منحة إسبانية للالتحاق بمدرسة المعادن بمدريد. إلا أن السلطات الإسبانية ألغت هذه المنحة بتعليمات مباشرة من المندوب السامي الإسباني في 20 أكتوبر 1915، وذلك بعد إلقاء القبض على أخيه القاضي محمد بمليلية في 6 سبتمبر 1915 (Ayache, 221). كان مَحمد الخطابي في هذا الوقت بالذات بأجدير، وكان عمره حينئذ حوالي 23 سنة، ويبدو أنه كان يلعب بالاتفاق مع والده دوراً مؤثراً معادياً للإسبان، وهذا هو ما جعل حاكم جزيرة النكور العسكري يسعى لاغتياله لو لا معارضة المندوب السامي الإسباني

(Ayache, 235). وبعد إطلاق سراح أخيه في بداية غشت 1916 وعودته إلى عمله بمليلية في النصف الثاني من سبتمبر من نفس العام، سافر مَحمد الخطابي إلى مدريد في أكتوبر 1917 لمتابعة دراسته بمدرسة المعادن لتخريج المهندسين، وكان يتمتع بمنحة سياسية ويقيم في إقامة الطلبة بجوار المدرسة، ويشرف عليه شخصيا سكرتير قسم المغرب في وزارة الدولة بمدريد. وبعد سنة تحضيرية نجح في نهايتها بامتياز في دورة أكتوبر 1918، بدأ مَحمد الخطابي دراسته بالمدرسة، ولكنه لم يستمر طويلا، إذ طلب منه والده العودة إلى أجدير، فقطع دراسته وعاد في منتصف يناير 1919. وبذلك بدأت بالنسبة له مرحلة جديدة بجانب والده وشقيقه محمد بن عبد الكريم. ومنذ هذا الوقت، ربط مَحمد الخطابي نفسه بأخيه ربطا محكما يثير الدهشة والإعجاب، وقد سارا في نفس الدرب، وشربا من كأس واحدة، وواجها نفس المصير.

ويبدو أن مَحمد الخطابي كان نشيطا من الناحيتين السياسية والاجتماعية أثناء وجوده بمدريد، فقد ربط علاقات وثيقة مع بعض الشخصيات العامة وأعضاء الحكومة الاسبانية (Mathieu, 68)، ويذكر أخوه محمد بن عبد الكريم أنه عندما كان في مدريد "كان يقاسي الشدائد من جهة السياسة الريفية، وقد نصح كثيراً من أعضاء الحكومة والوزارات وأرشدهم إلى الخطة التي يجب سلوكها في الريف، وخصوصا في القسم الخارجي من الوزارة الذي كان له اتصال عظيم به، فلم يلق قبولا من هاته الوجهة، ولم ير إلا التسويف والاهمال، وأنذرهم في الأخير بسوء العاقبة وصرح لهم بأنهم إن لم يرجعوا عن هاته السياسة الخرقاء فإن مصيرهم في الريف يمكن أن يكون كالمصير الأخير في كوبة" (*مخطوطة سانبي*، 11).

أصبح مَحمد الخطابي بعد موت والده عبد الكريم في 7 غشت 1920 (Ayache, 302) اليد اليمنى لشقيقه محمد ابن عبد الكريم ومستشاره وكاتم سره ومبعوثه الخاص ونائبه في المهمات الكبرى. وبعد انتصار الريفيين في أنوال في 21 يوليو 1921 وزعامة محمد ابن عبد الكريم للقبائل الريفية المستقلة، أصبح أخوه مَحمد خليفته والرجل الثاني في الثورة وأكثر الزعماء الريفيين تأثيراً ونفوذاً بعد أخيه، وقد ظلاً معا طيلة فترة الثورة الريفية يشكلان الوحدة التي لا تتزعزع في الفكر والعمل.

ونظراً لخبرة مَحمد الخطابي وكفاءته ومعرفته بأحوال أوربا، فقد أرسله أخوه إلى فرنسا للتعريف بقضية الريف، ولإطلاع رجال حكومتها على ما يجري في شمال المغرب، ولمعرفة آرائهم وموقفهم من ذلك، ولتبليغهم رغبة الريفيين في أن تلتزم فرنسا الحياد الدقيق (ابن جلون، 189). وقد سافر مَحمد الخطابي إلى فرنسا تحت اسم مستعار وبجواز سفر جزائري عن طريق فاس ثم تلمسان (Mathieu, 114)، وعاد منها عن طريق الجزائر. وظل بها عدة شهور من نهاية أكتوبر 1922 إلى مارس 1923 (حكيم، 148 و178) دون أن يستطيع تحقيق ما كان يرمي إليه (Mathieu, 116). وبعد عودته من فرنسا، أصبح مَحمد الخطابي وعمره حينئذ 32 سنة المسؤول عن القوات الريفية يستوي في ذلك الجيش النظامي والقوات التي تعبئها القبائل. وقد كان يقود بنفسه العمليات الهجومية الكبرى للقوات الريفية (حكيم، 75، 79، 80، 198، 212)، لذلك نجده على رأس هذه القوات عندما قامت بالهجوم على غمارة وجبالة حتى دخلت مدينة الشاون في 14 دجنبر 1924 (البوعياشي، 2 : 269). كما أنه هو الذي قاد أكبر هجوم ريفي على بني زروال في أبريل 1925، وهو الذي ظل يدافع إلى آخر لحظة عن جبهة أجدير ضد هجوم الإسبان الصاعق في شهر سبتمبر 1926 (الوزاني، 2 : 324). وعندما استسلم محمد بن عبد الكريم زعيم الثورة الريفية للفرنسيين فجر يوم 27 ماي 1926 بترگست، كان برفقته شقيقه مَحمد الخطابي، وقد نُفيا معا مع مجموعة كبيرة من أفراد عائلتهما إلى جزيرة الرينيون التي وصلوا إليها في 10 أكتوبر 1926 (S.H.A.T., Papiers Sauervein 1K55)، وهي الجزيرة التي ظلوا فيها عشرين سنة وستة أشهر. ونظرا لإتقانه اللغة الفرنسية، فقد كان مَحمد الخطابي طيلة فترة المنفى بجزيرة الرينيون، المتحدث باسم أخيه ومترجمه الخاص وكاتب رسائله إلى السلطات الفرنسية.

وفي 31 ماي 1947 التجأ امحمد بن عبد الكريم مع أخيه وعائلته إلى مصر. وبدأت بذلك مرحلة جديدة من حياة الأخوين تميزت بالنضال السياسي من أجل استقلال المغرب وباقي بلدان المغرب العربي. وقد كان لمَحمد الخطابي الفضل الكبير في إقناع أخيه باللجوء إلى مصر، إذ أن هذا الأخير كان رافضا للفكرة في بداية الأمر (ابن عبود، 109).

وكما حصل في المنفى أو قبل ذلك في فترة الكفاح المسلح، وجد محمد بن عبد الكريم شقيقه مَحمد بجانبه، وكالعادة، لعب هذا الأخير دور النائب والمساعد والرجل الثاني بالنسبة لأخيه، ولهذا أصبح يشغل منصب وكيل الرئيس محمد بن عبد الكريم في المكتب المؤقت للجنة تحرير المغرب العربي التي تأسست في 9 دجنبر 1947 (الفاسي، 349)، وظل يشغل نفس المنصب عندما عقدت اللجنة جمعيتها العمومية في 10 ماي 1948 وانتخبت مكتبها الجديد.

وبحكم منصبه الجديد، ونظراً لشخصيته وتاريخه الحافل، استطاع امحمد الخطابي ربط علاقات وثيقة بالعديد من الشخصيات المصرية والعربية، والتعرف من خلال ذلك على ما يجري في الجامعة العربية من نشاط سياسي وخاصة ذلك المتعلق بالمغرب العربي وفلسطين. وقد تعرف عليه في هذه الفترة وعمل معه العديد من الزعماء والشخصيات العربية والمغربية مثل الحبيب بورقيبة، علال

الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، عبد الخالق الطريس ومَحمد بن عبود.

وعندما بدأ الكفاح المسلح من جديد في المغرب العربي، ازداد نشاط مَحمد الخطابي، وكان له دور كبير في دعم هذا الكفاح، وهو دور لم يتوقف بحصول المغرب على استقلاله سنة 1956، وإنما استمر إلى أن حصلت الجزائر على استقلالها في سنة 1961.

وكشقيقه محمد بن عبد الكريم، كان مَحمد الخطابي غير راض ولا مقتنع بالطريقة التي تم بها حصول المغرب على استقلاله، وكان يرى أنه لا يتم استقلال بلد مّا إلا بجلاء جميع القوات الأجنبية عنه، وتحرير جميع أراضيه من الاستعمار. ولهذا السبب ولأسباب أخرى، لم يعد مَحمد الخطابي إلى المغرب بعد سنة 1956، وظل بالقاهرة إلى أن فُجع بهزيمة المغرب أمام إسرائيل في حرب يونيو 1967، فجاء إلى الرباط، إلا أنه لم يهنأ بعودته إلى وطنه، إذ أصيب بمجرد وصوله بأزمة قلبية حادة نُقل اثرها إلى مستشفى ابن سينا حيث أمضى فترة من العلاج سافر بعدها إلى مراكش لينتفع بهوائها الجاف. وبعد عودته إلى الرباط، عاودته الأزمة القلبية ولم تمهله هذه المرة، وتوفي رحمه الله في يوم 19 دجنبر 1967 وعمره 75 سنة دون أن يتمكن مرة أخرى من رؤية الريف والمناطق التي عاش فيها أجمل أيام حياته النضالية. وقد نُقل جثمانه طبق وصيته إلى أجدير حيث دفن بمقبرة المجاهدين وسط احتفال مهيب حضره وفد رسمي برئاسة الجنرال محمد افقير وزير الداخلية في ذلك الوقت، وزعماء بعض الأحزاب والهيئات الوطنية وفي مقدمتهم عبد الرحيم بوعبيد (العلمي، 93). وقد امتلأت أرجاء المقبرة وهوامشها بجموع غفيرة، وتخلل الاحتفال كلمات بعض رؤساء الوفود الحاضرة الذين تحدثوا عما امتلأت به حياة هذا المجاهد الكبير من كفاح مجيد ضد الاستعمار.

وكان من المنتظر إقامة مهرجان وطني يليق بمقام الفقيد بمناسة الذكرى الأربعينية لوفاته، وفعلا تمت الترتيبات لذلك في مدينة الحسيمة، وحضرت شخصيات ووفود الأحزاب والهيئات الوطنية والأجنبية، لكن المهرجان الكبير ألغي في آخر لحظة بتعليمات مباشرة لسلطات الحسيمة من وزير الداخلية الجنرال محمد أفقير (البوعياشي، 2 : 502).

أ. ابن عبود، مكتب *المغرب العربي في القاهرة* ؛ ع. ابن جلون، هذه مراكش ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *ومضات مضيئة عن الحرب الريفية من خلال مذكرات شاهد عيان إسباني* ؛ م. العلمي، *زعيم الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، ط. 2 ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. ح. الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، حرب الريف ؛ *مخطوطة سانبي* ؛ انظر ع. بناني، قراءة في *مذكرات محمد بن عبد الكريم الخطابي* انطلاقا من كتاب "جذور *حرب الريف*" للأستاذ جرمان عياش، في "دراسات تاريخية مهداة للفقيد جرمان عياش".

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat. Paris, 1981 ; R.J. Mathieu, *Mémoires d'Abd-El-Krim*, Paris, 1927 ; Service historique de l'armée de terre - Vincennes, Carton 3H - 262 (Maroc), Papiers Sauervein 1K55.

عثمان بناني

الخطابي، المعطي بن محمد مقاوم، ولد عام 1932 بقبيلة السماعلة وادي زم إقليم خريبكة، وكان من أفراد الحركة الوطنية حيث شارك فيها سنة 1951 وأسندت له مهمة نشر الدعاية وبث الوعي الوطني والقيام بالتجمعات، وشارك مشاركة فعالة في ثورة 20 غشت 1955 حيث شارك في عمليات الإحراق والقتل والتخريب لمنشآت المعمرين، وأصيب برصاص المستعمر في تلك الأعمال وسقط شهيدا رحمه الله.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 139.

الخطارة أو الكظامة أو الكظيمة، قناة أو مصرف باطني لسديمة مغذية. وهي شبكة أو نظام من القنوات التي تعمل على التحريك الباطني للماء، ونقله على مسافات بعيدة دون تعريضه للتبخر. ذلك أنها تنتظم على شكل سلسلة خطية من الآبار، بئر بجانب بئر، يربط بينها مجرى باطني (انظر الرسم رقم 1). ولوجوده لا بد من توفر الشروط التالية :

- وجود سديمة مائية غنية غير عميقة بإبط السلاسل الجبلية التي تعتبر خزانا للمياه. ويجب أن تتكون التضاريس المشرفة من صخور قابلة لخزن الماء وتصريفه جانبيا.
- وجود منحدرات خفيفة عبارة عن حادورات تمتد عند قدم التضاريس الجبلية المشرفة، ولإنشاء الخطارة يجب أن يكون انحدارها أخف من انحنائي السديمة والسطح حتى يتمكن ماؤها من البروز والتدفق على وجه الأرض.
- أن تكون الرواسب المكونة للمنحدرات قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي على عمق مناسب.

رابعا : يجب أن تكون في أسفل تلك الرواسب طبقات كتومة تشكل حاجزا مانعا لاستمرار تسرب المياه، من نوع الطين مثلا، أي وجود ركيزة جيولوجية غير نافذة. وذلك حتى يكون مجال التصريف فعالا ويسمح بسيلان جانبي للمياه. ولكن هذا الشرط ليس بقاعدة عامة إذ نجد استثناءات كما هو الحال بمنطقة الحوز.

والملاحظ أن هذا النظام وجد بالخصوص في المناطق الجافة وشبه الجافة لحل مشكل الماء المطروح بحدة. لذا فالخطارة تحمل أسماء مختلفة حسب الجهات الجغرافية : بسهل الافلاج بالحجاز السعودي تحمل اسم فَلَج. وهو

مصطلح مشتق من فَلَجَ الأرض، أي شقها. كما نجد نظام الخطارة بإيران، بأرمينيا، بالصين، بجزيرة إيبريا حيث عُثر على شبكة من الخطارات بموضع مدريد. كما نجدها بالمغرب العربي (توات، تافيلالت، الحوز). فالطوارق يطلقون عليها اسم "إفلي"، والأمازيغ اسم "إفري". ويدعو سكان درعة الآبار بالخطاطير. وقد تطور هذا النظام بالمغرب، خاصة بمنطقتي الحوز وتافيلالت، حيث جاء كواحد من الأساليب التي استعملت لإيجاد حل لمشكلة ندرة الماء للري أو للشرب.

ـ الخطارة نظام عريق بمنطقة تافيلالت.

ـ عوامل تطور النظام الخطاراتي : يكتسي الماء بالجنوب المغربي أهمية حاسمة طيلة السنة في حياة السكان بالمجال الواحاتي، حيث كان وما زال يمثل الشكل الأساسي. لذلك لم يدخروا جهداً منذ القديم لاستغلاله بكل الوسائل الممكنة :

ـ استخراج مياه الآبار بواسطة الدلو "أغرور" بتافيلالت، أو بواسطة الشادوف بدرعة.

ـ تحويل مياه امتطاحات الوديان المنحدرة من الجبال المشرفة بواسطة بناء سدود بسيطة "أگوگ" ومد السواقي.

ـ استعمال تقنية الخطارات لأسر مياه السديمات.

ولقد استعملت هذه التقنية الأخيرة بحوض درعة (اكتاوة، المحاميد) لكنها كانت أكثر تطورا وازدهارا واستعمالا بحوضي زيز وغريس من تدغة السفلى غربا إلى سهل تافيلالت شرقا. هناك خطارات الجرف بوادي غريس، ثم خطارات حوض المعادير جنوب جبال صاغرو والوگنات. لكن أهمها خطارات فزنة (الگفيفات) الموجودة بالشمال الغربي لتافيلالت إذ يبلغ صبيبها ألف ليتر من الماء في الثانية. ومن العوامل التي ساعدت تطور هذا النظام بمنطقة تافيلالت :

أولاً : وجود سديمة مائية غنية وقريبة من السطح بتقدم كل من جبال الأطلس الكبير الكلسي الشرقي وجبال صاغرو ـ الوگنات. فجبال الأطلس تشكل جدارا يتلقى تساقطات هامة (400 ـ 800 ملم) تغذي المياه السطحية (زيز ـ غريس) أو المياه الباطنية للسديمات. أما جبال صاغرو ـ الدگنات فهي امتداد للأطلس الصغير شرقا. ورغم أن المظهر الرئيسي هو امتداد الجفاف، فإن الارتفاعات تساعد على تزايد التساقطات (أكثر من 300 ملم). كما يتكونان من صخور أولية وبلورية قابلة لخزن المياه وتصريفها جانبيا (الكلس، الحث).

ثانياً : وجود حادورات خفيفة الانحناء ممتدة عند قدم كل من جبال الأطلس والوگنات في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقي.

ثالثاً : وجود رواسب فتاتية قابلة لتسرب المياه والجريان التحتي على عمق مناسب، بحيث تعرض السطح للردم بمواد غرينية طمرت المجاري القديمة التي تشكل الأماكن المفضلة لسريان المياه الباطنية. وهكذا توجد فرشات مائية مهمة بسيلان الوديان وبالمنخفضات الضعيفة العمق كما هو الحال جنوب الوگنات، حيث عمق السديمة ضعيف (2 ـ 6 م). بسهل تافيلالت الفرشة المائية عميقة نسبيا. ويتم استغلالها بحفر الخطارات أو الآبار.

رابعاً : وجود ركيزة جيولوجية غير نافذة، حيث تتوضع الرواسب السطحية فوق صخور سشتية قليلة النفاذية. كما أنها تبرز هنا وهناك على شكل رؤوس تخترق المواد الغرينية الرباعية (تضاريس أبلاشية مبعوثة). وتلعب هذه الرؤوس دورين رئيسيين : من جهة تعمل على رفع مستوى السديمة إلى السطح، ومن جهة ثانية غالباً ما تشكل نقط انطلاق للخطارات.

مكانة الخطارات من أساليب الري الأخرى.

بالنسبة للأساليب التقليدية : أنشأ الفيلاليون نظاما سقويا تقليديا قديما يرتكز على تحويل الامتطاحات وعلى استخراج مياه السديمة بالدلو أو بالخطارات. وقد نجحوا في تكييفه مع التقلبات التي يعرفها المجال الفيلالي المعطوب. ويمثل هذا النظام 11.03٪ من عملية إفراغ السديمة، في حين يمثل التبخر 76.1٪، والانبثاقات والمنافذ بقعري زيز وغريس 7.3٪، والباقي 3.73٪ بواسطة الضخ العصري. ويحتل أسلوب الخطارة المرتبة الثانية في النظام التقليدي بعد أسلوب "الأغرور".

وإذا كانت مياه الخطارات أقل عرضة للتبخر، خاصة وأن نسبة هذا الأخير مهمة في استنزاف السديمة، فإنها تجري ليل نهار، وبالتالي قد تساهم في استنزافها أيضا إذا لم تستغل جيدا. وهكذا عكس تقنية "الأغرور" التي لا تستخرج مياه السديمة إلا عند الحاجة إليها.

بالنسبة للأساليب العصرية : أدخل نظام سقوي عصري بعد بناء سد الحسن الداخل لأهداف متعددة منها حل مشكلة الماء بالمجال الفيلالي. لكن هذا النظام لم يجد تكيفا، بل زاد من حدة مشكل الماء كما عن طريق حرمان المنطقة من الامتطاحات التي تلعب دورا مهما في تغذية السديمة، ونوعيا عن طريق ارتفاع نسبة الملوحة. كما أن إدخال المحركات وتطور عملية الضخ العصري لتغطية النقص الحاصل في مياه الامتطاحات أدى إلى انخفاض قوي لمستوى السديمة واستنزافها بدون سابق مثل. وكان من نتائج ذلك التزايد التدريجي في عمق الآبار، مما أدى إلى التراجع الكبير لنظام "الاغرور" من جهة، وانخفاض صبيب الخطارات ونضوب بعضها من جهة ثانية.

آفاق الاستعمال والأدوار البيئية : يوجد بمنطقة تافيلالت ما يزيد عن ستين خطارة تتوزع على منطقتين رئيسيتين هما : حنابو صيفا بالضفة اليمنى لغريس، ثم تانجويت شمال شرف الريصاني. هذا بالإضافة إلى بعض الخطارات المنعزلة (تيزيمي، السفالات). وتشكل هذه المجموعات النظام الخطاراتي الذي يعرف أزمة تتمثل في نضوب العديد من الخطارات التي أصبحت مهجورة موسميا أو نهائياً. ويرجع ذلك إلى عوامل خاصة بكل مجموعة :

- بالنسبة لمجموعة تانجويت : نضوب الخطارات مرتبط بالانخفاض القوي في مستوى السديمة والذي يرجع لسببين هما : من جهة حرمان المنطقة من الامتطاحات المغذية للسديمة، ومن جهة ثانية استنزاف هذه الأخيرة عن طريق استخراج مياهها بالاغررر، وخاصة بالضخ العصري الذي تعددت نقطه.

- مجموعة جنابو - صيفا : تمثل الثروة المائية الوحيدة بالمجال الفيلالي لأنها تتغذى من الوگنات حيث السديمة قوية. وتجفيف بعض الخطارات هنا مرتبط بالعوامل التالية :

- الإرمال حيث تتعرض بعض الخطارات للردم بالرمال.

- انعدام الصيانة إما بسبب قلة اليد المجانية بعد اختفاء العبودية، أو بسبب المشاكل الاجتماعية بين المستعملين حول الصيانة واستخراج الشالة.

- عدم إمكانية إحياء وتنشيط الخطارات بسبب القانون العرفي الذي يمنع كل زيادة في الصبيب عن طريق تمديد الخطارات نحو العالية.

- يضاف لكل تلك العوامل تأثير فترات الجفاف على صبيب الخطارات - حتى الصانة منها - مما يجعل بعضها يجف خلال الفترات الجافة ويجري خلال الفترات الرطبة.

وهكذا فإن الفيلاليين بذلوا مجهودات جبارة للتحكم في كمية الماء القليلة. وتترجم تلك المجهودات الأهمية الرئيسية التي يمثلها الماء في حياة السكان والتوازن البيئي بالمجال الفيلالي الهش الجاف، إذ بدون ماء تستحيل إقامة حياة فلاحية ووجود البيئة الواحاتية. وقد تمكن الفيلاليون من بنا - نوع من التوازن البيئي العريق في القدم، لكن يبدو أن مجاله يعرف نوعا من التفاقم إذ أصبح معرضا للخطر والتدهور، وربما مهددا بالاختفاء، ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

- التطور البيئي : تطور ظاهرة التصحر بمعناها الواسع (تحرك الكثبان الرملية، إرمال الخطارات، نقصان الامكانيات المائية نتيجة بناء السد واستنزاف السديمة، مما أدى إلى نضوب بعض الخطارات، تراجع التخليل الذي لعب النظام الخطاراتي دورا مهما في تطوره ووجوده.

- التطور الديمغرافي : وكان من نتائجه الطبيعية والملازمة الاستغلال المكثف والمفرط للمجال وبالتالي التدهور البيئي.

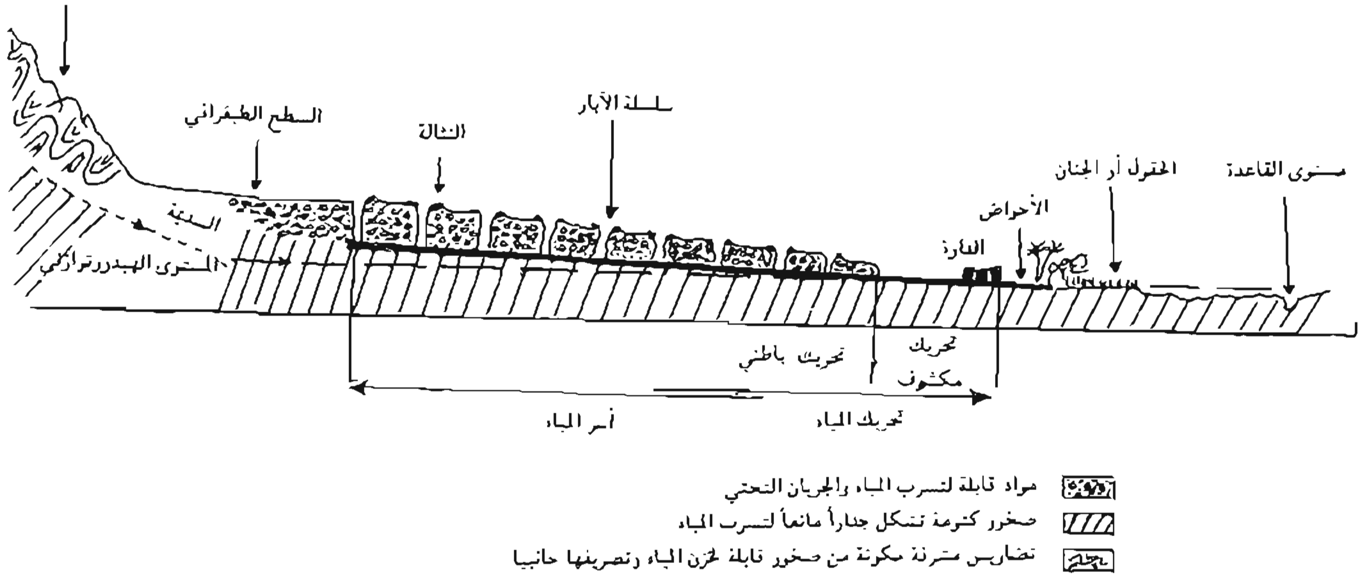
- التحولات الاجتماعية والاقتصادية السريعة العنيفة : وهي ناتجة عن ادماج المجال الفيلالي في النظام الاقتصادي الجديد، ولم تفلت المجالات الخطاراتية من تلك التحولات بما فيها المناطق الحية والمستقرة نسبيا (تطور السياحة التي تستهلك ثلث المياه، شراء المواد التي كانت تنتجها الواحات، مدخول معظم السكان خارجي، هجرة السكان).

كل ذلك جعل المجال الفيلالي العطوب في أزمة، والذي ساهم نظام الخطارة في توازن ومقاومة العناصر المناهضة له. الخطارة واحدة من التقنيات السقوية الأكثر أصالة وقدما بالحوز.

عوامل تطور النظام الخطاراتي بالحوز :

يُقال إن المهندس عبيد الله، أو عبد الله بن يونس هو الذي أدخل هذا النظام إلى الحوز. وقد أتى به الأمير

الخطـــارة



المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين، عندما بلغت أزمة الماء حدها بسبب تحول مدينة مراكش إلى عاصمة لامبراطورية واسعة الأرجاء، وارتفاع عدد سكانها. ولم يعد أسلوب الآبار كافياً، لذا أصبح من اللازم التفكير في أسلوب آخر. ويبدو أن رجال الحرفة، أي حفاري الآبار هم الذين استعملوا مصطلح خطارة لتمييز هذا الأسلوب عن الأساليب الأخرى (الآبار، العيون، السواقي). ومن المعلوم أن حفّاري الآبار والخطارات هم من أصل جنوبي (فركلة أو تنجداد، درعة). والسعديون هم الذين أتوا بالدرعيين الذين يسمون الآبار بالخطاطير.

وهكذا جاء هذا النظام، كما هو الحال بتافيلالت، كواحد من أساليب متنوعة لحل مشكلة الماء. ومن العوامل التي ساعدت على تطوره :

- أولاً : وجود فرشة مائية باطنية غنية وغير عميقة بقدم جبال الأطلس المراكشي الذي يعتبر خزانا للمياه، إذ يتكون سفحه الشمالي من صخور متنوعة نافذة قابلة لخزن الماء وتنظيم تزويد السديمة به جانبيا. وتتمثل أساساً في الكلس من أعمار مختلفة رغم بروزاته المحدودة، ثم صخور الحث. وتقدر كمية التساقطات المغذية للسديمة بحوالي 50 م3 / ث. و التي تجري على طول السفح نحو منخفض الحوز.

- ثانياً : وجود منحدرات خفيفة عبارة عن حادورات تمتد عند قدم الأطلس، بحيث تمر تدريجيا إلى ضفاف وادي تانسيفت. ويساعد هذا الانحناء تدفق مياه الفرشة على السطح قبل الوصول إلى مستوى القاعدة (تانسيفت).

- ثالثاً : وجود رواسب قابلة لتسرب المياه والجريان الباطني على عمق مناسب، إذ تعرض منخفض الحوز خلال النيوجين والرباعي للردم من طرف مواد فتاتية قارية. وهنا مرة أخرى يظهر دور الأطلس في توفير هذه المواد، إذ يتكون سفحه الشمالي كذلك من صخور قابلة للتعرية، خاصة بحوضي أوريكة والزات، والتي تتحكم في كمية تلك المواد التي تقوم بخزن المياه الآتية من الأطلس أو المرتبطة بالأمطار التي تحدث فوق المنخفض نفسه، أو تسرب مياه السقي بالدير بعالية الخطارات.

- رابعاً : وجود جدار كتوم نسبيا. رغم أن المواد الرادمة لمنخفض الحوز عبارة عن خليط من الغرينيات المتغايرة القياس والنفاذية والمرسبة بكيفية معقدة، فإن النفاذية تقل نحو الأسفل، إذ تصبح المواد النيوجينية السميكة ذات سحنة صلصالية تزداد بها نسبة الطين، مما ساعد على سريان كلي تقريبا للسديمة في الجزء العلوي من الردم القاري.

تنظيم المجال الخطاراتي بالحوز : تختلف الخطارات بالحوز من حيث الطول وعمق الآبار. كلما ابتعدنا جانبيا عن المحاور المائية المتدفقة من جبال الأطلس المراكشي، كلما صارت الخطارات طويلة والآبار عميقة. والعكس صحيح. وهكذا يتراوح طولها بين خمسمائة متر وخمسة كيلومترات. وقد يصل عدد الآبار المكونة لها إلى ثلاثمائة بئر، وتتراوح المسافة الفاصلة بين بئر وآخر من عشرة إلى عشرين مترا. ويتكون المجال الخطاراتي من العناصر المجالية التالية.

تتكون العالية من جزئين : جزء أول : مجال أسر وتصريف المياه. ويتكون من سلسلة من الآبار المتباعدة، لأجل إزالة الردم والتهوية أثناء الانجاز أو لأجل التنظيف والصيانة بعده. عرض المصرف حوالي عشرة أمتار. ومن ثمة يصبح المنظر عبارة عن سلاسل من الآبار المتناثرة. وتتراوح المسافة الفاصلة بين سلسلة وأخرى بين مائة وثمانين (180 م) ومائتي متر (200 م) حتى لا يقع تنافس في أسر مياه السديمة. وجزء ثانٍ : مجال تحريك ونقل المياه. ويتكون بدوره من شطرين : شطر يتم فيه التحريك باطنيا وآخر يصير فيه مكشوفا.

السافلة مكونة من جزئين كذلك : جزء أول مكون من الدار أو الرياض (سكنى ثانوية)، ومن صهريج أو حوض لتجميع المياه، لأن صبيب الخطارات ضعيف إذ أن 75٪ منها صبيبها أقل من عشرة ليترات في الثانية (10 ل / ث)، و93٪ منها أقل من عشرين ليترا في الثانية (20 ل / ث)، ولأنها عبارة عن مصاريف تجري ليل نهار. لذا لا بدّ من تخزين المياه وتجميعها. وجزء ثانٍ : مجال مكون من البساتين أو الأجنة (الجنانات)، ومن شبكة من قنوات التصريف.

- موقع الخطارات من أساليب الري الأخرى :

- بالنسبة للأساليب التقليدية : هناك ست مجموعات من الخطارات هي من غرب مدينة مراكش نحو شرقها : الوداية، تامصلوحت، أزوفيد - مراكش، أوريكة، الجنانات، ثم الويدان - زاوية بن ساسي. والملاحظ أن معظمها يتركز جنوب شرق مراكش بالخصوص. وقد تعرض عدد منها للهجر. وهناك حوالي خمسمائة خطارة نشيطة (حية) تمثل حوالي 13٪ من المساحة المروية بهذا الأسلوب وحده، هذا بالإضافة إلى 8٪ بالاشتراك مع الأساليب الأخرى.

أما نظام الري بالسواقي فهو أكثر أهمية إذ يسمح بري 75٪ من المساحة المسقية، لأنه أهم من حيث القدم، خاصة بخارج الوديان، وأهم من حيث البساطة، ولقدرته على تحويل أضعف صبيب وبأبسط الوسائل (اگوگ). في حين تتطلب الخطارات مجهودا جبارا. لذا يتم تفضيل السواقي عندما يكون الماء دائما، لكن إذا كان موسميا فيفضل نظام الخطارة. أما استخراج مياه الآبار بالدلو والسانية فهو محدود إذ لا يمثل سوى 8٪.

- بالنسبة للأساليب العصرية : أدخلت هذه الأساليب مع الاستعمار عن طريق بناء سد للاتاكركوست، ومد سواقي بالإسمنت من وديان الزات، غيغاية وأوريكة. وذلك لسقي مجالات خارجة عن مناطق الري التقليدية. واستمر التحديث بإنجاز قناة الروكاد التي توجه مياه واد الأخضر بالحوز الشرقي إلى أراضي الحوز الغربي، وببناء سدود

صفرى (تليّة). كما أدخل نظام ضخ مياه الآبار بواسطة المحركات. وقد تكاثر هذا الأسلوب الأخير، خاصة بمنطقة الجنانات (النخيل - الويدان - زاوية بن ساسي)، ابتداء من سنة 1958 بعدما كان ممنوعا قبل هذا التاريخ، مما أثر على عمق السديمة.

وكان من نتائج ذلك تراجع نظام الخطارات، وأهمل عدد كبير منها، ونضب الكثير منها، خاصة الصغيرة التي يقل عمقها عن عشرة أمتار. وتم تعويض المتوسطة بمضخات، في حين استمرت الخطارات الكبيرة.

- آفاق الاستعمال والأدوار البيئية.

لعل النظام الخطاراتي كان من بين الأسباب التي أدت إلى ازدهار أرباض مراكش منذ عهد المرابطين، بحيث تحولت من مجال شبه صحراوي "لا أنيس به إلا الغزلان والنعام، ولا ينبت إلى السدر والحنظل" (*البيان المغرب*)، إلى بيئة خضراء مكونة من أجنة وعراصي تمد المدينة بالخضر والبقول والفواكه والحبوب. كما شكل مجال الخطارات ومازال بيئة للراحة والتنزه، والتي أضفت عليها أشجار النخيل السحر الذي تعرف وتشتهر به واحة الحوز.

لكن الخطارات تعرف حاليا وضعا متأزما إذ أصبح بعضها تحت البنايات نتيجة توسع مدينة مراكش على حساب عدد من الجنان. كما أن تطور أساليب الري الأخرى أدى إلى تراجعها. أضف إلى ذلك مشكل الصيانة التي تتطلب تكلفة أكبر من الآبار المزودة بمحركات عصرية مثلا. زد على ذلك تطور أساليب الإنتاج بالأرباض البعيدة الذي أدى إلى استعمال المواد الكيماوية، مما طرح مشكل تلوث مياه السديمة. هذا بالإضافة إلى أن الخطارات تستهلك نسبة مهمة من الأراضي الصالحة للزراعة نتيجة تعرض تلك المساحات للردم المرتبط بالنثالة المستخرجة من الآبار، أو عن طريق تخريب مجالات مهمة أثناء الحفر.

كل ذلك أدى إلى تدهور العديد من الخطارات. لذا لم يعد الباقي منها يمثل في معظمه سوى إرث تاريخي لأسلوب من أساليب حل مشكلة الماء للري أو الشرب. وهكذا فإن الخطارات الكبيرة، والتي هي في ملك الدولة، لازالت نشيطة ومستمرة لأهداف سياحية، إلى جانب بعض الخطارات المتوسطة والصغرى الخاصة المستعملة في الري.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ أ. زروال، *دراسة جيومورفلوجية لدير أطلس مراكش بين وادي الزات وتساوت*، الرباط، 1987 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ح. بن محمد الوزان الفاسي (ليون الافريقي)، *وصف إفريقيا* ؛ ح. جلاب، *في تاريخ الماء وأساليب الري*، تانسيفت. مجلة جغرافية الأطلس والحوز، العدد 1، مراكش، 1992.

A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*. Rabat 1976 ; A. Alkouffe, *Tafilalet. Etude de la nappe phréatique de Rissani*. Rapport de 15 pages ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc Saharien des origines au 17ème siècle*, Paris, 1982 ; De Troussi, *Les Rhéiaras de Marrakech. France - Maroc* 1919 ; F. Joly, *Etude sur le relief du Sud-Est marocain*, Rabat 1962 ; F. Joly et J. Margat, *Remarques sur les bassins hydroliques du Ziz et du Chriss*, Rabat, p. 41 - 55 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; *Ladreit de la Charriere, Les procédés d'irrigation dans la plaine du Haouz de Marrakech. La Nature* n° 1149, 1910 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet, Contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIè et XVIIIe siècles*, Rabat 1987 ; My El Hassane Boubekraoui, *La Crise des palmerais de la plaine du Tafilalet (Sud - Est - Marocain)*, Toulouse 1983 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, 2 vol., Rabat 1977.

أحمد زروال

ابن خطّاري، محمد بن سلامة مقاوم ولد سنة 1932 بالساقية الحمراء، وانخرط في صفوف جيش التحرير المغربي بالجنوب في سنة 1956، وعمل ضمن المقاطعة الثامنة تحت مسؤولية السيد اعلي بويا مبارك.

شارك في معارك في الصحراء إلى أن استشهد رحمه الله بناحية تندوف وذلك بتاريخ 1 / 2 / 1957.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، 2 : 65.

الخُطّاف أو الخُطيف وخُطّاف الشعر أو الخُطّايْفَة كما هو شائع في اللسان المغربي الدارج وفي المعاجم أيضاً، جنس طيور برية صغيرة القد مريعة الطيران، تسمى في الشرق العربي سنونو والكلمة أعجمية واحدتها سَنُوْنُوة وسَنُوْنِية. وتسمى هذه الطيور أيضاً عصافير الجنة وعصافير الأمانة وزوار الهند والحجيْجبات. تسمى بالأمازيغية تفْلِلْست وإفْلِلْس وإبليل وبالفرنسية Hirondelle وبالأنجليزية Swallows, Martins. وبالإسبانية avión.



خطايفة

إنها طيور عارية القدمين والساقين تنتمي إلى رتبة الجواثم المشقوقات المناقر وفصيلة الخطافيات (الخطاطيف) Hirundidae. تتميز بأقدام قصيرة جداً لا تستعملها للمشي بتاتا حيث إنها لا تقف على الأرض إلا في حالة البحث عن الوحل لاستعماله في بناء العش. في حالة الاستراحة تقف على أغصان الأشجار وعلى حاشية سطوح المنازل وعلى

القضبان وخيوط الكهرباء، وأحيانا تدخل أعشاشها لتنام فيها. في حالة عطشها تطير محادية لسطح مياه البحيرات والبرك لشرب الماء كما أنها تلتقط الحشرات أثناء طيرانها.

الأجنحة طويلة جداً، ومستدقة الرأس تساعد على السرعة في الطيران حيث تُقَدَّر بمعدل يتراوح بين 55 . 65 كلم في الساعة. الذيل طويل ومتفرع. المنقار قصير مختص في التقاط الحشرات التي تُكَوِّن القوت اليومي لهذه الطيور.

تتكون فصيلة الخطافيات من 79 نوعا في العالم منها 7 أنواع كلها من القواطع تقضي فصل الربيع والصيف في المغرب بصفة منتظمة وتشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية والجنوبية.

خطاف المدخنة (Hirondelle de cheminée) Hirundo يعد من الخطاطيف الشائعة في المغرب. يبلغ طوله 19 . 20 سم. وبسطة جناحيه 33 . 34 سم. يزن 13 . 21 گرام. يألف القرى والمدن ويبني عشه بداخل المنازل على حاشية السقوف وبين شقوق الجدران. العش كروي الشكل يتكون من الوحل ويفرش بالريش وأحياناً بشعر الحيوانات والإنسان مما أدى إلى تسميته بخطاف الشعر. يتوالد ما بين مارس ويونيو وتبيض الأنثى 4 . 8 بيضات يبلغ قطرها 20 + 13.7 ملم لونها أبيض منقط بالبني المحمر الخفيف. تحضن الأنثى بيضها 14 . 16 يوماً وتبقى الصغار بداخل العش 17 . 24 يوماً. يتوالد هذا النوع 3 مرات في السنة.

يتميز هذا النوع بمنقار أسود وبريش أسود أزرق اللمعان جهة الظهر وأبيض جهة البطن. الجبهة والعنق حمراء محاطة بالريش الأسود. الذيل متفرع ينتهي بريشتين طويلتين على كل جانب. يعيش هذا النوع في مختلف المناطق المغربية ويكثر عدده خلال فترة الهجرة إلى أوربا ابتداء من فبراير وأثناء العودة إلى إفريقيا خلال شهر شتنبر.

خطاف النوافذ (Hirondelle de fenêtre) Delichon urbica لا يتعدى طوله 12.5 سم. يتميز ببقعة بيضاء على ظهره بين الذيل والجناحين. ريشهُ أسود على ظهره وأبيض على بطنه وعنقه. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وتُبْنى الأعشاش متقاربة مع بعضها على الجدران وبين شقوق الصخور العالية تبيض الأنثى 2 . 6 بيضات غير منقطة في الغالب، يبلغ قطرها 19.4 + 13.4 وتدوم مدة الحضانة من طرف الزوجان بالتناوب 13 . 19 يوما.

الخطاف الأشقر (Hirondelle rousseline) Hirundo daurica لايتعدى طوله 18 سم وبسطة جناحيه 33 سم. يتميز ببقعة كبيرة من الريش الأشقر على مؤخرة ظهره بين الذيل والجناحين وببقعة أخرى بين الرأس والظهر. الذيل متفرع جداً. يبني عشه بداخل الكهوف وبين شقوق الصخور العالية وتحت القناطير وأحيانا على جدران المنازل. شائع في المغرب ما بين يناير وشتنبر.

خطاف الصخور (Hirondelle des rochers) Hirundo rupestris وخطاف الشواطئ (Hirondelle de rivage) Riparia riparia وخطاف الصحاري (Hirondelle du désert) Hirundo Obsolera طيور لا تتوالد في المغرب ويكثر عددها خلال فترة الهجرة.

تتميز هذه الأنواع الثلاثة بريش بني على ظهرها. الذيل قليل التفرع وقصير.

خطاف المراعي (Hirondelle paludicole) Riparia paludicala يبيض في المغرب ويَختلف عن الأنواع الأخرى في بناء العش حيث يقوم الزوجان بحفر جحر يصل طوله أحيانا 120 سم وذلك قرب ضفاف الأنهار أو على جانب الطرق. يتوالد ما بين دجنبر وأبريل وشائع في ظواحي مراكش وورززات والصويرة ومناطق الغرب وفي شمال البلاد.

تحظى طيور الخطاف بعطف واحترام من طرف الإنسان حيث يعتبرها من الطيور المقدسة مما يجعله لا يؤذيها ولا يقترب من أعشاشها. وتعد من الطيور النافعة لأنها تأكل الحشرات التي في إمكانها أن تؤذي الإنسان أو الحيوانات أو النباتات.

مصطفى الشهابي، معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية، لبنان، 1988.

M. Thevenot, R.E. Baouab et P. Bergier, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Docum. Inst. Sci., 1980, 1981 - 1982, Rabat ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*. Paris, 1968, p. 231 - 234 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe Withe North Africa and the Middle East*. London, 1984, p. 206 - 207.

محمد رمضاني

الخُطُوطْ، قرية واتفاقية. تنتمي قرية الخطوط إلى محيط قبيلة بني گرفط الهبطية، واقعة على المنحدر الشمالي من كتلة بني گرفط، تستقر مبانيها على كدية انحدارها نحو 206 م. أشارت إليها المصادر البرتغالية والإسبانية وما تزال إلى اليوم بنفس المكان.

تأثرت القرية باحتلال البرتغال لمدينة أصيلا منذ سنة 876 / 1471 وجولات جنودهم المتكررة بحوزها طيلة تسع وسبعين سنة من احتلال المدينة، مما اضطر أهلها إلى الهجرة نحو الداخل منذ انتقاض الهدنة بين البرتغال والوطاسيين سنة 906 / 1500.

ولا نتوفر على الإشارات الدالة على عودة السكان إليها، وذلك بحكم وقوع مساكنها في المقدمة الشمالية من الجبل، تجاه مدينة أصيلا. وقد عد البرتغاليون قرية الخطوط النقطة الآمنة لهم ولغنائمهم المستحوذ عليها من جهات بني عروس، كما أشادوا بموقعها المشرف على القرى السهلية الداخلة في حوز أصيلا، مثل الأبواب وبومهدي وشرقاز وقب النيش. ولاشك أن القرية استرجعت أهلها بعد الجلاء

البرتغالي عن أصيلا سنة 1550.

وفي بداية القرن العشرين كانت مندرجة ضمن فرقة الخطوط الكرفطية وشكلت آنذاك إحدى الفرق الكرفطية الأربعة، يدخل في إطارها كل من قرى عين كداخ والخطوط والحرارش والصف. وآنذاك كانت تحت نظر الشريف أحمد الريسوني إلى أن تم احتلالها من طرف الإسبان مع بداية عهد الحماية.

وبهذا الاسم عرفت اتفاقية الخطوط المنعقدة بقرية الخطوط بين الزعيم الجبلي الشريف أحمد الريسوني والمقيم العام بالمنطقة الخليفية الجنرال خوردانا، وذلك يوم 25 شتمبر 1915، بعد سلسلة من الاتصالات السابقة الجارية بينه وبين المقيمين العامين السابقين (ألفاو رتاليه الجنرال مرينا)، تدرجت بين لقاء الزينات وعين الدالية وامتدت خلال سنوات 1913 و1914 و1915 بسبب طرح الريسوني لشرطه الأساسي المتعلق بلزوم إعفاء الكلونيل سلفستري من مهمته بالشمال الغربي المغربي، وهو ما تم يوم 9 يوليوز سنة 1915. جاء هذا الانفتاح موازيا مع تعيين الجنرال خوردانا يوم 24 يوليوز من نفس السنة مكان سلفه الجنرال مرينا. ونقدم مجمل بنود الاتفاقية في سياق مختلف الغايات المتوخاة منها.

تتصدر الاتفاقية ديباجة فحواها عرض أحمد الريسوني لمختلف ما يتعهد بتنفيذه في ثلاثة عشر شرطا، إلى جانب المقابل من تعهدات الحكومة الإسبانية المبينة في سبعة عشر شرطا. وبذلك يكون مجموع عدد بنود الاتفاقية هو أثنان وثلاثون شرطا. وتبرز الغايات في العناصر التالية :

لخصت الديباجة الغايات من عقد الاتفاقية. فبالنسبة لأحمد الريسوني كانت الغاية هي رغبته في تقوية جهازه الدفاعي، بالحصول على ما احتاج إليه من البنادق وعدتها من مختلف الأصناف وعلى الخيام العسكرية، بينما تمثلت غاية الإسبان من جهة ثانية في تمكنهم بواسطة الاتفاقية من بسط نفوذهم على الشمال الغربي، وذلك بإخضاع القبائل ظاهريا لنفوذ المخزن الخليفي بواسطة مساعدة أحمد الريسوني طبقا للأسلوب الاستعماري المعروف بالتهدئة.

وتوضح الاتفاقية أن المطلوب من أحمد الريسوني هو تسهيل مهمة الاحتلال خلال مدة عامة محددة بأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً، بدءاً من الجهة الممتدة بين سبتة وطنجة، في أجل لا يتعدى أربعة وعشرين يوما. أما باقي الجهات من القبائل الجبلية فقد حددت مهلة إخضاعها بثلاثة أشهر تالية من انتهاء المرحلة الشمالية.

وقد أسند نص الاتفاقية لكل فرقة من فرق القوات الإسبانية أدوارها، مشيراً أولاً إلى انضمام القوات المخزنية الخليفية التي يترأسها ضابط إسباني إلى محلة الريسوني. أما القوات النظامية الإسبانية وفيالق الشرطة فقد حدد لها التمركز في المواقع الخلفية المسابرة لوتيرة تقدم المناطق الخاضعة. ونصت الاتفاقية أيضاً على تقسيم الأراضي الخاضعة إلى إقليمين عسكريين مركزهما سبتة والعرائش.

حرص النص على تحديد علاقة أحمد الريسوني بالمخزن الخليفي ونظام الحماية. فبناء على المتفق عليه يصبح الزعيم الجبلي موظفا ساميا متعاونا، سواء مع المخزن الخليفي أو مع نظام الحماية وإدارتها، بدءاً من الاعتراف بالخليفة السلطاني القائم آنذاك بتطوان وبنظام الحماية وقوانينها الجارية والتنظيم الإداري المعمول به، وكذا الاعتراف بالمعاهدات الدولية الحالية واللاحقة المتعلقة بالنظام. ويشير النص إلى أن دور أحمد الريسوني سيكون استشاريا، ويسمح له بتأسيس فرقة المخازنية مكان محلته القديمة. كما يساعده موظفون، بعضهم معينون من طرف الإقامة العامة، وآخرون مرتبون من طرفه.

وأخيراً خصص الفصل الختامي من الاتفاقية لبيان داعي نقض الصلح، وهو محدد بمجرد إخلال أحد الطرفين بأحد الشروط.

وما دلت عليه السنوات الفاصلة بين شتمبر 1915 ومارس 1919 أن الاتفاقية لم تقدم ثمارها الموسومة للاسبان، بينما تقوى جانب أحمد الريسوني، وانتهى العمل بها بانتحار الجنرال خوردانا سنة 1918 وحلول بيرينكر مكانه وبداية الغزو العسكري المنظم للنواحي الشمالية الغربية.

ح. الفكيكي. *المقاومة المغربية للوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، د. د. ع. مرقون، الرباط، 1991 : ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، تطوان، 1951.

Bernado Rodrigues, *Arzla*; Luis de Sousa. Les *Portuguais au Maroc* ; Rafael Lopes Eienda, *Frente al fracaso Raisuni de Silvestre a Burguete* : Ortega Manuel, *El Raisuni : Geografia de Marruecos*, T. 2, Madrid 1939 ; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, Lisboa 1915.

حسن الفكيكي

الخطيب، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ظل بعض أفرادها هناك بعد سقوط غرناطة وأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا :Jatib ؛ ومازالت بإسبانيا أسر تحمل اسم Jativa نسبة إلى مدينة شاطبة.

ومن الأندلس نزحت هذه الأسرة إلى ناحية بادس بالريف سنة 1017 / 1608 ثم انتقلت إلى تطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها هناك.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الخطيب، أحمد** قائد الأسطول المريني بطنجة. كانت له مساهمات كبيرة في كثير من الحملات العسكرية البحرية التي قام بها أبو عنان، من ذلك دوره البارز

والحاسم في أحداث فتح تونس وبجاية سنة 758 / 1357 وصفه خلالها ابن الحاج النميري بـ "مبيد الأعادي، ومسعر الحروب، وقدوة الجلاد، والطنجي الذي يحرز القصب لكن قصب السبق في الجهاد" (فيض، 103) كما داع صيته في جهاد النصارى ومطاردة سفن القراصنة ببحر الزقاق، وكان ذلك موضوع مراسلتين بين السلطان المريني أبي عنان وملك أراغون بيدرو الرابع مازال أرشيف تاج أراغون ببرشلونة يحتفظ بأصولهما، الأولى مؤرخة في 28 رجب 752 الموافق لـ 20 شتنبر 1351، والثانية مؤرخة بـ 3 شعبان 752 الموافق لـ 25 شتنبر 1351 وهما تشيران إلى إحدى عمليات القائد ابن الخطيب للسيطرة على مركب لقراصنة ميورقة التابعين لمملكة أراغون. وتسجل المصادر أيضاً أهمية الدور الذي لعبه ابن الخطيب في إخماد الثورة التي قامت ضد أبي عنان بجبل الفتح سنة 756 / 1356 وأسر زعيمهما شيخ بني مرين بالجبل عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ونقله إلى سبتة حيث قتل.

ابن الحاج النميري، *فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب*، إعداد محمد بن شقرون، الرباط، الطبعة الأولى، 1984، ص. 98، 103، 104، 157، 158 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1978، ج 7، 614، 615 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، منشورات، كلية الآداب، الرباط، الطبعة الأولى، 1979، ص. 74، 79، 80.

S.M. Alarcón, L.R. Garcia, *Los documentos arabes diplomaticos del Archivo de la corona*, Madrid - Grenade, 1940, p. 210 (N° 103) ; p. 214 (N° 105).

رشيد السلامي

ابن **الخطيب، عبد الرحمان** بن أبي القاسم بن علي يعرف بابن الخطيب الشفشاوني تمييزاً له عن لسان الدين ابن الخطيب السلماني الغرناطي. ويعرف أيضا بالشاعر الشفشاوني والزرويلي.

يتفق المؤرخون على أنه كان شاعراً هجاءً ؛ غير أن أشعاره على ما يبدو ضاعت ولم يبق منها سوى مقطوعات قصيرة، كهجوه لمدينة مراكش والقصر الكبير، وهجوه لابن عسكر الشفشاوني صاحب *الدوحة*. ففي هجاء مراكش يقول في قصيدة مطلعها :

ما كان ظني وحق الله فرقتكم
لو أن مراكشاً كانت تواتيني

ويقول في آخرها :

لم يبق في الكيس فلسٌ أستعينُ به
أفنيتُ ماليَ في غسلٍ وتصبين

وقد رد عليه صاحب *الإعلام* بقصيدة يمدح فيها مراكش (*الإعلام*، 8 : 113).

ويبدو أن المترجم لم يهتم بأغراض الشعر الأخرى غير الهجاء، مما جعل ابن القاضي يؤكد أنه لم يمدح شخصاً قط.

كما يذكر صاحب *الإعلام* أن للمترجم تأليفا سماه *حديقة الأزهار* لم يشر إليه ابن القاضي ولعله من التآليف الضائعة.

توفي عام 993 / 1585.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1396 / 1976 ؛ م. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور. ط. تونس - القاهرة 1970، الجزء الثالث : *جذوة الاقتباس*. الرباط، الجزء الثاني، 1973 / 74 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء الثامن ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية*، 1، 1975 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، المحمدية، 1396 / 1976، الجزء الثاني ؛ ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون*، المحمدية، 1982.

المكي مربي

الخطيب، علي أو علال (وبه عرف) بن الحاج محمد ابن الحاج أحمد الخطيب الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي ثم التطواني، عميد أسرة آل الخطيب بتطوان وأنبغ رجالها وأحد أكابر أعيانها، الفقيه الأديب الأريب الأمين الكاتب المطلع المتنور. كانت له مشاركة في فنون مُلماً بغرائبها كالطب والأنساب والسياسة والتوقيت، أما السير والتاريخ فكان موضوع تخصصه، أكب على مطالعته منذ الصغر، وتفهم أغراضه، وعُني بدراسة أسبابه وفلسفته، ولهج *بمقدمة ابن خلدون* كما حدثني بذلك قريبه الشيخ محمد العربي الخطيب، وحدثني الأستاذ الكبير محمد داود أن السلطان الحسن الأول لما زار تطوان عام 1307 اجتمع بعلمائها وأعيانها ومنهم المترجم له، فسأله السلطان عن علم الكيمياء بالمفهوم التقليدي العامي، (ويسمى عند العامة وأشباههم بعلم النار وغايتُه عندهم صنع الذهب والفضة) فأجابه بأن النقدين عنصران ومعدنان يستخرجان من الأرض ولا يصتعان بالعقاقير، فأعرض عنه السلطان وسأل عن غيره ممن لهم معرفة بذلك، وكانت له عناية كبرى بذلك، وسعي حثيث لتحقيقه، جمع لذلك كثيراً من كتبه بالشراء والاستنساخ، واتصل بكثير ممن يتعاطى ذلك ويزاوله.

نشأ المترجم له بتطوان ولم أقف على تاريخ ميلاده - وحفظ القرآن وبعض المتون، ثم شرع في الدراسة على علماء بلده، فأخذ عن الفقيه محمد بن أحمد البقالي *الأجرومية والألفية ومرشد ابن عاشر* وبعض *مختصر خليل* والتوقيت ؛ وعن الفقيه محمد ابن الأبار : النحو والفقه والمنطق والوضع والشمائل، وعن الفقيه محمد الزواقي : (وهو شقيق شيخ الجماعة أحمد) النحو والحديث والمديح النبوي، وعن الفقيه القاضي التهامي أفيلال : *رسالة ابن أبي زيد وتحفة ابن عاصم* وبعض *صحيح البخاري*. وعن جده لأمه الطبيب الميقاتي محمد بن عبد الوهاب لُوقَش، وعن غيرهم، وسافر إلى مصر وأخذ عن بعض علمائها، ثم

استخدم أمينا بديوانة مرتيل عام 1314 ثم بمرسى العرائش عام 1315 ثم بمرسى طنجة 1321 ثم بمرسى الدار البيضاء، عام 1322 ثم بمرسى الجديدة عام 1327. ولكمال نزاهته وكفاءته حرص المسؤولون يومئذ على استمراره في (الأمانة) فرفض، كما رفض وظائف سامية أخرى، منها النيابة بطنجة بعد وفاة الحاج محمد بن العربي الطريس عرضها عليه السلطان عبد الحفيظ. ولما بلغه عزم السلطان على تعيينه لحقه ضجر عظيم كاد يقضي عليه على حد تعبير صديقه الفقيه الرهوني.

لعل المترجم له كان الرجل الوحيد بتطوان على عهده، الذي له اتصال مباشر بدور النشر والصحافة بالشرق، فكانت تَرِد عليه باستمرار كثير من الصحف والمجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمنار الخ فكان على اطلاع بواسطتها على ما يجري في العالم من أحداث وشؤون سياسته وعلى مسيرة التقدم العلمي. كما كانت ترسل إليه من مطبوعاتها ما لا يوجد عند غيره يومئذ، فلا غرو أن يكون أول من اهتم بإصلاح التعليم بتطوان. ودعا لإنشاء المدارس وتعليم البنات تعليما سليما، وشارك عمليا في إنشاء أول مدرسة حرة هي المدرسة الأهلية، بل كان المتولي لشؤونها. والمسيِّر الفعلي لما ليتها. كل ذلك خدمة لوطنه احتسابا لله تعالى. كما كان سلفيَّ العقيدة، بعيداً عن الخرافة والتقليد. مع حسن معاملة لشيوخه وأقرانه المخالفين في الرأي، فكان محل تقدير الجميع.

توفي يوم 12 محرم عام 1356 / 25 مارس 1937، ودفن بالزاوية الريسونية بتطوان.

محمد بوخبزة

ابن **الخطيب، لسان الدين** محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، كانت أسرته تعرف ببني الوزير قديما، أما اسم بني الخطيب فيرجع إلى عهد جده سعيد الفقيه المدرس، وبه عرف أبناؤه فيما بعد. ولد ابن الخطيب بلوشة في شهر رجب سنة 713 / 1313 في بيت علم وفضل وجاه. وكان أبوه من أشهر علماء وقته، كلفه السلطان أبو الوليد إسماعيل بالإشراف على مخازن الطعام بقصره، ثم ترقى في خدمة النصريين ليشتغل في ديوان الإنشاء، وحمل لقب الوزارة، وبقي على هذه الحال إلى حين وفاته شهيداً في موقعة طريف.

نشأ ابن الخطيب في غرناطة وأفادته ظروف عائلته المترفة في الاتصال بثلة من علماء وقته والأخذ عنهم، ومنهم أبو عبد الله الفخَّار وأبو عبد الله بن عبد المولى العوَّاد وأبو القاسم بن جزي وقاضي الجماعة أبو عبد الله بن بكر، وأبو الحسن بن الجياب وأبو البركات بن الحاج البلفيقي وأبو سعيد بن لب وابن هذيل وغيرهم. وقد أفاده الانتماء إلى الوسط المذكور في تحقيق طموحاته بحيث نجده يقترح للخدمة في البلاط النصري بعد وفاة والده وعمره لا يتجاوز ثمانا وعشرين سنة. فالتحق بدوره بكتابة السلطان أبي الحجاج مرؤوسا بالكاتب الشهير شيخه أبي الحسن بن الجياب. وهناك أبان عن موهبة حقيقية أهلته ليخلف هذا الأخير بعد وفاته بالطاعون عام 749 / 1349 في رئاسة ديوان الإنشاء، ومنحه السلطان أبو الحجاج رتبة الوزارة والقابها وهو يقول في ذلك : "قلدني السلطان كتابة سره ولما يجتمع الشباب ويستكمل السن، معززة بالقيادة ورسوم الوزارة، واستعملني في السفارة إلى الملوك، واستنابني بدار ملكه، ورمى إلى يدي بخاتمه وسيفه، وائتمنني على صوان ذخيرته وبيت ماله وسجوف حرمه ومعقل امتناعه".

والظاهر أنه بالرغم من وجود الحاجب رضوان واتساع سلطاته فإن ابن الخطيب الذي يليه في هرم الدولة، كان يتمتع لدى السلطان أبي الحجاج بالحظوة والمقام الرفيع وهو ما جعله يتدخل في تعيين العمال لقاء مبالغ هامة من المال أفاد بها خزائن السلطان وكانت وسيلة للزيادة في الإنعام عليه وتقريبه من السلطان.

وفي عهده بدأ ابن الخطيب أولى تجاربه في السفارة ببلاد العدوة. فكانت وجهته إلى فاس معزيا السلطان أبا عنان في وفاة والده أبي الحسن. فكان ذلك فرصة لربط صلات وثيقة بالمخزن المريني أسعفته فيما حل به من المصائب لاحقاً.

ولما توفي أبو الحجاج ازدادت منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبد الله محمد الغني بالله الذي بلغ معه ابن الخطيب أعلى المقامات، واستحوذ في عهديه على كل السلطات. وقد كانت له في عهده فرصة أخرى للاتصال بالبلاط المريني وبالسلطان أبي عنان. وكان الغرض هذه المرة طلب العون ضد قشتالة في سنة 755. فوفق في مسعاه ووعده السلطان المريني بالمساعدة.

وبقي ابن الخطيب على هذه الحال مشمولا برضى السلطان الغني بالله ما يزيد على خمس سنوات إلى أن كانت ثورة البلاط التي أطاحت في شهر رمضان من سنة 760 / غشت 1359 بالسلطان الغني بالله. لكنه استطاع الإفلات ورحل إلى مدينة وادي آش. وقد بويع مكانه أخوه السلطان إسماعيل وقام بدولته ابن عمه وشريكه في الانقلاب الرئيس أبو عبد الله بن أبي الوليد.

لقد حاول ابن الخطيب أن يتكيف مع ما حصل وأن يبقى في الخدمة لكن سرعان ما دارت به الدائرة وألقي به في السجن وصودرت أملاكه وأمواله. ويظهر أن الرجل كان يعيش في حال رغد وترف لا مثيل لهما.

لم تطل محنة ابن الخطيب فقد بعث السلطان أبو سالم إبراهيم المريني الشريف أبا القاسم التلمساني شفيعا في الغني بالله ووزيره ابن الخطيب. وبالفعل فقد أطلق سراح هذا الأخير وانتقل إلى المغرب. فالتحق أولاً بفاس حيث عومل معاملة تليق بمقامه، ثم استقر بسلا مستفيداً من كرم أبي سالم الذي أغدق عليه العطاء، ومتعه بالإقطاعات،

فكان يصله من مجبى سلا مرتب شهري قدره خمسمائة دينار من الفضة العشرية مع إعفائه وخدمه من كل مغرم أو ضريبة، وقد أشار في مناسبة أخرى إلى أن جرايته كانت تفوق هذا القدر. وبقي هنالك مشمولاً برعاية السلطان الذي استجاب لطلبه بشأن تحرير أمواله واسترجاع ضياعه بغرناطة في سنة 761، وأرسل لهذا الغرض مبعوثين إلى السلطان النصري.

دامت إقامة ابن الخطيب بسلا زهاء عامين تحدث عنهما كثيراً في كتابه *نفاضة الجراب في علالة الاغتراب*. وقد ألف خلالهما بالإضافة إلى الكتاب المذكور، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية ورقم الحلل في نظم الدول*. بقي السلطان الغني بالله يتطلع لاسترداد عرشه معولا تارة على مساندة المرينيين وتارة أخرى على الدعم القشتالي، وتمكن سنة 763 / 61 ـ 1362 من استرجاع سلطانته بفضلهما، فاستدعى ابن الخطيب من المغرب وكلفه باصطحاب أبنائه الذين بقوا بفاس.

عاد ابن الخطيب إلى غرناطة واسترجع نفوذه السابق، لكن السنة التي قضاها السلطان في استرداد ملكه (762 ـ 763) سمحت لأخرين بتولي مناصب مهمة في الدولة أمثال أبي الحسن بن علي بن يوسف والفقيه أبي عبد الله بن زمرك وشيخ الغزاة عثمان بن أبي يحي. فكان ابن الخطيب يعمل جهده من أجل استرداد حظوته لدى السلطان الغني بالله. والظاهر أن ذلك ما كان ليتم دون اللجوء إلى بعض الأساليب الغير المشروعة من سعايات ووشايات للسلطان، فضلاً عن ترهيبه من النفوذ الذي أصبح لشيخ الغزاة والخطر الذي يتهدد السلطان منه ومن رجاله. فاقتنع السلطان ونكب عثمان سنة 764.

ويبدو أن نفس الحكاية قد تكررت إبان لجوء ابن خلدون إلى غرناطة وسلطانها محمد الغني بالله الذي أكرم وفادته، وعهد إليه ببعض المهام منها سفارته إلى قشتالة التي كللت بالنجاح سنة 765. وكان ذلك من أسباب حظوته لديه، لكن سرعان ما بدأ ابن خلدون يحس بجفاء من السلطان وبتغير صديقه ابن الخطيب عليه وغيرته منه. فاستغل وورد رسالة من الأمير الحفصي أبي عبد الله صاحب بجاية يستدعيه فيها لحجابته فاستأذن السلطان النصري في الرحيل عن غرناطة عام 766.

تؤكد كثير من الأحداث والآثار التي تركها ابن الخطيب أنه بقدر ما أجاد في مجال التاريخ والأدب، وبقدر ما تألق في أمور الدولة فإنه أضاف إلى هذه المحاسن بعض المثالب في السلوك ربما كانت من أهم أسباب نكبته، فنجاحات الرجل وحرصه على استمرارها جعلته إنسانا عزيز النفس شديد الكبرياء، حقوداً متقلب المزاج والوفاء ناكراً للجميل لاذعا في الهجو والسخرية مبالغا في التملق والمداهنة، كما لو كان لانقلاب الأيام وإدبار الدولة وسقوطه من علياء المجد دور في تكوين شخصيته بعد أن تعاقبت عليه المحن.

صار لابن الخطيب بعد رجوعه إلى غرناطة اليد الطولى في تسيير أمور الدولة وهو ما يبرز في ترجمته "ثم رمى إليَّ بعد ذلك مقاليد رأيه ... فتأتي بمنة الله من صلاح السلطان وعفاف الحاشية ونشر الأمن وتثمير الجباية... وإصلاح بواطن الخاصة والعامة ما الله المجازي عليه..". لكن ما أصبح له من سلطان جعله هدفا للسعايات والشرور من لدن خصومه ومناوئيه من حاشية السلطان وكل من أساء إليه نفوذ ابن الخطيب المطلق. والظاهر أن هذه الأجواء قد نالت من نفسيته وبدأ يفكر جديا في الابتعاد عن الخدمة السلطانية والاعتزال. كما أن سلطانه تأثر بدوره بسعايات خصوم ابن الخطيب الذي أحس بذلك، ومن ثم فقد بدأ يفكر في الابتعاد عن الأندلس والاستقرار بالمغرب الأقصى الذي كانت له صلات وثيقة مع أمرائه وملوكه وكان يقدم السوابق في خدمتهم تحسبا لانقلاب الأحوال. ومن بين هؤلاء السلطان المريني عبد العزيز الذي ساعد ابن الخطيب على الهرب إلى المغرب. وقد حصل ذلك سنة 772 حينما طلب ابن الخطيب من الغني بالله أن يأذن له في زيارة الثغور الغربية فأذن له. فلما وصل إلى جبل طارق الذي كان يوجد في إيالة بني مرين تلقاه قائد الموقع وأجازه إلى سبتة، ثم التحق منها بتلمسان حيث كان يوجد السلطان أبو فارس عبد العزيز الذي أحسن استقباله وجعله من صدور مجلسه وأرسل إلى غرناطة سفيراً من أجل استقدام أسرته.

لم يغفر الغني بالله لابن الخطيب صنيعه ونقم عليه أكثر لما بلغ إلى علمه أنه يحرض السلطان المريني على غزو الأندلس، فأرسل هدايا فارهة إلى فارس بقصد استرجاع ابن الخطيب، وعززها بصكوك اتهام ابن الخطيب بالخروج عن أحكام الدين وبالزندقة كانت من تحرير خصمه اللدود القاضي أبي الحسن النُّباهي. لكن أبا فارس رفض تسليمه وثار لهذا الطلب. ثم أعاد الغني بالله المحاولة بعد وفاة السلطان المريني سنة 774 مع الوزير ابن غازي المستبد بالحكم آنذاك، لكنه رفض بدوره. حينئذ بدأ السلطان النصري يعمل على إثارة الاضطرابات داخل الدولة فأطلق الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن والوزير مسعود بن ماساي المعتقلين لديه، وجهز لهما جيشا نزلا به ناحية بطوية ثم تازا في أفق الاستيلاء على قاعدة الحكم. واستغل الغني بالله الفرصة ليحاصر جبل طارق، وليداخل صاحب سبتة محمد بن عثمان بن غازي بشأن مبايعة أحمد ابن أبي سالم المعتقل بطنجة ووعد بتقديم العون لهما وإمدادهما بعسكر من غزاة الأندلس.

انفتحت أمام الوزير ابن غازي حامي ابن الخطيب، جبهتان إذن كان من الصعب عليه الصمود أمامهما، خصوصاً وأن ابن الأحمر كان قد جعل الأميرين المرينين يتفقان على أن يصير لهما حكم أسلافهما أي أن فاساً وشمال المغرب سيكرن من نصيب أبي العباس أحمد بينما

وراء نهر أم الربيع لعبد الرحمن بن أبي يفلوسن.

هكذا تمكن أبو العباس من دخول فاس سنة 776، وقام رجاله بالاستيلاء على ضياع ابن الخطيب فهدموها وعاثوا فيها فساداً. ولم يكن مصير ابن الخطيب بأحسن من ذلك فـرعات ما ألقي عليه القبض وأودع بالسجن، وتمت مراسلة الغني بالله بالخبر، فأرسل وزيره ابن زمرك إلى فاس حيث استقبله أبو العباس وأحضر ابن الخطيب من معتقله وتليت عليه التهم المنسوبة إليه وأهمها الإلحاد والزندقة، فأفتى بعض الفقهاء فيه وامتحن بالعذاب أمام الملأ ثم أعيد إلى حبسه، وهناك تعاورته الأيدي وقتل خنقا، ثم دفن في الغد في مقبرة باب المحروق، وكما لو لم يكن ذلك كافيا فقد أخرج خصومه جثته بعد مواراتها التراب وأحرقوها إمعانا في التنكيل بصاحبها، وحصل ذلك في ربيع الأول أو ربيع الثاني عام 776 / غشت - شتنبر 1374.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، ج 4، القاهرة، 1977 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، ج 1، الرباط، 1978 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، ج 7، بيروت، د. ت ؛ م. عبد الله عنان، *لسان الدين بن الخطيب*، حياته وتراثه الفكري، القاهرة، 1968 ؛ م. التطواني، *ابن الخطيب من خلال كتبه*، تطوان، 1954 ؛ ع. العزيز بن عبد الله، *الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب*، تطوان، 1953 ؛ ج. الناصري، *ابن الخطيب بسلا*، سلا، 1988.

محمد فتحة

الخطيب، مَحمد بن **عبد الله** تاجر وأمين ونائب سلطاني، ينحدر من أسرة مرموقة ونشيطة، سبق أن استوطن أبناؤها الأولون مدينة تطوان، آثرين بذلك الحفاظ على عقيدتهم الإسلامية ومروءتهم، على التنصر والتمسك بديارهم وممتلكاتهم في الأندلس.

وإذا كان أحمد الرهوني في *عمدة الراوين* ومحمد داود في *تاريخ تطوان* لا يُخامرهما أدنى شك في الانتساب الأندلسي لآل الخطيب، فإن للباحث الفرنسي أ. جولي (A. Joly) وجهة نظر مُخالفة، إذ يستبعد في الدراسة التي أفردها لمدينة تطوان ونشرها بمجلة *الوثائق المغربية* هذا الانتساب، مُتبنيا الرواية التي سبق أن التقطها الرحّالة الإنجليزي بودجت مكين (Budget Meakin)، والتي مفادها أن أصل أسرة الخطيب من منطقة الريف، لا من الأندلس كما يزعم البعض.

ومهما يكن من أمر، وسيراً على نهج أقرانه ممن كان ينتمي إلى أسر ميسورة، في مجال التربية والتعليم، تسنى لمحمد الخطيب تعلم مبادئ القراءة والكتابة على بعض الفقهاء، بمسقط رأسه تطوان، ولا نعتقد أنه تعمق في تحصيله هذا، أو استغرق تعلمه سنوات طوالاً، بل سُرعان ما اجتذبه عالم المال والأعمال، فراح يتجر في المغرب وخارجه، متنقلا بين المغرب، وعدد من الحواضر التجارية الأوروبية الكبرى، كجنوة، ومرسليا، وجبل طارق الذي يبدو أنه عاش به ما يقرب من سبع عشرة سنة.

ثم توالت المهام والمناصب ففي سنة 1847، نجده يُمارس مهام الأمانة بمرسى طنجة. وفي مطلع سنة 1851، بعد وفاة عامل العرائش وطنجة، بوسلهام بن علي أزطوط، عُين نائباً عن السلطان بهذه المدينة الأخيرة وعاملاً عليها.

ولاشك أن التجربة الواسعة والعميقة التي كان قد اكتسبها في مجال التجارة والمُبادلات، ومعرفته للغتين على الأقل : الاسبانية والإيطالية، واحتكاكه بالتجار الأوربيين، ووقوفه في ديارهم على أساليبهم في العيش والعمل، كلها معطيات ومؤشرات عملت على تأهيله للاضطلاع بدور الوسيط بين السلطان ورؤساء المفوضيات الأوربية بطنجة. فهو الذي فاوض سفير بريطانيا العظمى بالمغرب، جون دراموندهي مُدَّة ثلاث سنوات ونيف، قبل التوصل إلى إبرام معاهدة سلم وصداقة واتفاقية تجارية وبحرية بين الجانبين، سنة 1856.

وكان النائب الخطيب هذا، يرى أن لا خير ولا فائدة للمغرب والمغاربة، في الدخول في صراعات ومواجهات مع الدول الأوربية، ناصحا بنهج سياسة الحوار والتفاوض، في حل ما قد يحدث من نزاعات ومشاكل بينها وبين المغرب، وتفادي المواجهة العسكرية مع أيّ كان، لاقتناعه الراسخ بالتفوق المادي والتقني الأوربي في شتى المجالات. وهذا ما يفسر جنوحه إلى السلم مع الإسبانيين حين نشب النزاع بين السلطات الاستعمارية الإسبانية بمدينة سبتة السليبة وأهالي قبيلة أنجرة المجاورين لها، حول ما رام الإسبانيون تشييده من بنيان في الحدود الفاصلة بين الجانبين، وقيام المغاربة بهدمه على الفور، إلاّ أن مساعيه لم تؤت أكلها، بسبب تعنت الجانب الإسباني وتشبثه بموقفه من جهة، وانقياد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن (1859 ـ 1873) لوجهة نظر ثلة من مساعديه الأقربين والرامية إلى مواجهة إسبانيا عسكريا، إن اقتضى الحال من جهة أخرى، وهو الأمر الذي نتج عنه تهميش الخطيب طيلة الفترة التي استغرقتها حرب تطوان بين المغرب وإسبانيا، وتعويضه بالأمين محمد الزبدي الرباطي، قبل أن يعفيه السلطان نهائياً من منصب نائبه بطنجة، ويُعين التاجر مَحمد برگاش الرباطي مكانه، في شهر يبراير 1861.

وبعد هذا، انصرف الخطيب طبعا إلى أعماله التجارية الخاصة، والتي تخللتها فترات كان يزاول خلالها مهام الأمانة بمرسى طنجة على الخصوص، بأمر من المخزن، كما نستشف ذلك مما ورد في وثيقة مخزنية، تحدثت عن الديون المترتبة على جماعة من التجار لفائدة المخزن بنفس المدينة، في أول محرم 1282، الموافق لشهري مايو يونيو 1865.

ومن سُخرية الأقدار وعجيب المُصادفات أنه هو نفسه، حين وافته منيتُه في 6 يناير 1872، كانت ذمته غارقة بالديون لفائدة المخزن، الأمر الذي استوجب تثقيف

ممتلكاته وعدم اقتسامها بين ورثته، إلا بعد استخراج المبالغ المالية التي كان التاجر المتوفى مديناً بها له.

خ. ح، كناش، 41، ص 1 : م. و. م. ر. محفظة طنجة، رقم 1 و2: م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 2 ص 296 : ج 3، ص 309 ، 310 ، و ص 349 : ج 4، ص 16، و124، و175 : ج بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، ج 1، ص 79 و 391.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome II, p. 279 - 290.

مصطفى الشابي

الخطيب، محمد العربي بن الحاج أحمد بن محمد ابن عبد الله الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي ثم التطواني من ذرية الشيخ أبي يعقوب البادسي الشهير.

الفقيه العدل الرضى المدرس الواعظ الصالح الصحفي الرائد. ولد بتطوان عام 1303 وقرأ بها القرآن والمتون المعتادة وأخذ عن علمائها كابن الأبار بالزاوية الحراقية، والزواقي والرهوني وغيرهم الفقه والنحو وغيرهما، وفي عام 1322 سافر إلى فاس وأخذ عن علمائها فقرأ على محمد أقصبي الفقه والعروض والمنطق، وعلى محمد بن محمد بناني : *الألفية* لابن مالك في النحو، وعلى عبد العزيز بناني : *جمع الجوامع* للسبكي في أصول الفقه، وعلى عبد الصمد كنون، وأبي شعيب الدكالي *الصحيحين* ومصطلح الحديث، وعلى عبد السلام الهواري، وأحمد بن المامون البلغيثي، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، وعبد الرحمن بن القرشي، وعبد السلام بن محمد بناني وغيرهم. واتصل بالشيخ ذائع الصيت محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه طريقته، واستفاد منه وكان يبشر بأفكاره وأشعاره وتآليفه بين طلبة بلده تطوان بفاس، فيأسى لإعراضهم عنه معتذرين بأنهم لا يفهمون ذلك. ثم رجع إلى تطوان عام 1327 وفي العام التالي رحل إلى مصر فأخذ بالأزهر عن بعض علمائه، ثم اتصل بالشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة *(المنار)* ودخل دار الدعوة والإرشاد ومكث بها عامين، وتأثر بمؤسسها ومدرسيها، ونهج نهجهم في كتابته وتدريسه كما أشار إلى ذلك في *أرجوزته القرآنية* شارحاً منهجه فيها فقال :

بنهج شيخه الإمام المرتضى   محمد رشيد من آل رضا

ثم عاد إلى مسقط رأسه وتعاطى التجارة والعدالة ثم انتقل إلى الدار البيضاء، واستوطنها وعين عدلاً بقصبة ابن أحمد عام 1339 وعرض عليه قضاء الدار البيضاء فاعتذر وسافر للحج وعرج في رجوعه على سورية ومصر واتصل بكثير من علماء الشام ومصر وزار شيخه رشيد رضا ومكث في رحلته هذه سنة عاد بعدها إلى تطوان وتزوج واستقر وعين أستاذاً من الدرجة الأولى بالمعهد الديني بالجامع الكبير كما عين بتاريخ 1920 أستاذاً بالمدرسة العربية الإسبانية بمرسوم ملكي اسباني. وكان قبله عين محرراً للقسم العربي من جريدة *(شمال افريقيا)* عام 1918 أوائل عهد الحماية. كما كان اختير لتحرير صحيفة *(الإصلاح)* التي كان يصدرها المجلس العلمي بتطوان وعين كاتبا له عام 1917 في 1 يناير / 6 ربيع الأول 1335 وانتهى به المطاف أستاذاً بالمعهد الديني إلى أن استقل المغرب فوجده قد جاوز سن التقاعد فأخر عن التعليم الرسمي وانقطع للوعظ والتذكير اينما حل وارتحل بصوته الجهوري وأسلوبه الواضح مخللاً كلامه دائما بما نظمه في *أرجوزته القرآنية* والإرشاد المفيد.

كتب في موضوعات عدة ووضع برنامج نظام للتعليم العام. وحرر محضر الجلسة الخامسة المخصصة لذلك وربما كان أول من حاول ذلك، وفيهما فوائد لحسن الاطلاع لمن يريد التأريخ للتعليم بالمغرب لأنها من الطلائع التنظيمية الأولى. وألف تفسير سورة البقرة سماه : *فتح الرحمن الرحيم* في مجلد، ونظم *الأرجوزة القرآنية في التوحيد والارشاد المفيد، ببعض معاني كلمة التوحيد*، وله نظم في أغراض مختلفة، عاش مقلا من الدنيا يسكن بالكراء، وحدثني أنه باع قطعة أرض - وهي كل ما كان يملك - أنفق ثمنها على طبع أرجوزته. وبعد الاستقلال عاش بصلة ملكية كريمة إلى أن وافاه الأجل زوال يوم الثلاثاء 20 ذي القعدة عام 1400 / 30 سبتمبر سنة 1980 بتطوان ودفن خارج باب المقابر رحمه الله.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط : م. الشاطبي ابن الحاج، *إسعاف الإخوان الراغبين*، الرباط : إ. الخطيب، *رائد الصحافة بالمغرب*، طبع تطوان.

الخطيب، محمد بن محمد بن عبد الله الأندلسي الشاطبي الزهيلي البادسي التطواني الأستاذ الكاتب الباحث الصحفي المناضل السفير المحنك.

ولد يوم الاثنين 8 جمادى الثانية عام 1332 / 2 ماي سنة 1914 بتطوان، ودرس بالمدرسة الأهلية بها، ثم انتقل ضمن وفد من الطلبة إلى مدينة نابلس بفلسطين حيث درس بمدرسة النجاح ذائعة الصيت حينئذ، ومنها انتقل إلى



القاهرة بمصر للدراسة، ثم إلى إسبانيا، ثم عاد إلى مسقط رأسه تطوان فكان من مؤسسي حزب الإصلاح الوطني، وتولى تحرير صحفه : *الحياة والحرية والأمة*. مع المشاركة في تحرير المجلات الأدبية وله فيها جولات وصولات، وامتحن على يد الاستعمار وسجن، فعاد بعد الإفراج عنه إلى النضال السياسي بالقلم واللسان إلى أن استقل المغرب، وأدمج حزب الإصلاح في حزب الاستقلال فعمل في صفوفه، وكتب في صحيفته *العلم* وملحقها الثقافي، ودخل العمل الإداري الحكومي فاختير للنيابة عن مدير التشريفات الملكية، ثم عاملاً على إقليم طنجة، وأخيراً عين سفيراً في كوبا، ثم في الأرجنتين لإتقانه اللغة الاسبانية وحنكته الدبلوماسية واستمر إلى أن أحيل على المعاش.

يمتاز بخلقه الفاضل وتدينه ونزاهته وصدق وطنيته وسيلان قلمه، وجودة تحليله لا سيما في المجال السياسي.

أصيب في آخر عمره بشلل تزايد به إلى أن أقعده عن الحركة. ورغم ذلك صمم على الحج والزيارة فأدى مناسكهما على مقعد متحرك ذهابا وإيابا من تطوان وإليها.

أسلم الروحَ لبارئها صباح يوم الخميس 10 محرم عام 1414 / 1 يوليوز سنة 1993 بتطوان ودفن بمقبرة سيدي المنظري.

أ. الرهوني، عمدة *الراوين* في 3 / 77 / و80. مخطوط ؛ شكيب أرسلان، حواشي الأمير شكيب أرسلان على حاضر *العالم الإسلامي*، 2 / 47، ط. الحلبي بمصر ؛ إ. الخطيب، محمد العربي *الخطيب رائد الصحافة بالمغرب*. ص. 57 . ط. تطوان.

الخطيب، موسى الزهيلي البادسي الأندلسي ثم التطواني الفقيه العلامة القاضي، وهو خامس مَن عُرف من قضاة تطوان بعد بنائها الأخير، وربما كان أولُ قاضٍ معروف هو أبو عبد الله محمد الرزيني الأندلسي المتوفى سنة 934 يليه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الكراسي الأندلسي المتوفى سنة 964 يليه أبو الحسن علي الزياتي من تلاميذ أبي حامد العربي الفاسي يليه أبو القاسم بن عبد الكبير البادسي شارح *تحفة ابن عاصم*، و*رائية الشريشي* في التصوف.

أما المترجم له فقد عثر على وثيقة تحمل خطابه مؤرخة بعام 1038 هـ وتوفي بعد هذا التاريخ.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 / 152. ط. الرباط ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 6 / 174، مخطوط ؛ م. داود. *تاريخ تطوان*، 1 / 448.

محمد بوخبزة

الخفارة، حفظ المسافر أو المتنقل عموما وحمايته وضمان سلامته ومروره، والخفارة (بضم الخاء) هي ما يدفعه المار أو المسافر لمن يخفره ويحميه أثناء مروره من مناطق مخوفة بسبب قطاع الطرق (*رحلة العبدري*، 278)، والخفارة هي ما عرف في ما بعد العصر الوسيط "بالزطاطة"، وهي حرفة كان يمتهنها أشخاص موثوق بهم وبقدراتهم وكفاءتهم. وتتم العملية بالاتفاق ما بين مسافر أو جماعة مسافرين أو قافلة وبين الخفير حول الأجرة والطريق المراد سلوكه وشروط أخرى. ويبدو من الإشارات القليلة المتناثرة في المصادر التاريخية أن الخفارة كانت باهضة، حتى إن العدد القليل من المسافرين لا يستطيع أداءها. فيضطر لتأجيل السفر إلى أن يكبر العدد وبالتالي تنخفض قيمة الخفارة بالنسبة للمسافر ؛ يقول العبدري في رحلته : "... فألفينا قافلة تخرج وهي كثيرة تزيد على الألف وقال لنا قائل على الباب إن لهم في محاولة الخروج نحوا من ثلاثة أشهر حتى تسنى لهم بخفارة على أداء خفارة..." (*رحلة العبدري*) ؛ والغالب من قراءتنا لرحلة العبدري ولرحلات أخرى أن الخفارة ترتفع قيمتها أو تنخفض بحسب المكان والزمان ففي فترة الأمن والاستقرار وسيادة السلطة المركزية والجهوية تضعف الخفارة إن لم تختف، فالحاجة إلى الخفر والخفارة تنعدم أو تقل، ولنا في عهد يعقوب المنصور الموحدي خير مثال : إذ جاء في *البيان المغرب* القسم الموحدي إن الضعينة في عهد يعقوب المنصور كانت تسافر من قرطبة إلى برقة دون أن يتعرض لها أحد بسوء ؛ والضعينة هي المرأة المنفردة (*البيان*، 3 : 218 و 355 ؛ *الاستقصا*، 2 : 198).

أما في فترات الاضطرابات وانعدام الأمن، وهي في الغالب الأعم تعقب فترة حكم مركزي قوي فالطلب على الخفر والخفارة يرتفع وبالتالي تصبح قيمتها مرتفعة، هذا عن الزمان، أما المكان فكل مكان مضطرب ينشط فيه قطاع الطرق كالصحاري، والمسالك التجارية الكبرى والممرات والخوانق مثل الطرق الصحراوية التي تنشط فيها القوافل القادمة والذاهبة إلى السودان والمحملة بالتبر، ومثل ممر تازة، والممرات الجبلية في جبال درن وفازاز وغمارة وغيرها.

استمرت هذه الخدمة أو الحرفة إلى بداية القرن الماضي تحت اسم آخر هو "الزطاطة" أو "الزطاط" ولعلها بدأت منذ القرن العاشر (16 م) فالحسن الوزان ذكر في أكثر من مكان أن المسافرين يستأجرون أشخاصاً مسلحين لحمايتهم في تنقلاتهم واجتيازهم لأماكن معينة، إلا أنه لم يعط للعملية اسما خاصا بها، ومن قراءتنا *لوصف إفريقيا* يمكن أن نضع لائحة بأسماء الأماكن التي كان المرور بها خاضعاً لابتزاز القبائل وقطاع الطرق، ويحتاج اجتيازها للخفارة والخفر أو "الزطاطة".

توهم بعض الدارسين عندما جعل اسم مدينة سطات من الزطاطة، فكلمة الزطاطة لا نعتقد أنها عربية بل أمازيغية "أزطاط" وليس في الأمر تحريف لأن البربر ينطقون "السين" "زايا" أحيانا وليس العكس، فسطات ـ حسب اجتهاد

شخصي وبالمقارنة مع أسماء الأماكن المجاورة بل ومع المجال القبلي الذي توجد فيه مدينة سطات وهو "المزامزة" - مشتقة من قبيلة سطة البربرية وقد كانت موجودة في المنطقة عند انتقالها من جنوب المغرب إلى شماله (*العبر*، 6 : 206)، ومن جهة أخرى فأماكن نشاط الزطاطة كما أسلفنا كثيرة ولم يحمل أي منها اسم الزطاطة أو حتى معناها أو تشبيهاتها.

العبدري الحيحي، *رحلة العبدري*، الرباط، 1968 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1948 ؛ *البيان المغرب*، تطوان، 1960 ؛ ع. ابن خلدون، العبر، الجزء 6، بيروت، د.ت. ؛ أ. الناصري السلاوي، كتاب *الاستقصا*...، الدار البيضاء، 1954، الأجزاء 4 و5 و6 ؛ ع. الوهاب بنمصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968، الجزء الأول ؛ م. الطويل، *التنقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط* (أطروحة)، مرقونة، كلية الآداب بالرباط سنة 1998.

محمد حجاج الطويل

الخْلاص، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سُماتة الهبطية، وقد انقرضت بتطوان سنة 1270 / 1854.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 623.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن خلاص، حسن بن أحمد السبتي. أصله من بلنسية ويذكر أنه كان واليا على إشبيلية لأبي عبد الله محمد ابن هود لكنه نقض بيعته، فرحل مع وفد إشبيلي إلى بر العدوة لتقديم البيعة لعبد الواحد بن أبي العلاء الملقب بالرشيد الخليفة الموحدي، وذلك حوالي سنة 635 / 1237 - 1238 (*العبر*، 6 : 536) فاختاره الرشيد ليتولى ديوان سبتة. وأثناء قيامه بمهمته أبان ابن خلاص عن كفاءته في ضبط أمور إدارته وعن إخلاصه وتفانيه في خدمة الخليفة الموحدي، فكان رد فعل هذا الأخير أن نصبه واليا على سبتة بدلاً من أبي العباس الموحدي والي غمارة الذي كان قد تولى أمور المدينة بدعوة من أهلها عقب ثورتهم على أميرها السابق أبي العباس الينشتي. تسلم ابن خلاص إمارة سبتة في سنة 635 / 37 - 1238 (*العبر*، 6 : 614 ; Ceura, 92) وفي سبتة 640 / 42 - 1243 توفي الرشيد وتولى الخلافة أبو الحسن المعتضد بالله المدعو بالسعيد، فاغتنم ابن خلاص الفرصة لإعلان تمرده وخروجه عن الدولة الموحدية التي كانت تعيش آخر فترات عمرها بعد أن فقدت الكثير من ممتلكاتها كنتيجة لفشلها في مواجهة الخطر المسيحي في الأندلس وسواحل الغرب الإسلامي وردع القوى الجديدة التي أخذت تنازع الموحدين في ممتلكاتهم شرقاً (حفصيين وزيانيين) وغرباً (بني مرين) (... Ceura, 82).

أمام تدهور الوضع الأمني واشتعال فتيل الفتنة - خصوصاً بعد انتشار بني مرين ومن معهم من أحلافهم العرب في سهول الغرب - استقل ابن خلاص في البداية بحكم سبتة قبل أن يعلن تبعيته للخلافة الحفصية في إفريقية في شخص الأمير أبي زكريا الحفصي الذي كان يتقلد الزعامة العسكرية والسياسية في منطقة الغرب الإسلامي خصوصاً بعد انتصاره على يغمراسن الزياني صاحب تلمسان. ولم تكن سبتة المدينة الموحدية الساحلية الوحيدة التي ارتمت في أحضان الحفصيين بحثا عن الحماية والدعم العسكري أمام تزايد شبح الخطر المسيحي، بل سبقتها إلى ذلك إشبيلية، ثم تلتها طنجة والقصر الكبير (*العبر*، 6 : 614 ؛ *البيان*، 360 ؛ La Berbérie : 1,33). ففي سنة 640 / 42 - 1243 يحدثنا ابن أبي زرع عن سقوط ستة حصون مسلمة تباعاً في الجهة الشرقية من إسبانيا (*الذخيرة*، 61).

لا ندري طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين ابن خلاص وبني مرين في سهول الهبط سوى ما يذكره ابن أبي زرع من أنه في سنة 643 / 45 - 1246 حينما اشتدت وطأة المسيحيين في تهديد إشبيلية، أراد الأمير يعقوب بن عبد الحق الجواز إلى الأندلس عبر سبتة قصد الجهاد. إلا أن أخاه أبا بكر كتب إلى ابن خلاص ليمنعه من الجواز إلى حين فتح مراكش والقضاء على دولة بني عبد المؤمن (*الذخيرة*، 67).

في خضم هذه الأحداث تحولت سبتة إلى إمارة حفصية بإدارة ابن خلاص، إلا أن هذه التبعية لم تكن تتجاوز ذكر اسم الخليفة الحفصي أبي زكريا في خطب الجمعية وتبادل الهدايا والوفود. ولعل أهم السفارات، تلك التي أرسل فيها ابنه أبا القاسم بصحبة الأديب الشاعر إبراهيم ابن سهل في أسطول أنشأه لهذه الغاية أسماه "بالميمون". إلا أن هذه السفارة لم تصل إلى مبتغاها بعد أن جرفت عاصفة هوجاء المركب فأغرقته بمن فيه. (*العبر*، 6 : 618 ؛ *البيان*، 378). ثم بعد سنين قليلة من هذا الحدث جهز ابن خلاص سفارة ثانية ترأسها بنفسه واختار لرحلته الأسطول الذي كان يقوده القائد أبو الربيع بن الغز يغير. وهي الرحلة التي لم يعد منها، بحيث توفي فجأة في مرسى وهران، أول محطة استراحة توقفت بها السفارة في طريقها إلى الحضرة الحفصية. وكانت وفاته يوم السبت من جمادى الأولى سنة 646 / 48 - 1249. ونقل إلى بجاية فدفن بها (*العبر*، 6 : 615 ؛ *الذخيرة*، 73).

عُرف ابن خلاص بتشجيعه للعلم والأدب بحيث استطاعت سبتة أن تحافظ أيام إيالته على موقعها كقبلة للعلماء والأدباء، وكمركز إشعاع فكري في منطقة الغرب الإسلامي. فمن أهم الأدباء الذين وفدوا على سبتة أيام حكمه عليها الأديب الشاعر إبراهيم ابن سهل الإسرائيلي الإشبيلي الذي تبوأ منزلة خاصة لدى ابن خلاص. فولاه

كتابة ديوانه (*فوات*، 1 : 41) ويلاحظ النقاد أن لقب "الكاتب" الذي أصبح لاصقا باسم ابن سهل يرجع إلى هذه الفترة من حياته. كما اعتبرت الفترة التي قضاها في ظل ابن خلاص من أخصب حياته الإنتاجية والإبداعية. لقد أبدع في مدح ابن خلاص صاحب النعم عليه وخصه بقصائد جميلة أثارت انتباه معاصريه. كما مدح ابنه أبا القاسم ورثى أمه.

اعتنى ابن خلاص أيضاً بالعلماء، واستقدم عدداً منهم - خصوصاً من الأندلس - إلى حضرته بسبتة كالراوية محمد ابن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان من أهل مرسية. قدم سبتة في حدود سنة 640 / 42 - 1243، فأكرم ابن خلاص وفادته وخصه بحظوة كبيرة (*الإحاطة*، 2 : 348 ؛ *الذيل*، 4 : 236 ؛ *الحركة* : 286).

وفي أيام حكمه وصل الفيلسوف المتصوف عبد الحق ابن سبعين المرسي إلى سبتة، وألف بها كتابه "*بد العارف*" الذي لقي معارضه عنيفة من طرف مفكري عصره (*المقصد*، 69). وأثناء إقامته بسبتة أرسل الامبراطور فريدريك الثاني بأسئلته الفلسفية الأربع المعروفة "بالمسائل الصقلية" وكان قد وجهها إلى علماء في المشرق، فلم يتلق عليها ردوداً مقنعة، فأرسل بها إلى الخليفة الموحدي أبي محمد عبد الواحد الرشيد الذي أمر حاكم سبتة ابن خلاص بأن يرسل بها إلى ابن سبعين ليجيب عنها (*الإحاطة*، 4 : 34).

يقال إن الأمبراطور فريدريك الثاني أرسل سفينة بها هدايا وأموال فاستدعى ابن خلاص الفيلسوف ابن سبعين لينقد إليه المال لكن ابن سبعين رفض المال وألزم نفسه الإجابة عن الأسئلة، ثم لما بلغت الأجوبة الامبراطور رضي عنها وأرسل إليه هدايا ذات قيمة لكن ابن سبعين رفضها للمرة الثانية، وكأن ابن سبعين أراد من وراء ذلك إظهار ترفع نفسه عن الماديات وبالتالي إظهار تفوق الإسلام على النصرانية (ابن سبعين، 110).

يلاحظ النقاد أن ابن خلاص اشتم من أجوبة ابن سبعين عن المسائل الصقلية أن الرجل فيلسوف لذا أجبره على مغادرة سبتة (ابن سبعين، 46 ؛ *المقصد*، 34).

ع. الحق البادسي، *المقصد الشريف*، تح. س. أحمد أعراب، الرباط، 1402 / 1982 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة بن أخبار غرناطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، الجزء الثاني، 1394 / 1974، الجزء الرابع، 1397 / 1977 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، بيروت، المجلد السادس، 1959 ؛ ابن سهل الإشبيلي، *ديوان ابن سهل*، تح. محمد قربعة، 1985 ؛ ابن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات*، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، الجزء الأول ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. إحسان عباس، بيروت، السفر الرابع ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، بيروت، 1406 / 1985؛ إ. الخطيب، *الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع*، تطوان، 1406 / 1986.

Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècles : Essai de reconstitution de la civilisation musulmane*. Thèse de doctorat de 3ème cycle, Aix-Marseille I, 1987 ; R. Brunschvig, *La Berbérie orientale sous les Hafsides*, Paris, 1947, T. I.

زليخة بنرمضان

الخلجان البحرية ← سواحل المغرب

ابن **خلخال**، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادراس بإقليم تطوان، انتقلت إلى تطوان وأنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم :

ابن **خلخال، عبد الرزاق** بن المختار، زاول خطة العدالة بمدينة تطوان سنة 1123 / 1711.

ابن **خلخال، محمد** بن عبد الرزاق، زاول نفس الخطة سنة 1159 / 1746.

ابن **خلخال، المفضل** بن النادي، زاول نفس الخطة سنة 1189 / 1775.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 231.

محمد ابن عزوز حكيم

الخلخال، حلي تزين به ساق النساء ويُصنع من الفضة أو الذهب، يأخذ شكلاً دائرياً غير مكتمل ينتهي بكعبين كبيرين بينما تكون الواجهة مصفحة ومزينة بأعداد وأشكال مختلفة من النقوش، ويسمى الزوج المتشابه منها توأماً، وتضعها النساء في أرجلهن عند ملتقى الساق والقدم، يشيع استعمالها بشكل واسع في المناطق الصحراوية ومنذ زمن بعيد في إفريقيا الغربية والسودان وشمال إفريقيا عموماً.

يعتبر الخلخال من أهم مكونات وعناصر الحفول لدى المرأة في هاته المناطق (الحفول : *معلمة*) إذ يسمح بتمديد الزينة حتى أسفل السيقان ويسمح للمرأة في أماكن تعتمد على الترحال خاصة بنقل هذه الملكية الهامة من الفضة دون عناء، ما دامت الفضة هي المادة الرئيسية التي يُصنع منها الحلي بالمناطق الجنوبية كما تشهد على ذلك وثائق ترجع إلى القرن الثاني عشر (18م) على الأقل، فإن الخلخال يختزن قدراً مهما من الفضة الخالصة إذ يبلغ وزن الواحد

منها 300 غرام تقريباً (A. Puigoudeau: 40).

ما تزال العديد من النساء، إلى الآن يستعملن الخلخال للزينة رغم تراجع ارتدائه بسبب كثافة الاعتماد على الحلي الذهبية.

O du Puiguadeau, *Arts et coutumes des Maures*, H.-T., 1970.

أحمد جوماني

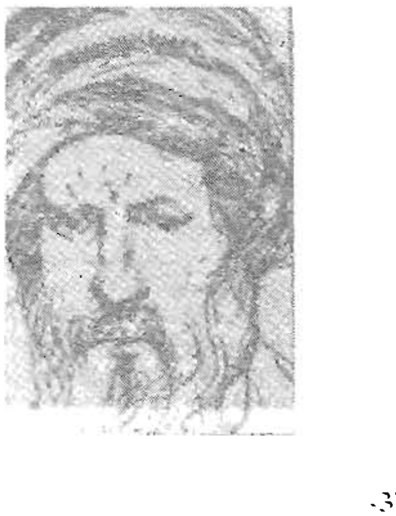
الخلخلي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة وادْراسْ الواقعة بين تطوان وطنجة ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1609.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خلدون، عبد الرحمان** بن محمد الحضرمي، أبو زيد، رجل سياسة مؤرخ مغربي. ولد بتونس في فاتح رمضان عام 732 / 27 مايو 1332، وتوفي بالقاهرة في 25 رمضان عام 808 / 17 مارس 1406.

مافتئ ابن خلدون يستأثر باهتمام الباحثين المعاصرين من مؤرخين وعلماء اجتماع ومتخصصين في الأنطروبولوجيا. كان النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي وهو العهد الذي استغرق معظم حياته شاباً ومكتهلاً عهد تحول في تاريخ المغرب والإسلام. تميز على الصعيد الثقافي بتنامي التصوف في أوساط كانت تتسع يوماً بعد يوم لدى سكان الحواضر والبوادي على السواء، وتميز بميل العلماء إلى الموسوعية والعصامية والأسلوب المدرسي، وتميز بتقوي المذهب السنّي في سماته المالكية والحنبلية الجديدة. أما على الصعيد السياسي فقد عرف هذا العهد، من جهة آخر المحاولات التي بذلت لتكوين إمبراطورية في الشمال الإفريقي. ومن جهة، آخر تقدم زحف الترك على بلدان الشرق الأوسط، في وقت كانت فيه أوروبا



قد أخذت تتجاوز تأخرها التكنولوجي والثقافي وتنطلق في مغامرة الحداثة.

تعتبر أعمال ابن خلدون، من جانبيها الأنطروبولوجي والتاريخي، واحدة من أكثر المحاولات نجاحاً في العصر الوسيط من أجل تقديم نظرة تركيبية عن المجتمع والثقافة الإسلاميين في إطار التاريخ الكوني. فابن خلدون قد تمكن، ودون أن يحدث قطيعة مع تقاليد الاسطوغرافية العربية الإسلامية، من أن يأتي بمستجدات مهمة في نظرة العلوم الاجتماعية والتاريخية، مسجلا بذلك مرحلة بارزة في تطور الفكر الأنطروبولوجي والتاريخي بين العصر القديم والعصر الحديث.

العالم ورجل السياسة : من ماجريات حياة ابن خلدون الحافلة التي قضى جزءاً منها ببلاد المغرب وجزءاً منها بمصر، نستطيع أن نبرز جانبين حاسمين كان لهما وقع على شخصيته وعلى مصيره، ولم يحظيا لحد الآن إلا بقليل من التناول. يتعلق الأمر الأول بانقراض أسرته في وباء الطاعون العظيم الذي ضرب مدينة تونس 9 . 1348، أما الحدث الثاني فله علاقة بانقطاعه عن طلب العلم في سن السادسة عشرة، ولم يتمكن بعد ذلك العودة إلى الدرس بكيفية منتظمة. فقد عانى اجتثاثاً من أصله وقاسى أحوال الغربة في القاهرة حيث لم يقبل يوماً ما أن يتجرد من لباسه المغربي ولا أن يتخذ الكتابة المشرقية، وكان قبل ذلك من قد خاب مسعاه في الاستقرار بفاس وبغرناطة وبتلمسان وبتونس. فهو لم يتمكن في شبابه من استكمال طلب العلم إلى النهاية ليتحرج في علوم الدين أو الفقه أو العلوم العقلية، ولكنه حصّل مع ذلك اطلاعا واسعاً على الثقافة بعصاميته قبل كل شيء.

إن قراءة نبيهة في ترجمته الذاتية التي ختم بها مؤلفه العظيم *كتاب العبر*، تبين بوضوح أن هذه الترجمة قد صيغت لتكون دفاعا مزدوجا عن أصوله الأرستقراطية من جهة وعن التكوين الرفيع الذي تلقاه على يد أبيه وعلى أيدي كبار الشيوخ في بلاد المغرب. وكان التكوين مع أخيه يحيى من آخر عقب أسرة عربية عريقة في المجد، هاجرت إلى الأندلس حيث كان لبعض أقاربه منازل في السياسة ومشيخة العلم، ثم هاجرت إلى إفريقية حيث كان جده الأعلى قد تولى منصب صاحب الأشغال، بمثابة وزير المالية اليوم؛ وهذه أمور لاشك في صحتها.

وكما لا يشك فيه أيضاً أنه بعد أن عصف الطاعون الأسود بأهله، لم يبق بتونس من آل ابن خلدون إلا هو وأخوه الأصغر يحيى وأخ بكر آخر. وبينما نجد اسم يحيى يتردد في ترجمة ابن خلدون لنفسه، فإننا لانجد ذكراً لأخيه الآخر محمد، ولعله مات قبيل هجرة عبد الرحمان إلى المغرب الأقصى. وهكذا وجد ابن خلدون نفسه في سنة الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين ممثلاً لأسرة ذات ماض مجيد ولكنها آلت إلى الانقراض. وتتعدد الشواهد

في كتابات ابن خلدون على تحمله لتبعات ذلك المصير بنخوة وإباء. ولكن ذلك الواقع وسمه بميسمين في شخصه وسلوكه : حب طاغ للعظمة حتى إنه يظهر وكأنه لا يتصور لحياته مجالاً خارج بلاطات السلاطين.

إن تحليل سيرة ابن خلدون الذاتية يبرز أن مدة طلبه كانت قصيرة لم يخرج منها في سن السادسة عشرة إلا بتكوين عام في اللغة والأدب وعلوم الفقه والدين. أما ما تلقاه من العلوم بعد ذلك، بعد غزو أبي الحسن المريني لتونس وأثناء الطاعون الأسود فإنما كان على حسب الصدف التي جمعته ببعض العلماء. ولاشك أن انتماءه لأسرة سياسية مهد له تلقي ما بروح في وسطه من المعارف، ولكنه لم يستكمل الاختصاص في ميدان من الميادين. فعلمه في الفقه محدود، وأكثر معارفه في موضوع السيرة النبوية وعلوم القرآن واللغة والأدب دون أن يكون له في أي من هذه المواضيع رسوخ. وقد قضى عامين أو ثلاثة أعوام يتتلمذ للآبلي، ولكن تلك المدة كانت غير كافية للتعمق في موضوع صعب متشعب هو ميدان الفلسفة. فاستقلال ابن عرفة لمعلومات ابن خلدون في الفقه (ع. بدوي، *مؤلفات ابن خلدون*، 292 ـ 298) وهو الذي كرس كل حياته لدراسة الفقه، والتشكك الذي كان يواجه به المصريون معارفه في علوم الدين وعلوم الفلسفة لم تكن أموراً غير مبررة. فقد لقيه في مصر عالم مغربي اسمه الركراكي وأصدر عليه حكماً قاسياً لا يخلو من أساس وإن كان مما يصدم القارئ. فقد قال إنه جاهل بأمور الدين، له بضاعة في العلوم العقلية ولكنه غير مبرز فيها. ولكن حديثه جذاب، بل إنه أطرف من حديث شمس الدين الغماري (المرجع المذكور، ص. 281).

إن المعارف الموسوعية التي أتى بها ابن خلدون في مقدمة تاريخه، ليست مما حصل من حلقات الدرس أو أنواء جلة الشيوخ الذين لقيهم في أسفاره الطويلة للطلب، ولكنها ثمرة مجهود شخصي ومن قراءات فردية. إن كتاباته الأولى تظهر ميله لعلوم النظر : من كلام ومنطق ورياضيات. وأول كتبه المعروفة هو *لباب المحصّل* الذي أنهاه عام 752 / 1351 في مدينة تونس، وهو حاشية على كتاب *المحصّل في الكلام* للفخر الرازي. وقد نسب إليه ابن الخطيب مختصرات لبعض كتب ابن رشد، دون أي يذكر ماهي. كما نسب له نبذاً في المنطق وكتابا في الحساب. وفي النبذة التي خصه بها ابن الأحمر في كتابه *نثير فرائد الجمان*، ذكر أن ابن خلدون كان له باع في المنطق والفلك وكل ماله علاقة بعلوم النظر. ولكنه في الحقيقة لم يكن متوغلاً في هذه العلوم.

لا نعلم الشيء الكثير عن بدايات اهتمامه بالتاريخ، إلا ما كان من إشارة عند أحد الذين ترجموا له عندما قال : كان له علم بالتواريخ قديمها وحديثها. أما ابن خلدون فلم يشر إلى أي كتاب في التاريخ ضمن مقروءاته، إلا ما كان من سيرة ابن إسحاق. وهكذا يمكن أن تفترض بشيء من الوثوق أن مشروع ابن خلدون لكتابة التاريخ كان غامضاً في البداية ثم أخذ يتبلور لديه بالتدريج في عزلة ثقافية تامة. فإلى غاية وضع الصيغة الأولى المندمجة للمقدمة في قلعة بني سلامة، وهو يذكر أنه عاش تلك المرحلة في حماس (*التعريف*، 229 ؛ *رحلة ابن خلدون غرباً وشرقاً*، ص. 142)، لم يبد عنه ما يكشف سره.

فابن خلدون إلى جانب حنينه إلى مجد أسرته الغابر، وعصاميته في التكوين، كان أيضاً فكراً متوزعاً، فتراه تارة منجذباً نحو الطموح السياسي وتارة إلى حب العلم، ولم يظهر إلى نهاية حياته ما يدل على أنه تخلى تماماً عن أحد هذين الميلين.

ومما له مغزى في هذا الشأن كونه وجد هذا التردد بين "العلم" و"السياسة" في تاريخ أسرته نفسها، ويحلو له أن يلحظ ذينك الاتجاهين. فهو يذكر تذكيراً لا يخلو من افتخار بأن بني خلدون كانوا في إشبيلية بمكانة رفيعة بين العلماء والرؤساء على السواء. فهو على سبيل المثال (*التعريف*، ص. 3 ؛ *الرحلة*، 35 ؛ *المقدمة* ؛ *نشرة وافي*، 30 ـ 1129) يذكر غير ما مرة اسم أبي مسلم عمر ابن خلدون الذي كان على ما يبدو فيلسوفا معروفاً بالأندلس، وكان تلميذاً لمسلمة المجريطي، وأقرب من هذا الأخير إلى عهد مترجمنا كان جده بعد أن شغل مناصب مثل الحجابة وقيادة الجيش لدى الحفصيين، ولكنه قرر في أخريات أيامه أن ينقطع عن الدنيا ويتكرس لحياة الزهد. أما والده محمد فقد آثر الانقطاع إلى العلوم والعزوف عن حياة الفروسية وخدمة الأمراء (*التعريف*، ص. 14 ؛ *الرحلة*، ص. 44).

يظهر أن ابن خلدون قد استهوته في شبابه المعالي، ولكنه لم ينفك يراود فكره ما يشكل في نظره المجد الحقيقي مثل "تزكية النفس" ولكن الطموح السياسي هو أول ما ظهر لديه، على الأقل في معظم مدة إقامته ببلاد المغرب حيث نراه يتقلب في البلدان وينتقل بين الرؤساء، وحيث نجده في بعض الأحيان متورطا في بعض الانقلابات التي عرفتها البلاطات حتى إنه اتهم بالضلوع في التآمر على أمراء كان متدرجاً في خدمتهم. ومع هذا كله لم يشغل منصباً بسلطة كاملة التفويض إلا مرة واحدة. وبالرغم من أنه يتباهى في فخر بأنه كان محل الثقة الذين الأسياد الذي تقرب منهم وبأنه قام بالخدمة عندهم بالخدمة أحسن قيام، فإنه لم يكن يستمر في مقام واحد، وكان كثير الشكوى مما كان يجره عليه ذلك القرب من حسد الحساد ومكائدهم، فهو لم يتقلد مناصب رسمية إلا في مدة لا تتجاوز خمس سنوات من مجموع مدة ثلاثين سنة التي قضاها في تلك الحكام ببلاد المغرب. غير أنه في أقصى مدى ما امتدت إليه مغامرته السياسية نجده وقد غلب عليه التردد والإحجام والميل إلى الحذر، كما لو كان يتحفظ تحسبا لتقلد ما هو أخطر من المهمات وإدراك ما هو أسمى من

الغايات.

فالبرغم من الكارثة التي نزلت بأسرة ابن خلدون عندما غرقت في البحر في عرض الإسكندرية، وبالرغم في العداء الذي واجهه عندما تقلد منصب قاضي قضاة المالكية في مصر، فإن إقامته بمصر لمدة ثلاث وعشرين سنة هي بالنسبة إليه عهد الاستقرار والإثمار، فقد ذكر وكأن كل أمانيه قد تحققت، فهو إن كان بعيداً عن شؤون السياسة، كان يتمتع بتقدير الحكام وحظوتهم، ووجد في خزائن كتب مصر وثائقها ما كان بحاجة إليه لمتابعة أبحاثه، وتصدى للتعليم في معاهد عديدة بفضل شد عضده من جهة ولي نعمته السلطان الظاهر برقوق، فقد كانت المدة التي شغل فيها منصب قاضي القضاة لا تتعدى خمس سنوات. لم تكن هذه المهمة سياسية ولكنها كانت من أعظم الخطط في الدولة ومتقلدها ممن يحضرون مجلس السلطان. يذكر لنا ابن خلدون أنه لم يقبل توليها إلا بعد إلحاح السلطان المملوكي. وسواء صح هذا الزعم أم لم يصح فإن المتولى قد أخذ مهمته مأخذ الجد. فإذا كان الغالب عليه في السياسة هو الحس العملي والواقعي فإنه قد برهن في منصب القضاء، على الحزم والصرامة. فخطة الأحكام في مدينة باتساع القاهرة كانت مهمة معقدة ومدخولة بالفساد. وقد وقف ابن خلدون على عيبين كبيرين من عيوبها : فساد الشهود وتلاعب المفتين الموكول لهم دور كبير في الأحكام. وقد شجب ابن خلدون ذلك الفساد وسهر على تطبيق أحكام الشرع، وهو غير عابئ بالمآخذ ضده ولا بالجاه المعروض عليه، لا يهمه إلا إحقاق الحق وإنصاف الضعيف والمظلوم، وبالرغم مما أحدثته صرامته من الحنق عليه فقد ظل صامداً لا يلين مدة عشرة أشهر التي قضاها في ممارسة الخطة التي أسندت إليه، ولم يدع لخطة جديدة إلا بعد مضي أربع عشرة سنة، وقد أعفي منها بعد ما لا يزيد إلا قليلاً عن عام واحد وذلك بسبب العداء المترتب عن مواقفه المتصلبة. ثم دعي أربع مرات أخرى لتولي المناصب إلى أن توفي وهو متقلد لخطة منها.

عندما يجري الحديث عن ابن خلدون كرجل سياسة، فقد نتصور حياة مليئة بأعمال تتصل بممارسة الحكم، بيد أننا عندما نتمعن في ما جريات حياته على تواليها فإننا نفاجأ بكونه لم يقض في ممارسة مهمات رسمية سوى عشرة أعوام من جملة أربعة وخمسين عاماً من الحياة العامة. ولعل الذي يوحي بالانطباع المذكور هو الشعور المترسخ لديه هو نفسه حول مصيره وتصوره له بناء على أمجاده وهو شعور يمرره لكل من يقرأ حكاية سيرته الذاتية. فقد ظهر وكأنه لا يتصور لنفسه حياة إلا في بحبوحة الرئاسة العليا، فكان البديلان عنده في غاية البساطة : إما حياة البلاط والقرب من الملوك وإما حياة الانقطاع والتفرغ للعلم.

وإذا كان ميله للعلم من القوة بحيث تغلب في الأخير على طموحه السياسي وهو لم يبلغ بعد سن الخمسين وأبواب السلطان ما تزال مشرعة أمامه، فهو لم يتقبل أن يكون عالماً عادياً. ففي تخصص يمكنه أن يلمع وكيف يحقق فيه التبريز في عصر كان بالأساس عصر تقليد، تهمين عليه النزعة السنية، وحيث ساد الاقتناع بأن علوم الدين والفقه قد بلغت الأوج، وحيث العلوم المسماة بـ "العقلية"، وإن لم تكن منبوذة، قد كانت محفوفة بالشبهات. كانت المحاولة الأولى التي قام بها ابن خلدون للوصول إلى الشهرة بعد محاولات في أول شبابه لم يحالفها إلا نجاح طفيف في ميدان علوم الدين والفلسفة، مرتبطة بشكل يثير الفضول، بنقاش حول التربية الصوفية، وهي من حيث المبدأ بعيدة عن كل الانشغالات الدنيوية. ويبدو أن ابن خلدون أثناء مقامه بفاس ما بين عام 774 وعام 776 (1372 ـ 1374)، أي ما يقرب من عامين قبل انقطاعه الشهير في قلعة ابن سلامة، قد أقدم أن يستفتيه أحد بعرض رأيه على الناس كجواب شخصي على سؤال موجه إلى شيخين من أكبر شيوخ التصوف في ذلك الوقت وهما القباب وابن عباد ويتعلق بشيخ *التربية الصوفية*، هل هو ضروري أم لا

بيد أن مما لا شك فيه أن النقاش حول هذه المسألة كان، في ظرفية ذلك الوقت، أساسياً. فقد انخرط فيه ابن الخطيب والقاضي النباهي، وكان نقاشا دينيا وسياسياً، ولربما كان سياسياً أكثر مما هو ديني. كتب ابن خلدون للمشاركة في هذا النقاش كتابه *شفاء السائل*، وهو نص في التصوف متين البناء، صارم الاستدلال، يبين عن اطلاع واسع على الفلسفة والفقه وأمور الدين. يظهر ابن خلدون في ما كتبه في *الشفاء* واثقا بنفسه لا يتهيب مقارنة رأيه بآراء فطاحل علوم الإسلام. متبنياً موقعاً أصيلاً دقيقاً متميزاً يرمي إلى تبني سنية نبيهة من الطراز الرفيع. وقد وضع روني بيريز لترجمته هذا الكتاب إلى الفرنسية مقدمة وافية ثاقبة، ومن رأيه فيها أن المتحصل بقوة من خلال هذا الكتاب هو فكر ابن خلدون الفقهي، وهو يطبقه حتى على أمور الحياة الباطنية والمجاهدة الروحية التي ينخرط فيها الصوفي

. إنها ملاحظة ذكية ينبغي أن يضاف إليها أمر آخر وهو أن وراء موقف الفقه يتبادى بعد من طبيعة أخرى، ذلك أن الموقف السني الذي يدافع عنه ابن خلدون بنظرة واسعة ليس موقفاً مذهبياً فحسب، بل هو ذو مرمى أعمق، سياسي واجتماعي.

ومهما يكن، فالبرغم من أن كتاب *شفاء السائل* قد كان له وقع محقق في وقته وعلى مدى القرون الأربعة التالية حيث إنه محال عليه من مؤلفين مثال أحمد زروق الفاسي (ت. 899 / 1493) وأبي سليم العياشي (ت. 1090 / 1679) وعبد القادر الفاسي (ت. 1091 / 1680) وأبي عبد الله المسناوي (ت. 1136 / 1724) وابن عجيبة (ت. 1224 / 1809)، فإنه لم يكن له ما بعده في حياة المؤلف العلمية الذي لم يستمر في نفس الاهتمام، وظهر الكتاب وكأنه دخول غير سديد لابن خلدون في حلبة العلم. فقد تبيّن أن

العلم الذي أراد أن يتكرس له هو علم من طبيعة أخرى. ويمكن تصور ذلك الاهتمام إذا ما عرفنا أن ابن خلدون عكف على امتداد سنين على قراءات واسعة، يجمع المعلومات والإشارات وهو يهيئ في الكتمان مشروعاً وفق طموحه. فهو علم يتجاوز العلوم المعروفة، بل يحتويها كلها، بكيفية ما، بل هو "علم جديد" يدعي أنه ابتكره ابتكاراً.

ليس الأمر مجرد ادعاء، فنحن نستطيع أن نؤكد اليوم دون مبالغة أن ابن خلدون هو مبتكر "علم المجتمع" في الصيغة التي يقول بها هو نفسه، واضعا نفسه في سياق الثقافات القديمة والوسيطية لحوض البحر المتوسط.

تصدى ابن خلدون لتأليف كتاب فريد في نوعه : *كتاب العبر*. قضى في تأليف هذا التاريخ الكوني الضخم ما يقرب من ثلاثين عاماً، منذ انقطاعه الإرادي في قلعة بني سلامة بتاريخ شهر ذي القعدة عام 776 / مارس 1375 إلى نهاية حياته. يتبين من النسخ المحفوظة من هذا الكتاب، وهي عديدة، أننا نستطيع تمييز ثلاثة صيغ هي :

- صيغة النسخة التي أهداها لسلطان تونس أبي العباس في أوائل عام 784 / 1382 ؛

- صيغة النسخة التي أهداها للسلطان المملوكي الظاهر برقوق وأهداها بعد ذلك للسلطان المريني بفاس ما بين 996 و799 / 1394 - 1397 ؛

- صيغة النسخة التي زاد ابن خلدون في تنقيحها إلى ما قبل موته بشهور، وتاريخها بين عام 806 وعام 808 / 1404 - 1406.

يتكون هذا التأليف من ثلاثة كتب : الكتاب الأول وهو المعروف عموما باسم *المقدمة*، وفيه يورد ابن خلدون نظريته في "الاجتماع الإنساني"، وقد اعتبرت *المقدمة* في حياة المؤلف نفسه كتاباً مستقلاً. أما الكتابان الثاني والثالث فيتناول أولهما تاريخ عرب المشرق ويتناول الثاني تاريخ العرب والبربر في المغرب وتاريخ من عاصرهم من الأمم وذوي السلطان الأكبر. ينتهي التأليف بإيراد ترجمة للمؤلف بعنوان : "ترجمة ابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا".

يظهر ابتكار ابن خلدون، في آن واحد، في مقدمته النظرية للكتاب، وفي روايته للتاريخ، وفي مفهوم التاريخ العالمي عنده وخلافا لما دأب الدارسون على الجزم به، فليس هنالك من شقة بين المقدمة وبين بقية *كتاب العبر* : وإنما يتعلق الأمر باختلاف في التناول. ومن جهة ثانية، فإن ابن خلدون وإن كان قد أتى قبل غيره بعلم استبق فيه بكيفية ماما ستأتي عليه العلوم الإنسانية الحديثة كالأنطروبولوجية والسوسيولوجية، فإن الجهل بطبيعة إنجازه. هو ما أدى بالبعض إلى أن يروا فيه "عبقرية" من فلتات الدهر بالنسبة لمجتمعه وعصره، حتى زعموا أنه أقرب إلى عصرنا هذا منه إلى خلفيته التاريخية. إن فهم أصالة ما جاء به يتوقف على تغيير مزدوج في زاوية النظر ؛ يتحقق ذلك أولاً بإعادة موقعة علم التأريخ العربي الإسلامي في مجمله داخل التراث الهلينيستي البيزنطي في مسار تطور يمتد من العصر القديم عند الإغريق والرومان إلى بيزنطة إلى الإسلام وإلى العصر الوسيط في أوربا ؛ ثم تأتي بعد ذلك موقعة أعمال ابن خلدون في سيرورة نمو علم التاريخ العربي الإسلامي نفسه.

لاشك في أن ابن خلدون قد أتى في مقدمته بما يمكن أن نرى فيه أنطروبولوجيا عامة. ولكن يبتعد بالنسبة لنقطة أساسية عن المنظور الحديث : فهو لا يتصور هذه الأنطروبولوجيا علماً مستقلاً مفتوحاً، وإنما يراها مقدمة للتاريخ. وبعمله ذلك يضع نفسه في آن واحد محققاً للاستمرارية وللقطيعة مع مؤرخين من أمثال هيرودوت وبو ليب وبروكوب والمسعودي ومسكويه. فابن خلدون يرى كالمؤرخين السابقين للعصر الحديث أن كل ما يتصل بالانطروبولوجيا يكون جزءاً لا يتجزأ من التاريخ. لكن الجديد الذي أتى به وحقق به خطوة حاسمة نحو المفهوم الحديث يكمن في كونه لم يعد يعالج مسائل الانطروبولوجيا بشكل عارض ثانوي، في صورة استطرادات إثنوغرافية وجغرافية وأوصاف للعادات والخطط الدينية والاجتماعية والسياسية والحكايات الأسطورية الغريبة والأفكار الشاردة حول طبيعة الإنسان والمجتمع، وبإنما عالجها كموضوع قائم بذاته يدرسه لذاته وباستقلال عن غيره. وقد كان واعياً بأن هذا هو ما تميز به عمن سبقوه من اليونان والفرس وعلماء العرب والمسلمين. وعلى هذا الأساس فهو أقرب إلى العصر الحديث منه إلى التقاليد القديمة والوسطوية. غير أن تناوله يختلف عن التناول الحديث في الوظيفة التي يعينها لما سماه بعلم العمران الإنساني، وهو في نظره لا يفيد إلا في اتخاذه قاعدة أساسية للنقد التاريخي من حيث إنه يجعل في الإمكان كتابة "تاريخ حقيقي". لا شك أن فكرته في التاريخ صالحة نظرياً، ولكن التوصل إليها يتعذر عمليا. ثم إن ابن خلدون عندما جعل من "علم العمران" شرطا وأداة لمعرفة التاريخ، يضيق من مدى الانطروبولوجيا، ويسجنها في فكرة كمال ممكن، وربما كان ضرورياً أيضاً. بيد أن مسعاه الإجمالي يمكن تبريره وفهمه لو اعتبرنا، كما يعتبر هو، أن التاريخ في أساسه يتميز بالنهائية، حيث إن له بداية ونهاية مقررتين. في هذا السياق يكون من المشروع أن نميز بين الجوهر والعرض بين الثابت والمتغير، أو بعبارة العصر، بين ما هو بنيوي وما هو تاريخي. ومع هذا فإننا نجد ابن خلدون شديد الانتباه للتطور والتغير يرسم عند الاقتضاء المسارات التاريخية لمختلف المواضيع التي يدرسها. وهذا الموقف مكنه من أن يقدم إلينا على امتداد أبواب المقدمة تاريخا للمؤسسات الاجتماعية والسياسية الاقتصادية والثقافية للمجتمعات العربية الإسلامية ولبعض المؤسسات اليهودية والنصرانية.

غير أنه تتوجب الإشارة إلى جانبين من القصور البارز يفصح عنهما بوضوح تحليل أعمال ابن خلدون. فالبرغم من

كونه يدفع إلى أقصى ما يمكن فكرته الكونية وهو ما يظهر في استشهاده بجميع المجتمعات المعروفة في وقته، فإنه ظل متشبثا بجهاز المفاهيم الفلسفية والفقهية المشتقة من الثقافات الهلنستية والإيرانية والعربية الوسطوية. وبهذا الصدد نلاحظ على الخصوص الحضور الكثيف لعدد من المفاهيم والمصطلحات التي تنسب إلى أرسطووگاليني وأبو قراط وبطليموس من جهة، وحضور كل جهاز المفاهيم المتداولة عند العرب والمسلمين في ميادين التاريخ والجغرافية والفقه والأدب والدين، وكذا حضور بعض الفرضيات من قبيل القول بأن منطقة حوض البحر المتوسط باعتدال هوائها وطبائع سكانها هي المركز الطبيعي للحضارة الإنسانية والحضارة العمرانية وغاية ما وصل إليه رقي الإنسان، ومثل التقرير اليقيني بأن ديانة التوحيد هي الدين الحق وأن الإسلام أتم أديان التوحيد.

وفي آخر هذا التحليل العام لا بد أن نسجل قضية هي في ذاتها من الأشياء المدهشة : إن عدداً كبيراً من الأفكار والتحاليل والمفاهيم والنظريات التي أتى بها ابن خلدون قد تبناها بالإجماع الانطروبولوجيون والسوسيولوجيون والمؤرخون المتخصصون في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وإن ناقشوها وزادوا إغناءها. ويمكن تفسير هذه الظاهرة الاستثنائية بسببين : أولّهما أن ابن خلدون الذي اعتقد أنه يضع علماً للمجتمع الإنساني على العموم وهو علم الاجتماع الإنساني قد أدى به مسعاه إلى رسم الخطوط الكبرى لأنطروبولوجيا اجتماعية أو سياسية للمجتمعات الإسلامية ولا سيما مجتمعات العرب والبربر. وهذا ما يكون في نفس الوقت الأهمية الكبرى للمقدمة ويكشف عن محدوديتها في نفس الوقت. أما السبب الثاني فيمكن في كون الفكر الانطروبولوجي والتاريخي المعبر عنه في أعمال ابن خلدون هو بالتأكيد قريب جداً من فكرنا من حيث نزعته إلى المذهب الطبيعي ومن حيث سعيه إلى الشمولية وحرصه على دقة الملاحظة واتخاذه لأنماط الاستدلال والبحث عن الموضوعية.

إذا تأملنا تصميم *المقدمة* نجد تصديراً وتقديماً طويلاً يتطرق بكيفية منهجية إلى النقد التاريخي، ثم يدنو من موضوع الكتاب بكيفية تدريجية بسيطة وصارمة : فهو يتطرق للقواعد العامة للمجتمع الإنساني يستعرضها في ستة مداخل تتناول الحضارة الإنسانية على العموم وطبيعتها الضرورية والوسط الطبيعي وتأثيره على طبيعة الحياة ونمط عيش الناس وصيغ العلاقات بين الناس وبين ما هو غيب وغير طبيعي (الفصل 1) ؛ والعمران البدوي وتطوره الطبيعي وهو تأسيس الملك في المدن (الفصلان 2 و3) ؛ والعمران الحضري وتنظيمه وأسباب ازدهاره وانحطاطه (الفصل 4) ؛ وما يصاحب العمران الحضري من أحوال الاقتصاد وآلاته (الفصل 5) ومؤسسات الثقافة، من علوم وتربية وتعليم ولغة وأدب (الفصل 6).

يتعذر في هذه النبذة القصيرة إظهار كل ثراء *المقدمة* وما تعج من أفكار ووقائع مبنية على الملاحظة وهي ميزة هذا التأليف. ونكتفي هنا مضطرين بإعطاء نظرة وجيزة عنه من خلال التعرض لتفسير مصطلح العمران بفرعيه البدوي والحضري مع إشارة وجيزة إلى عدد من المفاهيم التي تشكل مفاتيح فكر ابن خلدون وتتكرر في تحاليله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية كما بنى عليها تأليفه.

العمران مصطلح مألوف وارد عند الجغرافيين المسلمين بمعنى الفعل الأول المتمثل في "الاستقرار" على الأرض : بالنزول فيها وسكناها والعناية بها وفلاحتها واستغلالها واستثمارها والبناء فيها وإنشاء المؤسسات فيها (Muhsin Mahdi, Ibn khaldun's Philosophy of History, 184). فالعمران وهو مرتبط أساساً بالظروف الطبيعية، هو على الخصوص من ميزات مناطق الأرض المعتدلة، فلا يدخل فيه سكان الجهات الشديدة البرودة وسكان الجهات الشديدة الحر حيث يظل أهلها على نمط من العيش أقرب إلى عيش الحيوان منه إلى عيش الإنسان.

يقدم ابن خلدون العمران بمثابة فعل إلهي، فهو يذكّر بأن الله هو الذي استعمر الإنسان في الأرض واستخلفه فيها. والله هو الذي نشر الناس وجعلهم مختلفين في بلدانهم وألسنتهم وعاداتهم وأديانهم، وهكذا وجد الإنسان في حالته وهو مدني وهو يعرف ككائن مدني، أو هو حسب فلاسفة اليونان ومن على أثرهم يعرف "كحيوان سياسي". وهكذا لا نجد عند ابن خلدون تعارضاً بين الحضارة وبين "حالة الطبيعة" المنسوبة للإنسان "البدائي" كما يرى بودان Bodin وهوبز Hobbas وروسو Rousseau. صحيح أننا نجد في مناطق الطقس المتطرف جماعات من الناس تعيش في ظروف يمكن أن توصف بأنها "غير حضارية". ولكن ابن خلدون يرى أنهم بوجودهم في وسط طبيعي غير موات قد عادوا إلى "حالة الحيوانية". فلو افترضنا أنهم قد أخرجوا من تلك الجهات ووضعوا في ظروف مواتية في المناطق المعتدلة، فإنهم سيستعيدون بالتدريج إنسانيتهم وسيسلكون كما يسلك غيرهم من الناس.

فالعمران قد افترض فيه أنه شيء ضروري. لكن ضرورته غير منظور إليها من وجهة التطور التاريخي، بل نظر إليها بالأحرى من وجهة نظر كونها منطقية. فابن خلدون ينطلق من العمران على أنه واقع قائم ويتساءل عن شروط إمكانه. وجوابه هو أن شروط الإمكان هذه تندرج في طبيعة الإنسان، كما خلقه الله وأراد له أن يكون. فقد خلقه وهو بحاجة إلى الغذاء لكي يعيش، ثم خلقه ضعيفاً في بدنه إذا ما قيس بقوة الحيوان وجعله مضطراً إلى الدفاع عن نفسه ضد العدوان المحتمل عليه من هذه الحيوانات. وقد ترتب عن سمتي الضعف هذه ضرورة تقسيم العمل وضرورة التعاون، وهذا شيء مؤهل له الإنسان بفضل

ما حباه الله من ملكة التفكير وبها تميز عن الحيوان. بيد أن ما في جبلة الإنسان من الأنانية والعدوان يميل بالناس إلى الوقوع في الحروب الدائمة ضد بعضهم البعض لو أنهم تركوا لأنفسهم، فلا بد لهم إذاً من وجود وازع، وفي ضرورة الوازع هذه أصل الملك والنظام السياسي.

يتطور العمران على هذا الأساس في اتجاهين ممكنين : إما بالتركيز على إشباع الحاجات الضرورية، أي ما هو لازم كحد أدنى للمعيشة، وهذا ما يوافق "العمران البدوي" الذي يشمل مجتمعات البدو في الصحراء وكل مجتمعات المجال المفتوح خارج المدن سواء كان أهلها من الظاعنين أو المستقرين أو أهل الزراعة أو من الرعاة، سواء كانوا في السهول أو المرتفعات أو الجبال ؛ وإما بالبحث عن البذخ والكمالي في كل مظاهر الحياة، ويصاحبه تنمية إلى أقصى ما يمكن للفنون والعلوم، وهذا ما ينطبق على "العمران الحضري" في كل مكان حيث تقوم المدن.

لا شك أن هنالك علاقة أسبقية منطقية وتاريخية بين نوعي العمران، حيث يمثل أحدهما المرحلة الجنينية للحضارة ويمثل الآخر نهايتها القصوى ونقطة أوجها الذي يبدأ منه انحدار وانحطاط لا مفر منه. فابن خلدون يقرر أن الإنسان كان في الأول فلاحا أو راعيا للماشية قبل أن يتمدن ويصير تاجراً أو صانعاً بيده أو متكرساً للعلوم. وهو يورد الخرافات التي تنسب إلى آدم ابتكار الفلاحة وتنسب إلى عدد من الأنبياء ابتكار العلوم والتقنيات، وأشهر أولئك الأنبياء إدريس الذي قيل إنه هو عزراء (Esdras) أو إينوش Enoch. ولكن هذا يعود بنا إلى مجاهيل الزمن ولا نعرف إلا القليل الذي ينعدم فيه اليقين. أما أزمنة التاريخ التي يهتم بها ابن خلدون ويستشهد بها، أي عهود تاريخ العرب والبربر وكذا عصور تاريخ الروم (اليونان والرومان والبيزنطيين)، وعصور تاريخ الترك والفرس وتاريخ العبرانيين والصينيين والهنود والفرنج والجلالقة، فإن نظام العمران يقتضي وجوداً متوازياً لنمطي العمران البدوي والحضري، المبني على الفلح والرعي والقائم على أنشطة المدن، وابن خلدون لا يحصر اهتمامه في تطور أحدهما نحو الآخر، بل يهتم بدينامية العلاقات بينهما في إطار تاريخ عالم تزامنا فيه باستمرار منذ البدايات الأولى التي يكتنفها الغموض إلى يومنا هذا.

فالنظام البدوي هو في جوهره نظام يتميز بالاستقرار، غير أن العنصرين المكونين لجانب القوة فيه وهما اقتصاد المعاش الضروري والمساواة، يمكن أن يتحولا في بعض الظروف إلى مصادر الضعف. فاقتصاد المعاش الضروري يمكن ألا يتعدى اقتصاد قلة وعوز، وحينئذ يجد البدويون أنفسهم مضطرين إلى البحث عما هم بحاجة إليه في مناطق أغنى عند الضرورة، وذلك عن طريق الغزو والهجوم. ولكنهم في كل الأحوال يظلون عالة على التكنولوجيا (أدوات المعاش) وعلى ما تحتضنه المدينة من مدنية وثقافة راقية. تكون هذه الوضعية مصدر اختلال التوازن الاجتماعي، لأنها تتيح لبعض الأفراد في القبائل أن يتميزوا ويسيطروا على الآخرين، كما تتيح لهم توسيع مجال نفوذهم بالتدريج.

أما النظام الحضري فهو أن على العكس من ذلك، يتميز أساساً بعدم الاستقرار. فهو قائم على جماعة منشتتة متفتتة عاجزة عن ضمان حمايتها الخاصة بشكل طبيعي، ولذلك فهو بحاجة من الناحية السياسية إلى رؤساء وإلى جند يأتون من العالم البدوي، ولكن هؤلاء وأولئك يتعرضون بتقلب الأحوال للضعف لما في طبيعة حياة المدينة من إفساد، حيث يتطلب البذخ ويطغى إشباع الشهوات وتملك اللذة والهوى المتبع. ثم إن النظام البدوي بما هو تحقيق لغاية يسير بالضرورة نحو الانحطاط والفناء. وهكذا فالنظام الحضري والنظام البدوي يتعارضان ويتكاملان، وهما مندرجان معاً في دورة من التطور الذي لا محيد عنه.

قد يصاب الباحث بخيبة أمل إذا هو بحث في *المقدمة* عن أوصاف إثنوغرافية من قبيل ما أنتجته الإثنوغرافية الاجتماعية الحديثة. فابن خلدون ليس بأي حال من الأحوال باحثاً ميدانياً أنطروبولوجيا، وإنما هو مفكر يستمد أهم معلوماته من الكتب، سواء منها كتب التاريخ أو كتب الجغرافية أو الفقه أو الفلسفة أو الكلام أو الأدب. فالوقائع التي استشهد بها بناء على ملاحظة شخصية وقائع عديدة، ولكنها لا تصدر عنده عن مسعى منشغل أساساً بالتحري، بل هي تأتي في معظم الأحيان في معرض استدلال أو بناء مفهوم أو مصطلح. وهذا واضح من السمت العام لهذا التأليف : فتقسيمات فقراته التي لا تتعدى بضع صفحات والتي منها تتكون مختلف الفصول هي بمثابة استدلالات أو توضيحات لمقترحات نظرية موضوعة كعناوين على رأس هذه الفقرات.

في النظام المزدوج للعمران كما يراه ابن خلدون بمكونيه البدوي والحضري، يظهر العمران البدوي على الخصوص، وكما رأينا ذلك، بمثابة خزان للقوات العسكرية والسياسية، بينما يظهر العمران الحضري بمثابة المجال الذي يتم فيه إخضاع هذه القوات لتصرف ملك له منطلق مركزي، وهذا الملك هو في ذات الوقت عامل رئيسي للازدهار الحضري وضامن لأمن المدن والعواصم. فالقوة السياسية (والعسكرية) تتوفر في العمران البدوي، ولكننا نستطيع أن نقول إن كل قوة سياسية على العموم تجد مصدرها في العصبية، وهي على العموم نوع من التضامن. وأصل العصبية في النُعرة التي تعبر عن شعور عاطفي بداتي يسعى إلى التوحيد واللحمة بحمله الناس تجاه أقاربهم وجيرتهم، وهو الذي يدفعهم ليهبوا بنجدتهم عندما ينالهم الضيم أو يتعرضون للظلم والهوان.

فالتضامن في الوسط البدوي تختلف طبيعتها عن طبيعة التضامن في الوسط الحضري، وهو أقوى عند البدو.

فالذي يجعل من العصبية ضرورة مطلقة لا يمكن للناس أن يعيشوا بدونها في الوسط البدوي أمور كانعدام نظام للدفاع بسبب طبيعة نمط عيش البداوة وظروفه وكانعدام الأمن الناتج عن تلك الظروف. ففي مثل هذه الحالة يكون على جميع البالغين من الذكور أن يحملوا السلاح على الدوام. وهذا، بالإضافة إلى ظروف مواتية هي ظروف العيش في الخلاء، يجعل من البدو مقاتلين صلاباً أشداء، يشكلون جيشاً دائماً جيد التمرين. وبالعكس من ذلك فإن سكان المدن، وهم يعيشون داخل الأسوار والجدران مستندين إلى رعاية حماتهم من الحكام والحرس، ضعافا بالبذخ وحياة التنعم، تجدهم مفتقرين إلى القوة والخشونة التي تتطلبها الحرب. فإن وجدت عندهم صورة من صور التضامن فإنها لا تعدو أن تكون بعض أواصر القربى وروابط المصلحة ولا حمولة سياسية لها.

على أساس هذا التحليل لمفهوم العصبية، وهو تحليل يبرز طابعها السياسي الأساسي واختلاف تجليها بين الوسط البدوي والوسط الحضري، يبني ابن خلدون نظرية مركبة هي نظرية الملك، ويتعرض لأصله وكيف يقوم وكيف يكبر وكيف ينحط ويزول. ويدخل فيه مصطلحات كمصطلح القبيلة، وفيها تترعرع العصبية حول رئيس من الرؤساء، ومصطلح الاصطناع أي اتخاذ الرتباء، وبه يتسع التضامن إلى أبعد من عصبية الأسرة والجذم والقبيلة الأصلية، ومصطلح الحسب والنسب، وهو الظهور والرفعة المكتسبة بالاستحقاق الشخصي أو الموروثة عن مجد الأجداد، وهي أصل قيام سلطة الرؤساء في مختلف مستويات التنظيم الاجتماعي.

إن سيرورة قيام الملك واستفحاله وانحطاطه يمكن ردها إلى نموذج دائري مبسط : قيام قبيلة جديدة بالاستيلاء على الملك، ثم تعرضها للضعف بسبب البذخ وحياة النزف ثم اضمحلالها بعد ثلاثة أجيال أو أربعة لتترك المكان لقوة جديدة. فالغاية القصوى للعصبية لا تتحقق إلا في عدد محدود من الحالات وهي الاستيلاء على الحكم في أوسع مجال ممكن، وهي تعتمد على الحسب والنسب لتوسع بالتدريج سلطة جماعة صغيرة، أسرة أو فخذ، إلى مجموع اجتماعي يمتد على أراض شاسعة. وغاية هذا التغلب جمع الضرائب وفرض الجاه والتمكن من الفائض الاقتصادي للمجتمع ويتوصل إليه بوسائل السلم مثل إقامة الأحلاف أو اصطناع الزبناء وبوسائل القهر أيضاً. وفي غالب الأحيان يجد السند والحافز في الدين وذلك بتبني إيديولوجية إصلاحية. ولكن طبيعة هذا النظام تجعل الاستيلاء غير تام إذ أن بعض القبائل تنفلت وتظل خارج مجال سطوة السلطان، ويتمثل خروجها عنه في رفض أداء الضرائب. فابن خلدون، كما أدرك ذلك إرنست كيلنير، يقترح نظرية لفهم تحرك النخب القبلية في إطار بنية سياسية متكونة من ثلاث دوائر متحدة المركز : تشمل الدائرة الداخلية القبائل المنخرطة في الحكم تشدهم إليه روابط القرابة أو ما في معناها وهي عضد الحكم المشدود بالسلاح من أجل تحصيل الجبايات ؛ وتمثل الدائرة الثانية القبائل الخاضعة للضرائب، وتمثل الدائرة الخارجية القبائل التي ترفض أداء الضرائب (Gellner, *Muslim Society*, p. 31).

يحتل البعد الاقتصادي مكانة متميزة في مقدمة ابن خلدون، فهذا الجانب لا يظهر في تحليل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية فحسب بل إن ابن خلدون يخصص له فصلاً يدرسه فيه على حدة باعتباره قائم الذات. فهو يقف أولاً عند مستوى الانطروبولوجي، وهو وسائل المعاش، يأخذ بعين الاعتبار الحالة العامة للكائن الإنساني، أي ضرورة الحصول على وسائل المعاش. ثم يقوم بقفزة نحو المستوى الاقتصادي الذي يسميه المكاسب في معنى عام مجرد عن الوظيفة المحسوسة المتمثلة في إشباع الضروري من الحاجات. فهو يميز بين الرزق والكسب، وبالرغم من الإحالة على السياق الديني فإن ذلك التمييز له طابع اقتصادي صرف لأنه قائم على التقابل بين ما يكتسب ليستهلك وبين ما ليس كذلك. وعلى هذا الأساس فالمكاسب منظور إليها على أنها تمثلات للقيمة، تقاس على أساس قدر العمل المفرغ فيها. وابن خلدون يستعمل بهذا الصدد مصطلح "العمل" في صيغة المفرد أو في كثير من الأحيان في صيغة الجمع : "أعمال". وهو يستعمله بلا شك كمفهوم مجرد يدخل في آن واحد في الأشكال المحسوسة للعمل كما تظهر في مختلف أنواع الصناعات وكذا في تشخيصها كأشياء مكتسبة ومتملكة. وهكذا يبدو العمل كمركب ذاتي للمكتسبات، ويمثل قدره قيمة هذه المكتسبات. فمفاهيم كقيمة الاستعمال وقيمة المبادلة حاضرة، لكن بكيفية ضمنية لا غير، فلم يكن ابن خلدون يتوفر على مصطلحات للتعبير عنها كما هي. فهي متضمنة من جهة في مصطلح الرزق، وهو مكتسبات ميزتها الأساسية أنها مستهلكة، ومتضمنة من جهة أخرى في مفهوم الكسب، وهو متملكات يقصد منها أن تندرج في سيرورة تبادل.

فالأنشطة الاقتصادية مستعرضة في سلسلة من المقاطع التي تناولت على التوالي الفلاحة والتجارة ومختلف الصنائع. ويؤكد ابن خلدون أن تلك الأنشطة تتنامى بحسب حال الحضارة ودرجة الرقي من جهة وتبعا للسوق من جهة أخرى.

إن مقاربة ابن خلدون للاقتصاد مقاربة جوهرية Substantive بالمعنى الذي يعطيه كارل بولانيي لهذا النعت، فأوصافه وتحليلاته للجوانب الاقتصادية في الفصول، الثالث والرابع والخامس من *المقدمة*، تجعلنا تقف على نظام اقتصادي قائم على الدمج بين نظام تبادل ونظام توزيع. فالأول واقع بكيفية مثالية تحت إشراف سوق تنظم

نفسها بنفسها، ولكنه محدد بسبب التدخلات المتكررة للدولة وبسبب نظامها في جمع الضرائب وإعادة توزيع فائض الإنتاج. أما الثاني فهو قائم على الجبايات والجاه، أي النفوذ المتأتي من ممارسة الحكم، وهو بدوره يتأثر بالعملة وبالسوق. والتوازن بين هذين النظامين هش، والاقتصاد ككل يتوقف على دورة تطور الملك (Cheddadi, *Ibn Khaldûn revisite*, 49 - 67).

أتى الفصل الرابع في *المقدمة* مزيجا من المواضيع، وقد خصصه ابن خلدون أساساً للعلم والتعليم كما يدل على ذلك عنوانه. وقد وردت فيه نظرية للمعرفة وتاريخ للعلوم الدينية والفلسفية ونظرية بيداغوجية وتاريخ للتعليم ببلاد المغرب والمشرق ونظرية لتعلم اللغات في علاقة مع الأدب وتاريخ للغات في العالم الإسلامي وعروض مهمة حول الأجناس الأدبية والإبداع الشعري. يختم هذا المجموع بمقتطفات مهمة، فريدة من نوعها، من شعر العرب البدو وأهل المدن في المغرب والمشرق.

لم يبن ابن خلدون نظرية عامة في موضوع الثقافة، وكل ما فعله هو التقدم بأفكار حول العلاقة بدرجة رقي المجتمع بين درجة رقي العلوم والفنون. أما نظريته في المعرفة فتدين بمصطلحاتها وتحليلاتها للتراث الفلسفي اليوناني - العربي، دون الإتيان بعناصر يمكن أن يقال عنها إنها جديدة كل الجدة. أما ما أتى به عن تاريخ العلوم فله أهمية لأنه يستعرض مناقشات أساسية طرحت على امتداد تطور تلك العلوم في السياق الإسلامي سواء تعلق الأمر بعلوم الدين كالكلام والتصوف أو بعلوم القدماء مثل الفلسفة والطب والرياضيات والفلك أو السيمياء، ولكن ابن خلدون يظهر فكره المجدد على الخصوص في ميدان التعليم وفي مقاربته للمشاكل المتعلقة باللغة والأدب. فهو لا يأتي بنظرية كاملة في التربية حيث إنه لا يأخذ مفهوم التربية في معناه العام كما نفعل في وقتنا هذا (Cheddadi, *Ibn khaldûn revisite*, 75 - 91)، بل هو يقترح مفهوماً أساسياً هو الملكة في مضمونها للتلقي والتعليم. أما فيما يتعلق باستعراض لتاريخ اللغة العربية وازدهارها كلغة كلاسيكية ثم التراجع الذي أصابها بعد سقوط الدول العربية في المشرق، ثم ذكر مختلف صيغها المستعملة في أوساط البدو ومراكز الحضارة في مختلف بقاع العالم الإسلامي فهو استعراض في غاية الأهمية ويتضمن أغنى شهادة تتوفر في هذا الموضوع. وأخيراً يجدر ذكر ما جاء به ابن خلدون كإسهام أصيل في نظرية الشعرية العربية (Benchiekh, *Poétique arabe*)، ولا سيما من خلال تحليلاته لمفهوم الذوق الذي به يعرف قدر الشاعر في إحكام اللغة وصنع الشعر ومفهوم الأسلوب وهو النموذج أو الوشم الذهني للكاتب، دون وعي منه ويستقرا من معرفته الحميمة بالأدب شعراً ونثراً وهو ما يظهر في إنتاجه الخاص به.

إن تاريخ العالم الذي وضعه ابن خلدون لم يحظ لحد الآن باعتراف مماثل للذي حظيت به *المقدمة*، بل ذهب بعضهم إلى القول بأن ابن خلدون خرج في هذا التاريخ عن المبادئ المنهجية وعن المفاهيم التي بسطها في *المقدمة*. والواقع أن قراءة متمعنة نبيهة تمكن من أن نكتشف في التاريخ عرقا تجديديا مماثلا للذي في *المقدمة*.

لا شك في كون ابن خلدون قد انطلق في تاريخه من المصادر والمواد الإخبارية التي اعتمدها سابقوه من المؤرخين المسلمين، وهي الأخبار التي تعني في آن واحد "الوقائع" التاريخية و "الحكايات" المنسوجة حولها. فإذا كان ابن خلدون قد حرص على فحصها ونقدها على أساس مدى المطابقة مع قوانين المجتمع وواقع الطبيعة الخارجية، فهو لا يسعى إلى بناء تلك الوقائع بكيفية ممنهجة (إلا في *المقدمة* حيث يقوم أحياناً ببناء حقيقي للوقائع في شكل عصري جداً). ولكن جدة مقاربته تظهر جليا في فهمه للتاريخ العالمي وفي تنظيم مؤلفه الكبير في التاريخ.

إن تاريخ العالم الذي كتبه ابن خلدون يختلف عن التاريخ الذي نجده عند البيزنطيين وعند المؤرخين العرب المسلمين وعند مؤرخي أوربا في العصر الوسيط. فالتاريخ الكوني في صيغه البيزنطية أو الأوربية الوسطوية كان موضوعه العالم منذ الخليقة إلى عصر المؤلف. يقدم الأحداث عبر تاريخ غايته الخلاص حسب قدر إلهي مسطر للإنسان، وقد اتخذ المؤرخون المسلمون نفس الإطار الكرونولوجي، مع فارق وهو أنهم يتوقفون عن تقديم أي تأويل للتاريخ. أما ابن خلدون فقد اتخذ هو أيضاً الإطار الزمني ذاته واتبع نفس الموقف الحيادي، ولكنه أتى بأمرين مبتكرين، فهو في المقام الأول يعرّف موضوع تاريخ الكون على أنه تاريخ الأمم، وهي بالنسبة إليه العرب والبربر ومن عاصرهم من الأمم : وهي أمم الفرس واليونان والرومان والبيزنطيون والعبريون والمصريون إلخ ... ؛ وفي المقام الثاني فهو عندما يتعرض لتاريخ هذه الأمم فهو يطبق عليها معياراً جديداً : حيث يتحدث عن أصولها وأنسابها ومواطنها ونمط عيشها ومميزاتها، ويذكر على الخصوص ما كان لها من ملك وسلطان. فهو يستعمل المقولات الأرسطية المتعلقة بالصورة والمادة، وينظر إلى العلاقة بين السلطان السياسي والمجتمع على أنها علاقة الصورة بالمادة (الشكل والمضمون) كما لو أن الفصل بينهما أمر متعذر. فالملك في نظره هو القوة المنظمة والمهيكلة الأساسية للمجتمع. ففي تأريخه لمختلف الأمم يدرس أصول الحكم وأسبابه، كيف بدأ وكيف تطور وكيف انحط. وبهذا فهو يضفي على التاريخ صفة الطبيعة، ومن ثمة يحاول أن يستخرج منه قواعد نمو العمران، ويقطع بذلك مع المقاربة التأويلية للمؤرخين البيزنطيين ومؤرخي أوربا الوسطوية، كما يقطع مع التأريخ الوصفي عند العرب المسلمين، ويرجح مقاربة تأتي في خط التقليد المعروف عند توسيديد Thucydide ربوليب Polybe وتكتسي ملامح تشبه بشكل مدهش ما جاءت إليه الكتابة التاريخية الحديثة.

لا توجد طبعة نقدية مُرضية لكتاب *العبر* بكامله. الطبعات المتأخرة هي : طبعة ن. جوريني، *كتاب العبر*، 7 مجلدات، بولاق، 1284 / 1867 : أعاد نشرها، ي. أ. داغر بعنوان : *تاريخ العلامة ابن خلدون*، 7 مجلدات، بيروت 1956 مع فهارس، أعيد نشر بعض أجزاء *كتاب العبر* والمقدمة منفصلة، طبعة كواتزومير، باريس، 1858 ؛ المطبعة الأدبية، *مقدمة ابن خلدون*، بيروت، 1879 ؛ نفس الناشر، مقدمة العلامة ابن خلدون، بيروت، 1900 : علي عبد الواحد وافي، *مقدمة ابن خلدون*، 4 مجلدات، القاهرة، 1957 ؛ شكيب أرسلان وعلال الفاسي وعبد العزيز بن إدريس، *تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر*، 3 مجلدات، القاهرة، 1355 / 1936 ؛ و. م. دوسلان، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، مجلدان، الجزائر، 1963 / 1847 : محمد بنتاويت الطنجي، *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، القاهرة، 1370 / 1951 ؛ أنهى عبد السلام الشدادي نشرة نقدية للمقدمة وسيتم نشرها عما قريب.

ع. الرحمان بدوي، *مؤلفات ابن خلدون*، القاهرة، 1962، س. الحصري، *دراسات عن مقدمة ابن خلدرن*، مجلدان، بيروت، 1943 ؛ م. عابد الجابري، *العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي*، الدار البيضاء، 1971.

الترجمات الرئيسية

Traduction principales. En français : W.M. de Slane, *"Autobiographie d'Ibn Khaldoun"* in *Jounal Asiatique*, 4è série III (1844), 5 - 60, 187 - 210, 291 - 308, 325 - 353 . republiée corrigée et augmentée dans *Notices et Extraits*, vol. XIX, Paris, 1863 ; le même, *Histoire des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique septentrionade*. 4 vol., Paris, 1852 ; rééd. P. Casanova, 3 vol., Paris, 1925 - 1934 ; le même, *Les Prolégomènes historiques d'Ibn Khaldûn*. Traduits en français et commentés, *Notices et Extraits*, vol. XIX - XXI, Paris, 1862 - 1868 ; V. Monteil, *Ibn Khaldûn, Discours sur l'Histoire Universelle*, 3 vol., Beyrouth, 1967 ; A. Cheddadi, *Ibn Khaldûn, Le Voyage d'Occident et d'Orient*, Autobiographie, Paris, 1980 (traduction du *Ta'rif*) ; le même, *Ibn Khaldûn, Peuples et nations du monde*, Extraits des *'Ibar*, 2 vol., Paris, 1986 ; R. Pérez, *Ibn Khaldûn, La Voie et la Loi ou le Maître et le Juriste*, Paris, 1991 (traduction du *Shifâ' as-sâ'il*) ; A. Cheddadi a fait une nouvelle traduction de la *Muqaddima* à paraître dans la collection de la Pléiade chez Gallimard.

Traduction en anglais : W.J. Fischel, *Ibn Khaldûn and Tamerlane, Their Historic Meeting in Damascus 1401 A. D. (803 H.A.)*, Berkeley Los Angeles, 1952 ; F. Rosenthal, *Ibn Khaldûn. The Muqaddimah, an Introduction to History*, 3 vol., Princeton, 1958 ; cette traduction a été abrégée par N. J. Dawood, *Ibn Khaldûn, The Muqaddimah*, Londres, 1967.

Etudes sur Ibn Khaldûn. Pour une vue exhaustive sur l'ensemble de la littérature consacrée à Ibn Khaldûn jusqu'en 1980, voir l'ouvrage déjà cité d'Al Azmeh ; on ne retiendra ici qu'un choix très limité : A. Abdesselam, *Ibn Khaldûn et ses lecteurs*, Paris, 1983 ; A. Al Azmeh, *Ibn Khaldûn An Essay in Reinterpretation*, Londres, 1980 ; le même, *Ibn Khaldûn in Modern Scholarship*, Londres, 1981 ; J.-E. Bencheikh, *La poétique arabe*, Paris, 1975 ; A. Cheddadi, *Ibn Khaldûn revisité* Casablanca, 1999 ; W. J. Fischel, *Ibn Khaldûn in Egypt (1382 - 1406). His public functions and his historical research : An essay in Islamic historiography*, Berkeley, 1967 ; E. Gellner, *Muslim Society* (chapitres 1 et 2), Cambridge University Press, 1981 ; H.A.R. Gibb, *The Islamic Background of Ibn Khaldûn's Political Theory*, *BSOAS*, VII, 1933 - 5, 23 - 31, repris dans *Studies on the Civilisation of Islam*, Londres, 1962, 166 - 75 ; G. Labica, *Politique et religion chez Ibn Khaldûn*, Alger, 1968 ; Y. Lacoste, *Ibn Khaldûn, Naissance de l'histoire, passé du Tiers-Monde*, Paris, 1966 ; Bruce B. Lawrence, *Ibn Khaldûn and Islamic Ideology*, Leyde, 1984 ; Muhsin Mahdi, *Ibn Khaldûn's Philosophy of History. A Study in the Philosophic Foundations of the Science of Culture*, Londres, 1957 ; N. Nassar, *La pensée réaliste d'Ibn Khaldûn*, Paris, 1967 ; A. Oumlil, *L'histoire et son discours. Essai sur la méthodologie d'Ibn Khaldûn*, Rabat, 1979. M. Talbi, *Ibn Khaldûn et l'histoire*, Tunis, 1973.

عبد السلام الشدادي

ابن خلصة، محمد بن إبراهيم بن محمد الكتامي المراكشي، كان متقدماً في علوم اللسان نحواً ولغة وأدباً. ظهر تفوقه على جماعة من أدباء عصره. عاش في القرن السابع الهجري، ولم يذكر ابن عبد الملك وفاته. وهو غير ابن خلصة البلنسي المتوفى سنة 519 المترجم له في تحفة القادم (ص. 54) بغية الوعاة (1 / 128).

م. ابن عبد الملك، *الذيل*، 8 / 268، 270.

أحمد عزاوي

الخلط أو الخلوط، تتمثل تجمعاتهم القبلية العربية الأصل حاليا في مواطنها الحديثة بعمالة العرائش وشمال إقليم القنيطرة، بعد نزوحها عن مواطنها الجنوبية القديمة. واسم التجمع مأخوذ من التحالفات المختلطة التي يجمعها اسم قبائل جشم، تعبيراً عن التخليط في النسب. غير أن المؤرخين يعدون تجمعات الخلط من المنتفق بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيع بن عمرو، شيعة القرامطة بالبحرين. أدخلهم يعقوب المنصور الموحدي إلى المغرب ضمن القبائل العربية الأخرى من مواطن هجرتهم بإفريقية في آخر القرن السادس الهجري. وعرف للخلط عبر المراحل التاريخية موطنان :

- موطن قديم بمنطقة تامسنا، الواقعة بين نهري أم الربيع وتانسيفت. امتد بقاؤهم بها من أواخر القرن السادس الهجري (12م) مع الموحدين إلى أواخر القرن السابع الهجري (13م) مع المرينيين. تعد هذه الفترة مرحلة قوة الخلوط المنعكسة على الحياة السياسية بالبلاد.

- موطن حديث متمثل في بسائط أزغار، جنوب واد لكوس وبالهبط شماله. وهذه المرحلة الممتدة من أواخر القرن السابع الهجري إلى الوقت الراهن هي فترة استقرار الخلوط ومساندة سلاطين الدول ضد الوجود الأجنبي بالشمال الغربي المغربي.

لم يهتم الخلوط خلال المرحلة الأولى بالاستقرار في المنطقة المقطعة لهم، بل فضلوا التدخل في الأحداث

السياسية بالانحياز إلى من وافق هواهم من المتنازعين على الملك الموحدي. ارتكزت قوتهم على نظام قبلي معتمد على الإرث منذ دخولهم إلى المغرب. فكان لشيخ الخلوط وزن في الجهاز الحربي المغربي، إذ كان في وسع القبيلة أن تجند نحو 12.000 فارس وعدداً كبيراً من المشاة يتجاوز ذلك القدر.

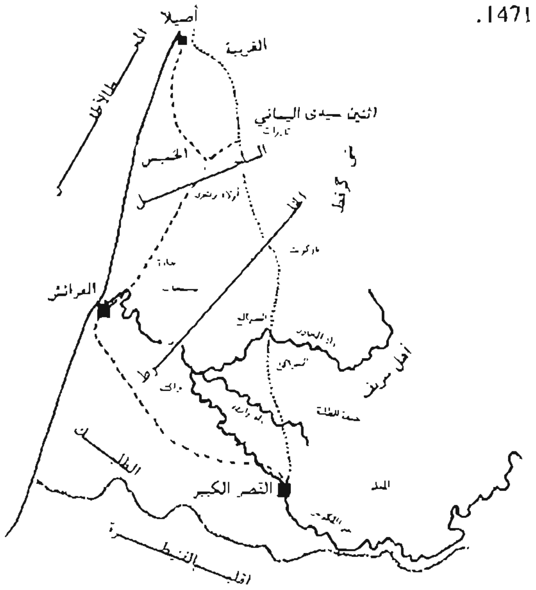
ظهر هذا الدور بعد وفاة الناصر بن يعقوب المنصور سنة 610 هـ. بدءاً من انحيازهم إلى إدريس بن يعقوب المنصور الملقب بالمامون برئاسة الخلطي هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج، فهو الذي قاد ثورة انقلاب البيعة لصالح المامون بن المنصور سنة 625 / 1228. وظل بجانبه إلى أن هلك في حركة سبتة سنة 626.

وقد شكلت قوة الخلوط خطرا على عهد عبد الواحد الرشيد بن المامون. فبعد قتله لرئيس الخلط مسعود بن حميدان سنة 632 / 1234، تحولت بيعتهم إلى يحيى بن الناصر، بزعامة الخلطي يحيى بن هلال وطردوا الرشيد من مراكش سنة 633 / 1235. غير أنه تمكن في سنة 635 / 1237 من قتل نحو الخمسة والعشرين من أمراء الخلط وتدبير مقتل يحيى الخلطي سنة 640. وزاد على ذلك تقبض المرتضى (646 - 665) على أشياخهم سنة 652 وقتله لعواج ابن هلال. وآخر ما علمناه عن الخلط مساعدة شيخهم علي ابن علي الخلطي في سنة 664 / 1265 لأبي دبوس (665 - 667) للوصول إلى الحكم.

لا ريب أن ضعف الموحدين هو الذي حول اتجاه الخلوط نحو نصرة المرينيين. فبعد مرور ربع قرن على الاستقرار المريني أصبحوا ضمن قوة الگيش. كانت الرئاسة للخلط لأول سلطان بني مرين لمهلهل بن يحيى بن حميدان بن مقدم، الذي أصهر إليه يعقوب بن عبد الحق. وشارك في غزواته الأندلسية إلى أن توفي سنة 695 / 1295. وقد استمر ولاء الخلوط طوال العصر المريني على يد أبناء مهلهل وأحفاده، فبرز منهم سلطان بن مهلهل. ففي سنة 729 / 1330 عينه أبو سعيد عثمان الأول رئيساً على الخلوط وعاملاً على الجزيرة الخضراء، كما أصبح سنة 741 / 1340 عطية بن مهلهل بن يحيى أهم المقربين إلى السلطان وسفيره إلى مصر المملوكية.

وفي آخر القرن السابع الهجري كان الخلوط بفضل تلك الحظوة قد وسعوا مجالاتهم بالانتقال إلى منطقة الغرب. حل الخلوط بأزغار إثر إبعاد رياح المخالفين للمرينيين، فحسب الحسن الوزان أن أعراب الخلط المنتمين إلى المنتفق كانوا بأزغار، خاضعين لفاس المرينية، ولكنهم كانوا أغنياء مجهزين. وستستمر تلك الخدمة مع خلفائهم الوطاسيين.

هناك من الشهادات الدالة على امتداد خط مسارح الخلوط شمال ضفة واد لكوس في نطاق ما كان يعرف بحوزي القصر الكبير والعرائش. فمتى اتسعت مجلاتهم ؟ لا نجد الجواب في غير الظروف التي عانى منها إقليم الهبط من جراء الوجود البرتغالي بأصيلا (876 - 1471)، ومشاركة الخلط في الحركة الجهادية إلى جانب قواد القصر الكبير العروسيين، وربما قبل ذلك على عهد محمد الشيخ الوطاسي أثناء تكوين إمارته بالهبط بين 868 / 1463 و876 / 1471.



وحسب المعلومات المتوصل إليها أن محمد الشيخ الوطاسي اعتمد في بداية أمره على القبائل المجاورة الداخلة في دائرة الهبط، وهذه يمثلها جغرافيا سكان جبل حبيب وجبل بني گرفط، وسكان قرارات عرب الخلط. ومن ذلك نفهم مدى أهمية هذه الجماعة الأخيرة المحتلة للطريق العسكري الرابط بين فاس والقصر الكبير، وإحكام محمد الشيخ رباط العلاقات بينه وبين العرب عن طريق المصاهرة.

غير أن نقض الاتفاق المبرم سنة 906 / 1500 بين الوجود البرتغالي بأصيلا ومحمد الشيخ المريني اضطر الخلوط للالتجاء إلى حوز القصر الكبير، ما وراء الضفة اليسرى من وادي المخازن. ولن تعود تلك التجمعات إلا بعد انسحاب البرتغاليين من أصيلا سنة 957 / 1550.

وخلال الوجود الإسباني بأصيلا (1471 - 1550) اعتمد قواد القصر الكبير في زحفهم، سواء لحماية القرى الداخلة في نطاق حكمهم أو أثناء تنظيم الغارات على أصيلا، على حشود الخلط، إذ كان في وسع كل شيخ من شيوخ الخلط الخمسة المعروفين لدينا تعبئة ما يزيد على خمسمائة فارس.

لا نعرف اسم أول هؤلاء الشيوخ سوى أنه كان عامل قرية كانكان، أهم تجمعات قبيلة الساحل الجنوبي. ففي سنة 921 / 1515 قدم إلى حوز القصر الكبير بنحو مائتي فارس من محاربي قرية جزيرة المليحة وغيرها، وقد استشهد في مناوشة ضد جنود أصيلا في تاريخ نجهله.

وأحد مساعدي قائد القصر الكبير يدعى الشيخ عفان، ونفهم أنه شيخ دواوير كانكان، خلف والده في حكم تلك الدواوير واعتاد الإغارة بخمسمائة فارس. ففي سنة 934 / 1527 تظاهر مع قائد القصر الكبير أحمد العروسي بقنطرة

وادي المخازن لصد زحف برتغالي، غير أنه أسر وسيق إلى أصيلا، حيث بيع بنحو 200.000 ريال، فتوصل إلى الاتفاق مع حاكم المدينة على افتدائه بنحو 400 رأس ثور وبقرة. غير أن هذا لم يتم مثلما أراد، إذ أن الحاكم أصر على نقله إلى لشبونة، حيث مكث سنة كاملة، وقد أدركته منيته إثر رجوعه إلى أصيلا من فرط الأسى الذي لاقاه من تعنت حاكم المدينة.

واشتهر من شيوخ الخلط أربعة إخوة لا نعرف صلة القرابة بينهم وبين الشيخ عفان أو سابقه.

أو لهم الخلطي الشيخ عمر الذي كانت له صلة بقائد إزاجن المسمى محفوظ. استشهد الشيخ عمر في إحدى غزواته المنظمة بمعية القائد محفوظ ضد أصيلا سنة 934 / 1527، وكان قد رافقه من فاس ومعه ثمانون فارسا.

وثاني إخوة الشيخ عمر هو المدعو الشيخ عفو، يظهر أنه قتل في إحدى المناوشات سنة 933 / 1526.

وثالث الإخوة يسمى الشيخ سعيد Cide أو السيد، كان في سنة 949 / 1542 ما يزال على قيد الحياة وبحمايته خمسمائة فارس، تعرف عليه برناردو رودريكيس، صاحب حوليات أصيلا مثلما تعرف على رابعهم أخيه الشيخ قراوش. ربما من عين جمعة قراوش الواقعة بالقرب من تافرطاست بالغرب على مقربة من الضفة اليمنى من واد ورغة. ظهر هذا الأخير بميدان أصيلا بجانب أحمد الوطاسي سنة 941 / 1534.

هناك ما يدل على أن الخلوط كانت مجالاتهم تعم كل منطقة الهبط الممتدة على البسيط الواقع بين أصيلا والقصر الكبير. نجد المثال فيما قدمته المصادر البرتغالية عن قرية الشيخ ناصر. نسبة إلى أحد شيوخ الخلط الذي كان حاكم عدد من القرى قبل الاحتلال البرتغالي، موافق على الأقل لعدد قرى الساحل الشمالي الذي نحن بصدده. وكان مقر إقامته بجوار قرية العقبة، وتدعى وحدها بقرية الشيخ ناصر. وفي نسنة 920 / 1514 كان ما يزال بالمكان تحت حماية أصيلا.

ازداد تدعيم الخلط مع السعديين بالمشاركة الفعالة في معركة وادي المخازن. كان من ذلك أن حبب المنصور إليهم الدخول في نظام الكيش، غير أن رأيه اختلف حينما عادوا إلى الإغارة على المناطق المجاورة، مثل بني حسن، مما اضطر المنصور إلى توجيه القائد موسى بن أبي حمادي العمري سنة 990 / 1584 ضدهم. ويدخل في هذا تحذير المنصور ولي العهد ابنه المامون من احتفاظ الخلوط بالسلاح الناري. وفي سنة 1011 / 1602 كانوا يمثلون فئة الرماة، إذ أن قوتهم الحربية كانت معدودة بنحو 8.000 محارب وأكثر من 50.000 مشاة. ومن المعلوم أن المجاهد محمد العياشي اعتمد عليهم في حراسة واقتحام ميدان المعمورة المحتلة من طرف الإسبان في جل الفترة الجهادية.

ورغم ضعف وزن الخلوط السياسي فإن الأحداث لم تكن لتستثني مشاركتهم في أحداث فتنة مابعد وفاة المولى إسماعيل إلى استقرار الوضع مع اعتلاء محمد بن عبد الله أريكة العرش. ويدل ما قام به المولى عبد الرحمن بن هشام من نقل جماعة من الخلوط إلى سهل سايس لتصبح ضمن فئة الكيش على شيء من ذلك. وفي سنة 1262 / 1845 ثار الخلوط على قائدهم بزعامة بوسلهام الكرتي الخلطي وهاجموا القصر الكبير. وقد تمكن القائد فرجي عامل فاس من إخضاعهم. وهذه كانت آخر تحركاتهم التاريخية.

نتساءل في الأخير عن المجال الجغرافي الذي تحتله تجمعات الخلوط إلى الوقت الراهن. وبالرجوع إلى آخر القرن الثالث عشر الهجري (19م) نجد أن أوغست موليرا لم يحصل من مخبره على التقسيم الإداري السائد ببلد الخلوط، متعللا بالمجالات المتنقلة عبر أراضي الهبط وأزغار. فلم يذكر سوى فرقة أولاد سليمان التي لا تبرز في أي تجمع قار. ثم فرقة الفشفاش وقرية بن عودة التي قال إنها مكونة من نحو عشرين دارا. وفي ما عدا ذلك فالمساكن تظهر في تجمعات الخيام التي تشكل الدواوير. ويمكن الاستفادة من الخريطة الملحقة بكتابه، إذ أنها تقسم مواطن الخلوط إلى قسمين :

. يتمثل الأول بالبسيط الذي يحده من الشمال مجرى وادي لكوس ومن الجنوب الغربي المرجة الزرقاء وسيدي بوسلهام بالجنوب الغربي وجبال سط وأهل سريف بالجنوب الشرقي.

ويشمل القسم الثاني بدوره البسيط الممتد شمال مجرى وادي لكوس إلى أن تحده من الشمال مرتفعات وغابات قبيلة الساحل وجبال بني كرفط في الشمال الشرقي.

ومعلوماتنا عن مجالات الخلط على عهد الحماية أفضل. فحسب معطيات الفترة الاستعمارية، أن عدد فرق الخلوط وصل إلى اثنتي عشرة فرقة، بينما بلغ عدد الدواوير إلى 146 دوارا، وعدد الكوانين إلى 4916 كانون، وهو ما يبنه الجدول التالي بالنسبة للفرق وعدد الدواوير :

الفرقة	عدد الدواوير	الفرقة	عدد الدواوير
عامر	3	بداوة	3
بجير	18	شكران	16
دريسة	10	دوايسة	11
حرتام	16	صوالح	14
أولاد عمران	13	أولاد يعقوب	16
أولاد جلول	21	أولاد زيتون	3

ولا يختلف الأمر كثيرا عما أبرزه إحصاء الفرق والدواوير في آخر فترة الحماية. وهو ما يزال قائما. تتألف

قبيلة الخلط من تسع فرق كبرى، ينضوي تحتها 172 دوارا. وندرج بيانا عن الفرق وتوزيع الدواوير في الجدول التالي :

الفرقة	عدد الدواوير
جامع الطلبة الجنوبي	22
جامع الطلبة الشمالي	21
القصر الضواحي	12
القصر الحدودي	28
القصر الدهس	17
العوامرة الشرقية	18
العوامرة الغربية	21
ثلاثاء الريسانة الشمالية	18
ثلاثاء الريسانة الجنوبية	15

وبناء على هذا التوزيع يمكن رسم حدود مجالات تجمعات الخلوط بالهبط وأزغار.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، المجلدان السادس والسابع ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط، 1980 ؛ مارمول كرباخال، *إفريقيا*، الرباط، 1984 ؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، الرباط، 1968 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، تطوان 1953 ؛ حسن الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، مرقون، الرباط، 1991 ؛ *معلمة المغرب*، المجلد التاسع.

Michaux-Bellaire et G., *Geografia de Marruecos*, Madrid, 1936 ; A. Mouliéras, *Maroc inconnu*, T. 1 et 2 ; Simons, *Les tribus arabes de la vallée du Lekus*, *A. M.*, 1974.

حسن الفكيكي

* * ومن الخلط فرقة هامة من فرق قبيلة الأعشاش المنتمية لاتحادية الشاوية يظهر أنها من بقايا الخلط حيث تُكَوِّن مع المعاريف والأولاد وأولاد شعيب والخزازرة وأولاد عريف وإيصوف وأولاد الزيرق وأولاد حمامة وبني يمان قبيلة الأعشاش بالشاوية، وهي قبيلة ترجع أصولها إلى الجزيرة العربية.

دراسة ميدانية.

Villes et tribus du Maroc, Casablanca et la Chaouia, T. 2 ; Mège, *Note sur les Mzab et les Achache*, *A.B.*, 1918.

علال الخديمي

الـخَلْطي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط الهبطية كان بعض أفرادها من العسكر النظامي بتطوان سنة 1246 / 1830.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 625.

الـخَلْطي، مبارك بن بدر الدين، قائد كان يرأس جماعة من المجاهدين من قبيلة الخلط. انضم إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يتزعمها الشريف أحمد الريسوني ؛ وقد شارك في عدة معارك وفقد بصره في المعركة التي جرت باعلالش يوم ثاني أكتوبر 1919.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الـخُلْطي، محمد (الصحافي) وُلد سنة 1908 في مدينة فاس حيث كان والده يزاول التجارة. ترعرع بالمدينة ذاتها وتابع بها دراسته الابتدائية والثانوية (ثانوية مولاي إدريس، 1918 - 1922).

وبين سنتي 1927 و1929 استقر به المقام في العاصمة الفرنسية باريس حيث تردد على ثانويتي شارلمان ولوي لوگران. ولما حصل على الباكالوريا، التحق بكلية الحقوق لمتابعة دراسات قانونية. ولما أصدرت الحركة الوطنية مجلة مغرب *Maghreb* في باريس، تحت رعاية لجنة فرنسية - إسبانية، ساهم فيها محمد الخلطي بمقالات عديدة، كما تكلف بتنسيق نشاطها مع الوطنيين بالمغرب، خاصة بعد عودة أحمد بلافريج إلى البلاد.

وفي سنة 1934 كان أحد أعضاء النخبة الوطنية النشيطة في فاس حيث أشرف على تنظيم فرقة من الكشافة المسلمين. وفي الوقت ذاته كان يتعاون مع محمد ابن الحسن الوزاني في إصدار جريدة *L' Action du Peuple* (*عمل الشعب*) حيث نشر عدة مقالات انصب معظمها على التنديد بالنشاط الصهيوني في المغرب وإقامة جسور الحوار مع الأقلية اليهودية المغربية قصد بعث الوعي الوطني فيها. وقد أولى الخلطي هذه القضية اهتماماً كبيراً جعل منه الصحفي المغربي المتخصص دون منازع في هذا الحقل.

وخلال سنتي 1936 و1937، وجد الخلطي مجدداً في باريس حيث اشتغل، إلى جانب كل من أحمد بن المعطي بوهلال ومحمد بناني، بتسيير جمعية التضامن والدفاع عن المغاربة في فرنسا، وهي الجمعية التي حظيت بالاعتراف الرسمي من لدن الحكومة الفرنسية في 15 يناير 1937.

وابتداء من 1937 وبعد أن تولت الجبهة الشعبية زمام الأمور في فرنسا. أسندت إلى محمد الخلطي وظيفة إدارية في وكالة المغرب بباريس Office du Maroc، مما كان له أثر سيئ على علاقاته ببعض زعماء الحركة الوطنية المغربية الذين اعتبروا قبوله لهذه المهمة مؤشراً على تراجعه عن المبادئ التي كانوا يناضلون من أجلها.

مجلة *Maghreb*، جريدة *L' Action du Peuple*، الأرشيف الدبلوماسي في نانط.

جامع بيضا

الخُلْطي المودَن، بو سلهام بن علي من أولاد المؤذن إحدى فرق قبيلة الخلط المشهورة، كان فقيهاً وأستاذاً حيسوبياً ميقاتياً، تولى رياسة علماء الميقات في زمانه.

أشار ابن زيدان في *الإتحاف* إلى سبب تعليمه أن السلطان عبد الرحمن بن هشام - عند مقدمه لمكناس - أمر القائد محمد بن العواد الخلطي البوجنوني، باشا مكناس، بترشيح عشرة من طلبة الجيش البخاري لتعلم التوقيت والحساب، فكان بوسلهام من جملتهم، وكلف السلطان العلامة عبد الرحمن بصري بتعليمهم.

كان الخلطي أنجب العشرة وأمهرهم، أحرز قصب السبق في التبريز في فنون شتى، منها الرياضيات والتعديل والتوقيت. ومكنه نبوغه العلمي من أن يحصل على ثقة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام ويحظى لديه بالوجاهة والحظوة والمكانة. فلازمه في الحل والترحال.

كما كان السلطان يحضره ويأمره بالقراءة بحرف حمزة وهو منصت إليه، وكلما ختم ختمة - كما يقول ابن زيدان في الإتحاف - أفاض السلطان عليه سجال عطاياه الملوكية وغمره ببره وإحسانه.

توفي المترجم عام 1265 / 1848 ودفن بروضة الشيخ الكامل مَحمد بن عيسى الفهدي، من ناحية باب البرادعيين.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2، ص 76.

رقية بلمقدم

الخلف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية بالقرب من مدينة أصيلا ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 626.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **خلف الله**، خلوف الصنهاجي، أبو سعيد، وُصف بكونه من أهل العلم والفضل والدين المتين، لا تأخذه في الله لومة لائم. تولى قضاء غرناطة في عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف سنة 510 ثم نقل بعد خمس سنوات إلى قضاء الجماعة بمراكش. ثم قضاء فاس حيث توفي وهو قاض بها سنة 515 أو سنة 516.

ابن الأبار، *التكملة*، 314، ص. 850 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 193.

أحمد عزاوي

الخلفي، أحمد بن **علي** النجّاري الدكالي. لا يعرف تاريخ ولادته، كان من علماء دكالة وقضاتها، اشتهر بعد له وورعه وسعة علمه. حفظ القرآن الكريم في صغره ودرس مبادئ اللغة والعلوم الدينية ثم رحل إلى فاس في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وطالت إقامته بهذه المدينة حتى سنة 1168 فأخذ بها العلم على يد الفقيه السيد عبد الله السوسي وعلى يد علماء طبقته.

ولما رجع إلى دكالة أنشأ مدرسة لنشر العلم، فكان يقوم بإيواء طلبتها وبإطعامهم وإقرائهم، و اشتهر بورعه وسعة علمه، وأسندت إليه خطة القضاء في عهد السلطان سليمان، واشتهر بعدله وإقامة ناموس الشريعة في أحكامه، غير أن وظيفه هذا لم يكن ليشغله عن الاهتمام بمدرسته وعن متابعة التدريس بها إلى آخر حياته.

توفي قتيلاً أثناء رجوعه إلى بيته من سوق الثلاثاء بأبي يَنّور (سيدي بنور) قبل سنة 1238. وكان قد حكم على أناس فلم يرضوا بحكمه فاعترضوا سبيله وقتلوه. وقد تتبّعهم السلطان المولى سليمان ونفذ فيهم الحكم بالإعدام.

ع. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرّجال*.

محمد الشياظمي

الخلفي، أحمد بن **همّو** (الشيخ محند) خَلَفَ والده في المشيخة أولاً وعرف بكرم الضيافة، وحُبّه للعلماء، واحترام الشرفا - كعادة أيت باعمران بصفة عامة - وكأن الشريف ابن زيدان يعني هذا القائد وأمثاله بقوله : "ولأيت باعمران كرم زائد وشجاعة، وهم أباة الضيْم أهل شمم ونخوة يحبون الغريب النازل بهم ويكرمون الضيف. لا سيما رؤساؤهم، فإنهم يحبون العلماء ويجلونهم غاية..." *الاتحاف*، ج 2، ص. 210.

هذه الصفات كلها متوفرة في مترجمنا هذا وناهيك بمن لا يفارق على الدوام العلامة الحيسوبي محمد بن صالح التدرارتي والمفتي أبراهيم الباعمراني والحمزاوي سعيد بن بهي العيني الذي حرره السلطان الحسن الأول سنة 1303.

وقد استطاع المترجم أن يحافظ على القبيلة الكبرى أيْت بُوبْكر أيحيى المكوّنة من أيت النص حالياً ومن أيت خْلف، وإيمْشْتيتن وإدْ مُوسّاكنا إلى سنة 1299 عندما تسلم ظهيراً من السلطان الحسن الأول كعامل للسلطان علي قبيلة أيْت خلفْ فقط : في سياسة تقسيم كل قبيلة إلى مَثْنَى وثُلاث ورُباع، وفي نفس التاريخ عين الوجداري إبراهيم على نصف قبيلة أيت بُوبكر باسم أيت النصف، ومقر قيادة هذا الأخير بإسْكّ TSGG بينما مقر القائد أحمد بخميس أيتْ بوبكر.

لذلك أسندت إليه قيادة محلة السلطان من محطتها بإسْك إلى خميس أيت بوبكر، وفي هذا الموقع المعروف بتيغزى "أعجب السلطان بالمكان فأمر مترجمنا هذا بشراء أرض هناك من مال المخزن حيث الثكنة العسكرية قديماً وحالياً" (*معلمة المغرب*، ج 8، ص. 2713 + *الاتحاف*، ج 2، ص. 243).

وفي مقر تيغزا هذا وسط أيت باعمران كتب السلطان رسالته التي يعتز بها أيت باعمران على الدوام منها "... كتبنا لك هذا يوم حلولنا وسط خدامنا قبائل أيت بُوعمران بحبوحة مجامع قبائل سوس الأقصى ومناخ الأعيان..."

(*الإتحاف*، ج 2، ص. 246).

وبما أن قبيلة هذا القائد كانت محادية للمحيط الأطلسي فقد كان من العمال المكلفين بحراسة تلك الشوطئ، كما ورد في عقد الإشهاد ومما ورد في رسالة السلطان "... ختم العمال منهم بخواتم عمالاتهم على عقد الاشهاد تأكيداً للقصد، وتأسيساً للمراد، كما أشهد أهل السواحل منهم بالتزام جعل العسّاسات في مراسي سواحلهم..." *الاتحاف*، ج 2، ص. 316. وفعلاً قام هذا القائد بأول بناء للحراسة البحرية في إفْني في موضع إدْفْقير، ومازال ذلك المكان محترما كرمز لوجود المخزن حتى الآن.

وما كادت القبائل هناك تسمع بموت السلطان الحسن الأول (1311) حتى انقضّت كل قبيلة على غريمها، فهدمت جميع ديار القادة بأيت باعمران وما حولهم ما عدا دار مترجمنا هذا، وكذلك القائد البشير بن القائد لحسن أصبايْو "*طاقة ريحان من روضة الأفنان*، ص. 28".

وفي تلك الفترة أصيبت سوس بجفاف تام فحدث أن ظهر التاجر كورْطيسْ بِرسي أساكا بين أيت باعمران والتكنة، فأضعفت المجاعة الروح الوطنية لدى البعض هنالك، منهم مبارك ندياكو، الذي كان يبيع ويشتري مع ذلك التاجر، إلى أن قُبض عليه صحبة الأجنبي فجرّ ذلك مع القافلة مترجمنا هذا كشاهد على عدم شرعية الاتجار هناك مع الأجانب، ولما كان كبير السن، وكان الوزير بّا أحمد بن موسى يكنّ عداوة لكل قائد نجا من فتنة القبائل أمره بالإقامة بمراكش ملازما ضريح أبي العباس السبتي حتى توفي سنة 1316 / 1898.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 2 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 10 ؛ *معلمة المغرب*، ج 8، مادة تغزى ؛ الأكواري، *روضة الأفنان*، ص 216، *ظهائر مخزنية*.

الخلفي، الحسن بن علي ابن الشيخ هَمّو، كان خليفة لأخيه القائد مُحنْد، وهو المكلف بتسيير أمور القبيلة، والدخول في الحروب القبلية ومقارعة الخصوم، وشارك في ثورة أحمد الهيبة، لذلك عين من طرفه قائداً إلى جانب أخيه القائد محند، ولدي رسالتان لهذا الأمير : الأولى سنة 1332، تسميه بالشيخ الحسن والثانية سنة 1333 تصفه بالقائد الحسن الخلفاوي. وقد حاولت السلطة المركزية ضم هذه الشخصية إليها، لكنه رفض، وخاصة عندما خرج ضابط ألماني مع تركي في شاطئ قبيلة أيت اخلف نأوصلهما إلى الأمير أحمد الهيبة بكاردوس.

كما قاد الحسن الخلفي معارك قبلية ضد حكام تيزنيت الموالين للحماية، وكذلك ضد الوجداري القائد إبراهيم والقائد محمد البوبكريين حتى قتلا معا، لذلك دسّ له قائد ماسة سمّا فمات في 11 ذي الحجة عام 1333 / 21 أكتوبر 1915.

عن *مذكرات* عمه القاضي الخلفي محند بن محمد الخلفي، رسائل أحمد الهيبة ؛ ح. جهادي *من تاريخ أيت باعمران*، مرقون.

الحسين جهادي

الخلفي، سعيد بن عبد الله المحمدي الدكالي، أحد كبار علماء المغرب المتنورين في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر الهجري. ولد بمدينة الجديدة حيث تلقى تعليمه الأولي، ثم جال في مختلف أنحاء المغرب ورحل إلى المشرق طلباً للعلم. ودامت رحلته نحو عشرين سنة. ولقد استفاد كثيراً مما رآه من مظاهر النهضة الأوربية في سائر العلوم والتقنيات المعاصرة له، وأدرك مدى تخلف وطنه عن الركب الحضاري والعلمي الأوربي. فكتب للسلطان المولى الحسن تأليفا في السياسة المستحب اتباعها لإنقاذ البلاد من مخاطر الاستعمار الأوربي. وعنون مؤلفه هكذا *وردة الناشق وروضة العاشق*، أو *التحفة الدكالية إلى الحضرة العالية*. وقد رتبه على خمسة أبواب، بكل باب ثلاثة فصول. يبرز في هذا التأليف محور أساسي ركز فيه المؤلف على التنبيه إلى أمور الدين وإصلاح ما اختل من شؤون الثغور الساحلية في وقت استفحلت فيه دول أوربا. أما المحوران الباقيان، فالأول منهما عرف فيه بنفسه عن رحلاته واغترابه وعن محفوظاته وآثاره، وخص الثاني للتعريف بالسلطان مولاي الحسن الأول وسرد تاريخه ونسبه وحسن سيرته ومذهبه في شؤون الحكم، ومواقفه تجاه أجناس أوربا.

وكان تأليف هذا الكتاب سنة 1304 / 1886 بمصر، وعند رجوع المؤلف إلى المغرب قدمه إلى السلطان إرشاداً له وتنبيهاً.

توفي سعيد الخلفي في العشرة الأولى من القرن الرابع عشر الهجري (20 م) بمدينة أسفي.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، القسم الثاني، مخطوط.

عبد الرحيم العطاري

الخلفي، علي بن الشيخ هَمّو. أخذ القرآن عن عميه لحسن بن أضرضور وعلي من بني الشيخ هَمّو الحمزاويين، ولما استكمل مراده انتقل إلى قبيلة أمْلن بالأطلس الصغير، وهناك عكف مدة طويلة عند شيخه الحاج أحمد بن عبد الرحمان التملي الذي وصفه صاحب المعسول بقوله : "كان متناهيا في الفضل والورع والزهد، جبل في المعارف على اختلاف فنونها" *رجالات العلم العربي بسوس*، ص. 107.

تحلى علي الخلفي بكثير من صفات شيخه النبيلة، وحج معه سنة 1280 وهو الذي عينه قاضياً على قبيلة أيت إخلف، كما عين تلميذه الآخر أحمد بن لحسن المرسي على

قبيلة أيت النصف.

ونظراً لورع علي هذا وزهده، ونظراً لمكانة ابنيه القائد محند والحسن، فقد تخلى عن القضاء إلا قليلا، كأنه لا يريد جمع السلط كلها في عائلة واحدة، لذلك اكتفى بالتدريس والإرشاد، ومن أعماله *تحقيق العمل السوسي* لوالد شيخه عبد الرحمن، وعليه اعتمد الرحماني عبد الگوشنيْمي في إخراج ذلك العمل السوسي.

كانَ مَعلماً لعائلته من ذكور وإناث، وأحرار وعبيد، وأحكامه موجودة في أيدي الناس. تمتاز بدقة التوثيق، ومتانة العبارة، والسير مع القول المشهور، وقد ترك خزانة مهمة من المخطوطات في الفقهيات والروايات واللغويات.

توفي حوالي 1312 / 1895.

الـخلفي، مبارك بن القائد أحمد بن الشيخ هَمّو، أخذ القيادة من السلطان مولاي يوسف وكذلك من الأمير أحمد الهيبة، بعد موت ابن عمه الشيخ الحسن، ولدينا عدة رسائل من الأمير مُربِّيه ربه منها : "خديمنا الأرضى القائد مبارك الخلفاوي رعاك الله... ويسند إليه أموراً توجد في قبيلة أيت برايّم كالمحافظة على الخيل وجمع الإعانات الزراعية... رغم أن القبيلة خارج أيت باعمران. كما لدى لائحة أخرى بما يجمعه إنفلاس من أيت باعمران من زكاة وأعشار ومفروضات تحت رئاسة القائد مبارك هذا باسم الأمير مُربِّيهْ ربِّهُ مما يدل على أنه عمدته هنالك.

تدخلت اليد الأجنبية في أيت باعمران. فاضطر هذا القائد إلى خوض معارك قبلية استمرت سنة كاملة من 1339 إلى 1340 وبعد عقد الصلح فرض على القبائل أداء ثمن الخيل المقتولة في الحرب، لأن أيت باعمران في الحروب يدفعون ثمن الفرس، ولا يطالبون بدية الفارس في المعركة حسب العرف، فبينما كان يجمع تلك الفريضة، وهي ثقيلة على الناس، إذ لم يستثن فيها هذه المرة لا عالم ولا شريف، وفي أثناء ذلك مات قيل بالسم، وقيل بمرض مفاجئ، وذلك سنة 1340 / 1921.

عن *مذكرات* القاضي محند بن محمد الخلفي : ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران* : مخطوط.

الحسين جهادي

الـخلفي، محمد بن **أحمد** بن الشيخ هَمّو، تولى مشيخة قبيلة أيت إخْلَفْ بعد وفاة أخيه القائد مبارك، سنة 1340 وقد اشتغل قبل ذلك بالتجارة، رابطا بالقافلة ما بين أيت باعمران والصويرة، وخلال ذلك كسب تجارب عديدة في المعاملات مع الناس، لذلك انتخبته القبيلة خلفاً لأخيه في ظروف صعبة، منها الحروب القبلية هناك، فاضطر إلى أن يقود الفرسان في المعارك. مما أدى إلى إصابته بالرصاص عدة مرات، كما حاول الإسبان الخروج في سواحل أيت باعمران، وخاصة في قبيلة هذا الشيخ.

وقد اطلعت على عدة رسائل كانت تأتي إليه من قنصل الإسبان من مدينة الصويرة، لكنه لم يقبل قطّ أن يمد لهم اليد رغم جميع الإغراءات، وإليه يرجع الفضل في المصالحة بين القبائل في تلك الفتن، حتى إن قبيلته أيت إخلف حاول الخصوم تقسيمها إلى عدة مشيخات، فكان يعالج ذلك كله بالتعقّل وبالتي هي أحسن، فحافظ على مركزه وسمعة قبيلته حتى توفي سن 1347 / 1928.

الـخلفي، محمّد أُيحيى، من قبيلة أيت إخلف من فخذة إدبلقاسم، أخذ القرآن وبعض الروايات في بلدته، ثم التحق مبكراً بالمدرسة التيمگدشتية حتى تخرج منها فقيها صوفيا عمليا، فرجع إلى قبيلته وصار قاضيا ومعلما ومربيا، فأضاف لعائلته شهرة على شهرة، فاشتهر بعدله بين الناس، لا تستميله ثروة غني، ولا تخيفه سلطة قوي.

وترجع أهمية هذا القاضي إلى مستوى ثقافته وتوثيقه وانتشار أحكامه بين الناس من جهة، وإلى نزاهته وعدله في ظروف قاسية بسبب مجاعة عام 1295 / 1878 من جهة أخرى، هذا وقد عثرت على عقود وبيوعات لبعض العدول هناك، كانت كلها زوراً بسبب فقر الفقهاء المضطرين إلى كتابة تلك العقود مقابل عبرة من الشعير، ومن الطريف أن يكتب الكاتب "هذا بيع قاطع لا رجعة فيه أبدا مؤبدا..." لكن في النهاية يكتب "هذا العقد من باب تدبّر المعاش فقط" أي زور مضطر كاتبه. وكم من عائلة بأيت باعمران باعت عقاراتها بكبس من الشعير فالتحقت بحاحة وأسفي ومازالت لدينا بعض العقود شاهدة على ذلك.

في تلك الظرف القاسية وقف محمد أُيحيى في وجه الزور رافضاً المزورين في شؤون العدالة، وكان عارفا بالقبيلة كلها، لذلك كان يقبل شهادة شاهد واحد عدل، نظراً لقلة السكان ولتأثير المجاعة في ضعاف الفقراء. "كاد الفقر أن يكون كفراً" كما كان يرفض بيع المكره بسبب تلك المجاعة، ومازالت أحكامه محترمة لدى العدول هنالك لا يتطرق إليها الشك.

وكان القاضي محند بن محمد الخلفي، يشيد بعدالة المترجم له، ويقول أمام الناس : "إن شهادته وحده تعادل اثنى عشر شاهدا، ويرجع إليه الفضل في حماية حقوق الناس في تلك المجاعة".

اطلعت على كثير من أحكامه، وكلها تبرز مكانته الفقهية بالإضافة إلى نشر الطريقة الناصرية الصوفية بأيت إخلف.

توفي حوالي 1296 / 1878.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران : جولة في عين المكان* سنة 1980.

الـخلفي، محمّد (الحاج -) بن **سعيد** بن الشيخ

علال بن الشيخ عبد المومن ابن الشيخ محند بن الشيخ علي بن علي (مكرراً) بن الشيخ بَهَا. وسلسلة هذه العائلة قديمة في مشيخة قبيلة أيت بويكر الباعمرانية، وقد يتبادر إلى الذهن أن المشيخة كانت وراثية، وليس الأمر كذلك في أيت باعمران حسب عرفهم، إذ كلما توفي شيخ القبيلة أو أمغارها، إلا واجتمع إنفلاس، ويعينون بانتخاب علني من هو أهل لزعامة القبيلة.

وكلما تم الاتفاق إلا ويكتب ويلتزم به الجميع، ولدى هذه العائلة وثيقة عن نقل المشيخة من الشيخ بلقاسم المسن إلى ابن أخيه الشيخ باها وذلك في سنة 1000 / 1592 وتعلل الرواية الشفوية انتقال مشيخة القبيلة بعدة أسباب منها حيوية مترجمنا هذا وقوته الشخصية، وكذلك ظهور الكفار في شواطئ أيت باعمران، والقبيلة بحاجة إلى زعيم شجاع. ونحن إذا رجعنا إلى هذه الفترة التاريخية بسوس عامة نجد سندا لتلك الرواية الشفوية، لدى صاحب *الاستقصا* الذي ينقل بدوره عن صاحب *زهرة الشماريخ* "أن سبب قيام أبي عبد الله القائم أن أهل سوس أحاط بهم العدو الكافر. ونزل بجوانبهم من كل جهة، حتى أظلم الجو، واستحكمت شوكة البرتغال..." (*الاستقصا*، ج. 5، ص. 6).

فهذه العائلة إذن قامت منذ البداية على أساس الجهاد والدفاع عن الوطن، بالإضافة إلى حسن تسيير شؤون القبيلة والمحافظة على تماسكها ووحدتها كما هو مثبت لدى العائلة حتى الآن.

والذي عثرنا عليه أن والد المترجم له الشيخ سعيد عاش حتى سنة 1159 كما حجّ مترجمنا هذا سنة 1206 ولما رجع صادف في أيت باعمران ثائراً "يزعم أنه السلطان اليزيد بن سيدي محمد بن عبد الله ثار في بعمرانة..." (*خلال جزولة*، ج. 4، ص. 46) وهذا الثائر هو بوحلاس "مخطوط الأدوزي نسخة بخط حسن بن البريك الباعمراني".

وقد انجرف مترجمنا هذا بتيار مع الثائر، إلى أن توصلت أيت باعمران برسالة مخزنية تؤكد على موت المولى اليزيد بمراكش، كما أن رسائل الشيخ التاساكاتي الوعظية أزالت الغشاوة على أتباع بوحلاس، فانفض عنه أيت باعمران وهو محاصر في قرية العوينة قرب تيزنيت حيث قتل سنة 1207 هذا وقد جرح مترجمنا في تلك المعركة بالعوينة، وشاع عنه أنه كان يردد الحمد لله الذي نجانا من اتباع الظالمين.

توفي حوالي 1255 / 1839.

الخلفي، مُحَنْد بن **علي** بن الشيخ هَمّو البويكري، قال عنه الأكراري "أخذ القيادة بعد عمه أحمد بن الشيخ هَمّو عند السلطان مولاي عبد العزيز فلم يساعده الوقت، ولا أكل منها ولو فلسا..." (*روضة الأفنان*، ص. 191).

نعم تسلم القيادة على قبيلة أيت إخلف سنة 1316 / 1898 فقام بالواجب أحسن قيام، ويقدر ما كان شجاعا، بقدر ما كان متواضعا وداهية في إدارة المعارك، ولما ظهر أمر الأمير أحمد الهيبة بتزنيت سنة 1912 كان مترجمنا هذا من بين المتحمسين للجهاد والدفاع عن الوطن، ومع ذلك تريث قليلاً عن الالتحاق بالأمير المجاهد، ولدينا رسالة من الهيبة إلى هذا القائد مع أخيه الحسن بن علي يحثهما على مزيد من الحزم والتزود للجهاد.

وقد شارك هذا القائد في معركة سيدي بوعثمان 1912 ؛ فنجا بأعجوبة من مدافع العدو، ولما رجع إلى بلاده كان سدا مانعا أمام حملات الحماية إلى تلك الجهات، وهو الذي ترأس المقاومة ضد حملة الباشا حيدا بن مايس إلى أن قضى على حملته بكاملها في معركة إيگالفن 1917 م فبعث إليه الهيبة رسالة يهنئه بالنصر على الأعداء.

وفي 27 جمادى الثانية عام 1335 قدم إلى أيت باعمران الجنرال دولاموط De Lamothe بحملة مسلحة كبيرة قصد رد المدافع التي غنمها أيت باعمران في حملة حيدا، فنزل فجأة بإيسْكْ فاضطر إلى الرجوع إلى تيزنيت في أقل من أسبوع، وفي تلك المعركة استشهد هذا القائد مع أخيه الشيخ محمد وشاراباط وكثير من أبطال أيت باعمران يُعرفون بشهداء معركة تيزي 1917.

الخلفي، مُحَنْد بن **محمد** بن الشيخ همّو. تخرج على يد شيخه مبارك البعقيلي بمدرسة أخريب العتيقة بأشتوكن، سنة 1318 كما أخذ الروايات القرآنية عن عميه لحسن بن أضرضور وعلي، وشارط في مدرسة ميرلفت سنة 1318.

وهناك ارتضاه فريق من القبيلة كقاضٍ ـ كما ارتضى فريق آخر فقيها آخر، ومعنى ذلك أن الحكمين سيعرضان على قاض ثالث، وسجل هذا الفقيه المحنة التي أوقعه فيها ذاك الحكم، مما اضطره إلى أن يستعين بشيخه القاضي بأشتوكن، مما جعل حكمه مقبولا وسلم به حتى القاضي الموازي له. فكن ذلك بداية شهرته.

والحق أنه كان متوسطا في الأسلوب العربي، بقدر ما كان متمكنا من الفقهيات، واستفاد من خزانة عمه سيدي علي، زاوج بين التعليم والقضاء مدة طويلة، وإليه يرجع الفضل في تعليم أجيال في تلك الجهات، وخاصة تلقين رواية المكي والبصري وقالون وورش.

كما استمر في القضاء حتى تدخل فيه الإسبان، فقدم استقالته بالانسحاب، ورفض أن يأخذ له الإسبان ولو صورة واحدة، ولا أن يسجلوه ليأخذ السكر والشاي حسب الإحصاء هناك من طرفهم.

كان محمد الخلفي دائماً يربط العلاقة بالمراسلة مع المخزن المغربي في الحماية الفرنسية بدعوى أنها باسم السلطان، وقد ساهم في تحريك الجماهير بالوعظ والإرشاد

عندما سمع بعقد الحماية على المغرب، وكان دائماً يخوف الناس من الأجانب ومن تدخلهم في الدين والوطن، وقد رزقه الله زوجة مثقفة وهي سلطانة بنت القائد أحمد، وقضيا حياتهما في المطالعة والعبادة وإرشاد العباد، وترك خزانة من المخطوطات أهمها الفقهيات. ولد سنة 1294 وتوفي رحمه الله سنة 1384 / 1964، فشهّرت السلطة قبره هناك لمكانته في تلك الجهة، وللترحم عليه، ومن آثاره عدد من الأحكام القضائية وخاصة الميراث وقسمة العقارات. بالإضافة إلى رسالة منه إلى الأديب المشهور الطاهر الإفراني. كما كتب إليه صاحب *المعسول* قائلاً : "اكتب لي عن أحداث هذا القرن هناك".

وكا يسجل في *مذكراته* كل ما يقع هناك من أحداث تستحق التسجيل، ومنه استفدت كثيراً لأنه شيخي ومن عائلتي فرحم الله تلك الهمة النادرة.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران.*

الـخلفي، هَمّو (الشيخ محند) بن محمّد بن سعيد بن علال البوبكري، من قبيلة أيت إخْلَفْ. تولى مشيخة القبيلة بعد وفاة والده ولا نعرف بالضبط متى تم ذلك، لكن لدينا رسالة مخزنية إلى هذا الشيخ بتاريخ 1202 / 1787 من السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي. وفي سنة 1240 / 1824 توصل برسالة أخرى من السلطان مولاي عبد الرحمن العلوي، يزكي فيها مشيخة الخلفي هذا، ويدعوه إلى التعلق به والزيادة في ربط العلاقة.

وقد كان هذا الشيخ عينا للسلطة المركزية في تلك النواحي، وشاعت له سمعة حميدة هنالك، حتى إن العائلة مازالت تعرف بهذه الشخصية رغم من فيها من قادة كبار، وعلماء وقراء، وذلك يرجع إلى عدله وتدينه، وحبه للعلماء.

ومع ذلك فقد حدث أن قتل شخص من عائلته، فاتهمت القبيلة الشيخ نفسه بالقتل، فهدمت داره حسب العرف، وبما أنه هو الساهر على تنفيذ العرف، فعليه أن يغادر البلاد، ونعلا رحل بعائلته قاصداً صهره بأكلو، وبينما هو نازل على أنفلوس العباوي إذا بأعيان القبيلة يعثرون على القاتل، فأرجعوا الشيخ همّو من جديد إلى مشيخته، ثم قامت القبيلة بإعادة بناء الدار التي هدمتها، فسميت بقصبة الشيخ همّو. وهناك نزلت محلة السلطان الحسن الأول سنة 1303.

توفي همو الخلفي بعد عمر طويل سنة 1218 / 1803 حسب قسمة تركته بخط القاضي أحمد بن إبراهيم السملالي.

ظهائر سلطانية ورسائل من أحمد الهيبة ومربيه ربّه.

الحسين جهادي

خلفيات الـخيشوم، Opithabranches هي حيوانات من مجموعة الرخويات، نفس المجموعة التي ينتمي إليها الحلزون والأخطبوط أو بلح البحر مثلا إلا أن أهم ما يميز خلفيات الخيشوم هو - كما يدل اسمها على ذلك - هو الخياشيم التي توجد في وضع متأخر خلف وضع القلب داخل الجسم كما أنها تمتاز بالنسبة لعديات الأرجل الأخرى بعدم تعرضها للالتواء الذي تعرضت له أماميات الخيشوم أثناء تطورها.

قد يكون من المستحيل التعرض والتطرق إلى تبيان خصوصيات هاته الحيوانات بشكل عام نظراً لتنوع أشكالها وألوانها وطريقة عيشها إلا أنه يمكن تبسيط التصنيف العلمي لهاته الرخويات، حيث إن أهم المجموعات التي تضمها خلفيات الخيشوم هي :



1 - المجموعة الأولى ويطلق عليها Tectibranches وتتميز بتوفرها على صدفة صغيرة قد تكون ظاهرة للعيان كما قد تكون مختفية تحت الجلد، ومن أشهر أنواع هاته المجموعة ما تطرقنا إلينا في حرف "أ" تحت اسم "أرنب البحر" التي تكثر في المياه السطحية وخاصة الغنية بالمواد العضوية والمياه الملوثة. كل أنواع هاته المجموعة تعرية ولا تحمل أية زوائد تنفسية فوق سطح الجسم.

2 - المجموعة الثانية وهي ما يعرف تحت اسم "Nudibranche" وتتميز كما يدل اسمها اللاتيني على ذلك بجسم عام لا تحسبه أية صدفة سواء كانت داخلية أو خارجية، كما تتميز بوجود زوائد تنفسية أو خياشيم كثيرة العدد مرزعة في أغلب الأحيان على كل سطح الظهر. وإلى هاته المجموعة تنتمي أجمل أنواع الرخويات وأكثرها نضارة لا من حيث الأشكال فقط بل من حيث الألوان وهي كذلك رخويات تعرية.

3 - أما المجموعة الثالثة فتحوي كل الرخويات خلفيات الخيشوم التي بعد تطورها أصبحت تعيش بين العوالق. فمعظم أنواع هاته المجموعة يتوفر على جسم وعلى صدفة شفافتين يمكنانها من تمويه ماء البحر وبالتالي النجاة من مطاردها وكذلك الانقضاض بسهولة على طرائدها حيث إن كل أنواع هاته المجموعة تعتبر من اللاحمات.

تعيش خلفيات الخيشوم حسب تنوع المواطن التي توجد بها، إلا أنه يمكن الجزم أنه على الصعيد العالمي لا يوجد أي نوع يعيش على اليابسة وأن هناك نوعين اثنين يعيشان في المياه القارية وكل الأنواع الأخرى، وعددها المئات، تعيش في مياه البحر.

هناك أنواع تعيش في منطقة المد والجزر وهناك أنواع تتحمل بكل سهولة ضغط الأعماق السحيقة ؛ وهناك أنواع تعيش فوق الصخور وهناك أنواع لا يمكنها أن تعيش إلا داخل الرمال والأوحال : منها العاشبات والكثير منها لاحمات ؛ منها ما يزحف على القعر ومنها عوالق لا تصل إلى القعر أبداً.

عدد الأنواع المغربية لم يحدد حتى الآن والأبحاث جارية إلا أن آخر دراسة في سنوات السبعين أعطت حوالي عشرين نوعا ونحن نظن أن عدد خلفيات الخياشم قد يتعدى الخمسين نوعا وآخر نوع اكتشفه العلماء الإسبان على السواحل المغربية هو Tanbja ceutae اسم يرمز إلى مكان اكتشافه وهي مدينة سبتة المغربية وذلك سنة 1993.

Anonyme, Alfa sciences, 1974 : Anonyme, Les animaux, Encyclopédie des animaux dans la nature, vol. 3, Animaux de la mer, Hachette Edit., 572 p., 1980 ; H. Boue et R. Chanton, Biologie animale. Zoologie, Invertébrés, Doin et Cie Edit., 723 p., 1962.

محمد منبوي

الخلابي، أسرة تطوانية أصلها من غمارة، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 620.

الخلادي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة صنهاجة، انتقلت إلى تطوان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري وكان جل أفرادها من العسكر النظامي بالمدينة من سنة 1292 إلى سنة 1295 (1875 / 1878) منهم : قدور بن محمد الخلادي، قائد وإليه تنسب زنقة الخلادي بحومة العيون، و محمد بن عبد الملك الخلادي جندي.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطوان 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 621.

محمد ابن عزوز حكيم

الخلادي، عبد القادر بن محمد عدُّو، ولد بمدينة مغنية بالجزائر بتاريخ 26 دجنبر 1907، وعندما بلغ الخامسة من عمره هاجر والده من الجزائر واستقر مع أسرته بمدينة وجدة بالمغرب سنة 1912 فتربى في هذه المدينة وفيها تلقى تعليمه الابتدائي، وقد انتقل إلى مدينة الرباط حيث تلقى تعليمه الثانوي في كوليج مولاي يوسف ما بين سنوات 1922 و1926 حيث نال "شهادة الدروس الثانوية الإسلامية".

بدأ مسيرته في التعليم فشغل منصب معلم بمدينة طنجة سنة 1926 ثم انتقل بنفس الصفة إلى مدينة تازة في أكتوبر سنة 1928 فاستقر بها حتى يونيو سنة 1930 فعاد إلى الرباط حيث عين كذلك معلماً في الأقسام الابتدائية التابعة لثانوية مولاي يوسف.



وكان أثناء اشتغاله بالتدريس لم يتوقف عن الدراسة وتابع تكوينه العلمي والتربوي فحصل على دبلوم اللغة العربية (D.A.C) من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط سنة 1931 كما أحرز على الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب بوهران بالجزائر سنة 1934. وبعد ذلك عين أستاذاً لتعليم الأدب العربي والترجمة في نفس مؤسسة مولاي يوسف حيث درس على يده الكثير من الأجيال ممن اشتهر اليوم في مجال الثقافة المغربية. وكان في الوقت نفسه يدرّس اللغة العربية والترجمة في معهد الدراسات المغربية العليا ومركز تكوين المعلمات بالرباط، واستمر في نفس المنصب إلى سنة 1956 حيث عين مفتشا للغة العربية حتى سنة 1972 فأحيل على التقاعد بعد أن قضى في مهنة التعليم والتأطير التربوي زهاء 47 سنة.

- ألف كتاب *صورٌ ومشاهد من الحضارة الإسلامية* في جزءين، دار الكتاب، 1961. وكتّب عدة مقالات عن شخصيات مثل دوكاستري، وميشوبيلير وعبد الرحمان المجذوب، وعلي باي. نشرت بمجلة *دعوة الحق* بين سنة 1965 و1974. كما ألف أو شارك أو أشرف على تأليف كثير من الكتب المدرسية في التاريخ واللغة العربية وآدابها.

- ترجم كتاب *مؤرخو الشرفا* ـ للمؤرخ ليفي بروفنسال، وهو آخر عمل أنجزه سنة 1977، وللمترجم *مذكرات* مخطوطة باللغة الفرنسية. بالإضافة إلى كل هذا كانت للخلادي رحمه الله خزانة مهمة.

توفي بالرباط في يونيه 1977.

مؤلف عن حياة الخلادي لدى ولديه : *رواية شفوية عن بنته*.

عمر أفا

الخلادي، مرحي بن محمد. مقاوم وُلد سنة 1915 بغراوة إقليم تازة، ومن أجل تحرير البلاد واستكمال وحدتها الترابية انخرط في صفوف جيش التحرير منذ تأسيسه بالمنطقة الشمالية حيث كان ضمن التشكيلة التي يرأسها حسن بوحتات.



وكان مثالا للرجل المجاهد في سبيل الله معروفا بغيرته الوطنية متحمسا في إيمانه، شارك في عدة معارك ضد العدو أبان فيها عن شجاعة كبيرة إلى أن استشهد برصاص العدو في شهر دجنبر 1955 في مكان يدعى بزيزو.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ص 196.

الخلة، عَلَم على أراض شاسعة المساحة، شديدة الخصوبة، تمتد بواحات محاميد الغزلان، يميل لون تربتها إلى السواد (*الروض الزاهر* : 167) ؛ وهي جزء من أراضي المعدر الممتدة على يمين وادي درعة، حين ينعطف في جريانه نحو الغرب.

كانت هذه الأراضي في ملكية الزاوية الناصرية. يتحدث الشيخ مَحمد بن ناصر (ت 1085 / 1674) عن كيفية انتقال ملكيتها إلى تامكروت فيقول : "وكانت ساقيتها فسدت وتعطلت، فجاءني أربابها، فقالوا : إن أحييت لنا هذه الساقية فلك نصف الأرض. فتعاقدت معهم على ذلك... قال : فخرجت أنا ونفر من الإخوان إليها فحركناها فسلمها الله، وطلعت، فكنا نحرثها.." (*طلعة المشتري*، 1 : 171).

وبسبب شدة خصوبتها، تعطي محصولاً جيداً من الحبوب متى توفر الماء ؛ حتى شاع أنه "لو كان في المغرب خلتان ما انباع [كذا] الزرع بدرهمين..". وهذا من جملة ما يستدل به على وفرة محاصيلها.

ومصداق ذلك نستجليه من قول الشيخ المذكور، حيث جاء، في معرض حديثه، رداً على بعض ما شاع من أنه سخر أحباس الزاوية في قضاء بعض أغراضه الشخصية فقال : "فمن ذلك كله تزوجنا وحججنا، ومن ذلك نخص من رأينا أن نخصه بكرامة أو أعطية من الواردين علينا...".

وهكذا يكون نتاج محصولها قد غطى مصاريف الزواج والحج، ونفقات الزاوية ؛ مما يدل على شساعة المساحة المحروثة، ووفرة المحصول.

ولعل انتقال ملكية هذه الأرض إلى الناصريين، كان سببا في تطور زاوية الهناء الناصرية، التي تأسست بمحاميد الغزلان.

م. المكي الناصري، *الروض الزاهر*، تح. المهدي الغالي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1999 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ ح. اليوسي، *فهرسة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، ج 2، التحري الميداني.

أحمد عمالك

ابن **خَلُّو**، أسرة تطوانية أصلها من بني بدر القبيلة المجاورة لمدينة تطوان، وقد انقرضت هذه الأسرة سنة 1241 / 1825.

خَلُوف، ويكتب أحيانا الخلوف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، انقرضت بتطوان سنة 1260 / 1844.

خَلُوف، أحمد بن **عبد الله** كان يرأس فرقة البحرية التابعة لحامية تطوان سنة 1242 / 1826.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 232 و1610.

محمد ابن عزوز حكيم

خَلُوفي، عبد القادر مقاوم، ولد سنة 1902 ببويحيى إقليم الناظور، التحق بصفوف جيش التحرير ملبياً نداء الوطن للدفاع عن حرية وطنه وكرامته، فرابط مع وحدات جيش التحرير ضمن فرقة بوحتات بمركز بوسكور، وهو ما عرف بمثلث الموت، وذلك تحت مسؤولية السرجان الحسن وملال عبد القادر. وقد ظل خلوفي مرابطاً هناك إلى أن حصل المغرب على استقلاله. وأدركته الوفاة سنة 1416 / 1995.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الخلنج جنس نباتي يسمى علميا إيريكا Erica وهو من فصيلة الخلنجيات Ericaceae اسمه بالفرنسية Bruyère يضم الجنس عدة أنواع توجد منها ثمانية بالمغرب تصادف في الشمال والشمال الغربي في المناطق اليومناخية شبه الرطبة والرطبة جداً. وأشهرها النوع الشجري إيريكا آربُوريسانْسْ Erica arborescens.

والخلنج شجيرة يمكن أن يبلغ علوها ما بين ثلاثة أمتار

أو أربعة متفرعة، ذات فروع مورقة. الأغصان الطويلة مغطاة بزغب كثيف. أوراقها متقابلة "ثلاث ثلاث" خيطية دقيقة لا يتعدى طولها سنتيمتراً واحداً، عديمة الزغب. أزهارها على شكل عثكول كبير مورق تجتمع فيه عناقيد كثيرة أزهارها بيضاء، واستثنائياً وردية.



خلنج

يصادف الخلنج الشجيري في المنطقة المتوسطية وجزيرة ما دير والجزر الخالدات وبعض الجبال المرتفعة من إفريقيا الشرقية.

يكثر الخلنج الشجيري بالمغرب في المنطقة الشمالية الرطبة وخاصة في غابات البلوط الفلبني أي في البيومناخات الرطبة جداً والرطبة وشبه الرطبة وفي الطوابق النباتية للمتوسطي الدافئ والتوسطي واستثنائيا فوق المتوسطي. أما من حيث التربة فإن أغلب أنواع الخلنج - ومنها الخلنج الشجيري - تتطلب أرضاً غير كلسية وسميكة.

يستعمل الخلنج الشجيري كحطب ولصناعة الفحم ولأغراض عديدة في التطبيب التقليدي وغيره.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الخلنْجي أو الخلانجي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Bujalance وهو اسم مدينة إسبانية. هاجرت هذه الأسرة إلى مدشر بني سالم بقبيلة حوز تطوان ومنها انتقلت إلى هذه المدينة.

ومن المعلوم أن فرقة من هذه الأسرة الأندلسية كانت قد استقرت أول مرة بفرقة العنصر من قبيلة بني يدر حيث أسست المدشر الذي مازال يعرف بمدشر الخلانجيش.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، تطاون 1999 : المراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 622.

محمد ابن عزوز حكيم

الخلنْجي، محمد بن محمد بن يعقوب، شيخ صوفي، ولد بقبيلة بني يدر بأحواز تطوان في حدود العشرة الأولى، من القرن الثالث عشر (19)، في أسرة عرفت بالفضل والعلم واشتهرت أيضا باسم ابن يعقوب.

نشأ في بلده بني يدُر فقرأ القرآن وحفظ المتون، ثم شرع في قراءة العلم على والده الشيخ محمد بن يعقوب اليدري، وكان من الشيوخ المدرسين، ولما ظهرت نجابته انتقل إلى تطوان لدراسة العلم. ويذكر من بين شيوخه التطوانيين الذين استفاد منهم الفقيه القاضي محمد بن محمد الجنوي (ت. 1271) والشيخ الصالح الشهير محمد الحراق (ت. 1261 هـ) وقد لازم هذا الأخير في دروس التفسير، واعتمده شيخاً في الطريقة الصوفية. فكان الحراق شيخه في علمي الظاهر والباطن.

وحدث أن عرض أهل بني سالم من حوز تطوان على الطالب محمد الخلنجي أن يشارط بقريتهم على اقراء أبنائهم القرآن، والإمام بمسجدهم. فوافقه شيخه محمد الحراق على ذلك، فانتقل إلى سكنى بني سالم، وظل مع ذلك وفيا لشيخه. فكان في كل جمعة يأتي إلى تطوان، يحمل ما حصل عليه من مداخيل إقرائه إلى شيخه، فيصلي صلاة الجمعة بالزاوية ثم يعود إلى عمله.

وقد اعتُبر محمد الخلنجي بعد وفاة الحراق التلميذ الأقرب إليه، فكان وارث سره. لذلك تصدّر للمشيخة وتربية المريدين، فبنى زاويته ببني سالم واستقطب الأتباع وأقام العمارة الصوفية بها فكثر مريدوه من تطوان وبواديها وعمد إلى بناء زاويته بحومة السويقة حينما أحس بفتور المشرفين على زاوية شيخه الحراق بتطوان في استقباله واستقبال أتباعه، وجعلها مأوى لفقرائه المقيمين والوافدين.

هكذا استقل الخلنجي بمشيخة الطريقة الدرقاوية بعد شيخه الحراق في تطوان وبواديها وتبعه كبار تلامذة الشيخ الحراق. وعمّر وقته وهو يقيم في بني سالم بإقامة حلقات الذكر والوعظ والتدريس، وتعاطى مع ذلك التطبيب بالأعشاب فكان مقصودا لعلمه وبركته. وكتب شرحا على *تصلية الشيخ عبد السلام بن مشيش*، وألف في *تفسير القرآن الكريم*. وكانت له *أشعار زجلية*.

توفي بزاويته بني سالم من حوز تطوان في شهر ربيع النبوي عام 1283 / يوليوز - غشت 1866. ومايزال ضريحه معروفا هناك يزار.

م. الخلنجي نفسه، *شرح الصلاة المشيشية*، مخطوط : ع. العزيز الخلنجي، *تقييد في ترجمة الشيخين محمد الخلنجي وولده عبدالله*، مخطوط : م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 327 وفي غير ما موضع.

عبد الله المرابط الترغي

الـخُلُوف (بنو -) أسرة فاسية أصلها من صنهاجة، قال في *بيوتات فاس* : "وهو بيت ثروة ونسب" (ص 48). ومنهم شيخ فقهاء فاس حسين بن خلوف.

خُلوف بن **خلف الله** الصنهاجي الفاسي، يكنى أبا سعيد ـ لعله الجد الذي ينتسب إليه بنو الخلوف بفاس ـ. دخل الأندلس وأخذ عن عالم قرطبة أبي بحر الأسدي وولي قضاء غرناطة للمرابطين. وأخذ عنه فيها المفسر المشهور عبد الحق ابن عطية.

رجع خلوف إلى فاس وولي قضاءها، وكان يروي *كتاب أبي إسحاق التونسي* عن الفقيه سليمان ابن الوليد عن المؤلف أبي إسحاق. ثم ولي قضاء الجماعة بمراكش.

و "كان من أهل العلم والعمل والفضل، صادعاً بالحق، ساعياً في أعمال البرّ، لا تأخذه في الله لومة لائم" (جذوة، ص 193).

وأخيراً رجع خلوف إلى فاس وتولى قضاءها وبقي في خطته إلى أن مات سنة 515 أو 516 / 1121 ـ 1123.

ابن الأبار، *التكملة*، 1 : 314 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1973، ج 1 : 193 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 3. 261 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. 2 الرباط، 1975، ج 3 . 220 ـ 221.

ابن الخُلوف، محمد بن حسين الصنهاجي الفاسي، قال عنه صاحب *بيوتات فاس* : "شيخ فقهاء أهل فاس" تقلد خططاً كثيرة قبل أن يصبح ناظراً على أحباس فاس، وهو الذي اغترس لأبي الحسن المريني الزيتون الصغير المجاور للزيتون الكبير المختلط فيه المجاور للقصارين بغدير وادي الحمص. وكان عاملاً لروض المصارة حيث القصور السلطانية في الفضاء الذي أصبح يسمى اليوم المدينة الجديدة، أو دار دبيبغ.

توفي في حدود عام 730 / 1329.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972.

محمد حجي

خليج تاريفيت أنْكْرا ذيلْ كَابَايُو Angra del Caballo يعني، "خليج الفرس" وقد أطلق البرتغاليون هذا الاسم على خليج تاريفيت الذي اكتشفته البعثة البرتغالية التي أرسلها إلى شاطئ الصحراء المغربية الأمير البرتغالي إنريكي Enrique el Navegante الملقب بالبحار سنة 1434.
يقع هذا الخليج شمال شبه جزيرة الداخلة.

A. Domenech. *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 p. 76 ; Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 64 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico - saharico*, Madnd, 1995, p. 19.

خليج الداخلة أو **أنْكْلا شيكًا** ، Ancla chica وهذا معناه "المرساة الصغيرة" وقد أطلقه الإسبان على رأس اشْليلِيك الذي يقع جنوب خليج وادي الذهب المعروف كذلك بخليج الداخلة.

I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid 1955, p. 117.

خليج الرأس الأكحل أو أنكرا ذي ثِينطرا، Angra de Cintra أي خليج ثينطرا يطلق هذا الاسم على خليج الرأس الأكحل، وثينطرا هو الاسم العائلي للبحار البرتغالي گونثالو ذي ثينطرا Gonzalo de Cintra الذي لقي حتفه بخليج أرگين جنوب الرأس الأبيض سنة 1445.

يقع هذا الخليج جنوب خليج الداخلة ويعرف عند الإسبان بـ "الگولفو" El Golfo (أي الخليج) ويمتد على مسافة طولها 30 كيلو متراً. وبهذا الشاطئ ركِب الكشاف الإسباني إميليو بونيلي Emilio Bonelli الكوخ الخشبي الذي أطلق عليه پويرطو باديا Puerto Badia يوم ثالث نوفمبر 1884. (انظر في *المعلمة* : پويرطو باديا).

A. Domenech, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid 1946, p. 81 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid 1946, p. 65 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografica-saharico*, Madrid 1955, p. 17.

محمد ابن عزوز حكيم

الخليعْ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الساحل الهبطية، وقد انقرضت بتطوان. وكان بفاس أيضا أسرة بهذا الاسم انقرضت كذلك.

م. ابن عزوز حكيم، كشاف أسماء عائلات تطوان (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999. والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 627 : ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون.

محمد ابن عزوز حكيم

الخليعْ، نوع من الطعام المغربي اللذيذ، وهو "عبارة عن لحم مُشرّق مخلوط بملح وثوم وكمون وبزر الكزبرة بعد دقّ الجميع ناعماً، ثم يجفف بالشمس ويضاف له شيء من الشحم نحو العُشر، ويطبخ في ماء وزيت إلى أن ينضج ولا يبقى به أثر للماء، فيُدّخر للاقتيات أعواماً. كان لا يستغنى عن ادخاره العائلات الكبار، ويستغنون به عن شراء اللحم في زمن الشتاء الذي يهزل فيه ويقل ويرتفع ثمنه".

أورد هذا التعريف النقيب عبد الرحمن ابن زيدان في القسم الأخير الذي لم يطبع بعد من كتابه *الإتحاف* أثناء حديثه عن الحرفين بمكناس، ومنهم الخلاعون الذين يصنعون الخليع ويعرضونه للبيع بالأسواق.

وتميزت مدينة فاس، علاوة على الخلاعين العموميين، بإقبال أهلها على تحضير الخليع في بيوتهم، فيذبحون ثوراً أو جملاً حتى ولو انتقلوا إلى السكنى خارج مدينتهم. ومازالت دكاكين الخلاعين منتشرة في أسواق فاس حتى اليوم.

ع. ابن زيدان، *ذيل الإتحاف*، مخطوط خ ح رقم 1769

محمد حجي

الخليعي، لقب اتخذته اسماً عائلياً لها الأسرة التطوانية التي كانت تعرف باسم الوادراسي بحكم أن أصلها من قبيلة وادراس ؛ وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)* تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 628.

محمد ابن عزوز حكيم

خليفة (أولاد -) قبيلة كبيرة تنتمي إلى قسم المزارعة من الحادية زُعيْر. تنتشر في أراضي أولادخليفة حول مدينة الرماني اليوم وهي مقر الدائرة الرسمية لزعير.

تقع قبيلة أولاد خليفة بين قبائل : أولاد زيد من الغرب وأولاد عمران والمخاليف من الجنوب، وأولاد علي من الشرق والجنوب الشرقي، وأولاد كثير وأولاد ميمون من الشمال والشمال الشرقي. ويخترق أراضيها وادي خنوسة أحد روافد وادي كريفلة : كان تعداد خيام أولاد خليفة في بداية القرن العشرين حوالي 600 خيمة (Cicard, *L'organisation des Zaer*, 1910) وعلى هذا الأساس كان تعداد سكان القبيلة في أواخر القرن الماضي وبداية القرن الحالي يتراوح بين 3000 و3600 نسمة، إذا اعتبرنا أن الخيمة كانت تضم بين 5 و6 أفراد.

أهم فرق أولاد خليفة هي : الشليحيين - أولاد حد الشليحيين الأحرار - المحافظ - أولاد حمامة، أولاد بزة - أيت بروس (الحراير - ايت حمّ الصغير). عريب (الديوشة - أولاد مسعود - أولاد يحي - البزابز) البوعزاويون - الهداهْدَة - أولاد سعيد.

من أشهر قواد أولاد خليفة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين :

حمو بن المواد الشليحي الخليفي الزعري.

حمو بن الميلودي بن قس الشليحي الخليفي الزعري.

بوعزة بن علي الهدهادي الخليفي الزعري.

حماني السعيدي الخليفي الزعري.

اشتهرت مواقع أولاد خليفة بتخييم الحركات السلطانية، وأهم هذه المواقع وادي سْبيدَة (أو زبيدة)، طالعْ عوك

- أهم أسواق القبيلة : أربعاء الرماني

ساهمت قبيلة أولاد خليفة، في حركة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي خلال سنتي 1911 - 1912، ووقعت فوق أراضيها عدة معارك بين المجاهدين والجيوش الاستعمارية الفرنسية.

سجل *أمناء وأشياخ القبائل*، خ. ح. ؛ ابن سودة، *زعير قديماً وحديثاً*. الجزء الأول ؛ *تحريات ميدانية*.

Cicard, *L'organisation des Zaer*, R.M.M., 1910.

علال الخديمي

ابن **خليفة، موسى** لعله القائد الذي أرسله السلطان عبد الله الغالب على رأس فرقة من الفرسان إلى تطوان سنة 976 / 1567 لإلقاء القبض على القائد حمو حسن المنظري وظل هو يحكم المدينة بمساعدة الأمين أحمد مفضل.

ويبدو أن القائد ابن خليفة هو الذي تشير إليه الرسالة التي وجهها الحاكم البرتغالي بأصيلا إلى الملك ضون سيباسطيان Don Sebastian بتاريخ 11 يناير 1578 يخبره فيها بأن القائد موسى "قد تم نقله من تطوان إلى فاس في الأيام الأخيرة".

وكان سيدي موسى يهتم غاية الاهتمام بأمر الجهاد البحري انطلاقا من قاعدة مرتين التي كان يرأسها كل من الرئيسين قلفاط والرشي الذين يقول عنهما المؤرخ البرتغالي كوريا ذي فرانكا Correa de Franca أنهما كانا على اتصال وثيق بالمسلمين الذين ظلوا بالأندلس وكانا يعملان على مساعدة من ثار منهم ضد النصارى بجبال رندة والبشرات سنة 976 / 1568.

ويقول نفس المؤلف إن سيدي موسى قام بهجوم برى وبحرى على مدينة سبتة سنة 984 / 1577 بمساعدة قراصنة أتراك الجزائر. ومن المحتمل جداً أن يكون موسى هو القائد الذي تشير إليه الرسالة التي وجهها السلطان عبد الملك السعدي إلى كل من قائد تطوان والأمين مفضل بتاريخ 18 مارس 1577 (28 ذي الحجة 948) يخبرهم فيها بتحركات السلطان المخلوع محمد المتوكل ليكونا على حذر منه.

وخلاصة القول أن موسى ابن خليفة كان قبل توليه قيادة تطوان قائداً بأسفي، وفي سنة 974 / 1567 أرسله السلطان عبد الله الغالب إلى تطوان وظل بها إلى أن أقره في حكمها السلطان المخلوع سنة 982 / 1574. وابتداءً من سنة 983 / 1576 سار في ركاب السلطان مولاي عبد الملك، وفي أواخر سنة 984 / 1577 عاد تطوان ليلتحق بمنصبه الجديد بفاس كقاضي القضاة، وذلك لفترة قصيرة جداً حيث غادر فاساً وفر إلى البرتغال في منتصف سنة 986 / 1578 وكان بمدينة ايفورا Evora عندما استدعاه الملك البرتغالي ضون سيباسطيان Don Sebastian لاستشارته في أمر الحملة الصليبية التي كان يجهزها لغزو المغرب، وكان رأيه مخالفاً لمخطط العاهل البرتغالي ؛ وتوفي موسى بالبرتغال في نفس سنة 986 / 1578.

مخطوط رقم 9741 بالخزانة الوطنية بمدريد ؛ مجموعة S.I.H.M. إسبانيا ج 3 ص 374 ؛ نفس المجموعة فرنسا ج 1 ص. 348 ؛ Bas Madiado, *Memori para la historia de Portugal*، لشبونة 1751، ج. 4، ص. 149 - 157 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *الجديد في تاريخ تطاون*، تطاون، 2000، والمراجع العربية والأجنبية المذكورة هناك.

محمد ابن عزوز حكيم

خليفت (أيت -) (زاوية -) هي في الأصل فخدة من قبيلة أيت أرتفركال، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت مصاض الأمازيغية. تقع مواطنها على السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط غير بعيد عن منطقة الاتصال بين هذه السلسلة وسلسلة جبال الأطلس المتوسط. وتتوسطها اليوم مدينة أزيلال.

أقدم وثيقة تعرفنا بأيت خليفت هي الظهير الرشيدي المؤرخ في 21 صفر سنة 1080 / 21 يوليوز 1669 ؛ وجهه السلطان الرشيد إلى مرابطي أيت خليفت. ومما جاء فيه : "يتعرف منه أننا أسبلنا عليهم رداء الاحترام. وألبسناهم حلية التوقير والإكرام فلا سبيل لاهتضام جانبهم بحال، وإدخالهم في مغرم ولا وظيف ولا أمر مخزني في جميع الأحوال..".

ورغم أننا لم نتبين المخاطبين بالتحديد فمن الممكن أن نرجح أن الظهير موجه إلى أحفاد الصالح أبي شعيب صاحب أزمور، كما يتضح ذلك بجلاء من الظهير الإسماعيلي المؤرخ في أواخر صفر سنة 1085 / أوائل يونيه 1674. ويتضمن تجديد "التوقير والاحترام، والرعي الجميل المستدام، بحيث لايطالبون بشيء من ملازم العوام قل أو كثر". ويضيف إلى هؤلاء المرابطين خدامهم الذين يقدر عددهم "بعشرين دارا".

يستفاد من الظهيرين السالفين أن أسرة المرابطين المذكورة يرجع أصلها إلى أبي شعيب أيوب دفين أزمور ؛ إذ لا نستبعد أن يكونوا من بين الأسر النازحة من أزمور التي كانت أحد مراكز دكالة الثقافية والصوفية على عهد بني مرين (ابن قنفد : *أنس الفقير*... 71). وقد عرف رجالها بالرحلة والانتقال، إما لأداء فريضة الحج وإما لنشر الثقافة أو طريق القوم في بعض جهات بلاد المغرب (*دور أعلام من دكالة* ... 24 - 26) كما قد يرتبط ذلك النزوح بالاحتلال البرتغالي لمدينة أزمور التي قام المحتلون بإجلاء سكانها وطردهم.

كما يتضح من الوثيقتين السابقتين أن الأسرة كانت معروفة، حتى إنها لفتت أنظار المخزن مبكراً. فرغم أن السلطان الرشيد كان ما يزال لم يستتب له الأمر بعد، لم يفته أن يكاتب مرابطي أيت خليفت، باحثاً ربما عن موطئ قدم بالمنطقة. كما قد يدخل ذلك في سياق عمله على مواجهة أيت عياش. ولم يمض على تسنم المولى إسماعيل أريكة السلطة ثلاث سنوات حتى جدد لهم نفس الظهير. مما يدل على أن شهرة أولئك المرابطين لم تكن خافية عن المخزن العلوي منذ بداية عهده.

وبعد ذلك بحوالي أربعين سنة ارتبطت شهرة أيت خليفت بتأسيس زاوية سيدي عبد الله. فقد أخذ عبد الله الخليفتي الورد الناصري عن الشيخ أحمد الخليفة سنة 1128 / 1716 (*الدرة الجليلة* : 292) وعهد إليه هذا الأخير بأن يتقدم على الفقراء هنالك.

بمجرد ما دخلت الطريقة الناصرية إلى المنطقة، عمل شيوخ الناصريين بتامگروت على دعم زاوية أيت خليفت في شخص مقدمها. فقد ترددوا كثيراً على المنطقة وتدخلوا لدى السكان يستحثونهم على تقدير عبد الله الخليفتي وتبجيله. وفي هذا السياق قدم الشيخ موسى الناصري إلى أيت خليفت ونزل عند مقدم الزاوية. ووجه التهديد والوعيد إلى كل من ينتهك حرمة الزاوية. ومما قال، في خطابه لأيت خليفت "هذه دارنا فمن كرهها، "أداس إرار ربي ثقار سافلا"، أي جعل ربي عاليه سافله (*الدرة الجليلة* : 141).

وفي نفس الأثناء تدخل الشيخ المذكور لعقد الصلح بين أيت مصاض وجيرانهم أيت عتاب وأيت بوگماز. وأعلن النكير على اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يرتادون تلك الجهات، وحين قام الشيخ نفسه بجولة لدى تلك القبائل رافقه عبد الله الخليفتي، فزارا معا أيت عتاب وتوقفا بأوزرض.

وفي أعوام الثلاثين بعد المائة والألف، زار الشيخ موسى الناصري بلاد الغرب، وفي أثناء رجوعه مر بأيت خليفت، فنزل بدار الخليفتي، وكان العام عام مسغبة، نشب على إثرها صراع بين المقدم المذكور وأخيه حول قسمة الزرع ؛ فلم ينحسم الأمر إلا بتدخل الشيخ الناصري. وتوسط هذا الشيخ أيضاً بين الباشا أحمد العتابي، وبين رجلين من أيت مصاض، حيث كان الباشا قد أهدر دم أحدهما وزار موسى الناصري أيت خليفت مرة ثالثة، وحل بدار الخليفتي، فاستضافة فقراء القبيلة وندبوه ليعقد الهدنة بينهم وبين القبائل المجاورة.

وعلى العموم فإن شيخ الناصريين لم يكن يألو جهداً في أثناء زياراته المتكررة إلى المنطقة في محاربة بعض الأمور المنكرة مثل ترك الصلاة، والسرقة وقطع الطرق ؛ والتوسط في النزاعات بين الناس. ويظهر أن زاوية أيت خليفت قد صارت - منذئذ - إحدى المراحل في طريق الناصريين، الواصلة بين الجنوب والشمال.

وقام الشيخ عبد الله بن محمد ابن ناصر - وهو الشيخ الرابع - بزيارة أيت خليفت في أثناء ذهابه إلى شمال البلاد. فنزل بديره ضيفا على عبد الله الخليفتي، ودعاله ولأولاده. والتقى به مراراً ؛ وكانت بينهما مراسلات تنبيء عن مزيد من المودة ووثيق الصلة ؛ كما تدل على ذلك الرسالة التالية التي وجهها الشيخ إلى مقدمه : "وعلى الفاضل الأنجد، أخينا وأعز الناس لدينا، محبنا وأقرب أهل المحبة إلينا، مَن لحمُه لحمنا، ودمُه دمنا، المقدم الفاضل السيد عبد الله بن محمد واخليفت ..." (*الدرة الجليلة* : 154).

ومن بين الناصريين الذين وفدوا أيضاً على زاوية أيت خليفت الأديب أحمد بن موسى الناصري، ومَحمد بن محمد الكبير الناصري. وقد أخذ مقدم الزاوية عن هذا الأخير دعوة الواقعة وأذن له فيها. وكانت بينهما مراسلات

تستشف منها المكانة المرموقة التي تبوأها مقدم أيت خليفت عند الناصريين، هذا علاوة على الهدايا - مثل الملابس وغيرها - التي نالها الخليفتي. وهي كلها رموز تؤكد العلاقة الوثيقة بين الفرع والمركز.

وقد علت شهرة زاوية أيت خليفت في عهد الشيخ يوسف الناصري، تبعا للنفوذ الذي اكتسبته الطائفة الناصرية في بلاد المغرب. فبعث هذا الشيخ برسالة إلى أيت خليفت يوصي خيرا بالمقدم الناصري، لدعم مكانته لدى القبيلة.

ومن بين شيوخ الناصريين الذين كانت الصلة وثيقة بينهم وبين زاوية أيت خليفت - دون اعتبار الهرم الصوفي - الحسين بن أحمد بن الحسين ابن ناصر الذي شهد للخليفتي بالرؤية، وأذن له في تلقين أوراد الناصريين ؛ وابنه عبد الله بن الحسين الضرير الذي كانت المودة عظيمة بينهما ؛ فشهد له كذلك بالرؤية. وقال له ذات مرة : "أنت بضعة منا يسوؤنا ما يسوؤك، ويسرنا ما يسرك، أسرجنا قنديلك، وأعطيناك شاقور الأشياخ، اقطع به من شئت من الظلمة...".

وهذا كلام يدل - من جهة الشيخ - على الدعم غير المشروط، ومن جهة المقدم ؛ على الالتزام المطلق بالسلوك الصوفي. وبذلك صارت زاوية أيت خليفت حلقة قوية في سلسلة الطائفة الناصرية.

ومن بين كبار تلاميذ الناصريين الذين وردوا زاوية أيت خليفت، إبراهيم الزينبي، الذي تصدر للإمامة مدة بقصر أيت خليفت ؛ ومحمد بن أبي القاسم الهوزالي المتوفى هنالك بالوباء سنة 1155 / 1742، والذي كان جل ما نسخ من كتب برسم شيخ الزاوية، وتقاييده على يده. وزارها بعد ذلك محمد بن يوسف الناصري الذي أجاز مَحمد بن عبد الله الخليفتي، مؤلف *الدرة الجليلة*. وحين ألف هذا الأخير كتابه المشار إليه، قدمه إليه كما قدمه إلى محمد القرشي. وكلا الرجلين قرّض المؤلَّف المذكور.

وبعد وفاة عبد الله الخليفتي سنة 1196 / 1782 آل أمر زاوية أيت خليفت إلى ابنه عبد الرحمن الذي بنى الضريح المشهور هنالك. ولعل ذرية الخليفتي قد حرصت على استمرار زاوية أيت خليفت، كما يستفاد من الظهائر السلطانية الموجهة إلى بعضهم ؛ منها :

ظهير السلطان عبد الرحمن بن هشام، مؤرخ في أواخر ربيع الثاني سنة 1257 / يونية 1841، وجهه إلى : "أولاد المرابط أبي محمد عبد الله بن مَحمد في بني خليفة" ؛ في شخص أبي عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله" ؛ الذي يدعوه السلطان *مقدم الزاوية الناصرية*. وهذه النسبة نعثر عليها لأول مرة في وثيقة رسمية. وقد عم هذا الظهير "أولاد المقدم المذكور وإخوانه وجميع من آوى إليهم. ودخل في حرمتهم". وأهم ما تضمن هذا الظهير التوقير والاحترام، والإعفاء من المغارم والوظائف المخزنية.

وظهير حسني مؤرخ في 21 شعبان عام 1304 / 1887، وجهه السلطان مولاي الحسن إلى المرابط السيد التهامي بن محمد بن صالح بن عبد الله. يُتَعرَّف منه أن السلطان المذكور خلع عليه رداء التوقير والاحترام ؛ وألحق به أولاده وإخوانه ؛ فأقرهم على عوائدهم المألوفة، "فلا يسامون بمكروه"، ويعفون من المغارم والوظائف المخزنية. وكذلك أصدر السلطان عبد الحفيظ ظهيراً مؤرخا في 16 ذي الحجة عام 1325 / 1907، وجهه إلى السيد على بن علي بن محمد بن صالح بن عبد الله، يجدد الظهير السابق، ويكرس الامتياز الذي ظلت زاوية أيت خليفت تستفيد منه، والسلطان محمد بن يوسف أصدر ظهيرين في 15 شوال عام 1352 / 1934، و4 محرم عام 1356 / 2 مارس 1937 ؛ بتجديد التوقير والاحترام.

بناء على ما سبق يظهر جليا أن الأدوار التي اضطلعت بها زاوية أيت خليفت، في تلك المنطقة النائية، جعلتها تستقطب بسرعة أنظار السكان والمخزن ؛ سواء في مرحلتها الأولى، أو بعد انخراط شيخها عبد الله الخليفتي في سلك الطريقة الناصرية. ويبدو أنها لقيت الدعم من قبل المخزن - في المرحلة الأخيرة - كما تشهد على ذلك الظهائر السلطانية التي خولتها عدة امتيازات. وصارت بذلك حلقة قوية في سلسلة الطائفة الناصرية ؛ كما يتضح من خلال الوشائج الوثيقة التي كانت تربطها بفروع تلك الطائفة، كتانغملت ويزغت وأيت وزرض وغيرها. هذا علاوة على أنها تبنت الدفاع عن الطريقة الناصرية. ونلمس ذلك بجلاء من خلال مواقفها من حنصالة الذين تنكبوا عن تلك الطريقة بعد ما كان شيخها سعيد الحنصالي أخذ الورد عن الشيخ مَحمد ابن ناصر.

فقد صرح الخليفتي عدة مرات بأن الحنصالي ليس على شيء فيما يخص أصول الطريقة. فحين سئل عن الحنصالي أجاب بالأمازيغية قائلاً : "أرْدْغنٌ يَاتٌ"..

ومن جهة أخرى كان أيتَ عطة ومُالو - وهم أتباع حنصالة - يقلقون باستمرار راحة زاوية أيت خليفت والقبائل المجاورة لها. فبحكم موقعها في مجال عبور أيت أمالو كانت تتعرض إلى النهب من قبلهم. فكانوا يعيثون في الممتلكات ويجوسون خلال الديار : حتى كانوا يفرضون على المستقرين - بمن فيهم الزاوية - المغارم الثقيلة ؛ الشيء الذي جعل شيوخ تامگروت يتدخلون بين الفينة والفينة لدعم الزاوية وحمايتها. وقد دفع اكتساح أيت عطة لذلك المجال، وما صاحبه من أعمال السلب والنهب، بالزوايا الفروع الموجودة هنالك إلى المزيد من الالتحام والتقارب لمدافعة الخصوم والتصدي لهم.

لعل هذه العوامل مجتمعة - دعم تامگروت ومساندة المخزن، والالتحام مع باقي الفروع الناصرية - هي التي ساعدت زاوية أيت خليفت على الاستمرار طيلة قرون.

ولذلك اشتهرت هذه الزاوية كمركز صوفي يجتمع فيه

طلبة العلم والورد ؛ إذ أن مقدمها عبد الله الخليفتي كان - بالإضافة إلى نشاطه الصوفي - شغوفا بالعلم، محبا لأهله، بل اشتهر كعالم مشارك، له تقاييد كثيرة ومؤلفات ونوازل. ويذكر ابنه أنه امتلك خزانة حافلة، وقفنا شخصياً على بعضها، عند أحد حفدته بمدينة أزيلال. وكان له نساخ ينسخون له الكتب من بينهم محمد بن أبي القاسم الهوزالي، وهو من علماء هنتيفة ؛ كانت تربطه بالخليفتي علاقات الصداقة والتلمذة للناصريين. وقد أقام عنده مدة بأيت خليفت، حيث عكف على نسخ الكتب، وكانت جل تقاييد الخليفتي بخطه. وظل هنالك حتى وفاته سنة 1155 / 1742.

كما كان للخليفتي مجلس خاص بالزاوية، يقوم فيه بالتدريس. وتخرج على يديه فقهاء كثيرون، منهم ابنه مَحمد مؤلف *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*.

لكن يبدو أن الشيخ عبد الله الخليفتي هو الوحيد الذي نبغ، من بين شيوخ زاوية أيت خليفت. أما باقي الشيوخ، فإما أن ثقافتهم ظلت محدودة، وإما أنهم لم يكثرتوا بهذا الجانب بالمرة، أو أن تأثيل الأملاك وتكديس الثروة قد شغلهم عن العلم.

ومهما يكن من أمر فإن زاوية أيت خليفت قد ظلت تضطلع ببعض الأدوار الاجتماعية حتى عهد قريب، كما حظيت بثقة سكان البلدة، مدة طويلة لأنهم كانوا يهرعون إليها في أثناء الأزمات والملمات ؛ الأمر الذي أكسبها نفوذاً قوياً استطاعت بسببه أن تحتجن أملاكا واسعة بالمنطقة.

مجموعة ظهائر زاوية أيت خليفت ؛ م. الخليفتي، الدرة الجليلة في مناقب الخليفة، مخطوط.

الخليفتي، عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الحق بن إبراهيم بن علي بن بوبكر من آل الشيخ أبي شعيب أيوب دفين أزمور. وُلد بأيت خليفت، وأخذ الورد الناصري فدُعي لذلك البوشعيبي والخليفتي والناصري.

عبد الله الخليفتي من الأعلام الصوفية المغمورين، لم يترجم له - حسبما نعلم - إلا ابنه مَحمد الذي خصه بكتاب *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* (ص. 29 - 342). ولم يتعرض لسني طفولته وشبابه، لذلك فإننا نجهل كل شيء عن حياته في تلك المرحلة. ومن ذلك طلبه للعلم وتنقلاته واتصاله بالطريقة الناصرية وغير ذلك... ومن خلال الإشارات الواردة في ثنايا المصدر المذكور، يتبين أنه حافظ لكتاب الله تعالى، وأنه تلقى الورد الناصري عن الشيخ أحمد ابن ناصر في عام 1128 / 1716، فاستنابه في تلقين الورد الناصري، و"أذن له إذنا مطلقا عاما"، لذلك أسس زاوية ناصرية بأيت خليفت، ناسجا على منوال شيوخ درعة حتى صار من أبرز مقدميها في تلك المنطقة الجبلية ؛ مدافعا عنها متصديا لمعارضيها. وقد عمل الشيوخ الناصريون - من جهتهم، على دعمه، فوجهوا الرسائل إلى القبيلة التي توجد زاويته في أراضيها، يحثونها على توقيره واحترامه واتباعه فيما يأمرهم به، والإذعان إليه.

ومن ثم اضطلع عبد الله الخليفتي بدور بالغ الأهمية في تلك المنطقة النائية. فتصدر لبث تعاليم الإسلام وإطعام الطعام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لا سيما وأن تلك المنطقة - علاوة على بعدها عن المراكز العلمية الكبرى - كانت تشهد كثيرا من الاضطرابات بين القبائل مثل أيت مَحمد وأيت بوزيد الذين كانوا يغيرون على أيت خليفت، فينهبون الزروع والمواشي، ويعيثون في الحقول. وقد يتفاقم الأمر حين يكتسح أيت عطة تلك المنطقة، خاصة وأن ذلك المجال يقع على طرق عبور هؤلاء الذين كانوا آنذاك قد بلغوا عنفوانهم.

تلك هي الظروف التي مهدت السبيل أمام مترجمنا ليتدخل كلما سنحت له الفرصة، من أجل الوساطة والتحكيم، وعقد "العافية" بينهم (*الدرة الجليلة*، 303) ؛ أو ردع اللصوص وقطاع الطرق الذين يعترضون السابلة، ويغرمون الناس ؛ حتى إنه كان يقوم بخفارة الكثيرين ممن كانوا يرتادون تلك الجهات ؛ ولا سيما في زمن المجاعات التي كانت تجتاح المنطقة بصفة دورية. وقد أفاد الخليفتي من ذلك، حيث كان الناس الذين يعقد لهم العافية، أو يخفرهم يقدمون إلى الزاوية الهدايا و"الفتوحات" ؛ فصارت من جراء ذلك ملاذا للمحتاجين والمعوزين الذين يقصدونها إبان الأزمات، كما حدث أثناء مجاعة عام 1147 / 1735.

وظل الخليفتي على حاله حتى صار راسخ القدم في التصوف والعبادة. فكان كثير الصيام حتى كان يوالي صيام رجب وشعبان، بالإضافة إلى ستة أيام من شوال وأربعة أيام من الأسبوع. وكان يقوم الليل ويكثر من أعمال البر، مشتغلا بتلاوة القرآن والذكر. كما رابط بثغر أزمور مدة. وربما اندرج رباطه هذا ضمن محاولات استرجاع مدينة البريجة من أيدي البرتغاليين. يضاف إلى ما ذكر شهرته هنالك بالعلم، إذ كان يعقد مجالس لتدريس الفقه والحديث، وانتفع منه خلق كثير، وتخرج عليه طلبة عديدون.

ويمكن القول إن هذه الأعمال قد أهلت مترجمنا لأن يصير من كبار مقدمي الناصريين في تلك المنطقة، لا سيما وأنه عرف بالاستماتة في خدمة شيوخ تامگروت، ذابا عن الطريقة الناصرية قولا وفعلا ؛ حتى أصبح يتبوأ الحظوة لديهم، ويظهر أنه كان كثير التقاييد العلمية، جماعا لكتب العلم. وقد امتلك خزانة حوت كتبا في عدة فنون كالتفسير والحديث والفقه والتصوف ؛ ملك بعضها بالنسخ وبعضها بالشراء. ودفعه شغفه بالكتب إلى أنه "كان يدفع عن ظهره بعض كسائه في قيمتها"، كما عبر عن ذلك ولده. (*الدرة الجليلة*، 328). ومما يؤكد ولعه بالكتب أنه اتخذ نُساخا، من أشهرهم الفقيه مَحمد بن أبي القاسم الهوزالي، الذي كان جل كتب الخليفتي بخطه.

توفي عبدالله الخليفتي يوم الثلاثاء 29 صفر عام 1196 / 1782، مخلفا بعض الآثار في ميدان التأليف، منها ما هو مفقود، مثل : *تحفة الأسرار في ذكر الصالحين الأخيار الأبرار* : *مجموع الفوائد في أحكام النوازل* ؛ *الدرر اللوامع في ذكر من لقي فيها من الأفاضل الأعلام*. من عنوانه يظهر أنه رحلة داخلية، دون فيها تنقلاته إلى تامكروت، والإجازات التي نالها من شيوخه : حتى إن ابنه مَحمد يذكر أنه "أتى فيها بعجائب وغرائب... وتعداد مراحلها إلى غير ذلك.

ومن بين مؤلفاته، كتاب *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* الذي ظهر أخيراً : وقد عطفه ولده مَحمد - الذي ينسب إليه كذلك - على المؤلفات السابقة قائلا : "وكتابنا هذا *الدرة الجليلة*..."

بقي أن نشير إلى أن أسلوبه سهل، لا يتخلله سجع ولا محسنات بديعية ولغته متأثرة إلى حد بعيد ببيئته الجبلية القاسية.

وثائق زاوية أيت خليفت ؛ م. الخليفتي. *الدرة الجليلة*، مخطوط.

الخليفتي، مَحمد بن عبد الله، الخليفتي دارا البوشعيبي نسبا، الناصري انتسابا، السكتي لقبا. نستفيد من الإشارات الواردة في ثنايا كتاب *الدرة الجليلة* أنه ولد قبل سنة 1142 / 1729 ببضع سنين. فقد أشار - في أثناء الترجمة لوالده الشيخ عبد الله المترجم سابقا - إلى أن الشيخ عبد الله بن مَحمد الكبير ابن ناصر المتوفى سنة 1143 / 1730 زار أيت خليفت. وفي أثناء ذلك قام عبد الله الخليفتي بتقديم المترجم للشيخ الناصري ليدعو له. ومعلوم أن عبد الله ابن ناصر قد ولي شؤون تامگروت سنة 1142، بعد وفاة موسى الناصري. ولم تدم ولايته سوى بضعة أشهر.

وفي سنة 1147 / 1736 بُعث مَحمد الخليفتي - من قبل والده - إلى زاوية تانغملت برسم الدراسة. إذ من الممكن أن ينتقل إليها، وقد تجاوز العشر سنين، ليتتلمذ على أيدي بعض أساتذتها، لا سيما وقد كانت تلك الزاوية - آنذاك - مركزاً ثقافياً علمياً في تلك الربوع. وارتحل بعد ذلك إلى زاوية تامگروت قبل عام 1170 / 1757، طلبا للعلم.

نستنتج مما سبق أن مَحمد الخليفتي تلقى تعليمه الأولي على يد والده، من حفظ القرآن الكريم وبعض المتون المتداولة. ولا شك أن هذه المرحلة شملت انتقاله إلى تانغملت لتتميم حفظ ما ذكر. أما رحلته إلى تامگروت - وهي من المراكز العلمية الكبرى - فقد عبر هو نفسه عن هدفه منها حيث قال : "ومنها أني كنت أدرس العلم بالزاوية الناصرية، عند شيخنا سيدي علي بن محمد ابن ناصر..." (*الدرة الجليلة*، 308). ربما أنه توجه إليها لاستكمال تكوينه العلمي والحصول على بعض الإجازات من لدن شيوخها. ولعل مكوثه بتامگروت قد طال. كما يبدو من خلال هذه العبارات ؛ حين قال : "إلى أن توحشني سيدنا الوالد، وبعث أخي سيدي محمد بن عبد الله، إلى عندي كي يخبره بخبري وصحة جسمي..." ومعلوم أن الوحشة لا تحصل إلا بعد طول فراق ؛ وإلا لماذا هذا التفقد مع بعد الشقة وصعوبة الاتصال ؟ !

ومهما يكن من أمر فقد أفصح مَحمد الخليفتي عن أن معظم دراسته كانت على يد والده. واعترف بأن جل استفادته كانت على يد أستاذه الأول، فقال : "فهو (أي والده) أستاذي ومعلم جهلي... ومنه تلقنت الورد الناصري".

ورغم أنه قام بالرحلتين المذكورتين طلبا للعلم، فإن جل أوقاته الخاصة بالدراسة قضاها بجانبه. وفي ذلك يقول : "وكنت ملازما له، بعد ذلك، إلى أن رباني أحسن التربية، بعد أن لازمته منذ بلغني عقلي نيفا وعشرين سنة... واجتهد معي كل الاجتهاد". وبعد ذلك يذكر أنه درس عليه بعض المتون مثل *رسالة ابن أبي زيد القيرواني*، *وابن عاشر* *ومختصر خليل*، *والأجوبة الناصرية*، *ومساعدة الاخوان* للشيخ مَحمد ابن ناصر ؛ وبعض المنظومات كالرقعي والقرطبي وابن جماعة وابن عاصم. وعنه أخذ طريق القوم، ودرس عليه كتاب *الحكم* لابن عطاء الله، *وقواعد زروق* *وبداية الهداية*، *والإحياء* للغزالي.

ومن كتب الحديث درس عليه *الأربعين* حديثا قدسيا للسيوطي، *وأربعين* حديثا للودعاني. وأجازه في كل ذلك وحلاه بـ"الفقيه النبيه المشارك" ويبدو أنه كان ذا حظوة لدى والده، فهو "أحب الأولاد إليه، وأقربهم مودة له...". لذلك كان يتذاكر معه وينشرح إليه فيساره بخبايا نفسه. وكان كثيراً ما يخاطبه قائلاً : "ولدي أنت كأنا، وأنا كأنت...".

وبالإجمال فإن ثقافة الخليفتي ظلت محدودة، ولا سيما في جانبها الأدبي. ويتضح من أسلوبه في *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* أنه ظل قريبا من العامية وحتى إذا استقامت لغته أحيانا - لأنه حافظ للقرآن الكريم وبعض المتون والمنظومات - فإن تعابيره تبقى مشوبة بالعامية. ومن ثم يمكن أن نعتبر مَحمدا بن عبد الله الخليفتي نموذجا "للطالب" القروي، الذي عاش في منطقة نائية بعيداً عن تأثير المدن : فعكس لنا بعض جوانب الحياة في بيئته بعفوية كبيرة.

وفي ميدان التأليف يُنسب إليه كتاب *الدرة الجليلة*، سابق الذكر. فإذا استثنينا النقول التي قام بنسخها عن كتاب *الدرر المرصعة* حذو القذة بالقذة، وما استقاه من مؤلف والده *تحفة الأسرار*..." لا نجد في ذلك المؤلف إلا بعض الإشارات الخفيفة أو التعميمات البسيطة، المتميزة ببعض الخصائص المشار إليها سابقا. أما بعض محاولات النظم التي قام بها فقد جاءت ساقطة من حيث الوزن والمعاني. (*الدرة الجليلة*، 292). لكن مَحمد الخليفتي تميز كناسخ للكتب. فخطه مغربي بدوي واضح، مقروء ؛ كما

يتضح من رسوم كتاب الدرة الجليلة، ومؤلف آخر في اللغة، عثرنا على جزء منه عند أحد أفراد أسرته بمدينة أزيلال.

وقد استمر الخليفتي بقيد الحياة حتى سنة 1203 / 1789.

م. بن عبد الله الخليفتي نفسه، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*...

الخليفتي، محمد بن **يوسف**. ترجم له صاحب *الدرة الجليلة*، فقال : "كان رحمه الله تعالى ملازما لعبادة ربه من صلاة وصيام، ملازما لأوراده، مشتغلا بما يعنيه... اجتهد في أداء دين الصلاة، شهراً لكل يوم ما أيامه نحو سنة..." (ص. 344). كان من أشهر تلاميذ الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، في منطقة أيت خليفت، معروفا بالتنسك والزهد وكثرة العبادة بمختلف أنواعها.

توفي بأيت خليفت في مستهل سنة 1147 / 1735.

الخليفتي، يوسف بن **منصور**، لا علاقة له بالسابق بالرغم من اشتراكهما في اسم يوسف ؛ مما قد يوحي بأن هذا والد الأول. ترجم له صاحب *الدرة الجليلة* أيضاً، فقال : "كان رحمه الله مجتهداً في دينه، ملازما لأوراده، مشتغلاً بما يعنيه، سخيا بلغ فيه الغاية، لا سيما على الإخوان. وكان يتصدق على المساكين بما استطاع من ماله، وينفع الناس من كد يده، استطاعة جهده، تاركا للفضول...".

وقد انخرط يوسف الخليفتي كذلك في سلك الطريقة الناصرية، إذ تتلمذ على الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي. ومن ثم جاءت شهرته في تلك المنطقة النائية. وكان من بين المريدين الناصريين الذين عملوا على ترسيخ السلوك الصوفي هنالك.

توفي في حدود سنة 1180 / 1767.

م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*.

الخليفتية، رقية بنت محمد الحاجية، هي والدة عبد الله الخليفتي سابق الترجمة. امرأة فاضلة، عرفت بالنسك والعبادة. كانت مجتهدة في دينها، من صلاة وصيام ؛ حريصة على أورادها، ملازمة للخلوة في جل أوقاتها. انخرطت في سلك الطائفة الناصرية بعدما تتلمذت بدورها على يد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، بواسطة الشيخ محمد بن عبد العزيز البوعثماني.

تأيمت وهي صغيرة، فاحتضنت أولادها ولم تتزوج ؛ وظلت متفرغة لتربيتهم وتنشئتهم ؛ إذ كانت كلما خوطبت في ذلك الموضوع تقول : "لا أتزوج، وأقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله". ولم ينج من أولادها إلا عبد الله، فقد ماتوا جميعا. فكفلته، وكابدت المشقة في توفير القوت له ؛ حتى كانت تشتغل لدى نساء الطلبة لتحصل على ما تنفقه على ولدها المذكور ؛ وحتى يتسنى له أن يواصل دراسته على الوجه المطلوب.

توفيت رقية الخليفتية بأيت خليفت سنة 1170 / 1765

(*الدرة الجليلة*، 342 - 343).

م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*.

أحمد عمالك

الخليفي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الغربية المجاورة لمدينة أصيلا، وقد أنجبت بعض الفقهاء، تذكر الوثائق منهم :

الخليفي، أحمد بن الرشيد زاول خطة العدالة سنة 1289 / 1872.

الخليفي، الرشيد بن المومن، زاول هو أيضاً خطة العدالة سنة 1261 / 1845.

الخليفي، محمد بن المصطفى كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1191 / 1777.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطوان* (من سنة 1483 إلى سنة 1900) تطاون 1999، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 630.

محمد ابن عزوز حكيم

الخليل نعمان، مقاوم، وُلد بطرفاية سنة 1929 انضم إلى صفوف جيش التحرير منذ سنة 1957 ضمن المقاطعة التاسعة تحت قيادة مفر الحسين حيث شارك في العديد من المعارك والهجومات، من بينها معركة الدشيرة وبوجدور وتافورارت. وحين أحرز المغرب على استقلاله انضم الفقيد إلى صفوف القوات المساعدة حتى أحيل على التقاعد. وقد وافاه الأجل سنة 1417 / 1996 بمدينة طانطان.

المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*.

الخليلي، إمام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين البطايحي المقدسيّ ثم المراكشي. فقيه شافعي وأديب شاعر، جال في بلاد الشام والحجاز وسكن القسطنطينية مدة ثم وفد على المنصور في مراكش في أوائل العقد الأخير من القرن العاشر، فتقبله بقبول حسن وأكرم وفادته على عادته، فلازم بلاط المنصور كأحد الشعراء، اللامعين فيه ينشد بداهة، ويضمّن أو يُخمس أو يجيز. لقّبه أحمد المقري "بأديب زمانه". وأثنى عليه في *نفح الطيب* ورحلته المغربية *روضة الآس*، وأتى بعدد من قصائده ومقطعاته.

وذكر أحمد ابن القاضي في *المنتقى المقصور* أن المنصور اجتمع بحضرته يوماً ثلاثة شعراء، مشارقة وفدوا عليه من بلاد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال : مكة والمدينة وبيت المقدس، فأنشد الخليلي بيتين لطيفين في ذلك نالا

إعجاب العاهل الأديب. وقد جال المترجم في أرجاء المغرب، وزار مدينة تارودانت، وفي طريق رجوعه منها إلى مراكش قتل في أسني من جبال الأطلس في شهر ربيع الأول عام 999 / دجنبر 1590 - يناير 1591.

أ. المقري، *روضة الآس*، ص 14 - 18 ؛ *نفح الطيب*، تح. إحسان عباس، 7 : 80 ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، تح. م. رزوق، الرباط، 1986، ج 1 : 252 - 253 ؛ ع. الرحمن التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 155 ؛ *نزهة*، ط. حجر فاس، د. ت. ص. 114 - 115. ؛ ع. ابن معصوم، *سلافة العصر*، القاهرة، 1324 هـ ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 3 : 54.

محمد حجي

خمالة، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر، وقد انقرضت الآن بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 1611.

الخمري، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل غمارة، وقد انقرضت بتطوان سنة 1235 / 1820.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 633.

الخمسة والخمسين (موسيقى -) ← **جوق الخمسة والخمسين**

الخمسي، أسرة تطوانية لا علاقة لها بقبيلة الاخماس الواقعة شمال المغرب، ذلك لأنها تنتمي إلى مدينة الخميسي Algemesi الواقعة بناحية فليتسيا الإسبانية حيث توجد أسر مسيحية تحمل اسم Algemiz. وقد أنجبت هذه الأسرة عدة علماء وفقهاء، لم نعرف عنهم شيئاً باستثناء :

الخمسي، أحمد بن عبد الله الذي كان من عدول تطوان من سنة 1160 إلى 1172.

الخمسي، عبد السلام الذي زاول خطة العدالة سنة 1200 / 1758.

الخمسي، عبد السلام بن **أحمد** الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1110 / 1699.

محمد ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 637.

محمد ابن عزوز حكيم

خمسين (أيت -) صنّف المهدي بن تومرت أتباعه الموحدين إلى طبقات رتبها حسب أسبقيتها في الدخول في دعوته، فجعل أولاها طبقة العشرة أو آيت عشرة (انظر مادة : *الجماعة*) جعلها هيئة استشارية في الأمور العظام دون غيرها، ثم طبقة الخمسين أو أيت خمسين التي جعلها استشارية في الأمور الأقل أهمية. وهناك من أضاف طبقة أدنى منها هي طبقة السبعين. وإذا كانت هيئة العشرة مكوّنة من عصبيات مختلفة، فان هيئة الخمسين تضمّ رؤساء القبائل المصمودية خاصّة على غرار ما كان مألوفا في التنظيم القبلي القديم. وبالإضافة إلى هذا التصنيف المعتمد على الأفراد، هناك تصنيف آخر للقبائل "الموحدية" يضع قبيلة هرغة التي ينتمي إليها المهدي على قمّة الطبقات القبلية، وسيجعل عبد المومن فيما بعد قبيلته گومية في الرتبة الثانية بعد هرغة.

وقد ذكر صاحب *المقتبس* أعضاء هيئة الخمسين على الترتيب الآتي : فمن قبيلة هرغة أورد ثمانية أسماء، ومن هنتاتة اسمين (أحدهما يوسف بن وانودين) واعتذر عن ذكر آخرين لم يقف على أسمائهم، ثم ذكر أربعة من گدميوة (معظمهم من أبناء تمارى) ثم أربعة أسماء من گنفيسة، وثلاثة من صنهاجة (*المقتبس*، 53 - 57)، وواحداً ممن سمّاهم القبائل (ورد ذكر أفخاذ هذه القبائل في ص 49 وهي : هركاكة، وريكة، ما غوصة، هناية، أهل نفيس، صادة، رگراگة، هزرجة)، ثم ذكر أربعة أسماء من هسكورة (منها أبو عبد الله بن أبي بكر بن توندوت (راجع مادة : ابن توندوت)، ثم أضاف أسماء أخرى فتجاوز المجموع خمسين رجلاً.

مجهول، *المقتبس من كتاب الانساب في معرفة الأصحاب*، الرباط، 1911 (32 - 35) ؛ *الحلل الموشية في الأخبار المراكشية*، (108 - 109) ؛ ألفرد بيل، *الفرق الاسلامية*، تر. ع. الرحمن بدوي، (262 - 263).

أحمد عزاوي

خمصان، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان وقد انقرضت من هذه المدينة.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 636.

محمد ابن عزوز حكيم

الخمليشي، أسرة شريفة + أفراد ← **أخمليش**

الخمليشي، عبد الملك عينه أمير شفشاون إبراهيم ابن راشد مقدما برباط الخروب بقبيلة جبل حبيب، وتقول عنه المصادر البرتغالية إنه كان يهاجم مدينة أصيلا باستمرار ويجعل حامية المدينة تعيش في فزع مستمر إلى أن استشهد أثناء اشتباك وقع بضواحي أصيلا في شهر ذي القعدة عام 931 / سبتمبر 1525.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية الكثيرة التي ذكرها في الرقم 635.

الخمّار، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني زكار الهيطية منهم : ميمون بن عبد الرزاق الخمار، كان يزاول خطة العدالة سنة 1191 / 1777، وابنه محمد بن ميمون الخمار كان يزاول نفس الخطة سنة 1234 / 1819.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون (من سنة 1483 إلى سنة 1900)*، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 631.

محمد ابن عزوز حكيم

الخمّار ← **بوشتى** (مولاي -)

الخمّار، العربي التطواني، فنان لازم مجالس السيد عبد السلام بن علي ابن ريسون الحسني التي كانت بمثابة حلقات منتظمة لتعليم الموسيقى الأندلسية غناء وعزفا، وقد مهر في العزف على الكمنجة.

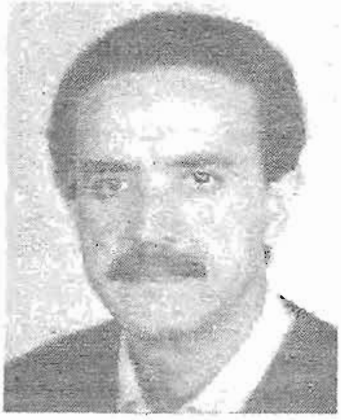
رواية شفوية.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الخمار الگنوني، محمد ولد بمدينة القصر الكبير، وتابع دراسته بها في المدرسة الأهلية إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1955. ثم انتقل إلى مدينة العرائش حيث حصل على الشهادة الثانوية سنة 1959. وسافر بعد ذلك إلى القاهرة حيث حصل على شهادة الباكلوريا سنة 1963 بثانوية خليل الأغا، ثم قفل راجعا إلى المغرب ليتابع دراسته الجامعية بكلية الآداب بفاس لسنوات حصل بعدها على الإجازة في الأدب العربي سنة 1966.

اشتغل الگنوني مدرساً بالتعليم الثانوي بثانوية النهضة بمدينة سلا، ثم التحق بالتدريس بكلية الآداب بفاس سنة 1968.

وفي سنة 1974 أحرز الخمار الگنوني على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بتحقيقه لكتاب الرندي : *الوافي في نظم القوافي*، وظل يدرس بكلية الآداب بالرباط إلى أن وافاه الأجل المحتوم.



اشتهر الخمار الگنوني بنشره لأول أعماله الإبداعية في عدد كبير من المنابر الثقافية والأدبية أهمها جريدة *العلم* ومجلتا *آفاق* و*أقلام*، ولم يُفكر الشاعر الگنوني في نشر ديوان له إلا خلال سنة 1987 التي شهدت صدور عمله الفريد والوحيد *رماد هسبريس*، وهو ديوان شعري يضم عدداً من القصائد التي سبق للشاعر أن نظمها في مناسبات مختلفة خلال العقود السابقة من حياته.

وبما أن هذا الديوان هو العمل الوحيد الشعري الذي خلفه الشاعر الخمار الگنوني، فإننا نقدمه في مجموعة من الإشارات كما يأتي :

1 - يبدو من قراءة قصائد هذا الديوان أنها كتبت على فترات متفرقة ومتباعدة في الزمن، بحيث إن بعضها يرجع إلى الستينات بأحداثها وتقلباتها الاجتماعية والسياسية في الوطن العربي، وبعضها يرجع إلى ما بعد الستينيات ويعكس أوضاع التحول الحضاري والتطور في المجتمعات العربية في ظل الأزمات والمخاضات التي تجتازها.

2 - أن قصائد هذا الديوان على قلتها تعكس طول باع الشاعر في مجال النظم الشعري وتبوئه مكانة عالية بين الشعراء، لمتانة ثقافته وقوة ذاكرته التاريخية ورصانة كتابته الشعرية من وجهة نظر الدقة العروضية والإيقاعية. فالشاعر الخمار الگنوني يحرص على شعر التفعيلة ويسهر على تحقيق التناسب الإيقاعي في شعره، فضلاً عن كونه يحلق بخياله الشعري في عوالم الخلق والإبداع فتراه يحيك من الكلمات صوراً ومجازات تخلق أكوانا شعرية آسرة بجمال الكلمة وروعة الصورة وتناغم الإيقاع. ولايشبه الگنوني في هذا المنحى في الشعر المغربي المعاصر غير المرحومين الشاعر عبد الله راجع والشاعر أحمد المجاطي.

3 - كان الشاعر الگنوني كلفاً بالتراث رواية وحفظا وتدريساً وتحقيقا، فقد كان جهده الفريد في تحقيق كتاب

الوافي في نظم القوافي دليلاً على حبه الكبير للتراث العربي من جهة وخبرته بالعلوم المساعدة على التحقيق مثل النحو والبلاغة والعروض فضلاعن حسه النقدي المتميز في المقابلة بين النسخ والاهتداء إلى النسخة الأم أو الأصل، من قرائن المتن أو طريقة الكتابة أو منهج التأليف.

ومن هذا الحب الكبير للتراث كان يعرف الكنوني في شعره بحيث نلفيه يقتبس من القرآن الكريم الآيات والمعاني والألفاظ، ويستدعي من التراث الشعري القديم ألوانا من المواقف والصور واللحظات الشعورية، ما يرصعُ به شعره تارة أو يبنيه به تارة أخرى. فتعانقت الأصالة والمعاصرة في شعر الكنوني في انسجام بديع وتناسب رائع.

تلك جملة من العلامات التي تميز شعر الخمار الكنوني الذي رسخ تقاليد الحداثة في الشعر المغربي المعاصر، بتغيير طقوس الشعرية القديمة التقليدية باستحداث إيقاعات داخلية تختلف عن الإيقاع النمطي العروضي التقليدي، وتفتيق لغة جديدة تضع للمعجم الشعري التقليدي بدائل جديدة وقاموسا حديثا من وحي الرموز والأساطير والدلالات الاستعمالية الموجهة من قبل الشاعر للتعبير عن مقاصد شعرية مستحدثة في سياقات الاستقبال النصي الحديث والمعاصر.

توفي في القصر الكبير يوم الاثنين 25 مارس 1991 بعد إصابته بمرض لم ينفعه فيه علاج.

م. الخمار الكنوني، *رماد هسبريس*، الدار البيضاء، 1987 : *دليل الكتاب المغاربة، أعضاء اتحاد كتاب المغرب*، إعداد : حسن الوزاني، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1993.

محمد أديوان

الخمَّال، أسرة نبيهة تنتسب إلى الشرف، تتوزع مواطن سكناها في حواضر شمال المغرب وقراه في طنجة وتطوان والقصر الكبير والعرائش، والقبائل المحيطة بها.

وتنتسب عائلة الخمال إلى الشرفاء العمرانيين، فيصلون بنسبهم إلى عمران حفيد عبد الله ابن المولى إدريس الأزهر حيث تجتمع فروع الشرفاء العمرانيين جميعاً.

كانوا قديما يعرفون بأولاد الرصاع، حسبما وقفت عليه في تقييد رسم شجرة أنسابهم، ولقبوا فيما بعد بالخمال واشتهروا به.

أصلهم من تَلَنْبُوط أحد مداشر قبيلة بني زجل الغمارية. رحل أحد رجالهم وهو السيد عمر بن محمد بن الفضيل في حدود النصف الأول من القرن العاشر، من موطن أجداده لينزل مدشر كموط ببني عمران، ويستقر به وينجب هناك أبناءه وأحفاده.

رحل أحد حفدته وهو عبد الله الخمال لينزل بقبيلة بني گرفط بمدشر الخطوط واستقر به فترك من ذريته هناك. ورحل منهم رجل فاستقر في قبيلة الخلط بأولاد عمران وأنجب أبناءه وأحفاده بها، حيث أبناء الخمال العمرانيُّون مشهورون هناك.

وما يكاد يطل القرن الثالث عشر للهجرة حتى نجد فروع هذه الأسرة الخمالية قد تشعبت كثيراً لتتخذ مساكن لها في عدد من حواضر شمال المغرب، زيادة على قبائله وقراه.

وإذا كنا لا ندري متى انتقل هؤلاء الخماليون لسكنى كل من تطوان وطنجة والقصر الكبير والعرائش والقبائل المحيطة بها ليتأصلوا بها ويصبحوا من أعيان البلد فيها، فإن الذي تحمله إلينا الوثائق والتقاييد على امتداد القرنين الثالث والرابع عشر للهجرة (19 . 20 م) أن الأسرة الخمالية ظل بريقها لامعا بين أسر هاته المنطقة، تحتفظ بنسبها الشريف، فتعامل على أنها من الأسر العمرانية الحسنية الشريفة، وأن العديد من رجالها أصبحوا وجهاء بلدهم، وأن منهم من مارس القضاء والعدالة وقراءة العلم وإقراءه. بل إن منهم من ساهم إلى حد ما في الحياة السياسية في بيئة الشمال على عهده. من أشهر فروع أسرة الخمال :

1) فرع قبيلة الخلط بأولاد عمران قرب القصر الكبير، ومنهم الوجهاء والعلماء، تسلسل فيهم قضاء قبيلتي الخلط والطليق قرابة القرن ونصف القرن، وكانت تمتد ولايتهم أحيانا لتشمل مدينة أصيلا والقبائل الواقعة بهذه الجهة، مثل بني جرفط وبني سريف، وقبائل الغربية والساحل، والبدور، وبداوة، وجبل حبيب.

ففي شجرة أنسابهم يرد اسم العالم القاضي الطاهر بن محمد الخمال العمراني، وولديه العدلين الفقيهين الهاشمي، ومحمد، وابن عمهما القاضي الطيب بن الفضيل بن محمد الخمال، وهم جميعا من رجال أواخر القرن الثاني عشر للهجرة.

ويتولى على امتداد القرن الثالث عشر أبناء القاضي الطيب الخمال وأحفاده منصب القضاء في الجهة المذكورة. فقد وقفت ضمن وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لسنة 1998 على مجموعة ظهائر تخص هذه الأسرة الخمالية، منها :

- ظهير سلطاني بتولية الفقيه العربي ابن القاضي الطيب الخمال العمراني، القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، وتاريخه عام 1207.

- ظهير بتولية الفقيه القاضي محمد بن التهامي محل والده القاضي التهامي بن الطيب، قضاء قبيلتي بني جرفط وبني سريف، وتاريخه عام 1269.

- ظهير سلطاني بإقرار الفقيه محمد بن التهامي الخمال على ولاية خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، وتاريخه عام 1281.

- ظهير السلطان الحسن الأول بإقرار ولاية خطة القضاء للفقيه محمد بن التهامي على قبيلتي الخلط والطليق وتاريخه عام 1290.

وضمن هذه الوثائق ظهائر سلطانية بالتوقير والاحترام لأفراد هذه الأسرة وأبناء عمومتهم، منها :

- ظهير حسني بالتوقير والاحترام للقاضي محمد بن التهامي الخمال، وأخيه عبد الله الخمال وأبناء عمومته بالقصر الكبير، وتاريخه رمضان عام 1292.

- وظهير تاريخه 1293 بإقرار القاضي المذكور محمد بن التهامي الخمال، على ما بيده ويد عائلته من الظهائر.

- وظهير عزيزي تاريخه ربيع الأول عام 1312 بالتوقير والاحترام للطالب العربي الخمال وولده الفقيه القاضي مبارك الخمال، ومن انضاف إليهم من أبناء عمومتهم.

وضمن هذه الوثائق أيضا مخاطبات وظهائر سلطانية وخليفية بشأن الفقيه القاضي مبارك الخمال الذي مارس القضاء قرابة أربعة عقود، منذ سنة 1312 وقد تولى قضاء الخلط والطليق، فسنة 1330 وقد كان قاضياً بأصيلا، إلى سنة 1348 حيث أُسند له قضاء مدينة شفشاون.

وما تزال بقية هذا الفرع في القبائل المذكورة ومدن العرائش والقصر الكبير.

2) فرع طنجة، وهو وإن لم يبرز في العلم وممارسة خطة القضاء كفرع الخلط، إلا أنه أوجد لنفسه موقعاً متميزاً بين أسر طنجة الوجيهة، فلا يرد اسم الخمال في طنجة إلا ويقترن به ذكر الوجيه الثري الشريف محمد الخمال العمراني الحسني الطنجي آتي الترجمة.

وإذا كانت قرابة العمومة ماتزال تجمع بين هذا الفرع والذي قبله لتمتد بينهما الصلات والزيارات وكان الانتساب إلى أرومة الخمال العمرانيين قائماً، فإن نزول هؤلاء الخماليين بطنجة ووفادتهم عليها وهم يمثلون عائلات كثيرة، إنما تم من بادية طنجة وفي أوقات مختلفة ومتباعدة، وبخاصة من قرى فحص طنجة حسب ما هو معروف ومتداول بين أهل طنجة اليوم.

وحسب تقييد في أسر طنجة لمؤلف غير معروف فإن أولاد الخمال الموجودين بطنجة هم من قبائل الجبل، يوجد منهم ثلاث عائلات :

إحداها : وهي المعدودة من أعيان طنجة لم يبق منها إلا فرد واحد، وهو السيد محمد الخمال، ذو سمعة طيبة عدل، ملاك، ليست له مشاركة علمية، حسن السمعة من الوجهاء. والآن عضو بالمجلس البلدي، منعزل ومشتغل بما يعنيه، ليس له اتجاه سياسي.

ثانيتها : أقل من الأولى درجة في الوجاهة والاعتبار وأظهر هذه العائلة السيد محمد بن عمر الخمال التاجر، من الوجهاء، ذو سمعة طيبة، مشتغل بما يعنيه.

ثالثتها : وهي أولاد المختار الخمال.... وقد ظهر فيها شخصان هما الأخوان السيد محمد التاجر الملاك المحمي الإسباني ذو سمعة لا بأس بها وذو كفاءة ومقدرة على الأعمال، المرشح لمنصب المحتسب. والسيد أحمد التاجر العضو بالمجلس البلدي.... وهما من الوجهاء الجدد اليوم.

ومع هذين الفرعين الكبيرين تعرف أسرة الخمال بيوتات أخرى متفرقة في بادية شمال المغرب وحواضره، منهم رجال مارسوا العديد من الوظائف العالية في القضاء والتعليم وتولوا مناصب القيادة والباشوية وغيرها.

شجرة نسب *أسرة الخمال*. مخطوطة، وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات عام 1998 ؛ نصوص ظهائر ضمن وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات لعام 1998 ؛ *منظومة* بخط المؤلف ضمن مجموع بمكتبة كنون بطنجة، لم يُرقّم بعد ؛ م. الرايس، *الرحلة المرصعة ببديع اللآل*، مخطوط خ. ع رقم ك 467 ثاني مجموع ؛ م. الفاطمي الصقلي، *النفحة الشمالية*، مخطوط خ. ع. رقم ك 467 أول مجموع ؛ مجهول، *تقييد في أسر طنجة*، أنجزه خلال العقد الرابع من القرن العشرين في شكل تقرير لفائدة بعض الجهات ؛ عدة رسوم شهد فيها محمد الخمال الطنجي، وتاريخها 1940.

عبدالله المرابط الترغي

الخمّال، عبد السلام بن محمد الحسني العمراني الحوزي، الفقيه الأستاذ الحيسوبي الفرضي الميقاتي الزاهد الورع. ولد بتطوان ظنا، لأنه من مجشر (واد آكْلا) بقبيلة الحوز الذي يبعد بضعة أميال عن تطوان. وكان يحكي أن والدته باعت دويرة لها للإنفاق عليه في رحلته إلى فاس لطلب العلم. وفعلاً انتقل إلى فاس في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، ومكث فيه ما شاء الله. وأخذ العلم عن علماء القرويين المتصدرين للتدريس من أمثال ابن الخياط وابن الجيلالي الأمغاري والعلوي الضرير وأمثالهم، وكان أخذ بتطوان عن بعض علمائها ولا سيما الاستاذ عبد السلام الدهري الذي حفظ عليه القرآن وجوده وتلقن منه رواية البصري وأتقنها إلى غيرها. هذا إلى جمال الصوت وإتقان الأداء، ويذكر أنه صلى التراويح بالجامع الكبير بتطوان فكان الناس يقصدونه من الأحياء البعيدة لسماع تلاوته المتقنة والاستمتاع بجمال صوته ونغمته الشجية، على أنه امتاز بين أئمة مساجد تطوان بطريقته الخاصة في الأداء والقراءة بحرف أبي العلاء البصري، فكان طلبة الحزب يسايرونه باصوات خافتة بينما يعلو صوته فترجّعه أروقة المسجد ويسمع من خارجه.

كان مرجعا في الرياضيات خصوصاً الحساب والتوقيت والعمل في الفرائض والمناسخات إلا أنه كان لانقباضه وشدة ورعه لا يتصدر للتدريس وإنما يجتمع بطلبة مخصوصين بمسكنه بمدرسة القاضي ابن قرّيش بشارع الوطيه من حي العيون بتطوان، وحدثني تلميذه القاضي السيد عبد السلام علال البختي أنه رغب إليه وألح في دراسة *كشف الأسرار* للقلصادي فأجاب بعد تردد فسمع منه ما قل نظيره من إتفاق وتحرير في الحساب والتوقيت. وممن كان يؤم منزله لذلك السيد أحمد بن البشير الحراق حفيد الشيخ محمد الحراق الصوفي الشهير، والفقيه محمد اعميار المدرس بالمعهد الديني يومئذ والشريف محمد محمد

اليعقوبي وغيرهم من نبغاء الطلبة، وكلهم انتقلوا إلى عفو الله، ففات معهم الكثير من أخبار المترجم له الذي نعرفه منقطعاً بالمدرسة المذكورة ما يزيد على ثلاثين سنة لا يغادرها إلا لضرورة، وكان تزوج في شبابه من أمة وأنجب منها ولداً توفي بعده. وظل على حالة الزهد والانقباض محمود السيرة، نقي السريرة، متبلغا بالقليل، إلى أن انتابته أمراض، وضعف بصره. وجاء استقلال المغرب فرأى من تغير الأحوال ما لم يتوقعه ولم يعهده فكثرت شكواه وشكاته إلى أن وافته المنية وحيداً بنزله بالمدرسة في شهر جمادى الأولى عام 1377 / 1957 رحمه الله كما هو مثبت على قبره، ودفن غربي ضريح أبي الحسن المنظري خارج باب المقابر من تطوان.

روايات شفوية، ومخالطة شخصية.

محمد الأمين بوخبزة

الخمّال، العياشي ينتمي إلى عائلة الخمال ببني كرفط وهو من مشاهير فقهاء البادية وعلمائها خلال القرن الرابع عشر.

ولد في حدود عام 1900 ببني كرفط ونشأ بالبادية فقرأ بها على الشيوخ وحضر في جلسات العلم والإقراء بقبيلة بني جرفط حيث كانت مدارسها نشطة بالعلم عامرة بالشيوخ.

ثم أتم الدراسة بفاس حيث بقية المشيخة الكبيرة. وعند عودته مارس التدريس في جوامع ومساجد القرى ببادية الشمال، واستقر أخيراً بقبيلة ودراس حيث اشتهر درسه العلمي بمسجد الضاية منها فأمّه الراغبون في العلم، وتخرج على يده عدد كبير من طلبة البادية وفقهائها.

اشتهر الرجل بصدقه، وحسن استقامته وزهده في الدنيا، فكان مقبلا على شأنه، متفانياً في الله يحب الناس ويسعى في خيرهم وإصلاحهم، ولا سيما إن كانوا من أهل العلم وطلبته.

توفي في حدود عام 1980.

الخمّال، مبارك بن **الطالب العربي** من عائلة الخمال العمرانيين بقبيلة الخلط، ومن فرع تعاقب أبناؤه على قضاء قبيلتهم والنواحي المجاورة.

لا أعرف تاريخ ولادته ونشأته، غير أن نجمه بدأ يسطع منذ سنة 1312 حينما صدر في حقه ظهير عزيزي بالتوقير والاحترام، له ولوالده ومن أضيف إليهما من أبناء عمومتهم. ثم في نفس السنة وفي رجب منها يحظى بظهير عزيزي أيضاً يتولى بموجبه خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق.

غير أن شيئاً ما يحدث سنة 1314، فيعمد باشا أصيلا محمد بن عبد القادر الخلخالي إلى سجنه. ويتحرك الشرفاء الريسونيون ليتشفعوا فيه عند السلطان، فيقبل الشفاعة، ويأمر الباشا الخلخالي بتسريحه من السجن وإخلاء سبيله.

ولست أدري متى عاد إلى ممارسة خطة القضاء، ولكننا نعرف أنه كان قاضياً على مدينة أصيلا حينما خاطبه السلطان عبد الحفيظ بتاريخ جمادى الأولى عام 1328 في شأن شراء الأملاك للأجانب.

ويرشحه السلطان عبد الحفيظ من خلال ظهير سلطاني تاريخه شعبان 1328 ليكلفه بقضاء قبيلتي الخلط والطّليق أيضاً.

ويستمر قاضياً على مدينة أصيلا لتتوجه إليه مخاطبات السلطان المولى يوسف تخبره بتاريخ 3 ذي الحجة عام 1330 بما قرره من إدخال إصلاحات على سير القضاء بالإيالة الشريفة، وأنه رشح وزير العدلية آنذاك الشيخ شعيب الدكالي ليقوم بذلك. وتتوجه إليه مخاطبة أخرى بتاريخ 15 ذي الحجة عام 1330 تخبره بما قرره جلالته من ترشيح الوزير الطالب أحمد اللجائي لإدارة الأحباس بالإيالة الشريفة.

ورغم أن شمال المغرب سيصبح منطقة خليفية تحت الحماية الإسبانية، فان ثقة الخليفة السلطاني بالمنطقة تتجدد بترشيح الشيخ مبارك الخمال لتولي خطة القضاء. وهكذا يصدر الخليفة السلطاني مولاي المهدي بن إسماعيل ظهيراً تاريخه ربيع الثاني عام 1341 يتولى بموجبه الفقيه القاضي مبارك الخمال قضاء مدينة أصيلا وقبائل الغربية والساحل والبدور وبداوة وجبل حبيب وبني كرفط.

وآخر ما يتولاه الشيخ الفقيه مبارك الخمال هو قضاء شفشاون، فيصدر عن الخليفة السلطاني الحسن بن المهدي ظهير بتوليته قضاء شفشاون بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1348 موافق فاتح أكتوبر عام 1929.

ولا أعرف المدة التي قضاها الفقيه القاضي مبارك الخمال في هذه الولاية، إذ يذكر أنه توفي بعد سنة 1348 وهو ما يزال قاضياً بشفشاون حيث دفن بها.

مجموع *الظهائر* المتعلقة بعائلة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1998 ؛ الجباري، *أصيلا وأعلام*، ص. 210 ؛ ع. الريسوني، *أبطال صنعوا التاريخ*، ص. 280.

عبد الله المرابط الترغي

الخمّال، مبارك بن **المهدي** عالم من قبيلة الخلط الهبطية كان يرأس جماعة من مجاهدي قبيلته انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة التي كان يرأسها الشريف مولاي أحمد الريسوني، وقد انتخب عضو في المجلس الاشتشاري للمقاومة في المؤتمر المنعقد بقرية عين الدالية بقبيلة الفحص

يوم 11 ماي 1913، وشارك في باقي مؤتمرات الثورة وفي ستة معارك.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط، 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

الخمّال، محمد بن التهامي العمراني الحسني، من أسرة تميزت بتسلسل القضاء بين أفرادها على قبيلتي الخلط والطليق. فكان أبوه التهامي ابن الطيب قاضياً على القبيلتين المذكورتين، وبعض قبائل الهبط مثل بني سريف وبني گرفط. وقد خلفه ولده صاحب الترجمة على قضائها. وكان قبله جده القاضي الطيب بن الفضيل قاضياً على بعض قبائل هذه الجهة. وتولى عمه العربي بن الطيب قضاء قبيلتي الخلط والطليق بموجب ظهير سلطاني تاريخه جمادى الأولى عام 1207.

وسيكون لأبناء صاحب الترجمة وأبناء أعمامه حظ في تولية قضاء قبائل هذه الجهة واستمرار خطته بين أيديهم.

لا أعرف شيئاً عن أولية هذا القاضي محمد بن التهامي، سواء عن تاريخ ولادته أو عن نشأته أو عن شيوخه ودراسته. ولا أشك أنها كانت في قبيلته أولاً، ثم في قبائل الهبط المجاورة حيث كثرة المدارس وحلقات شيوخ العلم، فمدينة القصر الكبير ثانياً. رغير بعيد أن يكون قد درس على علماء فاس برهة من الزمن. فالرجل لا يعرف إلا بالفقيه القاضي ولا يذكر إلا وقد وصف بهما.

تولى قضاء قبيلتي بني سريف وبني گرفط معوضاً والده في ذلك بناء على ظهير التولية الصادر عن قائد تلك الجهة بتاريخ 1269.

ويقره السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن بظهير سلطاني تاريخه عام 1281، على ولاية خطة القضاء بقبيلتي الخلط والطليق، ثم يقره الحسن الأول على ذلك بظهير تاريخه 17 ذي القعدة عام 1290.

ويبدو أن الرجل قد حظي في آخر حياته بعطف خاص من السلطان وقائده الوالي على العرائش والقبائل المحيطة بها محمد بن علي العرائشي إذ خصه السلطان بظهير التوقير والاحترام تاريخه 10 رمضان عام 1292 ليشمله ويشمل أبناء عمومته. وتنتهي حياة هذا القاضي في إحدى سنوات العقد الأخير من القرن الثالث عشر. ومن المؤكد أن وفاته لم تتجاوز سنة 1300. ففي مخاطبة للقاضي محمد بن محمد الزرهوني الشلي تاريخها جمادى الثانية عام 1300 تأمره أن يكف عُدُوله عن الرفع والتوقيع على خطاب القاضي محمد بن التهامي الخمال المتوفى بعد أن كثرت الرسوم المزورة التي تفتعل توقيعه.

مجموع *الظهائر* المتعلقة بعائلة الخمال، جائزة الحسن الثاني للمخطوطات سنة 1998 ؛ الجباري، *أصيلا وأعلام*، ص. 210 ؛ ع. الريسوني، *أبطال صنعوا التاريخ*، ص. 280.

الخمّال، محمد الطنجي العمراني الحسني الوجيه المثري. ترجم له الشيخ محمد بن العياشي سكيرج في منظومته *في ذكر مزايا طنجة وتاريخها* بما نصه :

وخمال فيهم بذي تسرف   وجيه نزيهٌ وذو سبب

أخذ من الشهرة والوجاهة في بلده ما جعله محط أنظار الوافدين على طنجة من العلماء والأدباء والأعيان.

وصفه الشيخ الأديب محمد بن محمد الرايس الفاسي (ت. 1324) في طالعة *الرحلة المرصعة* بأنه "من أعظم الناس في الامتثال، وأسرعهم لنيل الأفضال، الشريف المنيف، اللوذعي الغطريف، الحائز قصب السبق في مضمار الكرم والجود، وراثة عن آباء كرام وجدود، نجل الرسول، وبضعة مولانا علي وسيدتنا البتول، العاقل الماهر الذكي، الفاضل الذاكر الألمعي، الجامع لأصناف الكمال والجمال، أبي عبد الله سيدي محمد العمراني المدعو بالخمال".

ووصفه الشيخ الفاطمي الصقلي (ت. 1311) في مقدمة رحلته المسماة : *النفحة الشمالية* بأنه "الشريف المنيف، السري الغطريف، الفاعل للخير والدال عليه، المشتغل بالفضل والمرشد إليه، محب العلم وأهله، المتفق على فضله ونبله، السخي الذي أنسى معن بن زائدة، بمواهبه الزائدة : الحيي الخاشي الخاشع ... الذكي الأوحد الأسمى السني، المرتقي أنق الفضائل والمعالي السامية، نجل النبي محمد خير الورى المرتضى ذو المكرمات الهامية، أبو عبد الله سيدي محمد العمراني المدعو الخمال، بلغه الله كل الآمال".

كان هذا الشريف الخمال قد أعمل الرحلة من طنجة إلى فاس عام 1300 لزيارة جده المولى إدريس الأزهر، وذلك في ركب كبير صحب معه فيه جماعة من أعيان طنجة وغيرهم من العلماء والأدباء. وحظي باستقبال كبير في الطريق التي مَرَّ منها، وفي فاس أثناء إقامته بها حيث خصه أدباء فاس بقصائد في مدحه والثناء عليه.

وفي وصف أحداث رحلته هاته ألف الشيخ الأديب محمد بن محمد الرايس الفاسي (ت. 1324) *الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف المنيف سيدي محمد الخمال، ووفوده على حضرة فاس، لزيارة طيب الأنفاس، يتيمة الجوهر النفيس، أبي العلاء سيدنا ومولانا إدريس*. وقد ضمنها أشعاراً في مدحه.

كما كانت أحداث هذه الرحلة أيضاً هدفاً لكتابة جديدة في صياغة متأنقة من طرف الشيخ الأديب محمد الفاطمي الصقلي (ت. 1311) سماها : *النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس، في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس*. وقد ضمنها أشعاراً كثيرة له ولغيره مما قيل في الثناء على هذا الشريف الخمال ومدحه.

وختمها بنظم للرحلة أتى فيه على تسمية المراحل التي نزل بها والجهات التي عملت على ضيافته أثناءها.

ويعود في نفس الطريق، إنما كان مروره على مكناس، وينزل أيضاً في ضيافة قواد عصره وأعيان القبائل التي مرَّ

منها في الذهاب. ودخل طنجة في حفاوة وحسن استقبال بالغين.

كان محمد الخمال الطنجي ما يزال حياً عام 1325 حسب تاريخ فتوى تتعلق به.

م. الوايس الفاسي، *الرحلة المرصعة ببديع اللآل في ترحال الشريف سيدي محمد الخمال*، مخطوط ؛ م. الفاطمي الصقلي، *النفحة الشمالية العاطرة الأنفاس، في الرحلة الخمالية لحاضرة فاس*، مخطوط.

الخمّال، محمد بن **عبد السلام** من عدول تطوان في القرن الثالث عشر للهجرة. وصف بالفقيه. وذكره الفقيه محمد داود في لائحة عدول هذه المرحلة، إذ كان يشهد حسب بعض الرسوم العدلية في تاريخ 1249 و 1265. كما أورد رسماً عدلياً يشهد فيه. وفي محوكه تعريف بالعدل محمد بن عبد السلام الخمال صاحب العلامة به ؛ والترقيع عليه، من طرف العدل محمد السلاسي، تاريخه عام 1280. فيذكر عنه أنه كان عدلاً يشهد بمدينة تطوان إلى أن توفي بها قبل عام 1280.

الخمّال، محمد بن **محمد التطواني** من عدول تطوان في منتصف القرن الثالث عشر. وذكره الفقيه داود في تاريخ تطوان في لائحة عدول هذه الفترة، وأورد نصوص بعض الرسوم العدلية التي شهد فيها.

كان حياً عام 1267.

الخمّال، محمد بن **محمد الطنجي** من سلالة الشريف الخمال الثري الشهير سابق الترجمة. كان له حظ من العلم ومارس العدالة ووصف بالفقيه، وهو ممن ذكره صاحب التقييد في أسر طنجة فأثنى عليه : "ذو سمعة طيبة، عدل، علاك، ليست له مشاركة علمية، حسن السمعة، من الوجهاء، والآن عضو بالمجلس البلدي، منعزل ومشتغل بما يعنيه". وقفت على رسوم عدلية تحمل توقيعه بمحمد بن محمد الخمال العمراني، وتاريخها عام 1940 وقد شهد فيها مع الفقيه العدل الصادق بن المهدي ابن عجيبة الحسني (ت. 1382).

كان محمد الخمال حيّاً عام 1340.

الخمّال، مصطفى الطنجي من أهل طنجة وأعيالها، عمل في الحقل الوطني واشتهر بصدقه وجرأته وثباته، فكان بيته منتدى للوطنيين في تجمعاتهم واحتفالاتهم. ويعتبر من المؤسسين الأوائل لفرع حزب الاصلاح الوطني بطنجة.

ساهم في تنظيم وتسيير الكشافة الإسلامية التي كان لها دور فعال ببلده، وبقي يشغل منصب خليفة عامل إقليم طنجة في مرحلة الاستقلال إلى أن أحيل على التقاعد. توفي عام 1997 وعمره 85 سنة ودفن بمقبرة مرشان بطنجة.

عبد الله المرابط الترغي

الخُمّان أو "تيلسان" أو "لوابة" أسماء تطلق على ستة أنواع من الشجر من جنس لُونِيصيرا Lonicera ونوعين اثنين من جنس فيبُورنُوم Viburnum. وجميعها ينتمي إلى فصيلة الخُمّانيات أو البلسانيات Caprifoliaceae، وهو شجيرات صغيرة جد متفرعة، قائمة أو متسلقة. أوراقها تختلف حسب الأنواع رمحية أو قلبية الشكل. بعضها مستديم الخضرة، والبعض الآخر له أوراق نفضية. أزهارها بيضاء أو صفراء. تتميز أزهار جنس لُونِيصيرا بأنبوب طويل ينتهي بشفتين ورائحة عطرة.



حار

تعيش أنواع الخمان في المناطق البيومناخية الرطبة جدا والرطبة وشبه الرطبة واستثنائيا شبه الجافة. بعض الأنواع تتطلب أراضي سميكة وخصبة تكون بجوانب مجاري المياه.

تستعمل بعض الأنواع لاستخراج الزيوت العطرية وأخرى في التطبيب التقليدي.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

ابن خَمْسُو، أسرة تطوانية أصلها من بني خالد القبيلة الغمارية، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 233.

محمد ابن عزوز حكيم

الخميري، (أولاد -) أسرة فاسية أصلها من الأندلس أهل معاش وحرفة وتجارة ومال. ونسبهم صاحب *القصد*

الأحمد إلى قبيلة لمتونة. ولا تعارُضَ في ذلك مع الأصل الأندلسي. ومنهم :

الخميري، عبد اللطيف بن محمد بن عبد السلام الفاسي، ولد بمدينة فاس في 23 رجب 1350 / 4 دجنبر 1931. درس في مسقط رأسه بمدرسة التهذيب الحرة، ثم بجامعة القرويين، وأثناء دراسته بها التحق بخلايا الحركة الوطنية مناضلاً وصار قائداً كشفياً مما عرضه لكثير من المضايقات والسجن. وبعد تخرجه من القرويين في بداية الاستقلال شارك في طريق الوحدة، وأصبح منذ ذلك التاريخ مسؤولاً في جمعية بناة الاستقلال.



التحق بعد ذلك بجامعة السوربون في باريس لمتابعة الدراسة بها، وبعد عودته عمل في حقل التدريس بضع سنوات، ثم انتقل إلى وزارة الاقتصاد والمالية سنة 1960 فكان من الأطر الذين عملوا على تعريبها، ثم إلى وزارة الخارجية سنة 1963 فعمل قنصلا بتونس فقائماً بالأعمال في جمهورية الصين الشعبية، ثم سفيراً بالخرطوم سنة 1974، فقائماً بالأعمال في طهران. وفي سنة 1981 عين مديراً بديوان وزير التخطيط والتكوين المهني وتكوين الأطر، ثم أصبح مديراً لمكتب التعاون في نفس الوزارة حيث قام بإنشاء مئات التعاونيات في مختلف القطاعات الاقتصادية. وعمل على إصدار "ميثاق التعاونيات" الذي صادق عليه البرلمان.

اهتم المترجم إلى جانب ذلك بالصحافة، فكان من محرري جريدة *العلم* لمدة غير قصيرة ونشر فيها وفي دوريات مغربية أخرى عدة مقالات تتعلق بالقطاع الاقتصادي والاجتماعي. وتوفي بالرباط في 17 ربيع الثاني 1407 / 20 دجنبر 1986.

وثائق عائلية وإدارية : جريدة العلم.

الخميري، علي فقيه صالح إمام زاوية سيدي محمد ابن عبد الله معن بالخفية، توفي قبل بفاس عام 1146 / 33. 1734.

الخميري، علي فقيه عدل، كان يتولى الإشهاد بفاس عام 1204 / 89. 1790.

الخميري، العياشي بن بخلف، أبو محمد، من المتصوفين الناسكين المشار إليهم بالصلاح والزهد. توفي بفاس ليلة الأربعاء، ثامن عشر صفر عام أربعة وستين ومائتين وألف / 25 يناير 1848.

الخميري، مبارك بن محمد الفاسي، صوفي من أكبر مريدي الشيخ العربي الدرقاوي. قال عنه في *إتحاف المطالع*: "يشار إليه بالخير والصلاح، وله أتباع وتعظيم واحترام".

م. القادري، *نشر المثاني* / *موسوعة أعلام المغرب*، بيروت، 1996، ج 5 ؛ ع. السلام القادري، *المقصد الأحمد*، طبعة حجر فاس، 1937 ؛ ع. ابن سودة، *إزالة الالتباس*، مرقون، 1 : 184 ؛ *إتحاف المطالع* / *موسوعة أعلام المغرب*، ج. 7.

الخميري، محمد (الحاج -) بن عبد السلام الفاسي ولد بفاس عام 1325 / 1907 في أسرة حرفية محافظة اشتهرت بالمهارة في ميدان النجارة ونقش الخشب.

وقد عرف محمد الخميري بمواقفه الوطنية ومن أبرزها دوره في أحداث فاس الدامية سنة 1944 حيث سقط العديد من الشهداء، في المظاهرات بساحة "كرواوة" بباب الجوخة، وقد منع الفرنسيون دفنهم حتى يقع التعرف عليهم للتنكيل بأسرهم، فبادر المترجم ليلاً إلى معمله بحي الفخارين فحمل منه ألواحاً خشبية عديدة وحفر مقبرة جماعية في أرض له قرب ساحة كرواوة (تحمل اليوم اسم حي الشهداء) وأرى فيها جثث الشهداء، فأفشل بذلك مخطط المستعمر، وتعرض بسبب ذلك إلى مداهمة معلمه وتفتيش بيته واستنطاقه وإيداعه سجن "برج النور".

ومن آثاره الفنية الباقية السقوف الخشبية المزخرفة في محكمة الدار البيضاء بحي الأحباس، ودار الحديث الحسنية بالرباط. ونماذج للنقش والزخرفة على سقوف خشبية شارك بها في معرض بروكسيل الدولي لسنة 1958 مازالت محفوظة معروضة هناك.

توفي بفاس عام 1396 / 1976.

وثائق عائلية.

محمد حجي

خميس الزمامرة، مركز حضري على الطريق الوطنية رقم 1، الرابطة بين الجديدة وآسفي، عند النقطة الكلمترية 80 جنوب مدينة الجديدة، وسط سهل دكالة الغني ووسط دائرة مسقية تحمل اسم هذا المركز.

رقي المركز إلى مرتبة بلدية منذ التقسيم الإداري الجديد سنة 1992، وتساوي مساحة مدارها حوالي 250 هكتارا، تحدها من الشمال والجنوب والشرق جماعة الغنادرة ومن الغرب جماعة أولاد اسبيطة.

وقد كان خميس الزمامرة مجرد تجمع لبضع عشرات من الخيام عند بداية الحماية. ولم يكن يميزه عن تجمعات الخيام الأخرى المتناثرة بمنطقة الزمامرة والتي كان مجموع خيامها يفوق التسعمائة، سوى أهمية السوق الأسبوعي الذي ينعقد بالقرب منه. ولعل موقع هذا التجمع وسط أراضي التيرس الغنية بدكالة هو الذي جعل إدارة الحماية تحول موضع السوق القروي إلى مركز استيطان فلاحي ونقطة مراقبة أساسية لقبائل المنطقة.

لكن مركز خميس الزمامرة سيعرف تطورا ملحوظا في العقدين الأخيرين، خاصة، مع تجهيز دائرتي الزمامرة والغربية السقويتين، ومع تشييد معمل لتكرير الشمندر السكري سنة 1981. فقد قفز عدد السكان من 1464 نسمة سنة 1971 إلى 4761 نسمة سنة 1982، وإلى 10310 نسمة سنة 1994، بنسبة نمو إجمالي، خلال 12 سنة الأخيرة، تصل إلى 116،6٪ ونسبة تزايد سنوي تصل إلى 6،65٪، وهي أعلى نسبة تزايد حضري سجلت بإقليم دكالة ما بين إحصائي 1982 و1994.

ارتبط هذا النمو السريع بالهجرة القروية، وخاصة من القبائل المجاورة : أولاد عمرو : 73،5٪، أولاد بوعزيز : 11،3٪، أولاد عمران : 6،7٪ وأولاد فرج : 2،8٪. وتستحوذ فخدة الغنادرة - أولاد عمرو على أعلى نسبة من المهاجرين إلى هذا المركز. ومن مميزات سكان هذه القبيلة احتراف التجارة كمصدر للعيش والكسب وجمع الثروة. ورجال الغنادرة يُعرفون منذ فترة طويلة بتعاطيهم للبيع والشراء، وأغلبهم، الآن، يُعمِّر الأسواق الدكالية والأسواق الوطنية، ومنهم نخبة تمارس التجارة على المستوى الوطني، الشيء الذي يفسر النسبة الهامة للسكان النشيطين في التجارة بمركز خميس الزمامرة، والغياب التام بالمنطقة للعناصر الأجنبية المعروفة بممارستها للتجارة، وهي حالة استثنائية بإقليم الجديدة.

ارتبط النمو السريع لسكان الزمامرة أيضاً، وكما سبقت الإشارة إلى ذلك، بتجهيز الشطر الثاني من "المصلحة السفلى" بقطاع دكالة السقوي. ذلك أنه بعد حسم مسألة تقسيم مياه نهر أم الربيع بين أهم المستعملين، وبعد تشييد سد المسيرة، تم إعداد وتجهيز دائرة الزمامرة السقوية ما بين 1977 و1980 ومساحتها 15.410 هكتارات، مسقية بطريقة الرش، ودائرة الغربية التي تم تجهيزها وسقيها ما بين 1982 و1984، ومساحتها 13.100 هكتار مسقية أيضاً بطريقة الرش. وبتجهيز هاتين الدائرتين تم تشييد فرع للمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لدكالة بمدينة خميس الزمامرة.

كما أنه انطلاقا من سنة 1981 بدأ معمل السكر بالزمامرة في استقبال وتكرير الشمندر السكري من الدائرتين السقويتين المذكورتين. ولهذا المعمل قدرة على معالجة 7000 طن من الشمندر يوميا، ويصل إنتاجه من السكر الخالص (سكر الطاووس المسحوق وقطع السكر البراد) إلى 65000 طن سنويا، إضافة إلى منتجات ثانوية أخرى كالثفل الرطب : 60000 طن والعلف المركز : 38000 طن والميلاص : 30000 طن. ويشغل معمل السكر هذا 180 من الأطر والمستخدمين الرسميين و 104 من الموسميين، مساهما بذلك في توسع المدينة. فبالإضافة إلى حي السكر الذي يأوي الأطر وبعض المستخدمين ويحتوي على نادي ومطعم خاصين بالعاملين بالمعمل، هناك تجزئة الشباب التي قامت بتجهيزها جمعية الأعمال الاجتماعية واستفاد منها المستخدمون.

وبموازاة هذا التطور السريع لمركز خميس الزمامرة اتسعت رقعة البناء على طول المحاور الطرقية المتفرعة في اتجاه الغرب والجنوب الغربي، وبالجهة اليمنى للطريق الوطنية رقم 1. فمع استقرار مصالح ومكاتب مقاطعة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي توسع الحي الإداري نحو الشرق، بين الطريق الوطنية وما بين الحي الإداري والحي المحمدي (بام) في الغرب تم تجهيز تجزئتين جديدتين سنتي 1983 و1985 وهما النهضة والأمل. أما في اتجاه الجنوب الغربي، أي في اتجاه السوق الأسبوعي فإن البناء يتطور بشكل عشوائي في إطار تجزئات لا تساير فيها التجهيزات الجماعية (خصوصا التطهير) وتيرة البناء السريعة.

فعلاً، فان مدينة خميس الزمامرة تعاني بحدة من مشكل التخلص من النفايات السائلة، سيّما وانها تقع بمنطقة سهلية منبسطة. يتم تجميع مياه الصرف في شبكة تمتد على طول الطريق المؤدية إلى الغربية لتصل حتى دوار أولاد ابن الشاوي، حيث هناك محطة للتصفية، غير أنه لأسباب مجهولة تم التخلي عن هذه المحطة، لتصل تلك النفايات السائلة غير معالجة إلى ضاية كبيرة تستعمل أيضاً لاستقبال المياه المستعملة في الفلاحة.

ويبقى النسيج الحضري لمدينة خميس الزمامرة عموما ضعيف التماسك رغم أن مساحة البلدية صغيرة جداً، إذا ما قورنت بباقي المدن الصغيرة. كما أن الضغط على هذا المجال قليل الحدة رغم أهمية نسبة تزايد سكان المدينة سنوياً (6.65٪)، ويتجلى ذلك في ثمن الأرض المنخفض (750 - 1500 درهم / م 2) مقارنة مع مركز حضرية أخرى بالاقليم كسيدي بنور وسيدي إسماعيل ...

تحريات ميدانية ؛ أ. بلعسري، *التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحضرية، مثال الدائرة السقوية لدكالة*، رسالة لنيل د. د. ع، شعبة الجغرافية، الرباط، 1988 ؛ خ. إسماعيل، *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية، نظام الأكارة في سهل دكالة المسقي*، رسالة لنيل د. د. ع، شعبة الجغرافية، الرباط، 1988 ؛ مديرية الإحصاء، بالرباط، *نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى*، 1982 و1994 ؛

وزارة الداخلية والإعلام، اقليم الجديدة، دائرة الزمامرة، *مونوغرافيا جماعة خميس الزمامرة*، يوليوز، 1986.

إسماعيل الخياطي

ابن **خميس**، محمد بن أحمد الأنصاري الجزيري السبتي، أصله من الجزيرة الخضراء في الأندلس (*الإحاطة*، 3 : 184) انتقل منها بعد تغلب النصارى عليها واستوطن مدينة سبتة وامتهن الخطابة بجامعها الأعظم إلى حين وفاته بها.

تعددت مشارب ابن خميس العلمية وتنوعت اهتماماته فاكتسب مكانة علمية مرموقة وشهرة واسعة في سبتة وخارجها. عرّفه صاحب "*بلغة الأمنية*" بالمتفنن المصنف البارع الخط الشاعر (*بلغة*، 176) ووصفه ابن الخطيب بالفقيه الخطيب المقرئ القاضي. له باع طويل في مجال القضاء والخطابة والاقراء. قرأ على والده وعلى شيخه وشيخ أبيه أبي عمر. كما أخذ عن عباس ابن الطفيل الشهير بابن عظيمة، وعن الأستاذ أبي جعفر ابن الزبير، والخطيب أبي عبد الله بن رشيد بغرناطة خلال وفوده عليها. كما أخذ عن القاضي أبي المجد ابن أبي الأحوص قاضي بلدة الجزيرة الخضراء. وأجازه الوزيرأبو عبد الله بن أبي عامر ابن الربيع والخطباء الثلاثة : أبو عبد الله الطنجالي وأبو محمد الباهلي وأبو عثمان بن سعيد (*الاحاطة*، 3 : 185).

وأخذ في سبتة عن القاضي أبي عبد الله الحضرمي والإمام أبي عبد الله بن حُريث والمحدث أبي القاسم التجيبي والاستاذ أبي عبد الله بن عبد المنعم والأخوين أبي عبيد الله وأبي إبراهيم ابني يربوع - كما أجازه الإمام ابن حُريث وناصر الدين المشْدالي والخطيب ابن عَزَمُون وغيرهم (*الإحاطة*، 3 : 185).

من الراجع جداً أن يكون لابن خميس مؤلفات عدة تناولت مواضيع متنوعة سيما وهو المتفنن المصنف على حد قول صاحب *بلغة الأمنية*. ولم يصلنا من هذه المؤلفات سوى بضعة عناوين منها *النفحة الأرجية في العروة المرجية* (*الإحاطة*، 3 : 185). وكتاب الاعلام (*بلغة*، 176) *وبرنامج الشيوخ* (*الإحاطة*، 3 : 185).

توفي سنة 750 / 1349 ودفن في مقبرة أحجار السودان منها (*اختصار*، 25 : بلغة، 176).

بلغة الأمنية ومقصد اللبيب، تح. محمد ابن تاويت، مجلة تطوان، ع. 9، 1964 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، 1395 / 1975، المجلد الثالث ؛ ابن القاسم الأنصاري السبتي، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنيّ الآثار*، الرباط، 1403 / 1983، ط. 2.

زليخة بنرمضان

الخميسات مدينة بقبيلة أزمور جنوبي مكناس، إذا كان تمركز السكان في كبريات المدن المغربية متزايداً باطراد، فإن نمو المدن الصغرى عرف بدوره تقدماً ملموساً، كما يتجلى ذلك في ظهور عشرات من المراكز الحضرية التي لم تكن موجودة في الماضي القريب أو كانت عبارة عن تجمعات متواضعة يطغى على غالبيتها الطابع القروي.

وتُعتبر الخميسات نموذجاً من أهم نماذج ذلك الجيل الحضري الجديد من المراكز الفتية، الصاعدة التي أصبحت منذ وقت قريب تُثير اهتمام عدد من الباحثين من بين علماء الاجتماع والجغرافيين على الخصوص.

أصل المدينة ومراحل نموها : قُبيل الاحتلال كانت منطقة زمور تعيش أوضاعاً سياسية واقتصادية - اجتماعية في غاية الاضطراب، مما حال دون استقرار السكان وظهور السكن الثابت. ولوضع حد لما يصفه الاستعمار بـ "الفوضى" (السيبة) تدخلت جيوش الاحتلال تدخلاً عنيفاً سنة 1911 فَتَمَّ تثبيت القبائل داخل حدود مجالاتها الحالية واتخاذ موضع الخميسات كأهم وانجع موقع استراتيجي للهيمنة "المخزنية" على المنطقة كلها (انظر خريطة المنطقة).

ولقد قطعت المدينة منذ الاحتلال في تطوها السريع أربع مراحل متميزة :

1 - من الاحتلال إلى 1934. خلال سنتي ما بعد الاحتلال تكوَّنت نواة إدارية عسكرية بجانب سوق هام سياسياً واقتصادياً واجتماعياً (سوق الثلاثاء الحالي). ومنذ 1923 تمَّ نقل مقر المركز الإداري لزمور من "تيفلت" إلى "الخميسات" التي اكتسبت نهائياً وظيفتها الإدارية ؛ مما جعلها تحظى بمُبادرات رسمية في التجهيز والتعمير، خُصوصاً منذ 1926. فاجتذبت إليها عدداً هاماً من الأجانب والمغاربة قرويين وحضريين باستثناء أبناء زمور. ولما كانت إمكانيات وفرص العمل متوفرة تكونت الأحياء المغربية الأولى التقليدية البناء، بشكل مُنتظم إلى جانب الحي السكني - الإداري الأوربي.

2 - من 1934 إلى 1945. انطلاقاً من 1930 - 1934 توفَّرت شبكة طرق مُعبدة، وانفتحت أمام الخميسات آفاق نمو سريع، حيث توطَّدت وظيفتها الإدارية بعد أن صارت تلعب دور "مقر دائرة زمور" سنة 1942 وتدعَّم نشاطها التجاري المحلي القار والسوقي. وعلى الرغم من ضآلة الهجرة الزمورية إليها، وتناقص عدد الأجانب واليهود على الخصوص لصالح مدن أخرى، فإنّ نموها الديموغرافي كان سريعاً إذ عرف زيادة تُعادل 71٪ ما بين 1931 و1936، وحوالي 157٪ من 1936 إلى 1944، مما نتج عنه اتساع رُقعة مجال المدينة وتعرضها لبداية انتشار السكن العشوائي الهزيل.

3 - من 1945 إلى الاستقلال. تميزت هذه المرحلة بتطور العلاقات بين المدينة ومحيطها الريفي تطوراً ملموساً وذلك لكون بلاد زمور أصبحت تعيش أوضاعاً جديدة. وعجلت

هذه الأوضاع بتفكيك البنيات التقليدية القبلية بعد رجوع قدماء المحاربين من الخارج وبانطلاق التوافد الزموري إلى الخميسات وتيفلت.

كان لهذا الوجود انعكاسات إيجابية على الميدان الاقتصادي وانعكاسات سلبية شيئاً ما على النمو العمراني، حيث تجاوزت الرقعة الحضرية المجال المجهز نسبياً مما نتج عنه تكاثر السكن العشوائي الهزيل. ففي سنة 1952، كان السكن يتضمن نحو 1000 نوالة و16 خيمة و200 مسكن تلقائي البناء، و400 دار مقبولة البناء. وهذه الحالة أثارت اهتمام السلطات التي أعدّت أول تصميم معماري صودق عليه سنة 1953.

4 - منذ الاستقلال. منذ الستينات على الخصوص عرفت المدينة انفجاراً ديموغرافيا :(13695 نسمة سنة 1960، 30897 سنة 1971...) تُغذيه بالأساس الهجرة من الأرياف البعيدة والمحيطة مباشرة بالمدينة. مما نتج عنه توسع حضري يتجاوز حدود المجال المجهز تحتياً وبالتالي تضخم الأحياء الهامشية المنتشرة في شكل "دواوير" قروية الطابع. على أنه ابتداء من 1973 - 1975 بعد أن تحولت المدينة إدارياً إلى مقر عمالة (إقليم الخميسات) حظيت بانتعاش ملموس خصوصاً فيما يتعلق بالتجهيزات الأساسية والمنشآت الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما فتح أمامها آفاقاً جديدة للتطور وإعادة هيكلة المجال.

السكان. يتميز التكوين البشري للخميسات بتطور ديموغرافي سريع يطغى عليه عامل الهجرة وتنوع الأصول الجغرافية للوافدين إليها. وتتسم البنية السكانية بنوع من الاختلال - جنسياً وعُمرياً - كما يتصف التوزيع على مستوى الأحياء والسكنى بتفاوت الكثافات.

تطور عدد سكان المدينة، حسب الإحصائيات الرسمية كما يلي :

1926 : 672 نسمة	1971 : 21.827 نسمة
1936 : 2.396 نسمة	1982 : 58.925 نسمة
1952 : 7.460 نسمة	1994 : 88.839 نسمة
1960 : 13.695 نسمة	(30897 بالدواوير) نسمة

يتميز النمو الديموغرافي الحضري للمدينة بسرعة تبدو مدهشة، بالنظر إلى مستوى النمو لغالبية كبريات المدن المغربية. فنسب التزايد السنوي تفوق، في معظم الحالات معدلات النمو الحضري على المستوى الوطني. فنسب التزايد السكاني للمدينة كانت على التوالي ما بين الفترات الإحصائية : 13,5٪ - 7,9٪ - 4,3٪ - 9,5٪ - 3,5٪ ؛ أي في المتوسط ما يناهز 8,5٪ سنوياً في حين أن المتوسط العام على المستوى الوطني لا يتجاوز 5.5 سنوياً ما بين الفترات الإحصائية الأكثر نمواً. وهذه السرعة تجعل المدينة يتضاعف عدد سكانها مرتين تقريباً كل عشر سنوات. ويمكن على أساس معدل التزايد السنوي الأخير توقع وصول المدينة إلى مستوى كبريات المدن المغربية (100.000 ن وأكثر) عند نهاية سنة 2000 (حوالي 107.500 نسمة).

دخلت المدينة - منذ إحصاء 1971 - ضمن فئة المدن المتوسطة وتعدُّ اليوم من كبريات مدن هذه الفئة حيث إنها تحتل المرتبة التاسعة حسب إحصاء 1982 ثم المرتبة الخامسة حسب إحصاء 1994 (بعد تازة - سطات - إنزگان - العرائش).

أما على المستوى الإقليمي فإن الخميسات تهيمن إلى درجة كبيرة على الاستقطاب السكاني في منطقة زمور، حيث إن كثافة سكانها تمثل وحدها - حسب إحصاء 1994 - ما يعادل نصف (51٪) مجموع السكان الحضريين للإقليم (174974 ساكن) ؛ وذلك لضعف التمدن على مستوى المراكز الصغرى (نسبة التمدن : 36٪ حسب إحصاء 1994) وطغيان سمات العالم القروي "العميق" المتخلف نسبياً على مجال الإقليم. مما يفسر أهمية الهجرة إلى المدينة (حوالي 80٪ إلى 90٪ من أرباب الأسر).

الأصول الجغرافية للوافدين إلى المدينة. الهجرة من أرياف ومدن المغرب (دون منطقة زمور) : يمثل النازحون حوالي 36٪ من مجموع أرباب الأسر - حسب البحث الميداني : ثلاثة أرباع منهم قدموا من مختلف أرياف البلاد، خصوصاً من السهول والهضاب الوسطى والداخلية وسوس، وتافيلالت ؛ والربع الباقي من المدن التقليدية على الخصوص. ويطغى الطابع الاقتصادي على أسباب نُزوح معظمهم إلى الخميسات.

- الهجرة من بلاد زمور : جاء التوافد الزموري إلى "عاصمة" زمور "متأخراً" لأسباب مرتبطة بنمط عيشهم التقليدي وبغياب المجندين. ولم يشمل هذا التوافد، بصورة عامة، سوى مُهاجري القبائل المجاورة للمدينة مباشرة والذين يُمثلون أزيد من 60٪ من مجموع النازحين من المنطقة، ومن بينهم عدد هائل من الأرامل والمطلقات.

ولقد كانت هجرة واستقرار معظم هؤلاء المهاجرين "أهالي المنطقة" - على عكس "البرّانيين" عن زمور - لأسباب اجتماعية أكثر منها اقتصادية لكون المدينة تشكل بالنسبة إليهم بيئة جديدة تُوفر لهم إمكانيات حياة أفضل.

الأنشطة الحضرية : يتبين من تحليل تطور البنية المهنية للسكان النشيطين - حسب إحصائي 1960 و1971 وحسب نتائج الاستطلاع (1978) الميداني - أن المدينة تسير باستمرار في اتجاه تضخيم قطاعها الثالث : 61٪ ثم 68٪ ما بين 1961 و1978.

وتبين هذه النسب الضخمة اتجاه المدينة نحو دعم دورها الرئيسي كمركز خدمات تجارية وإدارية واجتماعية.

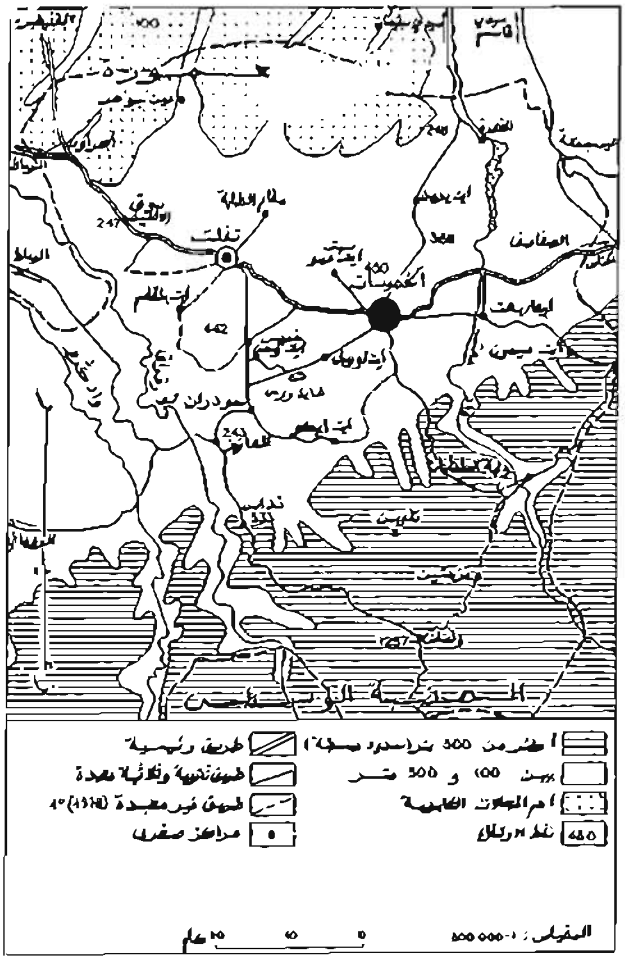
ضعف النشاط الصناعي الحديث : مازال النشاط الزراعي يُمارس داخل الدائرة الحضرية، بل حتى ما بين بعض الأحياء الهامشية. إلا أنه أصبح مهدداً حالياً بالزوال النهائي أمام توسع المجال الحضري.

ويرتبط بهذا النشاط الزراعي نشاط صناعي يتمثل في معمل تقطير أزهار الياسمين لإنتاج العطور الذي أصبح كذلك مهدداً بالزوال. ولقد عرفت المدينة منذ الثمانينات ظهور وحدات صناعية جديدة مرتبطة أساساً بالفلاحة (مطاحن الخ ...).

الأنشطة الحرفية : تشغل هذه الأنشطة 31٪ من أرباب الأسر رجالا ونساء على السواء. ويمتاز النشاط الحرفي بالتنوع والتوازن بين الحرف التقليدية والحرف العصرية الإنتاجية منها وغير الانتاجية (55،7٪ مقابل 44،3٪) منها أنشطة الإصلاح والصيانة وخدمات ذات طابع حرفي. وتأتي في مقدمة الحرف الإنتاجية على الإطلاق صناعة الزرابي التي تمارس داخل المنازل على الخصوص وفي "معامل" التعاونيات.

الجهاز التجاري : يشمل الجهاز التجاري بمفهومه الواسع المتاجر ومحلات الحرف والخدمات ذات الطابع التجاري. وتمتاز بنية هذا الجهاز بتوازن تام بين الأنشطة التجارية الصرفة (50،4٪) وأنشطة الحرف والخدمات (49،6٪) وكذا بعدم التضخم إلا في حالات نادرة. كما هو الحال مثلاً بالنسبة للمنتجات الفلاحية أهمها الحبوب.

لكن هذا الجهاز يغلب على مؤسساته طابع التفتت



وعدم التخصص علاوة على أنه يبقى ناقصاً بالنسبة لعدد السكان (مؤسسة واحدة لكل 54 نسمة حسب البحث الميداني 1976) هذا بالإضافة إلى أنه يتسم بتركز جغرافي كبير وسط المدينة استجابة أكثر لحاجيات العابرين على أن هناك مزية هامة يمتاز بها النشاط التجاري وتتجلى بوضوح في دينامية رواجه. ويفسر هذا الرواج الدائب باعتماده على موارد متنوعة مصادرها ثلاثة : حركة المرور والسير على الطريق الرئيسية، تنوع إمكانيات نسبة مهمة من السكان المحليين وتوافر موارد متنوعة أيضاً لدى قرويي منطقة زمور التي توسع فيها إشعاع المدينة التجاري وغيره.

أشكال النفوذ الإقليمي للمدينة. أهمية الموقع الجغرافي للمدينة (انظر خريطة المنطقة)

تحظى الخميسات بموقع جغرافي ممتاز، من جهة وسط زمور متوسطاً نطاقين طبيعيين مختلفين ومتكاملين اقتصاديا ؛ ومن جهة أخرى بين الحواضر الساحلية والداخلية وعلى طريق رئيسية من أهم المحاور الطرقية للبلاد (3000 إلى 6000 سيارة عابرة في اليوم). وهذا الموقع جعل من المدينة نقطة قوية تتفرع منها شبكة من الطرقات، وتستقطب حركة النقل الاقليمي، تحت قيادة حاضرتي مكناس وسلا بوجه خاص ؛ وبالتالي أصبحت مؤهلة للقيام بدور موصل (relai) بالغ الأهمية في جميع الاتجاهات وبأدوار قيادية إدارية وتجارية في منطقة نفوذها.

النفوذ التجاري : تمارس المدينة بوصفها مقر إقليم إداري مختلف أشكال القيادة إدارياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. ويتجلى أهم أنواع النفوذ الاقتصادي التلقائي في إشعاعها التجاري، الذي يتداخل مع إشعاع جارتها تفلت في الجزء الغربي من زمور.

ويتم هذا النفوذ التجاري بصورة مباشرة من جهة وعن طريق الأسواق الأسبوعية بصفة خاصة وعلى نطاق واسع من جهة أخرى، حيث تتحكم الخميسات في شبكة كثيفة من الأسواق التي تتجه إليها أسبوعياً انطلاقاً من المدينة حوالي 2680 مُتسوق تاجر - حسب J.F. Troin - منهم 1780 أي 66٪ يترددون على مجموع 22 سوقاً منها 16 داخل منطقة زمور وعلى رأسها سوق الثلاثاء "العملاق" للمدينة ذاتها.

أهمية سوق الثلاثاء : يُعتبر هذا السوق الذي يحتكر حركة التسوق يوم الثلاثاء على صعيد بلاد زمور من عمالقة الأسواق المغربية، سواء من حيث التجمع البشري (20.000 في المتوسط و30.000 خلال الصيف حسب J.F. Troin) أو ضخامة الجهاز التجاري (9000 متسوق للمرتبة الثانية في المغرب أو من حيث قيمته الاقتصادية (المرتبة الرابعة) ومدى إشعاعه على مستوى المغرب الشمالي وخاصة فيما يتعلق بتجارة المواشي والأبقار على الخصوص (المرتبة الأولى). أما بالنسبة لعلاقات السوق بالمدينة فإن انعقاده يوفر لها كثيراً من الفرص تستفيد منها تجارياً

ومالياً واجتماعياً (33٪ من مداخيل البلدية) وحتى إدارياً (تقريب المواطنين القرويين من الإدارة).

المجال الحضري. يتم التكوين العمراني للمدينة بعدم الانسجام والتماسك ويتفاوت درجة تمدن وتحضر الأحياء تفاوتاً متبايناً.

المميزات المرفلوجية العامة : تتميز مرفلوجية المدينة - في معظمها - بتفكك نسيجها وخصوصاً في الأطراف حيث تظهر متعددة النوايا (النواة).

ومما يزيدها تشويهاً امتدادها المفرط في اتجاهي الشمال والجنوب مع وجود ثغرات واسعة في جزئها الأوسط، وذلك لأسباب اقتصادية وإدارية وعقارية على الخصوص مع اعتبار العامل الطبغرافي نحو الشرق (وادي الخميس).

ويتصف المشهد الحضري بالتباين الشديد لخلايا السكن: ففي السبعينيات (إحصاء 1971) كانت أنواع السكنى تتوزع كالتالي : المباني الصلبة : 3700 (2.62٪) البراريك: 1752 (29.4٪) مساكن من الطوب : 319 (5.3٪) نوالات : 121 (2٪)، مساكن من الحجارة المجردة : 53 (0.8٪) خيام : 2 (0.03) فالسكن الهزيل كان يحتل نسبة هامة (37.8٪من المساكن) ويسود طبعا بالدرجة الأولى في الأحياء الهامشية.

أنواع الأحياء : تتكون المدينة من 16 حيّاً ودواراً تم تصنيفها بصورة تركيبية على أساس مقياسين أساسين يتعلقان بالتجهيزات الأساسية وطبيعة البناء أضيفت إليهما مؤشرات أخرى عقارية وديموغرافية واجتماعية وثقافية. وهكذا يُمكن التمييز ما بين ثلاث مجموعات من الأحياء من المركز نحو الهوامش :

- مجموعة الأحياء "الحضرية" عددها ثلاثة ويسكنها 21٪ من السكان وهي أحياء مجهزة وخالية تقريبا من العناصر الهزيلة من السكن وتقطنها فئات الموظفين والتجار والملاكين الكبار والمتوسطين.

- مجموعة الأحياء الشبه حضرية ذات اندماج متوسط. عددها ثلاثة ويسكنها حوالي 30٪ من السكان معظمهم من الفئات المتوسطة بوجه عام. وهنا تتراوح نسبة السكن الهزيل ما بين 5٪ إلى 15٪ من المساكن، حيث إن مجالها المجهز تحتياً لا يتجاوز النصف (42٪ إلى 50٪ من المساكن).

- مجموعة الأحياء الهزيلة أو "الدواوير" : عشرة دواوير هامشية جغرافياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً يقطنها ما يناهز تقريباً نصف عدد السكان 48٪ من سكان المدينة). على أن أوضاع هذه الدواوير متفاوتة نسبياً - وهي اليوم في طور إعادة إسكان سكانها في أحياء لائقة (السكن الاجتماعي) في إطار عملية "محاربة السكن غير اللائق" أو القضاء على "مدن" الصفيح.

ومهما كانت مشاكل المدينة فإن الخميسات تبقى مؤهلة جغرافياً وقيادياً للقيام بدور قطب تنمية إقليمية. ولربما تغيرت الصورة التي يعكسها هذا المقال المعتمد على معطيات وأرقام قديمة نسبياً.

م.حنيني، *الخميسات، دراسة في الجغرافيا الحضرية*، رسالة لنيل د.د.ع. في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1980.

محمد حنيني

* *

إقليم الخميسات، حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ كان يضم 35 جماعة منها ثلاث بلديات. وبناء على القانون رقم 92 - 12 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 90 . 92 . 1 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على الشكل التالي : بلدية الخميسات - بلدية تيفلت - بلدية الرماني - جماعة سيدي علال البحراوي - جماعة سيدي بوخلخال - جماعة أيت مالك - جماعة عين الجوهرة - جماعة أيت بويحيى - جماعة مقام الطلبة - جماعة سيدي عبد الرزاق - جماعة الكنزرة - جماعة أيت يدين جماعة الصفاصيف - جماعة أيت سبرن - جماعة سيدي الغندور - جماعة سيدي علال المصدَر - جماعة أيت أوريبل - جماعة مجمع الطلبة - جماعة أيت ميمون - جماعة أيت يكو - جماعة أيت إيشو - جماعة أيت بلقاسم - جماعة حُودران - جماعة المعازيز - جماعة تيداس جماعة أولماس - جماعة جمعة مول البلاد - جماعة عين سبيت - جماعة مولاي إدريس اغبال - جماعة خميس سيد يحيى - جماعة مرشوس - جماعة الغوالم - جماعة زحيليگة - جماعة بوقشمير - جماعة البراشوة.

تبلغ مساحة الإقليم 8305 كلم ويتوفر على أراض خصبة وجيدة تستقبل تهاطلات مطرية مهمة تسمح بتنمية فلاحية تعمل على سد حاجيات السكان.

مناخ الإقليم شبه قاري حيث تتميز المنطقة بالارتفاع خاصة كلما ابتعدنا عن المحيط معدل الحرارة يتراوح ما بين 10 و11 درجة خلال فصل الشتاء، وما بين 25 و27 درجة أثناء الصيف، كما أن المناطق العليا بالإقليم خاصة أولماس تعرف ارتفاعاً في درجة الحرارة خلال الصيف تصل أحياناً إلى 30 درجة، بينما تستقر الحرارة الدنيا في فصل الشتاء ما بين 7 و8 درجات. التساقطات المطرية في نواحي تيفلت تبلغ 528 ملم سنوياً و501 ملم في منطقة تيداس. أما المنطقة الجبلية فيَصل معدلها سنوياً إلى 655 ملم خاصة بأولماس وتعتبر المنطقة خزاناً مهماً للمياه الجوفية، ومن أهمها الفرشة المائية للمعمورة حيث تسمح التشكيلات الصخرية المكونة من حت وكلس بتسرب واختزان كمية مهمة من مياه الأمطار تصل سعتها إلى 134 مليون م^3 سنوياً الشيء الذي يمكن من تزويد بعض المدن الساحلية

بالماء الشروب والري من القنطرة إلى الدار البيضاء. ويعتبر واد بهت أهم مورد مائي سطحي يغذي الإقليم بالماء الصالح للشرب وسقي الأراضي الفلاحية.

تنتمي التربة في مجملها إلى نوع التيرس، وهي تربة خصبة وسميكة ونظراً للظروف الطبيعية الملائمة فإنها تسمح باستغلال فلاحي متنوع وبمردودية مناسبة أو مهمة في أراضي البور .تقدر المساحة البورية بـ 390.000 هكتار بينما تصل المساحة السقوية إلى 3800 هكتار. تزرع بهذه الأراضي الحبوب والقطاني بالأساس، كما خصص 1800 هكتار للزراعات الزيتية. وتعرف زراعة الأشجار المثمرة نمواً كبيراً بالمنطقة، أما بالنسبة للمنتجات العلفية فيبلغ محصولها 89800 وحدة علفية أي بنسبة 278 وحدة علفية للهكتار، ويتم الحصول على 33٪ من الحاجيات العلفية من الغابة خاصة المعمورة.

بلغت الكثافة السكانية بالإقليم 58،5 ن / كلم^2 ويعرف المجال القروي ساكنة مهمة تصل نسبتها إلى 64،6٪ من سكان الجهة يعتمد اقتصاد الإقليم بالأساس على الفلاحة وتربية الماشية والصناعة التقليدية وبعض الخدمات في المراكز الحضرية. كما تساهم بعض المناجم في تنمية اقتصاد الإقليم ومنها منجم لإنتاج البوتاس يبلغ احتياطه 97 مليون طن، ومنجم آخر لاستخراج الرخام يوجد بضاحية تيفلت وينتج سنوياً 2000 م^3 من الرخام.

ع. لغماري، م. البوطاهري، *جهة الرباط وسلا زمور زعير، خريطة إقليم الخميسات*.

محمد بلعربي

الخميسي، أسرة تطوانية لا علاقة لها بقبيلة الاخماس الواقعة شمال المغرب، وذلك لأنها تنتمي إلى مدينة الخميسي Algemici الواقعة بناحية قلبنسيا الاسبانية حيث توجد أسر مسيحية تحمل اسم Algemesi ؛ وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمرجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 638.

محمد ابن عزوز حكيم

الخميلي، عمر بن الطاهر الرحماني المراكشي. وصفه تلميذه عبد الحفيظ الفاسي بـ "العلامة المقرئ الصالح المعمَر... كان أستاذاً مقرئاً فاضلاً كثير العبادة والتلاوة، ناصريَ الطريقة مزاراً متبركاً به" أخذ القرآن الكريم بالروايات السبع عن الأستاذ الكبير الولي الشهير أبي الفلاح محمد بن علي القضاعي الزراري المعروف بسيدي الزوين نزيل الأوداية قرب مراكش شيخ القراء بالمغرب.

وعنه أخذ عبد الحفيظ الفاسي بسنده وأجازه في كل ما تلقى عن شيخه سيدي الزوين.

توفي بمدينة مراكش في تاسع وعشري جمادى الثانية عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف / 4 يناير 1927.

ع. الحفيظ الفاسي، *رياض الجنة*. الرباط، 1931، ج 2 : 130.

محمد حجي

الخنابيب، قبيلة سوسيّة عربية تمتد أراضيها على سهل ساحلي، وهو امتداد لبسيط تيزنيت بمحاذاة المحيط الاطلنتي. تنتهي القبيلة في الجنوب بحدود قبيلتي تيزنيت واكلو، بينما تنفتح على أراضي ماسة والمعدر في الشمال والشرق. يعتبر ترابها مجالاً للرعي والإنتاج وبعض أشكال الزراعة البورية.

أما دلالة التسمية، فمن المحتمل أن يكون أصل الكلمة من لفظة أغنبوب التي تفيد اللسان الداخل في البحر، ويبدو أن الاسم له علاقة بطبغرافية المنطقة.

إن مجال الخنابيب، وخاصة شاطئ المصيدة، عرف استمراراً بشرياً قديماً، ومن الشهادات الدالة على ذلك، وجود آثار صناعات ما قبل التاريخ : الأدوات الحجرية من صنف ذات الوجهين Bifaus ، الحلي المصنوعة من بيض النعام. لا نعرف إلا النزر القليل عن أصول سكان الخنابيب وظروف استقرارهم، فحسبما تحصل لدينا من إشارات من خلال الوثائق المحلية والروايات الشفوية فإن العناصر الأولى وفدت من موطنها الأصلي أباينو بوادي نون خلال القرن الثالث (9 م)، واستطاعت أن تجد لها مكانا للاستقرار، ولا نعرف إن كان ذلك عن طريق التحمل أو بالتراضي، ولا إن كانت المنطقة مجالاً لقبيلة معينة. غير أن الوثيقة الوحيدة التي عثرنا عليها (مؤرخة بتاريخ 977 / 1569) تحدد موضع الاستقرار على الساحل بين أكّلو وماسة، أي من مجال أكبر مما هو عليه الآن. ويبدو أن أهمية موقع القبيلة السهلي، جعلها مثار مجموعة من الأحداث والنزاعات بين القبائل وخاصة أكّلو والمعدر حول امتلاك الأرض والماء. مما أدى إلى اقتطاع أراضيها وانصهار بعض وحداتها ضمن الوحدات القبلية المجاورة، وانزواء العناصر المتبقية في المجال الساحلي الحالي. ومما يدعم هذا الافتراض غياب ذكر اسم القبيلة ضمن التشكيلة القبلية التي أوردها صاحب *ديوان قبائل سوس* كما لم يشر إليها الوزان أثناء حديثه عن قبائل سوس خلال القرن العاشر (16م).

وتذكر *الروايات الشفوية* أن مجال الخنابيب، كان مكان استقرار سيدي عبد الرحمان بعد سياحته الصرفية انطلاقا من زاوية شيخه بغيغاية خلال القرن العاشر (16 م). فبنى زاوية للتعليم والوعظ فوق قاعدة صلبة بالضفة اليمنى لوادي إيصرح، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى تجمع سكاني

يحمل اسم تمزليت. وعلى غرار ما كانت تقوم به الزوايا من أدوار مختلفة، فإن تمزليت أصبحت مركزاً دينياً تلتقي فيه القبائل، كما تؤمن القوافل التجارية المارة بالطريق التجاري الساحلي. إلا أن صيتها ومكانتها اعتراها بعض الانكماش بعد وفاة مؤسسها وتراجع نفوذها لصالح زاوية تازروالت.

ومما يبين مدى الحظوة الكبيرة التي تتمتع بها القبيلة، أن المخزن العلوي أصدر في حق الزاوية ولصالح أسرة سيدي عبد الرحمان الخنبوبي ظهائر التوقير والاحترام منذ عهد المولى الرشيد، وتجددت عدة مرات، ومازال أحفاد الشيخ يحتفظون بها. أما عن علاقتها بالقبائل المجاورة، فتتحكم فيها الشروط الاقتصادية والبشرية، وتتأكد ملامح هذه العلاقة في أن مصير الخنابيب ارتبط بمدى تبعيتها لآكلو، لهذا تصنف دائما ضمن أراضي إيالة شيوخ وقياد هذه القبيلة.

أحمد الخنبوبي

* *

تفرّعت الخنابيب إلى أفخاذ منها طائفة في الصحراء في نواحي ورززات تسمى زاوية القاضي، ومنها طائفة في الجريفات بآسفي والوالدية ومنها بعبدة أي دوار الشلوح. والخنابيب الذين استقروا بعبدة كانوا قد هاجروا مرغمين على ذلك من طرف الاستعمار الفرنسي وذلك لأن المجاهد الهيبة بن ماء العينين لما جاء هو وأتباعه إلى الخنابيب حيث حط رحاله سأل عمن يتسم بالعلم فدلوه على أحمد بن فارس الخنبوبي فصاحبه هذا الأخير إلى مراكش، ولما فشل الهيبة في هذه المدينة، أُقْصِي أحمد الخنبوبي إلى عبدة هو وعشيرته وكان تحت رعاية عيسى بن عمر العبدي.

ويشهد الماركي دي سيكونزاك عندما زار جنوب المغرب في بداية القرن العشرين وزار الخنابيب أن دواويرها تتكون من 150 أسرة تملك 100 بندقية و 15 فرس. ويقول سيكونزاك بأنهم مرابطون.

ومن المتداول أنهم جاؤوا من غيغاية بأحواز مراكش من زاوية سيدي فارس بن لحسن رأن سلفهم عبد الرحمن الخنبوبي الذي توجد زاويته بتمزليت بالخنابيب كان قد انتدبه شيخه فارس بن لحسن *الإعلام*، ص 14، ج 10 *ممتع الأسماع*، ص 161، وأعطاه لواء للدفاع عن الثغور التي توجد بتمزليت وقد استقبلته قبائل ماسة وأكلو ورحبت به ثم أقطعت له أرضاً ووهبت له أراضي مسقية.

والغالب عن الظنّ أن الخنابيب من أصل عربي شريف جاؤوا عن فاس بل هربوا منها خوفاً من الدلائيين. (*الزاوية الدلائية* ... ص 229). فرحلوا إلى جنوب المغرب حيث استقروا. ويؤكد ذلك مارت وإدموند گوفيون في كتابهما كتاب *أعيان المغرب الأقصى* (ص. 445. 446. 447) إذ يقولان بأن السلف عبد الرحمن بن أحمد الخنبوبي كان يقطن بحي الطالعة بفاس وأن جده هو أحمد بن إدريس. وقد لعب الخنابيب دوراً هاماً في إسلام عدد من القبائل السوسية.

ع. بن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 10 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية، فاس، 1989.

E. Gouvion, *Kitab Aâyane al-Maghrib 'l-Akça, Livre des Grands du Maroc*, Paris, 1939 ; D de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas*, Paris, 1910.

أحمد بومزگو

خناثة بنت بكار، زوج السلطان المولى إسماعيل. تشغل المرأة المغربية حيزا ضيقا من كتب التراجم، ومع ذلك جاء هذا الحيز حافلا بالأعمال المجيدة من جهاد واحسان وتحبيس الممتلكات والقيام بأعمال عمرانية وخوض الصراعات السياسية، وهذه الخصال تجتمع في الأميرة خناثة بيت بكار بن عبد الله بن علي المغافري، فكان انتقالها من أقصى الجنوب وزواجها بالسلطان المولى إسماعيل حدثا تاريخيا وسجلا زاخرا بالمهام والعطاء.

ظلت الوحدة الترابية المغربية ثابتة ومتواصلة من أقصى الشمال إلى تخوم السودان فامتزج دم المغاربة في مختلف الأقاليم بالمصاهرة. وكان للزيارة التفقدية للسلطان المولى إسماعيل سنة 1089 / 1678 إلى أقاليم الجنوب أثر فعال وتأكيد لهذه الوحدة وتجديد للبيعة والولاء واقترانها بمصاهرة الشيخ بكار المغفري للسلطان. وقد ذكر المؤرخ أحمد الناصري هذه الزيارة فقال "فقدمت عليه وفود العرب هناك من أهل الساحل والقبلة ومن دليم وسوس والمغافرة وودي وغيرهم من قبائل معقل وأدوا طاعته، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار بن عبد الله والد خناثة أم السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل، فأهدى الشيخ إلى السلطان ابنته خناثة المذكورة، وكانت ذات جمال وعفة وأدب فتزوجها السلطان رحمه الله".

وهكذا دخلت القصر الملكي في اعتزاز ورفعة فهي زوج ملك وسليلة حسب ونسب، فأبوها بكار سيد قومه. وقد حلاهما المؤرخ محمد القادري في *نشر المثاني* أفضل تحلية وذلك لما طلبت الأم من ابنها الإذن لها بالتوجه إلى الحج فقال :

"السيدة الوجيهة الفاضلة بنت السيد الوجيه الفاضل الحاذق في الأخيار، ومن لاذ به يجار ولا يصل إليه عار، حتى في الفيافي والقفار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعهم، الشيخ بكار المغفري..."

أدت الأميرة فريضة الحج سنة 1143 صحبة حفيدها الأمير سيدي محمد بن عبد الله البالغ من العمر عشر سنوات، وضم الوفد عدداً من رجالات المخزن منهم القاضي أبو القاسم العميري وشيخ الركب عبد الخالق عديل والوزير كاتب الرحالة عبد القادر الجيلالي الإسحاقي وقد أبرزت هذه الرحلة الصفات الحميدة للأميرة : تقوى وعلم وإحسان وعطاء من لا يخشى الفقر وكياسة ومظاهر حضارية تلفت

أنظار الأقاليم والبلدان التي يجتازها ركبها، فخلفت صدى طيبا في أوساط الشرفاء، والعلماء، والحكام وشيوخ العشائر، فأينما حلت إلاّ وكانت محط ترحيب وحسن استقبال لما لها من أياد بيضاء احتساباً لله، فتعددت عطاياها من مال وملابس وأوقاف، فقد خصت شرفاء أهل الينبع الذين وفدوا عليها لتهنئتها بسلامة قدومها بمائتي مثقال ذهبا مطبوعة وهو مبلغ كان يصلهم من زوجها المرحوم المولى إسماعيل من صرة الحج فزادت عليه مائة مثقال ذهبا مطبوعة هبة منها وشملت هداياها بعض المحتاجين ومن هم أهل للإكرام وعملت كذلك على شراء داربمكة من أولاد العلامة أبي محمد عبد الله بن سالم البصري وحبستها على الطلبة الذين يختمون *القرآن* كل يوم ويدرسون *صحيح البخاري* وعينت ناظرا لها وتضمنت رحلتها هذه وصف إقامتها بالحرمين الشريفين والثناء عليها ومدحها وإهداء الكتب لها.

نشأت خناثة في بيت علم وأدب، أسرةً وعشيرةً وحصّلت العلوم في كنف والدها ووجدت في خزانة زوجها السلطان المولى إسماعيل ما يشفي غليلها من المعارف، فاستحقت بأن توصف بالفقيهة والأديبة، فكانت قراءتها قراءة تحقيق وتطرير وإحالة على مصادر أخرى. وقد وقف المؤرخ محمد أكنسوس في كتابه *الجيش العرمرم* على خطها على هامش *الإصابة في معرفة الصحابة* لابن حجر العسقلاني. وهذه الملاحظة العلمية تتبعها عبد الهادي التازي في كتابه *أمير مغربي بطرابلس* أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي فقال: "وقد تمكنت من الوقوف فعلاً على بعض طررها على المجلد الثاني والثالث والرابع بالمكتبة الملكية بالرباط". ووجد في هذه الطرر تركيزاً وسعة اطلاع. ولعل مشاركتها الفقهية مكنتها من شراء الدار بمكة واقناع القاضي بإجراء عقد البيع والتحبيس رغم وجود مَنْ يعارض في بيع وشراء العقار بمكة. ولم يفت بعض الفقهاء المتأدبين بمكة وهو إمام المقام الخليلي محمد بن علي الحسيني الشافعي الطبري أن ينظم فيها قصيدة مطلعها:

غَنّي على عود السعود هزاري   وشدا على الأوتار بالأوطار

للأميرة خناثة من الحنكة وسعة الأفق السياسي ما يندر مثيله حتى عند كبار رجالات المخزن. وفي هذا السلوك مفخرة للمرأة المغربية فهي المستشارة لزوجها ولولدها، وهي ذات فكر ثاقب وخبرة واسعة بأمور السياسة وتقلبات أحوال السياسيين والقادة، وهي العارفة بأحوال البلاد والمطلعة على العلاقات المغربية الخارجية، فحياتها الزوجية تصل إلى نصف قرن وامتدت حياتها بعد وفاة زوجها لفترة تبلغ ست عشرة سنة بين مد وجزر وثورات ومناورات العبيد والقبائل وشيعة هذا الأمير وذاك الأمير للتسابق على الملك، فتصل تجربتها السياسية واحتكاكها بالعمل السياسي إلى ست وستين سنة تخللتها المشورة والتدخل لإصلاح ذات البين بين فريقين من الفرقاء أو إبداء النصح والتنبيه لأمر هام أو مراسلة توقير ودعم. ولعل مرتبتها العليا في الدولة المغربية احتفظت لها بمراسلات دبلوماسية ترمي لتوطيد العلاقات بين المغرب وبعض الدول الأوربية، وكذا لتحرير الأسرى. وتبرز شخصيتها الفذة في مواجهة الأحداث بعد وفاة زوجها فنراها صامدة مصرة على التمسك بمبادئها وسط الإعصار السياسي فتُكاتب العلماء، وتعقد التحالف بين الأوداية والمغافرة وبعض القبائل لمناصرة ولدها المولى عبد الله، فكان تدخلها عن دراية مكتسبة باتصالها الوثيق بزوجها واطلاعها الواسع على شؤون البلاد. ولعل شهادة الوزير الإسحاقي خير شاهد على شخصيتها السياسية التي لفتت الأنظار، فقال عنها:

"وكانت له وزيرة صدق وبطانة خير تأمره بالخير وتحرضه عليه وتتوسط في حوائج الناس ويقصد بابها أهل الحياء والحشمة..."

وحتى رحلتها الحجية لم تكن تخلو من مظاهر سياسية حيث عاينت أوضاع الأقاليم المغربية التي مرت بها وهي مسافرة في ركب يجسد أبهة العظمة والملك سواء في ملابس الوصفان أو ألعاب الفروسية والبارود أو زي رجال المخزن أو العطاء بسخاء، وكذلك في استقبال حفيدها مع حاشيته من طرف الشخصيات البارزة في البلدان العربية، وامتد اهتمامها للمؤسسات الدينية حيث نقف لها على مراسلة إلى الباشا موسى مؤرخة في منتصف شوال سنة 1145 تحثه على الاعتناء بالزاوية البوسُنية بقبيلة احمر.. "وإني أؤكد عليك أشد التأكيد زاوية المولى الصالح السيد محمد بوسُنة ألاّ تترك مَنْ يترامى عليها أو يطوف بساحتها، فالزاوية تركها سيدي محمد بوسنة بيدي وأنا الوصية عليها، وإياك وإياك، فاحترمها بما تُحترم به مثيلاتها ووقّرها"

ولم تزدها الأزمة بين أولاد السلطان المولى إسماعيل إلا صلابة وثباتا على المبدأ في تزكية ولدها الوحيد المولى عبد الله سلطانا على البلاد، فهذه رسالتها لأهل وجدة بتاريخ 13 محرم 1149 / 24 ماي 1736 تقول فيها:

"فلا يهمكم شيء، فأنتم قد عرفنا محبتكم ونصيحتكم لمولانا أمير المؤمنين فلا يضركم فعل السفهاء، فيد الله وأيدينا فوق أيديهم، ولا تخشوا من أحد سواء غربتهم أو شرقتهم، ومن تعرض لكم فلا يلوم إلا نفسه، سواء كان قريبا أو بعيدا..."

عاشت خناثة وسط زوبعة سياسية أتت على الأخضر واليابس ومزقت البلاد شيعا ولم تراع لها الأزمة السياسية مكانتها السامية ولا شيخوختها، فظلت صامدة مناصرة لابنها السلطان المولى عبد الله الذي استطاع في النهاية أن يثبت في الحكم ويعيد الاستقرار للبلاد. واعتبارا لشخصيتها البارزة عانت من التضييق عليها والتعرض للنهب والاعتقال على يد ربيبها السلطان علي الأعرج بن إسماعيل الذي استولى على الحكم مكان ابنها سنة 1147.

فوجد في زوج أبيه الأميرة خناثة كبش فداء لما كان لها من أنصار وما تخفيه من كنوز والده وولدها حسب زعمه، فاقتحم عليها دارها واستولى على ما فيها من متاع بأمر من الباشا سالم الدكالي وزج بها في السجن مع حفيدها سيدي محمد بن عبد الله، فاستنجدت بالعلماء طالبة حكم الشرع ومستعجلة إطلاق سراح حفيدها لأنه دون الحُلُم ولم يقم بأي عمل يستوجب سجنه، فأطلق سراح الأمير وبقيت هي في السجن مدة من الزمن. "وها أنا في السجن حتى يحكم الله بيني وبينه".

ثم دارت الدائرة على السلطان علي الأعرج وعاد مولاي عبد الله إلى الحكم سنة 1149 بعدما قضى قرابة ثلاث سنوات عند أخواله بوادي نون، فاسترجعت الأم حريتها ونشاطها السياسي، وما كادت تهنأ بالاستقرار حتى خلع العبيد ولدها من جديد، فأحست بما يدبرونه لها من مكايد فخرجت من مكناسة يوم الخميس 30 ربيع الأول 1154 ونزلت بفاس وسارعت إلى مواجهتهم بتوطيد التحالف بين أقاربها الأوداية والمغافرة وأنصار ولدها من القاسيين والقبائل المؤيدة له فكانت له خير عون حيث حقق النصر على المتمردين واسترد عرشه.

وهكذا نجد لها حضوراً علمياً واجتماعياً وسياسياً خلال عدة عقود تضمها الوثائق المغربية بخيرها ومحنتها وتوجيهاتها ومراسلاتها إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى سنة 1155 / 1742 ودفنت بمقبرة الأشراف بفاس الجديد.

رحلة الإسحاقي، مخطوط خ. ح. رقم 1428 ز ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج. 3 : 335 . 336 و4 : 38، تح. م. حجي وأ. التوفيق ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم*، ج. 1، تح. أ. بن يوسف الكنسوسي ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 7 ؛ ع. الرحمن بن زيدان، *الإتحاف*، ج. 3 و5 ؛ ع. الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 428 و429، تح. إحسان عباس ؛ ع. الله كنون، *النبوغ المغربي* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية في عهد العلويين*، ص. 243 ؛ ع. الهادي التازي، *أمير مغربي في طرابلس ؛ جولة في تاريخ المغرب الدبلوماسي ؛ مذكرات من التراث المغربي*، ج. 4 : 86 ؛ ع. الحق المريني، *دليل المرأة المغربية*، ص. 11 ـ 12.

M. Morsy, *Les Africains*, T. 1.

محمد ماگامان

الخناشفة، بطن من أولاد يحيى بن معبد من قبيلة بني حسن بإقليم القنيطرة. ولما أحصت سلطات الحماية دواويرهم وخيامهم جعلتهم في مطلع القرن العشرين تحت سلطة إبراهيم بن الحسن بن بوگرين الزهاني. كان عدد أسرهم أربعمائة وتسع وأربعين خيمة مفصلة كما يلي :

الخيـام

ـ أولاد عيسى والرگاگنة والرّزازگة 130

ـ القاسميون وأولاد الطاهر وأولاد الفقيه

وأولاد بلعيد وأولاد علي مَحمد والسليتات 203

ـ الحوارثة أولاد زيد والوحاحدة وأولاد مالك 116

وقبل ذلك كان السلطان مولاي الحسن عين عليهم قواداً من الخناشفة وهم :

ـ الحاج رزوق تولى سنة 1290 وتوفي سنة 1300 / 1883.

ـ العربي بن الفقيه عين قبل سنة 1310 واستمر مدة.

ـ الحاج عمر بن الفقيه وكان سنة 1324 قائداً.

ـ قاسم بن جلول وكان سنة 1327 و1328.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 ـ 1912، مخطوط ؛ *الوثائق الملكية والبنسعيدية*.

Villes et tribus du Maroc, Béni Ahsen.

مصطفى بوشعراء

الخُناق أو الدفتريا، من كلمة Diphtera بمعنى الغشاء، سماه العرب الخُناق لأنه يميت بالاختناق، ويسمى أيضاً الذُبحة. عرفه الأطباء القدامى بأنه ورم في الحلق والمري، وعضل الحنجرة بحيث يصعب نفوذ الهواء المستنشق. وفي التعريف الحديث هو مرض خطير يتميز بوجود أغشية كاذبة ضاربة إلى البياض على مخاط الحلق والحنجرة، وأحيانا على مخاط الفم أو المنخر أو العين.

يسمى الخُناق عند المغاربة "الخنَّاگية"، وهي علة لم نتمكن من العثور على المعلومات حولها، وحول غشيانها في المغاربة خلال الفترات السابقة لسنة 1912، وإن كان ذكر الخناق يتردد أحيانا لدى بعض الأخباريين أمثال ابن عذاري، ولكن تحت اسم الذُبحة (من ذلك مثلاً ما ورد في الجزء الأول من *البيان المغرب* بصدد وفاة هشام بن عبد الملك)، وهو الاسم الذي يصفه به الطبيب بن زهر، كما لم نجد ذكراً لهذا الداء في أولى المصنفات النزولوجية التي كتبت عن المغرب في بداية القرن العشرين ككتاب الطبيب راينو Raynaud عن *الصحة والطب بالمغرب* الصادر سنة 1902، ومقال الدكتور وايزجربر Wiesgerber عن الأمراض وعلاجها بالمغرب سنة 1903، ومقال الدكتور هرزن Herzen *ملاحظات وتأملات في نزولوجيا المغرب*، سنة 1911، بل إن الرعيل الأول من الأطباء الذين باشروا مهمة التصدي للأمراض والأوبئة مع بدء الحماية لاحظوا أن داء الخناق شبه منعدم بالمغرب، واحتدم كثير من النقاش حول مسألة ما إذا كان هذا الداء متوطنا بالبلاد، أم أن طائفه ألم بالناس على إثر وصول موجات الوافدين من أوربا بعد استتباب أمر الحماية.

ودون الدخول في تفاصيل ذلك النقاش، نشير إلى أن الخناق، كان يعيث في سكان المغرب خلال فترة الحماية، حسب إحصائيات على الأقل منذ سنة 1928 فنعدد الحالات في المدن البلديات مثلاً هو 397 سنة 1928 و822 سنة 1953.

وكان المغاربة يعالجون الخناق ببعض الوصفات الواردة

عند صاحب *كتاب الرحمة* في علاج "النفخ والأورام التي في الفرجومة" أو بدهن لوزتي المريض ببعض اليابس من دم أضحية العيد بعد خلطه بالقليل من عود القماري.

إلى جانب هذه الوصفات وغيرها، حاول أطباء الحماية الفرنسية التصدي لداء الخناق، فعملوا على تشخيصه واعتبروه من الأمراض ذات الإعلان الإجباري. غير أن الحد من انتشاره ظل أمراً صعباً إلى ما بعد سنة 1924 عندما تمكن العالم البيولوجي الفرنسي Gaston Ramon من اكتشاف التلقيح بذيفان الدفتريا Anatoxine diphtérique الذي لم يكن يستفيد منه في المقام الأول سوى أبناء الأوربيين أو المحظوظين من سكان المدن البلديات، وقد أصبح التلقيح ضد الخناق اليوم منتشراً في حواضر المغرب وبواديه.

ع. السيوطي، *كتاب الرحمة في الطب والحكمة* : ع. الكاديكي، *الأمراض المعدية؛ الرواية الشفوية*.

A.R. De Lens, *Pratiques des Harems marocains*, Paris 1925 ; *Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc*, T. XIV n° 1 - 2, 1954.

بوجمعة رويان

الخنبوبي، عبد الرحمان صوفي صالح، وهو الجد الأعلى للشرفاء الخنابيب. لا نعرف عن حياته إلا النزر القليل الذي وصلنا عن طريق الرواية الشفوية. يقال إن أصله من مدينة فاس، وبها تلقى تعليمه، وسلك طريق التصوف على يد شيوخها وعرفت حياته منعطفاً حاسماً بعد انتقاله إلى زاوية غيغاية عند الشيخ فارس بن الحسن، وهو من تلاميذ عبد الله أمغار. فأصبح الخنبوبي من كبار مريدي الشيخ وبقي بجواره مدة تنيف عن سبع سنوات، فوجهه إلى قبيلة الخنابيب، ويحتمل أن يكون ذلك مرتبطاً بمنحى المتصوفة آنذاك من تعمير البوادي والمناطق النائية.

ومهما يكن فإن القبيلة بدأت في خدمة زاويته، وبالمقابل نالت حمايته المعنوية والرمزية. وهذه المكانة الروحية، جعلته يحظى باحترام وقبول الجميع، وذاع صيته واشتهر أمره. لذا أصبحت زاويته مجالاً مستقطباً للعديد من الطلبة والمريدين وعامة الناس، ونواة التف حولها السكان، فتكونت قرية تحمل اسم تزليت.

وبغض النظر عن الشهرة التي كان يتمتع بها، لم ترد أخباره في كتب المناقب السوسية المعروفة. ومن غير المستبعد أن يكون ذلك مرتبطاً بقصر المدة التي قضاها الشيخ بين أحضان القبيلة، وكذا تشتت أولاده في مجالات جغرافية مختلفة.

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان الخنبوبي آلت أمور الزاوية إلى ابنه مَحمد. إلا أن نفوذها وإشعاعها الديني والعلمي بدأ في التراجع لصالح زاوية تازروالت. وعلى مدى قرون عديدة، استمر حفدته في تسيير الأمور التنظيمية للزاوية، وأصدر المخزن في حقهم ظهائر التوقير والاحترام.

وثيقة تحديد مجال قبيلة الخنابيب، 977 / 1569 : شجرة شرفاء الخنابيب، 943 / 1536 ؛ ظهائر التوقير والاحترام، عددها 19 : م. السوسي، *المعسول*، ج 16، ص. 242 : *خلال جزولة*، 4، ص. 38 ، تحريات ميدانية.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au 19ème siècle*, *Hesp.*, 1925, p. 267 - 273 ; J.M. Gouvion, *A'oyon al Maghreb al Akça*, Paris, 1939, p. 445 - 447.

أحمد بومزكو

الخنبوبي، محمد بن أحمد. وُلد بدوار الفيض بزاوية الخنابيب في شواطئ الجنوب قرب تزنيت سنة 1326 / 1908. ودرس في الكتّاب بنفس الزاوية حيث حفظ القرآن برواياته السبع. بعد ذلك هاجر مع أسرته التي نقلها الاستعمار الفرنسي إلى عبدة بدوار الشلوح في ناحية أسفي حيث التجأ والده الذي كان قد تعرض لتعسفات الاستعمار وقد أدى ذعيرة قدرها 52 ريالا حسنيا بعقد مؤرخ بسنة 1332، إذ كان أمين الزكوات في عسكر المجاهد الهيبة بن ماء العينين الذي كان قد رافقه إلى مراكش حيث فشل في محاولته للسيطرة على المدينة.

وفي أسفي أتمّ الفقيه الخنبوبي دراسته بحفظ القرآن الكريم وبرواية المكي وقالون والبصري كما حفظ المتون الفقهية واللغوية. ولما بلغ سنّ السادسة عشرة ذهب إلى الرباط لمتابعة دروسه على يد شيخ المحدثين أبي شعيب الدكالي، كما كان يدرّس القرآن لأولاد الشيخ. وقد اطلع على الحركة الوطنية عندما اندلعت حرب الريف حيث تحمس مع عدد من الشبان كانوا يردون على الشيخ أبي شعيب.

وفي سنة 1930 لما أصدر المستعمرون الظهير البربري تظاهر مع إخوانه الوطنيين في المسجد الكبير بالرباط حيث كانوا يذكرون اللطيف، وألقي القبض عليه مع سائر إخوانه.

وفي سنة 1944 كان من الأولين الذين حملوا وثيقة الاستقلال الذي كان يُطالَبُ به لأول مرة وطاف مع التجار



السوسيين بالرباط وساهم في الاحتجاج بالقصر الملكي وألقي القبض عليه مع أزيد من مائتي شخص.

وفي سنة 1951 ألقي عليه القبض ثانياً حيث قدم للمحاكمة بعد ذلك البحث الذي تعرض له من طرف الشرطة التي اتهمته بالمس بأمن الدولة، لكن نظراً لعدم وجود أي حجة أطلق سراحه، وبعد ذلك فرضت عليه الإقامة الاجبارية بمنزله إلى حدود 4 يناير 1954 إذ ألقي عليه القبض مرة أخرى مع ثلاثة وخمسين شخصاً من المقاومين، وذلك لأنه كان مع السي صالح مسؤولين عن مزرعة وادي اگم التي كانت مركزاً هاماً للمقاومة، وبقي في السجن إلى أن جاء الاستقلال وأطلق سراحه. وكان منزله مأوى للمقاومين والوطنيين ومنهم المقاوم الكبير عبد العزيز الماسي الذي بقي لاجئا عدة شهور في بيته.

خطرت للفقيه الخنبوبي فكرة تشييد المعهد الإسلامي بتارودانت وأدلى بها لأصحابه ومنهم عبد العزيز الماسي فطاف الفقيه الخنبوبي من جهة عبد العزيز الماسي وغيرهما من جهة أخرى لجمع التبرعات وقصدوا جميع أنحاء المغرب ووفقهم الله وبُني المعهد، وكان منطلقا لبناء فروع له في ماسة وتيزنيت وغيرهما.

كان محمد الخنبوبي عضواً في المجلس الوطني لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وقد نظمت المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجمعية إبليغ للتنمية والتعاون حفلا تكريميا له يوم 19 يوليوز 1991 حضره جمهور غفير.

توفي رحمه الله يوم 26 يبراير 1996.

مذكرة حررها المترجم عن نفسه.

أحمد الخنبوبي

الخنت أو الخنط، قماش من نسيج قطن أزرق أو أسود في الغالب، داكن أو مفتوح، سميك مدكود أو رقيق شفاف، كان سكان المناطق الصحراوية ومازالوا يتخذون منه ملابسهم الخاصة التي تميزهم عن غيرهم. ويسود استعماله في كل المناطق الصحراوية المغربية الممتدة من شرق البلاد إلى جنوبها وجنوبها الغربي من حدود عين بني مطهر وراس الماء شمالا إلى السوس الأقصى ووادي درعة ووادي نون جنوبا، ويتعدى ارتداؤه الحدود المغربية حيث يكاد يصبح هو اللباس الوحيد في موريطانيا كما يشهد على ذلك محمد المختار السوسي إذ يقول : "وأكثر لباس عرب شنگيط (موريطانيا الحالية) الخنط الأزرق من القطن".

ويستمد قماش الخنت اسمه من مدينة Gent البلجيكية الواقعة في منطقة فلاندرا الشرقية حيث تسود اللغة الفلامانية (وتنطلق الجيم خاء مثلها في ذلك مثل اللغة الإسبانية). وتسمى هذه المدينة عند سكان بلجيكا الناطقين باللغة الفرنسية في جنوب هذه البلاد گانط Gand ويدعى أهلها Les Gantois، قال فيها إدريس الجعيدي الذي زارها يوم الأربعاء 12 يوليوز 1876 بمناسبة رحلته إلى بلجيكا ما يلي : "مدينة گانطي مشهورة بنسج الكتان في بلجيكا". ومن جملة المناطق التي كانت تصل إليها منتجاتها، بحكم قربها الجغرافي منها، بلدان حوض البحر المتوسط الشمالية منها والجنوبية بما فيها المغرب.

وقد كانت أقمشة مدينة خنت، التي اختصرها الناس في كلمة واحدة هي الخنت، توزع في شرق المغرب وجنوبه في القرن XIX عبر ميناء تطوان في الشمال والصويرة في الجنوب. وكان سكان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية المغربية يتخذون منها أردية واسعة فضفاضة مهواة لا تنحصر على الجسم ولا تحدد ملامحه مما كان يلبسه الإناث والذكور صغاراً وكباراً على حد سواء، مع اختلافات بسيطة بين هذه الفئات حسب السن ومستوى الثروة والجنس سواء في طرق التفصيل أو أشكال اللف حول الجسم. ولم يقتصر انتشار هذه الأقمشة عبر ميناء الصويرة على جنوب المغرب وجنوبه الشرقي والغربي بل تعداه إلى بلدان متعددة في غرب إفريقيا ووسطها.

وكان سكان المناطق الصحراوية من متوسطي الأصول المادية لا يملكون من قماش الخنت إلا قطعة واحدة أو اثنتين من النوع المتوسط أو الردي، مما يُلبس عادة فوق سروال قصير فضفاض ورداء داخلي ملامس للجسم. أما الموسرون فكانوا يتوفرون على أكثر من قطعتين من النوع الجيد، رغالباً ما كانت واسعة فضفاضة مرسلة الأذيال تتخذ إما من لون واحد أسود أو أزرق أو من لونين مختلفين أزرق وأبيض أو من أحد هذه الألوان مع اختلاف في مستوى المنسوج وشفافيته. وكلما تزايد عدد القطع المرسلة على الجسم عند أهل الصحراء، كلما دل ذلك على الانتماء إلى مستوى معين من الرفاه والثراء.

وكانت ملابس الخنت لا تكتمل إلا بارتداء عمامة تدعى "انشاش" وهي سوداء أو زرقاء من نفس القماش تغطي شعوراً كثيفة مسدلة إلى حد الكتفين عند البعض من الرجال ولا تتعدى القفا عند السواد الأعظم من الذكور. وكانت عمائم الرجال تستعمل حينا لتغطية الرأس وحينا لتغطية الوجه، لذلك تسمى في هذه الحالة الأخيرة "الگنا" عند أهل الصحراء التي قد تكون تحريفاً لفظياً وتكييفاً محلياً لكلمة "القناع" ذات الأصل العربي. أما النساء الصحراويات فكن يجمعن شعر رؤوسهن بعد تقسيمه إلى ظفائر ثم يلففنه بأقمشة خنت سوداء قبل إسدال الطرف الأعلى من الرداء الخارجي عليه.

وتذكر المستندات التاريخية بأن ماء العينين بن محمد الفاضل زار السلطان مولاي الحسن في نهاية القرن XIX صحبة عدد من رجاله وهم يلبسون ثياباً زرقاء من خنت، وكان ماء العينين وسطهم يحجب وجهه عن الأنظار بلثام من نفس القماش ويبدو جسمه نحيلاً ملفوفاً في أردية زرقاء. ورأى الملاحظون ابنه أحمد الهبة سنة 1912، وهو

يتقدم حملته نحو الشمال وسط رجاله على نفس هيئة والده وأشاروا إلى أنه كان مستقيم القوام كث الشعر مرتدياً ملابس صحراوية على العادة. كما كان مرافقوه يرتدون ألبسة صحراوية من خنت سوداء متسخة. وكان سكان الصحراء عندما يلتحقون بمدن الشمال وبواديه يعرفون بسهولة من ملابسهم أثناء تجولهم في الأحياء والأسواق.

وقد انتقلت عدة فرق صحراوية في فترات تاريخية مختلفة إلى الرحامنة والسراغنة والمنابهة وحاحا والشياظمة واحمر وعبدة ودكالة وأولاد دليم وأولاد السباع فحافظت على عاداتها وتقاليدها وأسمائها وملابسها. كما كانت نساؤهم لا يفرطن في زيهن الذي يميزهن عن غيرهن، فكن يرتدين ملابسهن من قماش الخنت إذا كن من الفقيرات أو متوسطات الأحوال المادية، لكنهن يتخذنها من قماش قطن شفاف ذي ألوان زاهية متنوعة شبيه بالأقمشة النسوية الهندية يدعى "الخنيشة". وتختار النساء الأنيقات من الحضريات الصحراويات والفتيات المنتميات إلى الجيل الجديد أرفع أنواع الخنيشة شكلاً ولوناً لتقتطع منها أردية فارهة يسدلنها على أجسامهن عند الخروج من منازلهن.

إ. الجعايدي. *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، د. د. ع. كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، تع. عز المغرب معنينو ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 3، الدار البيضاء، 1960.

M. Akhmisse, *Hommes et choses de Smara*, Rabat 1987 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris 1948 ; M. Barbier, *Voyages et explorations au Sahara occidental*, Paris 1985 ; M. Croizard et P. Galanic, *Les hommes bleus au Maroc*, Paris 1956 ; C. Douls, *Voyages d'exploration à travers le Sahara occidental*, *Bull. Soc. Géogr.*, 1988, 3ème trim. ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Paris 1977 ; J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris 1982 ; F. Fabien, *Le Maroc au bout de ma seringue*, Rabat 1988 ; F. Sourdon, *Le marocain, son âme et sa ville*, Paris s.d. ; A. Adam, *Le costume dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, in *Hesp.*, tome 39, 1952 ; P. Lemoine, *Le royaume de Marrakech*, *Bull. Soc. Géogr.*, juillet 1905 ; *Dictionnaire de noms de lieux*, Montréal 1992 ; M. Abitbol, *Le Maroc et le commerce transsaharien du 16ème au 19ème s.*, *R.O.M.M.*, n° 30, 1980 ; D. Denoun, *Notice sur la tribu arabe saharienne des Aribs*, 1929, sans lieu ; E.F. Gautier, *Le Sahara*, Paris 1950.

محمد بوسلام

خندق الذيب، مكان يقع على بعد كيلو متر ونصف من مدينة مليلة، واسمه بالإسبانية برانكوذيل لوبو Barranco del Lobo ورع الشعب الاسباني خلال شهر يوليوز من سنة 1909 حيث كان مسرحاً لأربع معارك دموية انتصر فيها المغاربة بقيادة المجاهد أمزيان ؛ هذه المقاومة التي اندلعت يوم 9 يوليوز 1909 عندما قررت الحكومة الإسبانية استعمال القوة لمساعدة الشركة الإسبانية التي حصلت على إذن الروگي بوحمارة في استغلال مناجم الحديد الواقعة بقبيلة بني بويفرور، وكانت الشركة المذكورة قد شرعت في مد السكة الحديدية لنقل المعدن من مناجمه إلى مدينة مليلة قبل أن يرغم الروگي على مغادرة قصبة سلوان.

كان رد فعل الشريف أمزيان على القرار الإسباني أنه منع الشركة من الاستمرار في مد السكة الحديدية حيث هاجم العمال يوم 9 يوليوز ووقع اشتباك اسفر عن مقتل أربعين من الجنود الإسبان ؛ وعندئذ أمرت الحكومة الإسبانية حاكمها بمليلية الجنرال مارينا Marina باستعمال القوة، وأمدته بجيش قوامه 17.000 رجل فتمكن من احتلال ثلاثة مراكز واقعة بضواحي مليلية ؛ هذه المراكز إلى أصبحت محاصرة من طرف المجاهدين الذين حالوا دون تمكن قافلات التموين من إمدادها بما تحتاج إليه من مؤونة وعدة حربية.

وقد اختار الشريف أمزيان خندق الذيب الواقع بين مليلية والمركز المذكور لقطع الطريق على قافلات التموين، فكان الخندق المذكور مسرحاً لأربع معارك دامية أذهلت القيادة العسكرية الإسبانية. جرت المعركة الأولى يوم 18 يوليوز وأسفرت عن مقتل 28 وجرح 35 من الجنود والضباط الإسبانيين ؛ وأسفرت المعركة الثانية التي جرت يوم 20 عن مقتل 27 وجرح 37 من الضباط والجنود. وفي المعركة الثالثة التي جرت يوم 23 من نفس الشهر قتل 10 من الضباط كان من بينهم الكولونيل Alrarez Cabrera والكولونيل Ibanèz Maria والكومندار Fernandez Cuevas، كما قتل 60 من الجنود في حين جرح 15 من الضباط و315 من الجنود.

وأما المعركة الرابعة التي جرت بخندق الذيب يوم 27 يوليوز فقد أسفرت عن مقتل الجنرال بينطوس Pintos نائب الحاكم العام بمليلية والكولونيل Palacios والكومندارات Garcia Ruiz وUrbina وCarpena وCapape و6 من القبطانات بالإضافة إلى 300 من الجنود.

وكان عدد الجرحى 1043 نفر من بينهم الحاكم العام لمليلة الجنرال Marira والكولونيل Jaramillo و41 من الضباط.

كتاب ألفه الصحفي الإسباني Enrique Lopez Alarcon وهو شاهد عيان تحت عنوان :

(Cronica de un testigo). *Diario del la guerra escrito durante los operaciones militares en el Rif*. Melilla 1909.

خَنْشُوس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان منهم :

خَنْشُوس، أحمد بن عبد الخالق، فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1270 / 1854.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* امن سنة 1483

إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 640.

محمد ابن عزوز حكيم

خنسوس، محمد الحمدوشي، الشهير بـ "بوشكال"، لأنه كان يحمل خلخالاً من شعر برجله اليسرى، مربوطاً بشدة قرب ساقه. كان حمدوشي الطريقة من أهل الأحوال والغيبة مجذوباً، أخذ عن أبي الحسن علي بن حمدوش قبل أن ينتقل إلى مدينة فاس ويقيم بها، عرف عنه الصلاح والورع والزهد والاجتهاد في العبادة. كما كان ضيق الحال لا يدعي بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد به الرمق.

شوهدت له كما يقول ابن زيدان في *الإتحاف* كرامات وخوارق عادات. جعل لنفسه حوشا من حجارة بالساباط الكائن شرقي جامع القرويين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبي حرز فكان يقيل ويبيت إلى أن وافته المنية عام 1194 / 1780.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 4، ص 117.

رقية بلمقدم

الخَنْشُوف، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حسان الواقعة بين تطوان وشفشاون : وقد انقرضت بتطوان سنة 1260 / 1844.

الخَنْشُوف، الزبير بن عبد المومن فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1131 / 1719.

الخَنْشُوف، قاسم بن سعيد من عدول تطوان شهد بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم واستغراق ذمتهم في شوال عام 1078 / مارس 1668.

م. ابن عزوز حكيم. *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 641.

الخَنْفْري، أسرة تطوانية شريفة عمرانية، وقد انقرضت اليوم، منهم :

الخَنْفْري، عبد الله بن محمد بن عبد القادر، زاول خطة العدالة سنة 1296 / 1879.

الخَنْفْري، علال بن ميمون، زاول نفس الخطة سنة 1214 / 1799.

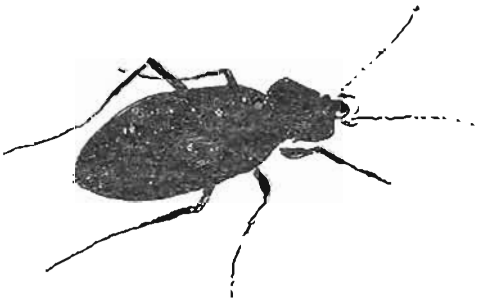
الخَنْفْري، محمد بن أحمد فقيه زاول نفس الخطة بتطوان سنة 1292 / 1875.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 639.

محمد ابن عزوز حكيم

الخُنفساء والخنفس والخنفوس تُجمع على خنافس، وتسمى بالأمازيغية خنف وأزكلالو وتجمع على إزكلولا، وبالفرنسية Coléoptère وبالأنجليزية Beetle. تسمى في المعاجم المجانس والجعانس وغمديات الأجنحة، ويطلق عليها في أغلب مناطق المغرب اسم بعوش وبخوش، وهي حيوانات من اللافقرات تصنف إلى طائفة الحشرات Insectes ورتبة الخنافس Coleoptera التي تتضمن فصائل عديدة. واللفظ العلمي Coleoptera يتألف من مقطعين : Ptera ومعناها الجناح، وColeo ومعناها الغمد.

الجناحان يتكونان عادة من المادة القرنية الجامدة الصلبة تسمى كيتين، يلتحمان بالجسم ويقيانه كما أنهما يغمدان الجناحين الخلفيين المكونين من غشاء أرق. بتشكل الهيكل الخارجي لأنواع الخنفساء، أشكالا وأحجاما عديدة كما أن الألوان تختلف من نوع لآخر فنجد منها الأسود والأخضر والأزرق والأحمر وغير ذلك.



خنفساء

للخنفساء ستة أرجل ذات مفاصل تخرج من أسفل الصدر، وهي من مميزات طائفة الحشرات، كما أن الجسم ينقسم إلى رأس وصدر وبطن. يحمل الرأس قرنين يستشعر بهما. يشتمل الفم على فكوك قوية تساعد على القضم والمضغ، وتختلف حسب الأنواع باختلاف الحاجة واختلاف نظام الأكل. البطن مقسم إلى عشر حلقات تظهر منها 5 . 8 حلقات فقط. تحمل كل حلقة زوجين من فوهات التنفس وهي عبارة عن فتحات مرتبطة بنظام الأنبوب الهوائي التنفسي للحشرات.

يفوق عدد أنواع الخنافيس 300000 في العالم من بينها حوالي 5300 نوع في المغرب تقسم إلى 115 فصيلة وإلى 1243 جنس. نذكر من بين الفصائل الشائعة في المغرب :

- الخنافس البيرية Cicindelidae نعتوها بالبيرية لقوة التمزيق في تأثيرها. منها Cincindela campestris خنفساء الحقول.

- القشعيات Scolytidae ومنها جنس القتوع Scolytus التي تفتك بأشجار الصنوبر والدردار والبلوط والزيتون وتتغذى باللحاء الداخلي لها. يعد نوع Ruguloscolytes amygdalus من أخطر الخنافس على أشجار اللوز بالمغرب، له ثلاثة أجيال في كل سنة وتعيش الكبار بداخل الجذوع بعد أن تتخذ مغاور لها وتضر بذلك الأشجار التي كثيرا ما تفرز الصمغ وتذبل أغصانها.

- العثيات Dermestidae تتميز بيرقانات تلحس الريش والشعر والفراء والألبسة واللحوم المقددة. ومنها عثة الثعلب Dermestes lardarius وعثة الشحم Dermestes vulpinus وعثة الفرائين Dermestes pellio.

- الجعليات أو الجيعلان Scarabaeidae ومنه الجعل المقدس (انظر بوجعران) Scarabaeus sacer.

- الذراحيات أو الذراريح Cantharidae أو التانطيات Meloidae وفيها أنواع يستعمل مسحوقها بعد تجفيفها ذراحا في الطب ومنه الذراح النافط Cantharis vesicatoria.

- السوسيات Curculionidae نذكر منها الأنواع المنقارية Rhynchophora وهي خنافس تتميز البالغة منها برأس مستدق وطويل على شكل منقار أو خطم يحمل قرني الاستشعار. منها نوع Cucurio nucum ونوع Calandra granaria أو ما يسمى بالكوز أو سوسة الحنطة وهي خنفساء صغيرة القد لا يتعدى طولها 4 ملم كثيراً ما تخلف خسائر كبيرة في مخزونات الحبوب. ونوع Sitona lineatus أو سوسة الجذور تتغذى يرقاناتها على جذور الفصوليات وخاصة منها الجلبان والفول والترمس (lupin) وتتغذى الكبار من أوراق هذه الفصوليات وتضع البيض على البراعم.

- التسوسيات أو السوسيات العاشبة Bruchidae وهي من أصغر الخنافس حجما وأخطرها على البذور والحبوب إذ تثقبها وتعيش من موادها، نذكر من بين أنواعها سوسة الفول المعروف عند العامة ببعوش الفول Bruchus rufimanus الذي يتغذى بنباتات الفول وعند ظهور قرون الفول يسرأ البيض بداخلها وبعد التفقيس تثقب اليرقانات الحبوب لتتغذى من محتوياتها الصلبة وتكتمل مراحل نموها بداخل البذرة ثم تغادرها عندما تصبح بالغة (adulte). تقضي الكبار فصل الشتاء بين فتحات وانسلاخات جذوع الأشجار وخاصة منها الاوكليتوس، وفي فصل الربيع تتغذى من رحيق ورود الفول ولقاحه وتضع بيضها بداخل قرون الفول. كما أن لهذه الفصيلة عدة أنواع أخرى في المغرب أكبرها انتشاراً هي سوسة الحمص Bruchus tristis وسوسة الجلبان Bruchus nubilis وBruchus pisorum وسوسة الجزر Molytes.

- الدعسوقيات Coccinellidae ومنها الدعسوقة سباعية النقط (Coccinella septumpunctata) التي تستعمل في المقاومة البيولوجية ضد برغوثة أو قشرة النخيل (Cochenille blanche : Parlatoria blanchardi) التي تخلف أضراراً في مزارع نخيل التمر بجنوب المغرب. إن هذه الدعسوقة تلتهم يوميا العشرات من هذه الحشرات المضرة وتضع بيضها في فصل الربيع على النباتات التي توجد بها الحشرات المضرة.

- الخنظبيات Lucanidae ومنها الخنظب Lucanus cervus الذي يعد من أكبر الخنافس حجما في شمال إفريقيا إذ يبلغ طول الذكور 75 ملم ويتميز بفكين كبيرين على شكل قرن الأيل يعيش وسط غابات أشجار البلوط. تعد أنواع الخنظبيات من الخنافس الأكثر رغبة فيها من طرف المختصين في العلوم الطبيعية والهواة لوضعها في علب زجاجية قصد عرضها في مختلف المتاحف والمختبرات وأحيانا حتى في المنازل، الشيء الذي يشكل خطورة على حياتها قد تؤدي بها إلى الانقراض.

- الظلاميات Tenebrionidae ومنها خنافس الدقيق Tenebrio molitor التي تعيش في مخازن الحبوب وأحيانا تربى لتتغذى من يرقاناتها الطيور.

- النضاريات Chrysomelidae وفي هذه الفصيلة عدة أجناس وأنواع مضرة منها خنفساء الورق Galeruca تفتك بورق الشجر وخاصة منها الصفصاف وجار الماء. وخوذية الشمندر Cassida vittata التي تلتهم الكبار منها واليرقانات أوراق الشمندر ويوضع البيض على البراعم والأوراق خلال فصل الربيع. يتم التفقيس في مدة قصيرة وتبدو الكبار عادة بعد 4.3 أسابيع.

- القرنبيات أو طوال القرون Cerambicydae تتميز عن باقي الخنافس بقرونها الاستشعارية الطويلة وبألوان زاهية مثيرة. أغلب الأنواع تعيش على الخشب وتخلف به أضراراً، من بينها جنس : Cerambyx وRosalia وPurpuricinus.

- الناصعات (Buprestidae) فيها أسطع الخنافس وأزهاها ألوانا ومنها ناصعات الصنوبر والبلوط. من أخطر الناصعات على الأشجار المثمرة بالمغرب نذكر ناصعة المشمش والخوخ واللوز Capnodis tenebrionis. إن يرقاناتها تنخر جذور هذه الأشجار وتسبب هلاكها.

- العوميات Dytiscidae والخنافس المائية Hydrophylidae ومنها حوالي 200 نوع تعيش يرقاناتها وكبارها في المياه العذبة الجارية وفي المستنقعات والبحيرات القارية، أشهرها ألف الماء Hydrophilus والعومة Dytiscus.

- البراعيات Lampyridae ومنها الحباحب Lampyrys boctiluca (انظر حباحب ص. 3303).

تختلف طريقة العيش بين أنواع الخنافس فنجد منه ما

ـ الخنافس البرية Cicindelidae نعتوها بالبرية لقوة التمزيق في تأثيرها. منها Cincindela campestris خنفساء الحقول.

ـ القتعيات Scolytidae ومنها جنس القتوع Scolytus التي تفتك بأشجار الصنوبر والدردار والبلوط والزيتون وتتغذى باللحاء الداخلي لها. يعد نوع Ruguloscolytes amygdalus من أخطر الخنافس على أشجار اللوز بالمغرب، له ثلاثة أجيال في كل سنة وتعيش الكبار بداخل الجذوع بعد أن تتخذ مغاور لها وتضر بذلك الأشجار التي كثيرا ما تفرز الصمغ وتذبل أغصانها.

ـ العثيات Dermestidae تتميز بيرقانات تلحس الريش والشعر والفراء والألبسة واللحوم المقددة. ومنها عثة الثعلب Dermestes vulpinus وعثة الشحم Dermestes lardarius وعثة القرانين Dermestes pellio.

ـ الجعليات أو الجيعلان Scarabaeidae ومنه الجعل المقدس (انظر بوجعران) Scarabaeus sacer.

ـ الذراحيات أو الذراريح Cantharidae أو النافطيات Meloidae وفيها أنواع يستعمل مسحوقها بعد تجفيفها ذراحا في الطب ومنه الذراح النافط Cantharis vesicatoria.

ـ السوسيات Curculionidae نذكر منها الأنواع المنقارية Rhynchophora وهي خنافس تتميز البالغة منها برأس مستدق وطويل على شكل منقار أو خطم يحمل قرني الاستشعار. منها نوع Cucurio nucum ونوع Calandra granaria أو ما يسمى بالكوز أو سوسة الحنطة وهي خنفساء صغيرة القد لا يتعدى طولها 4 ملم كثيراً ما تخلف خسائر كبيرة في مخزونات الحبوب. ونوع Sitona lineatus أو سوسة الجذور تتغذى يرقاناتها على جذور الفصوليات وخاصة منها الجلبان والفول والترمس (lupin) وتتغذى الكبار من أوراق هذه الفصوليات وتضع البيض على البراعم.

ـ التسوسيات أو السوسيات العاشبة Bruchidae وهي من أصغر الخنافس حجما وأخطرها على البذور والحبوب إذ تثقبها وتعيش من موادها، نذكر من بين أنواعها سوسة الفول المعروف عند العامة بحوش الفول Bruchus rufimanus الذي يتغذى بنباتات الفول وعند ظهور قرون الفول يسرأ البيض بداخلها وبعد التفقيس تثقب اليرقانات الحبوب لتتغذى من محتوياتها الصلبة وتكتمل مراحل نموها بداخل البذرة ثم تغادرها عندما تصبح بالغة (adulte). تقضي الكبار فصل الشتاء بين فتحات وانسلاخات جذوع الأشجار وخاصة منها الاوكلبتوس، وفي فصل الربيع تتغذى من رحيق ورود الفول ولقاحه وتضع بيضها بداخل قرون الفول. كما أن لهذه الفصيلة عدة أنواع أخرى في المغرب أكبرها انتشاراً هي سوسة الحمص Bruchus tristis وسوسة الجلبان Bruchus nubilis وBruchus pisorum وسوسة الجزر Molytes.

ـ الدعسوقيات Coccinellidae ومنها الدعسوقة سباعية النقط (Coccinella septumpunctata) التي تستعمل في المقاومة البيولوجية ضد برغوثة أو قشرة النخيل (Cochenille blanche : Parlatoria blanchardi) التي تخلف أضراراً في مزارع نخيل التمر بجنوب المغرب. إن هذه الدعسوقة تلتهم يوميا العشرات من هذه الحشرات المضرة وتضع بيضها في فصل الربيع على النباتات التي توجد بها الحشرات المضرة.

ـ الخنظبيات Lucanidae ومنها الخنظب Lucanus cervus الذي يعد من أكبر الخنافس حجما في شمال إفريقيا إذ يبلغ طول الذكور 75 ملم ويتميز بفكين كبيرين على شكل قرن الأيل يعيش وسط غابات أشجار البلوط. تعد أنواع الخنظبيات من الخنافس الأكثر رغبة فيها من طرف المختصين في العلوم الطبيعية والهواة لوضعها في علب زجاجية قصد عرضها في مختلف المتاحف والمختبرات وأحيانا حتى في المنازل، الشيء الذي يشكل خطورة على حياتها قد تؤدي بها إلى الانقراض.

ـ الظلاميات Tenebrionidae ومنها خنافس الدقيق Tenebrio molitor التي تعيش في مخازن الحبوب وأحيانا تربى لتتغذى من يرقاناتها الطيور.

ـ النضاريات Chrysomelidae وفي هذه الفصيلة عدة أجناس وأنواع مضرة منها خنفساء الورق Galeruca تفتك بورق الشجر وخاصة منها الصفصاف وجار الماء. وخوذية الشمندر Cassida vittata التي تلتهم الكبار منها واليرقانات أوراق الشمندر ويوضع البيض على البراعم والأوراق خلال فصل الربيع. يتم التفقيس في مدة قصيرة وتبدر الكبار عادة بعد 3.4 أسابيع.

ـ القرنبيات أو طوال القرون Cerambicydae تتميز عن باقي الخنافس بقرونها الاستشعارية الطويلة وبألوان زاهية مثيرة. أغلب الأنواع تعيش على الخشب وتخلف به أضراراً، من بينها جنس : Cerambyx وRosalia وPurpuricinus.

ـ الناصعات (Buprestidae) فيها أسطع الخنافش وأزهاها ألوانا ومنها ناصعات الصنوبر والبلوط. من أخطر الناصعات على الأشجار المثمرة بالمغرب نذكر ناصعة المشمش والخوخ واللوز Capnodis tenebrionis. إن يرقاناتها تنخر جذور هذه الأشجار وتسبب هلاكها.

ـ العوميات Dytiscidae والخنافس المائية Hydrophylidae ومنها حوالي 200 نوع تعيش يرقاناتها وكبارها في المياه العذبة الجارية وفي المستنقعات والبحيرات القارية، أشهرها إلف الماء Hydrophlus والعومة Dytiscus.

ـ اليراعيات Lampyridae ومنها الحباحب Lampyrys noctiluca (انظر حباحب ص. 3303).

تختلف طريقة العيش بين أنواع الخنافش فنجد منه ما

يدافع عن نفسه بمنظره الخشن أو المخيف أو يفرز مادة كريهة تخلصه من أعدائه أو يعطي لونا شبيها بالنبتة التي هو فيها فتصعب مشاهدته.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، مكتبة لبنان، الطبعة الثالثة، 1988 ؛ أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932 ؛ ن. الخياطي، بوجعران، *معلمة المغرب*، ج 5، ص. 1640 ؛جاحب، ج 10، ص. 3303.

J.R. Winkler, *Coléoptères. Atlas illustré*. Paris. 2ème éd., 1973, 234 p. ; L. Kocher, *Catalogue des coléoptères du Maroc*. Rabat, 12 fascicules, 1956 - 1969.

محمد رمضاني

الخَنْقَطرَة، مصطلح نجده في الوثائق المغربية في القرن التاسع عشر يستعمل في وسط الصنّاع المغاربة، وكان يطلق على الآلة العجيبة التركيب مثل "آلة صنع السكة" وغيرها من الآلات التي اطّلع عليها الرحالون المغاربة الذين زاروا أوربا خلال هذا القرن فاطّلعوا على مختلف الصنائع الحديثة وأنواع الآلات التي لم يسبق لهم أن شاهدوها مثل القاطرة والتلغراف وآلات الطبع وغيرها وقد ظهر ذلك نتيجة الانبهار تجاه التقدم الأوربي في الرحلات المغربية المتأخرة مثل *تحفة الملك العزيز* لإدريس العمراوي، و*رحلة محمد الصفار* و*رحلة الجعيدي* وغيرها.

غير أن هذا المصطلح أصبح بعد التعرف على هذه الآلات شيئاً فشيئاً في الوسط المغربي إنما يطلق على كل مشكلة صعبة أو حدث يؤدي إلى ورطة.

ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر*، الدار البيضاء، 1988، ص 400 ؛ *الوثائق الملكية*، ملف دار السكة.

عمر أفا

الخَنّوس، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار الخنوس الواقعة بقبيلة بني حزمر المجاورة لتطوان.

الخَنّوس، محمد بن محمد، مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 / 1830.

الخَنّوس، المكي بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1201 / 1787.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 642.

محمد ابن عزوز حكيم

الخنُّوس، (أيت -) تعتبر هذه الكلمة اسما لفصيلة من أهم فصائل قبيلة أزوافيط التي تنتمي إلى لف أيت بلة بالتحادية تكنة (انظر مادة أزوافيط *بالمعلمة*). ويعد مقر إقامة أيت الخنوس هو مدشر تيغمرت حيث كانت تتمركز قديما نول لمطة عاصمة المرابطين بمنطقة وادي نون (انظر مادة تيغمرت *بالمعلمة*). نتساءل من هنا عن مدى ارتباط هذه الفصيلة بالغور السكاني الأقدم ؟ فتجيبنا المصادر العربية خاصة منها مصادر القرن السادس الهجري (12 م)، بوجود نفس الاسم غير ما مرة بأماكن متعددة من جبال وقبائل الأطلس والريف. نبقى من هنا أمام أكثر من تساؤل ولا يسعنا إلا أن نضيف هذا السؤال إلى غيره من الأسئلة العالقة بشأن هذه الفصيلة. مهما يكن من أمر فالغالب على أيت الخنوس هو ارتباطها اللصيق بصنهاجية الصحراء وحداثة عهدها بالحسانية كما يكشف ذلك الفحص الميداني.

من خلال أي جرد لنوعية العلاقات التحالفية بين هذه الفصيلة وباقي كبريات فصائل قبيلة أزوافيط خلال القرون الثلاثة الماضية، يتضح جيدا أن تنافسا قويا بينها قد هدد غير ما مرة الوحدة القبلية بسبب حدة التنافس من أجل مراقبة المجال وخاصة منه الحقول المسقية المحيطة بمدشري تيغمرت وأسرير. فتتضح بذلك للمدقق المقدرة الدفاعية الحربية لأيت الخنوس ومحافظتهم على استقلالية قرارهم وفرض رأيهم على باقي الفصائل.

ويعتبر الكوري الخنوسي أبرز شيوخ أيت الخنوس خلال القرن الثاني عشر (18 م). فقد كانت له من المقدرة الحربية ما أهله لحماية قوافل التجار حتى تمبكتو مرورا بتيندوف وتاودني. ماتزال أبراج قصبته بمدشر تيغمرت ترسم معالم نواة سلطوية بدل علبها عدد الحراطين وسليلي العبيد المقيمين بها إلى يومنا هذا. لم تكن يومها گلميم قد ظهرت كعاصمة تجارية لوادي نون. وهو ما تشهد به الكنانيش التجارية التي تذكرنا اليوم بأهمية أهل الكوري بقصبة تيغمرت وبحجم تجارتهم على امتداد مسالك الصحراء. ولاشك أن هذه القصبة كانت تمثل يومها آخر مظاهر الحياة ببقايا نول لمطة القديمة. بل إن الكوري الخنوسي يعتبر بمثابة آخر السلط المحلية القوية بهذه العاصمة المرابطية. ولربما كان في ذلك ما يشهد على قدم أيت الخنوس وعلى مدى تشبثهم بالأرض المسقية والمجاورة.

معلمة المغرب، أزوافيط : تيغمرت.

مصطفى ناعمي

ابن **خَنُّوسة**، أسرة فاسية عريقة أصلها من مصمودة سوس، قال عنهم صاحب *بيوتات فاس* : "بيتهم بيت علم قديم من عهد مغراوة" أي قبل دولة المرابطين. وبقي العلم متسلسلاً فيهم إلى عهد دولة الموحدين.

ابن خَنُّوسة، خُلوف بن الطاهر المصمودي الفاسي، لا تعرف له ترجمة مفصلة إلاّ أنه كان وليّاً صالحاً، وأنه توفي بفاس سنة 467 / 74 ـ 1075 حسب *بيوتات فاس*، أو سنة مقاربة حسب *سلوة الأنفاس*. وإليه ينسب درب خُلوف بفاس من حومة الكدان.

ابن خَنُّوسة، عبد الخالق بن عبد الرحمن المصمودي الفاسي، وصفه صاحب *بيوتات فاس* بـ "الفقيه القاضي الخطيب" تولى قضاء مدينة فاس سنة 563 أيام يوسف بن عبد المومن. ومعلوم أن هذا الخليفة لم يكن يعيَن في مثل هذا المنصب من الفقهاء، إلاّ من تنكّر للمذهب المالكي وأبدى استعداداً لاستخراج الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة. ولا تعرف سنة وفاة المترجم.

ابن خَنُّوسة، عبد الرحمن المصمودي الفاسي، حلاّه في *الجذوة* بـ "الشيخ الإمام الفاضل كان خيراً ورعاً زاهداً ديناً ذا أوصاف جميلة" نقل الكتاني عن مؤلف *المستفاد* أن عبد الرحمن هذا باع غلة جنان له بسوم وأخذ من المشتري عربوناً على أن يكون بالخيار تلك الليلة ليرى رأيه في إنفاذ البيع أورده. وفي الغد جاء من زاده ستين ديناراً أو أكثر على القيمة الأولى، فبعث ابن خنوسة للمشتري الأول يخبره أنه أُعطي زيادة وقال : إن شئت أن تمسك جنانك بالثمن الأول فافعل، وإن أردت أن تأخذ الزيادة فهي لك، لأني البارحة أنفذت لك البيع بقلبي. فأخذ المشتري الأول الزيادة وأخذ الشيخ الثمن الأول. لا يعرف تاريخ وفاة المترجم.

ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، الرباط، 1974، ج 2 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجر فاس، 1300، ج 3.

محمد حجي

الخَنّوسي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني خنوس الصنهاجية، وقد انقرضت بتطوان.

م. ابن عزوز حكيم، *كشاف أسماء عائلات تطاون* (من سنة 1483 إلى سنة 1900)، والمراجع العربية والأجنبية التي ذكرها في الرقم 643.

محمد ابن عزوز حكيم

الخنيشات (قرية على ضفاف ورغة) ← **سيدي قاسم** (إقليم -)

خنيشيش، محمد بن أحمد، كان قائداً من قواد "المسخرين" في عهد السلطان عبد الرحمن بن هشام. ثم عين في عهد ابنه السلطان محمد الرابع قائداً للمائة على فرقة الجيش البخاري التي كانت ترابط بقصبة تمارة عضداً لخليفة السلطان بمدينة الرباط. ثم عين باشا للمدينة خلفاً للباشا المتوفى الحاج المجذوب بن الغنيمي، وظل بمنصبه هذا إلى أن توفي فعين مكانه ابنه إدريس، ولا يُعرف لوفاته تاريخ محدد.

ابن زيدان، *الإتحاف*، ج 3، ص 571.

رقية بلمقدم

الخنيف، لباس خارجي يرتديه الذكور في مرتفعات جبال الأطلس الكبير والصغير ويسمونه "أخنيف" بالأمازيغية، وهو شبيه بالسلهام الذي يسود في جبال الأطلس المتوسط ويدعى "أخيدوس" لكنه أثقل منه وأمتن ويختلف عنه في بعض الجزئيات.

يعرّفه دوڤيردان (Deverdun) في *الموسوعة الإسلامية*، وهو بصدد الحديث عن لباس قبيلة أݣلاوة، بأنه "عبارة عن برنس أسود من صوف ثقيل منسوج قطعة واحدة تتوسطه من الخلف دائرة بيضاوية الشكل ذات لون برتقالي أو أحمر".

وقد كان الخنيف رداء سميكا مخصصاً لفصل الشتاء يحتمي به الشخص من البرد والأمطار والثلوج فكان يندمج



في تسجه شعر الماعز وصوف الأغنام، وكانت شدة دك سداه بلحمته من أكبر مقاييس جودته حتى لا تسمح خرقته للمياه والثلوج فضلاً عن البرد القارس بالتسرب من بين ثناياها واختراقها.

ويشهد المغاربة والأجانب على السواء بأن ارتداء الخنيف كان سائد الانتشار في جبال الأطلس الكبير والصغير وسوس. فقد لاحظ شارل دوفوكو (Ch. de Foucauld) أثناء تجوله بالمغرب في نهاية القرن التاسع عشر انتشار هذا النوع من اللباس ابتداء من دمنات. ويعد أن أشار الرحالة المذكور إلى أن لباسه في فصل الشتاء كان عاما، حيث كان يرتديه الذكور أطفالاً وكباراً واليهود والمسلمون، أكد عند تجاوزه لجبال الأطلس الكبير بأن ارتداءه يتعدى دمنات ليشمل كل القبائل المجاورة لها ويسود انتشاره في أگلاوة وجبال الأطلس الصغير وسوس ودرعة. وهذا أمر أدركه محمد المختار السوسي في سوس والأطلس الصغير في مطلع القرن العشرين وسجله بقوله : "والذي أدركنا عليه الناس عام 1323 / 1905 [أنهم] كانوا يلبسون الخنيف في الشتاء، وهو يستورد من أزاتيف مكان في الأطلس الكبير الموالي لسوس ... وقد لبست أنا، ما شاء الله، خنيفة غليظة محمر وراءها مما يقابل مقعدة الإنسان". ويقول الحسين التامكونسي التناني السوسي في نفس الفترة تقريباً بأنه كان على عكس ما تداوله قومه أول من لبس الجبة (الجلباب) فيهم، فقد كانوا فيما سلف "لا يلبسون إلا القمص والأردية والخنائف الغليظة السوداء في البرد في هذه البلاد". أما في قلب الأطلس الكبير فكان ارتداء الخنيف في فصل الشتاء شيئاً عادياً بالنسبة للذكور، يقول في ذلك بول شاتنيير (P. Chatinieres) بأن "سكان آيت الربع المقيمين قرب قصبة تلواث في قبيلة أگلاوة كانوا يلبسون الخنيف رجالاً وأطفالاً يتقون به البرد القارس وتهاطل الأمطار والثلوج".

وكانت أكبر مراكز إنتاج الخنيف في الأطلس الكبير والصغير وسوس هي وزگيتة وآيت سمگن وآيت وعرضة وتازناخت. في هذه المناطق كانت رحاب الأسواق الأسبوعية لا تكتمل إلا بالجناح المخصص لبيع الخنائف. وأكبر سوق لهذه الأردية كان في نهاية القرن التاسع عشر هو سوق تازناخت الذي كان ينعقد كل يوم خميس. وأكد دوفوكو بأن قرية تازناخت كانت قد تخصصت في صناعة الخنائف واشتهرت بذلك وكان سكانها في معظمهم يشتغلون بإنتاجها، فاعتبرها بالمقارنة مع غيرها أكبر موطن في المغرب لإنتاجها مضيفاً في آن واحد بأنها كانت أيضاً من أكبر مراكز إنتاج الجلباب والحيدوس وأكبر مركز للتبادل التجاري في مجال المنسوجات بالنسبة لقبائل آيت واوزگيت.

م. م. السوسي، *المعسول*، ج. 1 وج.15، الدار البيضاء، 1960.

R. Heninger, *Notes sur l'Akhnif*, *C.A.T.A.N.*, n° 7, année 1974 ; J. Mercanton, Bernard Rougel, *Maroc, terre et ciel*, Lausanne 1954 ; P. Chatinières, *Dans le Grand Atlas*, Paris, 1919 ; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc 1883 - 1884*, Paris 1888 ; D. Madras, *Au sud de l'Atlas*, Casablanca 1950 ; G. Deverdun, *Glaoua*, *E.I.*, tome 2. p. 1142.

محمد بوسلام

خنيفرة، مدينة بالأطلس المتوسط. تتضارب الروايات الشفوية في أصل كلمة خنيفرة، فهناك من يزعم أنها مشتقة من اسم "مُوخَنْفور" وتعني بالأمازيغية صاحبة الأنف الضخم، وهو علم لامرأة كانت تسكن المنطقة التي أسست فيها مدينة خنيفرة، ومنها من يعتقد أنها مشتقة من فعل "خَنْفَرْ" أي خُذْ بشدة، يقال "خَنْفَرْ أركاز"، خذ الرجل بشدة.

ومهما يكن من أمر فقد أسس مدشر خنيفرة - حسب ما ذكره René d'Abré بعد بناء القنطرة على نهر أم الربيع، من قبل السلطان مولاي إسماعيل، تسهيلاً للمواصلات بين القصبات العسكرية في الأطلس المتوسط، وبين منطقة تادلا، في حين يعتقد François Berger أن المدشر كان موجوداً على الضفة الأطلنتيكية للنهر، قبل بناء القنطرة.

والمهم من هذا كله أن المدشر أسس في منطقة استراتيجية هامة، حيث يقع على ممر "طريق السلاطين" الرابطة بين عاصمتي فاس ومراكش، عبر تادلا من جهة، وبين تافيلالت والسهول الداخلية والأطلنتكية من جهة أخرى. وفضلاً عن موقع مفترق الطرق هذا، فإنه يتوسط مجموعة من القبائل المنتمية إلى اتحادية زيان، وكلها قبائل رحل تتخذه ممراً في حركاتها الانتجاعية بين الجبل و"الأزغار". الشيء الذي جعل هذا المدشر محط أنظار أسرة موحا وحمو. ففي سنة 1860 انقض عليه أبو هذا الأخير وطرد منه أيت عفي، وفرض الرسوم على التجار والمنتجعين، وقد مكنته هذه الموارد من بناء قصبته الشهيرة على الضفة اليسرى لأم الربيع، كما مكنته من فرض نفسه أمغاراً (رئيس الجماعة) على قبائل زيان.

غير أن عمارة المدينة لم تبدأ إلا بعد تعيين موحا وحمو قائداً على قبائل زيان عام 1886، من قبل السلطان مولاي الحسن. فبعد أن عمل القائد على استتباب الأمن في المنطقة كلها، وإخضاع القبائل لسلطة المخزن، خطط لبناء خنيفرة على الضفة اليمنى للنهر وهكذا أعدّ سوقا تجارية في مكان عال، ينعقد مرتين في الأسبوع، ثم قام ببناء مائة وثلاثين حانوتا، خصص ثلاثين منها لقيصارية تباع فيها السلع النفيسة، كالذهب والحرير، كما أنشأ ثكنة عسكرية لإسكان الجيش الذي زوده به السلطان.

وانطلاقا من هذا المركز عرفت المدينة، بسبب تزايد السكان وتوافد التجار، نمواً مطرداً حيث ظهرت أحياء تحمل أسماء الأقاليم والمدن التي جاء منها هؤلاء التجار. فهناك مثلاً حي الصحراويين الذين تخصصوا في الدباغة

وبيع التمور، وهناك الفاسيون الذين استقروا في القيصارية، والسوسيون الذين تخصصوا في البقالة ... الخ. يضاف إلى ذلك بناء فروع لمعظم الزوايا الموجودة في المغرب، كالتجانية، والشرقاوية، والعيساوية، والكتانية، والدرقاوية ... الخ.

وقد ازداد ازدهار المدينة وتعددت وظائفها بعد زيارة القائد موحا وحمو لفاس في نهاية القرن الماضي. فقد استقطب عدداً من التجار والصناع والعلماء، الذين استوطنوا خنيفرة، وجعلوا منها مدينة متكاملة المرافق، بلغ عدد ساكنتها بضعة آلاف نسمة، قبل الاحتلال الفرنسي.

ولهذه المدينة ماض مجيد في مقاومة الاستعمار الفرنسي. فما أن وطئت اقدام الغزاة أرض الشاوية عام 1907 حتى تحولت خنيفرة إلى قاعدة للجهاد. فمنذ هذا التاريخ والمقاتلون الزيانيون يناوشون القوات الفرنسية على هضاب تامسنا، وفي بلاد السماعلة، وسهول تادلا، وعلى مشارف سهول سايس، ويعرقلون استثمار هذه الأراضي من قبل المعمرين الأجانب، وقد لاحظ برنار بحق "أن تنمية السهول والهضاب الواقعة على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع غير ممكنة دون القضاء على كتلة زيان". ولهذا فكر ليوطي مبكراً في الاستيلاء على خنيفرة، لا من أجل ربط الاتصال بين جنوبي البلاد وشرقها فحسب، بل كذلك من أجل كسر شوكة المقاومة الزيانية التي كانت تحول دون إتمام "تهدئة" ما كان يسمى "بالمغرب النافع". وقد أنيط بمهمة الغزو الجنرال هنريس.

وفي بداية يونيو 1914، بعد أن فرغت الإدارة الفرنسية من السيطرة على ممر تازة (مايو 1914) تحركت الفرق المتنقلة (groupes mobiles) صوب خنيفرة.

فمن الغرب تحركت الفرقة المتنقلة لتادلا، تحت قيادة الكولونيل Garnier Duplessis (3 كتيبات، وسريتان، ومدفعيتان). ومن الشرق تحرك جيش من مكناس تحت قيادة الكولونيل Claudel (3 كتيبات ونصف و 3 سرايا و3 بطاريات مدرعة) عبر طريق وادي إفران، مريرت، تگلط، خنيفرة. ومن الشمال تحركت الفرقة المتنقلة لمدينة الرباط بقيادة اليوتنان كولونيل Cros (3 كتيبات ونصف، وسريتان، ومدفعيتان).

أمام هذه القوات الهائلة التي بلغ مجموعها 13.364 جندياً و 358 ضابطاً استنفر القائد موحا وحمو قبيلته عن بكرة أبيها، وواجه الغزاة في عدة معارك : في ضاحية مولاي بوعزة (مايو 1914)، وعلى وادي إفران، وفي منخفض مريرت وضاحية خنيفرة (6. 7. 8. 9 يونيو 1914). كما دارت معارك طاحنة على أبواب خنيفرة، وصفها الضباط الفرنسيون بأنها كانت من أعنف المعارك التي خاضوها منذ وصولهم للأطلس المتوسط. واستناداً إلى وثائق Château de Vincennes ووزارة الخارجية الفرنسية، فإن القوات الغازية تكبدت خسائر فادحة.

وفي يوم 12 جوان 1914 تمكنت الجيوش الهاجمة من دخول خنيفرة بعد أن غادرها سكانها الذين توجهوا نحو الجبال المجاورة لإعادة تنظيم المقاومة المسلحة.

René d'Abré, *Moho ou Hamou, Chef zaian*, revue *France - Maroc*, n° 81, 1923, p. 148 - 151 ; F. Berger, *Moha ou Hamou le zaiani, ou un royaume berbère contemporain au Maroc*, Marrakech, 1929 ; A. Bernard, *Le Maroc*, Paris 1932 , J. Pichon, *El Herri*, Paris, 1936 ; *Rapport d'opération en pays zaian*, 20 juin 1914, AMG 585 : Rapport n° 882, Lyautey à diplomatie, Tadla 7 octobre 1914, Carton n° 56, AAE 1584 - S.

محمد بن لحسن

* * وفيما يخص الجغرافيا : تقع مدينة خنيفرة عند قدم الأطلس المتوسط الهضبي على ارتفاع حوالي 830 م، يخترقها نهر أم الربيع، وتبعد إلى الشمال الشرقي عن قصبة تادلة بحوالي 100 كلم على الطريق الرئيسية في اتجاه مكناس.

ليس لمدينة خنيفرة تاريخ عريق. ذلك أن نواتها لم تشكل إلا في القرن 17 و على شكل مدشر يقطنه "أيت بوحدو"، وبدأت عمارتها منذ 1877 حينما استقر بها حوالي 4215 من جنود السلطان المولى الحسن الأول. واكتسبت المدينة أهميتها من موقعها الاستراتيجي بين تادلة والأطلس المتوسط وعلى الطريق الرابطة بين مكناس/فاس ومراكش عبر دير الأطلس. نشأت المدينة وتوسعت حول قنطرة مهمة تربط بين ضفتي نهر أم الربيع، وخاصة في فصل الشتاء حيث يرتفع صبيب النهر. وإذا كانت المصادر المغربية الكلاسيكية لا تشير إلى هذه المدينة بقدر إشارتها إلى قبائل المنطقة كزيان وأيت إشقرن... فإن معنى كلمة "خنيفرة" غير معروف.

واكتسبت مدينة خنيفرة شهرتها من المقاومة الشرسة التي قامت بها قبائل المنطقة وخاصة "زايان" بقيادة "موحى وحمو الزاياني"، واحتلت المدينة من طرف الجيوش الفرنسية في يونيو 1914. وفي 13 نوفمبر من نفس السنة سحقت قوات قبائل المنطقة الجيوش الفرنسية بموقعة "الهري" قرب خنيفرة. خلال هذه السنة كان عدد القاطنين بخنيفرة، إضافة إلى الأسر الزيانية، 1230 أسرة من أصول جغرافية مختلفة، توزع بعضهم على الشكل التالي :

فاسيون	200
سوسيون	80
صحراويون	300
تادليون	230
سراغنة	90
بني احسن	40
بواخر وشراردة	200

وعرفت المدينة عدة تحولات اقتصادية واجتماعية.. بفعل تأثير نظام الحماية. أما وضعيتها الإدارية فتطورت

حسب تقدم العمليات العسكرية. ففي سنة 1921 كانت خنيفرة دائرة تراقب مباشرة قبائل زيانية كأيت سعيد وأيت بومزيل وأيت حد وحمو... وتراقب في نفس الوقت مكاتب استعلامات بكل من "مزغوشن" و"سيدي لمين" و"مولاي بوعزة" و"أيت إسحاق". أما في سنة 1936، فأصبحت المدينة عاصمة لإقليم الأطلس المتوسط وتشكل في نفس الوقت عاصمة دائرة زيان، ومركز المكتب للشؤون الأهلية. وتوزع سكانها البالغ عددهم 4850 نسمة كالتالي :

مسلمون	4.735
يهود	82
أجانب	33

وفي سنة 1937، كانت المدينة مركز ملحقة زيان، إقليم الأطلس المتوسط، تراقب المدينة قيادتين كبيرتين لقبائل زيان، بساكنة قدرت بـ8221 أسرة، سكنت منها مدينة خنيفرة 1069 أسرة.

خنيفرة اليوم عاصمة لإقليم تابع لجهة مكناس - تافيلالت تتوزع تنظيماته الإدارية كما يلي :

3 دوائر، و12 قيادة، و3 جماعات حضرية، و جماعة قروية.

وفيما بين 1971 و1994، عرفت المدينة والإقليم عدة تطورات على مستوى الساكنة والمساحة :

	1971	1982	1994
المساحة	11.115 كلم^2	12.320 كلم^2	12.320 كلم^2
السكان	281.964 ن	363.716 ن	465.061 ن
الكثافة	25.3 ن/كلم^2	29.52 ن/كلم^2	37.74 ن/كلم^2
الحضريون	60.270 ن	130.862 ن	219.168 ن
القرويون	221.937 ن	232.654 ن	245.893 ن
بلدية خنيفرة	-	38.840 ن	60.835 ن

ويتوزع استعمال أراضي الإقليم كما يلي :

غابات	526.000 هكتار	39.20٪
مراعي وأراضي غير زراعية	495.000 هكتار	36.90٪
أراضي زراعية	320.000 هكتار	23.90٪

أما الملكيات العقارية فتتميز بالتنوع واختلاف نسبها :

الملكية الخاصة	39.62٪
ملكيات جماعية	14.60٪
أراضي الدولة	45.49٪

ويستغل المجال الزراعي في زراعات مختلفة حسب النوع والمساحة المخصصة لها :

قمح طري	71.200 هكتار
قمح صلب	48.800 هكتار
شعير	28.200 هكتار
بقليات	6.130 هكتار
خضر	5.350 هكتار

ويتوفر الإقليم على عدد مهم من رؤوس المواشي :

أغنام	836.000 رأس
ماعز	271.000 رأس
أبقار	79.600 رأس
خيول وبغال	67.831 رأس

وتحتل الغابات مساحات مهمة، تختلف فيما بينها من حيث الموقع ونوع الأشجار :

البلوط الأخضر	256.750 هكتار
حلفاء	150.000 هكتار
الأرز	65.150 هكتار
أشجار عصفية	11.680 هكتار
عرعر	11.100 هكتار
البلوط الفليني	11.380 هكتار
أنواع أخرى	20.000 هكتار

ويتوفر الإقليم على معادن متنوعة، قدمت سنة 1990، 12.000 طن من الرصاص و2.600 طن من الزنك و3.900 طن من البارتين... كما توجد بالإقليم صناعات وحرف مختلفة، تشغل عدداً مهما من الحرفيين :

الفرع	عدد المشغلين
النسيج	6.600
الخشب	3.300
الجلود	1.210
الخزف	600
المناجم	440

ونظراً لموقع الإقليم، ولما يتوفر عليه من إمكانيات سياحية، فقد زاره - مثلاً - سنة 1994، 13.890 سائحاً، توزعوا من حيث جنسياتهم كالتالي :

مغاربة	5.443،
فرنسيون	1.613-
إيطاليون	1.013
إسبان	949
هولنديون	425
سويسريون	394

وتخترق الإقليم 311 كلم من الطرق الرئيسية و116 كلم من الطرق الثانوية أما الطرق الثالثية فتصل مسافتها إلى 10.85 كلم كما يتوفر الإقليم على عدة مصالح ومؤسسات اجتماعية، ففي مجال الصحة مثلاً، بلغ عدد المراكز الصحية : 16 مركزاً بينما وصل عدد المستوصفات إلى 36. وبلغ عدد الأطباء العموميين 56 طبيباً بينما بلغ عدد العاملين في القطاع الصحي 615 موظفاً. وبلغ عدد التلاميذ الحضريين في التعليم الأساسي : 33.036 تلميذاً في حين لم يتعد عدد التلاميذ في المجال القروي : 20.291 تلميذاً.

أ. بلقاسم المنصوري الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*، تح. محمد أمحزون، الدار البيضاء، 1986 ؛ فرانسوا بيرجي، *موحى وحمو الزياني*، 1877 - 1921، تر. وتعليق، محمد بوستة، فاس، 1999، *منوغرافية إقليم خنيفرة*، عمالة إقليم خنيفرة، 1997.

A. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central, 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; S. Guennoun, *Les voix des mots, Mœurs de guerre berbères*, Rabat, 1934.

صالح شكاگ

خنيفيس، صيغة تُطلق على القسم الأرضي الفاصل بين الرجل البحرية والساحل الأطلسي المحاذي للصحراء الموازي للجزر الخالدات وهي بحيرة طبيعية يطلق عليها محلياً اسم "النعيلة". (انظر النعيلة).

مصطفى ناعمي

الخواجة، محمد بن حمادي مقاوم وُلد سنة 1933 بدوار انحناحن ملحقة أجدير دائرة أكنول بإقليم تازة.

انخرط في صفوف جيش التحرير غداة انطلاق العمليات الأولى في أكتوبر 1955. وقد عمل ضمن الوحدة التي كان يرأسها محمد بن علال وشارك في الهجوم على مركز بوريد الذي أبان فيه عن قدرة هائلة في النضال إلى أن استشهد في نفس الهجوم وذلك بتاريخ 1 أكتوبر 1955.

المندوبية السامية للمقاومين وأعضاء جيش التحرير، *شهداء الاستقلال*، ج. 4.

الخوارج بالمغرب، ذكر البكري سبب ظهور مذهب الخوارج بالمغرب فقال : "إن عمر بن عبيد الله المرادي عامل طنجة وما والاها أساء السيرة وتعدّى في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر وزعم أنهم فيء المسلمين، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله (...) فكان فعله الذميم سببا لانتقاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد، نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله (...) فثارت البرابر بالمغرب الأقصى، فكانت أول ثورة فيه وفي افريقية في الإسلام".

قام ميسرة المضغري الملقب بـ "ميسرة الحقير"، فشكل تحالفا ضم كلا من قبائل مضغرة ومكناسة وبرغواطة، وأغلبهم على مذهب الصفرية، وقليل منهم إباضيون. واتفقوا جميعا على الخروج عن الطاعة، وقلّدوا ميسرة مسؤولية قيادة جيش لقتال عاملي طنجة وسوس.

وفي معركة دارت رحاها بأحواز طنجة عام 122 / 739، لقي عمر بن عبيد الله المرادي حتفه وتشتّت جنده بين مستسلم لميسرة وفارّ إلى الأندلس عن طريق سبتة.

عندئذ ولّى ميسرة على طنجة من قبله عبد الأعلى بن جريج الإفريقي، وهو من العلوج مولى سابق للعرب، واعتنق مذهب الصفرية.

ذاع صيت ميسرة في المغرب والمشرق، وشجّع المترددين من البربر على التمرد، وبايعه برابرة المغرب وخاطبوه بأمير المؤمنين. والمعروف أن الخوارج لا يشترطون في أمير المؤمنين أن يكون من آل بيت الرسول (صلعم) ولا من قريش ولا من أية قبيلة عربية.

كان لهذه الثورة أثر عميق في الزمان والمكان، إذ انتشرت النحلة الخارجية في جميع أرجاء المغرب وتبنتها سائر القبائل وأجمع الكل على نقض أمر خلفاء المشرق، أما عامل طنجة الجديد، ابن جريج الإفريقي، فإنه تعجل في تصفية آل المرادي، فقاد جيشا إلى سوس لمجابهة عاملها إسماعيل بن عبيد الله المرادي. وفي المعركة الحامية ذاق ابن جريج مرارة الهزيمة وعاد إلى طنجة.

انتشى ميسرة بلقب أمير المؤمنين، فاستبدّ بالأمر وطغى بدوره على الناس، وحكم السيف في أعناقهم، فتكالب القوم عليه واعتقلوه ثم قتلوه، ونصبّوا مكانه خالد بن حميد الزناتي الذي بعدما استتبّ له الأمر، ذهب إلى سوس وحارب إسماعيل بن عبيد الله، فقتله وشرّد جنوده.

انتقلت بعد ذلك ثورة الخوارج المغاربة إلى الأندلس، فتعاطفوا مع أهل العدوة وأعلنوها ثورة على حاكم الأندلس محمد بن عبد الله الأشجعي.

أرسل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، عبد الله بن الحبحاب واليا على القيروان وسائر بلاد المغرب والأندلس. وبمجرد ما نزل الوالي الجديد بالقيروان، عبّأ جيشا يضم أشراف العرب الذين رافقوه وبعثه بقيادة خالد بن حبيب الفهري، أحد أحفاد عقبة بن نافع، لقتال المتمردين وصدهم

عن الخارجية. "فالتقى خالد بالبربر، فكان بينهم قتال شديد. فبينما هم كذلك، إذ غشيهم خالد بن حميد الزناتي من خلفهم بعسكر عظيم، فتكاثرت عليهم البربر. فانهزم العرب وكره خالد بن حبيب أن يهرب. فألقى بنفسه وأصحابه إلى الموت، فقتل ابن حبيب ومن معه حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد. فقتل في تلك المعركة حماة العرب وفرسانها وكماتها وأبطالها. فسميت الغزوة "غزوة الأشراف"، وانتقضت البلاد" (ابن عذاري).

أقال الخليفة هشام ابن الحبحاب وولى مكانه على المغرب كلثوم بن عياض القشيري الذي امتدت صلاحياته إلى الأندلس أيضاً، وأمدّه بجيش يتألف من مصريين وشاميين وإفريقيين وغيرهم، عدده سبعون ألف رجل على وجه التقريب.

وأقبل كلثوم إلى القيروان غازيا قامعا كل معارض وكل داع للخارجية. وكان عيونه يخطؤون ويتجاوزون حدود ما أُمروا به، فلحقت الإساءة بالعرب والبربر على السواء، لأن أغلبهم باتوا متهمين بالخروج عن الطاعة. واشتكى أهل القيروان منه إلى أحد أحفاد عقبة اسمه حبيب ابن أبي عبيدة الفهري، كان يقيم غير بعيد من وجدة، في مكان قريب مما سيصبح يسمّى تلمسان. والرجلان يعرف كل منهما الآخر، وكان حفيد عقبة يحظى بتقدير البربر واحترامهم، تمجيداً لجده وتكريما له. فكتب حبيب إلى كلثوم ينهاه عما هو عليه من استبداد، فأوهم الناس أنه تراجع عن سياسته الاضطهادية، ثم استخلف على القيروان عبد الله ابن عقبة وزحف في جموع جيشه - يساعده ابن عمه بلج بن بشر القشيري - والتقى في الطريق بحبيب بن عبيدة، فوقعت بينهما مناقشة حادة وخصام، ثم أصلحا ذات بينهما، وقصدا المغرب الأقصى معاً. ولما بلغا ضفاف نهر سبو، تصدّت لهما قوات خارجية بقيادة خالد بن حميد الزناتي. فانهزم جيش كلثوم وقتل هو وحليفه حبيب بن عبيدة. وذلك عام 124 / 741. وعلى إثرها رحل بلج وعدد من الذين نجوا إلى الأندلس عن طريق سبتة في انتظار النجدة.

عين الخليفة الأموي حنظلة بن صفوان الكلبي واليا على القيروان، وما أن استقر هذا الأخير بدار إقامته، حتى هاجمته فلول من الخوارج، ينتسبون إلى هوارة - أولاد هوار ابن أوريغ بن برنس - لكنه هزم أفراد الجماعة بموقع يسمى القرن على مقربة من القيروان، بعد قتال شديد قتل فيه عدد كبير من البربر، منهم زعيم لهم اسمه عبد الواحد بن يزيد الهواري. أما رئيسهم عكاشة بن أيوب الفزاري فقد أسر ثم قتل.

وفي خضمّ هذه الاضطرابات اجتمعت قبائل مكناسة على الصفرية وأكدوا مرة أخرى رفضهم الطاعة للولاة العرب، وولّوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود وهو من موالي العرب وأحد رؤوس الخوارج، سنة 140 / 757. فأسس مدينة سلجلماسة وأقام بها دولة بني مدرار. وبقي عيسى يسوس قومه مدة 15 سنة، ثم اعتقلوه وقتلوه سنة 155 / 771، وبايعوا شيخا منهم يدعى أبا القاسم بن سمكو بن واسول المكناسي الصفري كان أبوه سمكو قد ارتحل إلى الشرق وتتلمذ على عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس. وذكر ابن خلكان، في *تاريخه*، وابن حجر في *تهذيب التهذيب*، أن عكرمة كان بربري الأصل من أكبر الداعين للبدعة الخارجية. وكان أبو القاسم المذكور حاكما على ملسية بالمغرب الأوسط، وكان صفريا. وطالت إمارته زهاء اثنتين وعشرين سنة. وبعد وفاته، خلفه ابنه إلياس الذي كان يلقب بالوزير.

هكذا بقيت الإمارة الصفرية بيد بني مدرار إلى عام 309 / 922 حيث تسلل إلى سجلماسة مبعوث شيعي هيأ دخول جيش فاطمي بقيادة مصالة بن حبوس الكتامي وقبل أمير سجلماسة يومها، محمد بن بسادر بن ميمون، الانسلاخ عن الصفرية واعتناق التشيّع. لكنه ارتدّ عنه بعد ذهاب جيش الفاطميين واستأنف تمسكه بالصفرية، وبقي على هذه الحال زهاء عشرة أعوام، اختار خلالها لنفسه لقب المعتز بدين الله. وتعاقب أبناؤه على رأس الدولة، إلى أن آلت الأمور إلى أحدهم يدعى محمد بن الفتح بن ميمون، الملقب بالأمير، فرفض المذهب الخارجي وأعلن ولاءه لبني العباس ورجوع إمارته إلى السنة، وتلقب بالشاكر لله وضربت السكة بهذا الاسم، فأصبحت الدراهم الشاكرية هي المتداولة بسجلماسة وأعمالها.

وبعد سنوات قليلة، تدخّل الفاطميون من جديد في جميع مناطق المغرب الأقصى، لكن المغاربة أجمعوا أمرهم ورجعوا قاطبة إلى السنة، وانتهى أمر بني مدرار ومن صار على نحلتهم الخارجية.

أ. البكري، *كتاب المسالك والممالك* ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب* ؛ ابن حجر، *تهذيب التهذيب* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة والعبر*، ج. 1 وج. 2 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 1.

H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, t. 1 ; G. Marçais, *L'Afrique du Nord dans l'histoire* ; H. El Wazzan, *Description de l'Afrique*, t. 2.

أحمد بنجلون

الخواطرية، طائفة صوفية عرفها J. Spencer Trimingham بأنها فرع من الميمونية، وأنها تأسست بالشام على يد محمد بن علي بن عراف (ت. 933 / 1526) تلميذ الشيخ علي بن ميمون الغماري الفاسي (ت. 917 / 1512)، وأنها تنسب إليه فتعرف أيضاً بالعراقية. وجعلها Louis Massignon فرعاً من المدنية، نشأت بالحجاز على يد نجله علي بن محمد بن عراق (ت. 963 / 1556). هذا ولم يشر باحث من قبل إلى الخواطرية التي عرفها تاريخ التصوف المغربي أيضاً، والتي تسللت إليه من الميمونية بالذات، وفي تاريخ مبكر من القرن العاشر (16م) واستمرت إلى هلم جراً.

ونعتقد أن الخواطرية التي ظهر بها بيت العراقيين بالشام والحجاز، والخواطرية التي دخلت المغرب كلها فروع انبثقت عن أصل واحد هو الخواطرية - الميمونية. ويعضد هذا الاعتقاد تشعب أسانيد الخواطرية المغاربة في هذه الطريقة، وتعدد الوسائط التي يتصلون عن طريقها بالشيخ ابن ميمون. وقوامها أعلام الطبقة الأولى من أتباعه، وهم - بالإضافة إلى ابن عراق المذكور - علي بن علوان الحموي (ت. 936 / 9. 1530)، وعلي بن أحمد الكيزواني (ت. 955/ 8. 1549)، ووالد أيوب الأحدب. ويؤيد القول بنسبة الخواطرية إلى الشيخ الغماري رأساً، وأن الاختصاص بعلم الخواطر شكل أحد أركان الطريقة الميمونية، إشارة محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578) في الترجمة التي عقدها لابن ميمون من فهرسته *دوحة الناشر* إلى إقباله على العبادة بالفكرة منذ خطواته الأولى على درب علم الباطن، وقبل أن يتوجه إلى المشرق. وأيضاً بعض الأقوال التي أوردها محمد نجم الدين الغزي (ت. 1061 / 1651) لابن ميمون، في الترجمة الحافلة التي خصه بها من كتابه *الكواكب السائرة* والتي تتصل اتصالاً وثيقاً بعلم الخواطر.

وعلم الخواطر علم قائم بذاته، اختلف فيه الصوفية اختلافاً كثيراً، واعتنت به مصادر التصوف وغيرها. ونذكر منها *قوت القلوب* لأبي طالب المكي، و*التعرف لمذهب أهل التصوف* للكلاباذي، و*الرسالة* للقشيري، و*الفتوحات المكية* لابن عربي، و*المقدمة* لابن خلدون، و*قواعد التصوف* لزروق، وغيرها. ولا نعرف أحداً قبل الشيخ ابن ميمون اتخذ من هذا العلم طريقا ومنهجا، وجمع ما تفرق من أصوله في بطون الكتب من معرفة الخواطر والكشف عنها وتمييز أقسامها والتفصيل فيها، وجعلها مذهب طائفة اختصت بالواردات من الخطاب على القلب والضمير، وما يخطر فيهما من أمر أو تدبير.

وإذا بحثنا في الممهدات التاريخية بهذا الاسهام المغربي في تاريخ التصوف الإسلامي، فلابد من اعتبار تاريخ انتقال ابن ميمون من بلدة شفشاون إلى فاس، وهو عام 887/ 2. 1483، وملاحظة قربه من تاريخ مغادرة الشيخ أحمد زروق (ت. 899 / 1493) للحاضرة الوطاسية عام 883 / 8. 1479، وقد خلف بها كتاب *قواعد التصوف* الذي فرغ من تأليفه في العام الذي قبله، والذي يعد فاتحة عهد جديد في تاريخ التصوف المغربي، اتسم بالحيوية الفكرية ونشدان الحرية والتجديد في إطار مبدأ الاستحسان، شرط التقيد بالكتاب والسنة. ويتضمن هذا الكتاب أصول العديد من المذاهب الصوفية العريقة، والتي تم احياؤها خلال القرن العاشر (16 م) على يد مشايخ الطبقة الزروقية الأولى، مثل الملامتية والبسطامية. كما يتطرق إلى علم الخواطر، ويفرد له القاعدتين رقم (174) و(191). وفيهما يجعل زروق تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة لنفي الصوارف عن القلب. ويقول بلزوم الاهتمام بالخواطر لمن له أدنى قدم في الطريق. ويحصر أقسامها في أربعة : رباني وملكي ونفساني وشيطاني، ويعرفها ويبين الفروق بينها، ومكانها من القلب، ويوضح ما يعقبها من أحوال، ويخلص إلى أن تحقيقها إنما يتم بالذوق. ولا يتسع المقام لتتبع كل ما يتصل بهذا العلم في المتوفر من التراث الضخم الذي خلفه الشيخ أحمد زروق، والذي حفل بالدعوة إلى التفكر والتدبر في أحوال الدنيا والآخرة.

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أيضاً هو عدم انتساب علي بن ميمون إلى أي أحد من مشايخ التصوف بالمغرب بوجه عام وبفاس بوجه خاص، على الرغم من استقراره بها أربعة عشر عاماً إلى حدود عام 901 / 5. 1496. وأنه اقتصر على الأخذ عن الإمام ابن غازي (ت. 919 / 3. 1514)، وأهل طبقته من أهل العلم الظاهر، حتى أدرك المشاركة في الفنون كلها. وأول شيخ صوفي صحبه هو عرفة القيرواني، والذي أرسله إلى الشيخ أحمد التوزري الدباسي ويقال التباسي (ت. 930 / 3. 1524). وهو الذي خرج عليه وهو عنده، فوجده ينظر في *الرسالة القشيرية*، فقال له : "اطرح كتابك، واحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوع، وإلا فاذهب عني". فطرحه وأقبل على الفكرة وطريق المحاسبة، ومن عنده توجه إلى المشرق.

وهروع ابن ميمون على أثر الشيخ زروق في حسبته على فقهاء، وصوفية البلاد المشرقية واضح وضوح النهار لا يحتاج إلى دليل، وتكاد حركته أن تكون امتداداً للحركة الاصلاحية الزروقية ببلاد الشام والأناضول. وفيها بعض الأصول الزروقية من النهي عن الدخول بين العوام والحكام، والانتصار لابن عربي الذي كان لابن ميمون اعتقاد زائد فيه، وغير ذلك مما لا يسمح المجال للتوسع فيه. وتماما كما حرصت الزروقية على صلتها بالمغرب، كذلك كان دأب الميمونية. ولم يركن الشيخ ابن ميمون في هذا الشأن إلى شهرة طريقته التي اندرست بها الطريق في المشرق، وأصبحت كالشاذلية بالمغرب، ولم يقنع بمن كان يزوره بالشام من الحجاج المغاربة. بل كان يكتب إلى المشايخ الفاسيين بوجه عام، وأبناء مشايخه بوجه خاص، ومنهم عبد الواحد الونشرسي (ت. 955 / 1549) وعبد الوهاب الزقاق (ت. 961 / 1554)، ويفاتحهم بما حصل عليه من العلم الباطن، ويعرفهم بأسانيده الصوفية والعلمية.

وبعد بسط ممهدات طريق الخواطرية بالمغرب، والتي يسمى أتباعها به بأهل الخواطر أيضاً، يمكن التمييز بين ثلاث مراحل مربها تاريخها، وهي :

1 - يتصدر الأسانيد المغربية في الخواطرية الشيخ أبو الفضل محمد بن خروف التونسي (ت. 966 / 8. 1559)، وانها لمصادفة عجيبة أن تؤول هذه الصدارة إلى أخذ مشايخ المغرب الأدنى الذي انتسب به الشيخ علي بن ميمون الغماري أول ما انتسب إلى التصوف ورجاله. ويتصل به خروف من طريق أبي بكر الشيرازي، عن علي الكيزواني

أحد أعلام الطبقة الأولى في الميمونية. ويأتي بعد خروف تلميذه الإمام محمد بن قاسم القصار (ت. 1012 / 1604)، الذي أخذ عنه هذا السند أعلام الزاوية الفاسية، وهم عبد الرحمان بن محمد الفاسي (ت. 1036 / 1627) وأحمد بن يوسف الفاسي (ت. 1021 / 1612) وأخوه محمد العربي الفاسي (ت. 1052 / 1642). وينتهي هذا السند عند الشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي (ت. 1134 / 1722) الذي أثبته في فهرسته *المنح البادية*، وهو أحد أسانيده الثلاثة في الخواطرية.

ويتصل هذا السند بجانب من جوانب تاريخ طريق الخواطرية بفاس خلال القرن العاشر (16 م)، ولم يكن هو الواسطة الوحيدة لمغاربة هذا القرن في هذه الطريقة. وإذا كانت الزاوية الفاسية تتصل بالخواطرية صلتها بالعديد من الطرق الأخرى، فقد وجدت قبلها بفاس طائفة من الفقراء، مبنى طريقهم على معرفة الخواطر والكلام عليها، وعرضها على شيخهم. وكلامهم كله دائر على قولهم قال لي خاطر كذا، ثم يميزون بين تلك الخواطر، وكانوا يعرفون بأهل الخواطر. وقد أدركهم محمد العربي الفاسي، وأرخ لطائفتهم في كتابه *مرآة المحاسن*، وأكد اتصالهم بالشيخ علي بن ميمون الغماري، ولم يحدد سندهم. وسمى شيخهم إذ ذاك محمد العوني، الذي خلفه بعد موته بعض تلامذته، وعين مكان اجتماعهم بمسجد الأنوار في حومة برزخ من عدوة فاس الأندلس. وأخبر بانقراضهم قبل خروجه من فاس عام 1020 / 1611، كما هو ظاهر من عبارته. وأشار إلى أنه كان بإمكانه أن يتوسع في تاريخهم لمعرفته جملة من طريقهم ومشايخهم، لكنه أضرب عن ذلك. واعتذر باختلال حفظه، لطول العهد وعدم المذاكرة، وانعدام ما يراجع من كتاب أو صاحب، لاغترابه عن فاس وتقلبه في البلاد عقوداً ثلاثة.

ونعتقد أن محمد العربي الفاسي قد اضطر إلى التعرض لأخبار أهل الخواطر اضطراراً، وأنه لم يكن في استطاعته أن يذكر أحد كبار من صحب والده، وهو الشيخ أحمد اللوزي (ت. 1004 أو 1008 / 5 . 1596 أو 9 . 1600)، دون أن يشير إلى هذه الطائفة التي كان ينتسب إليها قبل أن يرتبط بصحبة والده أبي المحاسن (ت. 1013 / 1604) ويبدو الترابط والتلازم بين الترجمة للوزي وذكر الخواطرية أوضح ما يكون في كتاب *ابتهاج القلوب*، المصنف من قبل عبد الرحمان الفاسي (ت. 1096 / 1685) وتعين عبارته على فهم ضَنّ محمد العربي الفاسي بعلمه بتاريخ هذه الطائفة، وتنكبه عن تدوين أخبارها والترجمة لمشايخها والتفصيل في آدابها. فنعلم أن اللوزي قبل أن يكون من أهل الخواطر كان من صحب الشيخ أبي البقاء عبد الوارث اليالصوتي (ت. 971 / 1564)، وأن شيخه هذا "أوصاه بأمور قال في آخرها : إياك وصحبة الفقراء ! فقال له : كيف يا سيدي وأنا عليهم أدور ؟ فقال له : يا بني أخاف أن تقع على الفقراء المبطلين، فيصبغونك صبغة تحار فيمن يخرجك منها، ولو عرفت أنك تقع على المحققين لقلت لك ابسط لهم خدك. فكان الأمر كذلك كما أخبر به الشيخ، فوقع على أهل الخواطر مدة". ويستشف من هذه الترجمة فساد العلاقة بين الزاوية الفاسية وطائفة أهل الخواطر، ويتأكد هذا الأمر في الترجمة التي عقدها عبد الرحمان الفاسي لصاحب آخر من صحب جده أبي المحاسن، وهو إبراهيم الصياد (ت. 1008 / 9 . 1600)، الذي انتسب إليه بالقصر وانتقل معه إلى فاس. فمن الأحداث التي سجلتها هذه الترجمة أنه مر يوما برجل ينتمي لطائفة أهل الخواطر، وكان إبراهيم الصياد أجهر، فقال له ذلك الرجل : "اذهب إلى الفقراء ببرزخ يكحلون عينيك ! قاصدا التورية والتعريض باحتياجه إلى أهل الخواطر في تقوية معناه وبصيرته". وإذا كان محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698) سيبهم عن أهل الخواطر في الترجمة التي أفردها للصياد من كتابه *ممتع الأسماع*، ويعبر عن الخواطري الذي عرّض به "ببعض المنتسبين للفقر"، ويجعل عبارة "الفقراء ببرزخ" "إخواننا الفقراء"، ويقلب "تقوية البصيرة" إلى "تقوية البصر". فذلك إنما رعيا للمكانة الخطيرة التي أصبحت للطائفة الخواطرية داخل الفضاء الروحي للحاضرة الإدريسية بوجه خاص وفي بقية البلاد بوجه عام وقت تأليفه *للممتع*، وهو قوام المرحلة الثانية من مراحل تاريخها. فبدد بذلك ذكريات خلاف الزاوية الفاسية مع هذه الطائفة، وطمس أيضا ذكرها في كل المصادر اللاحقة له، والتي اعتمدت مادته في ترجمة الصياد، من *الروض العطر الأنفاس إلى سلوة الأنفاس*.

وهكذا تكون الطريقة الخواطرية قد دخلت المغرب في تاريخ مبكر من القرن العاشر (16 م)، ومن طرق متعددة. وكان لها أتباع أسسوا طائفة بفاس عرفوا بأهل الخواطر. وكان لهم مجتمع وآداب ومشايخ، واختص مسجدهم بحومة برزخ من عدوة الأندلس بعلم الخواطر. ويؤرخ استيطان الشيخ أبي المحاسن فاس وتأسيسه لزاويته بنفس العدوة منها في حدود عام 988 / 1580، لبداية مزاحمة الزاوية الفاسية الطارئة لهذه الطائفة في اختصاصها، ومحاولة احتوائها في دائرة الشاذلية الجامعة لما تفرق في غيرها. وإذا كان أبو المحاسن لم يأخذ عن القصار واسطة الفاسيين في الطريق إلى الشيخ علي بن ميمون الغماري، فإن سيرته تحفل بالكلام عن الخواطر والواردات وتمييزها، مما لا يسمح المجال بتجميعه وإيراد مجمله، كما حرص كتّاب هذه السيرة من أبنائه وأحفاده على تأويل المتشابه من كلامه في هذا الشأن تأويلا يبرز الصبغة الخواطرية فيه. وقد علق مؤلف *ابتهاج القلوب* على قوله "ربما لم يكن عندي علم بالمسألة، فإذا سئلت عنها ارتسم جوابها في خاطري" بما يلي : "وإن كان كثير من أهل البصائر يعرفون سؤال السائل عند المسؤولين بين أيديهم، بل يكاشفون به عند خطوره

عنده، ولذلك يسمون بأهل الخواطر، وقد تقدم شأن الشيوخ من كون قلوب مريديهم كأنها في أكفهم". وقد حصل السند الخواطري أخوه عبد الرحمان العارف شيخ الزاوية الفاسية الثانية التي أسسها بالقلقليين من عدوة القرويين بفاس، وابناه أحمد ومحمد العربي. وأفلح الفاسيون في استقطاب بعض مشاهير أهل الخواطر، وهو الشيخ اللوزي ضجيع الشيخ أبي المحاسن في ضريحه. ويبدو أن أتباع برزخ لم يقووا على مساورة الفاسيين ومنافستهم، فانقرضوا وخلا مسجد الأنوار من جماعتهم.

ونختم هذه المرحلة الأولى من تاريخ هذه الطائفة بالاشارة إلى الشيخ عبد الجليل المدعو جلول بن الحاج (ت. 1036 / 1627) الذي اشتهر بفاس بالكلام عن الخواطر والإنباء عن الضمائر. وقد كان شاهداً على أحداث هذه المرحلة، ومعاصراً لأبطالها المذكورين جميعاً في سيرته. وتسجل ترجمته أيضا دفاع الزاوية الفاسية لما تأسست لشيخه محمد الرامي. وتذكر أنه لما دخل الشيخ أبو المحاسن فاسا رحل شيخه المذكور إلى فاس الجديد، وأسلم له المدينة، وقال : "إنا ملّكنا فاسا سيدي يوسف، وضمنّا له كل شيء، حتى ملح العجين" !

2 - شهد الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م) ظهوراً وانتشاراً ملحوظاً للطريقة الخواطرية في المغرب، ويتصل جانب من هذه المرحلة الثانية من تاريخها بالمرحلة التي سبقتها، ويشذ جانب آخر عنها تمام الشذوذ، وينتمي إلى سياق جديد كل الجدة، ويلتقي الجانبان معا في كونهما من ثمار التواصل الصوفي والعلمي بين المغرب وبقية العالم الإسلامي شرقاً وغرباً.

وقد أذن لانطلاق هذه المرحلة الشيخ أبو سالم العياشي (ت. 1090 / 1677)، الذي شغف بجمع الأسانيد العلمية والصوفية. ولم يكتف بعلماء وصلحاء المغرب الذين أخذ عنهم وانتسب إليهم، فشد الرحلة إلى المشرق مراراً، باحثاً عن مشايخ العلم والتصوف، ومتشوفاً إلى تحصيل المرويات والأسانيد والاجازات. وقد لقي طائفة وافرة منهم، وأثمرت رحلته الحجازية الثالثة عام 1072 / 1661 لقاءه بمكة بمثيله في الشغف بالأسانيد، وشبيهه في السعي إلى المشايخ، الشيخ حسن بن علي العجيمي (ت. 1113 / 1. 1702)، الذي كان لا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرمين إلا جد في لقائه والأخذ عنه، فكثرت بذلك مروياته واتسعت مسموعاته وتعددت إجازاته. وتتلمذ العجيمي على العياشي، واستجازه مراراً، وسمع منه كثيراً، وقيد من أسانيده ما احتاج إليه. وكان قد أتم عام 1073 / 2، 1663 *رسالته في الطرق*، فبعث بها إلى شيخه العياشي الذي احتفى بها واختصرها في رحلته الشهيرة *ماء الموائد*.

ورسالة العجيمي في الطرق رسالة نفيسة جداً، استوعب فيها الطرق الموجودة في عصره، مع ذكر آدابها وأعمالها وأذكارها وأصلها، وسلسلته إلى صاحبها. واشتملت على أربعين طريقا، من بينها الخواطرية. وعرفها بأنها طريقة مبناها على الذكر بكلمتي التوحيد على كيفية مخصوصة لطرد الخواطر من القلب، حتى لا يبقى فيه إلا الله. وأن من شأن أتباعها الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد، وقراءة الأوراد المذكورة في كتب الشيخين علوان وابن عراق، وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخها علي بن ميمون الغماري.

وقد اختصر الشيخ محمد بن علي السنوسي (ت. 1276 / 1859) رسالة العجيمي هاته في تأليفه *السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين*، وأفادنا في الوقوف على كيفية الذكر بكلمتي التوحيد عند الخواطرية، والتي أبهم عنها العياشي : وهي أن يجلس الذاكر كجلوسه للصلاة، ويغمض عينيه، ويقبض على السبحة في يده اليمنى، ثم يضعها في كف يده اليسرى إلا الأصابع الثلاثة فيديرها على ظهرها. ثم يضعها على فخذه الأيسر، ويحبس نفسه، ثم يمد "لا" بقوة من فوق السرة من النفس التي بين الجنبين، رافعاً رأسه إلى منكبه الأيمن، ناقشاً عليه "اله"، ضارباً منه بـ "إلا الله" على قاب قوسين من القلب الكائن بين عظمي الصدر من الجانب الأيسر، متدلياً برأسه إليه. يكرر ذلك مراراً، مع ملاحظة معنى الذكر بقلبه "لا اله إلا الله" أي لا معبود الا الله، فيها يصفو قبله من الاستناد إلى الأسباب والركون إلى الخلق. ثم يلاحظ معنى لا مقصود إلا الله، فبها يطرد الخواطر الردية. ثم يلاحظ لا موجود إلا الله، فبها نفي السوى والأنانية. ثم لا مشهود إلا الله، فيها مشاهدة الحضرة الالهية والاستغراق فيها بالأنوار القدسية. وقد جمع السنوسي بين اختصار رسالة العجيمي في الطرق، والاتصال بالخواطرية من طريق الشيخ ابن عراق.

ومع *الرحلة العياشية* يتزحزح ذكر الطريقة الخواطرية من التراجم الفاسية القالية، وينفلت من دائرة فقراء برزخ المنقرضين إلى رحاب أرض الإسلام الواسعة. وتجد الخواطرية مكانتها بين الطرق الصوفية الإسلامية، وتشرف بانتساب مشايخ الحرمين إليها. وإذا كان العياشي لم يعن بتدوين أسانيد تلميذه العجيمي الصوفية في رحلته *ماء الموائد*، فانه كان ولاشك يحدث بها تلامذته المغاربة، وبالأخص أفراد البيوتات الصوفية الكبرى مثل محمد بن عبد الرحمان الفاسي من المتشوفين إلى الأسانيد العالية. وسيضطلع هذا الأخير بتحصيل هذه الأسانيد وتخليدها في فهرسته *المنح البادية* التي صنفها بعد حجه واتصاله بالعجيمي واستجازته. وقد أجازه هو وابنه عبد الله (ت. 1131 / 8، 1719) مصنف *الإعلام بمن مضى وغبر*، ومن يتولد له من الأولاد والأحفاد. ويهمنا منها سنده في الخواطرية الذي يعد أوسع أسانيد الزاوية الفاسية في هذه الطريقة، ويتصل بإمامها علي بن ميمون الغماري من طريق شيخ العجيمي ابن شعيب العدوي عن أيوب الأحدب

وأحمد الأشقندي، فالأول عن عمر العقيبي والثاني عن أبي الوفاء بن علوان، كلاهما عن والده علوان الحموي. وأخذ الأحدب أيضاً عن والده، الذي أخذ عن ابن ميمون الغماري. وللعجيمي سند آخر في الخواطرية لم يسقه صاحب *المنح البادية*، وواسطته فيه شيخه أحمد القشاشي (ت. 1071 / 60. 1661)، الذي عليه مدار روايته في رسالته المذكورة. وقد سبق القشاشي تلميذه العجيمي بتصنيف رسالة في أسانيده إلى طرق القوم، وحصل سنده في الخواطرية بالمدينة المنورة، حيث أخذ عن أحمد بن الفضل بن عبد النافع بن محمد بن عراق تلميذ علي بن ميمون الغماري.

وإدخال رسالة العجيمي في الطرق بالرواية والسند من قبل محمد بن عبد الرحمان الفاسي يفضل عن اختصارها من قبل أبي سالم العياشي، حيث مكنت مغاربة القرن الثاني عشر (18 م) ومن بعدهم من الرواية والسند في سائر الطرق الأربعين، ومنها الخواطرية. ذلك أن شيخ الزاوية الفاسية كان يجيز تلامذته بفهرسته *المنح البادية*، وممن أجازهم بها من المشاهير المؤرخ محمد الصغير الافراني (ت. 1156 أو 1157 / 1743 أو 1744)، وذلك عام 1131 / 8. 1719. وكان هذا الأخير بدوره يجيز بها تلامذته وأصحابه، ونجتزئ من رسالة بعث بها إلى الشيخ المعطي بن الصالح (ت. 1180 / 1766)، وقد آلت إليه مشيخة الزاوية الشرقاوية بعد وفاة والده المذكور (ت. 1139 / 6. 1727)، ما يلي: "وإذا كان المراد في صحة الرواية في الطريق، فلنا والحمد لله سند صحيح في سائر الطرق الصوفية في فهارسنا عن مشايخنا الفاسيين، بالسند الصحيح والإجازة منهم في ذلك... فان أحببت هذا فانسخ فهرسة شيخنا الفقيه الصوفي سيدي محمد بن عبد الرحمان الفاسي الجامعة لسند كتب العلم كلها وسائر الطريق الصوفية، ونجيزك فيها كما أجازني". وتقيم هذه الفقرة الدليل على ما ذهبنا إليه، وتعطي فكرة عن مدى شيوع أسانيد *المنح البادية*، ومنها السند الخواطري الذي يهمنا.

هذا ولم يستبد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الفاسي بالوساطة بين العجيمي ومعاصريه من مغاربة القرن الثاني عشر (18 م) ومن بعدهم، بل شاركه فيها الشيخ محمد بن الطيب الشرگي (ت. 1170 / 6. 1757)، الذي يصفه صاحب *فهرس الفهارس* بفخر المغرب على المشرق، والذي جدد الرواية والسند في العلم ظاهره وباطنه خلال النصف الثاني من هذا القرن. واشتملت فهرستاه الكبرى *إقرار العين* والصغرى *إرسال الأسانيد* على ما يقارب المائتين من مشايخ العلم والتصوف من أهل المغرب والمشرق، ومن بينهم العجيمي. وقد حصل الشرگي الاجازة من العجيمي وعمره عامان، وذلك عام 1112 / 1700 ـ 1701، وكان والده هو الذي استجاز له شيخه العجيمي. ويروي السند في الميمونية وفي رسالة العجيمي في الطرق من طريق أبي سالم العياشي الذي أجاز والده إجازة عامة له ولأولاده ولمن يولد له، ومن طريق محمد بن عبد الرحمن الفاسي أيضاً.

ويبقى هذا الانتشار الواسع للسند الخواطري، خلال هذه المرحلة من تاريخ *الخواطرية* بالمغرب، امتداداً للمرحلة التي سبقتها. ويؤرخ بالدرجة الأولى لحيوية هذا السند الجديد للزاوية الفاسية في هذه الطريقة، والذي عززت به أسانيدها القديمة فيها، والتي تعود إلى القرن العاشر (16 م)، ووسعت بذلك طرق اتصالها بإمام هذه الطريقة الشيخ علي بن ميمون الغماري.

وقد تزامن مع هذا الانتشار لسند الخواطرية ـ الميمونية دخول خواطرية جديدة إلى فاس بوجه خاص والمغرب بوجه عام، عرفها محمد بن الطيب القادري (ت. 1187 / 1773) بأنها "طريقة عزيزة الوجود غريبة لم نسمع بمثلها في كل الأغوار والنجود". ويمكن ضبط تاريخ هذا الدخول بعام 1079 / 8. 1669 الذي ألقى فيه الشيخ أحمد بن محمد اليمني (ت. 1113 / 1. 1702) عصا التسيار بفاس بعد سياحة دامت أربع سنوات، حج فيها وأتى على بلاد السودان الأوسط وانتقل منها إلى سجلماسة التي أقام بها مدة. والخواطرية التي جاء بها اليمنى أخذها عن شيخه عبد الله بن عبد الجليل البرناوي (ت. 1088 / 1677) نسبة إلى مدينة برنو بالسودان، والذي تؤكد سيرته أن علومه كلها كانت وهبية، ولا تذكر له نسبة إلى شيخ تعليم، لا في علم الظاهر ولا في علم الباطن. وتقطع هذه اللدنية كل صلة للخواطرية ـ البرناوية بالخواطرية ـ الميمونية، وتصرح بتعدد الطائفتين. لكنها لا تنفي وحدة الأصل الذي انبنت عليه الطريقتان، وهو علم الخواطر. كما لا تمنع من اعتبار إشارة صاحب *مباحث الأنوار* إلى حصول المدد من طريق الغيب للبرناوي من الشيخ محمد بن عبد الله السوسي (ت. 1079 / 8 ـ 1669)، وأيضا ملاحظة اشتراك هذين الشيخين في الاختصاص بالنظر لأحوال الخلق من اللوح المحفوظ، واستشعار ومعرفة ما يجول في الخواطر من طريق الكشف، وظهور بعض مشاهير صَحْب السوسي بالعبادة بالفكرة، وهو الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي (ت. 1098 ـ 8 ـ 1679). وقد جاور السوسي بالحرمين نحواً من ثمان سنين، وكثر أصحابه من أهلهما وأهل العراق والشام واليمن وغيرهم. وكان موجوداً بهما في العام الذي حج فيه أحمد اليمني، وما تسوقه سيرته من كراماته المتصلة بفتح السودان والتمهيد لظهور الشيخ البرناوي، تترجمه وقائع سيرة اليمني من التوجه إلى هذه البلاد والانتساب إلى هذا الشيخ!

وألف أحمد بن عبد الحي الحلبي (ت. 1120 / 8 ـ 1709) كتاب *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب*، في أوج المشيخة الصوفية لأحمد اليمني بفاس. وساهم في تخليد وروجان وانتشار أخبار الطريقة الخواطرية ـ البرناوية ومناقب شيخها وآدابها وسلوكها،

وهذه خلاصته : اعتبر الشيخ البرناوي الفكر من أعظم الطرق الموصلة إلى الله، وأنه رأس العبادات كلها. واشتمل على العلم بالخواطر والقلوب، وعلى الاطلاع على المقامات والدرجات لكل سالك، من مبتدئ ومنته ومتوسط، من جميع البلاد وفي جميع الأعصار، ومقدار كل واحد وحد مقامه وما قدر له. واحتوى على الاطلاعات الغيبية والمطالعات الكشفية، لاتصال روحانيته بروحانية اسرافيل المختص بالقراءة في اللوح المحفوظ. وكان دائم الفكرة في الملكوت وفي المصنوعات، ويأمر أصحابه بالفكرة على حسب مقاماتهم واستعداداتهم، فيقول لأحدهم مثلا تفكر في مخلوقات الله في الأرض ولا تتفكر في المخلوقات السماوية، أو تفكر في البحار ولا تتفكر في المخلوقات البرية، أو تفكر في ملكوت الله ولا تتفكر في ملكه، أو تفكر في لطفه ورحمته ولا تتفكر في عظمته وجلاله. وهكذا يجد لكل سالك من العبادات حداً معلوماً، ويأمره ألا يتعداه حتى يترقى منه إلى غيره. وكان من شأنه كل يوم وقت الاشراق الذهاب هو وخواص أصحابه إلى الخلاء، فإذا وصلوا إلى موضع خلوتهم من البرية تفرقوا في ذلك الموضع في أرجائه ونواحيه، كل واحد منهم يأخذ في جهة بانفراده. والشيخ يأمر بذلك، ثم يقول لهم تفكروا في ملكوت ربكم، ثم ينعزل عنهم هو أيضاً وحده في ناحية. ويرجعون وقت الزوال، ويجتمعون من مواضع تفكرهم، ويأخذون في الجلالة بذكر اللسان والقلب. ثم يسيرون على تلك الحالة إلى البلد لصلاة الظهر في الجامع، ولا يزالون كذلك بقية النهار والليل إلى الصباح فيتفرقون، وهذا دأبهم.

هذه صورة الطريقة الخواطرية شيخاً وأتباعاً ومذهباً وسلوكاً، في مهدها من بلاد السودان الأوسط، كما نقلها أحمد اليمني إلى مغاربة الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م)، وخلدتها المصادر المصنفة خلال العقد الأول من القرن الذي يليه. ومنها *ريحان القلوب* الذي فرغ منه أحمد الحلبي عام 1105 / 3، 1694، *ومباحث الأنوار* الذي ألفه أحمد الولالي (ت. 1128 / 5، 1716) بعده بقليل عام 1109/ 7، 1698. وقد نيف مقام اليمني بفاس عن الثلاثة عقود، وطارت شهرته في آفاق المغرب شهرة عبّر الولالي عن مداها بقوله "ثم أطلعه الله تعالى بأن أظهره للخلق اطلاع البدر فوق الأفق، فضاءت به أركان ظلمة هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به". ولاريب أن الطريقة الخواطرية قد أفادت من هذا المكث الطويل والصيت البعيد، فازدادت رسوخاً وتمكيناً وعرفت انتشاراً وتعميماً، وهذا ما أوجزه القادري بقوله "وكفى ما برز منها في غربنا من الشيخ أبي العباس اليمني المذكور".

وقد تأسى أحمد اليمني بشيخه البرناوي في مشيخته بفاس علماً وعملاً، فاشتهر بالتوكل وإسقاط خوف الخلق وهم الرزق، وأصبح المرجع في علم الخواطر، واتصلت جل كراماته بالإخبار بالمغيبات بطريق الكشف. وأوتي صاحبه أحمد بن عبد الله معن (ت. 1120 / 8، 1709) شيخ زاوية المخفية علم الخواطر أيضاً، والإخبار بالغيوب، والعافية من خوف الخلق، وكفاية هم الرزق. ونرى أن ظهور الخواطرية - البرناوية بالمغرب خلال الربع الأخير من القرن الحادي عشر (17 م)، على يد الشيخ اليمني ومن تبعه، هو سياق بعض فصول كتاب *المحاضرات* للإمام الحسن بن مسعود اليوسي (ت. 1102 / 1690)، وبالأخص الفصل المعقود للحديث عن "الكشف والمكاشفة عند الصوفية". وقد شرع في تأليفه عام 1095 / 1684، بعد مرور عقد ونصف على استقرار اليمني بفاس، وبعد لقائه هو وصاحبه أحمد معن ضمن من لقيهم من مشايخ العلم والتصوف، ووصفه "بمحبنا" ووصف شيخ الزاوية المعنية "بأخينا في الله". وتدور هذه الفصول حول تحذير المريدين وعوام المتوجهين من تعشق الغيب المدعى الاطلاع عليه بالموهبة، والذي كثرت فيه الدعوى، وعمت به البلوى. وتدعو الناس إلى الاهتمام بالقسم النافع من الغيب، والذي تدركه العقول بالعلم وبالتدبر في أسرار الكون.

وكما اشتهرت بفاس خلال المرحلة السابقة طائفة أهل الخواطر ومجتمعهم بجامع الأنوار بحومة برزخ من عدوة الأندلس، كذلك شهدت هذه المرحلة الثانية طائفة من الفقراء، أهل الخواطر، كانوا يجتمعون بزاوية الشيخ أحمد حجي (ت. 1103 / 1، 1692) بدرب حسان من حومة البليدة من عدوة القرويين، ويظلون صامتين متفكرين في ملكوت الله. وتمتاز هذه المرحلة من تاريخ الطريقة الخواطرية بالإشارة إلى وجود هذا المسلك الصوفي بحواضر أخرى من البلاد، ومنها سلا حيث كان الشيخ أحمد حجي كثير الاستغراق والتفكر حتى لا يكاد يشعر بمن يدخل عليه بزاويته، كحال أهل الخواطر. ومنها أيضاً مراكش حيث أدرك أحمد الحلبي عام 1080 / 9، 1670 الشيخ محمد بن سعيد المرغيثي بجامع المواسين منها، ولاحظ طوال مدة إقامته بهذه الحاضرة أنه كان يعبد الله بالفكرة، بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس. ووصف درجة استغراقه بقوله : "فو الله لكنت أجلس أمامه وقبالة وجهه، ولم أرمنه شعرة تتحرك أبداً ولا طرفه، وكنت أنظر إلى حدقته ساكنة حتى كأنه ميت. ولو فرض أن الأرض انقلبت بما فيها والسماء سقطت على الأرض لم تتحرك منه شعرة حتى تطلع الشمس، فيتحرك حينئذ ويكلمني ويبدأ بالكلام، فعرفت منه ذلك ولازمته. ورأيت منه هذه الحالة سنة، وهي مدة إقامتي بمراكش، وذلك عام ثمانين وألف".

وإذا كنا اعتبرنا الرحلة العياشية معلم بداية هذه المرحلة النشيطة من تاريخ الطريقة الخواطرية بالمغرب، فإنه يمكن النظر إلى "فهرستي" الشرگي *والنشر* للقادري ليس كمعالم لنهاية هذه المرحلة، ولكن كآثار تنتمي إلى الربع الأخير من القرن الثاني عشر (18 م)، وتشهد على استمرار العناية

بالسند الخواطري ـ الميموني وبتاريخ الخواطرية ـ البرناوية على مدى قرن كامل.

3 ـ يشكل القرن الثالث عشر (19م) والنصف الأول من القرن الذي يليه قوام المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الطائفة التي تهمنا، وتعتورها فجوات واسعة في معلوماتنا عن أهل الخواطر، ويحتاج الوصل بين أطرافها إلى فلي مظان الحقبة المصطلح على تسميتها بالمعاصرة. ومجمل ما حصلناه من بعض مصادر هذه المرحلة تواتر التشوف إلى سند الخواطرية المتصل بالإمام ابن ميمون الغماري من طريق الشيخ العجيمي، واهتبال الرحلة الحجازية لأخذه عن المشايخ المشارقة. وأيضاً استمرار الاهتمام برسالة العجيمي في الطرق، والإقبال على اختصارها ونشرها. وقد اختصرها الشيخ محمد بن المدني گنون (ت. 1302 / 1884)، كما رواها الشيخ عبد الحي الكتاني (ت. 1382 / 1962) من طريق والده، ومن طريق الشيخ أحمد الجمل النهطيهي بمصر إلى الشيخ العجيمي، وعلق على سنده الثاني في هذه الرواية بقوله : "وهو مسلسل بالسماع والتلقين والمصافحة والإجازة، ولا يوجد أعلى منه اليوم مطلقاً". وإذا كان J.S. Trimingham يؤكد أن الطائفة الخواطرية لازال لها أتباع بسوريا إلى حدود عام 1359 / 1940. فإن رواية شفوية حصلناها تفيد أن بعض الأعلام المغاربة ممن عاشوا بعد هذا التاريخ كانوا من أهل الخواطر.

أ. زروق، *قواعد التصوف*، صححه ونقحه، م. ز. النجار وراجعه، م. فرغلي، بيروت، 1992، 134، 143، 144 ؛ ع. م. الغماري، *رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط خ ع 1780، د، ضمن مجموع، 52 ـ 150 ؛ م. بن عسكر، *دوحة الناشر*، ضمن موسوعة *أعلام المغرب*، 828 ـ 829 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية، 118 ـ 120، 235 ـ 236 ؛ م. ن. د. الغزي، *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة*، تح. ج. س. جبور، بيروت، د. ت، 1 : 59 ـ 68، 271 ـ 278، 2 : 201 ـ 203، 206 ـ 213 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، تح. ح. الدازي، 378 ـ 382، 400 ـ 402 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، تح. ع. العمراوي و ع. مراد، 182 ـ 185 ؛ م. بن عيشون، *الروض العطر*، تح. ز. النظام، 135 ـ 138 ؛ أ. العياشي، *ماء الموائد*، ط. حجرية، 2 : 214 ـ 218 ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي و ا.ش. إقبال، 148، 278 ـ 313، 415، 674 ؛ أ. الحلبي، *ريحان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار القلوب*، مخطوط خ ع، مصور على الشريط، جائزة الحسن الثاني، 1148 / 1983 / 18 ف ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار*، تح. ع. بوعصاب، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1999، 285 ـ 296 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ضمن موسوعة أعلام المغرب، 1102، 1103، 1104، 1593، 1597، 1875 ـ 1892، 1895 ـ 1896 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية، 1 : 180، 2 : 325 ـ 327، 334 ـ 339 ؛ م. الفاسي، *المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية*، تح. ح. م. صقلي. أطروحة مرقونة ومحفوظة في خزانة كلية الآداب، الرباط، 171، 735 ـ 736 ؛ م. السنوسي، *السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين*، مخطوط خ ع 1521د، 85 ـ 86 ؛ نفس المؤلف، *المنهل الروي الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق*، مخطوط خ ع 1243 ك، 9 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بعناية إ. عباس، 1 : 444 ـ 449 ؛ ع. ابن سودة، دليل، 1 : 94، رقم 305 ؛ ع. زمامة، علي بن ميمون *الغماري*، مجلة الثقافة المغربية، تصدرها وزارة الثقافة، الجزء السادس، 1972، 103 ـ 110؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 23، 31، 142 ـ 174، 422 ؛ نفس المؤلف، *البرناوي، عبد الله بن عبد الجليل*، *معلمة المغرب*، 4 : 1196.

L. Massignon, *Tariko*, *E.I.* , Leiden 1987, 8 / 670 ; J. S. Trimingham, *The sufi orders in Islam*, London, 1971, 90.

عبد الله نجمي

تم طبع الجزء 11 من معلمة المغرب بمطابع سلا
في رجب عام 1421 / اكتوبر 2000

مطابع سلا
قسمة 14، زنقة عثمان بن عفان
الحي الصناعي لتابريكت
ص.ب. 596 سلا

« sala »

IMPRIMERIE DE SALÉ

Lot 14, Rue Othman Ibnou Affane
Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 SALÉ

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

11

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé "SALA"

2000 - 1421

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome XI) 9981 - 03 - 012 - 0

Encyclopédie
du
Maroc

وقائع سياسية واقتص

التقسيم الزمني	المغرب والأندلس
1050 / 442	
1053 / 445	المرابطون يفتحون سجلماسة على آخر أمير مغراوي.
1055 / 447	
1057 / 449	المرابطون يدخلون اغمات.
1062 / 454	تأسيس مراكش.
1064 / 456	وفاة ابن حزم.
1069 / 462	المرابطون يفتحون فاسا.
1071 / 463	
1075 / 468	تدخل المرابطين في غانا.
1085 / 478	سقوط طليطلة.
1086 / 479	وفاة زعيم المرابطين أبي بكر بن عمر.
1086 / 479	انتصار المرابطين بمعركة الزلاقة بالأندلس.
1090 / 483	
1099 / 492	
1106 / 500	وفاة يوسف بن تاشفين.
1109 / 503	إحراق كتب الغزالي في إيالة المرابطين.
1111 / 505	
1116 / 510	ابن تومرت يبدأ عودته من المشرق.
1117 / 511	سقوط سرقسطة.
1121 / 515	ابن تومرت يتسمى مهدياً.
1125 / 518	استقرار ابن تومرت بتينمل وبداية حركة الموحدين.
1130 / 524	وفاة المهدي بن تومرت.
1146 / 541	الموحدون يدخلون مراكش.
1149 / 544	وفاة القاضي عياض.
1163 / 558	وفاة عبد المؤمن بن علي.
1171 / 566	

Encyclopédie du Maroc

11